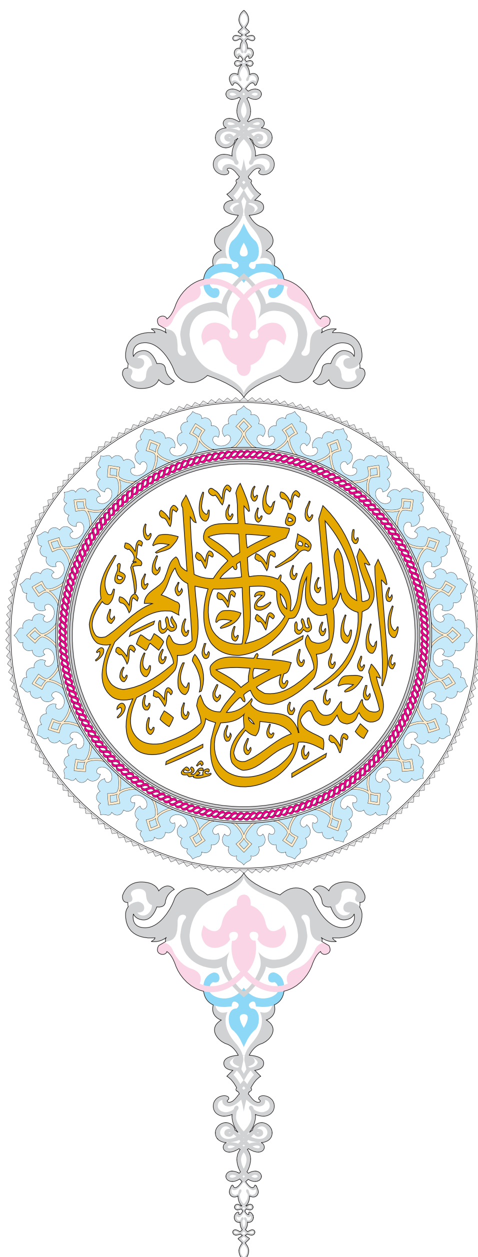
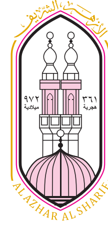
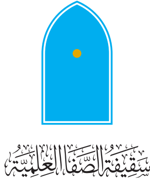




٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

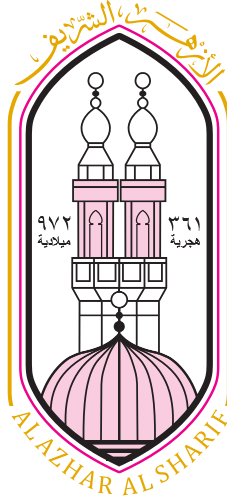
٦٠

المجلد الثاني والخمسون ـ القسم الثاني

السنة ١٤٠٠هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية



مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org


٨٤٩

مدير المجلة
محمد صابر البرديسى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس - السنة الثانية والخمسون - شعبان سنة ١٤٠٠ هـ - يوليو سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحات من الإسراء والمعراج

للأستاذ محمد صابر البرديسى

قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله . لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

وقال تعالى : « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى .. » الآيات .

اعتاد المسلمون فى الايام الأخيرة من شهر رجب من كل عام أن يحتفلوا بذكرى عطرة ، تتعلق بالاسراء والمعراج ، يحفزهم الى ذلك مشاعر طيبة تنبع من الايمان بالله ، والحب

الصادق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد كان حدث «الاسراء والمعراج» تكريما لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » وتقوية لارادته ، وبرهانا على أن الله « سبحانه وتعالى » معه وأنه سيتولاه باحسانه وتوفيقه ، ويمده بنصره ولن يتخلى عنه .

لقد وقف المشركون من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » منذ جهر بدعوته موقف العداء ، وترصدوا له فى كل مكان ، وألحقوا به وبأصحابه أشد ألوان الأذى والنكال ، ولكن رحمة الله برسوله « صلى الله عليه وسلم » جعلته يحتمل هذا العنت ، وذلك التحدى .

وقد شاءت ارادة الله أن تكون لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » فى بدء رسالته « حمايتان » .

احداهما : من جهة زوجته السيدة « خديجة » « رضى الله عنها » اذ كانت هى السكن فى بيته حين يلجأ اليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » عندما يشتد به الضيق ، ويكثر أذى الكفار له ، وتتنكر قريش لما جاء به ، ويصبح فى حيرة من أمر هؤلاء الناس .

وثانيهما : حماية عمه أبى طالب ، فقد أعانه ، ودافع عنه ، ومنع الكثير من أذى المشركين له ، لماله من جاه ومكانة فى قريش .

وشاء الله أن تموت زوجه السيدة خديجة فى العام الذى يموت فيه عمه أبو طالب ، وبفقدهما فقد الحمايتين .

والله سبحانه لايتخلى عن أنبيائه اذا فقدوا المعين ، فحين يفقدون الأسباب الظاهرية ، فان الله يكون بجانبهم ، يحميهم وبنصرهم ، ويكشف عنهم السوء « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ؟ » لقد جاء حدث الاسراء والمعراج تسلية لرسول الله « صلى الله عليه وسلم» حين فقد زوجه وعمه فى عام واحد ، حتى لقد سمى هذا العام « عام الحزن » . أراد الله أن يشرفه ،

وأن يميزه بخصائص تنسيه همومه وتعوضه مافقده ، خصه بمعجزة الاسراء والمعراج ، وخرق له فيهما قوانين الكون فمعجزة وتعوضه ما فقده ، المعراج لم يصل اليها ، بشر ، ولم يقدر عليها ملك ، فقد توقف جبريل فى المرحلة الأخيرة من مرحلة السماء ولم يقدر عليها ، وانفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فكان ذلك شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنسا من الله لرسوله بدنوه منه ، ورؤيته للحق جل جلاله ، وبالاستماع الى كلامه مباشرة وبلا واسطة •

كما شرفه الله تعالى بالتقائه بالأنبياء الذين سبقوه ، والتحدث معهم ، وامامته لهم •

ان هذا الحدث العظيم مع ما أفاضه الله على رسوله من نور الهى وتجل ربانى كان له تعزية وسلوى لما أصابه من موت زوجه وعمه ، وتثبيتا لقلبه ، وتأكيدا لنصر الله له •

ان حدث الاسراء والمعراج جاء اختبارا لطائفتين من الناس : طائفة آمنت بالله ، واعتصمت به، لاتؤثر فيها الاحداث ولاتزعزعها الأعاصير ، وكان الحدث اهم هدى ورحمة ويقينا وتثبيتا •

وطائفة أخرى أشركت بالله ، وعميت عن الحق ، فأجمعت أمرها على الانكار ، وعزمت بكل قوتها على الوقوف ضد هذا الدين الجديد ، والتصدى لرسول الله ، والقضاء على الاسلام فى مهده قبل أن يستفحل أمره ، وارتد بعض المسلمين الذين لم يصلوا الى مرتبة اليقين •

هؤلاء المشركون ، والمرتدون ، عجبوا أن جاءهم محمد بالمعجزات ولم يصدقوا بالآيات ، ولم يدركوا قدرة الله فباءوا جميعا بالخسران • أنكروا حادث الاسراء والمعراج ، وقالوا لرسول الله : أتدعى أنك أتيتها فى جزء ليلة ، ونحن نضرب اليها أكباد الابل شهرا ؟ »

مالوا عن الحق ، وحادوا عن الطريق السوى •

ولكن رسول الله « صلى الله

عليه وسلم » لم تمنعه سخرية المرتدين ، وارتداد ضعاف الايمان من المسلمين من المضى فى اعلان هذا الحدث العظيم لثقته بالحق الذى جاء به ، والحق الذى وقع له .

ايمانه بمارأى جعله يصارح قومه بهغير مبال برأيهم فيما رآه.

بعد ألف عام ، من عمر الاسلام يأتى قوم شغفوا بجدل الكلام ، وانصرفوا عن جوهر الحدث الأصيل ، الى الجدل الشكلى فيقولون :

أكان الاسراء فى اليقظة ؟ أم كان ذلك مناما ؟

أكان ذلك بالروح فقط ؟ أم كان ذلك بالجسد والروح ؟

وهل كان ليلا ؟ أم كان ذلك نهارا ؟

مثل هذا الجدل من الكلام ، لايحدث الا حين تضعف الثقة فى الله ويخف وزن الايمان .

ان المشركين ، وهم فى قمة عنادهم ، فهموا من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أن الاسراء كان بالروح والجسد معا، ولذا وقفوا منه موقف التكذيب له فيما يظنون أنه ادعاه ، فقالوا له :

« اتدعى أنك أتيتها فى جزء ليلة ، ونحن نضرب اليها أكباد الابل شهرا ؟ » ولو أنهم فهموا أنه كان مناما أو بالروح فقط لما واجهوه بهذا السؤال .

وقد وصف لهم الرسول « صلى الله عليه وسلم » المسجد الأقصى كما رأوه وكما يعرفونه ، وهم يعلمون أنه لم ير المسجد الأقصى ولم يذهب اليه ولو شكوا فى أنه رآه لما طلبوا منه أن يصفه .

ولم يكتف رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بوصف المسجد لهم كدليل على صدق قوله ، بل أخبرهم بالقوافل القادمة ، وبأشياء رآها على الارض خلال الاسراء به منمكة الىبيت المقدس والعودة ، والقافلة بعد فى طريقها الى مكة لم تصل ، ثم ترصدوا القافلة فوجدوا الامر كما قال الرسول « صلىاللهعليهوسلم » .

وكان يقصد بذلك كله أن يعطى

الناس آيات أرضية حسية مشهودة .

ومتى تأكدوا من صحتها يصبح ذلك دليلا على أن الله قد خرق له القانون فى الأرض وصارت له معجزة تكون بمنزلة **(صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى)** .

فاذا أخبرهم بعد ذلك بأمر المعراج أو بأى شىء آخر فانهم يصدقون ولا يشكون .

فالاسراء كان مقدمة للدلالة على صدق ما حدث ومادام الله قد خرق له قوانين الأرض فهو قادر على أن يخرق له قانون السماء **« وهو حدث المعراج »** .

ربما كان الاسراء نقلة عجيبة بالقياس الى مألوف الناس ، ومقدور البشر ، فهو حدث عجيب غريب ، تقف فيه العقول ، ولكن اذا علمنا أن الله هو الذى أسرى بمحمد « صلى الله عليه وسلم » ، ومحمد أسرى به ، ومادام الله هو الفاعل فلا غرابة ولا عجب فى أن يسرى به فى جزء ليلة بل فى لحظة ، فان الله يقول للشىء كن فيكون ، ولا يعجزه شىء فى السموات والأرض ، فلا أسباب ولا زمان ولا مكان مع قدرة الله .

وكانت جزء ليلة بحسب المرائى التى تعرض لها الرسول « صلى الله عليه وسلم » ورآها فى طريقه بنفسه وببشريته ، بمعنى أنه « صلى الله عليه وسلم » اذا رأى منظرا من المناظر ، فرؤيته لذلك المنظر هى التى تحتاج الى الزمن ، فالأشياء التى رآها هى التى صاحبت الزمن .

تعرض القرآن لحديث الاسراء صراحة فى أول آية من سورة الاسراء وتعرض لحدث المعراج ضمنا والتزاما فى الآيات الأولى من سورة النجم فلم يقل سبحانه وتعالى « لقد عرج محمد — وانما ذكر آيات تستلزم أنه عرج — وهذا من رحمة الله ، فالحدث الذى أقام عليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » الدليل المادى — « كالوصف والآيات الأرضية الحسية التى شهدها خلال الاسراء به » — أتى به صراحة .

أما الأمر الذى لا يمكن أن يقام فيه الدليل المادى « لأنه سماوى » أتى به التزاما ، وتركه لمدى يقين العبد بربه وتوثيق الخبر من الله أو من رسوله — ومن هنا قال العلماء (الذى يكذب بالاسراء يكون كافرا ، والذى يكذب بالمعراج لا يكون كافرا بل يكون فاسقا) .

حدث الاسراء نقلة أرضية .

أما حدث المعراج فهو نقلة سماوية ، تخطى محمد « صلى الله عليه وسلم » الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل الى ما لم يصل اليه نبى مرسل ولا ملك مقرب .

وصل « صلى الله عليه وسلم » الى أقرب ما يكون من النور الالهى .

« فكان قاب قوسين أو أدنى » .

وحينما صعد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى الملأ الأعلى ، وتنقل فى السموات السبع ، وجاوزها الى سدرة المنتهى ، بعد أن التقى بالأنبياء وبالملائكة ، يراهم ، ويتكلم معهم ، وكان يصحبه جبريل فى رحلتيه « الأرضية والسماوية » وبعد سدرة المنتهى توقف جبريل ، وانتهى حده ، وزج برسول الله « صلى الله عليه وسلم » فى سبحات من النور ، وارتقى الى ما يناسب ذلك الملأ الأعلى .

ثلاثة أشياء حدثت لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » فى رحلته الأرضية والسماوية :

١ — **بشرية فى الأرض** : وكان جبريل فيها يرى محمدا « صلى الله عليه وسلم » الأشياء .

٢ — **ملائكية فى السماء** : قبل سدرة المنتهى ، كان يسمع فيفهم بلا واسطة جبريل ، فقد تحولت ذاتية محمد وأصبحت ملائكية ، طرحت بشريته فى الأرض ، وأصبحت ملائكيته هى المسيطرة عليه .

٣ — **ملائكية فوق الملائكية** : ارتقى فيها ، ولم يكن جبريل معه ، وهى التى كانت بعد سدرة المنتهى ، تعرض فيها الرسوك الى خطاب الله ورؤيته له سبحانه وتعالى .

لم يستطع جبريل عليه السلام ، وهو أقرب الملائكة الى الله أن يصل الى هذه المكانة ، بل ان جبريل عليه السلام ، قال لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » عندما وصل الى سدرة المنتهى وطلب منه أن يتقدم ، قال جبريل : « اذا تقدمت أنا احترقت ، واذا تقدمت أنت اخترقت » وذلك لأن نور الله سبحانه وتعالى فى هذا المكان بالذات لا يستطيع أن يتحمله حتى أعظم الملائكة (جبريل) عليه السلام .

فى هذا المكان الجليل الشأن ، العظيم القدر فرضت الصلاة ، فدل ذلك على قدرها وجلال شأنها وقيمتها العظمى كركن من أركان العبادة كانت الصلاة التى فرضها الله على أمة محمد هى الصلاة الجامعة لكل الصلوات السابقة وكانت خمسين صلاة ، فمازال الرسول « صلى الله عليه وسلم » يسأل ربه التخفيف حتى صارت خمسا ، وبقيت فى الثواب خمسين . وتختلف عن بقية الفرائض فى أنها فرضت مباشرة ، وغيرها كان بطريق الوحى .

وكانت الصلاة هدية لأمة محمد « صلى الله عليه وسلم » لأنه كان فى القرب من الله ، والصلاة تقرب المؤمنين من ربهم ، فهى « هدية القرب للقرب » قال تعالى **« فاسجد واقترب »** ويقول الرسول « صلى الله عليه وسلم » « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

فالله سبحانه وتعالى ، حيا محمدا « صلى الله عليه وسلم » وكرمه حين قربه منه فى الملأ الأعلى ، وأراد سبحانه وتعالى أن يكرم أمة محمد « صلى الله عليه وسلم » فحمله هدية «هى الصلاة» يحملها الى أمته فى هذه المناسبة الجليلة حتى تقربهم من الله كما كان للرسول حظه العظيم فى القرب منه يقول الامام القشيرى :

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق « رضى الله عنه » يقول : ان نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق ، والصلاة لنا بمنزلة المعراج .

وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل ـ من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ثم من المسجد

الأقصى الى سدرة المنتهى ، ثم منها الى قاب قوسين أو أدنى .

فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل .

القيام ، ثم الركوع ، ثم السجود .

والسجود نهاية القرب ، قال تعالى « فاسجد واقترب » ويقول الامام القشيرى :

ومن لطائف المعراج ، ومما خص به الرسول « عليه السلام » فى أول حاله فى تلك الليلة الطهارة —

« ان جبريل عليه السلام حمله الى زمزم ، وشق صدره ، وغسل قلبه »

وقد شق قلب النبى « صلى الله عليه وسلم » مرتين ، مرة فى حال صباه ، حين كان فى حجر « حليمه » .

والمرة الثانية : — ليلة المعراج —

وانما خص القلب بالغسل لكيلا يكون لغير الحق نصيب فى قلبه ولأنه اذا صلح القلب صلح الجسد كله .

ولتنبيه الأمة على طهارة القلب .

روى أحمد بسنده عن أنس بن مالك — « رضى الله عنه » قال : كان أبى بن كعب يحدث أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « ما معناه » « وأنا بمكة نزل جبريل ففتح صدرى ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه » لقد بدأت رحلة الاسراء والمعراج بتطهير القلب ، وانتهت الى الرقى الروحى ، والفيوضات الالهية ، انتهت الى الغاية الحقيقية الانس بكلام الله ورؤية الحق **(فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى) — (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى) .**

وفى هذا منتهى السعادة ، وغاية الأنس .

نسأل الله أن يمتعنا بالنظر الى وجه الله الكريم فى الجنة **« وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة »** .

كما نسأله أن يسدد خطانا ، ويمنحنا التوفيق ، ويحفظنا من الأخطاء ، والله الهادى الى سواء السبيل .

محمد صابر البرديسى

حول رأى العلامة ابن خلدون في اجتماع الناس والولاية عليهم

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

يقول الحكماء « ان الانسان مدنى بطبعه » ومعنى ذلك : أنه لايمكن أن يعيش مستقلا بنفسه ، بل لابد من اجتماعه مع الناس ، واجتماع الناس معه ، وتعاونهم جميعا ، للحصول على ما تتطلبه الحياة من طعام ، وشراب ، وخباء وكساء • بل والحصول على ماوراء ذلك من الكماليات التى تنقل الانسان الى مستوى كريم من الحياة ، وتوفر له من أسباب الراحة والطمأنينة ما تسعد له نفسه • وينهض به الى درجة لائقة ، تمكنه من استغلال ماسخره الله له على ظهر الأرض من حيوان ، ونبات ، وجبال ، وأنهار وبحار •

وفى بيان ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته :

« ان الله — سبحانه وتعالى — خلق الانسان وركبه على صورة لاتصح حياتها الا بالغذاء ، وهداه الى التماسه بفطرته ، وبما ركب فيه ، من القدرة على تحصيله •• الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته ، من ذلك الغذاء •• ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه ، وهو قوت يوم من الحنطة مثلا ، فلا يحصل ذلك الا بعد الطحن ، والعجن ، والطبخ » (١) • وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين ،

---

(١) طبخ العجين تحويله الى خبز •

وآلات لا تتم الا بصناعات متعددة ، من : حداد : ونجار وفاخورى . وهب أنه يأكله حبا ، من غير علاج ، فهو ــ أيضا ــ يحتاج فى تحصيله حبا الى أعمال أخرى ، من الزراعة ، والحصاد ، والدراس ، الذى يخرج الحبة من غلاف السنبل ، ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة ، وصنائع كثيرة أكثر من الاولى بكثير ، ويستحيل أن توفى بذلك كله ، أو بعضه قدرة الواحد . فلابد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ، ليحصل القوت له ولهم .. وكذلك يحتاج كل واحد منهم ــ أيضا ــ فى الدفاع عن نفسه ، الى الاستعانة بأبناء جنسه ، لأن الله ــ سبحانه ــ لما ركب الطباع فى الحيوان كلها ، وقسم القدر بينها ، جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظ الانسان ، فقدرة الفرس مثلا ، أعظم بكثير من قدرة الانسان ، وكذلك قدرة الحمار والثور ، وقدرة الأسد والفيل ، أضعاف من قدرة الانسان . ولما كان العدوان طبيعيا فى الحيوان ، جعل لكل واحد منها عضوا يقتص بمدافعته ما يصل اليه من عدوان غيره ، وجعل للانسان عوضا عن ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهيأة للصنائع بخدمة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات ، التى تنوب عن الجوارح المعدة فى سائر الحيوانات ، للدفاع . فالرماح مثلا تنوب عن القرون الناطحة ، والسيوف تنوب عن المخالب الجارحة ، الى غير ذلك » .

.. وهذا البيان الواضح من ابن خلدون ، فيه تفصيل دقيق ، عن موقف الانسان على ظهر الأرض فى علاقته باخوانه من البشر ، وفى علاقته بما يوجد فى الدنيا من كائنات .. فالانسان الواحد ــ كما ترون ــ لا يصل اليه الطعام الا اذا تعاونت معه أفراد وجماعات ، تشترك كلها فى تهيئة الطعام ، واعداده ، والا اذا عملت فيه آلات ، وصناعات مختلفة ، تحتاج الى الأيدى العاملة الكثيرة ، كل فى مجاله الذى يختص فيه . حتى ان اللقمة الواحدة من الخبز ، يشترك فى

توصيلها الى الفرد عدد كبير ، ما بين زارع ، وحاصد ، وطاحن ، وعاجن ، وخابز ، وتشترك فى تهيئتها آلات كثيرة ، صنعها صناع كثيرون ، وبفضل تنسيق التعاون بين الأفراد تسير أمور الناس ، وتنتظم أحوالهم ، ويصبحون جميعا كالجسد الواحد ، لا تشيع فيه الحياة ، ولا تكمل له القوة الا اذا قامت كل جارحة فيه ، بل كل ذرة منه بواجبها المرسوم لها فى خدمة الجسد كله • قال الله تعالى : **« وتعاونوا على البر والتقوى •• »** وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الناس بخير ما تعاونوا » وفى هذا المعنى يقول الشاعر العربى :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

والانسان محتاج ــ كذلك ــ الى التعاون مع أبناء جنسه ، للدفاع عن نفسه ، أمام ما خلق الله فى هذه الدنيا ، من حيوانات قوية ، ووحوش ضارية ، وقوى شريرة ، بل هو أشد حاجة الى التعاون ليحول هذه القوى الجبارة الى منفعته ، ويسخرها لمصلحته ، واذا كان الله ــ عز وجل ــ قد زود هذه الحيوانات العجم بوسائل لتدافع عن نفسها أمام غيرها ، من سائر الحيوانات ، فجعل لها القرون ، أو الأظلاف ، أو الأنياب ، أو الأظفار فقد زود الله الانسان بالعقل ، ليستطيع بتفكيره أن يتعاون مع بنى جنسه فى اختراع الآلات ، التى تقاوم هذه القوى • ثم تسخرها لما يجلب له النفع والخير حتى يصبح الانسان وحده سيد هذه الكائنات ••

حاجة الناس الى الوازع :

ثم يتحدث ابن خلدون بعد ذلك عن :حاجة الناس الى وازع يردعهم عن المطامع ، ويراقبهم فيه تحقيق التعاون والتضامن ، حتى لا ينتكسوا الى الحيوانية الشرسة ، فيطغى القوى على الضعيف ، ويفترس الكبير الصغير ، وتسود فى الناس شرعة الغاب ، ومنطق الظفر والناب ، • وهذا الوازع انما هو الحاكم ، الذى يتولى قيادة الناس ، وتوجيههم • ويفصل فى مظالمهم ، ويرسم لهم المنهج ، الذى يصلح

حياتهم ، وينظم أمورهم ..

موقف الفلاسفة :

ولكن ابن خلدون لا يرتضى رأى الفلاسفة الذين يقولون ، ان الوازع الذى يوجه الناس الى طريق الحق هو النبى الذى يصطفيه الله من خلقه ليبلغ الناس رسالة الله التى يهدى بها من يشاء من عباده وان هذا النبى لابد أن يكون مؤيدا من الله بالمعجزات الخارقة التى يعجز عنها البشر لتكون برهانا على صدق دعوته .

موقف ابن خلدون :

.. نقول : ان ابن خلدون لا يرتضى هذا الرأى ، ويقول : لا يشترط فى الحاكم أن يكون نبيا لأن الحكومات القائمة فى هذا العالم لا يعتمد الكثير منها على الانبياء ، ومع ذلك فان العالم يسير فى طريقه ، وتمشى أمور الناس ومصالحهم فى دقة وانتظام ، وقد يكون هؤلاء الحكام مجوسا أو مشركين ..

الأساس فى الولاية :

.. ونحن لا نؤيد ابن خلدون فى مثل هذا الرأى ، ونعتقد أن الأساس الأول فى الولاية ، أى ولاية أمور الناس والحكم فيهم ، انما يرجع الى النبوة . وان آدم أبا البشر هو الحاكم الأول على ظهر هذه الأرض ، وهو نبى ، وقد جعله الله خليفته فيها . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : **وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »** (١) .

---

(١) سورة البقرة الآيات من ٣٠ ــ ٣٣ .

فهـذه الآيات تشـير الى أول حكومةقامت علىوجه الأرض وأول خليفـة لله فيهـا ، وهو آدم عليه السلام ، وقد أفاض الله عليـه من علمه ما يمكنه من معرفة كل شىء فى هذا الوجود ، وهى منزلة لم يجعلها الله لملائكته المقربين ، وانما علمه الله كل شىء ليستطيع أن يضرب فى الأرض ، ويبتغى من فضل الله هو ومن يتناسـل منه هو وحواء من أولاد ، وهـم الأسرة الأولى من البشر ، وكان يتـولى أمـورهم ، أبوهم وحـاكمهم ، ونبيهم آدم أبو البشر •

•• فلما تتابعت الأجيـال ، وتكونت الأمم والشـعوب كانوا يترسمون منهج أبيهم آدم فى الحكم بما علمه الله •• أو منهج الأنبيـاء الذين جاءوا من بعده •

واذن فالأساس الذى تقوم عليه الولاية على الناس هو النبوة ، وقد جعلها الله فى هذه الدنيا على فترات متباعـدة ، أو متقاربة ، وفى أماكن مختلفة من أرضه الواسعة ، فاذا وجـدت على ظهر الأرض ولايات لأناس من غير الأنبيـاء فهم فى سياستهم ـ لأمـور النـاس وتنظيمهم لأحوال المجتمع ـ انما يسيرون فى ضوء النبـوات التى ظهرت من قبلهم ، ولن يطرد لهم النجاح والتوفيق الابسيرهم على هذا المنهج القويم ، وهذه سنة الله فى خلقـه ولن تجـد لسـنة الله تبديلا •

دكتور / محمد الطيب النجار



السنة والحديث والخبر والأثر

للدكتور الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

السنة والحديث والخبر ألفاظ لمعنى واحد ، يطلقها علماء الحديث على ما أضيف الى النبى (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير ، أو الى الصحابى أو التابعى .

فالسنة لغة : هى السيرة والطريقة حسنة كانت أم سيئة وفى الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء ، فكل من بدأ عملا ليقتدى به غيره فقد سنه له .

ولما كان النبى « صلى الله عليه وسلم » هو القدوة الحسنة بأقواله وأفعاله قال تعالى **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** ـ كانت السنة فى اصطلاح المحدثين هى كل ما أثر عن النبى «صلى الله عليه وسلم» من قول قاله ، مثل ما روى عن على بن أبى طالب « رضى الله عنه » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا اله الا الله ، وأنى محمد رسول الله بعثنى بالحق ، ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر) رواه الترمذى .

أو فعل فعله « صلى الله عليه

وسلم » ونقله الينا الصحابة ، مثل ما روى عن أبى هريرة : « أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، كان يعتكف كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين » — رواه البخارى وأبو داود •

وما نقله الينا معاوية فى صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم وصلاته ، وأدائه المناسك والحج « صلوا كما رأيتمونى أصلى ، خذوا عنى مناسككم » — أو تقريره لأمر وموافقته عليه (صلى الله عليه وسلم) • أو أمر فعل أمامه ولم ينكره مثل ماروى عن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى ، أنه خرج رجلان فى سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة ، فتيمما صعيدا طيبا فصليا ، ثم وجدا الماء فى الوقت فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ، ثم أتيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فذكرا ذلك له فقال للذى لم يعد : أصبت السنة ، وقال للآخر : لك الأجر ، مرتين • رواه أبو داود والنسائى •

والحديث لغة : اسم من التحديث وهو الاخبار ، ويطلق أيضا على الجدة بمعنى الجديد فى مقابل القديم ، قال شيخ الاسلام ابن حجر فى شرح البخارى ، المراد بالحديث فى عرف الشرع ما أضيف الى النبى (صلى الله عليه وسلم) وكانه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم •

والنبى (صلى الله عليه وسلم) سمى قوله حديثا ، روى البخارى فى باب الحرص على الحديث من كتاب العلم عنأبى هريرة أنهقال : يارسول الله • من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا « الحديث » أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على « الحديث » أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » •

كما أطلق ذلك على كل ما أثر عنه (صلى الله عليه وسلم) وعن الخلفاء الراشدين الذين اقتفوا أثره •

عن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . فقال رجل :

يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع . فماذا تعهد الينا ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين : تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

رواه أبو داود .

ولذا أقرر رأى جمهور المحدثين بأن السنة والحديث والخبر والأثر ألفاظ مترادفة لمعنى واحد ، وهو ما أضيف الى النبى (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أوصفة ، أو الى الصحابى ، أو التابعى خلافا لمن جعل السنة خاصة بأعمال النبى (صلى الله عليه وسلم) وجعل الحديث عاما يشمل قول النبى « صلى الله عليه وسلم » وفعله ، وقال : ان الخبر ما أضيف الى غير النبى (صلى الله عليه وسلم) والأثر ماروى عن غيره من الصحابة والتابعين .

وقرائن الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين تعين وتحدد مفهوم هذه المصطلحات .

فالسنة ، والحديث . والخبر . والأثر ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحدث به وأثر عنه وعن الصحابة والتابعين .

ألقاب المحدثين

لم يكن علماء الحديث فى مرتبة واحدة ، أو يشملهم لقب علمى واحد بل تفاوتت الألقاب بحسب التمكن والفهم والمعرفة والنبوغ فهناك :

الطالب : وهو من يروى الحديث باسناده ، وليس له علم بأسانيد المتون ، ومعرفة رجالها ، ولا بعلل المتون ولا معانيها ، انه مجرد حافظ يحفظ أسماء الرواة .

ويحفظ الأحاديث بأسانيدها .

المحدث : وهو من توسع فى الرواية والمعرفة فأشغل بالحديث رواية ودراية ، وجمع رواته واطلع على كثير من الرواة والمرويات فى عصره ، وتميز فى ذلك حتى عرف فيه خطه ، واشتهر ضبطه • قال التاج السبكى : هو من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال ، وحفظ جملة مستكثرة من المتون ، وسمع الكتب الستة ، ومسند أحمد وسنن البيهقى •

ومعجم الطبرانى ، وضم الى ذلك ألف جزء من الأجزاء الحديثة والمقصود أنه من حصل على معرفة بالرجال والكتب تجعله ذاذوق فى معرفة الحديث •

الحافظ : من الحفظ ، ويختلف باختلاف العصور ، وهو من عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله ، وقد ذكروا نماذج **من حفظ** الحفاظ ليستدلوا بها على هؤلاء الحفاظ ومكانتهم •

فالامام أحمد روى أنه كان يحفظ سبعمائة وخمسين ألف حديث والبخارى ثلثمائة ألف حديث ، وكذلك مسلم • وحفظ أبو داود خمسمائة ألف حديث ، ويحيى بن معين مائة وثلاثين ألفا حديث ، والحاكم خمسمائة ألف حديث من شتى أنواع الحديث ، مابين صحيح وغير صحيح ، مما يتصل بالرسول « صلى الله عليه وسلم » أو الصحابة أو التابعين •

الحجة : هو الحافظ الذى بلغ فى الحفظ والاتقان مبلغا يصح أن يكون حجة عند العام والخاص •

الحاكم : من عرف أغلب الأحاديث متنا وسندا وجرحا وتعديلا وتاريخا ونحو ذلك مما يتعلق بها من ناحية هذا الفن •

وأعلى درجات المحدثين « أمير المؤمنين فى الحديث » أى أعلم عصره به وأجمعهم له وأكثرهم فهما لما يتصل به •

ومن لقب بأمير المؤمنين فى الحديث الامام مالك • والامام أحمد ، والبخارى ، والدارقطنى وغيرهم •

ومن لقب بالحاكم • أبو داود

والترمذى ، والنسائى والحاكم النيسابورى .

هذه فكرة اجمالية عن مدرسة الحديث ، ودرجاتها العلمية ونظامها الدقيق البالغ الغاية فى الدقة والنظام ، وقد تحدث علماء الحديث من دعاة العلم والمتطفلين على مائدته فيما يتصل بهذا المجال فقال التاج السبكى : ومن أهل الحديث فرقة ادعت الحديث فكان قصارى أمرها النظر فى مشارق الأنوار الصاغانى ، فان ترفعت فالى مصابيح البغوى ، ظنت أنها بهذا القدر تصل الى درجة المحدثين وما ذلك الا بجهلها بالحديث ، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب ، وضم اليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثا ، فان رامت بلوغ الغاية على زعمها اشتغلت بجامع الاصول لابن الأثير ، فان ضمت الى ذلك كتاب « علوم الحديث » لابن الصلاح ، أو مختصره المسمى « بالتقريب والتيسير » للنووى ، ونحو ذلك نودى بمن انتهى الى هذا المقام محدث المحدثين وبخارى العصر ، وما ناسب ذلك من الألفاظ الكاذبة وانما المحدث من عرف الأسانيد والعلل ، الخ .. ماسبق ذكره فى تعريف المحدث ، وقال أيضا : ومن أهل العلم طائفة طلبت الحديث ، وجعلت دأبها السماع على المشايخ ومعرفة العالى من المسموع والنازل وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة ، الا ان كثيرا منهم يجهد نفسه فى تهجى الأسماء والمتون وكثرة السماع من غير فهم لما يقرءونه ، ولاتتعلق فكرته بأكثر من تعدد المشايخ ، والتفاخر بهم ، وانما كان السلف يستمعون فيقرءون فيرحلون فيفسرون ، ويحفظون فيعملون .أه بتصرف .

وقد عنف العلماء فى الحملة على مدعى الحديث أو المنتسبون الى مدرسته دون جدارة واستحقاق ، فقال بعضهم :

ان الذى يروى ولكنه
يجهل ما يروى وما يكتب
كصخرة تنبع أمواهها
تسقى الأراضى ولا تشرب

وقال فيهم بعض الظرفاء : ان الواحد منهم قليل المعرفة والخبرة

يمشى ومعه أوراق ومحبرة ، ومعه أجزاء يدور بها على شيخ وعجوز ، لايعرف مايجوز مما لايجوز ، فكم يرض العلماء التقعر فى الحديث والسيرفيه دون فهم دقيق وذوق رفيع ، وخبرة عالية ، حتى لقد سرى منهج علماء الحديث الدقيق الى غيرهم ، واشتهرت جديتهم عنهم ، وروى الحاكم النيسابورى بسنده عن محمد بن سهل بن عسكر قال :

وقف المأمون يوما للآذان ، ونحن وقوف بين يديه اذ تقدم اليه غريب بيده محبرة فقال : يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به فقال له المأمون : (ايش) تحفظ فى باب كذا ، ؟ فلم يذكر فيه شيئا ، فمازال المأمون يقول حدثنا هيشم ، وحدثنا حجاج ابن محمد ، وحدثنا فلان حتى ذكر الباب ، ثم سأله عن باب ثان ، فلم يذكر فيه شيئا ، فذكره المأمون ، ثم نظر الى أصحابه ، فقال : أحدهم يطلب الحديث ثلاثة أيام ثم يقول : أنا من أصحاب الحديث أعطوه ثلاثة دارهم .

ولقد أفضنا فى هذا المجال لندرك الى أى مدى حفظ المحدثون مراكزهم ، وحددوا مناهجهم ، وكانت الشهادة لأحد منهم بالأمانة شهادة معبرة صادقة لها مدلولها الصحيح .

دكتور الحسينى هاشم

« اعتراف »

(انى أعتقد أن رجلا كمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لو تسلم زمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه اليوم ، لتم له النجاح فى حكمه ، ولقاد العالم الى الخير ، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة) .

« برنارد شو »

دراسات قرآنية :

ليلة النصف من شعبان

ليست الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

« حم (١) والكتاب المبين (٢) انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين (٣) فيها يفرق كل أمر حكيم (٤) » من سورة الدخان

البيان

ذهب بعض العلماء الى أن ليلة النصف من شعبان هى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، وهى التى جاءت فى سورة الدخان فى قوله تعالى **«حم والكتاب المبين . انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم »** وممن ذهب الى ذلك عكرمة ، واحتج بما جاء فى بعض الأحاديث من أن الآجال تنسخ فى ليلة النصف من شعبان ، حتى ان الرجل ليتزوج وقد رفع اسمه فيمن يموت .

والصحيح أن الليلة المذكورة هى ليلة القدر ، لقوله تعالى **انا انزلناه فى ليلة القدر »** وليلة القدر فى رمضان ، لقوله تعالى **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ،** فتبين من ذلك أن كل أمر حكيم لا يفرق فى ليلة النصف من شعبان ، بل فى الليلة المباركة التى أنزل فيها القرآن ، وهى ليلة القدر من شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وهذا هو الذى ارتضاه جمهور العلماء وعلى رأسهم **ابن عباس ،** اخرج محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قال فى تفسير آية الدخان (يكتب فى ليلة القدر ما يكون فى

السنة من رزق أو موت أو حياة ، أو مطر ، حتى يكتب الحاج : حج فلان ويحج فلان) .

ومن ذهب الى ذلك الحسن ، أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن ربيعة بن كلثوم قال : كنت عند الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد : ليلة القدر فى رمضان هى ؟ قال : أي والله انها لفى كل رمضان ، وانها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق الى مثلها ، وروى هذا التعميم عن غير واحد من السلف ، فهؤلاء جميعا قالوا ان كل مقدورات العام تنقل من أم الكتاب الى الملائكة ليلة القدر ، ليقوموا بتنفيذها فى مواطنها ، كل فى دائرة اختصاصه .

الصيام فى شعبان

شعبان شهر كريم ، وهو مقدمة لشهر أكرم ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفرض فيه الصيام ، ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يخصه من بين الشهور بكثرة صيامه فيه ، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر الا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما منه فى شعبان » .

وفيهما عن عائشة أيضا قالت « لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا أكثر من شعبان ، فانه كان يصوم شعبان كله ، وكان يقول : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا » .

احياء ليلة النصف من شعبان

جرت عادة كثير من المسلمين أن يحيوا ليلة النصف من شعبان ، وأن يدعوا الله تعالى ، لما روى عن احيائها من أحاديث تدل على فضلها ، وتبعث على احيائها .

وهذه الأحاديث وان لم تصل الى درجة الصحة فى أفرادها ، فان بعضها يقوى بعضا ، كما هو شأن الأحاديث الضعيفة السند اذا

اجتمعت ، ولهذا تجعل العمل بها مشروعا غير بدعى ، وقد نقل عن كبار التابعين احياء ليلة النصف عملا بتلك الأحاديث ، على ما سنوضحه ، وفيما يلى بعض هذه الأحاديث :

روى الطبرانى وابن حبان عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن »** وبهذا المعنى رواه أحمد فى مسنده .

وروى البيهقى فى كتاب السنن وغيره بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل يطلع الى عباده فى كل ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمؤمنين ، ويملى للكافرين ، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه » .

وروى البيهقى عن العلاء أن عائشة رضى الله عنها قالت « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك ، فرجعت فسمعته يقول فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال « يا عائشة — أو يا حميراء — أظننت أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قد خاس بك » ؟ — أى غدر بك — قلت لا يا رسول الله ، ولكنى ظننت أنك قد قبضت لطول سجودك ، فقال : « أتدرين أى ليلة هذه » ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : « هذه ليلة النصف من شعبان ، ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

وروى محمد بن عيسى بن حبان المدائنى بسنده أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه دخل على عائشة رضى الله تعالى عنها ، فقالت عائشة : يا أبا سعيد ، حدثنى بشىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدثك بما رأيته يصنع

قال أبو سعيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى صلاة الصبح قال « اللهم املأ سمعى نورا وبصرى نورا ، وبين يدى نورا ، ومن خلفى نورا ، وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ، ومن فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، وأعظم لى النور برحمتك » قالت عائشة رضى الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى ، فخرجت أتبعه ، فوجدته بالبقيع بقيع الغرقد ، يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت : بأبى وأمى ، أنت فى حاجة ربك عزوجل ، وأنا فى حاجة الدنيا ، ثم قصصت عليه ماحدثت به نفسها ، فقال صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ، أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ — قال — أتانى جبريل فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ولله عز وجل فيها عتقاء من النار » ثم قال « لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ، ولا الى قاطع رحم ، ولا الى مسبل ، ولا الى عاق لوالديه ، ولا الى مدمن خمر » ثم وضع ثوبيه وقال « يا عائشة ، أتأذنين لى فى قيام هذه الليلة ؟ قلت : نعم بأبى وأمى فقام فسجد طويلا حتى ظننت أنه قد قبض ، فقمت ألتمسه ، ووضعت يدى على باطن قدميه فتحرك ، ففرحت وسمعته يقول فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ،وأعوذ بك منك، جل وجهك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما أصبح ذكر تهن له ، فقال : تعلميهن وعلميهن ، وأمرنى أن أرددهن فى السجود » .

وفى رواية للدارقطنى عن عائشة قالت (كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى ، فلما كان فى جوف الليل فقدته ، وأخذنى مايأخذ النساء من الغيرة ، فتلفقت بمرطى أما والله ماكان مرطى خزا ولاقزا ، ولا حريرا ولا ديباجا ، ولا قطنا ولا كتانا ، قيل ومم كان ؟ قالت : شعرا ولحمته من أوبار الابل،

فطلبته فى احدى حجرات نسائه فلم أجده ، فانصرفت الى حجرتى ، فاذا به كالثوب الساقط على وجه الارض ساجدا ، وهو يقول فى سجوده : « يا عظيم يرجى لكل عظيم ، اغفر الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، ثم رفع رأسه فعاد ساجداً ثم قال : أعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقابك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » ثم قالت « ثم رفع رأسه فقال « اللهم ارزقنى قلبا نقيا ، لا كافرا ولا شقيا » الى آخر ما قاله صلى الله عليه وسلم .

وجاء فى مشروعية صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته ، مارواه عبد الرازق وابن ماجه من قوله صلى الله عليه وسلم « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله عزوجل ، ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه حتى يطلع الفجر » والمراد من نزوله تعالى الى سماء الدنيا نزول ملك بأمره جل وعلا اليها ، فيبلغ عنه سبحانه أنه يدعو عباده أن يستغفروه فيها ليغفر لهم ، ويسترزقوه ليرزقهم ، فان النزول والطلوع من صفات الحوادث ، ومثل ذلك المجاز مستعمل لغة ، كقولهم هزم الأمير أعداءه — مع أنه فى قصره — يريدون أن قائده هزمهم بأمره وتأييده .

احياء التابعين ليلة النصف

كان التابعون من أهل الشام ، كخالد بن معدان ومكحول ، يجتهدون فى العبادة ليلة النصف من شعبان ، وعنهم أخذ الناس تعظيمها ، وقد أنكر ذلك أكثر علماء الحجاز ، ومنهم عطاء بن أبى مليكة ، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء المدينة ، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم ، وقالوا ان ذلك بدعة وقد علمت أن أهل الشام يستندون الى مجموع تلك الأحاديث التى يقوى بعضها بعضا ، وبذلك تخرج عن البدعة الى السنة .

واختلف علماء الشام فى صفة احيائها على رأيين (أحدهما) أنه يستحب جماعة فى المسجد ، وكان خالد بن معدان ، ونعمان بن عامر يلبسان أحسن ثيابهما ويتبخران ، ويقومان فى المسجد ليلتهما تلك ، ووافقهما علىذلك اسحق بنراهويه (وثانيهما) أن احياءها بالصلاة وان لم يكن بدعة ، لكنه يكره الاجتماع لذلك فى المساجد ، لعدم وروده فى تلك الأحاديث ، بل يصلى الرجل لخاصة نفسه ، وهذا قول الأوزاعى امام أهل الشام وفقيههم .

وتحيى ليلة النصف بالصلاة بغير تعيين عدد ، وبقراءة القرآن وذكر الله تعالى والدعاء والتسبيح ، والثناء والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقراءة أحاديثه وسماعها ، وتفسير كتاب الله وسماعه ، وشرح الأحاديث وسماعه ويحصل احياؤها بمعظم الليل ، وقيل بساعة ، وقيل بصلاة العشاء فى جماعة ، والعزم على صلاة الصبح فى جماعة كما قال بعض العلماء فى احياء ليلتى العيدين وليلة القدر .

رأى الدين فى دعاء نصف شعبان

جرت عادة بعض المسلمين ليلة النصف من شعبان ، أن يؤدوا صلاة المغرب فى جماعة ، وبعد الفراغ منها يقرءون دعاء معينا فى شكل جماعى ، ويقولون انه دعاء نصف شعبان ، ومنهم من يقرأ بعد صلاة المغرب سورة يس ثلاث مرات ، يصلى بعد كل مرة ركعتين يليهما هذا الدعاء ، وتكون الصلاة الأولى بنية طول العمر ، والثانية بنية رفع البلاء ، والثالثة بنية الاستغناء عن الناس ويظنون كل ذلك مأثورا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والواقع مغاير لذلك ، والدعاء الذى يقرءونه فيه أخطاء شرعية ، كطلب الداعى من الله أن يمحو من أم الكتاب شقاوته وحرمانه وطرده وتقتير رزقه ، اذ أنه لا يمحى شىء مكتوب فى أم الكتاب ، فأم الكتاب هى علم الله تعالى أو اللوح المحفوظ ، وكلاهما لامحو فيما ثبت فيه ، لأنه أزلى لا يغير ، وأحوال العقائد الطاعات والمعاصى والتوبة مكتوبة فيه بتفصيلها وزمنها ، فكل مايحصل

من تغير فى أحوال العبد الى صلاح أو الى فساد فهو ثابت ، لأنه تعالى لايبتدىء العلم حسب تغير المعلوم، فكل المعلومات بتغيراتها واختلافاتها ومواقيتها وأسبابها وغاياتها ، فهى ثابتة تفصيلا فى علم الله وفى اللوح المحفوظ ، ولا حاجة فيها الى محو ولا الى أثبات .

فليدع الانسان ربه بما يشاء مما ليس فيه اثم ، ولايقيد دعاءه برفع ضده من أم الكتاب ، فان صادف دعاؤه ما جاء فى علم الله من شفائه بعد مرض ، أو يسر بعد عسر ، أو ذرية بعد عقم ، أو غنى بعد فقر ، أو فرج بعد ضيق ، أو غير ذلك ، كان دعاؤه من قدر الله صادف قدر الله ، وان لم يكن فى علمه تعالى تحقيق دعائه فلابد أن يثاب عليه فى الآخرة ، أو يبدل فى الدنيا من دعائه خيرا غيره ، أو دفع شر عنه ، كما ورد فى السنة المطهرة .

ومن شاء دعاء مأثورا ففى السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير ، ونورد بعضه فيما يلى — وهو غير مقيد بليلة النصف من شعبان .

(الدعاء عند النوم) .

روى البخارىعن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل اللهم أسلمت نفسى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رهبة ورغبة اليك ، لاملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت — فان مت مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ماتقول » .

(الدعاء عند الانتباه من النوم).

أخرج البخارى بسنده عن ابن عباس قال : (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والارض ومن فيهن — ولك الحمد — أنت قيم السموات والارض ومن فيهن — ولك الحمد — أنت الحق ووعدك حق . وقولك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة والنار حق والساعة حق ، والنبيون حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت ،

وعليك توكلت ، وبك آمنت ، واليك أنبت وبك خاصمت ، واليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقـدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت » •

(دعاء الصباح والمساء) •

أخرج البخارى بســـنده عن شداد بن أوس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا الـــه الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما اســتطعت ، أبوء لك بنعمتك ، وأبوء لك بذنبى ، فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب الا أنت ، أعوذ بك من شر ماصنعت ــ اذا قال حين يمسى فمات دخل الجنة ــ أو كـان من أهل الجنة ــ واذا قال حـين يصبح فمات من يومـه مثله » أى دخل الجنة •

(استعاذة من الهم والدين)

أخرج البخارى بسنده عن أنس ابن مالك من حديث رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول « اللهـم انى أعوذ بك من الهـم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضـــلع الدين وغلبة الرجال » •

(اســـتعاذة من البخل والجبن والفتن) •

أخرج البخارى بســـنده عن مصعب قال « كان سعد يأمر بخمس ويذكرهن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بهن « اللهم انى أعوذبك من البخل ، وأعوذبك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذبك من فتنة الدنيـا ــ يعنى فتنة الدجال ــ وأعوذبك من عذاب القبر » •

دعـاء شـامل :

أخرج البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : «اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعـذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذبك من فتنـــة المسيح الدجال ، اللهم اغسل عنـى خطـايای بماء الثلج والبرد ، ونق قلبى من الخطايا ، كما نقيت الثوب

الابيض من الدنس ، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » .

صلاة التسابيح ليلة النصف

ينبغى للمسلم أن يصلى فى ليلة النصف من شعبان صلاة التسابيح التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم لعمه العباس وغيره من أقاربه مبالغة فى طاعة الله واللجوء اليه .

وصفتها كما رواها أبو داود بسنده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس عمه : « ياعماه ، ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل لك ؟ عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلنه عشر خصال أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة ، فاذا فرغت من القراءة فى كل ركعة وأنت قائم ، فقل سبحان الله والحمد الله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، وتهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات ، ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » قال الحافظ صلاح الدين : حديث صلاة التسابيح صحيح أو حسن ولابد ، وقال الامام البلقينى : حديث صلاة التسابيح صحيح ، وله طرق يعضد بعضها بعضا ، فهى سنة ينبغى العمل بها ، وبعد فعليك أيها المسلم باحياء هذه الليلة بتلك الصلاة أو بما شئت من طاعة سواها ، والله تعالى ولى التوفيق والقبول .

مصطفى محمد الحديدى الطير

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رءوف شلبي

ثالثا : قـواعد الانفاق :

لم يترك الاسلام قوى النفس البشرية رهوا تستهلك ماتنتجـه أو تسرف فى النفقة الواجبة شرعا ٠

بل جعل الله موازين للانفاق ٠

(أ) موازين للانفاق فى صورته الحـلال ٠

(ب) موازين للصدقة عـلى الفقراء ٠

أولا : موازين الانفاق ٠

ان تناول الحياة فى نظر المسلم تناول للطاعة ومجالات العبادة فى الاسلام هى مجالات رقابة مباشرة بين العبد وربه فالعبد يعرض قلبه وخاطره على ربه خمس مـرات فى اليوم والليلة ، انه يشهد الله على نقاء سريرته ، وسلامة عرضـه وصدق سلوكه وامتثاله ٠

فتناول الحياة يأخذ هذا الحيز النقى من تفكير المسلم يقول النبى « صلى الله عليه وسلم » : المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء (١) ٠

فالشراهة ، والنهـم والتنافس على الحياة بصورة مفجوعة طائشة ليست اخلاقا اسلامية بل الأخلاق الاسلامية أن يقنع بما يكفيه والا يبذر الفائض فى وجه غير شرعى ٠

ولقد حرص الاسلام منذ فجره

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسـلم والترمذى وابن ماجه من طـريق ابن عمر ٠

الصادق بمكة المكرمة أن يدرب المسلمين على قانون الانفاق الذى يحقق التوازن بين قوة الانتاج وقوة الشراء بحيث لاتضطر الجماعة الاسلامية الى الخروج على مبدأ الاكتفاء الذاتى ، وبحيث لايحدث فى المجتمع غلاء أو ندرة تؤدى الى رفع الاسعار أو احتكار السلع .

ولهذا يقول الله تعالى :

(أ) وآتذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا

٢٧ ــ الاسراء

ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك . ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا، ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا .

٢٩ ــ ٣٠ الاسراء

بل ان هذا القانون الذى تقرره سورة الاسراء كمبدأ لسلوك الجماعة الاسلامية اقتصاديا قد جعلته سورة الفرقان خلقا ووصفا للمؤمنين يقول الله تعالى : « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما،والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما،والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما** » .

« **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولميقتروا وكان بين ذلك قواما** ».

٦٣ ــ ٦٧ الفرقان

وهذا ميزان يجعله النبى صلى الله عليه وسلم شرطا لتصرف الزوجة فى مال زوجها ..

ففى الحديث :

اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجر بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب **وللخازن مثل ذلك لاينقص بعضهم أجربعض شيئا « مسلم » ويوم أن يتحقق** ميزان الانفاق من الغنى والفقير على السواء :

لاتبذير بالانفاق فى الكماليات والمهرجانات ولا اسراف فى النفقة **على البيت والأهل والأقارب .**

انه فى هذا اليوم تعرف الأمـــة طريق الرخاء اذ لايجد المتلصصون لهم بابا يلجون منه وذلك لايكـــون الا بالقدوة منصاحب الشأن وولى الأمـــر ٠

ثانيا : موازين الصدقة :

قلنا ان وظيفة المال فى الاسلام وظيفة اجتماعية وليس القصد منه بالدرجة الأولى السعى وراءالربح الكثير، وليس فى التصور الاسلامى أن يكون تكديس الأموال وادخارها هو الغاية التى يسعى اليها العمل فى نظر الفكر الاسلامى بل العكس هو الصحيح ، فالمال خدمة للجماعة فقد وضع الله فى أموال الأغنياء حقوقا للفقراء يقول الله تعالى :

« وفى أموالهم حق للســـائل والمحروم » ٠

١٩ ــ الذاريات

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ٠

٢٤ ــ ٢٥ المعارج

وجعل الاسلام البذل والعطـــاء من صـــــفات المؤمنين الأبـــرار الصادقين ٠

« ان الأبرار يشربون من كـــأس كان مزاجها كافورا،عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنـــذر ويخـــافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه اللــــه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » ٠

٥ ــ ٩ الانسان

وعلى العكس تكون صفة البخل والاحتكار للمجاحدين المكـــذبين ، يقول الله تعالى : **« كل نفس بمـــا كسبت رهينة ، الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمـــين ماسلككم فى سقر قالوا : لم نك من المصـــــلين ، ولم نك نطعـــــم المسكين » ٠**

٣٤ ــ ٤٤ المـــدثر

وسورة صغيرة فى القرآن الكريم تهز أفكار الاقتصـــاديين فى شتى المذاهب حيث يجعل الاسلام المال لخير الجماعة والفرد على الســـواء فى الدنيا وفى الآخرة يقـــــول الله تعـــالى .

« أرأيت الذى يكذب بالـــــدين فذلك الذى يدع اليتيم ، ولايحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين ،

الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون » .

وقد توعد الله الذين يجمعون المال ويكنزونه ولا ينفقونه فى سبيل الخير والرخاء يقول الله تعالى فى شأن القساوسة والأحبار الذين كانوا يكنزون المال ولا ينفقونه فى وجوه البر :

« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون »

٣٤ ـ ٣٥ ـ التوبة

ولقد جعل الاسلام جمع المال وعده وكنزه دون انفاقه فى وجوه الطاعة والبر من صفات الكافرين يقول الله تعالى :

«ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده ، كلا لينبذن فى الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، انها عليهم مؤصدة فى عمد ممدة »

فالانفاق فى سبيل البر والخير والصالح العام على الافراد أو المؤسسات الاجتماعية أمر يدعو اليه الاسلام كمبدأ فى النظام الاقتصادى الاسلامى .

ولذلك جعل له موازين وهى :

(أ) عدم الاسراف وهو قدر عام فى كل نظريات الانفاق عند الاسلام .

(ب) ألا يكون من الأردأ جودة يقول الله تعالى :

ولا تيمموا الخبيث منهتنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه وأعلموا أن الله غنى حميد .

٢٦٧ ـ البقرة

ويقول جل جلاله :

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم .

٩٢ ـ آل عمران

(جـ) اخفاء الصدقة اذا كانت

لشخص معين أو اخفاؤها مطلقـــا خشية التهمة بالرياء •

يقول الله تعالى :

« أن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكـــم والله بما تعملون خبير » •

٢٧١ ــ البقرة

والنبى صلى الله عليه وســـلم يقول فى شأن السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها فلم تعلم شمـــاله ما أنفقت يمينه •

(د) أن يكون مؤمنا باللـــــه الواحد الأحد وأن يكون مصـــدقا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم•

يقول الله تعالى :

« قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين • ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون » •

٥٣ ــ ٥٤ ــ التوبة

واذا كان القرآن الكريم يرفض العمل الصالح من الفاسقين الكفرة لأنهم لم يؤمنوا بالله ولابرسوله•

فانه فى سورة الفرقان يصـــور حالتهم يوم القيامة بصورة بشعة فى الخسران واحباط الأعمـــال ، يقول تعالى :

« يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجــرا محجورا ، وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » •

٢٢/٢٣ ــ الفرقان

ويفصل القرآن هذه الصدقة فى سورة آل عمران يقول الله تعالى:

« ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهـــم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون •

مثل ما ينفقون فى هذه الحيـــاة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » •

١١٦ ــ ١١٧ آل عمران

ويقول الله تعالى :

«والذين كفروا أعمالهم كسراب

بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » .

٣٩ البقرة

ولقد نجح الاسلام فى اقتصاده التطبيقى حيث كان الاخاء بين المهاجرين والأنصار اخاء منبثقا من هذه القوانين التى تكفل العيش الرضى للانسان فلم تحدث فى المجتمع الاسلامى الأول حاجة ندرة رغم أنه مجتمع أرض صحراوية موسمية الأمطار النادرة الوقوع ومع هذا فلم يؤثر الوضع فى نشر الدعوة والتغلب على كل المعاندين حتى حولت الجزيرة العربية كلها الى دولة اسلامية فى أقل من ربع قرن .

ان صحة النظريات الاقتصادية تقاس بنجاحها فى تحقيق الأغراض للدولة وقد أدت للدولة الاسلامية فى فجرها الأول كل أغراضها التى بعثت من أجلها :

(أ) فطهرت الجزيرة العربية من الشرك واستعدت لحمل مشعل الرسالة الى افريقيا ثم الى أوروبا فى أقل من قرن .

(ب) وأوجدت مجتمعا متحابا ليس فيه صراعات ولا تنافس مع وجود الثراء والفقر لكن للفقراء حقهم فى مال الأغنياء .

(جـ) وأقامت العدالة الاجتماعية دون ثورة أو شعار أو بروبا جاندا .

وتلك علامة من علامات الاعجاز الاسلامى أن تصح نظريته فى عمر قصير مع التكامل فى بقية الأهداف العليا للدولة ، ولما تستطيع الرأسمالية ان تقدم النجاح لمجتمعها الذى تجتاحه نفسية التلصص وشبح البطالة ، وعربدة التنافس المادى الذى يقلق الأمن ويرفع الأمان عن النفوس .

ولن تستطيع الاشتراكية حصول شىء من هذا المستوى الرفيع للعدالة الاجتماعية لفسادها كمذهب ولفساد عناصرها وعدم تلائمها مع مطالب الحياة ، وطبائع البشر .

ذلك لأن نظام الرقابة على الانفاق يحتاج الى شعور بالاحترام الرقيب وذلك لا يتأتى فى الأنظمة البوليسية ومأموريات الضرائب وانما يتأتى بنظام العقيدة التى تسوى بين الحاكم والمحكوم فى الوقوف أمام الرقيب الأعلى وهو

الله صاحب الملكوت والســـلطان والتدبير وســـبيل ذلك التربية فى معاهد التعليم ، والقدوة الحسنة فى ادارات المصـــــالح والحكومة وطبقات العمل التجارى العام .

رابعا العدالة الاجتماعية :

من سمات النظرية الاقتصادية الاسلامية أن العدالة الاجتماعية ركن من أركان الاقتصـــاد وعنصر هام ورئيسى من عناصره .

وليست العدالة الاجتماعية فكرة متروكة للاجتهاد بل هى مبدأ دينى منطلق من التكافل الاجتماعى الذى جعله الله تبارك وتعالى مســئولية المجتمع الاســـلامى نحو افراده ، فبين أبناء المجتمع الاســــــلامى علاقتان أساسيتان عليهما تقـــوم دعامة العدالة الاجتماعية .

العلاقة الأولى : الاخـــاء وهو ليس لفظا مجردا بقدر ما هـــــو حقيقة تاريخية فى التطبيق للنظـــام الاجتماعى الاســـلامى فليس فقط مدلول الاخاء يقف عندقولهتعالى: **« انما المؤمنون اخوة »** .

١٠ ــ الحجرات

ولا عند قول النبى صـــلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

البخارى

وانما الاخاء الاسلامى حـــركة اجتماعية قامت فى اللحظة الأولى لبناء المجتمع الاسلامى بعد الهجرة تصنع من المهاجرين والأنصار أمة تلتزم بالتكاليف الشرعيـــــة التى تحقق مبدأ كرامة الانســــــان ، وربانية المجتمع كله .

ولقد سجل القرآن الكريم عملية الاخاء هذه فى قوله تعـــــالى : **« والذين تبوءوا الدار والايمانمن قبلهم يحبون من هـــاجر اليهـــم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولـــو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »** .

٩ ــ الحشر

العلاقة الثانية : تحمل المجتمـــع مسئولية الولاية بين أفراده ، فبين أفراد المجتمع الاسلامى مسئولية الولاية فى تنفيذ أهداف المجتمـــع الاسلامى ، وحماية خصائصه يقول الله تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم » .

٧١ التوبة

وقد صور النبى صلى الله عليه وسلم مسئولية التضامن الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى بقوله صلى الله عليه وسلم :

« ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

البخارى

فالحياة فى التصور الاسلامى قائمة على التراحم والتواد ، والتعاون ففى الحديث الشريف **« الراحمون يرحمهم الرحمن » .**

وهى خاصية عامة للدين **الاسلامى :«وما أرسلناك الارحمة للعالمين » .**

الانبياء

غير أن مفهوم العدالة الاجتماعية له جانبان :

* جانب اقتصادى هو رعاية المحاويج .

* وجانب أخلاقى هو احترام القيم وحماية كرامة الانسان .

* والجانب الاقتصادى فى رعاية المحاويج يصور توظيف المال لخدمة الانسان فشرع عدة **قوانين مالية للمحافظةعلى** الضعاف والمحاويج فى المجتمع .

فالزكاة والصدقة ، والنذور ، والكفارات والهبة ، والوقف ، والرقبى ، والعمرى ، والفىء والأنفال والركاز ، والميراث ، والعدل بين الأولاد ، وتحرير الرقيق واحياء الموات ، والأضحية والهدى .

وهذا الجانب لا يقوم على المن والأذى ، بل ولا يشعر أصحاب هذهالحقوق أنهم مدينون للأغنياء ذلك لأن الله تبارك وتعلى جعل لهم حقوقا .

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

٢٤ ــ ٢٥ المعارج

وهذا الحق المعلوم قائم على

ثبوت حق الفقراء فى مال الأغنياء يقول الله تعالى :

« وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

١٩ الذاريات

ولهذا فقد حذر الله أن يصاحب تسليم هذا الحق من أو أذى من الأغنياء يقول الله تعالى :

«الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

٢٦٢ ـ البقرة

وجعل الاسلام القول المعروف والعفو أفضل من صدقة تصاحب لفظا نابيا أو تأنيبا .. الخ .

يقول الله تعالى :

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر الآية » .

٢٦٣ ـ ٢٦٤ البقرة

ولذلك يكون من الخطأ علميا أن يتصور أن مفهوم العدالة الاجتمعية فى الاسلام رديف أو شبيهة بما يماثلها فى التسمية فى الأنظمة الأخرى .

لأنها فى الاسلام منطلقة من العقيدة والايمان وقائمة على ركيزة الاخاء والولاية داخل المجتمع الاسلامى .

ومن جانب آخر فمصادر تحقيق العدالة الاجتماعية وفيرة وفرة تكفى شمولها لكل أفراد المحاويج .

ومن جانب ثالث : فانها تحفظ على الفرد مروءته ، وكرامته وقيمته الانسانية .

* وأما الجانب الأخلاقى فى العدالة الاجتماعية فيبرز صحة قواعد العدالة حيث تكون قيمة الانسان وكرامته متساوية بين سائر أبناء المجتمع الاسلامى مهما اختلفت أشكال الوظائف .

* وقصة عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين يعنى تحته هذه الاقطار الاسلامية فى أفريقيا وآسيا تقول له امرأة وهو على المنبر يوم الجمعة والناس كلهم شهود : أخطأت يا عمر أيعطينا الله وتمنعنا أنت ؟ لقد قال الله تعالى:

« وآتيتم احداهن قنطارا فـــلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونهبهتانا واثما مبينا » .

وكان عمر يعظ الناس ألا يتغالوا فى المهور فقال لها : أصابت امرأة وأخطأ عمر . ان للمحافظة عـلى القيمة الانسانية حظا وافـرا فى النظرية الاســـلامية وهى تقيم العدالة الاجتماعية حتى ولو كان ذلك المخاطب هو رئيس الدولة، ولم يجد المجتمع الاسلامى من يخـذل المرأة لأنها عارضت رئيس الدولة ، لأنهم جميعا يتحملون مســئولية الولاية يأمرون بالمعروف كائنا من كان وينهون عن المنكر كائنا من كان.

* ومن العدالة الاجتماعية أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى عام المجاعة كان شاحب الوجه وفى ثوبه ثلاث رقاع فأشفق عليه المسلمون وطالبوه أن يأكل الســمن ليقوى ويلبس ثوبا يليق بالامارة ــ وكان يستطيع أن يفعل ــ فقال : لا أشبع حتى يشبع الناس .

* ومن العدالة الاجتماعيــة مراقبة التوازن بين أفراد المجتمع فى الحصول على القوت ولقد رؤى عمر بن الخطاب فى الأسواق ومعه الدرة يضرب بها من أخذ أكثر من حظه فى اللحوم .

* وعبادة بن الصامت تهـدى اليه هدية ومعه فى الدار اثنا عشر نفرا من أهله ولكنه يرى أن آل فلان أحق بها مـع أنه معيل وله أسرة كبيرة .. قال الوليد بن عبادة بن الصامت فأخذتها فكنت كلما جئت أهل بيت يقـولون اذهب بها الى آل فلان فهم أحوج منا اليها وظـل هكذا .. حتى رجعت الهـدية الى عبادة قبل الصبح .. وكان امتثالا للمبدأ الاسلامى :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

* ومن العدالة الاجتمـاعية التساوى فى الوقفة أمام القضـاء فيحتفظ التاريخ الاسلامى بهـذه الخاصية للدين الحنيف فقد وقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه كتفا الى جوار كتف يهودى خاصمه فى شىء ، ولم يكن مع أمير المؤمنين على بينـة فقضى

القاضى بها لليهودى ضـــد رئيس الدولة فلم يضق صدره لأنه يعلم أن القاضى ينفذ تعاليم الاسلام وأن الحاكم لا يعلو فوق الحق ولا فوق القضاء مع أنه يعلم أنه صـــاحب الحق ، ولكن عجز اثبات ملكيته أمام موارية اليهودى الذى استطاع ــ ظلما ــ أن يقيم الدليل على ملكيته للشىء المتنازع عليه وأدرك اليهود عظمة الاسلام فـــرد الى أمير المؤمنين حقه وخرج اليهودى مـــن ربقة اعتقاده وصار واحـــدا من جماعة المسلمين .

* والعدالة الاجتماعيـــة بين الأفراد كانت خلقا محمودا فقـــد روى عن أبى ذر الغفارى قال : انى سابيت رجلا فشـــكانى الى النبى عليه الصلاة والسلام فقال النبى عليه الصلاة والسلام: أعيرته بأمه وفى رواية : انك امرؤ فيك جاهلية فذهب ابو ذر الى الرجل الذى سبه ووضع خده عـــلى الارض وقال : طأ رأسى لعل الله يغفر لى ويصفح عنى .

* ولعله من أوضح البراهين على صدق الاسلام فى تحقيـــق الرعاية الاجتماعية فى جانبهـــا القيمى والأخلاقى قصة جبلة بن الايهم ، فقد وطىء فزارى ازاره وهو يطوف بالكعبة فلطمه جبلـــة لطمة هشمت أنفه فاشتكى الفزارى الى عمر بن الخطاب ، فقـــال عمر لجبلة اما أن تدفع الديه ، واما ان تأذن له بلطمك لطمة مثلها ، فقال جبلة متعجبا : كيف ذلك ، وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال عمر : ان الاسلام قد سوى بينكما .

* وتذهب العدالة الاجتماعيـــة كمبدأ فى المجتمع الاســـلامى الى ماذهب من رعاية بنى آدم ــ فتذهب الى رعاية الحيوانات فقد دخلت امرأة النار فى هرة حبســـتها حتى ماتت لا هى أطعمتهـــا ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض .

وقد غفر الله لرجل لأنه سقى كلبا كان ظامئا ، لقد سقاه فى خفه لأنه لم يجد وسيلة أخرى لرفـــع الماء الى فم الكلب من البئر غـــير خفه .

بل ان عقيدة الاسلام فى شمولها لمجالات الرحمة تجعل ممارســـة

الحلال فى هذا الاطار يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

ولقد كانت العقيدة الاسلامية وهى تربط الانسان بهذا الكون فى تصور الربانية المهيمنة على الكون أسمى فى تشريعها للعدالة الاجتماعية — الاقتصادية — من كل تشريع بشرى جعل منها بابا للذل وسوطا للتعذيب ، وبريقا للسيطرة على الحكم .

ولقد فشل الاقتصاد البشرى بكل نظرياته فى تحقيق شىء من العدالة الاجتماعية لبنى البشر .

فها هى الرأسمالية تطغى على قيمة الانسان فتحيله الى طاقة تخدم اغراضها المالية لجمع المال وكنزه وتجعل العرض والطلب قانونا للابتزاز والنهب والسلب .

وها هى الاشتراكية توزع الفقر على الشعب وتجمع الثروة كلها فى يد الحزب ورجال المخابرات « وشلل » المنافقين .

وماعيب أمتنا العربية والاسلامية الا أنها تأخذ بأحد الايدولوجيتين الفاسدتين وتترك اسلامها الحنيف !!

خامسا : التداول

(أ) التداول بالمقايضة .

(ب) التداول بالنقد .

خامسا : التداول : —

معروف أن الانتاج ثم التوزيع يقترنان بالوجود الاجتماعى للانسان : فمتى وجد انسان فمن الضرورى أن يمارس نمطا ما من أنماط الانتاج ليواصل حياته ويحافظ على معيشته وعندما ينتج المجتمع لابد وأن يوزع ما ينتجه على جميع أفراده .

ولما كانت الحاجة ضرورة اجتماعية وكانت متنوعة وكان الانسان غير قادر على اشباع نفسه بجميع متطلباته فقد مارس نوعا من التبادل لسد حاجاته المتعددة .

ولقد كانت الأسرة القديمة تتغلب على صعوبة المبادلة والتداول عن طريق توزيع الاعمال التى تغطى كل حاجاتها على جميع أفراد الأسرة

ثم تطور الامر حسب تطور حجم المجتمع وانتقل من التداول عن طريق المقايضة العينية الى التداول بالنقد، وصار فى الميزان الاقتصادى للتداول نوعان من التداول :

الاول : التداول على أساس المقايضة .

الثانى : التداول على أساس النقد .

وللاسلام الحنيف رأى واضح فى هذين الأسلوبين من التداول :

(أ) فيما يتعلق بالمقايضة فان عصرها يتسم بالهدوء والرخاء وتحديد الغاية الاقتصادية بالخدمة الاجتماعية وقد حافظ الاسلام على أسلوب المقايضة من الغش والربا أو الزيادة غير المشروعة فجعل المقايضة مشروطة بشرطين : —

الشرط الاول : أن يكون مثلا بمثل عندما يتحد النوع مثل البر بالبر والشعير بالشعير ، والزبيب بالزبيب ، والحنطة بالحنطة .

الشرط الاول : أن يتحد زمن المقايضة فيكون يدا بيد يقول النبى صلى الله عليه وسلم .

البر بالبر ربا الا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء .

« رواه البخارى »

وروى البخارى : أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة وهى أن يبيع التمر بالتمر كيلا ، ويبيع الزبيب بالكرم كيلا وروى البخارى كذلك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا تبيعوا الذهب بالذهب الا سواء بسواء ، والفضة بالفضة الا سواء بسواء وبيعوا الذهب بالفضة والفضة بالذهب كيف شئتم**

(ب) وأما فيما يتعلق بالنقد فقد كان فى فقه الاقتصاد الغربى معمل تفريخ لمشكلتين هما السعى وراء الاكثار من النقد مما أدى الى نهم فى جمع المال بغية اكتنازه .... وثانى المشكلتين : تنمية المال عن طريق الفائدة فى البنوك مما أدى الى تزايد فى سعر الفائدة ترغيبا فى ادخال الأموال فى البنوك وذلك مولد لشعور خبيث عند التجار والصناع والمستثمرين وهو أنهم لا يقدمون على مشروع تنمية استثمارية الا

بعد تردد ودراسة للطمأنينة على مصادر الربح ... والربح الكثير .

أما الاسلام فقد حافظ على أن يكون التداول النقدى فى وضعه الطبيعى وليس سبيلا الى جمع المال واكتنازه وليس أسلوب تنمية الربا أو الغش أو الاحتيال فشرع مجموعة مبادىء مالية للحفاظ على سلامة النقد كأسلوب للتداول الصحيح .

فحرم الاسلام الربا بشتى أنواع : النسيئة والفضل وحرم الاسلام الغش بصوره المتعددة .

ولذلك حرم أن يبيع حاضر لباد ، وحرم تلقى الركبان ونهى عن التصريه وهى حبس اللبن فى الضرع اذا أرادوا بيع الماشية ... وحرم الاسلام التحايل وأكل أموال الناس بالباطل .

* ونهى عن المنابذة : وهى بيع الثوب دون معرفة مافيه من عيوب .

* ونهى عن الملامسة : وهى جعل لمس السلعة شرطا فى انتقاء خيار العيب .

* ونهى عن البخس : وهو التحايل على زيادة الثمن عن طريق مزايد لا رغبة له فى الشراء .

* وأعطى لرئيس الدولة المسلم عن طريق الرقابة الشعبية والمحتسب المسلم حق مراقبة تداول النقد فى الأسواق بين المسلمين وذلك ليحافظوا على التوازن الاجتماعى لكى لا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط .

* كما حث على تيسير التداول فى الأمور الضرورية للمعيشة والأمور الأساسية للحرية فحض القرآن الكريم على :

— تحرير الرقبة .

— وألا يمنع المحتاجون الماعون ..

وهكذا يتميز الاسلام بنظريته الاقتصادية عن النظام الرأسمالى والاشتراكى بهذه الأسس الانسانية الراقية .

ويخطىء كل من يصف الاسلام بأنه اشتراكى ، كما يخطىء كل من

يصف الاســـلام بأنه رأســـمالى فشتان ما بين وحى يوحى وفكـــر يتخبط •

انه دين الله الشـــامل الوافى الكافى لسعادة الانســـان فى دنياه وفى آخرته فمن شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فذلك هو الاســـلام الحنيف ••

(ان هذا القرآن يهـــدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذيـــن يعملون الصـــالحات أن لهـــم اجرا كبيرا) •

« الاسراء »

دكتور رءوف شلبى

« توجيهـــات صـــوفية »

« من اعتل قلبه اعتلت جوارحه ، ومن اعتلت جوارحـــه كان فى ضلال مبين ، ومن ســـلم قلبه سلمت جـــوارحه ، ومن سلمت جوارحه هدى الى صراط مستقيم قال صلوات الله وسلامه عليه ــ « ان فى الجسد مضغة اذا صـــلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله « ألا وهى القـــلب » •

« اطلب العلم من التقوى ، والعزة من الايمان والرفعة من التواضع »

« من سكن الى شىء اطمأن به ، ومن اطمأن بغير اللـــه فقد ضل سواء السبيل » •

محمد عيد الشافعى

في مواجهة الإلحاد المعاصر :

الإلحاد المادى .. والآخرة

للدكتور يحيى هاشم

تشترك اتجاهات الالحاد العلمى على اختلافها فى الاعتقاد بالحياة المؤجلة (الآخرة) التى يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة .

وهى السمة الرابعة من سمات الدين التى أشرنا اليها فى المقدمة .

ليست نظرة الالحاد العلمى الى **المستقبل مجرد نوع من التوقع لما يأتى فى الغد ، وانما عقيدة لازمة من أجل تبرير ما يستمسك به من نظرة الى الماضى ، أو الى الحاضر ويدون هذه النظرة المستقبلية الاعتقادية ، ينهار البناء الكلى للاتجاه الالحادى .**

يقول وليم جيمس :

(ان ثورة العلم ضد الكرامات وخوارق العادات .

وثورة بعض الفلاسفة ضد حرية الارادة .

لم تنبت كلها الا من أصل واحد :

وهو كراهية الاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فيما عرفناه عن المستقبل)(١) .

فهؤلاء يستنيمون الى غيبوبة لذيذة الى عقيدة غيبية عن المستقبل تزعجهم عنها الكرامات ... أو تزعجهم عنها حرية الارادة ...

١ — ففى مجال العلم البحت — مثلا — لابد من هذه النظرة عند سماسرة الالحاد لتصح دعواه فى كفاية العلم التجريبى لتفسير

(١) الدين والعقل ص ٥٠

الوجود ، وتفسير المستقبل ، وازاحة الميتافيزيقا والدين عن هذا الطريق .

يرى كارل بيرسن أنه (من الخطأ الاعتقاد بأن جهل العلم حاليا يعنى أنه سيظل الى الأبد جاهلا فى المستقبل . فليس لنا أن نقطع بأن هناك ميادين ستظل مستعصية على العلم الى الأبد ،وبأن هناك أنواعا أخرى من المعارف غير العلمية هى التى تهدينا فى هذه الميادين ذلك لأن قدرات العلم لا حدود لها ..) (١) .

ومع ذلك فان بيرسن يقر بعجز العلم عن ادراك العالم الخارجى وهذا هو التناقض بعينه .

ان العالم الخارجى فى نظره فكرة مزعومة لأن أقصى ما نقترب به من ذلك العالم المسمى بالخارجى هو أطراف أعصابنا الحسية وموقف العالم فى هذا يشبه موقف عامل التليفون الذى لا يتصل بالمتحدثين الا من خلال الطرف المجاور له من أسلاك التليفون .

بل اننا فى موقف أسوأ من موقف صاحبنا هذا اذ أننا لم نخرج من مركز التليفون ولم نشاهد أبدا واحدا من أولئك المتحدثين الذين تصلنا أصواتهم من خلال الأسلاك فالعالم الخارجى بالنسبة الينا كما هو بالنسبة الى هذا العامل هو مجموع الرسائل أو المكالمات التى تنقلها الأسلاك أو الأعصاب ... الينا حيث نكون ، اننا لا نعرف شيئا على الاطلاق عن طبيعة « الأشياء فى ذاتها » .

ان ما يسميه الميتافيزيقيون بالأشياء فى ذاتها .. لا نعرف نحن عنه الا صفة واحدة هى « القدرة على تكوين انطباعات حسية وبعث رسائل تمر بأعصاب الحس حتى المخ ، فهذا هو القول العلمى الذى يمكن الادلاء به بشأن ما يوجد وراء الانطباعات الحسية .

وهنا يبدو كارل بيرسن فى قمة اليأس من معرفة العالم الخارجى ومن معرفة الشىء فى ذاته بالرغم من اعترافه بوجوده .

---

(١) تراث الانسانية ص ٩١٩ ، العدد ١٢ المجلد ٣ .

يقول (وعالم الانطباعات الحسية هذا مغلق علينا تماما ولا أمل لنا فى أن نبعد عنه خطوة واحدة) .

فأين هذا من ايمانه بقدرات العلم الذى لا حدود له ؟

وفيم كان اذن طرد جميع وسائل المعرفة الأخرى وانكارها ؟؟

٢ — ويقول برتراندرسل بناء على مبدأ عدم التحديد .

(ان اكتشافات العلم الحديث تبين لنا أن الذرة غير خاضعة لقوانين الطبيعة القديمة ، فهل يعنى هذا أن الذرة غير خاضعة للقوانين على الاطلاق)(١) .

وبدلا من أن يفترض رسل أن الذرة تدخل تحت قوانين غير قوانين الطبيعة التى عجز العلم عن كشفها فيفتتح الباب للميتافيزيقا والدين ، يفترض عن طريق الايمان الغيبى (أيضا) .

(ان نظرية الذرة الفردية الحرة تقع تحت رحمة علم الطبيعة التجريبى الذى ربما استطاع فى أى لحظة أن يكتشف القوانين التى تنظم سلوك الذرات الفردية)(٢) .

ويقول رسل (اننا لا نجد مبررا كى نظن أن سلوك الذرات غير خاضع لقانون ..... ان الطرق التجريبية لم تستطع الا فى أزمنة جد قريبة أن تلقى أى ضوء على سلوك الذرات الفردية ، فلا عجب فى أن قوانين هذا السلوك لم تكتشف كلها ، ومن المستحيل الآن نظريا وعمليا عدم خضوع مجموعة من الظواهر لقوانين ، وانما نستطيع أن نقول ان هذه القوانين موجودة ولكنها لم تكتشف بعد ، وقد يعترض أحدهم قائلا :

وأين مهارة علماء الذرة حتى ليعجزوا عن اكتشاف مثل هذه القوانين وبالتالى يستنتج عدم وجودها ؟

بيد أنى لا أحبذ مثل هذه الاستنتاجات السريعة ، بخاصة

---

(١) تراث الانسانية ص ٩٢١ العدد ١٢ المجلد ٣ .
(٢) مجموعة عالمنا المجنون لنظمى لوقا ص ٥٦ .

اذا كان الأمر يتعلق بالكــون ونظرياته) •

ويقول فى مجال الارادة الانسانية:

(ان كشف القوانين العلمية ــ فى مجال أعمال الانسان ــ أمر يمكن تماما كما هو ممكن فى أى ميــدان آخر ، حقا يعترف العلماء بعــدم قدرتهم على التنبؤ بأعمال الانسان تنبؤا كاملا أو يقرب من الكمال ، ولكننا نرجع ذلك الى تعقد الكيان الانسانى وتضافر عوامل متعــددة لاحداث السلوك •

الأمر اذن لا يعنى أن نفترض عدم وجود قوانين على الاطلاق ، لأن مثل هــذا الافتراض لن يثبت أبدا أمام الفحص الدقيق••)(١)•

ونحن نقول له :

وهل ثبت أمام الفحص الدقيق أن العلم سيكشف حتما عن القوانين التى تحكم أعمال الانسان وارادته؟

ان جزم رسل بأن العلم ســوف يصل فى المستقبل ان هوالا اعتقاد ارادى مبنى على ايمان مطلق بقدرة العلم •

يقــول هانز ريشنباخ ــ وهــو ملحد أيضا (ليس هناك ســبب يدعونا الى افتراض أن الجزيئات تخضع لقوانين صارمة •) (٢) •

ان رســل ليس لديــه ســبب للاعتقاد بأن العلم سوف يتمكن فى المستقبل من الوصــول الى معرفة ما يجهله اليوم سوى قوله :

(ان النظريات العلمية قد فسرت قدرا منها يكفى لترجيح الاعتقــاد بأن هذه النظريات ستفسرها كلهــا مع الزمن ••) (٣) •

ان رسل باعتقاده هنا أن العلم سيكشف فى المســتقبل عن قوانين الذرة التى اكتشــفنا جهلنــا بهــا اليوم ، يناقض نفسه اذ يقول فى موضع آخر :

(الآن وجب علينــا أن نعترف بالجهــل التــام المطلق الــذى لا

---

(١) مجموعة نظمى لوقا عالمنا المجنون لبرتراند رسل ص ٥٧ ، ٥٨ •
(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٤٧ •
(٣) مجموعة عالمنا المجنون ص ٧٧ •

استئصال له أبد الدهـــر تفعله الذرة فى لحظاتها الساكنة (١) •

وهنا نضرب مثالا على ماينطوى عليه مثل هذا الاعتقاد من مجازفة وفساد •

ذلك أنه ذاع فى القرن الثـامن عشر مذهب فى الانقــلاب الجنينى يسمى « مذهب التكوين » وينحصر هــذا المذهب فى القــول بــأن كل جرثومة حية تحوز حتما كل الأعضاء والصفات التى تمتاز بها الصــورة فى حال بلوغها ، وغاية ما فى الأمر ان المجهر المستعمل آنذاك ليس فى مســتطاعه أن يكتشــف عن تـلك الأعضاء الكائنة فى البيضــة الأولى لصغر حجمها وضعف قوة الكشف فى المجهر •

واذن فالأمر مجرد قصــور فى أجهزة الكشف والقياس ، ســوف يزول حتما بتقدم العلم والتوصــل الى أجهزة أدق •

يقول الاستاذ استلى مونتاجيو (فى تلك الأيام التى كانت فيهـا المجاهر بدائية الى حد كبــير كان خيال العلماء يعوض ما لا تستطيع العدسة القيام به •

وهكذا كان ينظر الى الحيــوان المنوى على أنه رجل صــغير كامل بالفعل ، وجميع أجزائه متكونة من قبل ، ولا ينتظر الا الفرصة التى تسنح له للتكشف والتفتح •

وفى عام ١٧٥٩ وضع عالم ألمانى يدعى « كاســبار فلف » نظــرية مضادة تعرف باسم « نظرية الخلق أو التكون الجرثومى » تتلخص فى أن تقضى أو تطور الجنين يحــدث بطريقة تلقائية تماما ، وخطأ هــذه النظرية ينحصر فى الاعتقاد بــأن الجرثومة تخلو تماما من أى تكون عضــوى ••• هــاتان النظريتان تنتميان الآن الى التراث التاريخى للعلم وليس هناك اليوم عالم يؤمن بأيهما ••) (٢) •

ونحن نقصد بهــذا أن تغطيــة

---

(١) العقل والمادة مجموعة مقالات وابحاث لبرتراند رسل ، جمعهـا وترجمها أحمد ابراهيم الشريف ص ٢٠١ •

(٢) الوراثة البشرية ص ٩٤ ــ ٩٦ •

الحاضر المعيب بالثقة فى مستقبل تتوافر فيه الأدلة والبراهين • كثيرا ما انتهى الى خيبة ظن وانفضاح فساد •

ولا يستعمل الملحدون العاميون سلاح الترقب للمستقبل هذا فى جبر عثرات العلم عندما يبدو ضعيفا فى مواجهة الدين فحسب • وانما هم يستعملونه فى الحالة العكسية أيضا •

أى يستعملونه فى اتهام « العلم الحاضر » عندما يبدو وكأنه قد توصل الى نتيجة مؤيدة للدين •

كما هو الحال فى القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى يدل على حدوث العالم ودلالة ذلك كله على الصانع •

فهنا نجدهم يشككون فى هذا القانون العلمى على أساس الاعتقاد الغيبى فى أن « مستقبل » العلم سوف يتراجع عن تأييده للدين •

انظر ما يقوله رسل عن **هذا** القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى أشرنا اليه يقول : (**ان** الاستدلال به ليس يقينيا • **فقد** لا يسرى القانون الثانى **للديناميكا** الحرارية على كل زمان ومكان ، **أو** قد نكون مخطئين بأن الكون **متناه** فى المكان ••) هكذا •• يبدو **لنا** شيئا فشيئا أن الحاد هؤلاء **محض** « ارادة » •

٤ ــ يقول الدكتور ليكونت دى نوى :

(لسنا من أولئك الماديين العريقين الذين يتمسكون بآرائهم واعتقاداتهم رغم كونها سلبية **بدون** آى برهان :

فيعتقدون أن بداية الحياة ، والتطور ، والعقل البشرى ، وولادة الأفكار الخلقية سوف تصبح تحت سيطرة العلم فى يوم ما وينسون أن ذلك يتطلب تغييرا فى علومنا الحديثة ، وبالتالى :

فانه اعتقاد يرتكز على تعديلات عاطفية) (١) •

ان هذه الموضوعات التى أشار

---

(١) مصير البشرية ص ١١٠ •

اليهـا ليـكونت دى نـوى هى الموضوعات التى اختص بها الدين ـ أو الميتافيزيقا ـ وسماسرة الالحاد عندما يزيحون الدين عن هذه الموضوعات يضطرون ـ فى مواجهة الحاح العقل البشرى ـ الى ادخالها فى نطاق المستقبل المجهول « آخرة العلم » لا لشىء الا لتستكمل الدائرة ، دائرة الحصار حول الدين .

٢ ـ وفى ديانة المذهب الوضعى « ديانة الانسانية » :

يستطيع الناس أن ينعموا فى الانسانية .. بالخلود الذى يتطلعون اليه .

ذلك أن الانسانية تضم اليها كل ما يطابق جوهرها وتحتفظ به وتتحد معه وكل ما يجعلها أعظم وأجمل وأقوى . وتتألف الانسانية من الأموات .. أكثر مما تتألف من الأحياء . هؤلاء الأموات يعيشون .. فى ذكرى الأجيال الحاضرة .. وهى ذكرى متحركة فعالة مؤثرة : فالأموات يؤثرون فى الأحياء بما يبعثونه فيهم من غيرة نبيلة تدفعهم الى أن يكونوا جديرين بالانضواء تحت لواء أجدادهم العظماء (١) .

أما الخلود الموضوعى الذى تقول به الأديان الأخرى فترفضه ديانة الوضعية اذ ما قيمة الاستمرار المادى فى المكان الى جانب الحياة المتصلة فى الزمان وفى الضمائر هذه الحياة التى تحقق وحدها أعز رغبة لقلب الانسان ألا وهى اتحاد النفوس فى الأزل (٢) .. هكذا !!

٣ ـ وفى الديانة الماركسية نجد الحلم الذى تنصبه للانسانية فى قيام مستقبل تتحقق فيه الشيوعية ، وتختفى الصراعات الطبقية ، وتزول الدولة ، وتتوافر الاحتياجات كلها ، لكل الأفراد .

والشيوعية اذ تمنى الشعوب الرازحة تحت سلطانها بمستقبل « آخرة » غير منظور فانها تفعل ذلك لتبرير ما تقوم به من سحق

---

(١) هذه ليست حياة للأموات ولكنها فى الحقيقة ارتكاس الى عبادة الأسلاف فى الديانات الوثنية .

(٢) العلم والدين لاميل بوترو ص ٥١ .

الأجيال الحاضرة ، وتخديرها عن عذاباتها الراهنة « الدنيوية » وهذا هو ما تسجله الوقائع التاريخية فى البلاد التى نكبت بهذا النظام .

ومن هنا فانه لينبغى القول بحق ان هذه الآخرة الشيوعية هى « أفيون الشعوب » .

ان للالحاد نظامه المثلوب للمستقبل ، وتوقعاته العرجاء التى يرسمها له ، وهو يدعو اليه بمنطق الايمان ، لا بمنطق النقد العلمى الذى استعمله فى هدم الأنظمة الأخرى ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان ثورته ضد الخوارق والمعجزات ليست ـ الا كراهية للاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فى المستقبل الذى يروج له فى سوق العلم . كما أشار الى ذلك وليم جيمس .

واذا كان من الصحيح ما يقوله وليم جيمس من أنه (لابد لكل مذهب فلسفى أو عقيدة دينية من تحديد اجمالى للمستقبل ..) ..

واذا كان من الصحيح ما يقوله أيضا من أنه لابد لكى ينجح هذا التصور المستقبلى من أن :

(يتناسب مع قوانا وميولنا الذاتية) (١) .

فاننا نقول انه لابد لهذا التصور من أن يتصف قبل ذلك وبعد ذلك ..

أولا : بالصدق

ثانيا : بالقداسة

ثالثا : باليقين

رابعا : بالخلود

ولا شك أن هذه الأنظمة الالحادية لا تتصف واحدة منها بشىء من هذه القيم .

بل هى على العكس من ذلك .

تعلن انكارها لها

أو تجاهلها اياها

أو استخفافها بها

وهذا سر من أسرار فشل المذاهب المادية ، وعجز أوثانها عن أن تحوز قبول الانسان وان لم يمنعها هذا الفشل من انشاب أظافرها فى كيانه .

---

(١) العقل والدين ص ٥٠ ـ ٥١ .

واذا أردنا فى هـــذا المقام أن نوضح نظرة الاســـلام ، الى الآخرة •

فلابد أولا من أن نأخـــذ فى الاعتبار أن بحث هذا الموضـــوع يتوقف على نظرة مقارنة بين موقف الاسلام عن الدنيا ، وموقفـــه من الآخـــرة •

وأذن فان الأســئلة هنا تطرح نفسها على النحو التالى :

١ ـــ هل يعطى الاسلام للحياة الدنيا قيمة مطلقة بصرف النظر عن الآخـــرة ؟

٢ ـــ أم يعطيها قيمـــة بحسب وضعها من الآخرة ؟

٣ ـــ وما هى هذه القيمة وكيف تتحقق ؟

وفى مقام الجواب على الســؤال الأول يأتى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل اللـــــه اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل »

(سورة التوبة ـــ ٣٨)

وهذا النص القرآنى الكريم ينكر على الانسان تمسكه بحياته الدنيا اذا طلب اليه بذلها فى سبيل الله ، ويوضح بشكل قاطع أن هذه الحياة لا قيمة لها فى ذاتها ومن ثم لا يصح الرضا بها اذا قطعت عن الآخرة ، والتضـــــحية بها فى سبيل الله ، تضحية فى الشكل ، لكنها من حيث الجوهـــر « كســـب » حقيقى للانسان •

« ان الله اشـــترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »

ويتأكد هـــذا المعنى بآيات كثيرة أخرى • منها قوله تعالى :

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخـــرة لهى الحيوان » •

(سورة العنكبوت ـــ ٦٤)

كما يتأكد بقوله صلى الله عليه وسلم :

« والله ما الدنيـــا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » •

حديث صحيح (انظر مصابيح السنة للبغوى)

روى عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أنه قال : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » (١) .

وروى عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أنه قال : « الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه . والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه » .

وعندما يتأكد هذا المعنى يسوق لنا القرآن الكريم صفة أساسيةمن صفات الدنيا تبين تفاهتها فى ذاتها — أى عندما ينظر اليها مقطوعة عن الآخرة — ذلك أنها تتصف بسرعة الزوال » .

يقول تعالى :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس . كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

(سورة يونس — ٢٤)

فهذه الآيات تلفتنا الى حقائق تبين أن الحياة الدنيا سريعة الزوال مهما ازينت فى الطبيعة ، ومهما قدر عليها الانسان فى التاريخ .

ومن هنا يصبح هذا العارض السريع الزوال بغير قيمة حقيقية ، ما لم يوصل بشىء له قيمة .

ويتقرر من ثم أن الدنيا — اذا قطعت عن الآخرة — تبدو شيئا لا قيمة له .

ولا يقف الأمر هنا عند حد فقدان القيمة ، ولكنها — أىالدنيا تصبح كارثة ووبالا على المسكين بها .

يقول تعالى :

« زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »

(البقرة — ٢١٢)

هكذا يصبح امساك الكافر

(١) بستان العارفين ص ٧٩ .

بالدنيا – وهى زائلة سببا فى خسرانه للآخرة وهى باقية .

ولا شك أن ذلك خسران بأى مقياس يحسب به حساب الكسب والخسارة ، بل هو الخسران التام الذى لا يقتصر على الضياع الأخروى .

بل ينسحب الى الضياع الدنيوى كذلك ..

انظر الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

« من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له »

(رواه الترمذى)

ولنطبق ذلك على الانسان المعاصر الذى ربطته الحضارة بمثل وأهداف قاصرة على الدنيا .

ان الدنيا هى هدف انسان الحضارة المعاصرة ، وهى همه الذى لا هم له سواه ، يسعى لكى يحصل منها على أكثر ما يستطيع من متعة ورفاهية ..

وكما يقول أحد مؤرخى النهضة الأوربية عن الروح الجديدة التى سيطرت عليها .

(تقوم هذه الروح الجديدة فى أعماقها على اهتمام متزايد بالحياة الانسانية كما يمكن أن نعيشها على هذه الأرض ، ضمن حدود الزمان والمكان ، ودون ارتباط بالعالم الثانى ، أو الأخروى) (١) .

وانسان هذه الحضارة هو النموذج العالمى الذى يغزو اليوم جميع أرجاء العالم ويسيطر على الذهن البشرى فى الأقطار المتقدمة والمتخلفة على السواء .

وانسان هذه الحضارة اذا فشل فيما يريد من دنياه رسخ فى وجدانه أن كل شىء قد ضاع من يده ، ولجأ الى سخط دائم ، وراودته فكرة الانتحار .

وهو من ثم فى حالة فشل دائم .

انه كما يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى عبارة موجزة دقيقة بالغة الروعة « فقره بين

---

(١) تكوين العقل الحديث لجون هرمان راندال ترجمة جورج طعمه حـ ١ ص ١٨٤ .

عينيه » • انه لا يحس بالغنى ، أو الرضـــا ، انه واقع فى الفقر ، الفقر ماثل بين عينيه فى كل حال ، لا يترك خيـاله لحظــة ، يجـده فيما جمع لأنه لم يرض به ، ويجده فيما لم يجمع لأنه لم يحصل عليه •

انه فى حالة فقر مستمر ، ينغص عليه حياته ، ويدفعه الى مزيد من جمع مظاهر هذه الحيـاة •• دون جـــدوى •

فهو لم يحقق ما طلبه من هذه الحياة الدنيا التى جعلها همه وشـــغله الشـاغل •

فقد فشل اذن فى الحصـــول عليهـا •

بل فشـــل ـ أيضـــا ـ فى « الحصول على نفسه » •

وذلك ما يعبر عنه قوله صلى الله عليه وســـلم « •• وفرق عليه شمله •• » ان طالب الدنيـــا ـ مقطـوعة عن الآخرة ـ يفقـد كيـــانه الــذاتى من الناحيتين الاجتماعية والفردية ••

الأولى : انه يقع فى صراع مع الآخرين : مع أهله وقومه ، واخوانه فى الانســـانية ذلك لأنه لا يرضى بما فى يده فيمدهـــا الى ما فى يد الآخرين ، وكلما وصل الى شىء لم يجد فيه ما يريد ، فينطلق مسعورا الى غيره ، •• الى ما فى يد غيره ، وهنا يقـــع الصراع وهو صراع لا نهاية له ، ولا ضابط يضبطه من قيم ، لأن القيمة الســـائدة هى الحصـــول على المتعة ، والآخرون أصبحوا مثله ، يريدون ما يريد ، وهنا يتفرق الشمل الذى أراد الله له أن يجتمع ، الشمل الذى تفقـــد الانسانية ذاتها اذا تفرق ••

ومن الناحيـــــة الفردية يقع الانسان الطالب للدنيا المقطوعة عن الآخرة ـ فى صراع مع نفســه •

ذلك لأنه يحـاول أن يرضى فى نفسه شهوة الدنيا ، على حســـاب ما أودعه الله فى هـــذه النفس من قوى أخـــرى تريد الآخرة ، فهو لا يرضى هذه النزعة ، ولا يرضى تلك ، •• ويقـــع من ثم فى صراع مع نفسه ، أو تقع قوى نفســـه فى صراع بعضـــها مع بعض ، وهنا يتفرق عليه شمله : شمل نفســه ،

ويقع فريســـــة للقلق والتمزق ، والانفصام ، ورفض الحياة ..

فى بحث عن الانتحـــــار تقول الكاتبة مارجوريت كلارك :

(تزداد نسبة الانتحار فى أوقات الرخاء عن ايام الكساد

وتحدث نحو ٣٠ ــ ٤٠ فى المائة من مجموع حوادث الانتحار عندما يكون الرجل ناجحا اقتصاديا .

ويقول الدكتـــور توماس مالون رئيس عيادة الأمراض العقليـــة بأطلنطا بولاية جورجيا مفسرا ذلك « عندما يصـــل الرجل الى ذروة النجاح فكثيرا ما لا يجد شيئا باقيا ليجمعه » ..) (1) .

وهكذا ..

يتبين لنا أن الدنيا فى نظـــــر الاســـلام لا قيمة لها اذا أخذت مقطوعة الصلة بالآخرة .

وهى بهذا ليست غير ذات قيمة فحسب ، بل هى كارثة ووبال على الانســـان .

والسؤال الآن هو :

هل تصبح للدنيا قيمة اذا وصلت بالآخرة ؟

والجــواب :

ان القول بأن الدنيا لا قيمة لها على الاطلاق ، يعنى أنها وجـدت عبثا وهـــــذا ما لا تجيزه النظرة الاسلامية . اذ يقول تعالى :

« وما خلقنا الســـماء والأرض ومابينهما لاعبين »

(الانبياء ــ ١٦)

ولا شك أن المهمة التى أوجد الله الانسان من أجلها فى هذه الحيـــاة الدنيا تبين لنا بوضوح أهمية هذه الحياة .

وهذه المهمة هى الخـــلافة فى الأرض .

يقول تعـــالى : « واذ قال ربك للملائكـــة انى جاعـــل فى الأرض خليفة »

(البقرة ــ ٣٠)

ويقول **« وعد الله الذين آمنوا منـــكم وعمـــلوا الصــــالحات ليستخلفنهم فى الأرض .. »**

(النـــور ــ ٥٥)

(1) كتاب الطب الحديث لمارجوريت كلارك ترجمة الدكتور محمد نظيف نشر فرانكلين ودار الفكر العربى عام ١٩٦٣ صفحة ١٦٠ .

وتتأكد قيمة هذه الحياة الدنيا في الاسلام عندما نتبين وظيفتها بالنسبة للحياة الأخرى •

لأنها الطريق الى الآخرة ولا طريق سواه ، واذا كان الطريق يستمد قيمته مما يؤدى اليه ، وكانت الآخرة هى الهدف الأسمى ، والقيمة العظمى **« وان الدار الآخرة لهى الحيوان » سورة العنكبوت ٦٤،** فان الدنيا تصبح ذات قيمة كبرى فى الاسلام بهذا الاعتبار •

يقول تعالى :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »

(الأنعام — ١٦٥)

ويقول أيضا **« انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »**

(الكهف — ٧)

ومن هنا تنفتح أبواب الدنيا أمام المؤمنين :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »

(الاعراف — ٣٢)

ويقول تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون »**

(المائدة — ٨٧ — ٨٨)

وهى لا تنفتح أمامهم فحسب ، بل ان تعميرها يصبح مسئولية أساسية من مسئوليات المسلم • وتتبع هذه المسئولية من واقع ربطها بالآخرة ، اذ يكون جزاؤه فى الآخرة على حسب ما قدم من عمل صالح فى هذه الدنيا •

يقول تعالى **« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة (أى فى هذا الدنيا) — ولنجزينهم أجرهم — (أى فى الآخرة) بأحسن ما كانوا يعملون »**

(النحل — ٩٧)

ويقول تعالى **« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات**

ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »

(النــور ــ ٥٥)

ومن هنـــا لا تكون الزهادة فى الدنيا باسقاطها من الاعتبار وانما فى اعطائها قيمة عليا باعتبارها طريقا الى الآخرة •

يقول صلى الله عليه وسلم « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا ألا تكون بما فى يديك أوثق بما فى يدى الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك » •

(انظر مصابيح السنة للبغوى)

ويحكى عن الشيخ الشاذلى قوله لأصحابه :

كلوا من أطيب الطعام •

واشربوا من ألذ الشراب •

وناموا على أوطأ الفراش •

والبسوا ألين الثياب •

فان أحدكم اذا فعل ذلك وقال الحمد لله يستجيب كل عضو فيه للشكر بخلاف ما اذا أكل الخبز الشعير بالملح ••

ولبس العباءة •

ونام على الأرض ••

وشرب المالح الساخن •

وقال الحمد لله : فانه يقول ذلك وعنده اشمئزاز وبعض السخط على مقدور الله عز وجل (١) •

ويقول الشيخ الشعرانى عن أخلاق صوفية الاسلام :

(من أخلاقهم كثرة زهدهم فى المطاعم والملابس والمناكح والمراكب والمساكن ونحو ذلك مع ملابستهم لها فيأكلون ويلبسون وينكحون ويركبون الخيل المسومة ــ ويسكنون القاعات المزحمة ، وهم مع ذلك زاهدون فيما خولهم الله فيه من النعم فليس الزهد بخلو اليد كما يفهمه بعضهم وانما الزهد بالقلب فافهم • اذ لو كان

---

(١) انظر الاخلاق المتبولية حـ ١ ص ١٧١ •

المراد بالزهد خلو اليد من الدنيا لنهى الشارع عن التجارة وعمـل الحرف ولم يكن يأمر أحدا بهـا ولا قائل بذلك (١) .

ومن هنا نجد اهتمام الاسلام بتنظيم الحيـاة الاقتصـادية للمسلمين .. فهـــو يضع أسس احترام الملكية ، ويهتم بأن تقوم الحيةة الاقتصادية عـلى أسس أخلاقية ، ويدعو الى اتقان العمل ويشجع على ممارسة الحـرف ، والتجارة ، وينهى عـن الغش ويحرم الربا ، ويوجب التكافـل ، وينهى عن الاسراف ، .. الى غير ذلك من الخطوط الاقتصـادية العامة التى لامجال لتفصـيلها فى هذا المقام . وانما ألمحنا اليها هنا لنبين أن العقيدة الاسلامية تربط فى اطارها بين الحياتين الدنيـا والآخرة ، وتجعـل منهما كيانا عضويا واحدا بل اننا نجد أن قيمة الحياة الدنيا فى الاسلام تصل الى أعلى درجاتها وذلك عندما نجـد القيم الأخروية ذاتها من أهـم العوامل للحصول على الدنيا .

وهذا مايعبر الحديث النبـوى عنه أروع تعبير فى قوله صلى الله عليه وسلم « من كانت الآخـرة همه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة» رواه الترمذى .

ومن هنا يتقرر :

أن الاسلام اذ يوجه الانسان الى العمل من أجل الآخـرة ، لا يصرف نظره عن الدنيا ، ولكنه فى نفس الوقت يحفزه للحصـول عليها ، الحصـول عليها تابعـة لامتبوعة ، تخضع للانسان ، ولا يخضع لها الانسان .

بذلك يتحقق للانسان المسـلم الفوز الذى يريده : انه يفـوز بالدنيا والآخرة معا .

وهو بذلك يختلف عن انسـان الحضارة المعاصرة ويحصل عـلى مالم يحصل عليه هذا فى الحياتين على السواء . انه يتحقـق له مـن الغنى مالم يتحقق لانسان هـذه الحضارة . ويتحقق له من صـحة

---

(١) أنظر الاخلاق المتبولية حـ ١ ص ٣٥٧ .

النفس ، والتئام الشخصية ، مالم يتحقق لطالب الدنيا المبثوثة عن الآخرة .

انه كما يقول الرسول الكريم « جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة » .

يقول بعض الصوفية « الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له » .

واذا كان ماتقدم يجيب على سؤال عن :

قيمة الدنيا اذا وصلت بالآخرة؟

فانه فى نفس الوقت يجيب على سؤال عن :

كيف نحصل على هذه القيمة ؟

انه يكون بوضع الآخرة هدفا أعلى ..

هنا تأتى الدنيا الى الانسان (.. وهى راغمة) ، وتأتى اليه رائقة من خلال مصفاة القيم العليا التى يفرضها الارتباط بالآخرة .

ولايقف الأمر عند ذلك فىتقييم دور الحياة الدنيا بالنسبة للانسان .. فى الاسلام بل أنها تقوم بدورها أثناء حياة الانسان فى الآخرة خلود فى الجنة أو فى النار .

ذلك أن الانسان — ولنأخذ مثلا من يتمتع بالثواب فى الجنة .. يظل يتذكر ماحدث له فى الدنيا من حرمان .

وفى ضوء هذا التذكر يحس بمتعة الجنة .

ان الانسان له طبيعته الخاصة فى ادراك الأشياء ..

ان ادراكه يدور فى فلك النقائض ، أى أنه يدرك الشىء بادراك نقيضه وكما يقولون « وبضدها تتميز الأشياء » فمالم يدرك الانسان الحرمان لا يدرك النوال .

ولعل هذا هو السر فى أمر الله لآدم بألا يأكل من الشجرة لقد كان ذلك فى مصلحة آدم .

كان هذا هو طريق آدم لادراك متع الجنة .

لكن آدم لم يصبر على هذا الأمر .

لم يصبر على هذا الحرمان الضئيل .

فكان نزوله الى الدنيا تطبيقا لنفس المبدأ .

أى ليواجه صنوفا من الحرمان يعجز عن تجاوزها والتغلب عليها .

ذلك لكى يتأهل للجنة .

أى ليدرك نعيمها بعد ادراك حرمان الدنيا .

عن طريق المقابلة والتضاد .

ومن هنا نقول :

سيظل للدنيا دور فى الآخرة . هذا الدور هو أن يتذكر الانسان فيها ماحدث له فى الدنيا من مشقات وآلام وجهاد وحرمان .

بذلك يدرك النعيم ويلتذ به .

ولا سبيل له الى هذا النعيم الا عن هذا الطريق .

يقول وليم جيمس :

(ان عقولنا قد تعودت على أن ترى (غيرا) بجانب كل جزئية من جزئيات تجاربها واذا فكرت فى المطلق نفسه تراها تستمر فى عملياتها العادية وتتطلع الى ما وراء المطلق كأن هناك موضوعات أخرى للتدبر والتأمل) . (١)

يقول الامام ابن حزم :

(وان الله عز وجل لما خلق الدنيا دار محنة وبلوى خلقها أضدادا وأزواجا لتقع المحنة وتتم الدلالة ، فتمام الدلالة بذلك .. لأنه لا يعرف الشىء بحقيقته الا من قبل ضده . فبالظلمة تعرف النور ، وبالمكروه يعرف المحبوب ، وبالشر يعرف الخير وبالبرد يعرف الحر ، وبالتحت يعرف الفوق ، وبالظاهر يعرف الباطن .. كل واحد منها يعرف بصاحبه ، ويهتدى اليه بزوجه وضده .

ويهتدى بالأضداد كلها الى وحدانية الخالق لها .

وأما وقوع المحنة من جهة الأزواج فان الله تعالى جعل الدنيا امتزاجا وانفصالا روحين أيضا ضدين ليعرف هذا بهذا) (٢)

وروى عن أنس بن مالك رضى

---

(١) العقل والدين ص ٤٢ .

(٢) رسالة الرد على الكندى الفيلسوف ضمن كتاب الرد على ابن النغريلة ص ٢٢٥ .

الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(ان فى الجنة أسواقا لا شراء فيها ولا بيع يجتمعون فيها حلقا حلقا يتذاكرون .

كيف كانت الدنيا .

وكيف كانت عبادة الرب .

وكيف كان فيها فقراء أهل الدنيا وأغنياؤها .

وكيف كان الموت .

وكيف صرنا بعد طول البلى الى الجنة) (١) .

وتؤيد النصوص القرآنية والنبوية حقيقة التذكر هذه كقوله تعالى عن أهل الجنة : (انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) .

وقوله تعالى عن أهل الجنة كذلك (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم : انى كان لى قرين ...) أنظر سورة الصافات ، وما جاء فيها من الحديث عن أحوال الدنيا وماحدث لبعضهم فيها وعناية الله بكل منهم وانقاذه من تآمر الكفار من التردى فى هاوية الكفر ، وما عاناه كل فىسبيل ذلك .

وفى الحديث فيما رواه ابن القيم عن ابن أبى الدنيا بسنده عن رسول الله ص قال (اذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الأخوان بعضهم لبعض حتى يجتمعا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنا فى موضع كذا و كذا ..) (٢) .

ومن باب التذكر ما أعده الله للمؤمنين من نعيم فى الآخرة له شبه بنعيم الدنيا .. لكنه فى حقيقته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وهذا يفسر لنا لماذا كان فى الجنة النخيل والعنب والزيتون والرمان ..

ويرد على تخرصات الملحدين أو تأويلات الفلاسفة .

---

(١) انظر بستان العارفين للسمرقندى ص ٢٥ .

(٢) أنظر حادى الأرواح لابن القيم .

وأخيرا ، فاذا كانت هـذه هى قيمة الدنيا فى الاسـلام ، فـان السؤال يصبح هو ما قيمة الدنيا فى غير الاسلام ؟

والجواب على هذا السـؤال الأخير نجده فيما قدمنا ، من قوله صلى الله عليه وسلم « من كانت الدنيا همه جعل الله فقرة بـين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر » .

والنتيجة الأخيرة التى نصـل اليها من ذلك :

ان الاسلام ـــ فيما نعلم ـــ هو العقيدة الوحيدة التى تعطى للدنيا قيمة حقيقية (١) وتصف للانسـان طريق الحصول عليها وهو ربطهـا بالآخرة .

وهذا هو الطريق ، ولا طـريق سـواه :

« وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السـبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصـاكم به لعلم تتقون » .

الانعام ١٥٣

وصدق الله العظيم ..

د . يحيى هاشم حسن



(١) وقد كانت المسيحية جديرة بذلك لو أنها استمسكت بعمق ما جاء منسوبا الى السيد المسيح .
(اطلبو أولا ملكوت الله ...
وكل ماسواه سيعطى لكم بالتبعية) .
انجيل متى ٦/٣٣

تراث مفقود

مع كتابين مفقودين للفراء

دكتور أحمد علم الدين الجندى

ألف الفراء (ت ٢٠٧ هـ) كتبا كثيرة ، وأغلبها مفقـود (١) ، ومن هذه الكتب المفقودة :

أولا : كتاب (لغات القرآن) الفهرست لابن النديم ٥٩ . وقد أشار اليه أبو حيان فى تفسيره (البحر المحيط ١٩٣/٣) وورد ذكره فى حاشية الشيخ عبادة على شذور الذهب ١٤٨/١ .

وثانيا : (كتاب اللغات) وهو مفقود كسابقه ، وقد عزاه ابن النديم (الفهرست ١٠٦) والسيوطى فى بغيته (٤١١) ومزهره (٩٦/١) .

وقد ألف كثير من العلماء فى الفن الأول ، منهم هشام بن محمد بن السائب الكلبى ٢٠٤ هـ ، وأبو زيد الأنصارى ٢١٥ هـ وابن دريد ٣٢١ هـ والقطيعى ٥٥٤ هـ والبيهقى ٥٤٤ هـ وغيرهم . كما ألف فى الفن الثانى يونس بن حبيب البصرى ١٨٢ هـ وأبو عمرو الشيبانى ٢٠٦ هـ وأبو عبيدة

---

(١) انظر قائمة مؤلفات الفراء ، الموجود منها والمفقود فى كتاب (أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ١٦٩ ـــ وما بعدها ، للدكتور أحمد مكى الأنصارى . والمعجم العربى ، نشأته وتطوره : الجزء الأول . الدكتور حسين نصار) .

٢١٠ هـ وأبو زيد الأنصارى ٢١٥هـ والاصمعى ٢١٦ هـ وابن دريد وغيرهم.وجميعها مفقودة اذا استثنينا كتاب اللغات لابن عمرو الشيبانى ٢٠٦ هـ ، والمعروف بكتاب (الجيم) .

ولقد جمعت هذه الكتب المفقودة فى هذين الفنين حيث تعقبت كتب العربية على اختلاف نحلها جردا وبحثا حتى وضعت يدى على المادة التى أرجح أن هذه الكتب الضائعة قد اشتملت عليها لهؤلاء الأعلام . فرصدت الروايات والسماعات والنقول الخارجية المبثوثة فى كتب علوم القرآن والشعر والنحو والعربية والطبقات والأمثال ، والتى كان مصدرها هؤلاء العلماء الذين ألفوا هذه الكتب . وأعرض الآن هيكلا لكتابى الفراء فى (اللغات) و (لغات القرآن) .

وهما مفقودان . وقد وضعت على الجانب الأيسر رمز (غ) اشارة الى أن النص ــ على ما أرجح ــ من (كتاب اللغات) ، ورمز (ق) اشارة الى أن النص من كتاب (لغات القرآن) .

١ ــ المستوى الصوتى ويشمل (علم الأصوات العام وعلم الأصوات التنظيمى أو علم التشكيل الصوتى)

أولا : حركية الكلمة :

١ ــ فاء الكلمة :

الفراء :

١ ــ يقال فيه غلظة وغلاظة (١) ، ويقال رفقة ورفقة ، لغة قيس وتميم . اصلاح المنطق ١/١١٥ غ .

---

(١) وحكى أبو عبيدة وابن الأعرابى : غلظة : اصلاح المنطق ١/١١٧ وعزيت فى الاتحاف ٢٤٥ بالفتح لغة لأهل الحجاز . وفى البحر المحيط بالكسر لغة أسد وبالضم لغة تميم : البحر المحيط ٥/١١٥ .

٢ ــ وسمعت من بعض كلب :وجنة ووجنة ، لبعض الغرب بكسر الجيم وفتح الواو اصلاح المنطق ١/١١٧ غ •
وحكى الفراء عن الكسائى وجنة وأجنة ووجنة عن أهل اليمـامة • اصلاح المنطق ١/١١٦ •
٣ ــ هو يأكل الحينة ، والحينة لأهل الحجاز (١) غ •
٤ ــ قال الفراء فى قوله تعالى : « ونمارق مصفوفة » هى الوسـائد واحدها نمرقة •
قال : وسمعت بعض كلب يقولون : نمرقة بالكسر • لسان العرب ١٢/٢٣٩ ق •
٥ ــ الجهد ــ بضم الجيم لغة أهل الحجاز ، والوجد ، ولغـة غيرهم ، الجهد والوجد بالفتح • معانى القرآن للفراء ١/٤٤٧ (٢) •

٢ ــ عين الكلمـة :

١ ــ ويقال : مخ ير ورار • وزعم الفراء قال : لغة القنانى رير بفتح الراء • وأنشد : (والساق منى باردات الرير) اصـلاح المنطق ١/٨٩ (٣) غ •
٢ ــ قال صاحب العباب ، قال الفراء فى نوادره (٤) : الحلقة بكسر اللام لغة للحرث بن كعب فى الحلقة بالسكون • وأورد شاهدا • غ •
٣ ــ حكى الفراء عن بنى أسـد : هـل رأيت عينـا فى معنى (أحد) يروى بسكون الياء وفتحها • كنز الحفاظ ٢٧٣ غ •
٤ ــ قال الفراء : البخل (٥) مثقلة لأسد ، والبخل خفيفة لتميم ، والبخل لأهل الحجاز ، ويخففون أيضا فتصير لغتهم ولغة تميم واحدة ،

---

(١) أى وجبة فى اليوم . اصلاح المنطق ١/١١٧ والمخصص ٥/٢٤ .
(٢) بمناسبة قول الله (الا جهدهم) سورة براءة آية : ٧٩ .
(٣) الحركة البسيطة تحولت الى حركة مركبة فى لغة القنانى .
(٤) يظهر أن كتب اللغات والنوادر كانت تسير فى فلك واحد .
(٥) فى القرآن : « ويأمرون الناس بالبخل » : سورة النساء آية : ٣٧ .

وبعض بكر بن وائل يقولون : البخل • البحر ٣/٢٤٧ • ومختصر الشواذ لابن خالويه : ٢٦ ق •

٥ ـ أهل الحجاز يقولون : أعطها صدقتها بضم الدال ، وتميم تقول : أعطها صدقتها بسكون الدال : فى لغة تميم • معانى القرآن للفراء ٢/٥٩ ق •

٣ ـ المماثلة فى الحركات :

١ ـ حكم هاء التنبيه الفتح عند أكثر العرب ، ويجوز ضمها وهى لغة عربية حكاها الكسائى والفراء • قال الفراء : هى لغة بنى أسد ابراز المعانى ٢٠٠ • وقرأ بها ابن عامر فى (آية المؤمنون (١) ـ ياأيه‌الساحر ـ بضم الهاء•ارشاد المريد على ابراز المعانى ٢٠٠•ق

٢ ـ سيبويه (٢) والفراء :ناس من بكر بن وائل يكسرون الكاف من نحو : منكم • وأحلامكم • وهى لغة رديئة جدا ، حكاها سيبويه والفراء ، الهمع ١ /٥٩ غ •

٣ ـ ذكر الفراء فى (كتاب لغات القرآن) له : أن الصلب وهو الظهر على وزن قفل ـ هو لغة أهل الحجاز • ويقول فيه تميم وأسد : الصلب : بفتح الصاد واللام قال : وأنشدنى بعضهم :

(وصلب (٣) مثل العنان المؤدم)

---

(١) وفى البحر المحيط ٦/٤٥٠ ، ١/٩٣ عزاها لغة لبنى مالك رهط شقيق ابن سلمة . وبنو مالك من بنى أسد .

(٢) اشترك الفراء مع سيبويه فى حكاية اللهجة عن العرب .

(٣) والبيت فى اللسان (صلب) للعجاج يصف امرأة وهو :

ربا العظام فخمة المخدم .. فى صلب مثل العنان المؤدم .... ويقال للظهر : صلب ، وصلب ، وصالب . اللسان مادة : (صلب) .

ولعل نص الفراء الذى ذكر أنه فى كتابه (لغات القرآن) كان بمناسبة قوله تعالى « من أصلابكم » سورة النساء آية ٢٣ ، أو قوله « من بين الصلب » سورة الطارق آية : ٧ .

قال : وانشدنى بعض بنى أسد :

(اذا أقوم اشتكى صلبى) البحر المحيط ٣/١٩٣ .

٤ ــ فى قوله تعالى « الحمد لله » أما أهل البدو فمنهم من يقول : الحمد لله ، ومنهم من يقول : الحمد لله ، ومنهم من يقول : الحمد للــــه فيرفع الدال واللام (١) معانى القرآن للفراء ١/٣ ق .

٥ ــ فى قوله تعالى « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى ..... » سورة ابراهيم آية ٢٢ . حكى الفراء كسر الياء ، لغة بنى يربوع (٢) النشر ٢/٢٩٨ ، اتحاف ٢٧٢ ق .

وفى التصريح ٢/٦٠ أن هذه اللغة حكاها الفراء وقطرب . وفى معانى القرآن للفراء ٢/٧٥ « قال الفراء ولعلها من وهم الفراء طبقة يحيى فانه قل من سلم منهم من الوهم . انظر البحر المحيط ٥/٤١٩ ، والنهر الماد ٥/٤١٨ .

ثانيــا : ظاهرة التقريب

١ ــ الامالة والفتح :

أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد وما كان من

---

(١) علل الفراء صوتيا لكل قراءة ، الا أنه أهمل العزو ، فالحمد لله ، بكسر الدال واللام لغة تميم وبعض غطفان ، الاتحــاف ١٢٢ هامش ، نزهة الألبــا ٣٦٤ . والحمد لله ــ بفتح اللام اتباعا لنصب الدال وهى لغة بعض قيس . النشر ١/٤٨ .

(٢) وعقب أبو عمرو بن العـــلاء على هـــذه القراءة بأنها « جائزة وحسنة » ولا التفات الى انكار النحاة لها . الدر اللقيط ٥/٤١٩ ووصـــفها الزجاج بأنها « عند جميع النحويين رديئة مرذولة . الخوانة ٢/٢٥٩ ، ابراز المعانى ٣٦٩ ، كما أنكــرها أبو حاتم (البحــر المحيط ٥/٤٢٠) ورماها الزمخشرى بالضعف « الخزانة ٢/٢٥٩) وزاد فى اضـــعافها وتوهينها بأن الشاهد الشعرى عليها لرجل مجهول . والحق أن الشاهد للاغلب العجلى ، ورآه أبو شامة فى أول ديوانه (حاشية زين الدين على التصريح ٢/٦٠) وقال القاسم بن معن عن هذه القراءة (انها صواب) النشر ٢/٢٩٩ ، وكان القاسم ابن معن ثقة بصيرا . أبراز المعانى ص ٣٦٩ .

ذوات الياء والواو • قال : وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يرون الى الكسر من ذوات الياء فى هذه الأشياء ، ويفتحون فى ذوات الواو مثل : قال وجال • شرح المفصل ٥٤/٩ والأشمونى ٢٢١/٤ غ •

٢ ــ الادغام والاظهار :

١ ــ وسمعت بعض بنى أسد يقولون : قد اتغر (١) • وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة ، وغيرهم قد اتغر • معانى القرآن للفراء ٢١٥/١ غ •

٢ ــ وسمعت بعض بنى عقيل يقول : عليك بأبوال الظباء فاصعطها فانها شفاء للطحل (٢) • معانى القرآن : ٢١٦/١ غ •

٣ ــ فى (مدكر) ومدكر فى الأصل مذتكر ــ فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة • قال : وبعض بنى أسد يقول : (مذكر) لسان العرب ٣٧٦/٥ •

ثالثا : الهمز والتسهيل

١ ــ روى الأزهرى باسناده عن الفراء قال : سمعت أعرابيا من بنى سليم ينشد :

(فانها حبل الشيطان يحتئل)

قال : وغيره من بنى سليم يقول (يحتال) بلا همز • اللسان : ١٩٨ ــ ١٩٩ غ •

---

(١) وصيغة (اتغر) أسهل ، لان اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاء محكما ينحبس معه النفس ، وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة ــ من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك ، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء ، كما يحدث فى الأصوات الرخوة .

(٢) مرض ، (اصعطها) افتعل من الصعوط وهو لغة فى السعوط وهو : ما يستنشق فى الأنف .

٢ ــ سمعت امرأة من طيىء تقول (١) • رثأت زوجى بأبيات • معانى القرآن للفراء ١/٤٥٩ ونقل اللسان عن الفراء أنه قال : سمعت أمرأة من طىء تقول : رثأت زوجى بأبيات • اللسان ١/١٠ غ •

٣ ــ ونسأ الله فى أجلك : أى زاد الله فيه ، ولم يهمزها أهل الحجــاز ولا الحسن • معانى القرآن للفراء ٢/٣٥٦ غ • ومثلها : وقد ترك همز (التناوش : سورة سبأ آية ٥٢) أهل الحجاز وغيرهم جعلوها من نشته نوشا وهو التناول •••• وقد يجوز همزها • معانى القرآن للفراء ٢/٣٦٥ ق •

رابعــا : مدارج اللهجات فى ابدال الحروف

١ ــ والتفتر لبنى أسد • (وهى لغــة فى الدفتر) ابــدال أبى الطيب ١/١٠٩ غ •

٢ ــ بنو أسد يقولون : المغثور وغيرهم بالفــاء • ابــدال أبى الطيب ١/١٨٦ ، معانى القرآن للفراء ١/٤١ غ •

٣ ــ كل ياء مشددة للنسبة وغيرها فان بعض العرب يبدلها جيما • وزعم الفراء أنها لغة طيىء • ابدال أبى الطيب ١/٢٥٨ غ •
وقال الفراء أيضا : وهم يقلبون الياء الخفيفة أيضا الى الجيم ، وذلك فى بنى دبير من بنى أســد خاصــة • الابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠ غ •

٤ ــ يقال سكرات ملتخ وملتك • حكاها الفراء عن امرأة من بنى أسد • الابدال لأبى الطيب ١/٣٤٣ غ •

٥ ــ أهل الحجاز أكثر شىء قولا : الفيعال من ذوات الثلاثة فيقــولون

---

(١) وبعضهم يغلط العرب فى مثل هــــذا ، ويرى الفراء أنه من همز التوهم وهو همزهم ما لا همز فيه اذا ضــارع المهموز . المزهر : ٢/٢٥٢ ، ٤٩٦ .

للصواغ : الصياغ (١) • معانى القرآن للفراء ١/١٩٠ ق •

٦ ــ ومرضوا (٢) لغة أهل الحجاز • معانى القرآن للفراء : ٢/١٧٠ ق •

٧ ــ وقيس تقول : طين لاتب • معانى القرآن للفراء ٢/٣٨٤ فى قوله تعالى « طين لازب » الصافات آية ١١ ق •

خامسا : الوقف

١ ــ حكى عن بعض العرب أنهم يسكنون حركة الهاء اذا كانت بعد متحرك (٣) • البحر المحيط ٢/٤٩٩ ق •

٢ ــ جمع التصحيح والمحمول عليه كالهندات والبنات والأخوات • الأفصح الوقف عليه بالتاء ، ويجوز الوقف عليها بالهاء غ •
وحكاه الفراء لغة لقوم من طيىء • يقولون فى مسلمات = مسلماه • عبث الوليد ص ٦٧، وفى الهمع ٢/٢٠٩ حيث أضاف قطربا الى الفراء فى حكاية اللهجة عن العرب •

٣ ــ والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء الا طيئا فانهم يقفون عليها بالتاء مثل : هذه أمت (٤) وجاريت • لسان العرب ٢٠/٣٧٠ ، شرح السيرافى ١/٦١ غ •

(١) فى الحديث عن قول الله (القيوم : آل عمران آية : ٢) وقرأها عمر بن الخطاب وابن مسعود (القيام) .

(٢) بمناسبة قوله تعالى « مرضيا » سورة مريم الآية : ٥٥ .

(٣) ولقد سمعها الكسائى من أعراب عقيل وكلاب : يقولون : « لربه لكنود » بالجزم وغير أعراب عقيل وكلاب لا يوجد فى كلامهم اختلاس ولا سكون . البحر المحيط : ٢/٤٩٩ . وقال أبو اسحق عن الاسكان انه غلط بين • وقال أبو حاتم انه غلط : الالتحاف : وانظر البحر المحيط ٣/٧١ ، واللسان ٢/٣٦٧ . كما رآه بعضهم ضرورة . الخزانة ٢/٤٠١ كما نقل ابن جنى فى المحتسب والخصائص ، وابن السراج فى الأصول أن الظاهرة لغة الأزد السراة . الخزانة ٢/٤٠١ والمحتسب ١/٤٠٢ وانظر شاهدا من الشعر على هذه اللغة فى الجمهرة ٣/١١٨ •

(٤) وفى المصباح ٢/٩٩٧ عزاها لحمير .

٢ ــ المستوى الصرفى

أولا : التصحيح والاعلال .

المشهور فى لسان العرب تسكين العين اذا كانت غير صحيحة فى مثل : بيضات ، عورات . وقال الفراء : العرب على تخفيف ذلك الا هذيلا فتنقل ما كان من ذوات الواو والياء . (١) البحر المحيط ٤٤٩/٦ ، اللسان ٣٠٣/٦ ، شرح المفصل ٣١/٥ ق .

ثانيا : الممدود والمقصور .

عندما ذكر ابن هشام أن (هؤلاء بالمد لغة الحجازيين) شذور الذهب : ١٤٧/١ . وبها جاء القرآن . وبالقصر لغة تميم ــ علق صاحب الحاشية بقوله : فى لغة تميم وقيل وأسد وربيعة ، ذكر ذلك الفراء فى كتابه (لغات القرآن) ولم يخصه بتميم . (حاشية عبادة على الشذور ١٤٨/١) كما ساق صاحب التصريح ١٢٨/١ هذا النص السابق وعزاه الى الفراء فى كتابه (لغات القرآن) ق .

ثالثا : الأفعال .

١ ــ (المهموز) أبو زيد والفراء ، رويا : اسل زيدا ، لغة عبد القيس حكاها أبو زيد والفراء يريدون : اسأل . فنقلوا حركة الهمزة الى السين وأسقطوا الهمزة . (٢) ليس فى كلام العرب ص ١٢ ق .

---

(١) قال أبو حيان فى البحر المحيط ٥١٥/٧ : ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم والصحيح أن الاعمش قرأ « ثلث عورات لكم » سورة النور آية : ٥٨ وقد عزاها ابن خالويه الى تميم . مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٠٣ .

(٢) وبلهجة عبد القيس قرأت فرقة من القراء . البحر المحيط ١٢٦/٢ .

٢ ــ (تداخل) لغة الحجاز : دام يدوم • وتميم : دمت يدوم (بكسر الدال) فى الماضى • فيجتمعون فى المضارع ق •

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى ويحيى بن وثاب والأعمش : دمت ــ بكسر الدال وهى لغة تميم فى (مادمت عليه قائما) (١) س ٣ آية ٧٥ • مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢١ •

٣ ــ (باب نصر وضرب من الصحيح) فى قوله تعالى : « واذا قيل انشزوا فانشزوا » سورة المجادلة آية : ١١ • قال الفراء : قرأها الناس بكسر الشين ، وأهل الحجاز يرفعونها • قال : وهما لغتان• لسان العرب ٧/٢٨٥ ق •

٤ ــ (الأجوف) ضمت العامة الصاد فى قول الله (فصرهن اليك س ٢ آية : ٢٦) وكان أصحاب عبد الله يكسرونها (٢) ، وهما لغتان • فأما الضم فكثير ، وأما الكسر ففى هذيل وسليم قال : وأنشد الكسائى :

(وفرع يصير الجيد وحف كأنه) اللسان ٦/١٤٨ ومعانى القرآن للفراء ١/١٧٤ ق •

٥ ــ (لغتان فى الصحيح من غير باب نصر وضرب) : عجزت عن الشىء بفتح الجيم (ما تلحن فيه العامة للكسائى ص ٢٤) والكسر لغة حكاها الفراء قال ابن القطاع (انه لغة لبعض قيس) : ما تلحن فيه العامة ٢٤ هامش غ •

٦ ــ (المبنى للمجهول) فى نحو قيل وبيع ثلاث لغات :

١ ــ اخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم من بنى كنانة• البحر المحيط ١/٦٠ •

---

(١) وقال أبو اسحق : دمت تدام مثل : نمت تنام وهى لغة . البحر المحيط ٢/٥٠٠ .

(٢) والمعنى : قطعهن : من صريت أصرى أى قطعت فقدمت يأوها . الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٩ .

٢ ــ واخلاص الضم وهو لغـــة هذيل ، وبنى دبير (١) ، بنى فقعس (١) .

(أسرار اللغـــة : تيمور ص ١١١ والـــروض الانف ٢/٦٦ ، الاشمونى : ٢/٦٢ .) وقد حكى الفراء اخلاص الضم الى بنى أسد ، وأورد شاهدا (وقول لا أهــل له ولا مال) (٢) اللســان ١٤/٩٣ ق .

رابعا : المشــتقات :

١ ــ اذا جاءك فعل مما لم يسمع مصدره فاجعله فعلا للحجاز وفعولا لنجد (٣) . شرح الشافية ١/١٥٢ غ .

٢ ــ فى قوله تعالى : « من ماء دافق » مدفوق . قال : وأهل الحجاز أفعل لهذامن غيرهم أن يفعلوا المفعول فاعلا اذا كان فى مذهب نعت كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهم ناصب . ثم قال : وأعان على ذلك أنها وافقت رءوس الآيات التى هى معهن . اللســـان ١١/٣٨٧ ق .

٣ ــ يقولون : هو مسكن ، قال عنها الفراء : هى لغة يمانية فصيحة (٤) البحر المحيط ٧/٢٦٩ ق .

٤ ــ أهل الحجاز يقولون : مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفقت

---

(١) من فصحاء بنى أسد .

(٢) ولغة قيس وعقيل ومن جاورهم . الاشمام فى ذلك . اتحاف ١٢٩ كما حكى اخلاص الضم عن ضبة . التصريح ١/٢٩٤ ــ ٢٩٥ ، وقد قرىء بهذه اللغات فى « قيل ، سيء ، غيض ، حيل » البحر المحيط ٧/١٥١ .

(٣) قياس أهل نجد أن يقولوا فى مصدر ما لم يسمع مصدره من فعل المفتوح العين : فعول ، متعديا كان أو لازما . وقياس الحجازيين فيه : فعل ، متعديا كان أولا) .

(٤) وأهمل أبو زيد عزوها . المخصص ١٤/٢٠٤ ، اللسان ١٧/٧٤ .

به ويكسرون مرفق الانسان (البحر ٦/١٠٧) • (١) ق •

٥ ـ ذكر لى أن بعض العرب يسمون مأوى الابل مأوى بكسر الواو ـ قال : وهو نادر لم يجيء فى ذوات الواو والياء مفعل بكسر العين الا حرفين : مأتى العين ومأوى الابل وهما نادران ، واللغة العالية فيها مأوى • اللسان ١٨/٥٤ ، شرح الشافية ١/١٨٢ غ •

٣ ـ الظواهر العامة فى لهجات القبائل

أولا : فعل وأفعل •

١ ـ العرب تقول •• أعصفت الريح ، وعصفت ، وبالألف لغة لبنى أسد ، وأنشدنى بعض دبير (٢) (حتى اذا أعصفت ريح مزعزعة) معانى الفراء : ١/٤٦٠ •

٢ ـ أهل الحجاز يقولون : « ما أنتم عليه بفاتنين » (٣) وأهل نجد : « بمفتنين » السان ١٧/ ١٥٦ ، معانى الفراء ٢/٣٩٤ ق •

٣ ـ ينع الثمر وأينع : أحمر • وفى البحر ٤/١٨٤ بفتح الياء فى لغة الحجاز ، وبضمها لغة لبعض نجد ، وقرىء بها فى الأنعام آية ٩٩ « وينعه » مختصر شواذ القرآن ابن خالويه ٣٩ ق •

ثانيا : التذكير والتأنيث •

١ ـ الهدى مذكر ، الا أن بنى أسد يؤنثونه (٤) (المذكر والمؤنث للفراء ص ٢١) •

---

(١) لعل هذا فى قوله تعالى (ويهىء لكم من أمركم مرفقا) الكهف آية ١٦ •

(٢) ودبير : بطن من بطون بنى أسد بن خزيمة من العدنانية معجم كحالة ١/٣٧٤ •

(٣) الصافات آية ١٦٢ •

(٤) فى التذكير والتأنيث للسجستانى ص ١٠ خط تيمور رقم ٢٦٤ والمخصص ١٧/١٧ (بعض أسد) •

٢ ــ الأصابع اناث كلهن الا الابهام فان بنى أسد أو بعضهم يقولون : هذا ابهام . المذكر والمؤنث للفــــراء : ١٥ ــ ١٦ والبحـــــر ١/٨٤ (١) ق .

٣ ــ الذراع أنثى . وقد ذكر الذراع بعض عكل . المذكر والمـــؤنث للفراء : ١٥ ، عبث الوليد ١٣٤ غ .

٤ ــ والقدد أنثى ويذكرها بعض قيس . المذكر والمؤنث للفراء ١٨ غ .

٥ ــ الرياح كلها اناث . وشاهد من بنى أسد على التذكير . ويقـــول الفراء : أنشدنيه عدة من بنى أســــــد . المذكر والمـــؤنث للفراء ٢٧ غ .

٦ ــ رأيت بعض بنى تميم وسقط ابن له فى البير ــ والله ما أخطـــأ الركى ــ فوحده بطــــرح الهاء ، فاذا فعلوا ذلك ذهبوا به الى التذكير كأنه اســـم للجمع (٢) ، وهـــو موحد . المذكر والمؤنث للفراء : ٣٠ ، والمخصص : ١٧/١٠ غ .

٧ ــ ذكرت كتب اللغة أنه يقـــال للرجـــل (زوج) ولامرأته أيضـــا (زوج) وذلك فى لغة الحجاز ، ولغة تميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون (هى زوجته) البحر ١/١٠٩ . المخصص ١٧/٢٤. وأبى الأصمعى لهجة تميم وقال (زوج لاغير) لســـان ٣/١١٧ ويقول ابن منظور وكانت من الاصمعى فى هذا شـــدة وعسر لسان ٣/١٠٧ .

أما الفراء فقد وصف لهجة نجد فى الظاهرة السابقة (زوجـــة) بأنها (أكثر) ، ولهجة الحجاز بأنها (أفصح) المذكر والمـــؤنث للفراء : ٢٦ . وفى كل ذلك يستشهد الفراء ويحتج بالقـــــرآن والشــــــعر .

---

(١) يتصل بـــ (يجعلون أصابعهم) البقرة .

(٢) والفراء يشير الى أن من أســـبا باجتماع التذكير والتأنيث فى الكلمة : الجمع والافراد : مثل ركية وركى .

ثالثا : القلب :

١ ـ تميم تقول : صاقعة فى صاعقة وأنشد لابن أحمر :
ألم تر أن المجرمين أصابهم •• صواقع لابـــل هـــن فـــوق الصـــواقع (١) ق •

٢ ـ لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون : معيق (٢) اللسان ١٢/١٤٣ البحر ٦/٣٤٧ ق •

٣ ـ من العرب من يتم (حاش) وفى لغة الحجاز (حاش لك) وبعض العرب حشى زيد ـ كأنه أراد : حشى لزيد ، وهى فى أهـــل الحجاز • البحر ٥/٣٠ ق •

٤ ـ سمعت بعض قضاعة يقول : اجتحى ماله ، واللغة الفاشية اجتاح ماله • وشاهد لها • معانى الفراء ٢/١٢٤ غ •

رابعـــا : التشديد والتخفيف •

روى الفراء وأبو عبيد : يقال : اجلس ههنا أى قريبا •• قـــال: وههنا أيضا تقوله : قيس وتميم • اللسان ٢٠/٣٧٤ غ •

خامسا : مطل الحركات والحروف وانتقاصها فى لهجات القبائل •

١ ـ أجاز الكوفيون حذف الياء المفتوح ما قبلها مثل اخشين يا هنـــد فتقول على لهجتهم : اخشن يا هند بحذف الياء • وحكى الفراء أنها لغةلطيىء•الاشمونى ٣/٢٢٣ ، الهمع ٢/٧٩ ، الخزانة ٤/٥٨٠ غ•

٢ ـ وقد تسقط العرب الواو وهى واو جماع ، اكتفى بالضمة قبلها فقالوا

---

(١) وفى القرآن : من الصواعق : البقرة ، وقرأ الحسن : الصواقع . وهى لغة تميم وبعض ربيعة . الاتحاف ١٣٠ هامش .
(٢) فى قوله تعالى « من كل فج عميق » الحج . ويقال : معيق .

فى : ضربوا قد ضرب .. وهى فى هوازن وعليا قيس (١) معانى الفراء ٩١/١ غ .

٣ ــ ويقال للمنخر : منخور (٢) وهم طيىء . معانى القرآن للفراء ١٥٢/٢ غ .

٤ ــ المستوى النحوى

أولا : الاعراب والبناء .

١ ــ وحكى الفراء عن كثير من أهل نجد أنهم يجرون الخبر بعد (ما) بالباء واذا أسقطوا الباء رفعوا . الخزانة ١٣٣/٢ ق .
وفى ابن عقيل ٢٦٦/١ أن سيبويه والفراء رحمهما الله تعالى نقلا زيادة الباء بعد (ما) عن بنى تميم ــ فلا التفات الى من منع ذلك .

٢ ــ عزا الفراء فتح لام كى الى تميم (٣) ، معانى القرآن للفراء ٢٨٥/١ غ .

٣ ــ حكى الفراء أن فتح لام الأمر لغة معزوة الى قبيلة سليم . وقد نقل ذلك ابن مالك . البحر المحيط ٤١/٢ ، والنهر الماد ٤١/٢ غ .

٤ ــ بعض العرب يجرى (كلا وكلتا) مع الظاهر مجراهما مع المضمر فى الاعراب بالحرفين وحكى (رأيت كلى أخويك) وعزاها الفراء الى كنانة . ارتشاف الضرب ٦٤/١ مصور بالدار رقم ٦١٥٦ ، الهمع ٤١/١ غ .

---

(١) وأورد شواهد ثلاثة على هذه اللهجة .
(٢) ولعل السبب فى وجود صيغة (منخور) اختلاف موقع .
(٣) وزعم يونس أن ناسا من العرب يفتحون اللام التى فى مكان (كى) وزعم خلف الأحمر أنها لغة لبنى العنبر . خزانة ٣٧٦/٤ . وفى حاشية الأمير ١٨٥ : ان عكلا وبلغنبر يفتحون لام الجر بشرط أن تدخل على فعل منصوب بأن مضمرة .

٥ ــ عزا الفراء فتح نون المثنى مع الياء لغة لبنى أسد (١) • ارتشاف الضرب ١/٦٤ غ •

٦ ــ **بعض العرب يجرى** (بنين وباب سنين) وان لم يكن علما مجرى غسلين فى لزوم الياء والحركات على النون منونة غالبا على لغة بنى عامر ، وغير منونة على لغة بنى تميم حكاه عنهم الفراء (٢) التصريح ١/٧٧ ، الهمع ١/٤٧ غ •

٧ ــ الجر بـ (لعل) لغة عقيلية حكاها أبو زيد والأخفش والفراء (٣) • الهمع ٢/٣٣ لسان ١٣/٥٠٢ غ •

٨ ــ كما روى عن الفراء على المستوى النحوى مايتصل بالاستثناء عند القبائل • معانى القرآن للفراء ١/٤٨٠ •

٩ ــ بعض بنى أسد وقضاعة (٤) ينصبون (غيرا) اذا كانت فى معنى (الا) تم الكلام قبلها أم لم يتم يقولون : ما جاءنى غيرك ، وما أتانى أحد غيرك غ •

التصريح ١/٣٦١ • اللسان ٦/٣٤٤ • معانى القرآن للفراء ١/٣٨٢ •

١٠ــ فى نقل عن الفراء نصب الجزئين بـ (ليت) وهى لغة تميم • الخزانة : ٤/٢٩١ غ •

١١ ــ وكنانة يقولون : (اللذون) (٥) معانى القرآن للفراء ٢/٧٨ غ •

---

(١) وقال الكسائى هى لغة لبنى زياد بن فقعس . التصريح ١/٧٨ .

(٢) واعراب هذا النوع : اعراب الجمع لغة الحجاز وعلياء قيس . الهمع ١/٤٧ .

(٣) وسمع أبو زيد من عقيل (لعل زيد قائم) .

(٤) وقد أضاف الجوهرى الى هاتين القبيلتين بنى شهل . المصباح ٣/٧٠٤ .

(٥) عزيت هذه الصيغة لبنى عقيل . النوادر لابى زيد ٨٩ . وعزاها الأشمونى ١/١٤٩ لهذيل أو عقيل . ثم يقول : واو : للشك (التصريح ٢/١٣٣) وابن عقيل : ١/١٢٥ يعزوها لهذيل فقط ، وابن الشجرى فى الأمالى ٢/٣٠٨ يعزوها كذلك لهذيل ، وذكر ابن مالك انها لغة طىء : الارتشاف ١/١٣٦ .

١٢ ـ وقال الفراء فى (لغات القرآن) وربما قالوا : هذان ذوا تعرف • وهؤلاء ذوو تعرف (التصريح ١/١٣٨) ق •

١٣ـ وقال الفراء فى (لغات القرآن) سمعنا أعرابيا من طيىء يسأل فى المسجد الجامع ويقول (بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله به) التصريح ١/١٣٨ • فبنى ذات ـ على الضم ونقل حركة الهاء الأخيرة الى ما قبلها وحذف الألف فسكنت الهاء (١) ق •

٥ ـ التراكيب الأثرية فى لهجات القبائل

قال الفراء : وسمعت بعض بنى سليم يقول فى كلامه : كما أنتنى

---

(١) أثيرت امثلة لهذه الظاهرة فى كتب علوم القرآن (البحر ٢/٣٣٨) وكتب الادب والامثال (الامثال للميدانى ١/٦٨) وكتب اللغة (نوادر أبى زيد ٦١ ، الكامل ٢/١٣٨ ، آمالى الشجرى ٢/٣٠٦ ، المزهر ١/٥٣٦ ، ٢/٤٣٨) ومؤلفات الشعر (شرح الحماسة ٢/٥٩١) والمعاجم العربية (المخصص ١٤/١٠٢ . اللسان : ٢٠/٣٤٨) ومصادر النحو العربى (شرح السيرافى على سيبويه ٤/٤٣ . الانصاف ١/٢٣٥ . ابن يعيش : ٣/١٤٨ . الشذور ١/٦٥ التصريح ١/١٣٨) كما أثير لها أمثلة فى كتب التاريخ القديمة (الاكليل ٨/٢٣٨ للهمدانى) ونلخص الاتجاهات التى فى هذه المصادر : ذو = استعملت بمعنى الذى عند طيىء ، وعند غيرهم تكون بمعنى صاحب ، ويظهر أن ذو ـ الطائية كانت مضطربة عند قبائل طىء فبعض طيىء وهم أكثرهم تكون عندهم بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفردا ومثنى وجمعا ، كما أنها تكون للعاقل وغيره .

والفريق الآخر من طيىء كان يعربها بالواو رفعا وبالالف نصبا وبالياء جرا ـ ومعنى هذا أنها كانت مثل (ذى) بمعنى صاحب ـ كما أن بعض طيىء قد اتجه ناحية مخالفة لما مضى فهو يثنيها ويجمعها . كما وجدنا بعض طيىء يجعل مكان الذى ـ ذو ومكان التى ـ ذات ويرفعون التاء على كل حال .

واذا كان المعروف فى طىء أنها لا تثنى ولا تجمع كلمة (ذات) وأنها تبقى مبنية على الضم ، فقد حكى عن بعضهم تثنيتها وجمعها .

وقال أبو حيان (حكى لى شيخنا الامام بهاء الدين الحلبى أن بعضهم حكى اعراب اعراب ذوات ـ بمعنى صواحب ثم عقب على ذلك بقوله : وهو نقل غريب (الارتشاف ١/١٣٧ مصور) وقد ورد صدى لبعض هذه الظواهر فى كل اللغات العربية الجنوبية ، وكذلك فى اللهجات العربية القديمة كالتمورية والصفوية واللحيانية .

ومكانكني ـ يريد : انتظرني في مكانك (١) • معاني القرآن للفراء ٣٢٣/١ غ •

٦ ـ المستوى الدلالي

١ ـ سمعت أعرابيا يقول : بع لي تمرا بدرهم ـ يريد اشترلي تمرا •
وقيل لجرير من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :
ويأتيك بالأخبار (٢) من لم تبع له •• بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
أراد من لم تشتر له • والبنات : الزاد (الأضداد لابن الانباري ٦١) وفي معاني الفراء ٥٦/١ أن هذه اللغة في تميم وربيعة • وكان الفراء يفسر قوله تعالى « بئسما اشتروا به أنفسهم » البقرة آية ٩٠ (٣) ق •

٢ ـ يعزو الى بني أسد كقوله : الحائب في لغة بني أسد (٤) القاتل (الاضداد لابن الانباري ١٤٦ • ولعله كان يتحدث في تفسير قول الله « انه كان حوبا كبيرا » النساء آية ٢ • و فيمكان آخر يقول ورأيت بني أسد يقولون ••••• معاني القرآن للفراء ٢٣٥/١ ق •

٣ ـ قال الفراء والكسائي في (هيت) (٥) هي لغة وقعت لاهل الحجاز

---

(١) والمعروف في العربية أن العرب تأمر بالظروف وحروف الجر ، مثل عليك ، ودونك ، واليك ، يقولون : اليك اليك ، يريدون : تأخر .

(٢) في معاني القرآن للفراء ٥٦/١ أنشده بعض ربيعة •

(٣) وقال قطرب : شريت بمعنى بعت لغة لغاضرة . الاضداد لابن الأنباري ٦١ .

(٤) وفي اللسان ٣٢٩/١ : الحوب لاهل الحجاز ، والحوب لتميم ومعناهما : الاثم) .

(٥) وقال أبو زيد الانصاري هي بالعبرانية وأصله (هيتالج) أي تعال . الاتقان ١٤١/١ لسان (هيت) . وعن ابن عباس : بالقبطية . وقال الحسن : بالسريانية وقال عكرمة هي بالحورانية . الاتقان ١٤١/١ وفي المتوكلي للسيوطي ص ١١ بالنبطية ، ومعناها = هلم لك . وقرىء (هئت لك) ومعناها : تهيأت لك وانظر تعليق أبا عمرو على هذه القراءة : مجاز القرآن لأبي عبيد ٣٠٥/١ . وقرأ علي رضي الله عنه : ها أنا لك . شواذ القرآن لابن خالويه ص ٦٣ وقرىء هيئت لك ـ فعل صريح مبني للمفعول : البحر ٢٩٤/٥ .

فتكلموا بها • النشر ٢/٢٩٥ ق •

قال الفراء ، ويقال : انها لغة لأهل حوران ❋ ، سقطت الى أهل مكة فتكلموا بها • لسان (هيت) •

٤ ــ الهون فى لغة قريش : الهوان ، وبعض بنى تميم يجعل الهـــون مصدرا للشىء الهين • معانى الفراء (١) ٢/١٠٦ ق •

المنهج الذى سار عليه الفراء من خلال الروايات والنقول والنصـــوص الخارجيـــة التى نقلت عنــــه

١ ــ يلاحظ أن الفراء كان يعزو كثيرا الى قبائل أسد وبطونها فقد قمت باحصائية عن اللهجات فى معانى القرآن له • وكان ميدان هــــذه الاحصائية من سورة الفاتحة الى آخر سورة الزمر وهى كما يلى :

أسد	تميم	ربيعة	هوازن	بعض قيس	قريش	هذيل	سليم	الحجاز
١١	١١	٢	١	٦	٢	٢	٥	١٦

عكل	عقيل	العالية	قضاعة	عمان	طيىء	فزارة	كلاب	عامر	حوران	نجد
٣	١	٢	٣	١	٣	١	١	٢	١	٤

الخع	بنو انسان	الانصار	الحارث بن كعب	كنانة	حضرموت	اليمن
١	٢	١	١	٢	١	٢

تهامة	نمير	علياقيس •
١	١	١

وتشير الاحصائية الى أن قبيلة أســـد لم يتقدم عليها فى الكثرة الا لهجة الحجاز وحـــدها ، مما يحسم الخلاف بين المؤرخين حين

(١) بمناسبة قوله تعالى « أيمسكه على هون » النحل آية ٥٩ .

★ يراد بالحورانية او النبطية ــ اللغة الآرامية عنـــد اللغويين المسلمين كما اشار الى ذلك نولدكه فى ZDMG ١٢٢/٢٥ .

اختلفوا فى نسب الفراء هل هو مولى لبنى أسد أم مولى بنى منقر ؟ ، فهو اذن أسدى وقد رجح هذا الدكتور أحمد مكى الأنصارى فى كتابه (أبو زكريا الفراء) ص ٤٢ ، ولا غرو اذا فتن بقبيلته ولغتها (وانما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى) .

٢ ــ والحديث عن معانى القرآن للفراء ، يدعونا الى الحديث عن كتاب آخر صنوه وهو كتاب (المجاز) لأبى عبيدة ، وحسبنا أن نذكر احصائية للهجات القبائل فى كتاب (المجاز) حتى نقف على مدى اهتمام الفراء بتسجيل لهجات القبائل وروايتها عن العرب . وكان ميدان هذه الاحصائية كما سبق فى معانى القرآن للفراء وهى :

تميم	أكلونى البراغيث	نجد	الحجاز	العالية	كنانة	بعض	المكيين .		
١		١	١	١	١		١		

وهذا الخلاف بين الرجلين فى رواية اللهجات يوضح الى حد كبير الخلاف بين المدرستين البصرية وهى التى ينتمى اليها أبو عبيدة ، والكوفية وهى التى ينتمى اليها الفراء . كما أننى أرجح أن كتابى الفراء كانا أعظم قدرا ، وأوفى نصيبا من كتابى الأصمعى فى (اللغات) و (لغات القرآن) ولعل السبب فى ذلك يرجع الى الاختلاف بين المدرستين التى ينتمى اليها كل منهما . فالأصمعى البصرى كما يروى أبو حاتم لم يقل (ديار ولا ديور ، لأن ديارا فى القرآن : الجمهرة ٣/٤٨٣) ويقول ابن دريد (ورغا اللبن وأرغى وسرى وأسرى ، ولم يتكلم فيه الأصمعى ، لأنه من القرآن) الجمهرة ٣/٤٣٤ . وسحته وأسحته ... ولم يتكلم فيه الأصمعى الجمهرة ٣/٤٣٦) ، لأن فى القرآن (فيسحتكم) ولعله كان يخاف أن يزل فى القرآن . كما كان الأصمعى ينكر لهجات عربية مثل : تميم (المصباح ٢/١٠٣٨) ونجد (اللسان ١٧/١٩٤) كما أنه لم

يتكلم فى « عصفت الريح » و « أعصفت » ، لأن فى القرآن (ريح عاصف) ، الجمهرة ٣/٤٣٥ • لكن الفراء المتحرر عزاها الى بنى دبير ، وهم بطن من أسد ، وأورد شـــاهدا لها • معانى القرآن للفراء : ١/٤٦٠ • كما كان الفراء يحتج للهجات العربية بالقراءات القرآنية توجيها وتنظيرا (انظر نصوص الكتابين) •

٣ ــ ان كتابى الفراء كانا معينين اســـتقيا منهما اللغويون والمفسرون (البحر ٣/٢٤٧ ، ٣/١٩٣) ، (اللســان ٧/٢٨٥) ، (التصريح ١/٧٧) ، (الهمع ١/٤٧) •

٤ ــ بعض الظواهر الصوتية كان سيبويه يراها ضرورة ويراها الفراء لغة عن العرب (عبث الوليد ٢٢٥) وكثيرا ما كانت اللهجة تشتجر مع الغلظ أيضا ، ولكن الفراء يحكيها لهجة عربية المزهر ــ ٢/٢٥٢، ٤٩٦ البحر ٢/٤٩٩ • وهذا يوضح اعتداده للهجات القبائل وتقديره لكل ما سمع من العرب •

٥ ــ أنه كان يؤكد لهجات القبائل بالسماع والسند وتسلسله ليحيطها بسياج من التوثيق ، حماية لها من الوضع والتدليس ــ وهذا يؤكد تأثره بمنهج المحدثين وبالنزعة السلفية (انظر معانى القرآن للفراء ١/٤١ ، ٥٦ ، ٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٣ ، ٣٢٣ ، ٤٥٩) ٢/٣٣ ، ١٥٠ ، ٦٤ ، ٢٤٩ كما كان يوثق اللهجـــــة بالرؤية وهى ملاحظة مباشرة • معانى القرآن للفراء ١/٢٥٣ •

٦ ــ كما كان دقيقا فى عزوه اللهجات فيستعمل الكثرة كقوله (وهى كثيرة فى أسد وتميم وعامر • معانى القرآن للفراء ٢/٩٢) (وكثير من أهل نجد والخزانة ٢/١٣٣) ويستعمل كلمة (بعض) : كقوله (سمعت بعض بنى عقيل) معانى القرآن للفراء ١/٢١٦) أو كلمة (خاصة) كقوله (وذلك فى بنى دبير من بنى أسد خاصة) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠ •

٧ ــ ويسم لهجة الأنصـــار بأنها من المرفوض (معانى القرآن للفراء ١٥٣/٢) أو يصف اللهجة بـ (العالية) اللسان ٥٤/١٨ • أو أنها (أفصح) أو (أكثر) المذكر والمؤنث للفراء : ٢٦ ، ويصف لهجة تميمية بأنها لا تصـــلح فى الكتاب أى فى القراءة (معانى القرآن للفراء : ١٦٤/٢) •

٨ ــ كثرة الاستعمال وأثرها فى حذف جزء من الكلمـــة فى لهجـــة بنى فزارة : معانى القرآن للفراء ٩/٢ •

٩ ــ كثرة الشواهد التى يحتج بها لتوثيق اللهجة • اللســـــان ١٤٨/٦ معانى القرآن للفراء ٤٦٠/١ ، ٩١ ، المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٦٠ •

١٠ ــ ومن أوليائه أنه سمع نصا لهجيا من قبيلة بنى انسان (١) معانى القرآن للفراء : ١٠٧/٢ •

١١ ــ كما كان الفراء أمينا ثقة لا يتورع أن يقول (لا أعــرف) فقــد عقب على قراءة (صللنا) بالصاد فى (ضللنا) السـجدة آية ١٠ بقوله : ولست أعرفها الا أن تكون لغة لم نسمعها • معانى القرآن للفراء ٣٣١/٢ •

١٢ ــ ويظهر أن لغات القرآن ــ للفراء لم تكن مقصورة على لهجـــات القبائل العربية وحدها بل شملت لغات أخرى غير العربية يــؤكد هذا قوله فى سورة المؤمنين آية ١١ (الفردوس) قال الكلبى : هو البستان بلغة الروم وقال الفراء وهو عربى أيضا العرب تسـمى البســتان : الفردوس (٢) (معــانى القرآن ٢٣١/٢) وتعليق

---

(١) وهى اسم قبيلة عربية . نهاية الأرب للقلقشندى : ٨٨ .

(٢) وفى المتوكلى : فيما ورد فى القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطيـــة والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية (دمشق ١٣٤٨ هـ) . للسيوطى وردت : الفــردوس مرتين الأولى ذهب الى أنها رومية ص ٨ ، والثانيـــة الى أنهـــا : الـــكرم بالنبطية ص ١١ ، وأصلها (فرداسا) .

الفراء يوضح لنا مذهبه فى المعرب •

١٣ ــ وكان الفراء فى حالات نادرة يشترك فى حكاية اللهجة مع غيره كقطرب (الهمع ٢/٢٠٩) وأبى زيد (ليس فى كلام العرب ١٢) وأبى عبيد (اللسان : ٢٠/٣٧٤) والأخفش (الهمع ٢/٣٣) والكسائى (النشر : ٢/٢٩٥) •

وبعد فان بعث كتب (لغات القبائل) و (لغات القرآن) المفقودة :
أولا : تسد ثغرة فى تاريخ الجانب اللغوى والقرآنى ، لانها تعتبر أما فى توثيقها للهجات القبائل •

وثانيا : تحمل فى بطونها بذورا للعربية فى تاريخها الطويل ، فهى حقل غنى ومعلمة زاهرة فى الدراسات الصوتية والنحوية والدلالية •
وأخيرا : فان استخلاص ما سبق من غضون حقل العربية الشتيت على قدر استطاعتى •

ــ بعد ان بوبته ونسقته وعلقت عليه ــ يعتبر عملا خطيرا ، لأنه بعث الى الحياة مرة أخرى ــ تراثا قد اختفى ، ونورا كاد يخبو ، والحمد لله على ماهدى اليه وأعان عليه ، وسبحانك اللهم وبحمدك • اشهد ألا اله الا أنت • أستغفرك وأتوب اليك •

للبحث بقية

دكتور أحمد علم الدين الجندى

مقتطفات من عالم النفس البشرية

للدكتور محمد محمد خليفة

يزدحم عالم النفس البشرية منذ بدء الخليقة الى يوم القيامة بأشتات من النفوس تباينت طباعها وأخلاقها وسلوكها وغرائزها وميولها وطاقاتها وذكاؤها ووعيها وأحاسيسها ومداركها وطواياها وان كانت من طينة واحدة ، أو ربطها دين واحد أو عادات أو لغة أو اقليم ، أو اجتمعت فى رحم أو تلاقت فى وراثة ، ولو شاء الله لصنع النفوس موحدة الطباع والسلوك والميول ، ولكن حكمته فى ذلك التباين تقف دونها أفهام البشر ، ولا تدرك كنهها عبقريات العقول .

وان الغوص فى عوالم النفس البشرية لاستكشاف دخائلها ليسلمنا الى صور مختلفة عدد ما خلق الله من البشر ، ولكل صورة طبيعة وطباع ودخائل ونزعات وألوان وظلال واشراقات أو ظلمات تفردت بها عن غيرها من الصور فقد اختلفت صور النفوس بين الأمراض النفسية فى شتى أنواعها ، وبين الصحة فى تباين قواها ، وبين الخيرية فى تساميها ومعاليها ، وبين البشرية فى تحدرها ومهاويها ، كما اختلفت من حيث الضمائر صحة ومرضا وحياة وموتا ويقظة ونوما وحبا وحقدا ، وحلاوة ومرارة وسيطرة على الأهواء واستسلاما لها ، ومن حيث العقيدة ايمانا وكفرا أو نفاقا ، ومن حيث العقل ذكاء أو غباء أو وعيا ، ومن حيث المشاعر قوة أو ضعفا ، وتلهبا أو خفوتا .

ولم تجتمع نفس وأخرى منذ بدء الخليقة فى كل ما أفردها الله به

من صفات خلقية أو خلقية ، وربما تشابهت بعض النفوس فى الخلق أثرا للوراثة أو البيئة ، ولكنهما تختلفان فيما أودع الله فى كل منهما من الصفات الخلقية والطباع .

وقد خص الله كل نوع من الحيوانات والزواحف والحشرات والطيور وعوالم البحار بطباع وغرائز تجلت فيها وامتاز كل نوع منها عن غيره بطباع خاصة :

فللسبع بطشه وأثرته ، وللذئب غدره ، وللثعلب مكره ولليربوع خداعه ، وللنمر شراسته وللحيات خبثها وللكلب وفاؤه وللجمل صبره ولبعض الطيور ايثارها ، وقد شاركت بعض النفوس الحيوانية فى تلك الطباع : فكثيرا بعض النفوس الانسانية طبعت على حب البطش والأثرة ، وكثيرا ما ينطوى البعض على الغدر أو المكر وكثيرا ما يتبدى فى البعض الخداع أو الشراسة أو الخبث ، وكثيرا ما يظهر فى البعض الوفاء أو الصبر أو الايثار ، وكأن النفس الانسانية حين تتأثر بتلك الطباع الحيوانية الغازية قد ضعفت فيها انسانيتها أمام طغيان الحيوانية وجبروتها حيث فرضت عليها سلطانها فاستسلمت لها أو أن الحيوانية التى تعيش فى الانسان هى الحيوانية التى غلبت انسانيتها ، وان كان فى بعض النفوس الانسانية بعض الفضائل والخير أودعها فيها خالقها ، أو ساقها اليها طول التأمل ، أو الايمان بالحق الذى أودعه الله فى الخلق ، وربما كانت تلك الفضائل أثر الدين جاء به نبى ، أو لاصلاح دعا اليه مصلح ، وما أكثر ما كانت النفس البشرية منجما يزدحم بمعادن الخير ، وما أكثر ما كانت مصنعا لنوازع الشر ، وما أكثر ما كانت مرآة تنعكس عليها طباع الحيوانية الكامنة فيها ، أو فضائل الخير التى تترفع بانسانيتها عن وحشية الحيوانية وطباعها .

ومازالت نوازع الخير ونوازع الشر تعيش فى حيوانية الحيوان وحيوانية الانسان فلا يقتلع جذور الشر من حيوانية الانسان غير دين يهدى الى الخير ويقود الى الحق : فأنانية السبع التى يثيرها حب التملك والسلطان حتى يستبيح

لنفسه الفتك بمن يتصدى له حين اقتناص فرائسه هى هى نفس الأنانية التى تستبد بنفوس اللصوص ، وتنسيهم انسانيتهم حينما يفتكون بمن يحولون بينهم وبين ما يسلبون من مال أو متاع ، وانهم ليستبيحون سفك الدماء فى سبيل ارضاء لصوصيتهم التى تثيرها شهوة التملك ، وغدر الذئب حين تمزق أنيابه وأظفاره من قد يحسن اليه فيطعمه رحمة به وانقاذا له من غوائل الجوع هو هو غدر النفس البشرية التى تعض أيدى من ترد عطاياهم عنها غوائل المسغبة ، بل قد يثيرها الغدر والحقد الى الفتك بالمحسنين لا لشىء الا أن الله جعل أيديهم هى العليا .

ومكر الثعلب ومراوغاته واحتياله على فريسته حتى اذا تمكن منها استبد بها هو هو مكر النفوس المريضة التى تراوغ وتحتال حتى تظفر بمآربها ، وانها لتدوس فى سبيل أمانيها كل القيم والمثل ، ولا يضيرها التخلى عن الأخلاقيات والتجرد من كرامة الانسانية وقدسية الفضائل اذا كان يعوقها ذلك عن تحقيق أحلامها ، وما يتخذه اليربوع فى صنع جحره من وسائل التضليل والخداع هو هو ذلك الذى ينسجه المنافق من خداع ليحقق مطامعه ، ويرضى خسائس نفسه الأمارة بالسوء وطالما جعل طول النفاق فى المنافقين القدرة على صنع الأقنعة التى يوارون بها حقائق وجوههم ، وما تحمل من ألوان الغش والخداع ، ولكن تلك الأقنعة المضللة لن تحجب ما وراءها عن بصائر المؤمنين التى جعل الله فيها قدرة على النفاد الى دخائل النفوس واستشفاف ما يتفاعل فيها من الشر .

وشراسة النمر تثير فيه القسوة حتى بالضعاف من الحيوانات التى لا تملك شيئا من قوة تقاوم به عنف ثورته وبشاعة شراسته هى هى شراسة النفوس البشرية التى تفنن فى تعذيب مناوئيها حفاظا على سلطان من أصحاب تلك النفوس ، أو هى نفوس أولئك الذين باعوا رحمتهم بثمن بخس لدينا غيرهم ممن حكموا فجاروا ، أو استرعاهم الله أمانة محكوميهم فخانوا أمانة

الله ، بل حلت لهم شهوة الظلم حتى استباحوا فى سبيل ارضاء شهواتهم أنكى وسائلّ التعذيب ، وطالما احتفظ التاريخ بصور المعذبين التى تحكى على الزمن ما عانوا من شراسة النفوس البشرية فى سبيل دينهم أو مبادئهم .

وخبث الحيات الذى قد يفتك بمن يحسن اليها فيحميها من غوائل البرد ، ويحفظ لها حياتها هو هو خبث النفوس التى لا يعيش فيها غير الحقد كل الحقد الذى يستبد بحياتها ولا يدع بينها مأوى لذرة من ذرات الخير تستطيع أن تطفىء يوما جذوة الحقد التى يسعرها حب الانتقام وحب التغلب وحب السلطة وحب التزعم .

وما أكثر أصحاب هذه النفوس بين عالمنا الذى ألهب صراعه الخبث الدفين فاستباح اراقة الدماء وتجويع البطون واذلال الأباة وتمزيق الأواصر فى سبيل ارضاء ضراوة الخبث .

ومع كل هذه الخسائس التى تفعل أفاعيلها فى تدمير صروح الخير فى الحياة فان فى بعض الحيوانية التى تعيش فى الوجود بعض الفضائل الخيرة :

فوفاء القلب الذى ضرب به المثل فى ذلك حيث يتجلى فى دورانه وتواثبه وتمسحه بصاحبه حين يراه بعد غياب وان كان لحظات هو هو وفاء بعض الأصفياء حين يتعانقون، وتتلاقى أرواحهم مع عناقهم فيفرغ كل منهما فى قلب صفيه اشراقات من نور الحب الصادق ، وما أكثرأولئك الذين تحابوا فى الله فى فجر الاسلام ، وتآلفت أرواحهم فى ظل الايمان ، والتقوا فى رحابه مع أسمى جمال الخير والبر والرحمة .

وصبر الجمل الذى ضرب به المثل فى قوة احتمال عذاب الأسفار فى لفح الهواجر لم تتنهنه من قوته وعزماتهحرارة الصحراء ولا حرارة العطش هو صبر المؤمن على مشقات التكاليف السماوية وما يقاسيه فى أدائها من الجهد ، بل انه ليستعذب فى سبيل رضوان الله ما يكابده من عناء .

وما أكثر ما يبذل المؤمن الصادق

من صبره وطاقاته فى كل مـــا يقربه من ساحة الرضوان .

والايثار الذى نراه فى الكثير من الطيور التى تغـدو وتروح لتلتقط قوت فراخها وتؤثرهم به .

هو هو الايثار الذى عرفـــه المسلمون فى نفوس آل بيت النبوة، فطالما كان يراهم المسلمون وبيوتهم تضيق بما أفاء الله عليهم وعـــلى المسلمين من غنائم حتى اذا أمسوا خويت البيوت من كل شىء الا مـــن شكر الله وحمده ، وخرج كل ما فيها فأخذ طريقه الى بيوت المعـــوزين وأفواه اليتامى وبطون المحرومين ، وهذا ما تحدث به الصـــديقة بنت الصديق عائشة رضوان اللـــــه عليها فتقول :

ما شبع رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ، وقد ربى رسول الله صلى الله عليه وســـلم آل بيته على الايثار وطبع نفوسهم عليه فعاشوا بعد الرسول يأتســـون به ويعملون عمله .

وقد حدثنا تاريخ عائشة رضوان الله عليها أن معاوية بعث اليهـــا فى خلافته ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق وجعلت تقسمه بـــين الناس ، فلما أمســـــت قالت : يا جارية هلمى فطـــورى (وكانت صائمة) فجاءتها بخبز وزيت ثم قالت لهـــا الجارية : ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنـــا بدرهم لحمـــا نفطر عليه ، فقالت : لو ذكرتينى لفعلت ، وقد نســـيت عائشة نفسها التى بين جنبيها وهى تقسم الأموال ، فلم تثر شهوتهـــا للحم وبين يديها أكوام الدراهـــم فتذكر نفســـها وحاجة معدتهـــا ، ولكنها ذكرت البيوت التى سكنهـــا الحرمان فآثرتها عـــلى نفسها حتى أنفدت عطية معاوية فلم تبق منها درهما واحدا لنفسها ولجاريتها .

ولعل تلك النفحة من نفحات بيت النبـــوة تأخذ طريقها الى النفوس فتنتفض فيها نوافح الخير والرحمة وتربط حياتها بعمل يقربهـــا الى ساحات المؤثرين الذين زهدوا فى متاع الحياة (وما الحيـــاة الدنيـــا الا متاع الغرور) وليت النفوس

تنتزع من جوانحها أشــواك الشر وضراوة الحيوانية لتعلو بانسانيتها عن أوحال الدنيا ، بل تستأصــل جذور الشر من طريق الانسانية ، ثم تبذر بذور الخــير لتطيب فى ظلالها حياة البشر .

وليت النفوس البشرية تصحــو ضــمائرها أو تمــزق أكفانها التى انطوت فيها حينا من الدهر لترجع الى حياة مؤمنة تخاف فى ظلها سوط الضمير ، وتنطلق فى سبيل الخــير الذى يدعوها اليه نداء الضـــمير المؤمن .

وليت النفوس البشرية تســمو الى انسانيتها راجعة الى ربهــــا راضية مرضية ؟ !

دكتور : محمد محمد خليفة



الذميون في بلاد الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

الذمة لغة معناها العهد والضمان والأمان — والذميون هم أصحاب المصلحة فى هذا العهد — وسموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا فى حماية الاسلام — وفى كنف المجتمع الاسلامى آمنين مطمئنين فهم فى أمان المسلمين وضمانهم بناء على (عقد الذمة) فهذه الذمة تعطى أهلها من غير المسلمين ما يشبه فى عصرنا الحالى (الجنسية السياسية) التى تعطيها الدولة لرعاياها فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم •

والأصل أن المسلمين هم أهل دار الاسلام — لكن قد يسكن معهم طوائف الذميين لأن الاسلام لا يمنع المسلمين من مخالطة غير المسلمين ، ولايمنع هؤلاء من الاقامة مع المسلمين فى دار الاسلام •

والمجتمع المسلم ، وان كان يقوم أساسا على عقيدة الاسلام ، منها تنبثق نظمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه ، لكنه لا يحكم بالفناء على جميع العناصر التى تعيش فى داخله وهى تدين بدين آخر غير الاسلام ، بل يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أسس وطيدة من العدالة والتسامح والبر والرحمة — وهى أسس لم تعرفها البشرية قبل أن تشرق عليها شمس الاسلام بل كانت تقاسى قبل ظهوره الويل من فقدانها — ولاتزال الى اليوم

تتطلع الى تحقيقها فى المجتمعات الحديثة نظرا لما غلب عليها من هوى وعصبية وأنانية وضيق فى الأفق جرتها الى صراع دام مع المخالفين فى الدين أو المذهب أو الجنس أو اللون •

عقد الذمة :

عقد الذمة عقد مؤبد — وقد يكون هذا العقد صريحا ويتضمن اقرار غير المسلمين فى بلاد الاسلام على دينهم وتمتعهم بحماية الجماعة الاسلامية ورعايتها ، بشرط تقديم الجزية — والتزامهم أحكام القانون الاسلامى ، فى غير الشئون الدينية — وبهذا يصيرون من أهل دار الاسلام ، وبناء على هذا العقد تنشأ حقوق متبادلة لكل من طرفيه المسلمين وأهل ذمتهم فضلا عما يرتبه من واجبات •

وقد يكون عقد الذمة عن طريق ارادة الدولة الاسلامية نفسها ، فهى التى تمنح الذمة أى الجنسية لغير المسلم بمحض ارادتها ، وتقديرها وفقا لقواعد الشريعة ، وما تقتضيه مصلحة الدولة فيدخل فى هذا الفريق من هو ذمى عن طريق القرائن الدالة على رضاه أو بالتبعية لغيره أو بالغلبة والفتح •

الجنسية الأصلية — والجنسية اللاحقة :

اذا اكتسب الذمى جنسية دار الاسلام فى لحظة ولادته فهى جنسية أصلية واذا اكتسبها بعد ولادته فهى جنسية لاحقة •

وتتصور الجنسية الأصلية للذمى فى حالة ما اذا ولد للذمى ولد فان هذا المولود يتبع أباه فى الذمة من لحظة ولادته فيكتسب جنسية دار الاسلام ، أما اذا كان للذمى ولد صغير عند ارتباطه بعقد الذمة فان ولده الصغير هذا يتبعه فى الذمة أيضا فيكتسب جنسية دار الاسلام وتكون هذه الجنسية فى حقه جنسية لاحقة — وكذلك الزوجة تدخل فى الذمة تبعا لزوجها أو اذا تزوجت ذميا فتكتسب جنسية دار الاسلام ، وتكون هذه الجنسية بالنسبة لها جنسية لاحقة •

فقد الجنسية بالنسبة للذمى :

يفقد الذمى جنسيته اذا قام بما تنتقض به الذمة ، كما لو لحق بدار الحرب الا أنه مادام لم يظهر منه ما تنتقض به الذمة ،فان الدولة الاسلامية لاتملك نزع الجنسية عنه .

القاعدة العامة فى حقوق وواجبات الذميين :

ذكر الامام الكاسانى فى بدائعه حديثا للنبى صلى الله عليه وسلم عن الذميين فيقول (قال النبى صلى الله عليه وسلم فاذا قبلوا عقد الذمة ، فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) .

ويقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه (انما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) .

وفى شرح السير الكبير للامام السرخسى يقول (ولأنهم قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم وحقوقهم كأموال المسلمين وحقوقهم) .

وطبقا لهذه القاعدة، فان الذميين حكمهم كالمسلمين فى الحقوق والواجبات ، الا أن هذه القاعدة يرد عليها استثناء هو أن الدولة الاسلامية تشترط للتمتع ببعض الحقوق توافر العقيدة الاسلامية فى الشخص ، ولا تكتفى بتبعيته لها — ولا غرابة فى هذا الاستثناء لأن الدول حرةفى تنظيم تمتع مواطنيها بالحياة القانونية الداخلية فقد تساوى بينهم وقد تفرق ومادامت الدولة الاسلامية تعتبر الوصف الدينى هو الأساس المقبول للتمييز بين الوطنيين فى بعض الحقوق لأنها محكومة بالاسلام ، فلا تملك الخروج على أحكامه — والاسلام يشترط للتمتع بهذه الحقوق المعينة توافر العقيدة الاسلامية فى هذا الشخص .

كما أن هذا الوصف الدينى تعتبره الدولة الاسلامية فى تفرقتها بين مواطنيها فى بعض الواجبات التى تتطلبها أحكام الاسلام .

فالزكاة مثلا : يلتزم بها المسلم دون الذمى — والجزية يلتزم بها الذمى دون المسلم والجهاد بما فيه

الدفاع عن دار الاسلام يجب على المسلم دون غيره وان كان للذمى أن يساهم فيه .

بالنسبة للوظائف العامة :

هناك من الوظائف العامة ما لا يكلف بها الذمى لأن طبيعتها تقتضى ألا يتولاها الا المسلم — فكان من شرط تقليدها للشخص أن يكون مسلما كالخلافة أى (الامامة) لأن الامامة فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا فكان من البديهى أن يكون رئيس الدولة الاسلامية مسلما — وعلى هذا جرى المسلمون فى جميع عصورهم .

وكذلك الحال فى امارة الجهاد لأن الجهاد يلتزم به المسلم دون الذمى وان كان للذميين أن يشتركوا مع المسلمين فى الدفاع عن دار الاسلام فكان من السائغ القول أن يكون قائد الجيش مسلما .

وحجب هذه الوظائف القليلة عن الذميين ، ينبغى ألا يثير استغرابا ولا دهشة ، لأن الوظيفة فى نظر الاسلام تكليف لاحق — وللدولة (كما سبق بيانه) أن تشترط بعض الشروط الخاصة التى تراها ضرورية فيمن تكلفه بمثل هذه الوظائف التى لا يكلف بها الذمى ، لأنها تقوم على أساس العقيدة الاسلامية أو تتصل بها ، ويظهر فيها عنصر التدين بارزا فكان قصرها على المسلم سائغا مقبولا لأن الذمى لايشارك المسلم فى أمور الديانات ولا فيما يتصل بالعقيدة الاسلامية أو يقوم عليها .

بالنسبة لحق الانتخاب وحق الترشيح لخليفة المسلمين :

يشترط فقهاء الاسلام فى الشخص الذى يقوم بانتخاب أمام المسلمين (وهو الخليفة) مايشترط فى الامام نفسه أى أن يكون مسلما — وعلى هذا يكون حق انتخاب الامام مقصورا على المسلمين وحدهم ممنوعا عن غيرهم .

ومما يؤيد هذا الاتجاه أنه لم ير أحد قط أن واحدا من أهل الذمة اشترك فى انتخاب الخليفة فى عصر الخلفاء الراشدين — كما لم ينقل أن أهل الذمة أو واحدا منهم طالب

بهذا الحق ــ مما يدل على أن المفهوم لدى الجميع أن هذا الحق مقصور على المسلمين دون غيرهم •

جواز تكليف الذميين بالوظائف العامة :

وفيما عدا الوظائف القليلة التى يشترط فيمن يتولاها أن يكون مسلما يجوز اشتراك الذميين فى تحمل أعباء الدولة واسناد باقى الوظائف العامة اليهم وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة •

ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر)** سورة آل عمران ١١٨ ــ فهذه الآية الكريمة لم تنه المسلمين عن اتخاذ بطانة من الذميين بصورة مطلقة ــ وانما قيدت النهى بالقيود الواردة فيها أى أن النهى منصب على من ظهرت عداوتهم للمسلمين فهؤلاء لايجوز اتخاذهم بطانة ومعنى هذا أن الذميين الذين لاتعرف لهم عداوة للدولة الاسلامية يجوز للمسلمين اتخاذهم بطانة يستعينون برأيهم فى شئون الدولة وتطبيقا لهذا المعنى يجوز اسناد بعض الوظائف العامة اليهم التى هى دون البطانة فى المركز والأهمية لكن بالقيود التى أشرنا اليها آنفا •

أما ما ورد فى السنة المطهرة ــ

أشارت كتب السيرة النبوية بصدد معركة بدر الكبرى التى وقعت بين المسلمين بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم وبين مشركى مكة سنة ٢ هـ فقد انتصر فيها المسلمون وأسروا من المشركين فى تلك المعركة سبعين أسيرا وكان من هؤلاء من لا مال له فجعل النبى صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة بأن يعلم الواحد منهم عشرة من أولاد الأنصار ثم يخلى سبيله فهذا الأثر يفيد أن النبى عليه الصلاة والسلام استخدم غير المسلمين فى شأن من شئون الدولة الاسلامية وهو تعليم بعض أبناء المسلمين الكتابة وفى السيرة النبوية أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما

توجه الى مكة سنة ست للهجـرة ووصل الىمكان يدعى ذى الحليفة بعث عينا منه من خزاعة يخبره عن قريش وكان هذا العين كافرا ومع هذا أسند اليه هذه المهمة الخطيرة ولاشك أن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم كان مطمئنا الى أمانته فوثق به وقبل ذلك عندما هاجر من مكة الى المدينة استخدم أحـــد المشركين الموثوق فى كفاءته وعدم خيانته (وهو عبد الله بن أريقط) ليدله هو ورفيقه الصديق عـــلى الطريق ــ مما يدل على جـــواز اسناد وظائف الدولة العامــة الى الذميين ما داموا أهلا لها من حيث الكفاءة والثقة والأمانة .

وهذا فى الحقيقة أعلى درجات التسامح والتساهل مع المخالفـين فى الدين لايجد المرء نظيرا له فى أى شريعة لا فى القـديم ولا فى الحديث .

ومن هذا المنطلق الاســلامى الكريم فى التسامح أجاز فقهـــاء الشريعة الاسلامية تقليد الذميين وزارة التنفيذ وهى المنوط بهـــا ابلاغ أوامر ولى الأمر والقيـام بتنفيذها وامضاء مايصــدر عنــه من أحكام ــ وتشبه وزارة التنفيذ فى القديم مركز الوزارة فى الدولة الحديثة حيث يقوم الوزير بتنفيذ قرارات مجلس الوزراء .

كما أجاز الفقهاء اســناد وظائف أخرى الى الذميين كجباية الجزية والخراج وقـــد بلغ تســـامح المســلمين فى هذا الأمر أحيانا الى حد المبالغة والجور على حقـــوق المسلمين مما جعل المسلمين فى بعض العصور يشكون من تسلط اليهـود والنصارى عليهم بغير حقويقــول المؤرخ الغربى آدم ميتز فى كتابه ــ الحضارة الاسلامية فى القــرن الرابع الهجرى ــ (من الأمور التى نعجب لها كثرة عدد العمـــــال خصوصا الولاة وكبار الموظفـين والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الاسلامية فكان النصارى هـــم الذين يحكمون المسلمين فى بـــلاد الاسلام فالشكوى من تحكيم أهل الذمة فى أبشار المسلمين شــكوى قديمة .

حقوق وواجبات أهل الذمة

أولا : حقوق أهل الذمة :

لأهل الذمة حق التمتع بحمايــة

الدولة الاسلامية وحرية العمل والكسب وحرية التدين •

وعن الحماية من الاعتداء فانه ينصب على الاعتداء الخارجي وحمايتهم من الظلم الداخلى •

فحماية أهل الذمة من الاعتداء الخارجى فان على ولى الأمر أن يوفر لهم ما للمسلمين من حماية وأن يدفع من قصدهم بأذى ماداموا بدار الاسلام ومن المواقف التطبيقية لهذا المبدأ الاسلامى موقف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله حينما تغلب التتار على بلاد الشام فقد توجه الامام ابن تيمية الى القائد التترى (قطلوشاه) لاطلاق سراح الأسرى وبعد الكلام معه وافق القائد التترى على اطلاق أسرى المسلمين فقط — ورفض أن يطلق سراح الأسرى من أهل الذمة فما كان من شيخ الاسلام ابن تيمية الا أن طالبه بضرورة افتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمة المسلمين فلما رأى القائد التترى تصميم الامام ابن تيمية أطلقهم له •

أما حماية أهل الذمة من الظلم الداخلى فهو أمر يوجبه الاسلام ويحذر المسلمين أن يمدوا أيديهم أو ألسنتهم الى أهل الذمة بأذى أو عدوان وقد أورد القرآن الكريم مايشير الى مراعاة العدل معهم وعدم ظلمهم قال تعالى **(ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** سورة المائدة ٨ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامه) رواه أبو داود والبيهقى — وقال عليه الصلاة والسلام (من آذى ذميا فأنا خصمه — ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) رواه الخطيب باسناد حسن ويقول صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله » رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن •

ويقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن الذميين (انما

بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) .

وفقهاء المسلمين من كافة المذاهب الاجتهادية قرروا بأن على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة والمحافظة عليهم لأن المسلمين حين أعطوهم عقد الذمة قد التزموا دفع الظلم عنهم وهم صاروا به من أهل دار الاسلام .

وحق الحماية المقرر لأهل الذمة يتضمن حمايتهم فى دمائهم وأنفسهم وأبدانهم كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم وكل ذلك على التفصيل الذى أورده فقهاء الاسلام فى كتب الفقه المختلفة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) رواه الامام أحمد والامام البخارى فى الجزية كما رواه الامام النسائى والامام ابن ماجة فى الديات .

وكما حمى الاسلام أنفس الذميين من القتل حمى أبدانهم من الضرب والتعذيب فلا يجوز الحاق الأذى بأجسامهم حتى ولو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الواجبات المالية المقررة عليهم كالجزية والخراج — هذا فى الوقت الذى يتشدد فيه الاسلام كل التشدد مع المسلمين اذا منعوا اخراج الزكاة .

ولم يجز الفقهاء فى أمر الذميين المانعين للواجبات المقررة عليهم أكثر من أن تأديبا لهم لكن بدون أن يصحب الحبس أى تعذيب أو أشغال تتسم بالمشقة . أورد الامام أبو يوسف فى كتاب الخراج أن الصحابى الجليل حكيم ابن هشام رأى رجلا وهو على مدينة حمص يشمس ناسا من النبط فى أداء الجزية فقال ما هذا؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا) رواه الامام مسلم فى صحيحه .

حماية أموال أهل الذمة :

وهذا ما اتفق عليه المسلمون فى

جميع المذاهب وفى جميع الأقطار ومختلف العصور • روى الامام أبو يوسف فى الخراج ما جاء فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لأهل نجران (ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ماتحت أيديهم من قليل أو كثير) •

وفى عهد عمر بن الخطاب الموجه الى أبى عبيدة بن الجراح أن (امنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحلها) كما ورد مثل ذلك فيما عهد به عمر بن الخطاب الى أهل ايلياء عند فتحها مما سيأتى ذكره •

حماية أعراض أهل الذمة :

ذكر الفقهاء أن الاسلام يحمى عرض الذمى وكرامته كما يحمى عرض المسلم وكرامته فلا يجوز لأحد أن يسبه أو يتهمه بالباطل — أو يشنع عليه بالكذب ويذكره بما يكره فى نفسه أو نسبه أو خلقه أو خلفته أو غير ذلك مما يتعلق به لأن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا لأنهم فى جوارنا وفى خفارتنا وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كفالة المعيشة للذمى ولمن يعولهم :

لقد ضمن الاسلام لغير المسلمين فى ظل مجتمعه الاسلامى كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونهم لأنهم رعية لدولة الاسلام يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) متفق عليه من حديث ابن عمر — ورأى عمر بن الخطاب شيخا يهوديا يسأل الناس فسأله عن ذلك فأخبره بأن الشيخوخة والحاجة ألجأتاه الى ذلك فأخذ بيده وذهب به الى خازن بيت مال المسلمين وأمره أن يقرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم •

وعند مقدمة (الجابية) من أرض دمشق مر فى طريقه بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت — أى أن تتولى الدولة القيام بطعامهم ومؤونتهم بصفة

منتظمة ــ كما يلحق بأمثال هؤلاء العجزة من أهل الذمة .

وبهــذه المعاملة الكريمة تتقرر الضمان الاجتماعى فى الاســلام ليشمل أبناء المجتمع جميعا مسلمين وغير مســلمين ــ اذ لا يجوز أن يبقى فى المجتمع الاسلامى انسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج فان دفع الضرر عن الشــخص الآدمى واجب دينى سواء كان هذا الشخص مســلما أو ذميا ــ وهذا ما درج عليه فقهاء الاسلام فى فقههم من أمثال الامام النووى وغيره من الفقهاء .

حرية العمل والكسب :

لغير المســلمين فى المجتمــع الاسلامى حرية العمل والكســب بالتعــاقد مــع غيرهــم أو بالعمــل لحســاب أنفســهم ــ ومزاولة ما يختــارون من المهن الحرة ــ ومبــاشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادى شأنهم فى ذلك شأن المســلمين ولم يستثن الفقهاء الا الآتى : ــ

أولا : عقد الربا .. فانه محرم على الذميين كالمسلمين فقد روى أن النبى صلى الله عليه وســلم كتب الى مجوس هجــر (اما أن تذروا الربا أو تأذنوا بحرب من اللــه ورسوله) .

ثانيا : منعهم من بيــع الخمور والخنازير فى أمصار المسلمين وفتح الحانات فيها لشرب الخمــر أو ادخالها الى بلاد الاسلام ولو كان ذلك لاستمتاعهم الخاص ســدا لذريعة الفســاد واغلاقا لبــاب الفتنة .

وفيما عدا هذه الأمور المحدودة يتمتع الذميون بتمــام حريتهم فى مبــاشرة التجــارات والصــناعات والحرف المختلفة ــ وهذا ما جرى عليه العمــل ونطــق به تاريخ المسلمين فى شتى العصور وكادت بعض المهن تكون مقصــورة عليهم كالصيرفة والصــيدلة وغيرها ــ واســتمر ذلك الى وقت قريب فى كثير من بلاد الاسلام ــ وقد جمعوا من وراء ذلك ثروات كبــيرة كانت معفــاة من الزكاة ومن كل ضريبة الا الجزية .

يقـــول آدم ميتز (لم يكن فى التشريع الاسلامى مــا يغلق دون أهـــل الذمة أى باب مــن أبواب الأعمال — وكانت قدمهم راسخــة فى الصـــنائع التى تدر الأرباح الوافرة فكانوا صـيارفة وتجارا وأصـــحاب ضـياع وأطباء — بل ان أهل الذمة نظموا انفســـهم بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة فى بلاد الشـــام من اليهود — على حين كان اكثر الاطباء والكتبة من النصارى) •

وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة وكان رؤساء طوائف اليهود والنصارى مقربين عنده •

حرية التدين :

كفل الاسلام لرعيته من الذميين حرية الاعتقاد والتعبـد فلكل ذى دين دينه ومذهبه لا يجبر على تركه الى غيره ولا يضغط عليه أى ضغط ليتحول منه الى الاسلام وأســاس هذا الحق قوله تعالى :

(١) « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ســـورة البقرة ٢٥٦ •

(٢) « افأنت تكره النـــاس حتى يكونوا مؤمنين » سورة يونس ٩٩ •

ولم يعرف التاريخ شعبا مسلما حاول اجبـــار أهـل الـذمة على الاسلام ويشـــهد بذلك المؤرخون خصوصا الغربيون منهم •

بل ان المسلمين صـــانوا لغير المسلمين معابدهم وكنائسهم ويشير الى ذلك عهد النبى صـلى الله عليه وسلم الى أهل نجد السابق الاشارة اليه وتأيد ذلك بما أورده الطبرى فى تاريخه عما عهد به عمر بن الخطاب رضى الله عنــه الى أهـل ايليـــاء (مدينة القـــدس حاليا) فلقد نص فيه على حريتهم الدينية وحــــرمة معابدهم وشعائرهم (هذا ما أعطى عبد اللهعمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان— أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصـــلبانهم وسائر ملتها لا تسـكن كنائســـهم ولا تهدم ولا ينقص منهــا ولا من حيزها ولا من صليبها ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم — ولا يســكن بايلياء معهم أحد من اليهود) •

يقول المفكر الفرنسى غوستاف لوبون ((رأينا من آى القرآن أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية — وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التى ظهرت قبله كاليهود والنصرانية على وجه الخصوص — وسار خلفاؤه على سنته وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر فى تاريخ العرب والعبارات الآتية التى اقتطفها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا فى هذه المسألة ليس خاصا بنا يقول يوبر تسون فى كتابه (تاريخ شارلكن) ان المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا فى التمسك بتعاليمهم الدينية) .

ضمانات وفاء المسلمين بهذه الحقوق الى الذميين :

لما كانت الشريعة الاسلامية هى شريعة الله وقانون السماء الذى لا تبديل لكلماته ولا يتم الايمان الا بطاعته لا يسع أى مسلم يتمسك بدينه الا أن يقوم بتنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها من نفسه ليرضى ربه وينال أجره ومنها احترام الحقوق التى كفلتها للذميين يقول تعالى :

(١) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

سورة الاحزاب ٣٦

(٢) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعولوا اعدلوا — هو أقرب للتقوى — واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) سورة المائدة ٨ .

وحتى اذا شعر أو أحس الذمى بأى ظلم فله أن يشكو من ظلمه ليجد من يسمع لشكواه وينصفه من ظالمه مهما يكن مركزه ومكانه بين المسلمين بل حتى ولو كان الخليفة نفسه وهناك فى التاريخ الاسلامى

وقائع صريحة تشهد على ذلك نذكر منها الآتى على سبيل المثال لا الحصر ٠

١ — فقدت درع الامام على بن أبى طالب وقت خلافته فوجدها عند رجل نصرانى ادعى أنه صاحبها فاختصما الى القاضى شريح — قال الخليفة الدرع درعى ولم أبع ولم أهب فسأل القاضى ذلك النصرانى فيما يقوله الخليفة فرد عليه بقوله (ان الدرع درعى وما أمير المؤمنين عندى بكاذب) فالتفت شريح الى الخليفة يسأله يا أمير المؤمنين هل لك من بينة ، فضحك الخليفة وقال أصاب شريح ما لى بينه وقضى شريح للنصرانى بالدرع لأنه صاحب اليد عليها ولم تقم بينة على خلاف ذلك فأخذها هذا الرجل النصرانى ومضى ٠٠ لكنه لم يمش خطوات حتى عاد يقول (أما أنى أشهد أن هذه أحكام أنبياء — أمير المؤمنين يديننى الى قاضيه فيقضى لى عليه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الدرع درعك يا أمير المؤمنين أخذتها وأنت منطلق من صفين) فقال له الخليفة (أما اذ اسلمت فهى لك) ٠

٢ — فى خلافة عمر بن الخطاب توجه اليه بالمدينة أحد أبناء الأقباط فى مصر وشكا اليه ابن عمرو بن العاص بأنه اعتدى عليه بالسوط اثر سباق بينهما فاز فيه ابن القبطى على ابن عمرو بن العاص وقال له كيف تسبق ابن الأكرمين فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنه وأعطى السوط لابن القبطى وأمره بضرب ابن الأكرمين (ابن عمرو بن العاص) فلما انتهى من ضربه التفت الخليفة الى عمرو بن العاص وقال كلمته الخالدة يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ٠

٣ — فى خلافة الوليد بن عبد الملك أخذ هذا الخليفة كنيسة (يوحنا) من النصارى وأدخلها فى مساحة المسجد الأموى بدمشق — فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكا اليه النصارى ما فعل الوليد بن عبد الملك فى كنيستهم فكتب الى عامله برد ما زاده فى المسجد عليهم

لولا أنهم تراضوا مع الوالى على أساس أن يعوضوا بما يرضيهم •

٤ ـ شكا أحد رهبان النصارى فى مصر الى الوالى أحمد بن طولون أحد قواده لأنه ظلمه وأخذ منه مبلغا من المال بغير حق فأحضره الوالى وأنبه وعزره وأخذ منه المال ورده الى راهب النصارى ـ وأعلن على الملأ أن بابه مفتوح لكل متظلم من أهل الذمة ولو كان المشكو من كبار القواد أو موظفى الدولة •

٥ ـ لما أجلى الوالى العباسى صالح بن على بن عبد الله بن عباس قوما من أهل الذمة من جبل لبنان لخروج فريق منهم على عامل الخراج تصدى له الامام الأوزاعى وعارضه فى اجلائهم وحرر له رسالة •• يذكره فيها بأن أحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال (من ظلم ذميا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه) •

ما عليه العمل فى بلادنا المصرية :

ان ما يجرى فى جمهورية مصر العربية وغالبية سكانها العظمى من المسلمين هو المساواة بين جميع المصريين فى تولى الوظائف العامة فتسند الدولة اليهم تلك الوظائف حسب توافر الشروط القانونية فيهم والمساواة أيضا بينهم فى الحقوق والواجبات طبقا لأحكام الدستور دون أى تمييز أو تفرقة بينهم بسبب الجنس أو الدين مع تقرير حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية لجميع المواطنين ولقد ورد فى دستورها الدائم على أن المواطنين لدى القانون سواء وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة •

ولقد جاء فى تقرير اللجنة التشريعية بمجلس الشعب حول تعديل المادة الثانية والنص فيها على أن تكون مبادىء الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع أنه من المسلمات ايضا أن مبادىء الشريعة الاسلامية السمحة تقرر الآتى :

ان غير المسلمين من أهل الكتاب يخضعون فى أمور أحوالهم

الشخصية لشرائع ملتهم وقد استقر علـى ذلك رأى فقهـاء الشريعة الاسلامية منذ أقدم العصور نزولا على ما ورد فى الكتاب والسنة .

وأنه لا توجد ثمة شبهة فى أن حق تولى الوظائف والمناصب العامة وحرية العقيدة وممارسة الشـعائر الدينية تعد من الحقـوق العامة للمصريين الذين يتمتعون بها فى ظل الدسـتور وطبقا لأحكام القانون دون أى تمييز أو تفـرقة بينهم بسبب الجنس أو الأصـل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

وأن أى انحراف بتفسـير أى نص فى الدسـتور بما يخل بمبدأ المساواة أو حرية العقيدة وممارسة الشـعائر الدينية لأهل الكتاب من المصريين يمثل مخالفة دسـتورية صريحة وبصفة خاصة لأحكام المادة الثانية من الدستور على النحو الذى سبق أن أقره المجلس .

واذا كانت هناك حقـوق قررها الاسـلام لأهل الذمة فلابد وأن تقابلها واجبات عليهم مقابل التمتع بتلك الحقـوق لأنه من المبادىء المقررة أن كل حق يقابله واجب ..

* * *

والى مقال آخر لتفصـيل تلك الواجبات ان شاء الله .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

« الصـبر »

اذا بليت بعسرة فالصـبر لهـا

صـبر الكريم فـان ذلك أحـزم

الربا

قبل الإسلام وبعده

للأستاذ زيدان أبو المكارم حسن

مقدمـــة :

ـ اختلف الناس من قديم ٠٠ فى (مفهوم : الربا) وما يدخل فيه فيكون محرما من المعامـــلات ، وما يخرج منه ٠٠ **فيصير حلالا** ، فى كل معاملة .

ـ حدث هذا قبل الاســـلام ، وحدث أيضا بعد الاسلام ؟؟

ـ ولقد خاض العلماء والفقهـاء ـ بعد عهد الصحابة ٠٠ ميـــدان البحث الفقهى ٠٠ وخرجوا مختلفين ٠٠ اختلافا بينا ، الى مذاهب كثيرة ، اشتهرت من بينهـــا : المذاهب الأربعة ، واحتفظت بطون الكتب الفقهية ـ القديمة ـ بتدوين أكثر من عشرة مـــذاهب ٠٠ **فى مفهوم** الربا ، قال بكل منها : امـــام مجتهد ، أو جماعة من أئمـــة تلك العصور ! ؟

ـ ومع مرور الزمن ٠٠ رسخت **المذاهب الأربعة** ٠٠ على ما بينها من **اختلاف ، ونسيت تلك المــذاهب** الأخرى !؟

ـ وفى عصرنا الحديث ٠٠ **أصبح الاقتصاد** : مشكلة عالمية ، تخوضها الآراء الفلسفية والنظريات التحليلية الوضعية !؟

ـ والدراسة التى أعرضها اليوم ٠٠محاولة ـ أراها واجبة ـ لاعادة النظر ٠٠ بحثا عن **(مفهوم : الربا)** قبل الاسلام ، وبعده !؟

من خلال النصوص القـــرآنية والنبوية ٠٠ أولا ؟؟

ـ ثم أعرض ٠٠ باختصـــار ـ شديد ـ الى **(الفكر الفقهى)** ٠٠ وأرجو أن يكون هذا البحث تحت

نظر الغيورين ، والمخلصين .. من العلماء ، والفقهاء ، والاقتصاديين والاســـلاميين ــ ونحن نخوض معركة الأصالة الاسلامية ، فى عصر سيطرت فيه الصراعات البشرية ، تنافسا على خيرات الأرض ، بعيدا عن هدايات السماء ! ؟

النصـــوص

(أ) القــرآنية

من نصـــوص :

(أ) العدل الالهى ومنه « العدل الاقتصادى » .

(قبل الاسلام) :

١ ــ « لقد أرسلنا رســـلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتـــاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط »

سورة الحديد ٥٧ : آية ٢٥ ــ

وهى سورة مدنية

القسط : العدل .

٢ ــ « الله الذى أنزل الكتـــاب بالحق والميزان »

سورة الشورى ٤٢ : ١٧ ــ

وهى سورة مكية

(فى الاســـلام)

٣ ــ « والسماء رفعها ووضـــع الميزان ، ألا تطغــوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقســـط ، ولا تخسروا الميزان » .

الرحمن ٥٥ : ٧ ــ ٩ ــ

وهى سورة مدنية

٤ ــ « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

النساء ٤ : ٥٨ ــ

وهى سورة مدنية

فى نور هذه الآيات :

يخبر الله ــ عز وجـــل ــ فى الآيتين الأوليين أنه أنزل الكتـــاب والميزان ، وأرسل الرسل ، مـــن أجل اقامـــة العـــدل ، ونصرة الحق ، والناس جميعـــا مكلفون أن يقـــوموا بالعـــدل فى كل شئونهم . ويدلهم على العدل :

ــ مقياس معنوى يبين القيم غير المحسوسة ، ويهـدى اليـــه « الكتـــاب » .

ــ ومقياس حسى يبين القيـــم المحسوســـة ، ويهـــدى اليه : « الميزان » وما أشبهه من المقاييس

التى يكتشفها كل جيل بقدر تجاربه، وتفكيره فى سنن الله الكــونية فى علم : « المقاييس والمواصفات » ٠

والآية الثالثة : تبين جلال أمـر الميزان عند الله وتأمــر بايفــاء « الميزان » بالعدل ، وتنهى عـن الظلم فى « الميزان » ٠

ـ أيجوز أن يقيم الانســان « العدل » فى «الميزان» المحسوس ، وأن يظلم ويخسر فى (الميــزان المعنوى) للقيم ؟

ـ أبهذا يقوم (العدل الالهى)؟

ـ أين التفكير السليم ، والضمير الصاحى ؟؟ ٠

ـ هنا تجىء الآية الرابعة تأمر فى وضــوح بأداء « الأمانات » والحكم بالعدل بين الناس ٠

(ب) رسالة « العــدل » ، فى (الاقتصاد الالهى) ٠

فى قصة رسول الله شـعيب ـ عليه السلام ـ مع قومه « أهـل مدين » وأصحاب الأيكة ٠

(قبل الاســلام)

(أ) « كذب أصحاب الأيكــة المرسلين ، اذ قال لهم شــعيب ألا تتقون ! انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ،وما أسالكم عليه منأجر ان أجرى الا على رب العالمين :

ـ أوفوا الكيل ٠

ـ ولا تكونوا من المخسرين ٠

ـ وزنوا بالقسطاس المستقيم ٠

ـ ولا تبخســوا النــاس أشياءهم ٠

ـ ولا تعثوا فى الارض مفسدين

ـ واتقوا الذى خلقكم ، والجبلة الاولين » ٠

الشعراء ٢٦ : ١٧٦ ـ ١٨٣ ـ وهى سورة مكية ؟

ـ فى نور هذه الآيات :

ـ هنا (الاقتصاد الالهى) فيــه متسع عام ، والى جانب ذلك فيه الضوابط الضرورية (للعــدل الاقتصادى) ، وبدونهــا لابد أن يقع الظلم ٠

ـ والضوابط واضحة فى رسالة « شعيب » عليه السلام :

١ ـ مقياس المحسوســات : المكيال والميــزان ، وما ماثلهما ٠

٢ ـ مقياس القيم المعنــوية : لا يجوز بخسها، ولا يجوز انقاصها

عن حقها العادل بأى وسيلة مـن وسائل الافساد فى الأرض •

ـ هذا هو (الاقتصاد الالهى) قبل الاسلام ، وتلك ضوابطـه العلمية ، بماذا جاء الاسلام ؟

(فى الاسلام)

٣ ـ « قل : تعالوا ، أتل ما حرم ربكم عليكم :

ـ ألا تشركوا به شيئا •

ـ وبالوالدين احسانا •

ـ ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم •

ـ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن •

ـ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصـاكم به لعلكم تعقلون •

ـ ولا تقربوا مـال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلـغ أشده •

ـ وأوفـوا الكيـل والميـزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الاوسعها•

ـ واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى •

ـ وبعهد الله أوفـوا ، ذلكم وصاكم به ، لعلكم تذكرون » •

الأنعام ٦ : ١٥١ ـ ١٥٢ ـ

وهى سورة مكية

ـ وفى نور هـذه الآيات من الرسالة الخاتمة ، نرى التأكيد على ضوابط (العدل الاقتصـادى) بايرادها فى سـياق أهم أركان الاسلام ، ايجابا وسلبا •

ـ مقياس المحسـوسات ، من مكيـال أو ميزان •• يجب ايفاؤه بالعدل بكل ما لدى الناس من وسع

ـ مقياس القيم المعنوية ، يجب أن يكون القول فيه بالعدل ـ ولو ألحق أذى ظاهريا بقريب أو يتيم فقير ، فالله أولى بهما ، ورحمتـه تسع الجميع فى أبواب أخرى من خلال لا ظلم فيه •

ميـزان

« القيمـة العادلـة »

المبيع القيمة

القسطاس المسـتقيم

المبيع : سلعة ، أو خدمة = الثمن : ذهبا ، أو غيره

ــ ما العدل الالهى فى هـــــذا النظام .

ــ ما الضوابط العلمية فى (العدل الاقتصادى) ؟

ــ ما أظن أن منصفا يقرأ ما سبق من آيات الله البينات يستطيع أن يزعم أن هناك خفاء أو تعقيدا أو غموضا ، بعد أن ظهر أن الهدف هو « اقامة العدل » .

ــ والوسائل الى ذلك ، وســـائل علمية ، مما يقع فى طاقة الناس فى كل جيل « لا نكلف نفسا الا وسعها ٦ : ١٥٢ » .

ــ وانظر قول الله ــ عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم، يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة » .

المائدة : ٥ : ٩٥ ــ

وهى سورة مدنية

ــ من أجل التقدير العادل للقيمة يجب تحكيم رجلين عدلين . يحسنان التقدير ، ومعنى ذلك تحكيم :

« الخبرة العلمية النزيهة » .

ــ كما يجب احترام مقتضيات :

« علم المقاييس والمواصفات » .

(ج) آيات الربا

ــ هل تؤكد (اقامة العـــدل الالهى) ، وتقوى ضوابط « العدل الاقتصـــادى » ؟

ــ أو تفتح أبواب الاخســـار ، والبخس ، وقد تقرر اغلاقها قبل الاسلام ، وبعد الاسلام ؟

١ ــ « يا أيها الذين آمنوا : لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفـــة ، واتقوا الله ، لعلكم تفلحون » .

آل عمـــران ٣ : ١٣٠

وهى آية مدنية نزلت فى السنة الثالثة الهجرية (١)

٢ ــ « الذين يأكلـــون الربا ، لا يقومون الا كما يقـــوم الذى يتخبطه الشيطان مـــن المس ، ذلك بأنهم قالوا :

(١) انظر تفسير المنار .. الجزء الرابع منه ؟

ــ انما البيع مثل الربا •
ــ وأحل الله البيع ، وحرم الربا
ــ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ، فله ما سلف وأمره الى الله •
ــ ومن عاد ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون •
ــ يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم •
ــ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون •
ــ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله• وذروا ما بقى من الربا
ــ ان كنتم مؤمنين •
ــ فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ، ولا تظلمون » •

البقرة ٢ : ٢٧٥ ــ ٢٧٩

ــ وآيات الربا هذه نزلت فى السنة الأخيرة من الحياة النبوية الشريفة (١) •

ــ فى نور هذه الآيات :

ــ نقف عند آية (آل عمران) التى نزلت فى السنة الثالثة من الهجرة ، ونلاحظ أنها تنهى عن الربا اذا بلغ « أضعافا مضاعفة » وتسكت عن سواه !؟

ومفهوم ذلك :

ــ أن النهى القاطع لم يتناول مالم يبلغ **« الاضعاف المضاعفة »** ، من أنواع الربا فى تلك المرحلة •
ــ ومعنى ذلك : أن بعض أنواع من الربا ظلت حية قائمة ، معمولا بها فى المبادلات ، والمعاقدات •• عند بعض الناس ، بعد نزول هذه الآية •

ــ ومن الأدلة على ذلك :

١ ــ أن فى آيات البقرة ــ وهى **آخر ما نزل فى أمر الربا** قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقليل ــ

---

(١) نزلت قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة ، انظر تفسير الآيات عند ابن كثير وغيره ؟

مايدل على ذلك ويثبته ، حيث ورد فيها :

« يا أيها الذين آمنوا : اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » .

ـ فحتى السنة العاشرة كانت لا تزال هنالك معاملات ربوية باقية؟

٢ ـ فى السنة السابعة من الهجرة بعد فتح خيبر ، وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم معاملة بأنها «عين الربا» ، فى حديث بلال : (البيع الآخر) .

٣ ـ فى حجة الوداع قال صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع **« ألا ان كل ربا فى الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا : ربا عمى العباس بن عبد المطلب »** (١) .

*

ـ قضية « ما بقى من الربا » الى قبيل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ليست قضية تافهة ، بل هى من أخطر القضايا فى التشريع الاسلامى الاقتصادى ؟

*

ـ بعد فحص الأدلة يتبين أنها « حقيقة » .

ـ والقضية : هى أن هذه « الحقيقة » لم تأخذ حقها من البحث .

ـ وترتب على ذلك ، اقرار افتراضات فقهية غير صحيحة ؟ واستنبطت أحكام على أساس هذه الافتراضات فى غيبة « الحقيقة » ودراستها .

ـ **والنتيجة** : أن ما بنى على غير الحقيقة يكون غير صحيح ، وغير حقيقى !؟

*

ـ علمنا أن (الاقتصاد الالهى) قبل الاسلام ، يحتم الالتجاء الى المقاييس العادلة ، حسيا ومعنويا ، ليصل الى (منع البخس) ؟؟

ـ وأن رسالة الاسلام جاءت

---

(١) رواه أبو داود : الحديث ١٨٢٥ ، وأخرجه مسلم ، وابن ماجه بنحوه ، مطولا ، وأخرجه النسائى مختصرا ، وانظر « بناء الاقتصاد فى الاسلام » ص ١٧٢ ، ١٧٦ ؟ المطبوع بالقاهرة .

مؤيدة لما سبقها من رسالات الرسل وبخاصة رسول (الاقتصاد الالهى) شعيب عليه السلام ؟؟

— فهل فى آيات الربا الخاتمة ما يناقض (العدل الاقتصادى) الذى قرره (الاقتصاد الالهى) السابق !؟ .

— هل فيها ما يرفض (القسطاس المستقيم) أو يقبل (البخس) !؟

* * *

الصحابة بعد الوحى :

— هل أجمع الصحابة على شىء فى معنى « الربا » بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ؟

١ — قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه :

« انا والله ، ما ندرى ؟ لعلنا نأمركم بأمور لا تصلح لكم ، ولعلنا ننهاكم عن أمور تصلح لكم ، وانه كان من آخر القرآن نزولا : آيات الربا فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبينه لنا ؟ فدعوا ما يريبكم الى مالا يريبكم » (١) :

— وروى عنه الامام أحمد : أنه قال : —

« من آخر ما نزل آية الربا ، وان رسول الله صلىالله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها لنا ؟ فدعوا الربا والريبة » (٢) .

٢ — جادل عدد كبير من الصحابة عبد الله بن عباس فى « الربا » وقد احتج عليهم بحديث « أسامة » (٣) .

— ومع ابن عباس عدد من الصحابة ، منهم — :

أسامة بن زيد .

وعبد الله بن مسعود .

وعروة بن الزبير .

وزيد بن أرقم .

وأعيان الفقهاء المكيين ، كما نص على ذلك — :

---

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ : ٥١٩ ، مطبعة دار الاتحاد العربى — بالقاهرة

(٢) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر ٢ : ١٩١ ، مطبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٣) مسلم ج ٥ : ٥٠ « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لابن حجر العسقلانى .. الحديث ١٣٠٢ طبعة الكويت .

الامام الشافعى ، وابن تيمية ، وابن حزم ، وغيرهم (١) .

ــ أهــذا يدل عــلى اجمــاع الصحابة ، أم على اختلافهم ؟؟

ــ هل الحكم فى موضوع (الربا) بعد كل تلك الآيات فى شــــأن (الاقتصاد الالهى) قبل الاسلام وبعده ــ مرجعه الى النصــوص القرآنية ، او مرجعه الى « الاجتهاد الشخصى » ؟؟ .

رسم يوضح الآية الخاتمة

« فان تبتم ، فلكم رءوس أموالكم ٢ : ٢٧٩ »

فلكم رءوس أمــــوالكم

البائع رأس مال .. (رأس مال) المشترى .

(رأس ماله) : سلعة ، أو خدمة = ذهبا ، أو غيره : (رأس ماله) .

« لا تظلمون ولا تظلمــــون ٢ : ٢٧٩ »

حقيقتــــان :

١ ــ « آيات البقرة ٢ : ٢٧٥ ــ ٢٨١ » الخاتمة لأحكام الربا فى السنة العاشرة تدل فى قوة وحســم ووضــوح على مطــابقة الشريعة الاسلامية (للعدل الاقتصــادى الالهى) الــذى ورد فيمـا قبــل الاسلام من شرائع ، وتحرم جميع أنواع الربا ، من حيث القيمة ، لا من حيث الشكل « فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم ٢ : ٧٩ » ولا تكتفى بالنهى عن « الأضعاف المضاعفة ــ كمـا سبق فى آيــة آل عمـران ٣: ١٣٠ » فهى آيــات خــاتمة وناسخة !؟

ــ فمثلهــا كمثــل آية المائدة فى « الخمر ٥ : ٩٠ » حــرمت الكثير

---

(١) اختلاف الحديث للشافعى ــ طبع القاهرة ص ٢٤١ .
ــ رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية ــ طبع القاهرة ص ٣٤ .
ــ المحلى ، لابن حزم ج ٩ : ٥٣٧ مطبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة
ــ المغنى لابن قدامة ــ طبعة القاهرة ١٣٦٧ ج ٤ ، ص ١
ــ وكتابنا « مذهب ابن عباس فى الربا » ٣٢ ــ ٦٣ طبعة دار التراث بالقاهرة .

والقليل فى جميع الأوقات ..
ونسخت آية « النساء ٤ : ٤٣ »
التى وجهت التحريم الى فترات
معينة هى أوقات الصلوات !؟

٢ – الصحابة – رضوان الله
عليهم جميعا – لم يجتمعوا على
كلمة واحدة فى تطبيق ماورد فى
آيات الربا من سورة البقرة
٣ : ٢٧٥ – ٢٨١ ؟؟

– والبحث يبين أنهم انقسموا
الى مواقف ثلاثة – :

أ – موقف المتمسكين بحديث (الأصناف الستة) وهو يمثل مرحلة « ما قبل خيبر » وعلى رأسهم أبو سعيد الخدرى – رضى الله عنه .

ب – موقف الطالبين للبيان النصى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، حيث قال – :

« ثلاث وددت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه : الجد ، والكلالة ، وأبواب من أبواب الربا » (١) .

ج – موقف الذين بلغهم البيان المطابق للآيات الخاتمة ، وللعدل الالهى كما ورد فى شرائع الرسل والأنبياء قبل الاسلام ، وفى مقدمتهم – :

أسامة بن زيد .
وعبد الله بن عباس .
وعبد الله بن مسعود – رضى الله عنهم .

– وهؤلاء : عمدتهم النصوص القرآنية والنبوية ، يقوى بعضها بعضا بلا تعارض ، ولا تناقض ، ولا حاجة الى قياسات باطلة ، وآراء بشرية خاطئة !!؟

* * *

– هل يجوز أن ندعى (اجماعا) للصحابة فى مواجهة النصوص القرآنية والنبوية الواضحة ؟!

– هل يجوز أن يقبل اجماع ليس فيه عمر بن الخطاب وعبد الله ابن عمر !؟

---

(١) قال فى عمدة التفسير : ٢ : ١٩٠ (اخرجه البخارى) ١٠ : ٤٣ (فتح ومسلم ٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢) . طبع دار المعارف بالقاهرة .

اجماع يناقضه : أسامة بن زيد ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهم !؟

ـ هل يجوز أن نعطل نصا قرآنيا ، أو حديثا نبويا صحيحا ناسخا : بحجة أنه لم يعلمه عدد كثير أو قليل من الصحابة رضوان الله عليهم !؟

أو بعبارة أخرى :

ـ هل يجوز أن نحتج بقول من لم يحفظ ، ونجعله حجة على من حفظ ؟!

(ب) النصوص

النبوية :

أولا :

ما عمدة تحريم الربا عند جميع فقهاء المذاهب فى قياساتهم وتفريعاتهم ؟؟

ـ حديث واحد : (حديث الأصناف الستة) وهو يمثل ـ :

المرحلة الأولى : قبل « خيبر » :

١ ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه قال ـ :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والبلح بالبلح : مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فاذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم ، اذا كان يدا بيد . (١)

وفى رواية أبى داود زيادة قوله: « فمن زاد أو ازداد ، فقد أربى » (٢) .

ثانيا :

ألا توجد أحاديث أخرى ؟

ـ بلى ، هناك الكثير ، نذكر منه ـ مما جاء بعد (حديث الأصناف الستة) تعديلا لأحكامه ، وتدرجا الى « التقدير العادل » :

---

(١) بلوغ المرام : الحديث ٦٩٦ ، وقال : رواه مسلم .
(٢) أبو داود ، الحديث ٣٢١٠ ، وقال : اخرجه : مسلم ، والترمذى وابن ماجه بنحوه ، وفى الفاظه زيادة ونقص .
وانظر : (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٥٢ طبع القاهرة .

(حديث البيع الآخر) وهو يمثل :

المرحلة الثانية : مرحلة خيبر ــ :

٢ ــ عن أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ استعمل رجلا على خيبر ، فجاءه بتمر جنيب (وهو صنف جيد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أكل تمر خيبر هكذا ؟ » •

ــ فقال : لا ، والله يا رسول الله ، انا لنأخذ الصاع من هذا (الجيد) بالصاعين (يعنى من الردىء) والصاعين بالثلاثة !؟

ــ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« لا تفعل ، بع الجمع (الردىء) بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا »•

وقال فى الميزان مثل ذلك (١) •

٣ ــ وعن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ قال :

ــ جاء بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم ــ بتمر برنى (وهو صنف جيد) •

(فقال له النبى ــ صلى الله عليه وسلم : « من أين هذا ؟ »•

ــ قال بلال : كان عندنا تمر ردىء ، فبعت منه صاعين بصاع ، ليطعم النبى ــ صلى الله عليه وسلم •

ــ فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم :

« أوه !! عين الربا ، لا تفعل ، ولكن اذا أردت أن تشترى ••• فبع التمر ببيع آخر ، ثم اشتريه » (٢) •

ثالثا :

ثم يأتى بعد ذلك حديث (البيع المباشر) بالتقدير ، بعد حديث خيبر ، وهو يمثل ــ :

المرحلة الأخيرة : قبيل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ــ

---

(١) متفق عليه ـ وانظر كتاب (فتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم) صفحة ٧٠ (الحديث ٨ ــ بيع الردىء بالجيد) طبع مكتبة دار الاعتصام بالقاهرة .

(٢) عمدة الأحكام لابن قدامة ، الحديث ٢٧٠ • طبع القاهرة •

٤ ــ عن أسامة بن زيد ــ رضى الله عنهما :

ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ــ :

« انما الربا فى النسيئة » (١)

٥ ــ وعن أسامة ــ رضى الله عنه :

« انما الربا فى النسيئة ، وما كان يدا بيد فلا بأس » (٢) .

هذه المراحل الثلاثة :

ــ عندما نتجه الى البحث فى النصوص النبوية ينبغى أن يكون أمام أعيننا ما انتهت اليه الآيات القرآنية من نتائج وأحكام .

ــ والترتيب الزمنى له قيمته فى رفع التناقض ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ والأحاديث السابقة هذا ترتيبها :

الأول : (حديث الأصناف الستة) قبل خيبر :

وهو يلزم المسلمين اذا تبايعوا فى صنف واحد من هذه الأصناف ــ الذهب ، والفضة ، والقمح ، والشعير ، والتمر ، والملح ــ أن يتساوى البدلان صاع من التمر الممتاز لا يقابله الا صاع واحد من التمر الردىء .. وهكذا .. فلا عبرة بالجودة ولا قيمة لها ولا امتياز ؟؟

وبالاضافة الى ذلك لابد من التقابض فى هذه الحالة .

وللانسان أن يسأل :

ــ هل من (العدل) أن أعطى صاعا من التمر الممتاز ولا آخذ فى مقابله الا صاعا واحدا من التمر الردىء ؟

ــ الجواب واضح بالنفى .

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وأحمد ، والشافعى ــ أنظر (مذهب ابن عباس) ص ٣٥ طبع دار الاتحاد العربى بالقاهرة .

(٢) رواه الامام أبو حنيفة موقوفا فى مسنده ص ٥٨ (طبعة حلب) .
ورواه الامام الشافعى موصولا « انما الربا فى النسيئة » فقط .
الرسالة للامام الشافعى صفحة ٢٧٨ ، ومسلم ١ : ٤٦٩ ، والبخارى ٣ : ٧٤ ، ٧٥ واخرجه أيضا أحمد ، والنسائى ، وابن ماجه .
انظر (علم العدل الاقتصادى) ص ٩٢ طبعة دار التراث بالقاهرة .

ــ المؤمن المعاصر لذلك الحديث النبوى يقول :

« سمعنا وأطعنا ٢٤ : ٥١ » •

« نهى رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن أمر كان لنا نافعا ، وطواعية الله ورسـوله أنفع لنا وأنفع » (١) ، لأن القيادة النبوية قائمة ، والوحى ينزل ، والحكمة الربانية تسعى ، لتشفى المجتمع من أمراضه الاقتصـادية فى اختلال موازين القيم !؟

ــ ويبقى السؤال بغير جـواب الى حين تأتى :

ــ المرحـلة الثانيـة (مرحـلة خيبر) •

ــ ويأمر النبى ــ صـلى الله عليه وسلم ــ بـ (البيع الآخر) ويتحقـق التفاوت العـادل عن طريقه ، بصورة غير مباشرة ، وهذا أمر معقول ، أن يكون للممتـاز من كل صنف تقـديره العادل اذا قوبل بنظـيره من الردىء دون بخس لأحدهما !؟

ــ وينتهى سؤال المؤمن المعاصر للوحى •

ــ ويبقى سـؤال :

١ ــ لابد أن للحظـر النبوى فى المرحلة الأولى حكمة ؟ ماهذه الحكمة يا ترى !؟

٢ ــ لمـاذا لا ترعـون فى تفريعات أحكامكم الفقهية حديث (البيع الآخر) ؟ أنه يحقق العدل فى التبادل بطريقة غـير مباشرة ، وهو فى تاريخ متأخر !؟

٣ ــ وأخيرا ، يكـون سـؤال ثالث :

ــ اذا كان المقام النبوى قـد أمر بالبيع الآخر ، رعاية للتقدير العادل ، •

ــ فلماذا لا يسمح بالبيـع المباشر مع ملاحظة (التقـدير العادل) أيضا ؟؟

ــ وهو سؤال منطقى ومعقول

---

(١) أبو داود فى حديث رافع بن خديج ٣٢٢٥ ، واخرجه مسـلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، انظر (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٤٣ طبعـة بالقـاهرة •

ــ وهو ما يحققه حديث :

ــ **المرحلة الاخيرة (حديث البيع المباشر) .**

« لاربا الا فى النسيئة » .

ــ أما التفاضل بين أفراد الصنف الواحد ، تبعا للجودة والرداءة بالعدل ، فهو الأمر المشروع العادل ، وذلك مع التقابض فى حالة البيع .

ــ ما الفرق بين (المرحلة الثانية) و (المرحلة الاخيرة) ؟؟

ــ أنه فى شىء واحد : تقدير التفاوت بطريق (البيع المباشر) دون لجوء الى توسيط (البيع الآخر) ؟؟

ــ هل تناقض أحاديث المراحل الثلاثة ما انتهت اليه النصوص القرآنية ، من وجوب التساوى المالى بين البدلين بالطريق العادل دون بخس ؟؟

ان التناقض يأتى عند الاخلال بحق الترتيب التاريخى للاحاديث النبوية ؟؟ .

ــ أما بعد العثور على أدلة الترتيب التاريخى بين هذه الاحاديث : فقد زال التناقض ، وأصبحت النصوص القرآنية والنبوية مترابطة يعضد بعضها بعضا فى تدرج ، يرفع صرح (العدل الاقتصادى) .

ــ ويحمى (القيمة العادلة) .

ــ ويحارب : البخس ، والظلم والغبن !؟

رابعـــا :

أليست هناك أحاديث أخرى فى موضوع : « الربا » !؟

ــ بلى ، كثيرة !؟

ــ ولكن اهتمامنا كان كبيرا بتوضيح المراحل الثلاثة المتقدمة ، لأن عدم اكتشافها كان سببا فيما رآه الفقها من تناقض بين الاحاديث ، بعضها وبعض من جهة وبينها وبين النصوص القرآنية من جهة ثانية ؟؟

٥ ــ والآن : نذكر بعض الاحاديث الأخرى :

٦ ــ عن عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

« الربا : ثلاثة وسبعون بابا ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه

وان أربى الربا عرض الرجل المسلم » (١) .

٧ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليأتين على الناس زمان لايبقى أحد الا أكل الربا ، فان لم يأكله أصابه من بخاره » (٢) .

ـ وفى رواية : « من غباره »

٨ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يأتى الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » (٣)

ـ وهناك أحاديث كثيرة تمنع صورا من البيوع ، ومسالك فى التجارة ، لأنها تخل (بالقيمة العادلة) وتسمح بالبخس ، وهو ربا .

تذكر أمثلة منها :

٩ ـ عن حكيم بن حزام ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « البيعان بالخيار مالم يفترقا ، فان صدقا وبينا ، بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا : محقت البركة من بيعهما » (٤) .

ـ وتأمل العقوبة : انها « المحق » وهو عقوبة « الربا » .

١٠ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم **القيامة** » .

---

(١) بلوغ المرام : ٦٩٤ وقال : رواه ابن ماجه مختصرا ، والحاكم بتمامه وصححه ، وقال فى عمدة التفسير ٢ : ١٩١ : « صحيح على شرط الشيخين » ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى » وانظر (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ١٥٦ . طبعة القاهرة .

(٢) رواه أبو داود : الحديث ٣١٩٠ ، ٣١٩١ ، وأخرجه النسائى وابن ماجه وانظر (مذهب ابن عباس فى الربا) ٨٤ ، ٨٥ طبعة دار التراث بالقاهرة .

(٣) تهذيب سنن أبى داود ، أورده ابن القيم ٥ : ١٠٧ ـ انظر (مذهب ابن عباس فى الربا) ص ٨٥ .

(٤) أخرجه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ٠٠ الحديث ٣٣١٤ ع والترمذى ، والنسائى ـ (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٦٢ طبع القاهرة .

ـ رجل منع ابن السبيل فضل ما عنده .

ـ ورجل حلف على سلعة بعد العصر ـ يعنى كاذبا .

ـ ورجل بايع اماما ،فان أعطاه وفى له ، وان لم يعطه لم يف » .

وفى رواية : « ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » .

ـ وقال فى السلعة : « بالله لقد أعطى بها كذا وكذا ، فصدقه الآخر فأخذها » (١) .

١١ ـ عن قيس بن أبى غرزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان التجار هم الفجار ، الا من بر وصدق » (٢) .

ـ فكل تاجر فاجر الا اذا صدق فى اعطاء البيانات الصحيحة عن سلعته ولم يضطر المشترين بأى وسيلة كى يدفعوا له ثمنا أكثر من (القيمة العادلة) .

ـ وان هذا ليبين لنا اهتمام المقام النبوى الشريف بالنشاط الاقتصادى ، فى الأسواق وفى غير الأسواق ؟؟

وأخيرا :

يجب أن نشير فى هذا المجال الى أن السنة النبوية حرمت صورا من البيوع لما فيها من الاخلال بضوابط (القيمة العادلة) مثل :

النجش ، بيع المضطر ، بيع الحصاة ، الدابة المصراة ، بيع الحاضر للبادى .. الخ .

ـ لماذا حرمت هذه البيوع ؟؟

* * *

ـ هل نجد فى النصوص النبوية ما يتناقض بعضه مع بعض ، بعد اكتشاف الترتيب التاريخى ، وظهور الناسخ المحكم ؟

---

(١) أخرجه البخارى ، ومسلم ، ورواه أبو داود ، الحديث ٣٣٢٨ ، ٣٣٢٩ ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٦٢ طبع القاهرة .

(٢) وقد نصت على ذلك آيات المطففين : « كلا ان كتاب الفجار لفى سجين ٨٣ : ٧ » وانظر كتابنا « الاقتصاد الاسلامى » ص ٣٢ طبع الخانجى بالقاهرة .

ــ هل نجد فى النصوص النبوية ما يتناقض بعضه مع بعض بعد اكتشاف الترتيب التاريخى ، وظهور الناسخ المحكم ؟

ــ هل نجد أحكاما فى السنة النبوية ــ بعد هذا ــ تخالف نصا قرآنيا ؟؟

ــ هل نجد فى الشريعة الاسلامية ما يخالف الأساس الذى قامت عليه الرسالات الآلهية قبل الاسلام ؟؟

ــ أليس (العدل الاقتصادى) و (القيمة العادلة) فى مقام التقدير والاحترام فى جميع النصوص المحكمة ؟؟

ــ هل يجوز الاجتهاد عن طريق (القياس وعلله) مع وجود هذه النصوص ؟؟

حكم الربا :

ــ هل تخالف حقيقته فى الشريعة الاسلامية .

حقيقته فى الشريعة الالهية ؟؟

الفكر الفقهى

ــ سبق أن عرفنا أن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ كانت لهم مواقف ثلاثة من (الربا) * .

١ ــ موقف المتمسكين بحديث المرحلة الأولى .

٢ ــ موقف طالبى البيان .

٣ ــ موقف الذين علموا البيان النبوى فى حديث : (البيع المباشر) مع رعاية (القيمة العادلة) .

ــ فماذا فعل أئمة الفقه ؟

ــ انحازوا الى الموقف الأول .

ــ وأهملوا الموقف الثانى .

ــ واعترض عليه الامام ابن حزم وانتقد الخليفة عمر ابن الخطاب ، قال :

حاش لله ! من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين الربا الذى توعد الله فيه أشد الوعيد والذى أذن الله تعالى فيه بالحرب **

(*) انظر صفحة ١٧ ــ ٢٥ الماضية .

(**) يعنى بذلك قول الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا : اتقوا الله .. وذروا ما بقى من الربا .. ان كنتم مؤمنين .. فان لم تفعلوا .. فأذنوا بحرب من الله ورسوله .. وان تبتم .. فلكم رءوس أموالكم .. لا تظلمون ولا تظلمون ٢ : ٢٧٨ ، ٢٧٩ » .

« ولئن كان لم يبينه لعمر ، فقد بينه لغيره (يعنى حديث الاشياء الستة) وليس عليه أكثر من ذلك ،ولا عليه أن يبين كل شىء لكل أحد ؟؟

ولكن اذا بينه لمن يبلغه ، فقد بلغ ما لزمه تبليغه » (١) .

ـ كلامه كله صواب ، عدا حسبانه أن عمر لم يكن يعلم بحديث (الأشياء الستة ..) المشهور ، مع أن عمر ـ رضى الله عنه ـ من رواة هذا الحديث وحفاظه ، وقد نص على علمه بذلك ابن حزم نفسه فىموضع آخر (٢)

ـ والحقيقة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه لما شاء الله من الصحابة ومنهم « أسامة » الذى بلغه لابن عباس وحديث أسامةهو البيان الذى ينسخ المرحلة الاولى ويمثل المرحلة الأخيرة ؟؟

ماذا فعل الفكر الفقهى بعد ذلك ؟

لم يكتف بما فعل تجاه الموقف الثانى من مواقف الصحابة ، وانما انتقل الى الموقف الثالث ، فرماه بالتناقض من ناحية ، ثم ادعى أن الصحابة أجمعوا على حديث « الاصناف الستة » من ناحية أخرى وأن ابن عباس خرج عن الاجماع .

ـ أما التناقض : فقد تم دفعه بالتاريخ ، واثبات أن الاول منسوخ بالاخير ؟؟

ـ واذا وجد النص ، فهل يجوز الاجماع على خلافة ؟؟

*

وأين الاجماع ! ؟

ـ قال الامام ابن حزم :

« وأعجب شىء مجاهرة من لا دين له بدعوى الاجماع على وقوع الربا فيما عدا الاصناف الستة المنصوص عليها ، فكيف فى غيرها ؟؟

أو ليس ابن مسعود ، وابن عباس يقولان : لاربا فيما كان يدا بيد؟؟ وعليه كان عطاء ، وأصحاب ابن عباس ، وفقهاء أهل مكة (٣) .

---

(١) المحلى لابن حزم ٩ : ٥١٩ طبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة .
(٢) المحلى لابن حزم ٩ : ٥٣٩ أول المسألة ١٤٨٢ .
(٣) المحلى لابن حزم ٩ : ٥٣٧ طبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة .

ـ ولكن الفكر الفقهى تغـاضى عند التدوين ، فلم يعط لمذهب ابن عباس حقه ، بل تصدى لمهاجمتـه وتشويهه بغير برهان ولا دليل .

ـ أصبح حديث المرحلـة الاولى هو الركيزة الاساسـية فى تحريم الربا ، عند الفكر الفقهى :

ـ فهل يحرم التفاضل فى هذه الاشياء الستة وحدها ؟؟

أم يجعلها أصلا ، يلتمس علته عن طريق الاجتهاد القياسى ؟

ـ التزم الظاهرية بالاتجـاه الأول .

ـ وعمل آخـرون بالاتجاه الثانى .

ـ ولكن : ما العلة التى يقاس عليها ؟؟

ـ اختلفوا فى ذلك الى نحـو عشرة مذاهب (١) .

*

ـ هل أجمع فقهاء المذاهب على سلامة هذا الطريق ؟

ـ كلا ! بل ظهر المنتقـدون ، ومنهم :

امام الحـرمين الجـوينى الشافعى ، حكى قول الغـزالى ، قـال :

«والمختار : أن العللقد تزدحم على حكم واحد :

ويعلم أن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فى اشـتوارهم ، كـانت تتشعب آراؤهم الى مصالـح متظاهرة ، ولا يشتغلون بالترجيح؟

ـ ومسألة الربا ، ليست معللة عندنا ، ولاهى مجمع عليها ، ولكن كل اعتقد أن علة خصمه باطلـة ، لاتستعمل ، ولذلك لم يجمعـوا ، ومسالك الترجيح فيها باطلة »(٢)

ـ ومنهـم : ابن عقيـل الحنبلى (٣)والامام الصنعانى (٤)

---

(١) فصلها ابن حزم فى المحلى ٩ : ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ولخصـناها فى كتابنا (علم العدل الاقتصادى) ١٠١ ـ ١٠٩ طبعة دار التراث بالقاهرة .

(٢) المنخول للغزالى ٣٩٣ .

(٣) اعـلام الموقعين لابن القيم (٢ : ١٥٥ ، ١٥٦) طبعـة امبابى بالقاهـرة .

(٤) سبل السلام للأمير الصنعانى ٣ : ٥٤ طبعة مصطفى محمد ١٩٥٣ باب الربا .

فهم يرون أن علل الفقهاء : باطلة أو ضعيفة ، أو غير منصوصة (١) .

— ومع ذلك ، فان ممن استخدموا (الاجتهاد القياسى) من وصل الى علة تماثل فى نتائجها — عند التطبيق — ما يؤدى اليه النص الذى تمسك به ابن عباس :

— ابن الماجشون : يرى أن العلة هى (المالية) فكل مالين — عند التبادل — لابد من التساوى بينهما فى (المالية) سواء كانا نوعا واحدا ، أو أنواعا ، دفعا للغبن عن البائع والمشترى (٢) .

— ولكن ، أين من انتفع بمذهبه ؟؟

— ولماذا لايكون رأى ابن الماجشون هو الصواب فى القياس لو لم يكتشف الناسخ فى النصوص النبوية ؟؟

ويصبح الأصل الذى تدور عليه (المعاملات) هو :

— اقامة العدل .

— حماية القيمة العادلة .

— تحريم البخس .

— اعطاء كل ذى حق حقه .

بالميزان العادل ، والتقدير العادل .

— تحريم الربا .

— وبالجملة : اقامة : العدل الاقتصادى !! ؟

نسائل أنفسنا ! ؟

ونستفتى :

— هل يجوز أن نظل نحكم فى أمور (معاملاتنا) اجتهادات بشرية ، تختلف فيها الآراء ويجتهد كل فقيه برأيه هو ، وتنقسم المذاهب الى عشرات ، يضيع فيها الحق ، ولاتطمئن ضمائر المسلمين على تمييز الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، وليس رأى بأولى من رأى ، ولا اجتهاد بأولى من اجتهاد ؟؟

— هل يجوز أن يستمر ذلك ، ونترك الآيات القرآنية الواضحة الأحكام ، .

---

(١) (علم العدل الاقتصادى) ١٠٤ — ١٠٦ طبعة دار التراث بالقاهرة .

(٢) بداية المجتهد لابن رشد الأندلسى .. ج ٢ ص ١٠٨ طبع الخانجى بالقاهرة .

ـ ونترك الاحاديث النبوية الناسخة المحكمة ، لنخرج الى آرائنا وآراء البشر ؟؟

ـ ولا حجة لنا الا أن نقول : ان فقهاءنا المجتهدين ـ رحمهم الله ـ : قد كفونا ، وبذلوا الجهد؟

ـ ألا يجوز أن يكونوا ـ وهم جميعا بشر غير معصومين ـ قد خفى عليهم الأمر بسبب من أسباب الخفاء التى نص عليها شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته الجليلة « رفع الملام عن الائمة الاعلام » وقال فيها :

« .. فلا يجوز أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم ـ الى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه مايدفع به الحجة ، وان كان أعلم ، اذ تطرق الخطأ الى آراء العلماء أكثر من تطرقه الى الادلة الشرعية .

ـ فان الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباده بخلاف رأى العالم » .

وقال أيضا :

« وليس لأحد أن يعارض الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بقول أحد من الناس ،كما قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ لرجل سأله عن مسألة فأجابه عنها بحديث .

فقال له : قال أبو بكر وعمر .!

فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء !!

أقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وتقولون : قال أبو بكر وعمر !؟ (١) .

ـ السابقون لهم عذرهم ،ولهم أجر اجتهادهم !! ولكن : ما عذر من تبين لهم النص القرآنى الواضح فى أن يتركوا العمل به ؟ وما عذر من تبين لهم الحديث النبوى الناسخ المحكم فى أن يتركوا العمل به ؟؟

*

---

(١) انظر « الرسالة » المذكورة (رفع الملام .. عن الأئمة الأعلام) صفحات ٢١ ـ ٢٣ .

— هذا هو محل (الاستفتاء) يتوجه الى ضمير كل فقيه أمين على علمه ودينه :

(قضية الربا) :

— **هل** نجد حلها فى النصوص القرآنية .

والأحاديث النبوية ؟

— أو نستمر ندعى : أنه لا حل لها الا فى الآراء البشرية التى تقدمها الاجتهادات المنسوبة الى الفقه المذهبى !؟

* * *

— أيها السادة العلماء والفقهاء:

— ستظل كلمة الله هى العليا.

— سيظل القرآن ونصوصه الواضحة تتحدى .

— ستظل الأحاديث النبوية الناسخة تتحدى .

*

— من وجد طريقا مستقيما ، فمن الأمانة أن يعلنه ، حتى لا تتحمل الكافة حرج الحيرة ، وضعف الحياة ، ويتحمل هو اثم الكتمان ، ووزر العصيان !؟

— أما ان كان الحق فى النصوص القرآنية والنبوية كما اتضح من (مذهب ابن عباس) فانه لايجوز لذى رأى من أهل الفقه والعلم أن يضن بنصره ، ويجهر بتأييده حسبة لوجه الله ، وخوفا من عقابه ؟؟

*

أيها السادة العلماء : —

— فليذكر بعضنا بعضا بقول الله عز وجل : —

« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون ؟؟؟ الا الذين تابوا وأصلحوا ، وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم ٢ : ١٥٩ ، ١٦٠ » .

وأمثالها من الآيات الكريمة .

* * *

— ويقول حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم : —

« من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

وبأمثاله من الأحاديث النبوية الشريفة .

* * *

« ان اللـــه يأمركم أن تـــؤدوا الأمانات الى أهلهـــا ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعـــدل ، ان الله نعما يعظكم به ، أن الله كان سميعا بصيرا ٤ : ٥٨ » .

« يأيها الذين آمنوا : لا تقدموا بين يدى الله ورســوله ، واتقـــوا الله ، ان الله سميع عليم » .

« يأيها الذين آمنوا : لا ترفعوا أصـــواتكم فوق صـــوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضـــكم لبعض أن تحبط أعمالكم ، وأنتم لا تشعرون ٤٩ : ١ ، ٢ » .

« وسع ربنا كل شىء علما ،على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين ٧ : ٨٩ » .

قضـــايا خطيرة

وبعد الاستقرار على اتبـــاع **(هداية القـــرآن والســـنة) فى** (تحريم الربا) : ــ

ــ فان امام السادة العلمـــاء ، والفقهاء ، والاقتصاديين ، وحكام المسلمين ــ قضـــايا خطـــيرة يجب التنبه لها واعـــداد الاجـــراءات السليمة لحلها ، حفاظا على الثروة الاقتصادية فى جميع بلادنا .

ما هذه القضايا ؟

ــ سوف يصحو الضمير المؤمن ، المراقب لله عند كثير ممن حازوا أموالا محرمة من الربا ، ومن فائض القيمة بصورهما المتعددة ، ويريدون التخلص منها !! ؟

ــ ماذا يفعلـــون ؟؟

ــ أين البرامج الاقتصادية : فى الزراعة ، والصـــناعة ، والبنـــاء ، والخدمات المختلفة : لا عادة ثمرات هذه الأموال الى جميع أبنـــــاء الأمة ، كل بقدر حقه ، كل بقـــدر عمله الحلال !؟

ــ هنا : تكون المسئولية مشتركة بين الجميع ، ولكن هناك من عليه نصيب أكبر ؟ وهم : ــ

* حكام المسلمين فى كل مكان .
* والاقتصـــاديون المؤمنون المخلصون للعدل !

* أما أكثـــر أولئك فضـــلا ، وأقربهم الى الله ، وأعظمهم ثوابا فهم : ــ

ـ الأغنياء الـذين يسـتيقظ ايمانهم ، فيحاسـبون أنفسـهم ، ويعرفون أن المال الحـرام الـذى كسبوه : هـو نار جهنمية تحيط بهم (١) وبأولادهم فيتقـدمون لتسليمها ، متطهرين من آثامها فى شجاعة المؤمن التقى !!

« .. الا من تاب وآمن وعمـل عملا صالحا ، فأولئك يبدل اللـه سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما .

ومن تاب وعمل صالحـا ، فانه يتوب الى الله متابا ٢٥ : ٧٠ ، ٧١ »

زيدان أبو المكارم حسن زيدان



(١) ورد فى تقرير وزير التخطيط المصرى : ان بضعة آلاف من الناس جمعوا من المال الحرام ، ومن فروق الأسعار ، فى ثلاث سـنوات (١٩٧٣ ــ ١٩٧٦ م) نحو ١٫٠٠٠ ألف مليون جنيه (الأهرام ١٩٧٧/٩/٩ م) ، فهـل حسبت ذلك البلاد الأخرى ! ؟

الإسلام والحضارة

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

مفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما فى تاريخ الحياة العربية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة فى اللغة العربية أنها : تعنى حياة الحضر والاقامة الثابتة فى المدن والقرى ، عكسها (البداوة) وهى حياة التنقل فى البادية ، ولقد عرف الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر ، منذ كانت بادية ومنذ كان حضر .

ولكن أول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة الواعية والتسجيل والتحليل العلمى .. هو عبد الرحمن بن خلدون ، بل ان هذا العالم هو أول من عالج شئون الحضارة العربية بطريقة علمية تحليلية .

على أنه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على أنها : ذلك النمط من الحياة المستقرة والذى يناقض البداوة ، فينشىء القرى والامصار ويضفى على حياة أصحابها فنونا منتظمةمن العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وادارة شئون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية .

اذا كان ابن خلدون بلور هذا المعنى التاريخى واعتبر الحضارة غاية العمران ،فان مفهوم الحضارة فى عصرنا قد امتد الى ألوان من المعنى هى ابعد وأوسع مما رآه ابن خلدون فى عصره ، وفى بيئته العربية فى انتقالها الاجتماعى والسياسى والثقافى والمدنى من البادية الى الحضر .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ (مدنى) بمعنى (اجتماعى) فان مفهوما آخر ظهر واتصل بها وأصبح الأن يعرف بالمدنية بل ان ابن خلدون ذاته كان سباقا أيضا فى هذا المجال اللفظى فاستعمل صيغة التمدن وكان يعنى بها (التحضر) .

على أن تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت فى بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا فى جهات قليلة جدا خارج عالمنا العربى ولذلك فان لفظ الحضارة فى مفهومه العالمى ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعا مما كان يدل عليه فى مفهومه اللغوى التقليدى .. واذا كان أصل الحضارة الاقامة فى الحضر. فان المعاجم اللغوية الحديثة ، ترى أن الحضارة هى الرقى العلمى ، والفنى والأدبى ، والاجتماعى فى الحضر .. وبعبارة أخرى أكثر شمولا ، هى : الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر ، ومجموع الحياة فى أنماطها المادية والمعنوية ، ولهذا كانت الحضارة هى : الخطة العريضة ــ كما وكيفا ــ التى يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم ، ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة .. ومنها الاطوار الحضارية الكبرى ، التى تصور انتقال الانسان أو الجماعات ، من مرحلة الى مرحلة .

والحضارة باختصار شديد هى جملة المظاهر المعنوية التى يخلفها التاريخ والتى تبقى فى المجتمع على مر الايام دليلا على القدرات الذهنية المميزة ، وتعبيرا عن روح هذا المجتمع والشعب الذى يمثله . ولا شك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات ، وتتشكل المظاهر المعنوية فى صور مختلفة كالفنون والأداب والعلوم والمعارف ، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد فى الأثار والعمائر وأسلوب الحياة وآداب المعاش اليومى وتقاليد المجتمع فى التقارب والتفاهم والتعايش .

والمدنية هى الوسائل والأدوات

المادية التى يستعين بها الانسان على تحقيق حضارته وهى العديد من الاشياء والأدوات المادية التى تعين الانسان على التقدم فى مضمار الحضارة واذا كانت الحضارة هى الابداع فى مجالات الفنون والمعارف والعلوم فالمدنية هى السبيل الى تذليل الصعاب الحضارية والأدوات المادية التى تبلغ بها الحضارة مستوى الابداع والتقدم • وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها أمكنها أن تحقق ألوانا من الفن والابداع الذى تسجله الحضارة فى جملة مظاهرها المعنوية •• وقد تؤدى الماديات المختلفة الى رفع مستوى التقدم الحضارى • وقد تؤدى الى تخلفه وانحداره • والذكاء الانسانى فى مجال استخدام الماديات هو الحكم فى توجيه هذه الماديات فاما أن يسير بها سيرا حثيثا نحو الابداع والتألق والتقدم • أو أن يهبط بها الى مجال العبث والفساد والتدهور •• واما أن تسيطر القيم الروحية العالية على هذا الذكاء فتحدد مساره وتربطه بأهداف انسانية عالية •

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية ، فان الواقع يبين للباحث والمفكر ، والدارس ، أن الحضارة الاسلامية استمدت كل مقوماتها وعناصر وجودها ، وأسباب نمائها وازدهارها •• من الاسلام ذاته •• والاسلام كان ولايزال دين الحضارة والانسانية ، بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة وانه انشأ لونا من الحضارة ، عرف باسمه ، وهو الحضارة الاسلامية •

وقد قامت الحضارة الاسلامية ، على دعائم أساسية ، جعلت منها حضارة عالمية متميزة ، وفريدة فى تاريخ البشرية •• ومن ذلك •

أولا : أن الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة والشىء المهم فى هذه القوة الفاعلة • أنها كانت اصلا جذريا

ثانيا : ان الاسلام كان دين دعوة ••وفكرة الدعوة فى الاسلام •• قد وائمتها ظروف الانتشار فى

النطاق العالمى ، وفى ظلال الدعوة المستمرة تمكن الاسلام من نشر طابعه الحضارى ، كعقيدة للحياة ، وأن يصبح فى أقل من ربع قرن ، مقوما أساسيا من مقومات الحضارة الانسانية .

ثالثا : كان الاسلام دينا سهلا غير معقد ، ولا مركب فى عقيدته ، وكان فى الوقت ذاته دينا مباشرا ، يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم »

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب »

ولا نجد عقيدة تطلب من الانسان شهادة أبسط من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها : **« لا اله الا الله محمد رسول الله »** .. عبارة سهلة رائقة .. تقف بالعاقل على عتبة الدخول فى الاسلام ، موقفا سهلا والمقوم الاصيل فى هذه البساطة ، أن القرآن الكريم هو الوعاء الأساسى للعقيدة كلها .

رابعا : كان الاسلام دينا رحبا يدعو الى سبيل العقل ، فى حدود أصول العقيدة كما يدعو الى سبيل الضمير ، والحق .. ومن هنا كانت الدعوة الى النظر ، والى المعرفة ، أساسا من أسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة .

والاسلام فى رحابته الحضارية ، استطاع أن يمتص الوان الحضارات فى البلاد التى أوقد فيها قناديل الضياء وأن يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا ..

خامسا : البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافى ، قد ساعدت على اعطاء الحضارة الاسلامية ، ما كان لها من طابع ، ومن مكانة ..

سادسا : القرآن الكريم ذاته . وذلك أن القرآن كان أعظم ما عرفته الانسانية فى تاريخها الممتد الطويل .. وقد تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى السليم . تنشده الانسانية فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية والعلائق الأسرية ، والمعاملات الاقتصادية والحربية ، والقوانين

المدنية ، والانظمة الدولية وبعبارة أوجز ... تجد فيه الامة كل ما تحتاج اليه فى حياتها العامة والخاصة والدين والدنيا .

سابعا : اللغة العربية نفسها كانت دعامة من دعائم الحضارة الاسلامية وذلك لانها أعرق اللغات منبتا وأعزها جانبا ، وأقواها جلادة وأغزرها مادة وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا عما يجول فى النفس .

وعندها من المرونة على الاشتقاق والقبول للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب . ما يمكنها من الاستمرار فى عطائها ، نزل القرآن بلسانها فجعلها أكثر رسوخا وأشد بنيانا ، وأقوى استقرارا ، وبفضل القرآن صارت العربية أبعد اللغات مدى ، وأوسعها أفقا ، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذى تعيشه الانسانية واستطاعت العربية فى ظل عالمية الاسلام ، أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتقى حتى تصل أرقى اختلاجات النفس ، وليس هناك معنى من المعانى ، ولا فكر من الافكار ، ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية علمية من النظريات ، تعجز اللغة العربية عن تصويره بالاحرف والكلمات ، وتجسيده داخل الكلمات .

ثامنا : وبجانب هذا وذاك ، كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية ، تتصل بالعصر الذى ظهر فيه الاسلام ، ثم بالعنصر البشرى .. والتكوين السكانى ، فاما عن العصر ، فقد كان الاسلام ختام الأديان السماوية ، وكان الاسلام بذلك رباطا لها من الناحية التاريخية ، كما كان فى الوقت ذاته تصحيحا لها ، لما أصابها من تخريف الفلاسفة والوثنيين .

ولقد كان هذا كله ، قوة دفع للفكر الاسلامى ، وما اتصل به من حضارة ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامى على قوة غلبت كل التحديات الجاهلية فانتشر طابع الحضارة الاسلامية على فعالية لم يعرف لها مثيل فى تاريخ الانسانية.

تاسعا : ومما يذكر ان ترسيخ معالم الحضارة الاسلامية ، قد

تضاعف بفعل مقوم انسانى آخر ، وهى تنوع السلالات التى دخلت فى الاسـلام ، ثم هنـاك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل ، وهى ظاهرة الاتصـال والاستمرار الزمنى فى الحضـارة الاسـلامية .

.. ومن وراء كل ذلك هنـاك الايمان بالله فهو القـوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيف من ان يسقط ، وتمسك القـوى مـن أن يجمع وتعصم الغالب من أن يطغى وتمنع المغلوب من أن ييأس .

ولئن كان الاسلام قد أمتاز بأنه دين الحضارة الانسانية من حيث تقديس حرية الفكر واعزاز حرية الانسان وكرامته وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بـين الناس فى ظلال اخاء شـامل وعـدل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثـل العليا والقيم الأخلاقية السامية .

فان واقع الأمـر يبين لنـا أن الحضارة الاسـلامية اسـتمدت مقوماتها وعناصر وجـودها مـن الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قـد سبقه فىجزيرة العرب وما جاورها حضارات أقـدم منه كما سـبقته أيضا فى البلاد التى انتشر فيهـا الوان من الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والآشـورية والبابلية والاغريقية .

فان الاسلام استطاع أن يضفى على البلاد التى شملها لونا عظيما من الفكر الدينى والحياة والمعاملات والعلاقات الانسـانية الاجتماعية والسياسية والاقتصـادية حتى أصبح هناك قدر حضارى مشترك بين المسـلمين فى مختلف الاقطار وبلاد الدنيا ..

وهذه الحضارة الاسلامية تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحى رسالة السماء التى تمـدها بالروح والقوة والتماسك وتوجهها الى الموازنة بين مقاصـد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهـد المعطل للعمل وعن المادية الجامعة المفسـدة ..

فهى فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالعبـادة

والتنظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة •

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل أسباب القوة والمنعة •

وفى نظامها الأخلاقى تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق والتزام الاداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالبشرية الى الكمال والسلام •

وفى نظامها الاجتماعى تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على أساس من المودة والرحمة والاخلاص وتعاون المواطنين على الخير والبر وقيام كل راع بمسئوليته •

وفى نظامها الاقتصادى تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية •

وفى نظامها التشريعى تقوم على أصول رئيسية واسعة وقد تمثلت هذه الناحية فى ثروة من الفقه الاسلامى تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى •

وفى نظامها الثقافى تعتمد على طلب المعرفة من كل طلب ممكن ومن أى مكان واستخدام العقل فى كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للانسانية ونستطيع أن نصل الى ان الحضارة الاسلامية •

ــ وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة •

ــ انقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى وانهيار واضطراب فى الحضارة واستعباد وظلم اجتماعى •

ــ أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى اسمى صورها وأصفاها ومجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع •

ـ أعطت الانسانية ذخـــيرة ضخمة من المعارف أفاد منها الغرب فى عصر الاحياء والنهضة واعتمد عليها العالم العـــربى فى يقظته الحديثة فى بناء نهضته المعاصرة .

ـ وضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث ـ كطريقة الشك عند (الغزالى) كما فتحت آفاقا جديدة فى البحـوث الانسانية ـ كفلسفة التاريخ عند (ابن خلدون) وعلم البصريات على يد (ابن الهيثم) وابتدأت مرحلة جديدة فى تطـور علوم الرياضة على يد (الخوارزمى) وعمر الخيــام .

ـ ساعدت بآدابها على نهضـــة الآداب فى أوربا وفتح آفاق جديدة أمام شعراء الغرب وكتابه .

ـ ساعد خلفاؤها وقادتـــها ـ بسلوكهم الأخلاقى وبنمـــاذج المروءة والشرف التى تحلوا بهـــا على اشاعة المثل الاخلاقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهـــم فى السلم أو فى الحرب .

ان من يمعن النظر .. فى أعماق الحضارة الاسلامية ، وما حققته للانسانية مـــن أسـباب النمـــو ، وعوامل الازدهار .. ويلم بما جاء به الفكر الاسلامى ، مـــن مفاهيم تناولت أهم معضلات الحياة .

ان من يتعمق فى ذلك .. يدهشه مدى عمق التفكير الواعى ، الذى بلـــغ ذروته علماء الاســـلام .. ويتضاعف اعجاب الباحث ، بهـــذا الفيض الزاخر من الجهود العلمية العظيمة التى ملأت الدنيا ..

وتزداد دهشة المفكر ، ويتعاظم تمجيده ، لحركة التحول الخطيرة التى أصابت المجتمع العربى ، فى تلك الفترة القصيرة ..

ترى .. أى سر هـــذا الـــذى استطاع أن يحول عرب الصحراء الى أساطين فى العلم ، ومشاعل فى الحضارة ، وأفذاذ فى المعـــرفة ، ومنارات فى الثقافة ؟ وأى قـــوة رفعت العرب من حال البداوة التى كانوا عليها ، الى أبطال وقادة ، غير هيابين ولا وجلين ؟ .

وتـــرى .. كيف نفسر سرعـــة تطور العرب من الجاهلية الجهلاء ، الى الحضارة العلياء ، فى أقل مدة عرفتها الانسانية ؟ .

تقول الكاتبة الالمانية الدكتورة (سيجريد هونكه) : « ان هـذه الطفرة العلمية الجبـارة ، التى نهض بها أبناء الصحراء ، من العدم ، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية ، فى تاريخ العقل البشرى » .

وليس من المعقول فى نظر المفكر .. والباحث ، والدارس .. أن يطفر الفكر العربى الذى قيدته ظروف الحياة القبلية الآسـنة اليبوس ، الى مثل هـذه المرتبة العالية ، دون أن تكون هنـاك الأسباب القوية التى دفعت بـه الى الحياة المتحركة دفعا .

ومن المسلم به ، أنه لم تظهر قبل الاسلام .. أية دلائل عـلى التطـور الفكرى مـن العـرب المنتشرين فى الجزيرة العربية .. وكان الشعر ، والخطابة والتنجيم أحب شىء الى عـرب الجاهلية ، اذن .. ما هى تلك الاسباب التى استقى منها الفكر العربى ، مـادة هيويته ، وتطوره ؟ وما هى الموارد التى نهل منها أسـباب تكامله وقـوته ؟؟ ..

ان المنبع الأول والأصيل فى كل ذلك .. هو : القرآن الكريم ... وذلك أن القـرآن ، لم يكن كتاب دين يحث على العبادة فحسب .. وانما كان الى جانب تأكيد وحدانية الله ، وما يتبعها مـن عقائـد ، وعبادات ، وأوامر ، ونواهى كان أعظم الدسـاتير التى عرفتهـا الانسـانية ، فى تاريخها الطـويل الممتد عبر الزمن .. وذلك بمـا تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى الصالح .

ولقـد كان أول أثر مـن آثار القـرآن فى الفـكر الانسانى .. اهتمامه الواسع بالعلم .. وذلـك أن العلم أساس التقدم والتعاون ، وتبادل الخبرات والمنفعة ، وقـد كانت عنـاية القـرآن بالعلم .. تفوق حد الوصف .

تأمل القرآن وتدبر آياته ، تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق ، فى مظاهر الكون ، وأحداث الماضى .

ولقد اشتمل القرآن على ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، منها سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية .. احتوت أصولا وحقائق

تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، والأحياء ، والنبات .. والحيوان ، وطبقات الارض ، والأجنة ، والوراثة والصحة ، والصحة الوقائية ، والتعدين والصناعة ، والتجارة ، والمال ، والاقتصاد .. الى غير ذلك من أمور الحياة .. واحتوت باقى الآيات على الأصول والأحكام فى المعاملات ، وعلاقات الأمم والشعوب ، فى السلم والحرب ، وفى سياسة الحكم واقامة العدل ، والعدالة الاجتماعية .. وكل ما يتصل ببناء المجتمع ..

وهذا كله بخلاف العبادات، والعقائد ، والتكاليف ، والقصص ، والمواعظ والأمثال ، وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا .. مما كان محلا للدراسة والاستنتاج ، والتخريج ، والتأصيل ، والبحث ، والتنقيب .. وكان أساسا لعلوم الفقه ، والتفسير ، والحديث والأصول والأخلاق ، والبلاغة ، والنحو ، والأدب .. ذلك أن القرآن من العمق ، والاتساع ، والعموم ، والشمول .. بما يقبل تفهم البشر له .. أيا كان مبلغهم من العلم ، وبما يفى بحاجاتهم فى كل عصر ، ويتجاوب مع أهل البداوة فى يسر ، ويبهر فى عمقه أهل الحضارة الذين صعدوا فى سلم الرقى ويرعوا فى فنون العلم والمعرفة .

لقد كرم الاسلام العلم ، وحث المسلمين على المزيد فيه ، والاستفادة منه ، لأنه ينير العقول المظلمة ، ويحيى القلوب الميتة ، ويهدى النفوس الحائرة ، ويرقى بالمجتمعات الانسانية ، ويسمو بالقواعد الحضارية . وقد كانت عناية الاسلام بالعلم تفوق حد الوصف . حتى ان كلمة العلم بجميع تصريفاتها واشتقاقاتها ترد فى أكثر من خمسمائة آية من آيات القرآن الكريم . وهذا ينبىء عن مكانة العلم فى الاسلام ..

والقرآن الكريم نفسه مشتق من القراءة ، والقراءة مفتاح هائل من مفاتيح العلم للانسان ، وطريق دائم للمعرفة . والانسان مهما كان ضعيف العلم والثقافة فانه الى نمو فى الثقافة والعلم مادام يقرأ .. وأول ما نزل على محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، من وحى السماء ، عندما كان يتحنث فى غار حراء ، خمس آيات من القرآن الكريم ، هى قوله تعالى فى سورة العلق : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » ..

ففى هذه الآيات الخمس ، بدأ الوحى الالهى بالقراءة فى أول آية ، وكان ذلك بصيغة فعل الأمر . وقد تكرر الامر بالقراءة فى الآية الثالثة . وأوضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى .وهو التعليم ،وزاد التأكيد بذكر القلم ..

« والتعليم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده . اذ به تخلد العلوم ، وتثبت الحقوق ، وتعلم الوصايا ، وتحفظ الشهادات ، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس . وبذا تقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين . ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ،ودرست السنن وتخبطت الأحكام ، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف..وكان معظم الخلل الداخل على الناس فى دينهم ودنياهم ، وانما يعتريهم من النسيان الذى يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا من الضياع . كالأوعية التى تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان . فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم . والتعليم به كذلك » (١) .

وقال تعالى فى سورة القلم : « **ن والقلم وما يسطرون** » **فالله** يقسم بالقلم والكتب ، فتحا لباب التعليم بهما ، ولا يقسم الله الا بالأمور العظام . فاذا اقسم بالشمس والقمر ، والليل والفجر ، فانما ذلك لعظمة الخلق ، وجمال الصنع ، واذا اقسم بالقلم والكتب ، فانما ذاك ليعم العلم والعرفان وبه تتهذب النفوس ، وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية (٢) .

وما أروع لفظ (وما يسطرون)

(١) أنظر : تفسير القاسمى ج ١٧ ص ٦٢٠٩..
(٢) راجع تفسير الشيخ المراغى ج ٢٩ ص ٢٧ .

حيث يشمل كل فنون الكتابة والتعبير عما فى الضمير بالرسم والتصوير ، ويشمل كل آلة أو نظام استحدث للتوصل الى ذلك من آلات ومعدات حدثت أو ستحدث (١) .

فانسانية الانسان لا تكمل الا فى ظل المعرفة الصادقة ، والعلم البناء المثمر الذى يوضح المعالم ، ويهدى الى الرشاد . قال على رضى الله عنه :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا
الناس موتى وأهل العلم احياء

والاسلام يحض المسلمين على طلب العلم ، والتفقه فى الدين ، والبحث الدقيق فى كل مجالاته وفنونه وفروعه . وأن يتحملوا المشاق فى سبيل تعلمه وتحصيله وأن يبذلوا كل طاقاتهم فى طلب المزيدمنه.وأن يتعلموا كلماينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وكل مايعود عليهم وعلى الامة الاسلامية ، والمجتمعات الانسانية بالخير والرقى .. قال تعالى فى سورة التوبة : « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفرمن كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » .

فهذه الآية الكريمة تشير الى أن تعلم العلم أمر واجب على الأمة جميعا وجوبا لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن الاسلامى . فان الوطن يحتاج الى من يناضل عنه بالسيف ، والى من يناضل عنه بالحجة والبرهان ..

وفى الآية ــ كما جاء فى تفسير المراغى ــ اشارة الى وجوب التفقه فى الدين والاستعداد لتعليمه فى مواطن الاقامة ، وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذى تصلح به حالهم . فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التىيجب على كلمؤمن أن يتعرفها والناصبون أنفسهم لهذا التفقه على هذا القصد ، لهم عند الله من

---

(١) كتاب التفسير الواضح للشيخ حجازى ج ٢٩ ص ١٣ .

أسمى المراتب ما لايقل فى الدرجة عن المجاهـــد بالمال والنفس ، فى سبيل اعلاء كلمة الله ، والذود عن الدين والملة • بل هم أفضل منهم فى غير الحال التى يكون فيها الدفاع واجبا عينيا على كل شخص (١) •

روى البخـارى ومسـلم وابن ماجة ، عن معـاوية رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » •

وروى أحمـــد والطبرانى عن صفوان بن عسال المرادى • قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فى المسجد متكىء على برد له أحمر • فقلت له يا رسول الله انى جئت اطلب العلم • فقال : (مرحبا بطالب العلم • ان طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطب) • وروى ابن ماجه عن أبى ذر رضى الله عنــه قال قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خـير لك من أن تصلى مائة ركعة لأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة) •

وروى الترمذى عن أنس قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) •

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : (تعلموا العلم • فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ،والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صـدقة ، وبذله لاهله قـربة • لانه معـالم الحــلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الانيس فى الوحشـــة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلـــوة والدليـــل على السراء والضراء ، والسلاح على الاعداء ، والزين عند الاخلاء) ••

وانطلاقا من تعاليم الاســلام ، ودعوته الى العلم • ادرك المسلمون مبلغ الحاجة اليه فى بناء المجتمـع ودعم مراكز الأمة • لهذا وجهـوا

---

(١) تفسير المراغى ج ١١ ص ٤٨ •

العزائم الى طلب العلوم على اختلاف انواعها • ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة • ولم تثن عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراوتها ، وبحثوا عنها فى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية ، وأقاموا لها فى كل مدينة منارا عاليا ، وحملوا المشاعل المضيئة الى مشارق الأرض ومغاربها •• ولم يقف المسلمون بجهودهم عند نتاج عقولهم وأفهامهم •

بل اتجهوا ايضا الى علوم السابقين ، يدرسون ويبحثون ، فاستخرجوا العلوم من زوايا الاهمال والنسيان •وكانوا يطلبون العلوم طلب الناقد البصير • واكتمل لهم من ملكة العلوم والفنون فى جيل واحد مالم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة فى عدة أجيال وفى ذلك يقول بعض العلماء المؤرخين : (ان ملكة الفنون لم يتم تكوينها فى أمة من الأمم الناهضة الا فى ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيل الاستقلال والاجتهاد • الا العرب وحدهم فقد استكملت لهم ملكة الفنون فى الجيل الأول الذى بدأوا فيه بمزاولتها) •

وتقول الكاتبة الالمانية الدكتورة سجريد هونكه فى كتابها المسمى (شمس الله تشرق على الغرب) : ان هذه الطفرة العلميةالجبارةالتى نهض بها أبناء الصحراء من العدم من أعجب النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى • فسيادة أبناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة ، وحيدة فى نوعها • وان الانسان ليقف حائرا أمام هذه الهجرة العقلية الجبارة التى يحار الانسان فى تعليلها وتكييفها » •

وقد قام العلماء والمفكرون المسلمون بهذه النهضة العلمية التى تخطت مراحل النهوض فى الامم • قاموا بها على رغم الاحداث العاتية التى حملوا اعباءها ، والحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها • لأن الاحداث والحروب وان بلغت من العنف ما بلغت لا تستطيع ان تقف فى طريق العقيدة الصحيحة التى انطوت عليها القلوب ، وتفاعلت بها النفوس •• ولا ان تمنع العزائم القوية من

الوصول الى تحقيق أغراضـــــها وأهدافهـــا •

واستطاع المسلمون فى سرعةلم يعهد لها مثيل فى تاريخ الحضارة ، أن ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم ، والقيادة الفكـــرية ، وأن يصبحوا قادة للفـــكر ، وروادا — للمعـــرفة والعلوم والفنـــون • يدرسونها للاجيال المعاصرة كأحسن ما يـــكون التـــدريس والتعليم ، وينشرونها فى شعوب كانت تائهة فى عماء الجهل وظلمته ويدونونها للاجيال المقبـــلة كأحسن ما يكون التدوين والتأليف •

وان الامـــة التى اكرمهـــــا الله بالقرآن ، تتطلع الى غـــد مشرق بالعلم والحضارة ، وخير للأمة أن تعمـــل فى حـــزم وعـــزم ، لتحقق الأمجـــاد وتســـعد الأفـــراد والجماعات •

أحمد عبد الرحيم السايح



الطب الإسلامى

للدكتور على محمد مطاوع

أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافـــة ونزل عليه الكتاب الـــذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • وجعل هذا الكتاب شاملا لأمر الدين والدنيا « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » **وقال سبحانه وتعالى فى هذا** الكتاب عن النحل «**يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفـــاء للناس** » **وقال : وننزل من القرآن ما هو شـفاء ورحمـــة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا تبارا** » •

وقال رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم الذى أنزل عليه الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمـــة • والذى لا ينطق عن الهوى :

ـــ تداووا عباد الله فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء •

ـــ عليكم بالشفاءين : العســـل والقرآن •

ـــ داووا مرضاكم بالصدقة •

ـــ ماء زمزم لما شرب له •

ـــ وأخيرا وليس آخرا : شفاء **أمتى فى ثلاث : شربة عسل ••**

شرطة محجم

والكى

وما أحب أن أكتوى

ولو أنعمنا النظـــر فى الحديث الأخير لوجدنا فيه برنامجا شاملا لعـــلاج جميع الأمراض • فشربة العسل وحدها أو باضـــافة بعض العقاقير الأخرى شفاء لكثير مـــن الأمراض • والحـجامة والتشريط علاج لمجموعة أخرى والكى بنوعيه: **الكى الطبى والكى الجراحى هــو**

آخر العلاج لقوله صلى الله عليه وسلم « **آخر العلاج الكى** » . والجراحة نوع من الكى ونحن لانلجأ اليه الا عند ما يفشل العلاج الطبى بالوسائل الأخرى .

وفى كتاب الله العزيز قوله تعالى « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » ، وقوله تعالى :« **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » .

ومن هذا المنطلق . وهو دراسة نفس الانسان وجسده وأمراضه وعلاجه سيريناا المولى عز وجل من آياته ما يبين للناس طريق الحق أى أن الطب سبيل من سبل الدعوة الى الله . وأن الطب النبوى وهو الطب الاسلامى القائم على أحاديث وتعاليم النبى صلى الله عليه وسلم سيكون وسيلة من وسائل الدعوة الى الله تعالى .

ولو انتبه المسلمون الى هذه الحقيقة . وبدأوا فى دراسة هذه الاسس العلاجية التى أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم لوجدوا فيها من الآيات ما يجذب الكثير من غير المسلمين الى هذا الدين الحنيف الذى تكفل الله جل جلاله باظهاره على الدين كله ولو كره المشركون : « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » .

لقد بدأ الناس ينتبهون الى حقيقة كانت تخفى على الكثير وهى أن الأدوية المصنعة التى يتعاطونها لها آثار سيئة فهى تعالج شيئا وتحدث أضرارا فى أجزاء أخرى من الجسم ولذلك يعطى المريض دواء للمرض ويعطى أدوية أخرى فى نفس الوقت لملافاة الآثار الجانبية لهذا الدواء .

ان هذه الحالة غير معروفة فى العلاج بالعسل أو بالأعشاب الطبيعية أو بالحجامة أو بالكى فليس لها آثار جانبية سيئة كما للادوية المصنعة .

وهناك ميزة أخرى فى وسائل العلاج النبوى وهى سرعة **الاستجابة ورخص العلاج . فمن المعروف عند من يمارسون العلاج بالكى أن الالتهاب الرئوى يعالج بالكى على الظهر بين الأضلاع وأن**

القيء والاسهال والمغص يعـالج بالكي عـلى الكعبين والعجيب أن نتيجة العلاج تظهر فى بضع دقائق وبدون أعراض جانبية بصـورة لا نعرفها فى أى علاج من الأدوية المصنعة .

ان الأبحاث أثبتت أن العسـل مادة تصنعها النحل لتمنع حبـوب اللقاح من النمو فى العسل . وهذه المادة توقف نشاط الخلايا السرطانية كما أن النحالة الذين يمارسـون هذه المهنة فوق خمس سـنوات لا يصابون بالسرطان ان الأمـر يحتاج الى دراسة وأبحاث وتجارب أرى أن أولى الناس بالقيام بهـا هم القائمون بأمر طب الأزهر وأن جامعة الازهر يجب أن تهيىء لهم كل أسباب العمل فى هذا السـبيل وعلى القادرين من اخواننا المسلمين فى بلاد البترول أن يرصدوا مـن الأموال ما يكفى العاملين فى هذا الحقل من أداء هذا الواجب المقدس ابتغاء مرضاة الله وطمعا فيما عند الله . والله عنده حسن الثواب .

أ . د . على محمد مطاوع

***

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعالى عنه

لشيخ أحمد على منصور

لقد أرسل الله تعالى الينا أشرف الورى ، سيدنا ومولانا محمدا ، صلوات الله وسلامه عليه ، بالهدى ودين الحق ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فقام فى مكة وحيدا فريدا يدعو الى العلى القدير ، وآمن به رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، واعترض طريقه آخرون قعدوا له ولاصحابه كل مرصد ، وطهر الله عز وجل أفئدة المؤمنين الأولين ، وملأها تقوى ونورا فأدوا فرائض ربهم وأطاعوه فى سرهم وعلنهم ، وسارعوا الى الخيرات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

وكان من المألوف أن يعيشوا كآبائهم وأجدادهم ، دون أن تسجل أسماؤهم فى عداد المصلحين ، ولكن الاسلام الحكيم ،والقرآن العظيم والأسوة الحسنة بامام الهدى عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، جعلت منهم الحكام العادلين ، والقواد المنصورين ، الذين أدركوا أنهم لم يخلقوا عبثا ، ولم يتركوا فى هذه الحياة سدى ، ولكنهم مسئولون أمام مولاهم عن كل ما قدموا فى دنياهم . فعملوا بالحق ليوم عظيم لا يقضى فيه الا بالحق، وأرهفت حواسهم فلم يكن شىء أحب اليهم من الاصلاح ، ولا أبغض لديهم من الافساد .

ولحق الرسول الكريم بالرفيق الاعلى ، وقام بأمر المسلمين من بعده أبو بكر الصديق ، فكان متبعا ولم يكن مبتدعا ،لأنه صاحب

المصطفى فى الغار ، ورفيقـــه فى الأسفار ، وأمينه على الاسرار ، وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وعدل فأمـن ، وراقب الله فى الامة ، ورأى ذات يوم رؤيا أضاءت لها جوانب نفسه ، بأنه سيأتى من ولده رجل أشج ، يلى أمر الناس فيملأ الارض عدلا ، وقص رؤياه على المقربين اليـه ، فذاعت هنا وهناك .

ولقـد قدر أمير المؤمنين عظم مسـئوليته عن رعيته أمام الله الواحد القهار ، فكان يتعسـس ويطوف ليلا بشـوارع المدينـة المنورة ليتفقد أحوال النـاس ، واستمر فى ذلك ليلة مع قائـد جنده حتى كاد يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، وبينما هو يتأهب للذهاب الى المسجـد النبوى الشريف ليصلى بالنـاس سمع حوارا بين أم وبنتها ، قالت الام لابنتها : قومى يابنية واخرجى اللبن واخلطيه بالماء ، فأجابتهـا البنت : وكيف أفعل ذلك وقد نهى عنه أمير المؤمنين ؟ فقالت الام : وما يدرى أمير المؤمنين بنا ونحن بمأمن عن الناس والرقباء ؟ فقالت البنت : اذا كان أمير المؤمنـين لا يرانا يا أماه فرب أمير المؤمنين يرانا ، ولا يخفى عليـه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

وانشرح صدر أمير المؤمنين لهذه الاجابة الصادرة من البنت ، التى تقـوم على الايمـان واليقين ومراقبة الله عز وجـل فى السر والعلن ، وتمنى فى قرارة نفسـه أن تكون هذه الفتاة التقية النقية زوجة لابنه عاصم ، وتحقق ما دار بنفسه ، ووضعت ليلى ونمت مع الأيام ، وودع أمير المؤمنين الحياة وبايع الناس عثمان بالخـلافة ، فاستعان بمروان بن الحكم ، حتى أمسى سـاعده الأيمن ، وكان له ولدان عبـد الملك وعبـد العزيز ، ونشأ كل منهما بمدينة الرسـول ، يؤم المسجد النبوى ويسـتمع الى كبار الصـحابة ، وانتهت خلافة عثمان وتلتها خـلافة على بن أبى طالب ، ونازعه معاوية بالشـام ، وتم له الامر أخـيرا ، وانتقلت رؤيا أمـير المـؤمنين عمـر بن الخطـاب مـع الأجيـال ، وتمنى

عبد العزيز بن مروان أن تتحقق له، فيقترن نجمه بليلى حفيدة عمر وبنت عاصم ابنه ، وبلغ سن الزواج وفاتح أباه مروان بن الحكم فى ذلك فاستولى الخوف على نفسه وعلى نفوس من علموا بهذا النبأ من الامويين ، وتذكروا شدة عمر وعدله ، وأدركوا أن العرق دساس، فربما تأتى ليلى برجل يرث صفات جد أمه ، ويحول بينهم وبين ما ألفوه من ترف ونعيم ووراثة للملك والحكم ، وحاولوا جاهدين أن يثنوا عبد العزيز عن رغبته ، ولكن دون جدوى .

وتزوج من ليلى وصحبها الى الشام ، وعاشا فيها عيشة راضية ، ومات معاوية بعد أن أخذ البيعة لابنه يزيد ، ولم تمض مدة طويلة، حتى وضعت ليلى غلاما ، سربه أبوه سرورا عظيما ، وبلغ من اعجابه بجد زوجته أن سماه باسمه وتمنى أن تتحقق فيه رؤيا الفاروق نضر الله تعالى تاريخه ، ومات يزيد وبويع مروان بن الحكم ، فولى أمر المسلمين ، ورغب اليهم أن يبايعوا بعده ابنيه عبد الملك وعبد العزيز ، ولقد كان بقصر عبد العزيز بالشام اصطبل يضم الكثير من الخيول العربية وكان عمر ابنه مولعا بها ، يركبها ويمسح عليها ، وعلى حين غفلة من المشرفين على هذه الخيول ، رمح عمر فرس فشجه ، وطار الخبر الى أبيه فأسرع نحوه، ومن خلفه رجال القصر ، وأبصر الدم يسيل من وجه ابنه فمسحه عنه ، وتذكر رؤيا جد زوجته ، وضم عمر الى صدره فى حنان وقال له : ان كنت أشج بنى مروان انك اذن لسعيد . وبرىء عمر من شجته وأدرك مقتبل العمر وريعان الشباب ، وعكف على تلاوة التنزيل الحكيم ، وأحاديث الهادى البشير النذير ، والالمام بتاريخ جد والدته عمر ، والعوامل التى رفعته الى هذه المنزلة ، التى لايرقى اليها حاكم . ومات جده مروان وقام بأمر المسلمين من بعده ابنه عبد الملك وعادت مصر الى الامويين بعد حروب طاحنة ، ورغب عبد الملك الى أخيه عبد العزيز أن يتولى امارتها فشرع فى التأهب للسفر اليها ، وتقدم عمر بن عبد العزيز من أبيه

يرجوه فى أن يسمح له بالذهاب الى المدينة المنورة ليأخذ عن علمائها ، وحقق أبوه رجاءه وغادرت الشام قافلتان : قافلة عبد العزيز بن مروان وزوجه والحاشية متجهة الى مصر ، وقافلة عمر بن عبد العزيز تأخذ طريقها الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحيط بها الخدم والحشم ، وما أن لاحت المدينة لعمر حتى امتلأ قلبه رهبة ، وراح يستعد لدخولها ، ولبس أجمل ثيابه، ودخل المسجد النبوى خاشعا خاضعا وحياه بركعتين بين المنبر والروضة الشريفة ، ثم نهض من فوره ووقف أمام الرسول الاعظم، صلى الله عليه وسلم فى أدب ، مستحضرا عظمته وقال :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا خاتم النبيين والمرسلين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، والشفيع يوم الزحام فى المذنبين ، وجزاك الله عن الاسلام والمسلمين خير ما جزى نبيا عن أمته • ثم رجع الى الوراء حتى كان تجاه الصديق ، وقال :

السلام عليك يا صديق رسول الله ، وناصر الاسلام ، وواصل الارحام ، ومقاتلا لأهل الردة والبدع ، ولقد خلفته أحسن خلف ، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك، وقمت بأمر الرعية من بعده أعظم قيام حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ما جزى اماما عن أمة نبيه • ثم تحول حتى حاذى عمر ابن الخطاب جد والدته ، وقال :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ومظهر الاسلام ، ومحطم الاصنام، وكافل الايتام ،ورافع لواء العدالة بين الانام ، ولقد كنت للمسلمين اماما مرضيا ، وهاديا مهديا جمعت شملهم ، وأغنيت فقيرهم ،وجبرت خواطرهم ، فرضى الله تعالى عمن استخلفك ، وجزاك عن الاسلام والمسلمين أفضل الجزاء ، وما أن استقر المقام بعمر بن عبد العزيز فى المدينة ، حتى قصد صالح بن كيسان ، الذى أسند اليه أبوه عبد العزيز بن مروان أمر تعليمه وتثقيفه ، وقضى عمر معه معظم وقته ، واشتد اعجاب صالح بذكاء عمر وفطنته ، وصلاحه وتقواه ،

وخوفه من مولاه ، وان كان لايزال غض الاهاب . وفى يوم تأخر عن شهود الجماعة أول وقتها بالمسجد النبوى ، ولما حضر بادره صالح مغضبا : ما شغلك ؟ فقال كانت جاريتى تمشط شعرى ، فتأسف ابن كيسان أكثر وقال : قدمت ذلك على الصلاة ، وكتب رسالة الى أبيه عبد العزيز بن مروان بحلوان ، يخبره فيها بما كان من ابنه عمر ، ولم يمض وقت طويل حتى جاء عمر كتاب أبيه يرسم له فيه ما يجب أن يسير عليه بالمدينة ، حتى يكون خير خلف لخير سلف ، وينهض بالأمر اذا وسد اليه على أروع الوجوه .

وما أن تلقى عمر كتاب أبيه حتى بادر بحلق رأسه ، وزادت مكانة أستاذه لديه ، وبلغ من حبه للعلم ورغبته فى أخذه منه بأكبر نصيب ، أنه لم يكتف بأستاذ واحد ، بل راح يختلف الى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، وكان عمر يتحامل فى أحاديثه على الامام على بعض الشىء كما يفعل الامويون فظهرت أمارات الغضب على وجه شيخه عبيد الله ، وما أن وقع نظره عليه حتى أعرض عنه ، وقال له : متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ ففهم ما يرمى اليه شيخه بما فطر عليه من نباهة وبعد نظر ، وقال : معذرة الى الله واليك ، وأعاهدك على ألا أعود لمثلها ، ومنذ ذلك الحين تحرر عمر من تعصب الامويين ، وانشرح صدره لاهل بيت الرسول الصادق الامين ، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، كل وقت وحين .

ولما أقبل موسم الحج قدم الحجاج من جميع الجهات على الاماكن الطاهرة لاداء مناسكهم ، والتشرف بزيارة خير الورى عليه الصلاة والسلام ، وكان من بينهم حجاج مصر يتقدمهم واليهم عبد العزيز بن مروان وخف ابنه عمر فى لهفة لاستقبال أبيه وأمه ، يمتع نظره برؤيتهما ، ويستمع الى حلو حديثهما وأبناء مصر وأحوال المسلمين فيها ، ووزع والده الهدايا على أحبابه ومعارفه ، وسأل صالح ابن كيسان ، وعبيد الله بن عبد الله

مؤدبى ولده عنه ، فأنبآه بما شرح صدره ، وملأ جوانب نفسه سرورا، فقد صرحا له بأنهما لم يريا أحدا يعظم الله عز وجل كهذا الغلام .

ورغب عبد الملك بن مروان ، فى أن يجعل البيعة بعده لابنيه الوليد وسليمان ، ولكنه خشى الشعب الذى بايع أخاه عبد العزيز بها بعده ونهاه المقربون عن ذلك حتى لا يفتح باب الفتنة ، ولكن هذه الفكرة ظلت تعاوده الحين بعد الحين ، فكتب الى أخيه بمصر : ان رأيت أن تعيد هذا الامر لابنى أخيك فافعل . فلم يوافقه عبد العزيز على رأيه ، فأرسل اليه عبد الملك يطلب منه خراج مصر . فكتب اليه : يا أمير المؤمنين انى واياك قد بلغنا سنا ، لم يبلغها أحد من أهل بيتنا الا كان بقاؤه قليلا ، وانى لا أدرى ولا تدرى أينا يأتيه الموت أولا ، فان رأيت ألا تكدر على بقية عمرى فافعل .

فنزل عبد الملك على رأى أخيه وبادر ولديه بقوله : ان يرد الله تعالى أن يعطيها لكما فلن يستطيع أحد من العباد ردها عنكما ، ثم سألهما : هل ارتكبتما اثما قط ؟ فأجابا بالنفى،فكبر عبد الملك فرحا وقال لقد نلتماها ورب الكعبة ، ووردت الاخبار بعد حين من مصر بموت عبد العزيز وجلس عبد الملك يتقبل التعازى فيه ، ثم كتب عهدا بولاية الحكم من بعده لابنه الوليد ، حتى اذا فارق الوليد الحياة ولى أمر الناس بعده أخوه سليمان ابن عبد الملك ، وكتب بذلك الى الامصار فبايع الناس .

وحزن عمر بن العزيز لموت أبيه، فضمه عمه عبد الملك الى أولاده ، وأعجب بتقواه وورعه ، واعتقد بأنه أشج بنى مروان الذى سيملأ الارض عدلا ، وزوجه من بنته فاطمة ، وجعله حاكما على خناصرة قرب حلب ، ففرح أهلها بولايته ، لما سمعوا من زهده وعدله . فسار فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ، وسجل فىحكمه من صحائف المجد والعظمة ما لا تستطيع محوه الدهور والعصور .

ولقد كان عمر بن عبد العزيز فى أعماله مخلصا وفى حكم الرعية

منصفا ، وفى طاعة ربه صادقا ، ولكتابه تاليا ، ولرحمته راجيا ، ومن خشيته مشفقا ، وبحميد الخلال متمسكا ، وللأرحام واصلا ، وعلى اليتامى عطوفا ، وللمعروف باذلا ، وللحقوق مؤديا ولا غرو فى ذلك فقد نشأ نشأة عزيزة كريمة ، قل أن تتهيأ لغيره ، وقضى وقتا طويلا بمصر مع والده ووالدته ، والخدم والحشم بحلوان ، ينعم بخيراتها وطيب هوائها ، ويتمتع بجميل مشاهد البلاد المصرية ، وروائع الحسن والآثار فيها ، وشاءت ارادة العلى القدير ، أن يأخذ علومه من المنابع العذبة الفياضة ، فى المدينة المنورة بلد الثقافة الاسلامية العربية حينذاك ، ومقر البقية الباقية ، والنجوم اللوامع من أفاضل الصحابة وكبار التابعين .

وكذلك كان عمه عبد الملك قبل خلافته واليا على المدينة فى حياة أبيه ، ولم يكن هناك أحد أفقه ولا أقرأ لكتاب الله منه ، وكان الفقهاء يومئذ بالمدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة ابن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، ولم تنقض سنة على وفاة أخيه عبد العزيز ، حتى كان عبد الملك على فراش الموت يوصى ابنه الوليد بالتقوى ، والعمل على جمع الكلمة ، وصلة الارحام ، واعطاء كل ذى حق حقه ، ودعوة الناس بعد موت أبيه الى مبايعته ، وودع الخليفة الحياة وما ان عاد المشيعون من دفنه ، حتى صعد ابنه الوليد منبر المسجد الاعظم بدمشق فحمد الله وأثنى عليه وقال : انا لله وانا اليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا فى أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا به من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فصدع الناس بالامر وأعطوه بيعتهم .

أحمد على منصور

الأمن ومقاومة الجاسوسية والتخريب في ضوء الإسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

« كل عدة شهور يقف لورى أبيض اللون يقوده روسيان أمام مقلب للقمامة فى احدى ضواحى واشنطن ، ويتخلص اللورى من قدر كبير من القمامة ثم يمضى فى طريقه .

وقبل أن يهدأ التراب المثار ، تتصل احدى العاملات بادارة التحقيقات الفيدرالية وتبلغها هذه الرسالة : جاء الروس مرة أخرى .

وفى دقائق يصل الى نفس المكان فريق من خبراء القمامة للبحث عن شىء فى كوم القمامة الذى تخلص منه الروس .. ويقول العاملون فى هذا المقلب ان ما وجده رجال المخابرات فيه حتى الآن لا يتعدى ايصالات من مطاعم وتذاكر غرامات مرور .

ويقول مدير المقلب بوب جونسون: ان السوفيت لايترددون فى القاء قمامتهم هنا ، ولكن ادارة التحقيقات الفيدرالية تجد فى القمامة شيئا مفيدا ، وهى تتعلم الكثير مما يلقيه الروس من قمامة ، ويقول جونسون : انه لاحظ أن المخابرات تتعلم من ايصالات المطاعم أين كان السوفيت يأكلون ومن كان معهم ، ومن تذاكر مخالفات المرور يعلمون أين تقف سياراتهم ثم يبحثون لماذا وقفت فى هذا المكان أو ذاك .

ويقول جونسون : انه حدث مرة أن تقابل الغرب مع الشرق عندما وصل رجال ادارة التحقيقات الفيدرالية مبكرين الى المقلب وكان اللورى الروسى مازال يلقى

بالقمامة ، ونظر كل من الفريقين الى الآخر ، وفى المرة التالية غير الأمريكيون لون سيارتهم •

وأصبحت المخابرات المركزية التى يبعد مقرها ١٥ ميلا عن المقلب عميلا له بعد أن قررت القوانين عدم احراق القمامة تجنبا للمزيد من التلوث ، فاضطرت المخابرات الى القاء قمامتها فى النهاية فى المقلب **غير أن قمامة وكالة المخابرات ليست كغيرها من القمامات : فالأوراق تمزق أو تمزج بالمواد الكيمياوية فتمحى الكتابة من عليها ثم توضع فى صناديق قبل أن تلقى فى المقلب • ورغم ذلك فان المخابرات المركزية توفد أحد رجالها بعد التخلص من القمامة لترى ان كان أحد يعبث بها •**

ونفس الشىء تفعله وزارة الدفاع الامريكية ، غير أن هؤلاء ينتظرون حتى يتأكدوا من أن « البولدوزر » قد سحق مخلفاتهم تماما (عن جريدة الاهرام ١٩٧٩/٩/٥ عن واشنطن بوست تحت عنوان « سيارة المخابرات الأمريكية تستولى يوميا على المهملات التى تتخلص منها السفارة السوفيتية ») •

أرأيت الى أى حد يبلغ اهتمام الدول بالحصول على المعلومات عن غيرها من الدول ، وكيف أن « القمامة » تجد من يفتش فيها بحثا عن خيط من المعلومات مهما كان تافها ؟ ! وكيف أن الحرص على صيانة الأسرار يصل الى حد محو الكتابة بالمعالجة الكيمياوية للأوراق ثم تمزيقها بواسطة آلات تحيل الورقة الى خيوط رفيعة يستحيل الحصول منها على شىء من المعلومات ؟ !

صيانة أسرار الدولة

والواقع أن كل دولة تعنى غاية العناية بالحفاظ على أسرارها ، وتعمل فى نفس الوقت على مقاومة كل محاولة للوصول الى تلك الأسرار •

وتحرص كل دولة على أن تجعل من الصعب على الدول الاخرى وخاصة الدول المعادية لها ، الحصول على معلومات عنها ، أو القيام بمحاولات تهديد منشآتها

وأهدافها الحيوية ، أو التأثير على معنويات شعبها أو التشكيك فى مبادئها وقيمها . وهى فى سبيل ذلك تضع كل قدراتها المادية والعلمية لمواجهة هذه المحاولات..

يقول « فرانز موند رينتلين » رئيس الجواسيس الالمان فى الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب العالمية الاولى :

« ان لكل دولة الحق فى أسرارها الخاصة ، وهى — فى الوقت نفسه — ملتزمة بالمحافظة عليها .. ولكن هذا المعنى نفسه ، يعطى كل دولة الحق فى أن تكتشف أسرار الدول الاخرى » .

من أجل ذلك : نرى كل دولة تهتم بمعرفة جميع أنواع المعلومات صغيرها وكبيرها المتعلقة بجميع الدول . وفى المقام الأول الدول التى تتخذ منها موقف العداء ، وتلك التى ينتظر أن تكون فى وقت ما طرف نزاع مباشر معها .

دور أجهزة المخابرات :

ولقد تأثر الى حد كبير شكل العلاقات الدولية بالتقدم العلمى والتكنولوجى فى مختلف مجالات الحياة ومع تطور أحداث التاريخ، فأصبح لدى كل دولة — وبخاصة الدول المتقدمة — جهاز للمخابرات يناط به خدمة أمنها القومى ويعنى هذا الجهاز بالحصول على جميع أنواع المعلومات التى تمكن الدولة من وضع سياساتها المختلفة ، ومن توجيه ألوان العمل المختلفة ضد الدولة أو الدول المعادية لها .

والمخابرات لا تقصر نشاطها — كما قد يتبادر الى الاذهان — على الحصول على المعلومات العسكرية فحسب ، بل انها تهتم بالحصول على كافة أنواع المعلومات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والجغرافية والطبوغرافية وحتى المعلومات الخاصة بالمواصلات والنقل .

وسائل الحصول على المعلومات :

وتحصل المخابرات على المعلومات بطريقتين : احداهما علنية والاخرى سرية : —

١ — فالطريقة العلنية تعتمد على المصادر العلنية للدول الاخرى ومن ذلك ما تصدره من مطبوعات رسمية وما تذيعه اذاعاتها وما يصرح به ساستها فى خطبهم أو

لقاءاتهم ، ويتم بعد ذلك تحليل وتقييم هذه المعلوات لاستخلاص الحقائق التى يراد معرفتها •

٢ — أما الطريقة السرية المستترة للحصول على المعلومات فتقوم أساسا على نشاط الجواسيس وعلى أساليب الجاسوسية التى تبدأ من « التصنت » على حديث يدور أثناء حفل خاص بواسطة أحد العملاء وتصل الى حد استخدام أحدث الأساليب العلمية والتقنية كأقمار التجسس الفضائية •

ويؤكد خبراء المخابرات أن المعلومات التى تحصل عليها المخابرات بالطرق السرية تمثل أقل من عشرين بالمائة من مجموع ما تحصل عليه، ومع ذلك فهم لايأخذون ما يصلهم بالطرق العلنية قضية مسلمة ، بل يعملون على التأكد من صحتها والتحقق من أسباب نشرها وهنا قد يعودون الى أساليب الجاسوسية !

أعمال التخريب والتآمر :

ومن أنواع النشاط الذى تقوم به أجهزة المخابرات فى كثير من الدول — بالاضافة الى الحصول على المعلومات — القيام بأعمال التخريب المادى والتخريب المعنوى (أى ما يعرف بالحرب النفسية أو الحرب السياسية) أو القيام بعمليات محددة ذات أثر مباشر كالتآمر لقلب نظام الحكم فى دولة ما•• وفى بعض الدول تتولى هذه الاعمال أجهزة أخرى غير المخابرات ، غير أنه فى كلا الحالتين يتم الافادة من المعلومات التى حصلت عليها المخابرات عند التخطيط لتلك الاعمال •

ويطلق على هذه الجهود التى تقوم بها ادارات المخابرات ضد الدول الاخرى اصطلاح « المخابرات الايجابية » •

المخابرات الوقائية :

ولكى تواجه الدولة عمليات المخابرات الأجنبية المعادية لها ، فان عليها أن تتخذ من التدابير والاجراءات والعمليات ما يكفل لها ضمان التحفظ على أسرارها ويمنع وقوع ما يمكن أن يلحق بها الضرر أو يؤثر على سلامتها وأمنها•

وهذه التدابير يعبر عنها « بالمخابرات الوقائية » أو

« المخابرات المضـــــــادة » أو « المخابرات السلبية » ويعرفهـــا الخبراء بأنها هى « الجهد الـــذى يرمى الى حماية الأسرار الخاصة بالدولة ، ومقاومة من يحـــــاول الوصول اليها » ، أى أنها هى العمل الدفاعى للمخابرات .

فالمخابرات الوقائية بمعنى آخر تعنى أمرين : —

الاول : حماية أسرار الدولة .

والثانى مقاومة من يحـــاولون الوصول الى هذه الاسرار .

وانطلاقا من هذا المفهـــوم ، واستنادا الى الوســـــائل التى تستخدمها المخابرات فى جمـــع **المعلومات ، فان كل دولـــة واعية تحرص على أن تقيـــم « خطـــا دفاعيـــا » يتمثـــل فى التدابـــير والاجراءات التى تستهدف حماية أسرارها ومنشئاتها الحيوية ، ثم تقيم خطا آخر ايجابيا يســـتهدف مـــع أولئـــك الـــذين يحـــاولون « اختراق » الخط الدفاعى الاول من تحقيق غرضهم وذلك بالقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة قبل أن يتمكنوا — كلما كان ذلك ممكنا — من نقل أى جزء من المعلومات عن الـــــدولة أو تنفيـــــذ مخططهم التخريبى .**

ويطلق على اجـــــراءات حماية أسرار الدولة وحماية منشئاتهـــــا (الامن الوقائى) ويطـــلق عـــلى اجراءات منع اختراق سياج الأمن الوقائى (مقاومة الجاسوسية) (١) ويقول خبـــير الجاســــــوسية لاديسلاس فاراجو :

«ان نجاح الجاسوس أو المخرب لا يرجع الى نقص أو ضعف فى نظام مقاومة التجسس ، بقدر مـــا يرجع الى النقص فى تدابير الأمن الوقائية » .

مفاهيم خاطئة عن الجاســـوسية :

وهناك تصور خاطىء حـــــول الجاسوسية هو أن دورهـــــا فى الشئون الدولية ينحصر فى المجال

---

(١) الأمن الوقائى : Protective Security
مقاومة الجاسوسية : Counter Espionage

العسكرى فحسب ، والواقع أن الجاسوسية تعمل فى كل المجالات التى تشكل مصادر قوة الدولة كالمجال الاقتصادى والسياسى والاجتماعى بالاضافة الى العسكرى ٠

ويرجع التصور الخاطىء الى أن نشاط الجاسوسية الذى يستهدف الحصول على الأسرار العسكرية هو النشاط الأكثر خطرا والذى يحظى بالعناية الاكبر لكشفه ومنعه ، والواقع أن الجاسوس الذى يعمل فى المجالات الاخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية لايقل خطرا عن زميله الذى يعمل فى المجال العسكرى ٠

اختيار الجاسوس :

واختيار الجاسوس ــ الذى هو العنصر الاساسى فى عملية التجسس ــ يتم بكل الحرص والدقة ، فلابد أن تتوافر فيه وتجتمع لديه من القدرات والخصائص والظروف والعلاقات والصداقات ما يمكنه من أداء مهمته فى الحصول على المعلومات ٠ كماتعتمد أجهزة المخابرات الأجنبية عند تجنيد أحد الجواسيس للعمل لحسابهاعلى استغلال نقاط الضعف فيه ٠ ومن ذلك : عدم قناعته بالدخل المشروع ورغبته فى الثراء، وفقدان الوازع الدينى أو الوطنى، والشذوذ الجنسى والميل الى الجنس الآخر، والاستهتار بالقيم الاخلاقية وادمان الخمر والميسر الىغير ذلك ٠٠ أما مكان الاختبار أو التجنيد فقد يكون داخل البلاد أو خارجها، وقد يكون الجاسوس من مواطنى الدولة التى يعمل ضدها أو من رعايا دولة أخرى ويقيم فى البلاد أو قد يكون غير مقيم بها لكنه يدخلها بطريقة ما لمزاولة التجسس ٠

أسلوبه فى العمل :

ويقوم الجاسوس بالحصول على المعلومات عن طريق الملاحظة والمشاهدة والاستماع وقد يكون ذلك أثناء وجوده داخل المكان الذى يحتوى على هذه المعلومات أو قد يكون عن طريق أشخاص آخرين يثقون به ولا يدركون حقيقة نشاطه ونواياه ، أو عن طريق ما يلتقطه من ثرثرة أولئك الذين يتحدثون بغير حذر أو حرص ، وفى كل هذه

الأحوال لا يقف الجاسوس موقفا سلبيا ، بل انه يستخدم أسلوبه الماكر فى دفع الناس الى اخراج ما فى صدورهم من معلومات ، ومن ذلك مثلا أسلوب الاثارة فى الحوار أو المناقشة أو تقديم الاسئلة بحيث يدفع الشخص الآخر الىالانطلاق فى الحديث ، ومنه أيضا استغلال ميل محدثه الى التفاخر وحب الظهور بمظهرالعليم ببواطن الامور وبذلك يحصل الجاسوس على المعلومات المطلوبة دون جهد أو عناء .

ويعمل الجاسوس بالدرجة الأولى على أن يكتسب ثقة الآخرين دون أن يثير الشك حول حقيقة مهمته أو نواياه حتى يجعلهم يقدمون له ما عندهم من معلومات ، ومن أجل ذلك تعد المعلومات التى تحصل عليها المخابرات عن هذا الطريق ، معلومات ذات قيمة وأهمية عند التخطيط .

واذا كانت أجهزة الأمن قادرة على ضبط الخونة والجواسيس ، فانها لا تملك شيئا ازاء المواطنين الذين يتطوعون بامداد جواسيس العدو بالمعلومات بحسن نية دون أن يتبادر الى أذهانهم أنهم بزلة لسان أو تصرف طائش أو رغبة فى الظهور والتفاخر يكونون السبب المباشر فى حصول العدو على ما يريد من معلومات وأسرار وبذلك يعرضون أمن أمتهم وسلامتها للخطر .

الاسلام والمخابرات الوقائية :

من أجل ذلك كان جوهر « المخابرات الوقائية » هو كتمان الأسرار وحمايتها وهو ما اصطلح العسكريون على تسميته «بالامن»، وتعتبره المدارس العسكرية فى جميع الدول خط الدفاع الاول عن الامة.

وقد عنى الاسلام بالأمن أشد العناية ، ووضع له المبادىء والأصول والأساليب ، **وقد أثبت تاريخ صدر الاسلام أن من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الكثيرين أن أسرار النبى صلى الله عليه وسلم وأسرار المسلمين كانت مصونة وبعيدة عن متناول الاعداء ، فى الوقت الذى كان صلوات الله وسلامه عليه ، يطلع**

على نيات أعدائه العدوانية عن طريق عيونه وأرصاده (رجال مخابراته) قبل وقت مبكر فيعمل من جانبه على احباط ما يبيتونه للاسلام من غدر وخيانة أو عدوان٠

كذلك لم يستطع المشركون وأعداء الاسلام أن يباغتوا قوات النبى صلى الله عليه وسلم فى الزمان والمكان وأسلوب القتال ، بينما استطاع عليه الصلاة والسلام أن يباغت أعداءه فى معظم غزاوته وسراياه ٠

لواء محمد جمال الدين محفوظ

دعـــاء

يامن يجيب دعاء المضطر فى الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حى يا قيوم لم تنم
أدعوك ربى حزينا هائما قلقا
فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه
فمن يجود على العاصين بالكرم

أول وثيقة عالمية للضمان الاجتماعى
قانون الضمان . تشريع إسلامى أصيل

للأستاذ صلاح عزام

مظلة التأمينات الاجتماعية .. عبارة حديثة معاصرة .. يتحدث عنها كل حاكم مصلح .. يريد الخير لشعبه ويبحث عن الأمان لأمته ..

وهذه الأيام .. يكثر الحديث فى مجتمعاتنا المعاصرة عن قوانين للتأمينات الاجتماعية .. ويتنافس الشرق والغرب فى « أنواع » التأمينات الاجتماعية .. ويتباهى الكل بالجديد فيها .

ولكن ..

الذى يجب أن يعرفه الشباب ، هو أن أول من فكر .. وطبق نظم التأمينات الاجتماعية .. فى أسمى صورها .. وأكمل نظمها .. انما هو الاسلام .. ومنذ أيام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن أجل ذلك حفظ لنا التاريخ أروع وثيقة فى هذا المجال ويجب أن يدرسها طلابنا فى المعاهد والجامعات قبل أن يدرسوا وثائق أخرى .. بما فى ذلك القوانين وحقوق الانسان .

• و .. الغريب .. أن أول تطبيق شامل .. وكامل للتأمينات الاجتماعية .. نفذ فى مصر .. وفى خلافة الامام على كرم الله وجهه .. وبعدها .. قلدتها دول العالم .. ومازالت .. ولكن لن تصل الى ما كان .. الا اذا طبقت نظام الاسلام ..

• و .. الوثيقة العالمية .. هى التى ضمنها الامام على تعاليم الاسلام فيما يعلق بالضمان الاجتماعى .. وهو الأمر الذى لم

يعـرفه العالم ٠٠ قبـل ظهـور الاسـلام ٠

٠ و ٠٠ تقول الوثيقة ٠٠ وهى رسالة كتبها الامام على الى واليه فى مصر يقول فيها بالحرف الواحد:

الله ٠ الله فى الطبقة السـفلى من الذين لا حيلة لهم ٠ والمساكين ٠

والمحتـاجين ٠

وأهـل البؤس ٠٠

والزمنى « المصابون بعاهة » ٠

فان فى هذه الطبقة قانعا (سائلا) ٠٠ ومعترا (متعرضـا للعطـاء بلا سؤال) ٠٠

واحفظ الله ما احتفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما مـن بيت مالك ، وقسما من صوافى (غنائم) الاسلام فى كـل بلد فان للأقصى منهم مثل الذى للأدنى ٠

وكل قد استرعيت حقه فـلا يشغعنك عنهم بطر فانك لا تعـذر بتضيعك التافه ، ولا حطامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ٠٠ ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشـية والتواضع ٠٠ فلترفع اليك أمورهم ٠٠ وتعهد أهل اليتم وذوى الرقة فى السن ممن لا حيلة له، ولاينصب للمسألة نفسه ٠٠ وذلك على الولاة ثقيل ٠٠ والحق كله ثقيل ٠٠

وفى تصورى أن رسـالة الامام المتضـمنة أروع نظام للتـأمين الاجتماعى ٠٠ انما جمع فيما كل ما تعلمه من سيدنا رسول الله ٠٠ وما شارك فيه من تطبيقات عملية خلال عهد الخلفاء الثلاثة السابقين له رضى الله عنهم ٠

ــ فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرر مبدأ الضمان الاجتماعى كان بدء ذلـك عنـدما جاءته أرملة سـيدنا جعفر بن أبى طالب تشكو وتبكى يتم أولادها ٠٠ فقال لها عليه الصلاة والسلام **(أ ألعيلة تخافين عليهم ٠٠ وأنـا وليهم فى الدنيا والآخرة ٠٠) ؟**

وبذلك كان أول قرار فى التاريخ يحقق (تأمينا) من الدولة ٠٠ لأهل الشـهداء ٠

ــ وبعـدها جاءت التعـاليم المحمدية ٠٠ والتى ظهرت أوضح ما ظهـرت لكثرة تطبيقاتهـا أيام

عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٠٠ فمثلا ٠٠ المعونات الاجتماعية التى يستحقها من مال الدولة الأرامل ٠٠ نذكر قرار الخليفة الثانى بعد ما شاهد امرأة تحاول فطم رضيعها، وهو يصرخ ويصيح ، فجادلها الخليفة ، وهى لا تعرف شخصيته عن سبب ذلك فقالت :

أنا أفطمه لأن عمر لا يفرض للرضيع ، فأردت أن أعجل فطامه لآخذ له نصيبه من بيت المال حتى استعين به على فقرى .

فانزعج عمر ٠٠ وانصرف الى بيته ٠٠ ولم ينم ٠٠ فلما صلى الفجر وسلم ٠٠ قال لأصحابه يا بؤسا لعمر ٠٠ كم قتل من أولاد المسلمين وقص عليهم الأمر ٠٠ ثم أصدر قرارا وأمر مناديا باعلانه (لا تعجلوا أولادكم من الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام) .

ـ وقرار التأمين الاجتماعى للشيخوخة والمرض ٠٠ فرضه الاسلام ٠٠ ونفذه ابن الخطاب على نطاق واسع حتى على غير المسلمين الذين يعيشون فى كنف الدولة الاسلامية كما حدث للعجوز اليهودى الذى كان يتسول فى المدينة لعدم وجود عائل له ٠٠ وعدم قدرته على العمل ٠٠ وقال عمر كلمته المشهورة فى رسالته الى خازن بيت المال (انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخزه عند الهرم ٠٠ انما الصدقات للفقراء والمساكين ٠٠ وهذا من مساكين أهل الكتاب ٠٠

• و ٠٠ بقى سؤال ٠٠

هل قرر الاسلام مصدرا لهذا النوع من التأمينات الاجتماعية التى صورها الامام على ٠٠ ونفذها من قبله الخليفة ابن الخطاب ٠٠ تنفيذا لأوامر سيدنا رسول الله ٠٠ أم ٠٠ أن المصدر هو مال الدولة (الميزانية العامة ٠٠) ٠٠

والحقيقة ٠٠ أن القرآن الكريم وهو تشريع الأمة الخالد ٠٠ وهو يعلمنا حتمية تطبيق هذا النظام (التأمينات الاجتماعية) انما يبين لنا مع الأمر التنفيذى ٠٠ مصادر تمويل هذا (الباب) ٠٠٠

مـن (أبـواب ميـزانية) الدولة بأسلوب العصر الحديث .

وذلك عن طريقين .

الأول ـ الزكاة .. ومصارفهـا كما حددتها الآية الكريمة (**للفقراء والمساكين ، والعـاملين عليها ، والمؤلفـة قلوبهم وفى الرقـاب والغارمين .. وفى سبيل الله وابن السبيل**) .

والثانى ـ بما نسميه الآن ... المتبرعات طـواعية .. أو كطلب الغير من الولاة .. وهذا الأمر قد حسم فى مجلس عثمان بن عفـان رضى الله عنه وخلال أيام خلافته اذ طرح سـؤالا عـلى الحاضرين بقوله . أرأيتم من زكى ماله هـل يبقى فيه حق لغيره ؟!

فأجاب كعب الأحبار : لا

فأسكته الصحابى الجليل أبو ذر .. وصرخ فيه كذبت ثم تلا قول الله تعـالى(**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخـر والملائكة والكتـاب والنبيين وآتى المال عـلى حبه ذوى القـربى ، واليتامى والمساكين وابن السـبيل والسـائلين وفى الرقاب وأقـام الصلاة وآتى الزكاة**) .

ثم قـال أبو ذر . ألا ترى أن الله تعالى قد فرق بين آداء الزكاة واعطاء المال ذوى القربى واليتامى

. و .. المهم .. هو أن يؤدى للمسلمين حقوقهم .. فى ضـمان حيـاة كريمة لهم .. تتفق مـع انتسابهم لأشرف دين ..

و .. ألم أقل .. انه قـد آن الأوان لكل مفكر مسلم أن يقـوم بواجبه نحو دينه .. فيكشف لأبناء أمته معالم هـذا الدين ؟ .. حتى يعلموا أن كل النظريات الحـديثة وغيرها .. والتى يرون فيها الخير .. سـواء علمية أو اجتماعية أو قانونية .. ! الخ انما سبق بهـا الاسلام كل المفكرين .. ليس هذا فحسب .. بل ان ما فى الاسلام هو الكمال .. ومن غير أدنى ضرر لأنها من عند خالق الانسان .

وصدق الله العظيم (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) .

صلاح عزام

حكم .. وطرائف

اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« الاستغفار »

جاء رجل الى الحسين بن على ـــ رضى الله عنهما ـــ واشتكى اليه الفقر ، فقال له :

استغفر الله ، فجاء آخر واشتكى اليه جدب الأرض،ريعها، فقال له : استغفر الله •

فقال رجل : يا ابن بنت رسول الله ، شكا اليك أناس كثيرون فهلا عندك ، دواء غير الاستغفار ؟

فقال : أما سمعتم قوله تعالى: **« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا »** أى لمن اشتكى قلة المطر، وقوله تعالى **« ويمددكم بأموال وبنين »** أى لمن اشتكى الفقر وقلة الولد ، وقوله تعالى : **« ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا »** لمن اشتكى جدب الأرض ، وقلة ريعها •

وقال الرسول الكريم ـــ صلوات الله وسلامه عليه : **« من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب »** •

ويقول الامام على ـــ كرم الله وجهه : « العجب لمن يقنط والنجاة معه » ، قيل : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : « الاستغفار » •

« الرجال ثلاثة »

قال قتادة : الرجال ثلاثة •

رجل : وهو العاقل •

ونصف رجل : وهو من لا عقل له ، ولكنه يشاور العقلاء •

ورجل لا شيء : وهو من لا عقل له ، ولا يشاور العقلاء .

« أبو بكر يوصى عمر »

أحضر أبو بكر عمر ، وقال له : انى استخلفتك على أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأوصاه بتقوى الله ، ثم قال : يا عمر ان لله حقا بالليل ، لايقبله بالنهار ، وحقا فى النهار ، لا يقبله بالليل ، وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة .

ألم تر ياعمر :انماثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق أن يكون ثقيلا !

ألم تر يا عمر : انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا !

ألم تر يا عمر : انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة ،وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا ، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه .

ألم تر يا عمر : انما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم وأمسك عن حسناتهم ، فاذا ذكرتهم قلت : انى أخاف أن أكون من هؤلاء .

وأنه ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، لانه تجاوز عما كان لهم من سيىء فاذا ذكرتهم قلت : أين عملى من أعمالهم ؟ فاذا حفظت وصيتى ، فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ، وهو آتيك. وان ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ، ولن تعجزه .

« خلتان »

دخل الوليد بن عبد الملك المسجد فرأى شيخا هد كيانه الزمن ، وأحنى ظهره الكبر ، فاقترب منه ، وقال له مداعبا :

ألا تؤثر الموت يا شيخ ؟

قال الرجل : لا يا أمير المؤمنين .. لقد ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبر وخيره ، فأنا الآن اذا قمت حمدت الله ، واذا قعدت ذكرته ، وأحب أن تدوم لى هاتان الخلتان .

« أيقبل الله العاصى اذا تاب ؟ »

دخل عتبة على الحسن البصرى — رضى الله عنه — وكان يفسر قوله تعالى : **« ألم يأن للذين آمنو أن تخشع قلوبهم لذكر الله »** وقد أفاض البصرى فى تفسيرها ، حتى أبكى الحاضرين ، وبكى عتبة وكان فاجرا يعاقر الخمر ، ويزور النساء ، فلما سمع تفسير الشيخ لهذه الآية ، قام فقال : أيقبل الله — تعالى — الفاسق الفاجر مثلى اذا تاب ؟ !!

فقال له الشيخ : نعم يقبل الله — تعالى — توبتك فاصفر لونه ، وارتعدت فرائصه ، وصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه • فلما أفاق قال : يا شيخ هل قبل الرب الرحيم توبة العبد اللئيم ؟

فقال الشيخ : وهل يقبل توبة العبد الجافى ، الا الرب المعافى ؟

فرفع عتبة رأسه ، وقال : الهى ان كنت قد قبلت توبتى ، فاكرمنى بالفهم والحفظ ، حتى أحفظ ، كل ما سمعت من القرآن، الهى أكرمنى بحسن الصوت ، الهى أكرمنى بالرزق الحلال ، وحدث من شهر عتبة بعد ذلك ، أن الله جلت قدرته ، من عليه بالثلاثة •

« من صحبنا فليصحبنا بخمس »

قال عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — : من صحبنا فليصحبنا بخمس ، والا فلايقربنا •

يرفع الينا حاجة من لايستطيع رفعها •

ويعيننا على الخير بجهده •

ويدلنا من الخير ما لا نهتدى اليه • ولا يغتابن أحدا •

ولا يعترض فيما لا يعنيه •

فانصرف عنه الشعراء والخطباء وثبت عنده الفقهاء والزهاد •

« بين أبى حنيفة ومالك »

حضر الامام أبو حنيفة عندما ذهب الى المدينة ، درس الامام مالك — رضى الله عنهما — ولم يكن يعرفه ، وألقى الامام مالك : سؤالا على أصحابه ، فأجابه أبو حنيفة • فقال مالك : من أين هذا الرجل ؟

قال أبو حنيفة : من العراق •

فقال مالك — متفكها — : من أهل بلد النفاق والشقاق !!

فقال أبو حنيفة : أتأذن لى أن أقرأ شيئا من القرآن ؟

قال : نعم .

فقرأ ، « وممن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل العراق مردوا على النفاق » .

فصرخ مالك ، قائلا : ما قال الله هكذا !

فقال أبو حنيفة : كيف قال — تعالى — ؟

قال مالك ، قال تعالى : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » .

فصاح أبو حنيفة ، قائلا : الحمد لله ! حكم الامام على نفسه ووثب من مجلسه !

ثم عرفه مالك ، فأكرمه غاية الاكرام ! .

« دافع الخطرة »

دافع الخطرة فان لم تفعل صارت فكرة ، فدافع الفكرة فان لم تفعل صارت شهوة فحاربها ، فان لم تفعل صارت عزيمة ، فان لم تدافعها صارت فعلا ، فان لم تتداركه بضده صار عادة فيصعب الانتقال عنها .

« أحسن الأشياء »

قيل لحكيم : أى الأشيئا خير للمرء ؟

قال : عقل يعيش به .

قيل : فان لم يكن .

قال : فاخوان يسترون عليه .

قيل : فان لم يكن .

قال : فمال يتحبب به الى الناس .

قيل : فان لم يكن .

قال : فأدب يتحلى به .

قيل : فان لم يكن .

قال : فصمت يسلم به .

قيل : فان لم يكن .

قال : موت يريح منه العباد والبلاد .

« وصية »

ان أردت أن تذم أحدا فذم نفسك ، وان اردت أن تعادى أحدا فعادى بطنك ، فليس لك عدو أعدى منها ، وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله ،وان أردت

أن تترك شيئا فاترك الدنيا ، وان أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت ، وان أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة .

« أمام الله .. أنت مسئول عن كل هؤلاء » !!

لقى هارون الرشيد ، ابراهيم ابن أدهم فى موسم الحج فأوقفه ابن أدهم ، فقال :

يا هارون باسمه مجردا .

قال : لبيك يا ولى الله .

فقال ابن أدهم له : انظر خلفك فنظر هارون .

ثم قال له : انظر عن يمينك فنظر وعن شمالك فنظر ، ثم قال له : أنظر أمامك .

قال : أترى كل هؤلاء الناس ؟

قال : نعم .

قال : فان كل واحد من هؤلاء مسئول عن نفسه ، أما أنت فمسئول عنهم جميعا ، فانظر بما تجيب ربك غدا !! وترك ابراهيم، هارون الرشيد يبكى .

« من أقوال الحكماء »

اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا فى خير .

واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه يشير عليه طبعه أن لا يفعل .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : حدث كسوف الشمس واستعد العلماء فى شتى أنحاء العالم لرصد هذا الحدث واستقبله الناس بصور مختلفة .. فما هو هدى الاسلام عند حدوث هذه الظاهرة ؟

ج : لا شك أن الشمس والقمر من نعم الله الكبرى . وتأثيرهما على حياة الانسان والحيوان والنبات وغيرها لا يقدر . يقول الله تعالى : **« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ،وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمةالله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار »**(١) .

وذهاب نور الشمس أو ضوء القمر — كليا أو جزئيا — الذى يحدث عند الكسوف والخسوف مما يبعث فى النفس الرهبة والخوف لما يوحيه من مشاهد القيامة **« فاذا برق البصر وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ أين المفر »** (٢) .

وقد كان هناك فى الجاهلية من يعظم الشمس والقمر ويتوجه اليهما بالعبادة ، ولهذا جاء النهى عن ذلك فى قوله تعالى : **« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس**

---

(١) الآيتان ٣٢ ، ٣٣ من سورة ابراهيم .
(٢) الآيات من ٧ — ١٠ من سورة القيامة .

ولا للقمر ، واسجدوا لله الــذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون»(١)٠

كمــا كان هنــاك من يظن أن كسوف الشمس أو خسوف القمر يكون لموت عظيم أو حياته تعظيما له أو حزنا عليه ٠

وقد صح أن كســفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعض الناس كسفت الشمس لمــوت ابراهيم ، فلما سمع النبى عليــه الصــلاة والسلام مقالتهم خرج اليهم فزعا من تلك المقالة ، وحرصــا عــلى عقيدة أمته من أن يتسرب اليهــا شىء من ضــلال الجاهلية ودخل بهم المسجد وصلى بأصحابه صلاة الكسوف ودعــا الله حتى انجلت الشمس ثم خطب الناس ٠

فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : « انكسفت الشمس على عهد رسول الله صــلى الله عليــه وسلم ٠ يوم مات ابراهيم فقال الناس انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى تنكشف » متفق عليه واللفظ لمسلم وللبخــارى من حديث أبى بكرة : « فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » ٠

وقد استدل بهذا الحديث وغيره على مشروعية صــلاة الكســوف فذهب الجمهور الى أنهــا ســنة مؤكدة ونقل عن أبى حنيفة أنــه أوجبها ٠

أما كيفيتها : فقد اتفقوا عــلى انها ركعتــان ولكنهم اختلفوا فى عدد الركوعات فى كل ركعة فذهب الجمهور الى انها تصلى ركعتين ، فى كل ركعــة ركوعان : يقــرأ فى القيــام الأول من الركعــة الأولى الفاتحة وسورة ثم يركع ثم يرفع ويظل قائما ويقرأ الفاتحة وسورة

---

(١) الآية ٣٧ من ســـورة فصلت ٠

ثم يركع ثم يرفع ويسجد سجدتين ثم يقوم للركعة الأخرى فيفعـل كما فعل فى الركعة الأولى •

وبهذا أخـذ مالك والشـافعى والليث وأحمد وغيرهم •

يقول الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنـه (وهـو شـافعى المذهب) فى كتاب أسرار الصـلاة من احياء علوم الدين :

« فاذا كسـفت الشـمس فى وقت ـ الصـلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة ـ تـؤدى الصـلاة جامعة ، وصلى الامام بالناس فى المسـجد ركعتين • وركـع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطـول من أواخرهما ، ولا يجهر •

فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحـة والبقـرة ، وفى الثانية الفاتحـة وآل عمران وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفى الرابعة الفاتحة وسـورة المائدة ، أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد •

ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ، ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس •

ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء •

ويسبح فى الركوع الأول قـدر مائة آية ، وفى الثانى قدر ثمانين، وفى الثالث سبعين ، وفى الرابـع خمسين ••• وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة •

ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسـة • ويـأمر النـاس بالصدقة والعتق ، والتوبة •

وكذا يفعل بخسـوف القمر الا أنه يجهر لأنها ليلية •

فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف الى تمام الانجلاء • فان انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة أ هـ •

وذهبت الحنفية الى أنها تصلى ركعتين كسائر النوافل • ويصلى بهم امام الجمعـة ، ولا يجهر ولا يخطب ، فان لم يكن صلى الناس فرادى ••• ويدعون بعدها حتى تنجلى الشـمس • وفى خسـوف القمر يصلى كل وحده •

س : شاب كثير الاحتلام يسأل هل المنى نجس أم طاهر ؟

ج : اختلف العلماء فقالت الشافعية المنى طاهر على ألا يخالطه نجس واستدلوا على طهارته بالأحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه أو حكه . وحملوا الأحاديث التى تأمر بغسله على الندب . وأن الغسل ليس دليل النجاسة . فقد يكون لأجل النظافة أو ازالة الدرن ونحوه ... الخ.

ومن الذين قالوا بنجاسة المنى الحنفية ولكن قالوا يطهره الغسل اذا كان رطبا ويجزىء فيه الفرك يابسا ... وللأخ السائل أن يأخذ بما هو أيسر له « **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** »(١) .

عبد الحميد شاهين

---

(١) الآية ٦ من سورة المائدة .

من أنباء العالم الإسلامي

توجيهات هامة من
الرئيس السادات
لوزير الأوقاف

حفظة القرآن في باكستان

دعا فضيلة الدكتور وزير الاوقاف الى مؤتمر صحفى عام حضره مندوبو الصحف والمجلات وقد بدأ فضيلته الحديث باسم الله •• ثم بين أنه تم لقاء بينه وبين رئيس الجمهورية وكانت لسيادة رئيس الجموهرية توجيهات حكيمة ورشيدة من بينها : العناية بالمسجد •• وحماية أموال الأوقاف ، مجلس أعلى للشئون الاسلامية من المفكرين فى العالم •

أصدر الرئيس محمد أنور السادات توجيهات الى الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف بالعناية بالمسجد ورسالته فى مجال الدعوة الاسلامية وتحفيظ القرآن الكريم ، ووضع القواعد التى تضمن الحفاظ على قدسية وممارسة وحماية العبادة ومدارس العلم والمعرفة •• وأن يتحمل الوزير مسئوليته الكاملة فى حماية أوقاف المسلمين بشتى الوسائل والطرق القانونية والتشريعية والتنفيذية •

كما تضمنت توجيهات الرئيس أن يبدأ الوزير فى تشكيل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بحيث يكون التشكيل نواة لجامعة الشعوب الاسلامية وذلك بعضوية رجال الفكر الاسلامى والقيادات فى مجال التجمعات الشعبية الاسلامية فى جميع أنحاء العالم الراغبين فى خدمة الاسلام وقضاياه •

وقال الدكتور البرى : أرى من واجبى تنقية المساجد من الشوائب التى تسىء الى الاسلام ولا سيما فى الموالد حيث تتحول المساجد الكبرى الى مطاعم وأماكن للنوم مما يخرجها عن دورها ورسالتها كدور للعبادة والصلاة والتقرب الى الله تعالى •• وانه قد اتفق مع مشيخة الطرق الصوفية للاعداد لذلك وترشيد السلوك الصوفى عن طريق اختيار المحتسب الصوفى ليكون مرشدا وموجها اسلاميا — وفى الوقت نفسه يتم تشكيل مجلس ادارة لكل مسجد للحفاظ على رسالته ونظافته •

وقال الوزير : بالنسبة لسياسة

الوزارة فى تحفيظ القرآن الكريم فقد تقرر تحويل مقارىء المساجد الى جمعيات لتحفيظ القرآن الكريم على أوسع نطاق •• وقال : انه سيتم توحيد الدعوة الاسلامية لمنع الازدواجية فى العمل •

حفظة القرآن فى باكستان

المقرىء الأول فى باكستان يقول:

فى جمهورية باكستان الاسلامية يوجد ٥٠ خمسون ألف مواطن باكستانى يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ولكنهم للأسف الشديد لا يفهمون معانيه • يجب أن لا تكون هناك قطيعة بين الشعوب الاسلامية فى كل الدول الاسلامية حتى ولو اختلفت أو تخاصمت الحكومات •

ثم يقول :

علماء الدين الاسلامى يجب أن يستفاد بهم فى كل مكان ولا تجوز مقاطعتهم حتى ولو كانت هناك مقاطعة لحكوماتهم •

مجمع اللغة العربية

الادارة العامة للمجمعات واحياء المراقبة العامة لاحياء التراث

مسابقة احياء التراث لعام ١٩٨٠ م

يعلن مجمع اللغة العربية عن جائزة سنوية قيمتها ٥٠٠ (خمسمائة جنيه) تمنح لأجود مايقدم اليه من التراث العربى الذى ينشر الأول مرة محققا تحقيقا منهجيا فى اللغة العربية بالشروط الآتية :

١ — أن يكون العمل المقدم فى متن اللغة العربية أو فى أحد علومها • أو فى نص من نصوصها الأدبية (شعرا أو نثرا) •

٢ — تعد النصوص من التراث العربى اذا كانت مؤلفة باللغة العربية قبل نهاية القرن الثانى عشر الهجرى •

٣ — أن يكون المقدم عملا كاملا (لا يقل عن خمس وعشرين ملزمة من ذوات الست عشرة صفحة) •

٤ — أن يكون العمل المحقق مما لم يسبق نشره أو تحقيقه •

٥ — ألا يكون من منشورات مجمع اللغة العربية فى القاهرة •

٦ ـ ألا يكون قد مضى على نشره أكثر من ثلاث سنوات ، والمعتبر فى ذلك تاريخ آخر جزء (ان كان ذا أجزاء) ٠

٧ ـ ألا يكون قد نال جائزة ما ـ من المجمع أو من غيره من الجهات والهيئات الاخرى ٠

٨ ـ يجوز أن يكون العمل المقدم من تحقيق فرد أو أكثر ، كما يجوز أن يشارك المحقق ـ أو المحققين ـ مراجع أو أكثر ، وفى حالة تعدد المحققين أو مشاركة المراجعين توزع الجائزة على الجميع بالتساوى ٠

٩ ـ يستوى فى التقدم الى هذه الجائزة المصريون وغيرهم من المشتغلين بتحقيق التراث العربى فى البلاد العربية والاسلامية وكذلك المستشرقون من غير العرب والمسلمين ٠

١٠ ـ يقدم المتسابق خمس نسخ من العمل المحقق الى المجمع باسم الأستاذ الدكتور الأمين العام للمجمع وليس له الحق فى استردادها ٠

آخر موعد للتقدم الى الجائزة هو ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٨٠ م٠

كتاب الشهر

دلالات التراكيب

دراسة بلاغية - تأليف الدكتور محمد أبو موسى

دراسة

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

هل تنطلق البلاغة العربية من ميادين التراث البلاغى والنقدى لعلمائنا الأصلاء القدامى أو من نظريات الغرب وأفكاره البيانية التى يكشف عنها علماء النقد والبيان فى أوربا ، أو منهما معا ؟

ان البلاغة العربية تراث حافل خالد ملىء بالذكاء والطبع والتفكير الرصين ، والاستنتاج الرزين .. ولكننا لن نستطيع دراستها من خلال هذا التراث الا اذا كان لها اجتهادات كبيرة فيه ، وزيادات واسعة عليه ، واضافات عميقة اليه .

وهنا ، فى كتاب « دلالات التراكيب » يدرس الدكتور المؤلف محمد أبو موسى بعض الاصول البلاغية فى البيان العربى ، على ضوء من تراث السلف ، وبخاصة تراث الامام عبد القاهر الجرجانى ، صاحب كتابى « دلائل الاعجاز » ، و «أسرار البلاغة» ، مع اجتهادات ملائمة ومفيدة لموضوع الدراسة وطبيعتها .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه الذى بين أيدينا : قضت هذه الدراسة على منهج القدماء ، ذلك المنهج الذى يقوم على تأمل التركيب وتحليله ، والتعرف على ما أودعه فيه صاحبه من فكر وحس ، تعرفا يفرط فى الجد والتقصى .

ويقول : منهج القدماء فى التحليل البلاغى يقوم على الادراك الواعى للفروق بين أحوال التراكيب ، وأن هذه الاحوال قادرة على أن تكون مسارب جيدة تتساب منها مواجيد النفس ، فعكفوا على هذه الاحوال ، وهذه المسارب وساءلوها عما أودع القوم فيها من أنفاس نفوسهم ، وخلجات أفئدتهم ..

«وأقول : ان سيبويه ومن سبقه من النحاة ارتبط تفكيرهم النحوى بهذا المنزع الذى لا أخطئه ، وهو تحليل السليقة اللغوية ، وكأنه ضرب من التحليل النفسى للغة ، أو ضرب من مدارسة الفكر والمنطق الكامن وراء هذه اللغة » .

ويوضح كذلك منابع هذه الدراسة فيقول : « جدت هذه الدراسة فى الاستمداد من هذه المنابع (أى التراثية طبعا) ، واصطنعت هذا المنهج فيما عرضته

من أبواب وهى على يقين من سداده فى فهم الأدب، وتذوقه تذوقا يقوم على البصر بأحوال اللغة ، والتعرف على ما يستكن فيهـا من أسرار . وهى ترى أن التذوق ليس هـو الاستمتاع بجمال العمارة فحسب، وانما هو مع ذلك وعى بما تحتويه العبارة من فكر وحق ، وما ترمى اليه من مرام قريبة أو بعيدة ، وما تفصح عنه بصوت مسموع أو توسوس به وسوسة خفيـة ، أو تغمغم به غمغمة مكتومة لا تلامس الا قلة من ذوى البصر بأحوال هذا اللسـان » ص ٩ مقدمة الكتاب .

ويؤكد ذلك فيقول : واذا كانت هذه الدراسة تجد فى أن ننتفع بهذا المنهج القديم المثمر ، فان لها رأيا فى الوجه الذى تراه نافعا فى دراسة تراث العلماء فليس المهم هو فهم هذا التراث ومناقشته فقط ، وانما المهم هو شىء بعد ذلك ، هو فقهه وتمثله وادارته فى العقل والقلب . المهم هو نفض مقالتهم والتفتيش فى ظاهرها وباطنها على فكـرة نافعة » ـ ص ١٠ ، ١١ من المقدمة .

— ٢ —

يتناول المؤلف فى كتابه أسلوب القصر بالدراسة فى نحو السبعين والمائة صفحة ، وأسلوب التقديم كذلك فى نحو العشرين صـفحة ، وأساليب الانشاء ، فى أكثر من مائة صفحة ، وأساليب الفصل والوصل فى نحو الثمانين صفحة .. ولاشك أن هذه الموضوعـات هى من أهم موضوعات البلاغة العـربية ، التى يقف عندها الباحث متأنيا مستلهما التراث والذوق جميعا يعرض آراء البلاغيين القدماء ، وآراء البلاغيين الجـدد ، ويناقش كل رأى وكل فكرة ، معتمـدا عـلى ذوق أدبى أصيل ، وثقافة عربية واسعة .

ويسـتمر المؤلف فى الدراسـة والبحث ، حتى نهـاية الكتاب ، مسترشـدا بذوقه وفطنتـه الى أعماق الأسرار فى التركيب البلاغى ومهتديا الى الرأى الامثل حـين يختلف البلاغيـون والنقاد معا فى الفهم والتحليل والتعليل .

— ٣ —

ومن أمتع صور البحث فى الكتاب

دراسته للمناسبات البلاغية بين انجمل ، والأحوال الوصل وأحوال الفصل فيها • وفى دراسته للقصر أثار كثيرا من البحوث والمسائل انبلاغية ، وناقش كثيرا من الآراء ، ونقد ما يستحق النقد منها ، فى ذكاء وحذر شديدين وما أكثر ما عرض له من مسائل وقضايا بلاغية ونقدية فى كتابه •

فى بحث « انما » مثلا يعرض لمعنى انما ودلالتها كما صوره عبد القاهر الجرجانى ، ثم يناقش رأيه والأدلة التىذكرها البلاغيون، ويحلل ملاحظات لأبى على الفارسى ، ثم يستقصى طبيعة المعنى الذى يأتى بانما ، ويحلل الشواهد على ذلك ويستقصى البحث فى هذا المجال استقصاء واسعا ، ويخرج بنتائج جديدة مثمرة فى البحث عن بلاغة الأسلوب •

وهكذا يتميز بحث الدكتور محمد أبو موسى بتعمق التراث ، وبتحكيم الذوق ، وبمناقشة الآراء القديمة والجديدة معا ، والوصول الى الرأى المحص الدقيق السليم ، مع الأسلوب المبسط ، الخالى من التعقيد والاصطلاحية ، والغموض، وذلك مما يجعل لهذا البحث قيمته العلمية الرفيعة الخصبة المثمرة •

ونحن لا نملك الا أن نقول للمؤلف : ياليت البحث البلاغىيجد من أشباه تلك العناية المرموقة ما يضىء السبيل نحو بلاغة عربية أصيلة متجددة تماشى الذوق والطبع والفطرة والوجدان ومشاعر الانسان ، ولا يقعد بها سوء الفهم أو سوء التحليل والتأويل والتعليل•

ان فى الجهد المبذول فى هذا الكتاب ، لاضاءة ، جديدة لدروب البحث البلاغى الذى اكتنفته على طول العصور المتأخرة سحب كثيفة قادته الى مسارب الظلام واللامبالاة معا •

وفى ختام هذا الكلامأحيىءالمؤلف الدكتور أبا موسى ، وأستنهض همته فى الدراسة والبحث حول كل ما يتصل بالبلاغة العربية وتراثها الدفين •

دكتور محمد عبد المنعم خفاجى

فهرس العدد

الموضوع | **صفحة**

مطابع مؤسسة روزاليوسف

مدير المجلة
محمد صابر البربيسي

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة الثانية والخمسون — رمضان سنة ١٤٠٠ هـ — اغسطس سنة ١٩٨٠ م

فى رحاب رمضان
توجيه ودعاء

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر

يأتى رمضان كل عام ٠٠ ويطل على المسلمين مشرقا وضيئا ٠٠ ليجدد الهمم ٠٠ ويوقظ العزائم ٠٠ ويدفع بها الى العمل الصالح ٠٠ ويمدها باليقين والايمان ٠٠ لأن شهر رمضان مدرسة قدسية يتعلم المسلمون فيها دروسا عملية ٠٠ تقودهم الى الخير ٠٠ وتهديهم الى الطريق القويم الذى يحقق لهم سعادة شاملة فى دنياهم وأخراهم ٠٠

لو أننا نظرنا الى رمضان نظرة سليمة فاحصة لتكشفنا أنه ما شرع الا لغايات نبيلة ٠٠ ومقاصد شريفة ٠٠ ولا تتفق بحال مع تلك النظرة السطحية التى تقف بمفهوم الناس لرمضان عند حد لياليه الساهرة ٠٠

وأنواره الباهرة •• والتهام ما لذ وطاب •• والاقتصار على مظاهر شكلية •• لا تؤتى ثمرا •• ولا تحقق هدفا ••

فالصوم فى الحقيقة نزهة للقلب •• وفسحة للروح •• تسمو بصاحبها الى عالم علوى من السمو والجلال •• حيث يتجرد من شهواته •• وينتصر على نزواته ونزعاته •• متفرغا لطاعة ربه وخالقه ومولاه •• متنائيا عن المعاصى والذنوب والآثام •• متقربا الى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه •• لأن الصوم تجريد للنفس من الهوى •• وتغلب على ما تهفو اليه من جنوح وانحراف •• فالصوم فى جوهره لم يكن مقصورا على الامساك عن الطعام والشراب •• بل هو منوط بالامتناع عن كل حرام •• ليكون ذلك تلقينا للمسلم للالتزام بأحسن الفضائل •• والتزود بأطيب الشمائل • والتحلى بأروع القيم •• ليصبح فى ذلك مثلا أعلى •• وصورة متألقة للانسانية الكاملة •• فالصائم يتلقى من صيامه دروسا عملية فى الصبر والجلد •• والصمود والمثابرة •• تؤهله لمواجهة الصعاب والمشقات بايمان ثابت •• وارادة قوية لا تلين ولا تعرف الضعف أو الوهن •• كما تتأصل فى أعماقه جذور الأمانة •• تلك الأمانة التى تمثلت فى صيانته لدينه •• وحفاظه على هذه الفريضة •• حتى ولو كان بعيدا عن أعين الرقباء •••

فضلا عما يترتب على الصيام من احساس بالجوع والعطش •• لندرك ما يقاسيه الفقراء الذين تتلوى بطونهم من الحرمان •• والمساكين الذين لا يجدون ما يطفىء غلتهم أو يقيم أودهم •• فنمد لهم يد العطف والشفقة والحنان •• ومن هنا : نرى رمضان شهرا مباركا ميمونا •• لأنه موسم للطاعة •• وميدان للعبادة •• وفلك قدسى تطوف فى رحابه قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا •• ويفوزوا برضوان ربهم بعدأن قدموا أحسن الأعمال ابتغاء وجهه الكريم •••

فعلى كل مسلم أن يستشعر جلال هذا الشهر ، ليتخذ منه وسيلة الى الخلاص •• وطريقا الى الله•• بالكف عن المحارم •• والبعد عن المعاصى •• والاعراض عن الشبهات •• ومجانبة الفساد •• والاقبال على الطاعات •• وفعل الحسنات •• والتحلى بمكارم الأخلاق •••

وانى اذ أهنىء قوافل الاسلام فى كل مكان بحلول شهر الصيام •• يطيب لى أن أدعوهم الى التمسك بما يمليه علينا ديننا من الترابط والتآلف والتراحم والتعاطف •• والتآخى والتعاون •• ونبذ الخلاف والشقاق •• والتفرق والانشقاق •• تحقيقا للوحدة •• وتجميعا للكلمة •• وتوحيدا للصف •• وتمثيلا للقوة •• وتأكيدا للمجد والكرامة •• واستجابة لقول المولى تبارك وتعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » •• وتلبية لقول رسوله الكريم : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » •• فلنستقبل شهر رمضان وجوها مستبشرة •• وقلوبا متفتحة •• وأرواحا صافية •• وأيادى متصافحة •• فى ظلال ديننا الحنيف •• ورحاب شريعتنا السمحاء •••

ولا يسعنى — ونحن فى مطالع شهر الرحمة — الا أن أتوجه بالدعاء والضراعة مبتهلا الى المولى سبحانه أن يجعل هذا الشهر فاتحة خير وبركة •• وبارقة أمل ورجاء •• لأن يوفق المسلمين الى الحق والنور •• ويضفى عليهم سرابيل المجد والشرف •• والعز والكرامة ليكونوا كما وصفهم فى كتابه الحكيم **« كنتم خير أمة أخرجت للناس »** •••

دكتور
محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

الأهداف المرجوة من الصوم كيف تتم ؟ ومتى تتحقق ؟

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

يتجه كثير من المسلمين الى صوم رمضان استجابة لعاطفتهم الدينية ، وتقاليدهم التى ورثوها عن الآباء والأجداد دون أن يتفكروا ويتأملوا فى الأهداف المرجوة من الصوم والتى أرادها الله عز وجل وحينما فرض على المسلمين صوم هذا الشهر من كل عام ، حيث يقول : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** (١) » ، ويقول : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » (٢) .

وقليل من المسلمين من يصوم رمضان لأنه قد فكر فى أثر الصوم والحكمة التى أرادها الله منه ، واقتنع بعد هذا التفكير فلبى نداء العقل والعاطفة معا . واستجاب بعد صوت الضمير لصوت المنطق القويم والعقل السليم ، ..

والنتيجة الحتمية لذلك أن يصبح كثير من المسلمين ينفذون أوامر الدين تنفيذا لا يعتمد على التفكير والتأمل ولا يستند الى الاقتناع بالحجة والدليل ولكنهم يصومون لأن الله أمرهم بالصيام ، ويصومون لأنهم ورثوا تلك العادة عن أسلافهم من قديم الزمان .. وأغلب الظن أن يكون هذا الاتجاه

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣ .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٥ .

وما يماثله فى العبادات الأخرى هو السبب فى أن المسلمين ينفذون القانون السماوى فى ظاهره لا فى جوهره فى كثير من الأحيان ..

والواقع أن الدين لم يأمر بالصوم رغبة فى تجويع الناس وحرمانهم . ولكن لتقوية الارادة فى النفوس وكبح جماحها عن المعاصى المهلكة والشهوات المردية ، واذن فكل صائم يمسك عن الطعام ولا يمسك عن الذنوب والآثام . أو يجوع نفسه لكى يملأ بطنه من الحرام بنهب أو سرقة أو تدليس أو بأية وسيلة من وسائل الاجرام .. أو يمتنع عن الأكل والشرب ولكنه يطلق لسانه فى أعراض الناس بالتشهير بهم أو بقول الزور والبهتان . كل من كان على هذا الوضع المشين من الصائمين فصيامه مردود عليه ولا يستفيد من هذا النصب والتعب شيئا ، ولا يكسب من صيامه الا الجوع والعطش والحرمان ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كم صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » ويقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » (١) .

★★

والله عز وجل قد فرض الصوم لصلاح الأبدان وتقوية الأجسام وذلك أن المعدة وهى بيت الداء لها طاقة محدودة . وهى بلا شك تكل من كثرة العمل واستمراره . فكان صوم رمضان فترة راحة واستجمام فيه صلاح المعدة ونشاطها وفى ذلك صلاح الجسم وقوته ونشاطه .

ولكن كثيرا من الناس ينفذون الصوم بطريقة تجعله مضيعة للصحة ومهلكة للأجسام ، فهم يجعلون من هذا الشهر معرضا لألوان الأطعمة الشهية ويتفننون فى الطرق المغرية على الاسراف فى هذا السبيل .. ونتيجة ذلك أنهم يثقلون المعدة ويتخمونها بما يحشدونه على موائدهم فى

---

(١) رواه البخارى .

وجبات الافطار والسحور من مختلف الأطعمة . وهكذا يقضون هذا الشهر كله فى اثقال المعدة بالأطعمة فيعرضون أنفسهم للأسقام والعلل . وبذلك تنعكس الآية ويضيع الغرض المنشود من الصيام ، وليس العيب فى الصوم انما العيب فى أولئك الذين جهلوا حكمة الصوم أو تجاهلوها . فصيروا الدواء داء وقلبوا النعمة والخير الى نقمة وشر ووبال .

**

والله عز وجل قد فرض الصيام ليشعر الغنى بمرارة الجوع فيعطف على الفقراء البائسين والمساكين المعوزين . ولكن كثيرا من الأغنياء يصومونه دون أن يشعروا بمرارة الجوع فهم يحاولون أن يغيروا سنة الله حيث يقلبون الليل نهارا والنهار ليلا ويجعلون الليل للسعى والعمل ، والنهار للنوم والكسل والخمول ، ويقضون ليلهم ساهرين يأكلون ويتمتعون . ونهارهم نائمين لا يغدون ولا يروحون

وتكون النتيجة أن الكثير من الأغنياء يصومون رمضان ولكنهم لا يحسون بمرارة الجوع والحرمان . وتظل قلوبهم على شدتها وقسوتها فلا يعطون محروما ولا ييسرون على معسر . وبذا تضيع الحكمة المنشودة فى الصيام وتذهب الفائدة المرجوة منه .

ويعجبنى فى هذا المعنى ما ذكره الامام أبو حامد الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين حيث يقول : « وكيف يستفاد من الصوم اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته صحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن ندخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل فى عدة أشهر ، ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى ، واذا استمرت المعدة خاوية من أول النهار الى آخره حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها . وانبعث من

الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها » .

★★

فالصوم مدرسة أخلاقية يتعلم الناس فيها الدروس النافعة والمبادىء الهادية ، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المرشد الأول للأمة الاسلامية يصوم رمضان فيضرب للناس أروع الأمثال فى تحقيق حكمة مشروعية الصيام . وهو القائل : « الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم (١) » . وكان أصحاب الرسول الأبرار وأصفياؤه الأطهار يسيرون على آثاره ويستضيئون بأنواره فتصوم ألسنتهم عن اللغو والهذيان والكذب والبهتان .

وتصوم جوارحهم عن الآثام والعيوب والمعاصى والذنوب . وكانوا يحققون حكمة الصيام فلا يتخمون المعدة بأثقال الطعام حتى لا تتعرض أجسامهم للعلل والأسقام . ولا غرو فهم يعلمون أن الحياة وسيلة للآخرة . وأن الآخرة هى الغاية الدائمة وهى دار الخلود والقرار ، ومن أجل ذلك سمت أرواحهم عن الماديات . وزهدوا فى الاسراف فى متاع الدنيا فلم تشغلهم دنياهم عن آخرتهم ، بل أخذوا من الدنيا والآخرة دون افراط أو تفريط فلم يسرفوا لم يقتروا وكان بين ذلك قواما ..، وبذلك تحققت لهم الأهداف المرجوة من الصوم وهى تلك الأهداف التى تتمثل فى كلمتين اثنتين ختمت بها الآية الكريمة :«**يا أيهاالذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**» فثمرة الصيام هى التقوى والهدف المرجو منه هو التقوى ، والتقوى هى أن تمتلىء نفسك بالخوف من ربك فتتقى غضبه وتجعل بينك وبين ما يسخط الله وقاية تمنعك وتحميك ، « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث**

---

(١) متفق عليه .

لا يحتسب (١) » ، « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » (٢) فمن الحق اذن على كل مسلم أن يتدبر حكمة الصيام حتى تتحقق له الثمرة الطيبة التى وعد الله بها المخلصين من عباده وهى التقوى التى هى جماع الخير وملاك الايمان ، وحتى يكون من المعنيين بهذه الأحاديث الشريفة وهى قوله صلى الله عليه وسلم : **« من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٣)** وقوله صلوات الله وسلامه عليه : **« ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم • يقال : أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق عليهم فلم يدخل منه أحد » (٤)** وقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » (٥) •

ولاشك أن أبواب الجنة لن تفتح الا للصائمين الذين تصوم بطونهم عن الطعام وتصوم جوارحهم ونفوسهم عن الذنوب والآثام ، وهم الذين تغلق أمامهم أبواب النار • وتصفد لهم الشياطين •

ألا فليفهم المسلمون الصوم على حقيقته حتى يظهر أثره فى نفوسهم وأعمالهم • وحينئذ يبنى المجتمع الصالح الذى يتجه للخير ويهدف للكمال • وتسعد به الأمم والأجيال •

هذا •• ومن الله العون وبه التوفيق •

د / محمد الطيب النجار

وكيل الأزهر

---

(١) سورة الطلاق آية ٢ ، ٣ •
(٢) سورة الأنفال آية ٢٩ .
(٣) متفق عليه •
(٤) متفق عليه •
(٥) متفق عليه •

شهر رمضان

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

قال تعالى : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » ..

الآيــة

الصوم شرعا : هو الامساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع ، يوما كاملا من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

والأصل فى وجوب الصيام ، الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى فى كتابه العزيز : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون** » (١) .

وأما السنة فقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « بنى الاسلام على خمس » ذكر منها صوم رمضان ، وعن طلحة

(١) الآية رقم ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ من سورة البقرة .

ابن عبيد الله أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثائر الرأس ،فقال يارسول الله أخبرنى ماذا فرض الله على من الصيام ؟ قال شهر رمضان . قال هل على غيره ؟ قال لا الا أن تطوع شيئا قال فأخبرنى ، ماذا فرض الله على من الزكاة ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام ، قال : والذى أكرمك لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص مما فرض الله على شيئا ، فقال النبى « صلى الله عليه وسلم » « أفلح ان صدق » أو « دخل الجنة ان صدق » متفق عليهما .

وأجمع المسلمون على وجوب صيام شهر رمضان .

وان أعظم منزلة لشهر الصيام، نزول القرآن ، فيه هدى للناس ، فكان الصيام احتفاء بنزول القرآن هدى للناس .

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فمن علم بهلال شهر رمضان ليلة الثلاثين من شعبان رؤية ، أو علم بحكم القاضى بثبوت الرؤية أو بتيقنه ممن رآه أو أخبر بالحساب الدقيق فليصمه .

« عن ابن عمر قال : تراءى الناس الهلال ، فأخبرت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — «أنى رأيته ، فصام وأمر بصيامه» رواه أبو داود .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: « جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى رأيت الهلال ، يعنى رمضان ، فقال : أتشهد أن لا اله الا الله ؟ قال نعم . قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : يا بلال أذن فى الناس فليصوموا غدا » .

رواه الخمسة الا أحمد — فتكفى شهادة الواحد العدل . وتكفى شهادة الاثنين العدلين فى شهادة رؤية شهر شوال فى آخر يوم من رمضان .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره ، يصوم لرؤية رمضان ، فان غم

عليه عد ثلاثين يوما ثم صام ، رواه أحمد .

وعن أبى هريره ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم ، فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » رواه البخارى ومسلم .

واذا تعارض الحساب والرؤية للعدل الثقة ، قدمت الرؤية ، ويؤخذ بالحساب الموثوق به بالمراصد وغيرها عند عدم الرؤية وان لم يعلم أكمل شعبان ثلاثين يوما .

وقيل يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم ، ولا يلزم رؤية غيرهم ، حكاه ابن المنذر عن عكرمة ، وحكاه الترمذى عن أهل العلم .

وقيل : انه لا يلزم بلد رؤية غيرهم ، الا أن يثبت ذلك عند الامام الأعظم «متى وجد الامام» وحينئذ يلزم الناس كلهم لأن البلاد فى حقه كالبلد الواحد .

والرأى الثالث ، ان تقاربت البلاد كان الحكم واحدا ، وهو الأقرب والأولى لجمع وحدة المسلمين .

وتجب النية من الليل فى صيام رمضان دون النفل ، يقول ابن عمر عن حفصة عن النبى « صلى الله عليه وسلم : « من لم يجمع الصيام قبل الفجر ، فلا صيام له » رواه الخمسة .

والنية محلها القلب ، فتتصل بالاستعداد للصوم ليلا والسحور للصوم .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن أنس ابن مالك قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » « تسحروا فان فى السحور بركة» ويسن تعجيل الفطر ، وتأخير السحور .

قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » رواه أحمد .

واذا أكل الصائم أو شربه ناسيا ، فيتم صومه ، وصومه صحيح ، روى البخارى عن النبى صلى الله عليها وسلم قال « اذا نسى فأكل وشرب ، فليتم صومه ، فانما أطعمه الله وسقاه » .

ومن شرب أو أكل متعمدا أثم وعليه القضاء ، ومن جامع فى نهار رمضان فعليه الكفارة ، وهى عتق رقبة ، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، ويقضى اليوم .

ومن كان مريضا أو على سفر فله الأفطار ، وعليه القضاء — ومن كان مريضا مرضا لا يرجى شفاؤه كمرض الشيخوخة ، وما ماثله ، فليطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه .

الحائض والنفساء لا يصح منهما الصوم ، ويحرم صومها ، فيفطران ويقضيان الصوم .

ويجوز للحبلى والمرضعة الافطار والقضاء وزاد بعض أهل العلم ، الاطعام عن كل يوم مسكينا .

واذا غلبه القىء فصومه صحيح بخلاف تعمد القىء ، واذا وصل غبار طريق الى حلقه أو دقيق لمزاولة لا يفسد الصوم .

ومن طلع عليه الفجر ، وهو يأكل أو يشرب فتوقف ، ومج الفاضل فلا يفسد صيامه .

وابتلاع ريقه لا يضر ، ويكره له أن يذوق الطعام ، ولو ذاقه ومجه فلا يفسد صيامه — ولايضر بالصيام الحقنة فى الجلد أو العضل أو العرق لأنها من طريق غير طبيعى ، بخلاف الحقنة الشرجية .

ويسن الفطر على تمر وماء ، لقول الرسول « صلى الله عليه وسلم « اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فان لم يجد ، فليفطر على ماء فانه طهور » رواه الخمسة الا النسائى ، وعن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبى « صلى الله عليه وسلم » كان اذا أفطر قال « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت » رواه أبو داود .

ان الصائم متجه بروحه الصافية فى شهر الخير ، شهر القرآن ، شهر الصيام — الى مولاه فى كل وقت ، مؤمنا ، وعابدا، وداعيا ، ومضاعفا للخيرات فى شهر الغفران ، قال « صلى الله عليه وسلم » (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى

« صلى الله عليه وسلم » أجـود الناس بالخير ،وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان فيدارسـه القـرآن فلرسول الله « صـلى الله عليـه وسـلم » اجود بالخير من الريح المرسـلة .

اقبال على الله بمضاعفة الجود والرحمة والبر والخير فى شهر فيه ليلة القدر فى شهر القرآن .

ومن هنا كانت آداب الصـوم بفعل الخـيرات ، والبعـد عـن الآثام ، قال « صلى الله عليـه وسلم »« من لم يدع قول الزور، والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وفى شـهر رمضـان ليلة بألف شهر هى ليلة القدر .

عن عائشـة رضى الله عنها، أن رسول الله « صلى اللـه عليـه وسلم » قال « تحروا ليلة القـدر فى الوتر فى العشر الأواخـر من رمضان » .

من أجـل ذلك كان يضـاعف الرسول « صلى الله عليه وسلم » العبادة والعمل فى العشر الأواخر عن عائشة قالت كان النبى « صلى الله عليه وسلم » اذا دخل العشر شد مئزره ، وأحيا ليلـه ، وأيقظ أهله .

وكان يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان ، فعن عائشة رضى الله تعالى عنها ، « أن النبى صلى الله عليه وسـلم كان يعتكـف العشر الأواخر من رمضـان حتى توفاه الله تعـالى ، ثم اعتكف أزواجـه من بعده » .

صلاة التراويح جمع ترويحة ، وهى المرة من الراحة ، وسـميت الصلاة فى الجماعة من رمضـان ، «التراويح» لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يسـتريحون بين كل تسليمتين وجاء فى صحيح البخارى عن أبى سـلمة بن عبد الرحمن ، أنه سأل عائشة « رضى الله عنها : كيف كانت صـلاة رسـول الله « صـلى الله عليه وسـلم » فى رمضان ؟ فقالت ، ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احـدى عشرة ركعة ، يصـلى أربعا فـلا

تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا فقلت : يا رسول الله : أتنام قبل أن توتر ؟ قال يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى » .

وجاء فى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » ليلة فى رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل ، فيصلى بصلاته الرهط ، فقال عمر : انى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أفضل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله .

فمن أراد أن يصلى التراويح احدى عشرة ركعة أو عشرين ركعة فله ذلك .

وزكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والفحش وقدرها صاع عن كل فرد وهو قدح وثلث بالكيل المصرى ، فتجزىء الكيلة عن ستة اشخاص وتكون من غالب قوت البلد من القمح أو الشعير أو السلت والذرة والدخن والأرز والتمر والزبيب والأقط (وهو لبن يابس نزع زبده) ويجوز دفع القيمة بالنقود .

عن ابن عباس قال (فرض رسول الله صلى‌الله عليه وعلى‌آله وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغووالرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات) رواه أبو داود وابن ماجه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الأمة الاسلامية الى مافيه خيرها وصلاحها كما نسأله تعالى أن يوفق ولاة أمور المسلمين الى جمع شملهم وتوحيد صفوفهم واعلاء كلمة الله .

والله ولى التوفيق

دكتور الحسينى هاشم

من وحي رمضان

للأستاذ محمد صابر البرديسي

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) .

تشريع الصيام ، ليس جديدا فى شريعة الاسلام ، وانما هو تشريع قديم شرعه الله للأمم السابقة .

وحينما تشعر النفس بأنها ليست منفردة بما تطالب به ، وانما سبق لأجيال ، وأمم مضت ، أن كلفت بهذا النوع من الصيام فانها تقبل عليه ، وتستريح له ، بلا مضض أو حرج أو استياء ..

والغاية من الصوم تفهم من قوله تعالى « لعلكم تتقون » هى الوقاية التى تقى الصائم ، وتحول بينه وبين الوقوع فى المحرمات ، والميل الى المنكرات .

الصوم يقى الفرد أن تتغلب عليه حيوانيته ، فيصير حيوانا لا ضابط له ..

والصوم يقى المجتمع من الانحراف ، فان المجتمع يتكون من الأفراد ، ومتى تهيأ الفرد الصالح الذى يعمل لخير المجتمع ، أصبح المجتمع صالحا .

واذا ما اتقى الانسان شرور نفسه ، واتقى المجتمع منه شروره ، فقد بلغ الفرد والمجتمع غاية التقوى ، وهذا معنى قوله تعالى « لعلكم تتقون » والله سبحانه وتعالى يعلم أن التكاليف بشىء أمر شاق على النفس تحتاج فيه الى دفع واستعداد ، حتى تستجيب له ، وتستأنس به ولو

---

(١) البقرة ١٨٣ .

كان فى هذا التكليف نفع لها ، ورفعة لشأنها ، هذا الدفع يكون بشىء محبب اليها ، تطمئن اليه ، وتقنع به .

ومن هنا جاء النداء فى أول الآية بقوله تعالى « **يأأيها الذين آمنوا** » هذا النداء المحبب الى كل عبد مؤمن ، ترتاح اليه نفسه ، ويسعد به قلبه حين يسمعه ، ويستعد لتلقى ما يجىء بعده .

فاذا ما جاء بعد هذا فريضة الصوم ، وذكرت الحكمة منه ، وقع ذلك من نفس المؤمن موقع الارتياح والاستحسان .

يتضح لنا من تلك الايحاءات ، أن الدين لا يقود الناس بالسلاسل الى الطاعات ، وانما يقودهم بالحب والرغبة والايمان والاقتناع . واذا حدث أن فسد الناس فى زمن من الازمان ، فان أحسن طريق لاصلاحهم ، يكون عن طريق التوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة لا عن طريق التشدد فى الأحكام على غير أساس .

فالاصلاح الناجح يكون بالتربية الحسنة ، والقدوة الصالحة واصلاح القلوب ، واحياء الشعور الطيب فى النفوس ، وخاصة فى الشعائر التى يتعبد بها الناس ، لأن حسابها بين العبد وربه لا تتعلق بها مصالح العباد .

ان الشريعة الاسلامية شريعة سمحة ، « ولن يشاد الدين أحد الا غلبه » يقول تبارك وتعالى « **أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا** » .

ويقول سبحانه « **ما جعل عليكم فى الدين من حرج** » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالملة السمحاء » .

فالدعوة الى الله ينبغى أن تكون بالصورة التى أرادها الله ، وتقررها شريعته الغراء ، فالله أعلم بما فيه صالح العباد .. قال تبارك وتعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن** » (١) .

هذه هى طريقة تربية هذه الأمة تربية أساسها الايمان والتقوى ،

---

(١) النحل .

ورقابة الله ، وحساسية الضمير .

وقد اختص الله شهر رمضان بمزيد من الفضل ،وعظيم الأجر .

روى عن سلمان الفارسى مرفوعا فى فضل شهر رمضان :

« من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » .

وروى أنه « يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ، ويقاص بعضها من بعض ، فان بقى من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها الجنة » .

لكن الصوم لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة ، فيوفى أجره فيها .

روى عن سفيان بن عيينة رحمه الله هذا الحديث :

« اذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ، ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لايبقى الا الصوم ، فيتحمل الله عز وجل ما بقى عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة .

الصوم سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره ، وفى الصوم ترك لتناول الشهوات ، التى يمكن تناولها عادة فى الخفاء ، فاذا ترك العبد ما تدعوه اليه نفسه طاعة لله ، وابتغاء مرضاته ، حيث لا يطلع عليه غيره ، فان ذلك يدل على كمال الايمان ، وصدق المحبة لله .

والله سبحانه وتعالى ، يحب من عباده أن يعاملوه سرا بينهم وبينه ، فلا يطلع على معاملتهم اياه سواه سبحانه وتعالى .

ومن أجل هذه النية الباطنة ، والسرية الصادقة ، أضاف الله سبحانه وتعالى الصيام الى نفسه وخصه باسناده اليه ، دون غيره من العبادات وسائر الأعمال .

روى فى الحديث القدسى أن الله تعالى يقول :

« كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » .

ومن كمال الصيام ، وتمام القرب من الله ، أن يترك الصائم المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ،

ثم تقرب الى الله تعالى بترك المباحات ، كان كمن ترك الفرائض وتقرب الى الله بالنوافل .

وهل يكون تمام قرب العبد من الله ، وكمال اتصاله به سبحانه وتعالى بترك المباحات ، مع مباشرته لما حرم الله ، من الكذب ، والظلم والعدوان على الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ؟

ان هذا أمر لا يقره العقل ، ولا يقبله الذوق السليم ، ويتنافى مع توجيهات الاسلام ، وأسسه التى بنى عليها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « من لم يدع قول الزور ، والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » (١) .

وفى حديث آخر « ليس الصيام من الطعام والشراب ، انما الصيام من اللغو والرفث » (٢) .

روى « اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ، ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .

اذا لم يكن فى السمع منى تصاون
وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى اذا من صومى الجوع والظمأ
فان قلت : انى صمت يومى فما صمت .

وقال صلى الله عليه وسلم : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » (٣) .

وقد روى « أن امرأتين صامتا فى عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فكادتا أن تموتا من العطش ، فذكر ذلك للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، ثم ذكرتا له ، فدعاهما ، فأمرهما أن يتقيآ ، فقاءتا ملء قدح قيحا ، ودما ، وصديدا ، ولحما عبيطا ، فقال النبى صلى الله عليه

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه ابن خزيمة ، وابن حيان فى صحيحهما — والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

(٣) رواه بن ماجه والنسائى ، وابن خزيمة فى صحيحه .

وسلم « ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست احداهما الى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس » (١) .

ومع أن الصيام فيه تمام القرب من الله ، لما فيه من اخلاص العبادة لله وترك للشهوات والمحرمات ، ففيه أيضا سمو بالروح ، وتربية للنفس ، وتنشيط للجسم ، وتحريك للعاطفة ، وتقوية للارادة ، وارغام لأنف الشيطان .

يترك الانسان فى رمضان الشبع والرى ، ومباشرة النساء ، فتسمو روحه .

يدع الصائم الرفث والفسوق والفجور والعصيان ولا يخاصم ولا يشاتم من أجل الصيام، ويتحرك لأعمال الخير ، فيصل الرحم ، ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر . ومتى تعودت النفس على ذلك فانها تسلك طريقها السوى وتسير نحو مدارج الكمال .

يقوم الصائم ليله ، يكثر من الصلاة نهاره ، وينتقل الى بيت الله ، ويصحو للسحور ، ويمشى لأداء ما عليه من واجبات ، فتحل الهداية فى قلبه ، واذا الهداية حلت قلب امرىء تنشطت لها الأعضاء وامتلأ الجسم حيوية وحركة .

والصائم يحس بألم الجوع ، وحرارة العطش ، فتتحرك فيه فضيلة الشفقة والرحمة ، فيعطف الغنى على الفقير، ويمد له يد العون والمساعدة . فالصوم يجعل الغنى يستشعر فى نفسه الأمانة على حق الفقراء، فيعطيهم حقهم من مال الله الذى آتاه « **وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** » (٢)

والفقراء يتذوقون مرارة الصوم ، وحينما تسعى اليهم خيرات الله على يد الأغنياء تتحرك فيهم عاطفة الحب وتملأ قلوبهم الأمانة ، فيحافظون على أموال الأغنياء ، وحينئذ يشعر الغنى والفقير بنعم الله ويحمدون

---

(١) رواه أحمد فى المسند .
(٢) الذاريات (١٩) .

الله على ما تفضل به عليهم من خير ونعمة .

وفى شهر الصيام يترك الصائم بعض ما تعود عليه من عادات التدخين ، والشاى ، وكثيرا من العادات التى يتوهم الانسان أنها أصبحت ملازمة له فتتقوى بالصوم الارادة فتكون عارمة جازمة ، وتضعف عنده سلطان العادة ، وحينئذ يملك زمام أمره فيستهين بنكبات الدهر وتقلبات الزمان ، ويتغلب على مشكلات الدنيا ، ويحتمل آلام الحياة ، ايثارا لما عند الله من الرضى والثواب ..

والصائم يخلو قلبه للفكر والذكر ، فيصفو ذهنه ، وترق مشاعره ، ويطرد بالصيام وساوس الشيطان فلا يكون له عليه سلطان ، قال تعالى : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » .

فى الصوم فوائد جمة ، ومزايا لاتعد ولاتحصى ، منها اذا استفحل الداء وعز الدواء كان الصيام خير شفاء .

وشهر الصيام رحمة وبركة ، وفيه ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن وهى خير من ألف شهر ، قال تعالى « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » .. وقال تبارك وتعالى « انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر » وقال تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .

كانت الليلة مباركة لانها ليلة القدر ، ولأنها أنزل فيها القرآن ، وكان الشهر مباركا لأنه نزل فيه القرآن ، وفرض فيه الصيام .

والقرآن الكريم لم يعين هذه الليلة فضلا منه ورحمة ، ليجتهد الصائمون طوال شهر رمضان ، وليحيوا لياليه يتلمسون هذا الفضل ويرجون هذه البركة .

وقد ورد من الأحاديث ما يشير ، بل يؤكد تحديد هذه الليلة ، فى ليلة من جملة الليالى ، من العشر الأواخر من رمضان ، ولا عجب أن تكون هذه الليلة خيرا من ألف شهر ، فان ليلة فيها هدى ونور ، خير من دهر يمضى فى ظلام

وضلال ، فليست قيمة الايام بساعاتها ، ولا قدر الليالى بطولها وعددها ، وانما قيمة الاوقات بما يحدث فيها من خير للناس ، وهدى للبشر ، وسعادة للأمة ..

عن أنس رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : « اذا كان ليلة القدر ، نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى » .

فعلى كل مسلم أن يتزود من خير هذا الشهر المبارك ، وخير الزاد التقوى .

اللهم وفق الامة الاسلامية علماءها وقادتها الى ما فيه خير الأمة وصلاحها .. اللهم اهدهم الى محاسن دينك ، والعمل على تطبيق شريعتك ، فى كل بلاد المسلمين، حتى يعود للأمة الاسلامية مجدها وتقود معاركها من نصر الى نصر ، والله سبحانه ولى التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

محمد صابر البرديسى

« الصائم المحتسب »

الصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا مطمئنا هادئا ، قد يصيبه فتور فى جسمه ولكن روحه تظل قوية متيقظة .

الصائم المحتسب لا يغضب فى رمضان مما كان يغضب منه فى غيره ، ولا يمل مما كان يمل منه وهو مفطر ، لأن صيامه لله ، وصبره بالله ، وجزاءه على الله .

من كتاب توجيهات الاسلام

لفضيلة الامام المرحوم الشيخ محمود شلتوت

دراسات قرآنية

سورة الطارق

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ ، فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » الخ .

لماذا أقسم الله بالسماء والطارق ؟

وكيف خلق الانسان من ماء دافق ؟

وما هو المقصود من الصلب والترائب ؟

البيان

لاشك أن عددا من الاسئلة يدور فى ذهن قارئى هذه السورة وسامعيها ، وأن الاجابة على تلك الاسئلة تريح قلوب المؤمنين ، وتزيد علم المتعلمين ، وتفتح الطريق الى حق اليقين .

(وأول هذه الاسئلة) :

لماذا يقسم الله بمخلوقاته ، فى حين أنه تعالى حظر علينا أن نقسم بغيره ؟ فلا يحل لنا أن نقسم بالملائكة أو الانبياء ، ولا بالآباء أو الأولياء ، ولا بالسماء وزينتها من النجوم ، وانما نحلف بالله الحى القيوم .

والجواب على هذا السؤال : أنه تعالى انما أقسم بها وهو خالقها ، لكى يوجه عباده الى معرفة آياته فيها لا الى تقديسها ، ويشير الى

---

١ ــ سورة الطارق

ذلك نحو قوله تعالى : « **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** » (١) .

أما اذا أقسم البشر فانهم ينحرفون الى تقديسها وعبادتها ، كما فعل البابليون ، حيث عظموا الكواكب ليتقربوا بها الى الله ، ثم عبدوها ، ثم رمزوا اليها بأصنام عبدوها لتقربهم اليها ، فازدادوا بذلك بعدا عن الذى خلقها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، فأرسل الله اليهم خليله ابراهيم ، لينهاهم عن عبادتها ، ويصرفهم الى عبادة خالقها ، فلما لم يمتثلوا حطم أصنامهم خفية ، فلما عرفوا أنه هو الذى حطمها ، أو قدوا له نارا وألقوه فى الجحيم ، فجعلها الله عليه بردا وسلاما .

(وثانى هذه الاسئلة) :

ما معنى السماء لغة وما المقصود بها هنا ؟

والجواب على هذا السؤال أن سماء كل شىء ما علاه ، فسماء البيت عرشه ، وسماء المستظل ظله ، والعلماء سماء العامة ، يستظلون بهم من نار الشبهات ، وهجير الجهالة ، وأنت تسمو على أقرانك أى تعلوهم ، والمطر سماء لعلوه ، ومنه قول الشاعر :

اذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا

أى اذا نزل المطر بأرض قوم رعينا الكلأ الذى نبت بسببه، وان لم يرض صاحب الارض التى نبت بها ــ كذلك يقول الشاعر متناسيا حق المالك فى أرضه .

والمراد بالسماء فى لسان الشرع غالبا : السماء ذات النجوم ، وقد تطلق على السحاب ، كما فى قوله تعالى : « **وأنزلنا من السماء ماء طهورا** » أى : وأنزلنا من السحاب ماء عظيم الطهارة بليغ النقاء مما يلوثه ، مطهرا لغيره من أدرانه .

والمراد بالسماء هنا : السماء ذات النجوم ، وهل النجوم من

---

(١) آل عمران ١٩٠

السماء أو هى السماء فى لسان الشرع ؟ والذى يبدو لنا أنها غير السماء فى لسان الشرع ، وأن هذه المغايرة ظلت خفية على المفسرين والباحثين ولم يتنبهوا لها ، فان النجوم والكواكب تسبح فى فضاء الله ، وهى زينة للسماء الدنيا وليست منها ، قال تعالى فى سورة الملك : « **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح** » وقال فى سورة ق : « **أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج** » وقال فى سورة الصافات : « **انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب** » .

ولا شك أن الزينة حلية يزدان بها غيرها ، فان الزينة غير ما يزدان بها ، ألا ترى أن القلادة زينة لصدر المرأة وليست هى صدر المرأة ، فكذلك النجوم زينة للسماء الدنيا وليست هى السماء الدنيا ، وذلك واضح من منطوق النص الكريم ، كما أنه واضح من حديث المعراج ، فان المعراج لم يكن الى الكواكب ولكنه كان الى السماوات .

ولقد قرأت مرة أن بعض (التلسكوبات) البعيدة المدى ، اكتشف بعض العلماء بالنظر فيها خلف الكواكب والنجوم والمجرات ما يؤكد ظاهر النص القرآنى ، من وجود سماوات وراءها لا يعرف حقيقتها سوى علام الغيوب ، وهكذا يبقى القرآن مفتاحا لغيوب لم تدركها عقول البشر !! وقد يدركون بعضها ، وبالجملة فانه سر الله المصون !!

أما هذه الزرقة التى نرى الكواكب والنجوم تلمع فى وسطها ، فهى زرقة الغلاف الجوى ، وقد اخترقه أولئك الرحالة الذين وصلوا الى القمر ، فلما جاوزوه لفهم الظلام حتى وصلوا الى الغلاف الجوى للقمر .

والسؤال الثالث :

الطارق والنجم الثاقب

ما هو الطارق الذى أقسم الله به مع السماء ؟

وفيما يلى مقدمة تسبق الجواب :

والجواب : أن الطارق قد يطلق فى عرف اللغة على سالك الطريق ، لانه يطرقها فى سيره ، ثم غلب على

من يأتى ليلا ، لانه يكثر مجيئة ، والأبواب مغلقة فيطرقها ، ثم اتسع فى معناه فأصبح يطلق على ما يظهر بالليل حتى الصور الخيالية ، كما فى قول الشاعر :

طرق الخيال ولاكليلة مدلج
سدكا بأرحلنا ولم يتعرج (١)

والمراد بالطارق هنا عند الجمهور : الكوكب الظاهر فى الليل ، اما على أنه اسم جنسى لكل كوكب ، أو هو كوكب معين — كما سنبينه ان شاء الله تعالى ٠

ويعظم الله أمر هذا الطارق فيقول « وما أدراك ما الطارق » وكأنه يقول : وأى شىء أعلمك أيها المخاطب ما هو الطارق الذى أقسم الله به ، انه لعظمة شأنه لا يعرف المراد منه أو حقيقته الا بالتلقى من العليم الحكيم ، ثم كشف عنه كشفا خفيفا فقال : « النجم الثاقب » يعنى ان الطارق الذى أقسم الله به هو النجم الذى يثقب الظلام بضوئه ، وهو جنس يشمل كل نجم يثقب الظلام بسناه ، أو هو نجم بعينه نوره أقوى ، وشعاعه أسرع ، وحجمه أكبر ومن العلماء من فسره بالجدى — نقلا عن ابن عباس — ومنهم من قال : انه الثريا نقلا عن ابن زيد ، فانه يكثر اطلاق اسم النجم عليه عند العرب ، وقيل هو زحل وهو أبعد السيارات وأرفعها وأقواها ضوءا — كما قال قدامى المنجمين ٠

وانما قلنا أبعد السيارات ، لأن الجدى والثريا أبعد منه بكثير ، وليسا من الكواكب السيارة حول الشمس ، ومنهم من قال هو كوكب الصبح ٠

وسواء كان هذا أو ذاك ، فكل منها دال على عظمة الله العلى الكبير ، حيث سيرها الله فى الفضاء بقدرته ، وأبدعها بحكمته ، وأنار بها المسالك للسالكين فى جنح الظلام ، وهدى بها المدلجين فى الصحارى ، والماخرين ليلا فى لجج البحار ، فما أعظمك أيها الخالق

---

(١) المدلج السائر فى الليل والسدك بفتح السين وكسر الدال المولع ، والأرحل بالحاء المهملة جمع رحل ، وهو ما يجلس عليه راكب الابل ، والتعرج الميل والانعطاف ٠

القدير ، والمدبر الحكيم . ثم أجاب على القسم بقوله سبحانه :

« ان كل نفس لما عليها حافظ »

أى ما كل نفس (١) الا عليها حافظ يحفظها أو يحفظ أعمالها ، أما الحافظ لها : فهو الملك الموكل بكل انسان ، يحفظه من الكوارث التى تحل بجواره أو فيه ، وينفذ مشيئة الله بنجاته ، كالرجل ينجو من سقوطه من مكان مرتفع ، أو انهيار منزل فوقه ، أو غرق سفينة كان بها وقد مات راكبوها ، أو الامتناع عن أكل طعام لا يعلم أنه مسموم ، أو غير ذلك من المهلكات التى ينجيه الله منها ، بأسباب خارجة عن ارادته وبغير تدبيره ، ولولا حفظ الله لهلك (٢) .

وأما الحافظ لأعمالها : فهو الملك ، الذى وكله الله بتسجيل أعماله خيرها وشرها فى صحيفة ليقرأها يوم القيامة ، ويعرف منها مصيره وجزاءه ، والناس يومئذ فريقان : **(مؤمن تقى)** يتناول كتابه بيمينه ، فيحس بالسعادة تغمر مشاعره ، **(وكافر شقى)** يتناول كتابه بشماله ، فيشعر بالشقاوة تغطى أحاسيسه ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الحاقة :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ، انى ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ماحسابيه ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى غنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه » الآيات

ولهذا الملك وصفان ـــ الرقابة والثبات ـــ وفى ذلك يقول الله تعالى : **« ما يلفظ من قول الا لديه**

---

(١) (فان) هنا بمعنى ما النافية ، و (لما) بمعنى الا ، وهى لغة مشهورة فى هذيل وغيرهم ، نقله أبو حيان عن الأخفش .

(٢) وفى ذلك يقول الله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » أى يحفظونه بأمره تعالى .

رقيب عتيد » أى مراقب ثابت •

ويصح أن يراد من الحافظ : المولى سبحانه ، فهو مهيمن ورقيب كما قال تعالى : **وكان الله على كل شىء رقيبا »** وقال الشاعر :

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب

عجائب خلق الانسان ومصيره

بعد أن بين الله فيما سبق أن كل نفس عليها حفظة يحفظونها ويحفظون أعمالها ، أمر الله الانسان أن يتأمل فى مبدأ خلقه ، ليستيقن بالبعث والجزاء ،

ويعمل من الصالحات ما ينجيه من سوء المصير فقال سبحانه : **« فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » الآيات** •

أى : فليتأمل الانسان من أى شىء خلقه الله بعد خلق أبيه آدم من تراب ، لقد خلقه الله بطريقة أخرى غير الطريقة التى خلق بها أباه ، وذلك أنه تعالى خلق فيه الرغبة الجنسية ، فاذا ما اتجه بها نمو أنثاه استجابت له ، وخرج من كل منهما عند الوقاع ماء دافق سريع الانصباب ، مدفوع بقوة الغريزة الجنسية التى أعدها الله لذلك فى كل من الرجل والمرأة •

وانما قال من ماء دافق ، مع أن الجنين مخلوق من ماءين ، ماء الرجل وماء المرأة ـ كما سنشرحه ـ لأن الماءين بامتزاجهما صارا ماء واحدا ، أو أن المعنى : خلق من ماء دافق يخرج من كل من الزوجين فيلتقى بالماء الآخر ، فيحصل التلقيح والحمل ، وقد حدثتنا الآية أن هذا الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، وزعم بعض قدامى المفسرين فى تفسيره : أنه يخرج من بين صلب الرجل ، وهو عظام ظهره ، وترائب المرأة ، وهى عظام صدرها ، حيث موضع قلادتها ، وادعى هؤلاء أن هذا التأويل منقول عن ابن عباس •

وهذا غير صحيح نقلا ولا موضوعا :

أما نقلا : فلأنه لم يروه عن الحبر ابن عباس من يوثق به بل رووا خلافه •

وأما موضوعا : فلأن صدر المرأة ليس وعاء لمنيها كما ثبت ذلك تشريحيا ، كما أن عظام الظهر ليست موضع المنى ولا مخرجه فى الرجل.

وانما مخرج المنى ومصنعه الأساسى : « الخصيتان فى الرجل ، والمبيضان فى المرأة » .

والصواب فى فهم الآية : أن المعنى : يخرج الماء الدافق من جميع أجزاء البدن فى كل من الرجل والمرأة ، فخروجه من بين الصلب والترائب كناية عن ذلك .

وتفصيل ذلك : أنه عند الوقاع تثور الشهوة الجنسية فى جميع البدن ، فينصب الدم الى الخصيتين فى الرجل والى المبيضين فى المرأة ، ثم يتحول فيهما الى نطفة ، وتشتمل نطفة الرجل على الحيوانات المنوية ، ونطفة المرأة على بويضة تخرج منها مرة كل دورة شهرية ، ثم تلتقى النطفتان فى القناة الفالوبية ، التى تصل بين رحم المرأة ومبيضيها ، ويحصل التلقيح للبويضة بأقوى الحيوانات المنوية داخل القناة المذكورة ، وتنقسم بسرعة الى خليتين ، والخليتان الى أربع ، والأربع الى ثمان وهكذا ، وبعد أربعة أيام ، تنزل خلايا كثيرة جدا من القناة الفالوبية الى الرحم ، وتظل تتكاثر داخل الرحم ، وفى اليوم الثالث من نزولها الى الرحم تلتصق بجداره ، وهذا هو القرار المتين للنطفة ، وقد رتب الله لها غذاءها فى داخل الرحم ، وبعد خمسين يوما تكون النطفة قد انعقدت جنينا طوله ثلاث سنتيمترات ، وبعد ثمانين يوما يكون طوله ثمانى سنتيمترات ، ووزنه خمسة وعشرين درهما وهذا الطور يسمى طور العلقة ، لأن الجنين عالق بجدار الرحم ، ويشبه فى تعلقه بها تعلق الدودة بما تمسك به ، ويبدأ بعد ذلك طور المضغة ، ويمكث أربعين يوما أخرى فوق الثمانين السابقة ، ويكون الجنين فى آخرها قد أتم مائة وعشرين يوما ، أى : أربعة أشهر ، ويكون قد تم خلقه فينفخ فيه الروح حينئذ ، ويكون طوله بعد أربعة أشهر ثمانية عشر سنتيمترا ، ووزنه سبعين درهما ، ويبدأ فى الحركة فى بطن أمه ، ويزيد وزنه

وطوله ، حتى يحين زمن فصاله وخروجه من رحم أمه كما قدره الله تعالى ، فيخرج باذن الله صالحا للحياة خارج الرحم ، وينتقل غذاؤه من رحم أمه الى صدرها ، فتبارك الله أحسن الخالقين •

وقد عبر الله عن خروج المنى من الجسد كله بخروجه من بين الصلب والترائب على سبيل الكناية كما قلنا لأن الترائب أطراف البدن كما جاء فى القاموس ، والصلب موضع العصب النازل من الدماغ ، ومنه تتوزع الشعيرات العصبية على جميع الجسد ، وله دخل عظيم فى نقل ايحاءات المخ الى الدورة الدموية ، فهو الذى ينقل الاحساس بالشهوة اليها فيثيرها ، وتنزل سلالة من الدم الثائر الى الانثيتين والمبيضين ، فيتحول فيهما الى منى •

وكأن ابن عباس كان يعيش بيننا فى عصر الحقائق العلمية ، حيث حمل الترائب على أطراف الانسان وعينيه ، كما نقله عنه مكى ، وروى الحسن عن قتادة : يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبهما ، وهذا هو المعنى الذى رأينا الأخذ به •

وبهذا التأويل رددنا كيد بعض الملاحدة الى نحورهم ، اذ طعنوا فى الآية بأن المنى لا يتولد من بين الصلب والترائب ، بل ينفصل من الجسد كله ليأخذ الجنين طبيعة أصله وصورته ، فان التأويل الذى ذكرناه هو المقصود من الآية الكريمة ، وبه يأخذ الجنين صورة أصله ، وهو المتفق مع رد الرسول صلى الله عليه على بعض النساء ، فقد ورد أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم : « هل على المرأة من غسل اذا هى احتلمت » ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم اذا رأت الماء » فقالت احدى النساء : « أو تحتلم المرأة يا رسول الله ؟ » قال : نعم ، فبم يشبهها ولدها ؟ » •

تلك هى خلاصة الحديث ومعناه واضح •

ولما بين الله خلق الجنين على هذا النحو العجيب ، عقبه ببيان

أن من قدر على ذلك فهو قادر على بعثه لجزائه ، حيث قال :

« انه على رجعه لقادر ، يوم تبلى السرائر ، فماله من قوة ولا ناصر » أى : انه تعالى على رجع الانسان الى الحياة بعد الموت لقادر لا يعجزه أن أصبح عظاما نخرة وحطاما مبعثرا فان من قدر على خلقه من ماء مهين ، قادر على أن يعيد له الحياة التى فارقته وفارقها ، فهو الذى يقول للشىء كن فيكون ، ومن سلب الحياة فهو قادر على ردها .

ولقد بين الله تعالى أن رجع الانسان وبعثه ، سيكون يوم تبلى السرائر ، أى يوم نكشف الامور الخفية من العقائد والنوايا وسائر الأعمال ، فتبدو واضحة لصاحبها ولأهل القيامة ، وليس له فى ذلك اليوم من قوة يمتنع بها ، ولا ناصر ينتصر به ، **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »** . نسأل الله السلامة فى هذا اليوم الرهيب .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« ما يقوله الصائم عند الافطار »

كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا أفطر قال :

اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله تعالى .

الى المسلمين فى كل أنحاء العالم

للأستاذ أحمد حسين

الى المسلمين فى مشرق الدنيا ومغربها ، لا الى الدول فحسب ، من أمثال الدول العربية وتركيا وباكستان وبانجلاديش ، ولا حيث يمثلون الاغلبية فى دول أفريقية أو أسيوية ، ولا حيث هم يجاهدون لاثبات الذات ، فى قبرص أو أريتريا والفلبين وغيرها ، أو حيث هم أقلية مسحوقة كزنوج الولايات المتحدة الأمريكية ، وانما أوجه حديثى الى هؤلاء وغيرهم من المسلمين فى كل مكان وركن فى العالمين ، الى حيث لا يذكر عددهم لقلتهم أو الخوف من بأسهم اذا كثروا ، الى المسلمين فى دول أوروبا بشرقها ، أو غربها ، أو فى جزر الدنيا المتناثرة عبر البحار ، الى حيث يوجد مسلم واحد ، فليست العبرة بالكثرة أو القلة ، « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

وتاريخ الاسلام لم يقم فى يوم من الأيام على الكثرة ، وكل معارك الاسلام بدأ بمعارك الرسول صلوات الله وسلامه عليه — ومرورا بأعظم معاركه عبر التاريخ ، كالقادسية واليرموك ، وانتهاء بحطين وعين جالوت لم يكن المسلمون هم الأكثر عددا ، وانما كانوا كما يجب أن يكونوا دائما ، هم الأشد ايمانا والآخذين بجانب الحق والعدل الالهيين .

الى هؤلاء المسلمين ، حيثما كانوا وأينما كانوا وكيفما كانوا ، ولقد زعموا أن عدتكم تبلغ ٨٠٠ مليون مسلم ، والله يشهد انهم لكاذبون تصورا منهم أنهم يغضون

من شأنكم اذ يقللون من عددكم ، وانكم لأكثر من ذلك ، ولكن العبرة ليست بالعدد كما قدمت ، فقد فتح المسلمون دنيا عصرهم وقهروا القوتين العظميتين (الفرس والروم) وعددهم لا يتجاوز بضعة ألوف وهذا هو ما يجب أن يتكرر الى هؤلاء جميعا أوجه هذه الرسالة .

من هو العبد الفقير :

ومن حق من يتلقى الرسالة ، أن يعلم من صاحبها ، فكاتب الرسالة ليس ملكا ، ولا هو رئيس أو كبير، أو صاحب مال أو جاه وانما صاحب هذه الرسالة عجوز (فوق السبعين) مشلولا شللا كاملا منذ أكثر من عشر سنوات .

ولكنه والحمد لله نشأ من أبوين مسلمين وعاش فى طاعة الله ما وسعه الجهد، ولم يبرح الاسلام خاطره فى يوم من الايام .

فأنشأ فى صباه أى منذ أكثر من ستين عاما جمعية (نصر الدين الاسلامى) وعندما كبر وشب عن الطوق وكان ممن أخذوا بروعة المدنية الأوربية ، فنقل عنها الاشتراكية ، حرص على أن يجعلها اشتراكية اسلامية من الألف الى الياء حتى رأى نفسه فى غفلة ، وأن الاسلام بمبادئه وتعاليمه ، فى غنى عن كل المسميات وكل النظم وكل التعاليم التى لم ترد فى القرآن ، ومن أجل ذلك فهو يكتب هذه الرسالة ويودعها خلاصة معارفه وتجاربه عبر السنين ، ويعهد بها الى المسلمين كافة وليبلغ الشاهد الغائب وبهذا يكون الكاتب قد أدى الامانة فاشهد اللهم .

بعض التعاليم الاسلامية :

ولأسق الآن بعض المبادىء والتعاليم التى تعتبر فى الوقت الحاضر ذروة الحضارة الانسانية ، وتعمل أمريكا وأوربا بشرقها وغربها ، للوصول اليها وتحقيقها ولكن دون جدوى ، أقول فلأسق بعض هذه المبادىء ونرى أنها كانت سارية ومطبقة بالفعل لأنها من صميم التعاليم الاسلامية المنصوص عليها فى القرآن والسنة .

الحرية والاخاء والمساواة :

وهى مبادىء ثلاثة عظيمة ، قيل انها من صنع الثـورة الفرنسية ، ومنهـا سرت الى بقيـــة أوروبا وأمريكا ، والثورة الفرنسية لم تقم الا فى الثلث الأخير من القـــرن الثامن عشر ، حيث نادى بهـــا الاسلام وطبقها بالفعل منذ القرن السادس واليك النصوص .

الحـــرية :

ـ لكم دينكم ولى دين .
ـ لا اكراه فى الدين .
ـ فمن شاء فليؤمن ومن شـــاء فليكفر .

ويقول عمر بن الخطاب لعمرو ابن العاص يؤنبـه عــلى بعض تصرفاته : « ياعمرو متى استعبدتم الناس وقـــد ولدتهم أماتهـــم أحرارا » .

فاذا علمت أن الدين فى حيـاة المسلم ، هو كل شىء ، هو حيـاته كلها ، أدركت ، أنه اذ يدع غـيره وما يعتقد ، هو تغليب للحـــرية الانسانية ، على الحياة نفسهـا ، ولن تدرك عظمة هذا المبدأ الـــذى طبقه الاسلام بالفعل الا اذا علمت أن فى الاتحاد السوفييتى ، وفيما يدعـو له من تعاليم لتطبـــق فى العالمين ، لا يسمح لمن يدين بغير الشيوعية بالبقـــاء ، وتعتبـــر المجتمعات الرأسماليـــة نفسها فى ذروة الرقى والتقـدم لأنها تسمح (على مضض) بوجود أحـــزاب شيوعية بين ظهرانيها .

أما أوروبا فى العصور الوسطى فلـــم تكن تسـمح بالحيـــاة (الكريمة) لمن لم يكن مسيحيا .

الاخـــاء :

أما ثانى مبدأ قامت عليه الثورة الفرنسية ، وشادت عليــه أوروبا حضارتها المزعومة ، فهو (الاخاء) وفى ذلك يقول القرآن الكريم .. « **انما المؤمنـــون اخوة** » وحيث ظلت كلمة الاخاء الفرنسية مجرد لفظ براق خال من كل مضـمون ، فقد كان المجتمع الاسلامى كله ، سواء فى الكل أو التفاصـيل يبنى على هذه الاخوة .

المســـاواة :

قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « المسلمون سواسية كأسنان المشط » والاسلام كله مبنى على هذه المساواة •

الاشتراكية :

ننتقل الآن الى نظام حديث ، زعموا أن العقل الأوربى قد ابتكره لتحقيق قدر من العدالة الاجتماعية ، ونعنى به الاشتراكية حيث النظام أحد أركان الاسلام الخمسة ، وأعنى به الزكاة ولا يخطئن أحد فيتصور أن الزكاة هى الضرائب ، فالضرائب تدفع فى مقابل خدمات تؤديها الدولة ، أما الزكاة فهى حق الفقراء فى أموال الأغنياء ، أى أن أروع مافى الاشتراكية ، وهو تأمين كافة أفراد المجتمع ضد العوز والحاجة هو أحد أركان الاسلام •

التعاون :

ومن النظم التى ابتكرتها ما أطلق عليه اسم « الحضارة الغربية » نظام التعاون ، ليعالجوا بعض مفاسد الجشع فى جنى الأرباح ، وهذا التعاون هو لب المجتمع الاسلامى وجوهره ، وهو الذى يحقق كل المبادىء السابقة ويضعها موضع التطبيق ، يقول رسول الله •• صلى الله عليه وسلم — « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » •

وجاء فى القرآن الكريم•• « **وتعاونوا على البر والتقوى** » ومن هنا كان التعاون بأدق معانيه وتفاصيله ، هو سدى الحياة الاسلامية ولحمتها ، ولا داعى لذكر الأمثلة فالمجتمع كله ، كان قائما على التعاون •

النظام والنظافة :

وتزعم الحضارة (التى وصفت بأنها غربية) أنها تقوم أول ماتقوم على النظام والنظافة ، حيث نرى أنفسنا أولا وقبل كل شىء على أساسين من أسس العبادة الاسلامية ، فالصلاة الجماعية لا تكمل الا اذا سادها النظام فيطلب الامام دائما من المصلين أن يسووا صفوفهم ، وفى الصلاة

فى الحرمين ، المكى والمدنى ، فى أيام الحج صورة لا مثيل لها فى الدنيا كلها ، حيث ينتظم قرابة مليون مصل فى صفوف خلف الامام ، أما عن النظافة : فشىء بدوره لا مثيل له فى العالم ، فالصلاة لا تصح الا بعد غسل (أى استحمام) والمسلم مطالب أن يتوضأ قبل أى صلاة ، وعددها خمس فى اليوم الواحد .

التمييز العنصرى :

ونصل الى مشكلة من أعقد مشاكل ما يسمونه بالحضارة الغربية ، وهو التمييز العنصرى ، وهو يسرى مسرى الدم فى هذه الحضارة المزعومة ، ويتصور الكثيرون أنها وقف على التمييز بين الألوان ، هى عامة وشائعة وتعتبر مثلا أعلى فى بعض النظم (التقدمية) فالشيوعية على سبيل المثال تعمل على القضاء على من تسميهم « بورجوازيين » وفى عهد الاستعمار كان كل مستعمر يضع نفسه بطبيعة الحال فوق الشعوب التى نكبت باستعماره .

وهكذا ..

وما التمييز بين اللون الأبيض والأسود الا أحد مظاهر هذا التمييز .

وقد برىء المجتمع الاسلامى من هذا الرجس ، فأوامر القرآن الصارمة ، ونص كلام الرسول يحرم هذا التمييز لأى سبب من أسباب اللون أو الجنس أو القبيلة ، وبديلها فى العصر الحديث (الوطنية) يقول الرسول صلوات الله عليه ، ما معناه : « لا فضل لعربى على عجمى أو أبيض على أسود أو أحمر الا بالتقوى » .

والرسول فى ذلك يردد المبدأ القرآنى الذى أوحى اليه .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وكان انعدام التمييز العنصرى بكافة أنواعه وتفريعاته ، نصا وروحا هو أحد الأسس التى قام عليها المجتمع الاسلامى .

الوحدة الانسانية :

وأخيرا انتهت الحضارة الغربية

المزعومة الى فكرة توحيد البشرية (من الناحية النظـــرية) فكانت عصبة الأمم وخليفتها هيئة الأمم وكلتاهما نادتا بقانون عام يعلـــو القوانين المحلية ، ولا يزال كـــل ذلك بطبيعة الحال (حبـــرا على ورق) حيث ان المبدأ عنصر أساسى فى الحضارة الاســــلامية فالبشر جميعا أمة واحدة يعلوهــا قانون السماء . « **وان هذه أمتكم أمـــة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » .

ونستطيع أن نمضى فى هــــذا السرد حتى نصل الى أدق التفاصيل مثل آداب المائـــدة ، والاستئذان وكل صنوف التعامل مما قـــررته الانسانية عبر ألوف الســــنين ، وأصبح يطلق عليه مدنية وحضارة ونقله الأوربيون عن المســـلمين فى العصور الوسطى ، فسادوا وعزوا بهـــذه المبـــادىء والتعاليم ، حتى تفوقوا على المسلمين أنفســــهم (الذين كانوا قدتها ونوافى هـــذه المبادىء أو نسوها أو جهلوهـــا) واستطاع الأوربيون بفضل مانقلوه وتعلموه من المسلمين أن يقهروهم عسكريا وبالتالى أن يسيطروا عليهم ويحكمونهم وراحوا بموجب القاعدة التى تقول . (ان المغلوب يقلـــد الغالب) ينقلون عن الأوربيين ما كان الأوربيون قد سبق أن نقلوه عنهم ، من نظام ونظافة وعلم .. الى آخره .

ولا عيب فى ذلك وانما العيب فى أن يتصور المسلمون أن الغربيين هم الذين ابتدعوا هذه المبادىء وأن سر تخلف المسلمين هو فى تمسكهم بالاســــلام ، حيث يشهد الواقع والتاريخ بغير ذلك على ما قدمنا .

كيف ومتى نقـــل الأوربيـــون الحضارة الاسلامية ؟

وقبل أن نمضى قدما فى تبيان رسالة المسلمين اليوم فنريـــد أن نوضح لمن لم يكن يعلم ، متى وأين وكيف نقل الأوربيون الحضــــارة الاسلامية .

وبـــداءة ذى بدء فليعلم من لم يكن يعلم أن ليس هناك ســــوى حضارة واحدة وأن الزعم بأن هناك حضـــــارة ـــ شرقية وأخـــرى « غربية » هـــــو من تخليطات الأوربيين ومادرجوا عليه من تمييز

عنصرى فليس هناك سوى حضارة انسانية واحدة ، وهى مجموعة قواعد « السمو الانسانى » ومحاولته العيش على ظهر الارض فى أحسن حالة ممكنة .

انتهاء الحضارة الى العالم الاسلامى :

وقد نشأت الحضارة أول ما نشأت فى مصر ، وانتقلت منها الى حوض البحر الابيض كله أولا فى شرقه (اثينا) ثم الى وسطه (روما) وكان يوجد فى أنحاء أخرى فى الشرق الأوسط بعض مراكز حضارية كأشور وبابل وفارس وغيرها ، وقد انتهى ذلك كله الى الحضارة الاسلامية بعد أن أضفى القرآن على كل ما كان سليما منهذه المبادىء روحا قدسية تشهد بمصدرها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا فقد شهد البشر عبر ألف سنة عالما اسلاميا يغص بأسمى صور الحضارة ، حيث كانت أوروبا الحديثة .. (انجلترا — فرنسا — ألمانيا — وروسيا) تعيش فيما أسموه بالعصور المظلمة والتىدامت أكثر من خمسمائة سنة ، ويجب أن نقف قليلا ازاء هذه الحقيقة لنعرف حدود الظلام الذى عاشته أوروبا ومداه ، وكيف دخلت مرحلة النور تحت وهج الحضارة الاسلامية

كيفية انتقال الحضارة الى أوروبا؟

كانت أوروبا كلها ، باستثناء اليونان وروما والشريط من ساحل البحر الابيض ، تعيش فى حالة قبلية يصفها مؤرخو الغرب بأنها كانت همجية بربرية ، الى الحد الذى عندما احتلت هذه القبائل الهمجية روما فى العصور الوسطى أعتبر ذلك نهاية الحضارة وبدء عصور الظلام واعتنقت القبائل المتبررة المسيحية فسرعان ماعكست جوهرها وهو المحبة والمودة والتسامح الى صورة وحشية أخذت صورة « محاكم التفتيش » التى كان أسلوبها تعذيب الجسد بأبشع صنوف التعذيب لتطهر الروح ، وكان من بين جرائم هذه المحاكم على سبيل المثال ، حرق جان دارك حية .

وعلى هذا الغرار تبعت أوروبا من مشرقها (ما عدا حوض البحر

الأبيض) لمغربها المسيحية (ذروة حضارة الشرق فى ذلك الوقت) فالجهل والقذارة هما قمة التدين ، ولا يدخل الجنة الا من أذنت له الكنيسة ،ولماكان بابا روما هو رأس الكنيسة فأصبح يصدر قرار « الحرمان » على دول بأكملها فيستحيل عليها أن تدخل الجنة ، بينما يستطيع هو أن يدخل الجنة من يشاء عن طريق « صكوك الغفران » ويطول بنا المقام لورحنا نتحدث عن أوروبا فى العصور الوسطى وحسبنا أن الاوروبيين أنفسهم هم الذين أطلقوا عليها أسم عصور الظلام .

الحروب الصليبية :

وقررت أوروبا « المظلمة » أن تقضى على الاسلام والمسلمين فأرسلت انجلترا وفرنسا والمانيا جيوشها الى فلسطين لتخليص بيت المقدس من الكفرة المسلمين ، وعندما استولت هذه القوة الطاغية على بيت المقدس ، أجروا خيولهم فى بحار من دماء المسلمين واليهود، واسترد صلاح الدين بيت المقدس بعد هزيمة الصليبيين فى موقعة حطين ، وتصرف وفق التعاليم الاسلامية من رحمة وتسامح وبعد عن الانتقام فانبهرت أوروبا بالحضارة الاسلامية فراحت تنقلها فنقلت النظافة والعلم والأخلاق الرحيمة وكان أن بدأت أوروبا رحلتها فى سبيل التقدم والتحضر مبتدئة بما سمى بحركة « الاصلاح الدينى » واكتشفت أمريكا فى محاولتها تفادى الوصول الى الهند عن غير طريق المسلمين ومن جديد راحوا فى أمريكا يطبقون أساليبهم الوحشية والبربرية فى ابادة الهنود الحمر .

والخلاصة : أن أوروبا لم تعرف الحضارة الا عن طريقين .

الأول ـــ نقلها مباشرة عن طريق الأندلس (أسبانيا) .

الثانى ـــ كثمرة من ثمار الاحتكاك فى الحروب الصليبية .

الامور التى زادتها أوروبا على ما نقلته :

أما بالنسبة للمبادىء الرئيسية للحضارة فلم ترد الا فكرة واحدة وهى فكرة الحكم عن طريق الأغلبية العددية وسنرى فساد

هذا النظـــام من وجهة النظـر الاسلامية .

فنى الرسم والنحت :

وتفوق الأوربيون فى فنى الرسم والنحت ، ذلك أن الاسلام وهــو أعدى أعداء الوثنية حرم هــذين الفنيين ، ليتفادى صنع الأصـــنام والتماثيل ، ولذلك فقـــد انصرف الفنان المسلم الى نوع من النقوش يزخرف بها منشئاته وهو نوع من التجريد الذى انتهى الفنان المعاصر اليه ، وقد طوفت أوروبا وأمريكا، فكانت هذه الرسوم الضخمة على الجدران أو اللوحات والتمـــاثيل المختلفة دينية أو غير دينية تمثـل عنصرا تجاهلته الحضارة الاسلامية وقد تصور المسلمون « خطأ » أن ذلك هو عنوان الرقى ، فحـــاولوا ذلك بأوربا فى هذا المضـــمار ، واندفعوا فى جهـــالتهم يقلدون « الموسـيقى » مع أنهم فى هذا المضــمار يتفوقون على الأوربيين فحيث تعرف موسيقاهم النغمـة ونصف النغمة وربع النغمة ، فــلا تعرف الموسيقى الأوربية ســوى نصف النغمة فاعتبر ذلك هـــو التقـــدم .

تطوير الآلات :

أما الشىء الثانى ، فهو تطوير ما نقلــوه من آلات ، حيث توقف المسلمون ، فتصور الأوربيون أنهم وحدهم القادرون عـــلى الابتكار والاختراع وكانت المصيبة عندمـــا صدقهم المسلمون ، مع أن الممارس لأى عمل من الاعمـــال لا يلبث أن يضيف اليه أو أن ينقص ما لا يرى ضرورة له وهكذا .

وهذا التطور فى صناعة الآلات هو ما يســـمى فى عصرنا الحديث « بالتكنولوجيا » ولا علاقة لــــه بالمدنية والحضارة التى هى أسس وقواعد وهدفها الأول والأخير هو التكافـــل بين البشر والعيش فى أخوة وسلام ورحمة .

قرنان من الزمان فقط :

ولما كان الأوربيون برابرة وهمج بطبيعتهم ، فان الحضارة لم تستقر عندهم أكثر من قرنين (١٨ ، ١٩) ولم يكد القرن العشرون يســتهل حتى أشعل الأوربيون فيما بينهم

حربا وحشية لم تعرف الدنيا لها مثيلا من قبل فى وحشيتها ، وتوقفت لعشرين سنة فقط لتعود أشد ضراوة ووحشية .

وانسلخت أوروبا وأمريكا من الحضارة جملة ، فلا دين أو أخلاق وانما صراع ووحشية ، يفوز فيه دائما الأكثر مثالا والأكثر ازدراء للقوانين والقيم الحضارية وحسبنا أن نشير الى آخر صنوف التجارة فى أمريكا وهو الاتجار فى قطع الغيار البشرية فيقتل الناس (بطريقة علمية) فى احدى المستشفيات ، ليقطع الجسد بعد موته الى قطع غيار تباع فى السوق ويشيع الأمر الى جعله (فيلما سينمائيا) يعرض فى دور السينما ولقد انتهت أوروبا بشرقها وغربها كقوة حضارية ، وليس سوى متعلمى ومثقفى المسلمين من لايزالون ، ينظرون الى أوروبا وأمريكا باعتبارهما مصدرا للحضارة والحضارة منهما براء ومن هنا يجىء واجب المسلمين فى بعث الحضارة الانسانية بكل قيمها ومبادئها الموروثة .

القضاء على الربا :

ولست أريد أن أقف طويلا أمام الأفكار الزائفة التى أضافتها أوربا الى دنيا الفكر من أن أصل الانسان قرد (داروين) ، أو أن الجنس هو محور حياة الانسان (فرويد)أو أن لا وجود لله (ماركس) .

ولكنى أقف أمام النظام الاقتصادى حيث عمل اليهود (وهم قلة مسحوقة) على السيطرة على أوربا وأمريكا عن طريق ادخال (الربا) على المعاملات ، واعتباره أساس الحياة الاقتصادية ، وقد برئت الحضارة الاسلامية من هذه اللعنة ، ان أعظم ما قام به المسلمون فى الوقت الحاضر هو انشاء مؤسسات لا تعمل بالربا . ان سلطان اليهود (الذى يجعلهم يفكرون فىالسيطرة على العالم وبدأ باحتلال فلسطين وانشاء دولة اسرائيل بدأ بنظام الربا بحيث أصبحوا يسيطرون على البنوك وتسيطر البنوك على سائر مناشط الاقتصاد كما هو الحال فى أمريكا .

النظام الديمقراطى :

وثمة نظام كاذب تحمل لواءه أوربا بشرقها وغربها فضلا عن أمريكا وذلك هو ما يسمى (بالنظام الديمقراطى) وهو الحكم السياسى للأكثرية العددية للسكان وهو نظام فاسد من أساسه •

يقول تعالى فى محكم تنزيله **« وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك »** وليس أدل على كذب الادعاء بحكم الاكثرية أن انجلترا (٤٠ مليون) حكمت أيام الاستعمار شعوبا مؤلفة من ألف مليون وكذلك فرنسا ، وكل دولة تزعم انها تؤمن بالديمقراطية (أمريكا فى فيتنام واليوم روسيا فى أفغانستان) فالتشدق بحكم الأغلبية والنزول عند رأى الارادة الشعبية هو محض هراء تتشدق به قلة عددية لتسود به أغلبية عددية •

الشورى أساس الحكم الاسلامى :

ومن هنا كان نظام الشورى الاسلامى هو النظام الأمثل والأكمل •

فلينهض المسلمون :

مؤمنين أن دينهم ، هو الدين ، وأن حضارتهم هى الحضارة وأن ما يجدونه من أنظمة عريقة الأصول فهى بضاعتهم ردت اليهم •

وعليهم أولا قبل كل شىء أن لا يقلدوا الغرب فى عبادة المال والعمل بكل الوسائل لجمع أكبر قدر منه •

فما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وأن الآخرة خير وأبقى وأن السعادة كل السعادة فى هذه الدنيا يكون بالرضا والقناعة ومن تحلى بهاتين الصفتين يعيش طول عمره « أمينا » لا يكذب ولا يغش أو يخادع فضلا عن أن يسرق أو ينهب ويعيش رحيما عطوفا ناظرا الى أى انسان على أنه أخاه •

وهذه هى الحضارة فعلى المسلمين أن يعملوا على تحقيقها وانهم لقادرون على ذلك •

ألا هل بلغت اللهم فاشهد •

أحمد حسين

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رءوف شلبي

(أ) البطالة
ب) الانحرافات الأخلاقية
(جـ) الانحرافات المالية

* * ثانيا ــ الحل

(أ) العمل ...
(ب) الاستقامة
(أ) الاستقامة الأخلاقية
(ب) الاستقامة فى الانفاق

١ ــ المشكلة الاقتصادية

لاشك أن الاقتصاد له مشكلة يعترف بها كل أصحاب النظريات الاقتصادية ، غير أن كل مذهب اقتصادى له تفسير للمشكلة الاقتصادية ، تتبع الأسس الفلسفية التى يقوم عليها المذهب .

الاسلام يعترف أن هناك مشكلة اقتصادية ، لكنها ليست فى الندرة ولا فى قلة الموارد الطبيعية كما يقول أصحاب نظرية الرأسمالية ولاهى فى أن التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع ، كما تذهب الى ذلك الماركسية ، ذلك لأن الله تبارك وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ، وقد خلق الله الأرض وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين .

بل ان نعم الله التى يمن بها على عباده أنه خلق لنا معايش ولسنا له برازقين ، وخصص لكل نوع من المخلوقات طعامه :

يقول جل جلاله : **وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم »**

٣١ ــ ٣٢ عبس

وقد أقسم الله تعالى على أن

رزق العباد فى السماء « وفى **السماء رزقكم وماتوعدون ،فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون »** •

٢٢ ، ٢٣ الذاريات

ولكن المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام تكمن فى :

* البطالة
* الانحرافات الأخلاقية
* الانحرافات المالية

(أ) أما البطالة فقد حذر منها النبى — صلى الله عليه وسلم — عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم •

ويقول عليه الصلاة والسلام : على كل مسلم صدقة • فقالوا : يارسول الله فمن لم يجد ؟

فقال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فان لم يجد قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فان لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فانها له صدقة •

(ب) الانحرافات الأخلاقية :

الاسلام نظام متكامل تتغذى كل مجالاته بعضها من بعض ، والمشكلة الاقتصادية تنشأ عن الفساد الخلقى ، لأن الفساد الخلقى يضيع المال دون مقابل •

فشرب الخمر ، والحشيش ، والأفيون ، والزنا ، والقمار ، واللعب ليلا فى صالات الرقص ، والملاهى الليلية ، والكاباريهات •• الخ ضياع للمال دون عوض مقابل ، وضياع للوقت ، وضياع للصحة •

والمال والوقت والصحة كلها وسائل انتاج ، ليست فقط معطلة بل ذاهبة فى الهباء ، فكأنما الانحرافات الأخلاقية تلقى كمية من وسائل الانتاج فى عرض بحر الهوى ، كما تنفق كمية من الزمن فى دخان الشهوة •

وكل ذلك يعطل الانتاج ، ويقلل وظيفته الأساسية ، من كونه خدمة للمجتمع فى مجالات الخير والفضيلة ، وتحوله الى نفقة على الذات خاصة فى فراغ ليس من ورائه نفع ولا فائدة •

ولقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من هـذا العبث ، ففى الحديث الشريف : عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أنه : كره قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ..

رواه البخارى

كما حذر من اتلاف المال بغير وجه حق ، فقال صلى الله عليه وسلم :

من أخذ أموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله ، الا أن يكون معروفا بالصبر ، فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، كفعل أبى بكر حين تصدق بماله ،وكذلك آثر الأنصار المهاجرين ، ونهى رسول الله عن اضاعة المال فليس له أن يضيع أموال الناس بعلة الصدقة .

رواه البخارى

وينهى الاسلام الزوجة من افساد مال زوجها ، لأنه سبب من أسباب المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لاينقص بعضهم أجر بعض شيئا » .

رواه البخارى

ومن الانحرافات الأخلاقية قتل الأولاد خوف الفقر ، أو لقيام الفقر بهم ، لأن الأولاد ، طاقة عمل تحتاجها ميادين الانتاج ، وقلة الأيدى العاملة تؤثر فى الانتاج كما وكيفا ، وبالتالى تؤثر على وظيفة المال كخدمة لرخاء العيش للجماعة الاسلامية .

ولهذا كله حرص الاسلام على أن يبرأ المجتمع الاسلامى من هذه الأمراض الاجتماعية ، التى تفسد الأخلاق ، وبالتالى تفسد الاقتصاد ، وتفرخ المشكلة الاقتصادية .

يقول الله تعالى :

« انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

٩٠ ــ المائدة

ويقول الله تعالى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا بـه شـيئا وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلـوا اولادكم من املاق نحن نرزقكـم واياهـم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطـن ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ».

ولاتقربوا مال اليتيـم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسـط لا نكلف نفسا الا وسـعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعـوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

١٥١ ــ ١٥٣ الأنعـام

ومع هـذا التشريع المرطب للمشاعر ، المتقبل لدى الفطـرة السليمة ، المرضى للعقل المنصف ، فان الله يكرر تحذيراته من ضياع المال فى الانحرافات ، ويرتب على الفساد الخلقى فساد الحياة كلها، يقول جل جلاله :

«واذا أردنا ان نهلك قـرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحـق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

١٦ ــ الاسراء

ويقول جل شأنه :

وكان فى المدينة تسـعة رهط يفسدون فى الأرض ولايصلحون ، قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشـهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ، ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشـعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين » .

٤٨ ــ ٥١ النمـل

ولقد ضرب الأمثال فى القرآن الكريم عـلى أن هـلاك الأمـم والأفراد تابع للفساد الأخلاقى ، وليس هناك أشد فسادا خلقيا من الكفر والفسق ،وقد كانت خاتمة أصحاب الجنة فى سـورة القلم ، أنها أصبحت كالصريم لأنهم غدوا على حرد قادرين فى زعمهم ، على منع الفقراء من حقهم المسنون .

(جـ) أما عن الانحرافات المادية

فقد حرم الاسلام كل تصرف مالى يؤثر فى الدورة الاقتصادية .

* فحرم الاحتكار ففى الحديث : من احتكر فهو خاطىء مسلم وأبو داود .

* من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس رواه : أحمد وابن ماجه

* من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله . رواه : أحمد والحاكم حديث حسن

* وحرم الغش ففى الحديث: من غش فليس منى

اصحاب السنن

* وحرم الربا ، يقول الله تعالى : **وأحل الله البيع وحرم الربا**

٢٧٥ البقرة

* وحرم السرقة يقول الله تعالى : **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله .**

٣٨ المائدة

* وحرم الميسر : يقول الله **تعالى :**

انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

٩٠ المائدة

* **الغصب : ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون .**

١٨٨ البقرة

ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا .

٢٩ ــ ٣٠ النساء

وفى البخارى عن حكيم‌بن‌حزام قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ، ثم سألتهفأعطانى ، ثم قال ياحكيم : ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس

بورك له فيه ومن أخـذه باشراف نفس لم يبـارك له فيـه وكـان كالذى يأكل ولا يشـبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى .

* الغل : وهو أخذ المال من الأنفال قبل القسـمة « **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** » .

١٦١ آل عمران

* الطمع : يقول النبى صـلى الله عليه وسلم :

لو كان لابن آدم واديان مـن مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جـوف ابن آدم الا التراب ويتوب اللـه على من تاب .

رواه البخارى

* الاتلاف : يقول النبى صلى الله عليه وسلم : من أخذ أمـوال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد أن يتلفها أتلفـه الله .

رواه أحمد وابن ماجه

تلك مجموعـة من التشريعات التى تصور أسـباب المشـكلة الاقتصـادية ، انها فى البطالة واتلاف المال ، والانحرافات بشتى أنماطها ، وهى أمور لم يفطن لها أصحاب المذاهب الاقتصادية ، بل أنهم ليمارسون هذه الانحرافات وهم لا يشعرون ، انها مفاسـد تفرخ المشـكلة الاقتصـادية ، فالخمور ، والقمار ، والكباريهات والمسارح ، وصالات الرقص كلها أنظمة مستوردة من عالم أوربا ، وعالم الشيوعية والاشـتراكية ، تلك التى جعلت المسارح بديلا عن المساجد وهى سلوكيات .

وما أحوج الأمة الاسـلامية فى عصرهـا الحـاضر ، وهى تملك أساسيات العمل الاقتصادى ، من ثروات متعددة المصادر والمنابع ، ما أحوجها الى عودة مخلصـة لنظامها الاسـلامى ، فلعلها ان جربت سـعدت ، وانه لمن العجب العجاب ، أن تفسح الأمة العربية والاسـلامية صـدرها الوطنى والاقتصادى ، لنظريات غربيـة معربدة ، وشرقية فاشلة ، وتتلقى مآسى فى اقتصادياتها كل يـوم ، ثم تستمر متمسكة بما أدخلته فى بلادها من هذا الشر الوبيل ، ولم تفق لنداء الله "**ولو أن أهل القرى**

آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » •
٩٦ الأعراف

ثانيا — الحل الاسلامى للمشكلة الاقتصادية

تتركز الحلول الاسلامية بشكل موضوعى ، للتغلب على المشكلة الاقتصادية من مفهومها المشروع سابقا ، على دعامتين اثنتين فقط :

الدعامة الاولى : العمل :

الدعامة الثانية : الاستقامة على شرع الله :

(أ) أما العمل : فقد حظى فى الاسلام بتوضيح شامل ، لأن الاسلام ذاته منهج عملى ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم فى كل حياته كان عمليا:انه مع المجاهدين يحفر الخندق ، ومع الطهاة يجمع الحطب ، ويساعد أهل بيته ، وكان يخصف نعله بيده الشريفة وهو القائل : صاحب الشىء أولى بحمله والله تعالى يشهد على عمل المسلمين ، والرسول الكريم — عليه الصلاة والسلام— يشهد مع الله على عمل المسلمين وجماعة المؤمنين مع ربهم ورسولهم يشهدون عمل المسلمين فيما تتلوه آيات من سورة التوبة :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » •

١٠٥ — التوبة

والعمل فى التصور الاسلامى يشمل الأرض والبحار والأنهار والزرع والضرع ، فقد عرف المسلم أن الله سخر له هذا الكون كما دعاه الله الى السير فى جنبات الأرض سعيا على رزقه ، يقول الله تعالى :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » •

١٥ — الملك

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه •

ودعا الى الجدية فى العمل ، والحسن فى الأداء ، فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ان الله يحب أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه » •

والقرآن الكريم يحشد آيات جمة تصور صلة العمل فى الدنيا بمركز الفرد المسلم يوم القيامة ،

يقول الله تعالى :

«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

٧ ــ ٨ الزلزلة

« ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » •

١٣ ــ ١٥ القيامة

ويحذر القرآن الكريم من سوء العاقبة للعمل الفاسد :

«ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » •

٤١ ــ الروم

وقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم السعى على المعيشة من أسباب تكفير الذنوب فيقول :

ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة يكفرها الهم فى طلب المعيشة •

أبو نعيم فى الحلية

ب ــ وأما الاستقامة فهى استقامة الأغنياء •

واستقامة الفقراء

أخلاقيا ، وماديا ، نفسيا ووجدانيا ، وأساس الاستقامة عند الأغنياء أن يتمسكوا بما شرعه الله فى الأموال من حقوق للفقراء والمساكين وابن السبيل وفى سبيل الله ••• الخ لا يغمطوهم حقا ، ولا يستذلوهم بحق ، فان الأخوة الاسلامية والولاية فى المجتمع الاسلامى تربط بين المسلمين برباط واحد ، فى تحقيق كمال العبودية لله واذا أدرك الأغنياء أن الغنى ليس بكثرة العرض ، بل بكثرة القناعة والرضا ، طابت نفوسهم بما أعطاهم الله ، ورضيت نفوسهم بالبذل لأصحاب الحاجة والفقراء ، كذلك اذا أدركوا أن هذه الحياة قسمها الله من الأزل وأنه لاراد لما اعطى الله ، ولا

معطى لما منع الله ، طابت نفوسهم بما يبذل لهم من حق هولهم فى مال الأغنياء ،وعملوا على ازالة فقرهم بجد فى الكد والكدح ، والجهاد ، فمن بات كالا من عمل يـــده بات مغفورا له .

والقضية الأساسية فى الاستقامة أن الحياة الدنيا لا تسير دواليبها الا بالتنظيم ، الـــذى أبدعه الله وسيرها عليه ، يقول الله تعالى :

((أهم يقسمون رحمت ربــك ، نحن قسمنا بينهم معيشـــتهم فى الحياة الدنيا ،ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمت ربك خير ممــا يجمعون ، ولولا أن يكون الناس أمةواحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعــارج عليها يظهـــرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ،وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيـــا والآخرة عند ربك للمتقين)) .

٣٢ ــ ٣٥ الزخرف

ان هذا التقسيم الالهى ، يجب أن يحترم من المســـلمين ، وان الخروج عليه افساد يدفـــع اليه الجهل بميزان التـــوزيع الآلهى ، فليست نظريات الاقتصاد هى التى توزع ، وليست الحكومات شرقية أو غربية هى التى توزع ، فكلهـــا تصاب بالعجز فى الانتاج ، وقـــد استمر العجز فى انتاج الغذاء فى روسيا الشـــيوعية ، حتى راحت تســـتجدى أمريكا اتفاقات شراء قمـــح لتغطية العجـــز الزراعى ، وذلـــك لعلة تخفى عـــلى كـــل الاقتصاديين ، وهى أن التـــوزيع الهى فيقول الله تعـــالى :

((له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شىء عليم)) .

١٢ ــ الشورى

وصدر الآية دليل على التقسيم فالله هو صاحب مقاليد السموات والارض ، انه جل جلاله هو الذى يدبر الأمر فيهما ، وهو جل جلاله الذى قدر الأقـــوات فى الأرض ، وهو جل جلاله الذى جعـــل رزق العباد فى السموات ، وهو جلجلاله الذى يبسط الـــرزق لمن يشـــاء من عباده ، وهو جل جلاله الذى يقدر الرزق على مـــن يشاء مـــن

عباده لعلة وحكمة هى : **ولو بسط الله الرزق لعبادة لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشـــاء انه بعباده خبير بصير » •**

٢٧ الشورى

فمن الذى يقدر من البشر :

اقتصاديين

او سياسيين

أو عسكريين

من الذى يستطيع أن يغير هذا التوزيع الأعلى ؟

• هــل استطاع الشيوعيون تغييره ؟ لقد عجزوا وفشلوا ويكفى ســوء حالة العالم الشــيوعى فى اقتصـــاده ، ومجتمعه وأسرته وأفـــراده وهم البائســون ، المطحـــــونون الأذلاء للالـــة ولأســيادهم أعضــاء الحــزب الحاكم •

• وهل استطاع الرأســماليون تغييره ؟ فما بال الملايين الجائعة ، والملايين من اطنان القمح تطرح فى المحيط لحماية السعر ، ولاخضاع الأمم للاســتعمار الاقتصــادى الحديث •

• أما الاســلام فقــد جعــل الايمان أساسا لحــل كل مشــكلة وأساسا للتوزيع •

يقــول الله تعــالى : **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفـــارا يرسل السماء عليكم مــدرارا •• ويمددكم بأموال وبنين ويجعــل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » •**

١٠ ــ ١٢ ــ نــوح

وتأتى رحمات الله فى الضــيق لمن تاب اليه واستمســـك بوحيه وعمل بشرعه : يقول الله تعالى :

«وهو الذى ينزل الغيث منبعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميــد » •

٢٨ ــ الشورى •

فالاستقامة هى :

ألا يتخذ الأغنياء من أموالهــم سبيلا الى ارتكاب المعـــاصى ، واذلال الشعوب •

وألايحسد الفقراء الأغنياء على ما منحهم الله من فضله •

ولــم تقــع الأمة العربيـــة والاســـلامية فريســة الثورات العسكرية التى قامت ، تدعى أنها

جاءت للعدالة الاجتماعية ، فصادرت الأموال والحريات من أجل هذه الدعوى .... لم تقع الأمة فريسة لهذه الثورات الا لأنها جعلت شرع الله خلف ظهرها ، وارتمت فى أحضان النظام الأوربى فصارت بيوتهم كبيوت أوربا لغة وسلوكا .. فتحدثوا الأوربية وشربوا الخمر وحولوا بيوتهم الى مراقص ، ونظروا الى الفقراء نظرة العبيد الأرقاء ..

واذا كانت القاعدة ما من ظالم الا ويبلى بظالم ، فقد ظلم أولئك القوم أنفسهم بخروجهم على شرع الله ، فابتلاهم الله بظالم يصادر أموالهم ، ويعصف بحرياتهم ... فما زادت الثورات العسكرية عالمنا العربى والاسلامى الا سجنا على سجن ، وذلا على ذل ، وفقرا على فقر ... وصدق الله العلى العظيم :

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال : رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

١٢٤ — ١٢٧ طه

فهل الى عودة من سبيل ؟؟ !!

د . رءوف شلبى

* * *

يونس عليه السلام ودعاة الإصلاح

للاستاذ السيد حسن قرون

حين أرخت السيرة النبوية لرحلة النبى محمد صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، بعد وفاة عمه أبىطالب ، وزوجه خديجة ، فى السنة العاشرة من المبعث ، وسجلتما جرى من سادة ثقيف ، وسفهائها وأرقائها ، لم يفتها أنتسجل لقاء النبى بأحد الارقاء ، وهو عداس غلام ابنى ربيعة : عتبةوشيبة ، فقد لجأ النبى الى بستان هذين الأخوين ، حين لقى ما لقى من أذى القوم الذين نالوا من سيد البشر ، رعاية لقريش أنتسمع عنهم حسن اللقاء .

نظر الأخوان القرشيان عتبة وشيبة الى الرسول ، فتحركت له رحمهما ، فهما يجتمعان معه فى (عبد مناف) فأرسلا اليه غلامهما (عداسا) بطبق فيه قطف عنب ، فجرى بين الرسول وعداس حوار على النحو التالى ، كما يروى ابن هشام فى السيرة النبوية . وضع عداس طبق العنب بين يدى النبى، وقال له : كل . فلما وضع النبى فيه يده قال : باسم الله ، ثم أكل .

نظر عداس فى وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل تلك البلاد . فقال رسول الله : ومن أهل أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصرانى ، وأنا رجل من أهل (نينوى) فقال رسول الله : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله . ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى ، فأكب عداس على رسول الله،صلى

الله عليه وسلم ،يقبل رأسه ويديه وقدميه .

يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه — وقد رأيا مارأيا — أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما رجع اليهما عداس قالا له : ويلك يا عداس ؟ مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه الا نبى . قالا له : ويحك يا عداس ، لايصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه . ومن البديه أنك تدرك الصلة بين محمد ويونس فى تلك المصادفة العجيبة ، فالرسول جاء الى الطائف ليتخذ من أهلها عونا على نشر رسالات ربه ، والتصدى لقريش لدحر أصنامها وأوثانها ، انه خرج من مكة غاضبا من قومه ، منكرا لعنادهم ، راغبا فى هدايتهم بكل الطرق الممكنة ، ولكنه خرج ليعود ، وخروجه نوع من الجهاد والامل فى هداية العباد ، أما يونس فقد خرج مغاضبا لمن أرسل اليهم ، لا تطاوعه نفسه للعودة الى قريتهم ، حذرهم وأنذرهم ودعا عليهم ، فلما لم يجد أثرا لكل ذلك تركهم ليلقوا مصيرهم .. ولئن كانت ثقيف ردته أقبح رد ، فقد وجد من عداس الايمان والتكريم والحفاوة البالغة ، التى تتمثل فى تقبيل رأسه ويديه وقدميه . كان النبى وحيدا بين أئمة الكفر ، ولكن عناية الله عطفت عليه من آمن ومن أصر على الكفر .. ولكن يونس لقى ما سنحدثك عنه فى مسير الكلمات .

وقد كان ذكر يونس فى هذا البلد الموحش ، وفى هذا الوقت العصيب ، دلائل تبشر بالفرج وانفساح الآمال ، فيونس بعد الضيق الذى أحاط به ، وضغطه عليه ولفه فى ظلماته واتاه الفرج واسباغ النعمة .. والقرآن الكريم يقص علينا قصة يونس فى سور منه هى : سورة يونس ، وسورة الأنبياء ، وسورة الصافات وسورة القلم على الترتيب الذى استقر عليه المصحف الشريف ، فلا غرو أن أسير على هذا النهج ، فأتناول الآيات التى وردت فى تلك السور ،

مبينا العبرة منهـا ، والدروس المستفادة من كل موضـع ، لتكون أمام دعاة الاصلاح نبراسا فى شق طريقهم نحو هداية البشر ، ومـا المصـلحون الا بصيص من نـور النبوات، وقبس مما تركوا منعظات والقرآن فى ترتيب سـوره بـدأ بخاتمة القصة ، لما لها مـن نتائج بارة سارة ، ولأن تلك النتيجـة تشير الى انفراد قـرية يونس بنعمة لم تنعم بها قرية أو أمـة أو قوم جاءتهم النذر على أيـدى الرسل •

آية واحدة وردت فى سـورة يونس ، سميت السورة باسمها ، والآية الكريمة تعطيك مثالا رائعا للايمان ونفعه ، لمن شرح اللـه صدورهم ، فازدادوا به قربا مـن الله ، وشوقا الى عبادته وتوحيده، نجوا علىحين أصاب غيرهم الغرق أو الخسف أو العذاب المهين بالظلة أو الريح الصرصر العاتية ، لـكن قوم يونس آمنوا بعد كفر، وأطاعوا بعد عصيان • ومتى آمنوا ؟ عجب عاجب ، انهم آمنوا بعد أن غاب عنهم نبيهم غاضبا من مسـلكهم ، زاريا لخلافهم ،كارها للحياةبينهم، آمنوا ولذلك لم يجعلهم الله مثل الذين قال عنهم : **« أن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنـون • ولو جاءتهم كل آيـة حتى يـروا العذاب الاليم »** (١) بل شـاء هدايتهم ، فقذف فى قلوبهم التوبة، فلبسوا المسـوح ، وتناهوا عن المظالم ، وعجوا الى ربهم أربعين ليلة ـــ كما تقول كتب التفسير ـــ فلما عرف الله منهم الصـدق ، والتـوبة والندامة عـلى ما مضى منهم ، كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم مصداقا لقوله تعالى من سورة يونس آية ٩٨

« فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنـوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين » •

وهذا تنويه عظيم بتلك القرية ، التى نالت رضا الله ، فكشف عنها

---

(١) يونس ٩٦ و ٩٧ •

عذاب الحريق، أو الغرق أو الخسف أو ما الى ذلك ، ولعذاب الآخرة أكبر ، وهذا يعطى للتوبة مذاقا لايحسه الا المهتدون، الذين عرفوا الذنب فندموا ، وعزموا على ألا يعودوا اليه ، فتجلت عليهم السعادة والتوبة أثر من الايمان وضوء منه، فاذا ملأ الايمان القلوب ضاقت على الذنوب ، وصار ذووها مثلا عالية يقتدى بهم وتتأثر خطاهم . ولذلك سميت السورة بسورة يونس فهو وان هرب فقد كان السر فى ايمان هؤلاء القوم الذين يسكنون نينوى من اقليم الموصل شمالى العراق ، وان كان الحديث عن قوم يونس فالله لا يضيع أجر العاملين، ويحاسبهم بعد ان قصروا ، وفى التنويه بقوم يونس علامة على عناية الله بالمؤمنين وفضله عليهم ، وأنهم محل انعامه واكرامه .

وتذكر كتب التراث أن متى أبا يونس كان رجلا صالحا يسكن فلسطين ، نشأ ابنه تحت عينه وبصره يقومه ويوجهه ، فشب على الصلاح والتقوى ، وهذا واجب الآباء نحو الأبناء ، فلما شب عن الطوق وبلغ أشده ، وصار صالحا لتحمل التبعات ، هبط عليه جبريل ، فأمره أن يتوجه برسالة الله الى أهل نينوى ، فنفذ أمر ربه .. وأنا أساير القرآن ــ كما قدمت ــ فأذكر ما جاء بسورة الانبياء وما جاء بها خاص بيونس ، وما جرى له بعد أن هرب من قومه ، عنيت سورة يونس بقوم يونس . أما سورة الانبياءفخصت يونس وتوبته وتسبيحه فى أضيق حالاته .

جاء ذلك فى آيتين اثنتين ٨٧،٨٨ من سورة الانبياء . قال تعالى :

« وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » .

تتحدث هاتان الآيتان عما وقع فيه يونس صاحب الحوت من الخطأ ، وماصار اليه من العقاب ، وما وفق اليه من أسباب النجاة ، وصار عقابه معجزة له ، تذكرها الرسل فى المحنة ، ويتقبلها الأتباع

للعظة ، ويرويها الدعاة للاهتداء .

خرج يونس من قريته دون اذن ربه مغاضبا لقومه ، ظانا أنه يجد سعة بعد ضيق ، وراحة بعد عناء ، ولم يدر ما قدر له ، فلم يتخذ فى البر مهربا ومضطربا ، بل ركبمع قوم سفينة ثقيلة حمولتها ، فلجت بهم . وخافوا أن يغرقــوا ، فاقترعوا على رجل يلقونه فى الماء ليخف حمــل السفينة ، فوقعت القرعة عليه ، فأبوا أن يلقوه ثــم أعادوها فوقعت عليه أيضا ، فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليــه ، وفى سـورة الصــافات تقول الآيــة « فساهم فكان من المدحضين » أى أجريت القرعة فكان من المغلوبين فالمدحض من دحضــت حجته أى بطلت ، وأدحضها الله أبطلها ،ومن معانى المادة دحضت رجلــه أى زلقت ، فكأنه بعمله أزلق نفســه وألقى بها فى المهالك . ومن ثم قام يونس وتجرد من ثيابه كما يقــول ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم، وألقى نفسه فى البحر ، وقد أرسل الله من البحر الأخضر حوتا يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه ، فأوصى الله الى ذلك الحوت ألا تأكل له لحما ، ولا تهشم له عظما ، فان يونس ليس لك رزقا وانما بطنك يكون لــه ســجنا .

هكــذا يروى ابن كثير عــن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ ، وهذا قول يرضاه المؤمنون .

والآيتان تلخصان موقفه : هرب وظن أن لن يضيق عليه بعد هربه ، فيقدر بمعنى يضيق وهــو رأى أرتضيه وأفضله على من قال يقدر بمعنى يقضى عليه ، وحال يــونس تعين المراد ، وأصحاب الــرأى الاول استشهدوا بقوله تعــالى : **« ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف اللــه نفســا الا ما آتاها سيجعل الله بعــد عسر يسرا »**(١) فمعنى «قدر عليه رزقه» ضيقه عليه فصار فى عسر لا يسر ، فيونس ضاق ذرعا بمن أرسل اليهم فهرب منهم ليجد أرضا واســعة ، وظن أنه لايعود الى الضيق فجازاه

---

(١) الطــلاق ٧ .

الله بعكس مراده ، فى ضيق لامثيل له ، فى ظلمات ثلاث : ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ، ليكون ذلك أبلغ فى العقاب وأبلغ فى العظة ، وأدعى الى تذكر ذنبه ، والعمل على الخلاص منه ، أراد الله له النجاة فهداه الى أن ينادى فى الظلمات نداء حفيا أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين والاعتراف يهدم الاقتراف ، أقر بالذنب وأبان ظلم نفسه لنفسه فنظر الله اليه فنجاه من غمه ، وكذلك يمن الله على المؤمنين ، ومما يروى عن أنس بن مالك يرفع الحديث الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يونس حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت قال : اللهم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة : يارب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة . فقال : أما تعرفون ذاك ؟ قالوا : يارب ومن هو ؟ قال : عبدى يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة : قالوا : يارب أو لا ترحم من كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه فى العراء . ودعاء يونس هذا له منزلة رفيعة عند السلف الصالح ، ويرون أن المسلم اذا دعا به منيبا الى ربه استجيب له . وعلى ذلك جاء الحديث « من دعا بدعاء يونس استجيب له »

وقد بان لك فى ضوء النص القرآنى ، أن يونس كان فى سعة من أمره فرآه ضيقا ، وظن أن فى هربه بحبوبة من العيش ، فاذا به فىمكان أشد مايكون تحجرا وضيقا وأن دعاءه الصادق منقلبه الخاشع أبدله من الحرج فرجا ، فعاد الى سيرته ليسير على منهج الرسل ، فيجب على الداعية أن يتحلى بالصبر ، ويتخلى عن القلق والضجر ، وأن يفتح صدره للمعارضة ، وأن يتسع أفقه ليسع المؤيدين والنابذين ، كما فعل ألو العزم من الرسل ، وقد كان نبينا المثل الأعلى فى الصبر ومعالجة ضعف البشرية بأسلوب يحسن

الاقتداء به • لقد كانت ثقيف محك امتحانه فأدى الامتحان قادرا عليه وكان دعاؤه التضرع الى من بيده الأمر كله ، فانفرجت عنه الغاشية، وبدا عمله فى لقــاء القبــائل فى المواسم حتى تم له نشر رســالته بمن اهتــدى بهــديه من الأوس والخزرج حماة يثرب •

وأنا فى هذا الصدد لا أميل الى تحديد المدة التى مكث فيها يونس فى بطن الحوت ، فقد ذكر بعضهم أنه مكث سبعة وأربعين يــوما ، وجعلها بعضهم ثلاثة أيام ، وقال الشعبى التقمه الحوت ضــحوة ونبذه عشية ، فــلا داعى لهــذا التحديد فقد عوقب يونس بأن حل فى بطن الحوت ، ولقى الضــيق والعنت مما دعاه الى عون ربــه ، فألقاه الحوت فى العراء وهو عليل• واقرأ معى آيات سورة الصــافات الآيــات من (١٣٩ الى ١٤٨) وفيها القصة كلها •

قال تعالى : « **وان يونس لمــن المرسلين • اذ أبق الى الفلــك المشحون • فســاهم فكان من المدحضين • فالتقمه الحوت وهو مليم • فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثــون •**

فنبذناه بالعراء وهو سقيم• وأنبتنا عليه شجرة من يقطين • وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون • فآمنوا فمتعناهم الى حين » •

وقد شملت تلك الآيات القصــة كلها ، مؤكدة رســـالة يونس ، موضحة مدى قيامه بأمـــر تلك الرسالة ، وعقابه على هربه عـــن حمل الأمانة ، ثم العفو عنه لما دعا وتضرع وأناب •

ولتوضيح هذه الآيات نضع تلك الاشـــارات الى ماتضمنته من دلالات ، فهى تؤكد رسالته كمــا قدمنا ، والرسالة عليها تبعــات تقتضى الصبر والجلد وسعة الأفق والحلم والأناة ، وأن الرسول فى قومه طبيب القلوب ، يعالجها من العمى ، ويطهرها من الأوضــار ، ثم ان الله وصفه بالاباق فجعلــه عبدا هاربا من سيده على طــريق المجاز ، فلو أنه استأذن ربه حين ضاق بقومه للقى البصــيرة التى تفتح له الأبواب ،ثم جعله يمارس

هربه فى سفينة يساهم من فيها ، فيكون هو المغلوب فى المساهمة ، والطامة الكبرى أنه لا ينقذ حين رمى بنفسه كما يفعل السباحون ، انما كان على موعد مع الحوت الذى حمله فضغط عليه .. ثم سبح فكانت المفاجأة السارة ، فطرحه الحوت على الشاطىء عاريا سقيما، وأنعم الله عليه بشجرة من يقطين قيل هى شجرة القرع التى لايحوم حولها الذباب أنشأها الله انشاء ، أمام عينيه فكانت قبة فوقه تحميه من عوامل الطبيعة . وأتم الله عليه نعمته فرجع الى قومه ، فوجدهم على ما وصفنا من الايمان والتوبة والتقوى وحسن المعاملة ، وكانوا مائة ألف بل يزيدون فأو فى الآية بمعنى بل ؟ لأن الله عالم بعددهم ولا داعى لجعل العدد فى نظر الرائى من البشر ، وهؤلاء القوم ان متعوا فى الدنيا فأمامهم نعيم الآخرة ، فقد وعد الله المؤمنين جنات النعيم .

وتأتى آيات سورة القلم لتتحدث عن يونس أيضا ، ولكن الخطاب هنا لرسول الله محمد بن عبد الله ، تساق اليه للتأسى والتصبر والتسلية ، والدفع الى أداء الرسالة لهداية البشرية ، ويقال فى سبب نزولها ان الرسول هم بالدعاء على ثقيف حين تحصنوا بالطائف ، ولم يدخلوا فى دين الاسلام كسائر العرب بالجزيرة العربية فقال تعالى :

« فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » (١) والآيات مفهومة فى ضوء ما سقناه قبلها من شرح وتوضيح ، وتلاحظ أن ضيقه جاء فى عبارات متقاربة ، فهو قد خرج « مغاضبا » وهو قد « أبق » ، وأخيرا « نادى وهو مكظوم »

تجد حاله حين التقمه الحوت عكس حاله حين نبذه فى

---

(١) القلم ٤٨ الى ٥٠ .

العراء ، ففى الأولى كان ملوما ، وفى الاخرى غير ملوم .

فعلى الدعاة فى زماننا أن ينهجوا منهج التقوى باتخاذ الصبر وسيلة الى بلوغ المرام ،وأن تكون الموعظة الحسنة سبيلهم الى انارة الأذهان وتحريك الوجدان ، ولهم من الوسائل مايعينهم على الاصلاح ، عندهم كتاب الله وسنة رسوله ، ولهم ثقافتهم من علوم النفس والاجتماع والتاريخ مايسهل الامر ويهون العمل .

ألا بالصبر تبلغ ماتريد
وبالتقوى يلين لك الحديد

ولنا من حياة الأنبياء وتجارب المصلحين نجوم تهدى فلا نضل الطريق . والله الموفق .

السيد حسن قرون

« رجاء الى كتاب مجلة الأزهر »

تسهيلا لعمليات المراجعة ، . يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة « التبرايتر » ثم مراجعتها ــ أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والله الموفق .

أسرة المجلة

منابع النور .. فى غار حراء

للأستاذ جابر حمزة فراج

تعهد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالعناية والرعاية .. وبث فيه الطهر والنقاء .. وزرع فى أعماقه الخير والصفاء .. وصانه من الجهل والعبث .. وحفظه من الشرك والانحراف .. وعصمه من النقائص والرذائل وزوده بأحسن الصفات .. وطبعه على أجمل الشمائل .. وأفضل الشيم .. وأطيب الخصال .. وتوجه بمكارم الأخلاق .. ووهبه الكمال والجلال .. وزينه بأرقى معالم الآداب .. وجمع فيه كل ما تتطلبه الانسانية من مثل عليا .. وقيم سامية .. حتى صار كما قال عن نفسه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .. وصدق الله تعالى اذ يقول عنه : **« وانك لعلى خلق عظيم »** ..

اشتهر محمد بين كل من خالطه وعرفه .. بالنبل والفضل .. والعفاف والوقار .. والصدق والأمانة .. والعزة والكرامة .. والاعتدال والاستقامة .. والمروءة والنزاهة .. وحسن المعاملة .. وطيب المعاشرة .. ولين الجانب .. وخفض الجناح .. والتواضع والمسالمة .. ورغم أنه نشأ فى قوم تربوا بين الجبال الشامخة .. والوديان السحيقة .. والصحراء الفسيحة .. تملأ حياتهم الفوضى .. ودنياهم الهمجية .. حيث لا شريعة تهديهم .. ولا قانون ينظمهم .. ولا حاكم يردعهم .. فالقوة الجائرة أسلوبهم .. والقهر والقمع وسيلتهم .. الا أن محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يكن على شاكلتهم .. ولم يتأثر بعاداتهم

ولم ينحـــــدر معهم الى مهاوى الشرك والضــــلال •• وعبادة الأصــنام والأوثان •• بل سـلك طريقه فى الحيــــاة •• لم يظلم أو يكذب •• لم يعتد أو يتجبر •• لم يفتر أو يتكبر •• لم يجنـــح أو يأثم •• لم يفحش أو يفجر •• لم يخن أو يغـــدر •• وانما كان يقابل التحامل بالتســـامح •• والاساءة بالصـــفح •• والتجاوز بالابتســـام •• حتى أصبح بين القوم مضرب الأمثال •• فلقبـوه بالصادق الأمين ••

مارس محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحياة ممارسة الانسان الذى يؤمن برسالته التى من أجلها خلق •• ليكون عضوا عاملا نافعا يمنح المجتمـع الخير والعطاء •• اشـــتغل فى طفولته برعى الابل والأغنام •• لتتأصل فى قلبه الرأفة والرحمة •• والعطف والشفقة •• ويتجسم فى نفسه تحمل المسئولية •• ثم اشتغل بالتجارة وهو شاب يافع •• فاختلط بالناس وعاشرهم وعاملهم •• حتى اكتسب من وراء ذلك الخبرة والتجربة •• وبين هذا وذاك كان قمـــة فى الأخلاق •• وذروة فى المعاملة الصالحة المشرقة •• الأمر الذى جعله محبــــوبا مرموقا عند الجميع •• لم تجرفه تيارات الجاهليـــة الطاغية •• ولم يتأثر بانحرافات الشباب العاتية •• ولم ينزلق الى ما وصل اليه القوم نحو الهاوية ، ولم تخدعه الدنيـــا وزينتها •• أو الحيـــاة بفتنتها •• بل كان بعيدا عن النزوات •• نائيا عن الشـــــهوات والنزعات •• ولا غرو •• فهذا محمد الذى علمه ربه ورعاه •• وهذبه وهـــداه •• واختاره واصطفاه •• ورفع ذكره وارتضاه •• هيأه للرســـالة •• ودربه ليتحمـــل الأمانة •• والله أعلم حيث يجعل رسالته •• انتقاه ليكون قدوة •• وصـــانه ليصبح أسوة •• فلقنه أسمى المبادىء •• وأنبل المقاصد •• وأشرف الغايات •• ليكون للناس بشيرا ونذيرا ••

اتجر فى مال خديجـــة أمينـــا حصيفا •• رزينا مســـتقيما •• فنمت على يديه تجارتهـــا ••

وبوركت بســـــببه أموالها ٠٠ فاختارته لنفســـــها زوجا بعد أن رفضـــــــت أشراف قريش الذين تقدموا لخطبتها والزواج منها ٠٠ وبعد أن سمعت عن فضائله من كل مرافقيه ومخالطيـــــه ٠٠ ليعيش الزوجان الطاهران الطيبان فى حياة صـــالحة ٠٠ يمنح كل منهما للآخر مظاهر الحب والحنان ٠٠ وملامح الثقة والتقدير ٠٠

رأت الســـيدة خديجة فى زوجها الانسانية النادرة فى ســـــموها وجلالها ٠٠ والأخـــلاق الكريمة فى رفعتها وشموخها ٠٠ عرفته كريما ســـخيا ٠٠ عزيزا أبيا ٠٠ صاحب مروءة عالية ٠٠ وكرامة لا توجـــد الا فى النفوس الطاهرة الشـــامخة ٠٠ يحمل الكل ٠٠ ويقرى الضيف ٠٠ ويكسب المعدوم ٠٠ ويعين على نوائب الدهر ٠٠ ويساعد المحتاج ٠٠ وجدته المخلص الصـــــــادق الصدوق ٠٠ عرفته الهادىء الورع ٠٠ الخاشـــع الوادع ٠٠ فكانت له الزوجة الوفية ٠٠ والصورة المثالية ٠٠ فى صفاء الجوهر ٠٠ وأصـــالة المعدن ٠٠ وســـمو الخلق ٠٠ ونبل الشمائل ٠٠ وظلت له اليد الطولى فى تهيئة الحياة الصـــــالحة ٠٠ بمـــا منحتـــه من حس مرهف ٠٠ وشعور مترف ٠٠ وسرعة خاطر ٠٠ والتماع ذكى ٠٠ فأخـــذت بدورها تصب فى بيتها عطرا من عطرها ٠٠ ونفحة من عبيرها ٠٠ وقبســـا من اشعاع طهارتها وعفتها ٠٠

رأت خديجة فى محمد — عليـــه الصلاة والسلام — ٠٠ عزوفا عن الحياة ٠٠ وبعدا عن بذخ الدنيـــا وما فيها من ترف وزينة ٠٠ ولمست فيه حبـــه للعزلة ٠٠ وكثرة التفكر والتأمل ٠٠ وانجذابا الى الســـماء ٠٠ وتطلعـــــا الى الآفاق ٠٠ فلم تتمـــرد أو تتـــأبد ٠٠ ولم تثر أو تعتـــرض ٠٠ ولم تســــخط أو تغضب ٠٠ ولم تفعـــل ما يفعله غيرها من النســــــاء اذا رأين فى أزواجهن بعدا أو هجرا ٠٠ بل كان عنـــدها من توقد الذهن ٠٠ ودقة الفهم ٠٠ وســـــلامة الذوق ٠٠ ما جعلها آية فى النبـــوغ ٠٠ وقوة الملاحظة ٠٠ لتصبح فى ســـجل الخالدين رمزا للتضـــحية والفداء ٠٠ وعنوانا للوفاء والولاء ٠٠

حرصت خديجة على تمهيد الطريق لزوجها •• فذللت له كل عقبة •• وأزالت من أمامه كل صعوبة •• تحقيقا لرغبته •• واحتراما لارادته •• وتقديرا لميوله •• فلقد تأكدت من ألفته للعزلة •• ولم يكن شىء أحب اليه من أن يخلد وحده •• ليسبح بفكره ووجدانه فى الآفاق الرحيبة •• والفضاء الواسع •• فكانت تهيىء له الفرص ليقضى الأيام العديدة •• والليالى المتعاقبة ليشبع روحه وقلبه •• ويغذى فؤاده وعقله •• ويرتوى من وراء تفكره وتأمله حتى يطيب خاطره •• وتبتهج نفسه ••

وفى غار حراء •• وهو غار صغير يقرب من ثلاثة أمتار فى مترين •• فى قمة جبل على يسار السالك من مكة الى عرفات •• كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم وهو قبيل الأربعين من عمره الشريف ـ يذهب اليه •• ويظل فيه •• يقلب البصر بين أرجاء الكون •• ويلقى بنظره فى خضم الوجود •• يمتد به الزمن •• وتتعاقب الأيام والليالى •• وهو فى صمت رهيب •• وفكر عميق •• وتأمل دقيق •• واستفسار دفين •• فتمتلىء بالدهشة •• وتختلج أعماقه بالحيرة •• فيتنقل من نظر الى فكر •• ومن فكر الى دهشة •• ومن دهشة الى رعشة •• ومن رعشة الى تأمل •• ومن تأمل الى استدلال ••

كان الوقت يمتد بمحمد ـ عليه السلام ـ ويطول •• وهو على وضعه هذا يشعر بالسعادة والراحة فى هذا الجو الهادىء •• والمناخ الرائع •• الذى تنطلق فيه الروح •• ويسرح الخاطر •• وينتفض الوجدان •• ولولا ما تفرضه عليه الزوجية من واجبات •• لآثر هذه الخلوة عن أى شىء سواها •• فلقد رأى فى خلوته راحة وسكونا •• وفى عزلته سكينة واطمئنانا •• وفى غربته استقرارا وائتناسا •• رغم ما كان فى المكان من خشونة •• وفوق ما يلاقيه من حيرة •• عبر عنها ربه بقوله : « ووجدك ضالا فهدى » ••

لقد عرف محمد من قومه أمورا

لا يقرها عقل •• ولا يرضـــاها ضمير •• فلم يعجبـه دينهم حيث رآهم يعبدون أصـنـاما جوفاء •• لا تسـمع ولا تبصر •• ولا تضر ولا تنفـع •• فان هى الا جمادات صماء خرساء •• صنعتها يد البشر •• وصورها الانســان من وحى خياله •• ثم قدسها وخضع لها ••

ولم يرقه نوع حيـاتهم •• ولا أسـلوب تعاملهم •• فهناك ظلم وعدوان •• فسوق وفجور •• بهتان وزور •• سـلب ونهب •• فساد وبغى •• فوضى وهمجية •• استبداد ووحشية •• فالكبير يأكل الصغير •• والغنى يسترق الفقير •• والقوى يعتدى على الضـعيف •• رغم ما هنـــالك من نفوس موءودة •• وكرامات مهـددة •• وحقوق مهضـومة •• وحرمات مهتوكة •• وأوضاع مقلوبة •• ان دلت على شىء فانمـا تدل على شراسة الانسان والضـياع فى متاهات الحياة ••

لم يعجبه صلى الله عليه وسلم ما رأى من وثنية غاشـمة •• وديانات باطلة •• وعقائد زائفـة •• فأين الحق اذن ؟

سؤال كان يتردد بين أعماقه •• فتعتريه حالات نفسية •• ويتملكه شعور غريب •• يشـغل لبه •• ويشـد عقله •• آثر أن يعتزل الناس ودنياهم •• لأنهم يحولون بينه وبين تفكيره •• ويقطعـون عليـه سلسـلة مشـاعره •• لقد جرب الوحدة •• وألف العزلة •• فوجدها تفتح قلبه •• وتريح نفسـه •• كما وجد فيها مفتاحا لما انغلق أمامه •• واتجاها لهدايته •• وطريقا لوصـوله الى غايته المنشودة التى يجرى وراءها بحثا عن الحقيقـة فبالغ فى الانفراد والابتعاد ••

ان الناس وضـوضاءهم •• ومناظر حياتهم •• يرهقون حسه المرهف •• فليهـرب منهم •• وليبتعـد عنهم وان الطبيعـة بمناظرها وجمالها •• ورونقهـا وبهائهـا •• تبعث فى أعمـاقه ما يجعله يطمئن اليها •• فالليل فى أعلى الجبل بسـكونه الرهيب ••

وهدوئه العميق •• وسمائه المحيطة •• ونجومه المتلألئة •• وبدره السافر •• والكون حوله نائم راقد •• وهو يناغى الكواكب فى حيرة وتساؤل •• والنهار فى أعلى الجبل كذلك يشرف منه على العالم من تحته •• فيشاهد الناس فى صخبهم وسلوكهم •• فيتأسى لأحوالهم •• ويشفق على اضطرابهم •• كل هذه الخواطر كانت تختلج فى صدر محمد الانسان •• وتدور بخلده •• وتمتزج بوجدانه فيخفق قلبه وهو فى غار حراء •• فلقد عرف الباطل ورأى مظاهره ونتائجه •• والنهاية الاليمة التى تتردى فيها الانسانية •• فتهوى الى دركات سحيقة من الهلاك والخسران •• فهو يريد أن يعرف الحق الذى يضمن السلامة •• ويصون الكرامة •• ليرتقى بالبشرية الى أسمى درجات الكمال •• كما أنه أدرك الضلالة وما تؤدى اليه من فوضى واضطراب •• ويريد أن يدرك الهدى وما يترتب عليها من اشراق وانطلاق •• الى آفاق الأمن والاستقرار •• ولم يعجبه ما كان الناس عليه من تخبط وانحطاط وهمجية وفساد •• ولكن يريد أن يعرف ما ينبغى أن يكونوا عليه من خير وسلام ••

كانت هذه أفكار محمد — عليه السلام — وخواطره•• يستعرضها وكأنه يرسم للوجود طريق الخلاص •• ويضع للناس الحلول السليمة •• والقواعد الحكيمة •• التى تقودهم الى الحياة الفاضلة •• والمجتمع الطاهر •

هذا الظلام بسواده وغيومه وكآبته

فأين النور بتألقه وسناه •• ؟

وهذا العمى ببهته وطمسه وحلوكه

فأين البصر بجلائه وصفاه •• ؟

وهذا الانحراف بجهالته ورذيلته ومساوئه

فأين الحق بطهره وهداه •• ؟

وهذا المرض بأسقامه وأثقاله وآفاته

فأين الدواء ببلسمه وشفاه •• ؟

هكذا رأينا محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى غار حراء••لم يأو اليه عبثا •• ولم يأته عجزا أو سلبية •• وانما جاءه متفكرا

متأملا •• باحثا متكشفا •• ساعيا وراء الحق •• بعد أن تهيأت نفسه •• واستعدت روحه •• وكملت مشاعره •• وامتزجت بالاصلاح أحاسيسه •• لم يطلب الحق من طريق الشعر •• فالشاعر يحلق بخياله •• وينسج بأوهامه •• ثم يترجم بلسانه •• مستسلما لما يمليه عليه الهوى من رؤى وأطياف وما تفرضه القوافى من قيود يلتزم بها سعيا وراء الألفاظ الحلوة •• والكلمات المزهوة •• لتنسجم مع الألحان والأنغام •• وليس هذا من شأن النبوة فى قليل أو كثير ••

ولم يطلب الحق من طريق الفلسفة أو العلم •• فكلاهما عبد المنطق •• عبد الألفاظ •• عبد الكتب عبد الأفكار •• عبد النصوص •• ولكل انسان عقله وقد يضل •• وفكره ربما يزل •• ومنطقه وكثيرا ما يخطىء ويجنح •

ولكن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ طلب الحق من طريق أسمى وأرفع من هذا وذاك •• فلقد طلبه من طريق القلب •• وأعلن أنه لم يطلب علما •• ولكن طلب ايمانا •• فهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ولأن القلب فوق اللغة •• وفوق الكتابة والقراءة •• وفوق العلوم •• وفوق المنطق •• من أجل هذا لم يلجأ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى معلم يعلمه الكتابة •• ولم يذهب الى مثقف بالكتب والأديان •• بل فضل على ذلك كله صحبة غار حراء •• حيث الطبيعة الصادقة على فطرتها •• مفتوحة على قلبه •• وحيث يتصل هو وهى بربها وربه ••

« بحث وتحليل »

وصفوة القول : أننا لو تناولنا موقف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبيل البعثة وغار حراء والفترة الزمنية التى شملت ذلك لكان من العسير على الباحث أن يحيط بهذا المجال من كل نواحيه •• ولكننا نتناوله من بعض زواياه •• وبقدر محدود •• حيث ان العقل يقف حائرا •• والفكر يظل قاصرا أمام هذا المقام الواسع الفسيح •• وما يحيط به من غيب وأسرار ••

فلو نظرنا الى المكان •• والمقصود به:غار حراء •• لوجدناه مع ضيقه وبساطته وخلوه من الأثاث والمتاع •• أوسع من الدنيا •• وأرحب من الحياة ••

ولو نظرنا الى وحشته وظلمته •• لوجدنا فيه الأنس والبهجة •• والراحة والطمأنينة •• والنور والضياء •• فبهجة النفس •• وطمأنينة القلب •• وضياء الأعماق •• أسمى من كل ما عداها •• فكم من قصور مترفة •• ومساكن مرهفة •• وهى جرداء من تذوق السعادة •• رغم ما فيها من كل ما يبهر العيون •• ويأسر الأبصار ••

وكم من مدن تسطع فيها الأنوار •• وتتألق بينها الأضواء •• ولكنها تعيش فى ظلمة حالكة •• وتعيش فى جهالة عمياء •• رغم ما تدعيه من مدنية وحضارة •• ورفعة وارتقاء •• حتى وان زخرت بما عندها من معارف وعلوم •• لأن كل علم خلا من الايمان •• وتجرد من اليقين •• ونأى عن طريق الله كان دمارا وخرابا على الزمان والأجيال ••

ولو أننا قارنا الموقف فى غار حراء بغيره من المواقف الدنيوية •• ووضعناه مواجها لهذه المؤتمرات الدولية الحديثة بما لها من طاقات وامكانيات واستعدادات •• وما تتطلبه من أجهزة وأموال ومفكرين ومساعدين •• وما تسفر عنه فى النهاية من سقوط فى مهمتها •• أو انحراف فى غايتها •• أو تمرد على أهدافها •• أو هضم لحقوق شعوب بريئة •• أو اعتداء على دول نامية •• اما عن سوء فهم •• أو عدم علم •• أو حب فى السيطرة •• أو امعان فى التجبر والاستغلال •• فيفتك الانسان بأخيه الانسان •• وتقوم الحروب •• ويتخرب العمران •• وتتشرد الأفراد والجماعات لوجدنا الفرق واسعا أما الموقف فى غار حراء•• فكان بمثابة منزل الطمأنينة •• ومهبط السعادة •• وشاطىء الأمان لهذه الحياة ففيه تألق الجوهر •• وسطع الحق •• وولد الخير •• وتحقق العدل •• وعم الهدوء ••

وسادت المودة •• ونشأت الرحمة ••وانتشر السـلام على ربوع العالم •• حيث سرى بين جوانب هذا الغار نور الله •• فتفجرت ينابيع اليقين •• على قلب محمد الأمين — عليه السلام — •• الذى اتخذه وسيلة الى الوصول نحـو المعرفة •• وطريقا الى الحقيقة••

ومن هنا : يتضح لنا أن القلب أقوى من العقل •• وأن البصـيرة أجـلى من البصر •• فكثـير من أصحاب العقول •• مرضى القلوب •• حيث انهم يرون بعقولهم أدق الأشياء •• ولكن القلوب فى عمى عن درك الشمس السافرة فى وضح النهـار ••

فما أكثر هؤلاء الـذين كتبـوا وألفـوا •• واخترعوا ونبغـوا واكتشفوا بعيونهم وعقـولهم •• وملئوا الحياة بنظرياتهم •• فكان لهم فى مضمار العقل سبق كبير •• الا أننا نراهم بعد ذلك يرسفون فى حضـيض الجهـل •• ودركات الضلال •• فمنهم:من يسجد للنار •• ومنهم : من يعبـد الحجر •• ومنهم:من يقدس البقر ومنهم:من يعظم الشمس والقمر •• وأولئـك هم أصحاب النار •• وهم فيهـا خالدون •• ولو أن بصيصـا من النور دخل قلوبهم •• لما كانوا فى جهالتهم يعمهون ••

اذن:فعلوم العقل تتضاءل أمام ادراك القلب •• وكشف البصائر •• تعجز عنه الأبصار •• وشتان ما بين المادة والروح •• والعرض والجوهر •• فكثيرا ما نرى أناسا تبحروا فى العلوم •• وخاضـوا ميادين المعـارف معتمدين فى ذلك على عقـولهم المحصـورة التى لا تدرك سوى الماديات التى تربطها القواعد والقوانين وتحكمها الرؤية والمشـاهدة •• وبالتـالى فهى محـدودة قاصرة •• أما القلب والروح والبصـيرة فهى قـوى معنوية •• ترتقى فوق الحواس•• فلا تخضع للقوانين أو المقاييس••

من أجل هذا:نرى أناسا وصلوا الى معرفة الخالق عن طريق العقل •• فجـاء ايمانهم ناقصـا غـير مكتمل فى الوقت الذى نجد أن من عرف الله تعالى بقلبـه كان عميق الايمـان •• وطيـد اليقين ••

ولا عجب أن نرى امـرأة بـدوية جاهلية كانت أسبق الى الايمان من بعض أصحاب العقول الكبيرة •• والأفكار الواسـعة كأبى سـفيان وغيره من سادات قريش ••

ومما يؤيد كلامى هـذا الـذى أقرر فيه أن طريق الايمان هـو القلب : ما نراه من العلمـاء والعباقرة الذين وصلوا بسـفنهم الى بعض الكواكب عبر الفضاء•• ثم عادوا من رحلتهم ينكرون وجود الله ولو أن عندهم قلوبا واعيـة لامتلئوا يقينا وايمانا •• نتيجـة ما شاهدوه من عظمة الكـون •• ورحابة الآفاق •• ودقة الصنع •• واتساق النظام •• وروعة هـذا الوجود •• الذى لا يمكن مطلقـا أن يأتى وليد الصـدفة •• وذلك لأن قلوبهم لم تحرك عقولهم •• لما ران عليها من صدأ •• وما بهـا من غشاوة•وهكذا نعلم:أن من مات قلبـه •• وعميت بصـيرته •• يستحيل عليه أن يؤمن •• مهما كان عقله متفتحا وسأسوق مثـلا على ذلك فأقول : تكلم كثير من علمـاء الحشرات عن العنكبوت •• وأجروا أبحاثا على حياتها وطبيعتهـا •• وادعوا أن انواع العنكبوت تصل الى خمسين ألف نوع •• واكتشفوا أن العناكب تتلون بلون المكان الذى تعيش فيه حتى تتمكن من التخفى ••وتوصلوا الى أن العناكب لاترى الأشياء البعيدة •• وأن بعضهـا لا تزيد رؤيته عن بوصة واحدة •• غير أنها ذات حسـاسية قـوية جدا •• لدرجة أنها تستطيع معرفة أى شىء تريـد معرفتـه •• لأن أهدابها التى تنتشر على أقدامهـا تستطيع بواسـطتها معرفة أى شىء يلمس خيـوطها البعيـدة المتطايرة فى الهواء •• وقالوا عنها: ان الزوجـة من العنكبـوت تأكل زوجها بعد الزواج غالبا •• كمـا أخبروا:أن العنكبوت تنسج خيوطا تطلقه فى الفضـاء متعلقـة به •• فيرتفع مع تيارات الهواء الساخنة الى طبقات الجـو العليا •• فقـد تصل فى ارتفاعها الى خمسة عشر ألف قـدم •• وقالوا عنها كذلك : انها مهنـدس بارع •• وجنـدى يتقن عمليات التخفى •• وغواص ماهر •• ومكتشف لطبقات الأجواء

العليا .. وحائك دقيق ونساج فنان .. ثم ينتهى بهم البحث الى القول بأنها أعجوبة ..

نعم .. هكذا رأوا بعقولهم .. ما أوصلته اليه عقولهم .. فوصلوا فى النهاية الى القول بأنها أعجوبة ووقفوا عند هذا الحد .. وذلك لأن قلوبهم عميت عن ادراك الحقيقة السافرة .. والبينة الواضحة التى لا يراها الا القلب المؤمن .. والفكر الوضىء .. والبصيرة الملهمة ..

لقد غاب عنهم ما وراء هذا المخلوق العجيب من أسرار .. وضاعت منهم الحقيقة الناطقة التى تشير الى عظمة الخالق .. وقدرته الباهرة .. ونظامه البديع .. الذى خلق الموجودات بدقة واحكام ولكنهم غفلوا عن وجود هذا الآله الذى صنع هذه المخلوقات المختلفة .. وزودها بخصائص عجيبة تحار فيها العقول .. وتؤمن بها القلوب ..

ولو أن انسانا جاهلا وقف على هذه المشاهدات .. لنطق قلبه فى الحال .. تبارك الله أحسن الخالقين « **وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** » (١) ..

قبس من نور

سجى الليل .. وبرزت نجوم السماء كمصابيح نثرت فى الفضاء .. وشمل الكون سكون عميق .. وبدت جبال مكة كأشباح صامدة .. وهدأت الطبيعة من صخب الحياة وضجيجها .. وطابت لمحمد — عليه الصلاة والسلام — لذة المناجاة .. بعد أن أفرغ قلبه من كل شواغل الدنيا .. وتجرد من روابطها .. فأرسل تأملاته الفاحصة النفاذة تخترق الحواجز جريا وراء الغيب .. وكأن احساسا داخليا يشده الى السماء .. فيطيل النظر .. ويمد البصر .. ثم يطلق للقلب العنان .. عله يستشف الأسرار المكنونة التى تحيط هذا الوجود .. وكأن قلبه

---

١ — سورة الروم ٥٣

ينبض بالتساؤل والاستفسار رغبة فى الوصول الى الحقيقة ..

وفى ليلة من ليالى رمضان .. وكانت هى ليلة الحياة .. وليلة البركة .. وليلة النور .. وليلة الخير .. وليلة الرحمة .. وليلة الهدى .. وليلة القدر والشرق .. وبينما كان محمد — صلى الله عليه وسلم — بعيدا عن دنيا الناس .. تلفت هنا وهناك على صوت رهيب يمزق صمت المكان .. فتطلع مأخوذا نحو الأفق العالى لصلصلة لها جرس عنيف فارتاعت نفسه .. وارتجف فؤاده .. وارتعدت أوصاله .. وظل صامتا مبهورا يلفه الخشوع .. ويتملكه الرعب .. من تألق النور الزاهى الذى غمر المكان .. ياللعجب .. ان النور يتجمع ويتركز حوله حتى غمره وأفاض عليه .. واذا به أمام ملك له بريق .. اقترب منه وضمه ضمة شديدة فى قوة خارقة .. عجز محمد عن مقاومتها وتحملها .. حتى أوشك على الموت .. وكادت أنفاسه تتوقف .. وأعضاؤه تتهشم .. أمام هذه القوة الهائلة .. ولكن الملك أطلقه قائلا له : اقرأ يامحمد .. فرد عليه الصلاة والسلام قائلا : ما أنا بقارىء .. بصوت متهدج وكأنه يطلب منه الرفق والشفقة .. وتكرر الأمر مرات ثلاث .. ثم قال له : **« اقرأ باسم ربك الذى خلق .. خلق الانسان من علق .. اقرأ وربك الأكرم .. الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »** ..

وارتفع الملك من حيث أتى .. أما محمد — صلى الله عليه وسلم — فقد وقف جامدا فى مكانه .. مبهورا مأخوذا مما رأى .. وأخذ يقلب ببصره فى السماء .. فيرى الملك فى الفضاء ويسمعه يقول : يا محمد أنا جبريل .. وأنت رسول الله .. فتأكد محمد أن جلال الحق قد حل .. وأن نور الحقيقة قد وضح .. فقضى على كل خوف .. وأحس بأن نفحة مضيئة من العالم الأعلى سكنت فى قلبه من جديد ..

وهنا تتوقف الأقلام .. وتتجمد الأفهام .. أمام هذا المشهد الرائع .. فلا الشعراء يسبحون

بخيالاتهم وأوهامهم •• ولاالأدباء بدقتهم وأذواقهم •• ولا الحكماء بمعارفهم وأفكارهم ••

ولا الرسامون بريشتهم ولوحاتهم •• لماذا •• ؟ لأنه موقف من مواقف السرمدية والأبدية •• ولأنه موقف من مواقف الملأ الأعلى •• ولأنه موقف من مواقف عالم الغيب •• هنا فى غار حراء•• تجلت رحمة الله •• وتحققت أسمى الرسالات •• وتفتحت مغاليق الكون •• والتقت الأرض بالسماء •• فكانت مسيرة الخير•• وموكب الحق •• ومشرق النور •• ومنبع الطهر •• ومنطلق الحضارة والأمن والاستقرار •• انه الايمان ••ولا شىء غير الايمان ••

قد يتساءل المرء قائلا : لماذا ضم جبريل محمدا عليهما السلام بعنف وقوة حتى أوشك على الموت •• ؟

والجواب عن ذلك •• أن ماحدث على هذه الصورة •• انما كان بمثابة درس وتنبيه لمحمد عليه السلام فى بدء حياة النبوة •• يتعلم من خلاله أن المهمة شاقة مجهدة وأن الأمر خطير •• وأن الرسالة تبعة وأمانة •• وأن القيام بها صعب يحتاج الى صبر وجلد•• وعزم وحزم ومثابرة •• وأن يحفظ ما ينزل عليه بيقظة وأمانة •• وحرص واهتمام فلا يفرط ولا ينسى •• ولا يهمل ولا يغفل ولا يتقول ••

ومما تقدم نرى أن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ •• تعلق بالهداية فشدته اليها •• وانطبع على الاستقامة فجذبته نحوها •• وانطوى على المثالية فارتبط بها•• وتهيأ للأمر العظيم فمشى فى رحابه ••وسار فى دربه •• وعرف الحق فالتزم به وتعشق الكمال فاكتساه ••وتسربل بالجلال فارتداه •• حتى لمعت فى قلبه الشرارة الالهية كما يتهيأ السحاب فيلمع البرق ••

لقد أضاءت له هذه الشرارة الآلهية كل شىء •• والله أعلم حيث يجعل رسالة •• يمهد لها •• ويصلح من أجلها النفوس ويهذبها •• يمدها بالنور •• ويسقيها باليقين •• ويتولاها بالعناية • ويغلفها بالعظمة •• ويلفها بالوقار

•• ويزودها بالخشوع •• ثم يكون العطاء ••

جاءت رسالته من جنس هدايته •• فرسالته أن يبعث الحياة فى القلب •• ويبعث الضوء الى النفس • كالقمر يستمد نوره من الشمس •• ثم يعكس أشعته الجميلة الزاهية على الكون •• يشترك فى الاهتداء به العالم والجاهل •• الذكى والغبى •• الفيلسوف والعيى •• الكاتب والأمى •• المثقف والعامى على اختلاف فيما بينهم •• لأن بينهم قدرا مشتركا من القلب قابلا للاهتداء ••

جابر حمزه فراج



رمضان
شهر العبادة

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

ما أعز وأجل وأكرم رمضان ، شهر العبادة ، وشهر الطاعة ، وشهر الصيام .

ما أرفع هذا الشهر العظيم ، الذى شرع الله فيه الصوم ، وجعله فيه فريضة ، أوجبها على كل مسلم ومسلمة ، يعبدان الله فى الارض .

وما أجل رمضان ، الشهر الذى أنزل الله عز وجل فيه القرآن ، كتاب الله المبين ، الحكيم ، العظيم الذى نزل على رسولنا الامين ، محمد صلى الله عليه وسلم ، نورا وهدى للناس ، ورأفة وبرا بالانسانية ، وانقاذا للناس أجمعين من ظلمات الشرك والوثنية والضلال والبهتان .

لقد عظم الله أمر رمضان غاية التعظيم ، وكرمه أبعد حدود التكريم ، فأنزل فيه القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وبالقرآن بدأت الانسانية تعود الى رشدها ، وترجع الى صوابها ، وتنصت لنداء السماء وتبعد عن دعوات الشرك والمشركين ، وتدخل فى عهد جديد من الحضارة والتقدم والرفاهية .

ولقد كرم الله شهر رمضان تكريما يفوق كل تكريم، ففرض فيه الصيام ، وجعل هذا الشهر الجليل كله موسما للطاعة والعبادة ، اذ دعا الى صيام نهاره ، وندب الى قيام ليله ، وسن فيه ذكر الله وقراءة القرآن ، والتهجد بالليل ، ودعا فيه عمر بن الخطاب المسلمين الى صلوات التراويح ، مظهرا جليلا

لطاعة الله وعبادته وتقـــواه ، وأوجب فيه الله عز وجـــل زكاة الفطر ، كما سن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصـــدقة والاحسان والجود والبذل والعطاء والسخاء ، والانفاق على الفقـــراء واليتامى والمساكين •

وفى حديث البخـــارى : كان رسول الله أجود الناس ، وكـــان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكـــان يلقـــاه كل ليـــلة فيدارسه القرآن ، فلرسول اللـــه أجود بالخير من الريح المرسلة •

— ٢ —

ولنستمع الى حـــديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه :

كل عمل ابن آدم له ، الحســـنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : الا الصـــيام فانه لى وأنا أجزى به ، انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه •

وفى هذا الحديث بيان واضـــح لعظمة شريعة الصيام ، ولتأكيـــد الله عز وجل لها ، وشرح لعظيـــم جزائها عند الله عز وجل فى الدنيا والآخـــرة •

وفى حديث سلمان المرفوع الذى أخرجه ابن خزيمـــة فى صحيحه : رمضان هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة • وفى حديث آخـــر : الصوم نصف الصبر ، والصـــبر نصف الايمان • وفى حديث ثالث : الصيام لله لايعلم ثواب عمله الا الله عز وجل •

وفى هذا الحديث بيان لجـــلال شريعة الصوم ولعظمة جزائها عند الله جل جلاله ••

والآية الكريمة : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »(١) بيان واضح صريح لأثر الصـــوم كطاعة وعبادة وشريعـــة ، فى بعث روح الايمان والتقوى والخـــير فى نفس المسلم •

---

(١) البقرة ١٨٣

وفى الحديث : ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد .

وفى حديث رسول الله صلوات الله عليه : من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه .. رواه أحمد وأصحاب السنن .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة،عليهم أسس الاسلام، من ترك واحدة منهم فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » .

وفى حديث ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم فشفعنى فيه ، فيشفعان — رواه أحمد .

وفى حديث أبى أمامة ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : مرنى بعمل يدخلنى الجنة . قال : عليك بالصوم ، فانه لا عدل له ، ثم أتيته ثانية فقال : عليك بالصوم فانه لامثيل له . رواه أحمد .

وفى حديث سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان للجنة بابا يقال له الريان ، يقول يوم القيامة : أين الصائمون ، فاذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب ، رواه البخارى ومسلم .

وفى الصحيحين : ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لايدخل منه غيرهم .

وفى الحديث : ان الجنة لتزخرف من الحول الى الحول لدخول شهر رمضان ، فتقول الحور : يارب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجا تقر أعيننا بهم ، وتقر أعينهم بنا .

وفى حديث الحارث الاشعرى عن رسول الله صلوات اللهوسلامه عليه : أن زكرياء عليه السلام قال لبنى اسرائيل : آمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك ، فكلهم تعجبه

ريحه ، وان ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك .

وهذه الاحاديث كلها تدل على فضيلة شهر رمضان ، وعلى فضل فريضة الصيام فيه ، وهى ناطقة بعظمة هذه العبادة الاسلامية الجليلة .

— ٣ —

والصدقة فى رمضان شعيرة ، وسنة مندوبة ، وعمل انسانى يرضى الله وملائكته ورسله عنه ، وفى الترمذى عن أنس مرفوعا : أفضل الصدقة صدقة فى رمضان وفى حديث زيد بن خالد عن رسول الله : من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء .

وفى حديث سلمان مرفوعا : رمضان شهر المواساة ، وشهر يزاد فيه فى رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء ، قالوا : يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، قال : يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائما على شربة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضى شربة لايظمأ بعدها حتى يدخل الجنة .

ونعيد هنا ذكر حديث ابن عباس كما فى الصحيحين ، وخرجه الامام أحمد : كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

وفى المسند عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الانجيل لثلاث عشرة من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

ان الصيام عبادة روحية

اسلامية جليلة ، وهـو ركن من أركان الاسلام ، وشعيرة من أجل شعائره ، وهو تهـذيب للمسلم ، ورفع لروحـه الى مسـتوى الانسانية الرفيعة ، وتطهير للمؤمن من الذنوب والمعاصى ، وهو سياج وحمى يحول بين المسـلم وبين التفكير فى عمل ما يغضب الله من الذنوب والآثام ، وهو حائل بين المسـلم وبين الاسـترسال فى الشهوات واللذات والمعصية .

وهو شهر القـرآن العظيم ، القرآن الكريم ، القرآن كتـاب الله الخالد ، الذى لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ونختتم هذه الكلمة بهذا الحديث العظيم ، كما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

يمثل القرآن يوم القيامة رجلا ، فيؤتى بالرجل قد حملـه فخالف أمره ، فيتمثل له خصما ، فيقول : يا رب ، حملته ايـاى ، فبئس حاملا تعدى حـدودى ، وضيع فرائضى ، وركب معصيتى ، وترك طاعتى .. فلا يزال يقـذف عليه بالحجج حتى يقال : شأنك بـه . فيأخذ بيده ، فما يرسله حتى يكبه على منخره فى النار .

ويؤتى بالرجل الصالح كـان قد حمله وحفظ أمره فيتمثل لـه خصـما دونه ، فيقـول : يارب حملته اياى فخـير حامـل ، حفظ حدودى ، وعمل بفرائضى . واجتنب معصيتى ، واتبع طاعتى ، فلا يزال يقذف له بالحجج ، حتى يقال : شأنك به فيأخذ بيـده ، فمـا يرسله حتى يلبسه حلـة الاستبرق ، ويعقد عليه تاج الملك ، ويسقيه كأس الخمر » .

صدق رسول الله ، اللهم اجعلنا ممن آمن بكتابك وسـنة رسولك حق الايمان ، وصلى الله عـلى سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه وسلم .

د. محمد عبد المنعم خفاجى

الإمام الدكتور

عبد الحليم محمود كما عرفته

للأستاذ على عبد العظيم

عرفت عديدين من زعماء علماء العالم الاسلامى فى شتى الأقطار والأمصار ، كان فيهم من يمتاز بالعلم الغزير والثقافة العميقة المتنوعة ، ومنهم من كان يمتاز بالذكاء الوقاد أو البصيرة الملهمة ، ومنهم من كان يتميز بالتقوى والصلاح والحرص على التمسك بالشعائر الاسلامية .

ولكننى عرفت من اجتمعت فيه هذه الصفات كلها وهو المغفور له الدكتور عبد الحليم محمود تغمده الله برحماته وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

عرفته وهو أستاذ بكلية أصول الدين ثم عرفته وهو عميد لها ثم وهو أمين عام لمجمع البحوث الاسلامية ثم وهو وكيل للأزهر ثم وهو وزير للأوقاف ثم وهو شيخ للأزهر ، فاذا هو هو لم تغيره المناصب ، ولم تفتنه الألقاب والرتب ، بل كان يزداد تواضعا كلما ازداد رفعة .

وكان — رحمه الله — يمتاز بالقدرة على العمل المتواصل لا يشغله عنه شاغل ، كما كان يمتاز بأن لسانه رطب بذكر الله دائما سواء فى اقامته أم فى سفره لا تفارق مسبحته يده أو لا يشغله شاغل عن مواصلة الذكر والعبادة .

وقد ترك ثروة ضخمة من المؤلفات العلمية القيمة لا ينهض بها الا أولو العزم من العلماء فى شتى ألوان الثقافة الاسلامية .

فقد ترجم بعض الكتب عن الفرنسية وحقق بعض المخطوطات

الثمينة وألف فى تراجم بعض العلماء الراسخين فى العلم وبخاصة فى التصوف وألف فى الدفاع عن الاسلام وفى ابراز المقومات الاسلامية السامية وفى تفسير بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعنى عناية تامة بنشر الكتاب الاسلامى عن طريق مجمع البحوث الاسلامية بثمن رمزى ، وراعى فيما تنشره الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية أن تكون بعض الكتب سهلة الأسلوب ميسورة الفهم ليعم نفعها الجميع ، كما اهتم بأن ينشر بعض الكتب العلمية الدقيقة التى ينتفع بها الخاصة فجمع فى هذا بين الحسنيين ، كما اهتم بنشر الموسوعات الاسلامية الكبرى مثل « الجامع الكبير للسيوطى » وهو يضم مائة ألف حديث وقد صدر منه نحو ثلاثين جزءا والباقى فى طريقه الى النشر .

ومن مزاياه الكبرى عفة اللسان وطهارة الصدر ، فقد أساء اليه كثيرون فقابل اساءتهم بالصفح الجميل ملتزما قوله تعالى « **خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » . كما كان يمتاز بعفة السمع فلا يسمح لجلسائه أن يخوضوا فى نقد أحد من المسلمين وان كان يستحق النقد عملا بقوله تعالى « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » ، وكان يضيق باللغو فلا يسمح به فى مجلس من مجالسه لأنه كان حريصا على أن يقضى الوقت فى ذكر الله أو فى مشروع علمى نافع مفيد .

ولقد صحبته فى بعض تنقلاته فكان أثناء الطريق يتلو القرآن الكريم أو يستمع الى من يجيد تلاوته أو يثير قضية علمية يستمع فيها الى من يصحبه ، وكان بفطرته الطبيعية يميل الى الاستشارة والحكم الجماعى ، فحينما ولى وزارة الأوقاف ألف مجلسا استشاريا ضم وكلاء الوزارة وبعض من يأنس فيهم قوة الايمان وعمق التفكير ـ وكان من حظى أن اختارنى من أعضاء هذا المجلس فكنا نجتمع أسبوعيا تحت رياسته

وندرس مشكلات الوزارة ونتناقش فيها وفى أثناء المناقشة يتضح الصواب فيسرع الى قبوله والى العمل به .

وفى مشيخة الأزهر ألف لجانا عديدة من أهمها اللجنة العليا للدعوة الاسلامية وهى تضم لفيفا من كبار رجال الصحافة والجمعيات الدينية ورجال الفكر الاسلامى ، وكنت أحد أعضاء هذه اللجنة ، ومن آخر الموضوعات التى طرحها على اللجنة موضوع كيف يستقبل الأزهر القرن الخامس عشر الهجرى . وقد استقر رأى اللجنة على التوصيات التالية ، وبدأ فضيلته الاعداد لتنفيذ هذه المقترحات وأهمها :

١ ــ وضع ترجمة دقيقة لتفسير القرآن الكريم .

٢ ــ انشاء معاهد مراسلة لنشر اللغة العربية فى البلاد الاسلامية غير العربية عن طريق الاذاعة والتسجيلات الصوتية .

٣ ــ انشاء صحيفة اسلامية كبرى تهتم بأخبار العالم الاسلامى ومعالجة مشكلاته .

٤ ــ نشر بعض الكتب المبسطة عن شعائر الاسلام وحضارته الروحية وأثره فى العالم وترجمتها الى اللغات الحية المعاصرة .

٥ ــ العمل على انشاء مراكز ثقافية اسلامية بأهم الحواضر العالمية الكبرى .

٦ ــ العمل على تذويب الخلافات الطائفية فى الدول الاسلامية ليلتقى الجميع على كلمة سواء .

٧ ــ ترجمة بعض الكتب الاسلامية الهامة التى صدرت باللغات الأجنبية ليتيسر للمسلمين الانتفاع بها .

وكنا نتمنى أن يمد الله فى عمره حتى يتم تنفيذ هذه الوصايا .

ومن مزاياه قدرته على العمل المتواصل فقد شغل مناصب هامة عديدة كان ينهض بأعبائها فى صبر ومثابرة بهمة لا تعرف الملل ولا الكلال .

كان يستيقظ من نومه فى الثلث

الأخير من الليل فيتهجد ما شاء الله له أن يتهجد ، وبعد صلاة الفجر يعكف على التأليف بضع ساعات ونفسه صافية شفافة فيلهمه الله من الآراء والأفكار السديدة الصائبة ما يلهمه ، ثم ينتقل لمباشرة عمله فى حيوية ونشاط ولهذا ترك فوق الثمانين كتابا من أقوم الكتب التى أفادت المسلمين فى شتى البقاع والأمصار وهو جهد تنوء به العصبة أولو القوة .

وكان الى هذا كله سخى اليد ينفق فى سبيل الله انفاق من لا يخاف من ذى العرش املاقا ، فكم أعان من عائلات فقيرة مدقعة لولاه لعضها الجوع بأنيابه وبراثنه وألزم نفسه الزاما أن يتصدق بعشر ما يصل الى يده . قلت له يوما : ان الزكاة تجب حينما يتم الحول بمقدار اثنين ونصف فى المائة . فقال : اننى ألتزم بقوله تعالى : « **وآتوا حقه يوم حصاده** » . لأننى لا أملك ضمان بقائى على قيد الحياة حتى يحول الحول . أما اننى أتجاوز نصاب الزكاة فلأننى أعمل بقوله تعالى : « **وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** » ولهذا عاش ومات دون أن يمتلك بيتا يأويه ويأوى أسرته واكتفى باستئجار بيت متواضع ظل فيه وهو أستاذ بالكلية ثم وهو عميد لها ثم وهو وزير ثم وهو شيخ للأزهر .

وكان دائم العناية بمن يعملون معه ، دعيت معه الى مآدب عديدة فكان قبل أن يمد يده الى الطعام يوصى باطعام سائق سيارته وساعيه الخاص ولا يتناول شيئا حتى يطمئن الى تنفيذ وصيته .

وقلما كان يغضب أو يثور الا حينما يتعرض الاسلام أو الأزهر لنقد أو تشهير فكان يغضب فى الله ويرضى فى الله ويحب فى الله ويسخط فى الله ، وقد ناله بعض الخصوم فى لجاجة واسراف فرددت على ما كتبه أحدهم فى نقده ، فاتصل بى ورجانى أن أكف عن الكتابة ضد خصمه واقترح على أن أضيف كتابا فى تاريخ مشيخة الأزهر منذ انشائها

الى الآن(١) ليصرفنى عن مواصلة الكتابة ضد خصمه العنيف فلبيت دعوته ، وما كدت أفرغ من ترجمة حياته حتى اختاره الله الى جواره فكانت خسارة العالم الاسلامى فيه كبيرة كما كانت خسارتى أنا فيه كبيرة ولهذا أسرعت الى رثائه وان كان هذا الرثاء لا يعبر عن مقدار آلامى وأحزانى عليه وقد قلت فيه :

ما كدت أهتف فى الورى بحياته
حتى سعيت مشيعا لرفاته
فتمزق القلب الكليم من الجوى
متدفقا ينساب فى عبراته
صهرته آلام الأسى فتصاعدت
أنفاسه كالجمر فى زفراته
عجبا لمن ذقنا النعيم بقربه
ذقنا فنون الثكل يوم وفاته
اليأس من بعد الامام أحاطنا
وطوى جوانحنا على ظلماته
كان العزاء لنا اذا جد الأسى
واليوم مات عزاؤنا بمماته
يا راحلا عمت فجيعته الورى
فالكل مطوى على حسراته
شيخ الشيوخ مضى لساحة ربه
مستروحا بالفيض من رحماته
من كان للاسلام حصنا باذخا
يدعو له ويذود عن حرماته
بلغ المدى فى كل فضل سابغ
فأشع نورا من جميع جهاته
وسما فحقق كل مجد سامق
وأفاض سباقا الى غاياته
ما كف عن ذكر المهيمن لحظة
فى صحوة أو فى عميق سباته
ما كان يعبد رغبة أو رهبة
لكنه عبد الاله لذاته
سل عنه جنح الليل كيف طواه فى
أبحاثه • وقضاه فى اخباته
وأفادنا ببحوثه • وأمدنا
بيقينه ، واقتادنا بصفاته
ملأ العيون بسمته ووقاره
وغزا القلوب بحلمه وأناته
يبدو جلال الحق فى نفحاته
ويشع نور الطهر فى قسماته
سمح اليدين بماله وبجاهه
وبعلمه وبنصحه وعظاته
غمر الجميع بنبله وسخائه
فالكل مشمول بفيض هباته

---

(١) كاد يتم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية فى جزئين كبيرين

يعطى ويعطى لا يمل من الندى
ويزيد اعطاء علـى عـــلاته
لم يجتمـــع مـــال لديه لأنه
أقنـــاه فى صدقاته وزكاته
ففعـــاله موصـــولة بيقينـــه
وصـــلاته موصـــولة بصـــلاته
حسن الخلائق كالندى فى أيكه
والماء فى ينبوعه والعطر فى زهراته
عذب الحديث كأنما هو صدحة
غنى بهـــا داود فى نغمـــاته
يا من ورثت المصطفى فى هديه
وتبعته مترســـما خطـــواته
فنهلت ثـــم عللت من ينبوعـــه
وقبست نور الحق من مشكاته
أحييت ســـنته وصنت سبيله
وعملت بالمأثور من كلمـــاته
وقضيت عمرك تاليا لكتـــابه
متدبرا مـــا راع مـــن آياته
تصغى وتقرأ ثم تشرح للورى
ما يبهر الألباب من نفحـــاته
أرضيت ربك جاهدا ومجـــاهدا
فانعم مع الأبـــرار فى جناته

على عبد العظيم

« هل تعلم ؟ »

* ان شهر رمضان هـــو الشهر الوحيـــد الذى ذكر فى القرآن ذكرا صريحا ، ولم يذكر شهر سواه .
* ان لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم .
* ان للصائم دعوة عند فطره لا ترد .
* ان الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة .

اللغة العربية والبيان القرآنى
ألفاظ القرآن

للدكتور إبراهيم عوضين

نعرف أن لكل لغة سمات خاصة فى بنائها التعبيرى ، الذى تتميز به عن غيرها من اللغات ، شاء ذلك أهلها أو لم يشاءوا ، فهم ينطلقون فى البناء التعبيرى خاضعين لمؤثرات البيئة بشتى ألوانها : من بيئة طبيعية الى بيئة اجتماعية : الى بيئة اقتصادية ، الى غير ذلك .

وذلك لأن البيئة عامل أساسى فى تكوين المزاج الشخصى ، والمزاج الجماعى لكل أمة ، ومن هذا المزاج تصدر الأمة فى حركاتها وسكناتها ، وميولها ورغباتها ، وما تقبل عليه وما تصدر عنه فى مختلف شئون الحياة : من مسكن ومطعم ، وسلوك وعادات ، وتعبير .. الخ .

ومن ثم : كان لكل أمة خصائص تنفرد بها عن غيرها ، ثم هى لا ترضى بها بديلا مهما علا شأن ذلك البديل ، ومهما بذل فى سبيل اقناعها ، لأن ذلك انما قر بعامل البيئة ، وليس طارئا عليها يمكن استبدال غيره به .

والمتأمل فى اللغة العربية يجد أنها تميزت من غيرها فى بنائها التعبيرى ، بحيث نستطيع أن نتعرف على تأثيرها فى اللغات الأخرى ، وتأثرها بها ، اذا وجد شىء من ذلك .

ومن أبرز مظاهر ما تتميز به اللغة العربية — فى تعبيرها — عن اللغات الأخرى فى تعبيرها :

أولا : أن الجملة فى اللغات الأوربية لا تنقسم الى اسمية وفعلية ، كما هو الشأن فى اللغة العربية ، وانما الجملة فى اللغات الأوربية ، اسمية يتقدم فيها الفاعل على الفعل ، ولا يتقدم فيها الفعل الا شذوذا فى حالات محدودة ، أهمها حالة الدلالة على المفاجأة ، ووقوع الفعل على غير انتظار . **ومع ذلك فان مثل هذا** التركيب غير معتبر عندهم ، وانما هم يحسبونه عارضا من عوارض القلب ، التى يحدث فيها أن يتقدم الفعل على الفاعل ، كما يتقدم حرف الجر أو الظرف ، أو الصفة لمناسبة يقتضيها التعبير .

أما اللغة العربية ، فالجملة فيها اسمية أو فعلية ، ولكل مقامها الذى يتطلب استعمالها .

وعلى هذا النمط العربى نجد البيان القرآنى فى بنائه التعبيرى يقدم الفعل اذا كان الحديث عن الفعلهو المهم أو المقصود بالحديث وذلك نحو قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين» ١٢ المؤمنون

اذ المقصود الحديث عن خلق الانسان وما ينطوىعليه من اعجاز وليس المقصودالحديث عنالخالق.

وعلى هذا المسار التركيبى سار البناء فى الآيات بعد ذلك .. فقال تعالى : **« .. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين »**

١٣ — ١٤ المؤمنون

ولما أنكر الانسان الحياة الآخرة مستبعدا أن تعاد الحياة الى الانسان بعد أن أصبح عظاما بالية مجردة من اللحم والدم ، حيث يقول : **« من يحيى العظام وهى رميم »**

أجابه الله — سبحانه وتعالى — بما يتناسب مع اعتراضه ، ويزيل ما التبس عليه واستبعده .. فليس المقصود بسؤاله التعرف عن الذى يحيى — وان كان هو الظاهر من لفظ العبارة — وانما ذلك سؤال استبعاد لاحياء تلك العظام بعدما رمت وبليت ، فهو انما يسأل عن

احياء تلك العظام فى تلك الحالة التى لا يتصور عقل احياءها ... من هذا الذى يستطيع احياءها ؟!

ومن ثم كان الجواب .. على خلاف ظاهر اللفظ .. متفقا مع مقصود السائل :

« قل يحييها الذى أنشاها أول مرة ... » .

٧٨ ــ ٧٩ يس

أما حين كان المقصود التعريف بالله ــ سبحانه وتعالى ــ فاننا نجد البيان القرآنى يقيم جملته على الاسم ، كما يتضح من قوله عز وجل فى مجال الخلق والانشاء كذلك :

« وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ... »

١٤١ ــ الأنعام

وذلك لأن الناظر فى الآية السابقة على تلك الآية ، يلاحظ ما اشتملت عليه من بيان تجرؤ بعض المخلوقين على خالقهم ، وتعديهم حدود وجودهم ، وافترائهم عليه ، وابعادهم فى الضلال والاضلال ، مما يتطلب لفتهم الى ذاته جل شأنه وتعريفهم بها .

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله . قد ضلوا وما كانوا مهتدين . »

١٤٠ الأنعام

فمن يصنع مثل ذلك انما يصنعه من منطلق الجهل بالله ، أو الغفلة عنه وعن قدرته وسلطانه ، ومثله يتطلب لفتا ينبهه الى الحقيقة التى غفل عنها .

ومن ذلك ــ كذلك ــ ما تجده فى قوله تعالى على لسان نبيه صالح يخاطب قومه :

« قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ... »

حيث تشعر العبارة من أول الأمر بأن المطلوب بعد ذلك من صالح عليه السلام أن يعرف قومه هؤلاء بالله سبحانه وتعالى فى ميدان الخلق والانشاء . ومن ثم كان بناء

الجملة التالية على الاسم ، فقال :
« ... **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ... »
٦١ — هود

ومن ثم ...
لا مجال لمرتاب أو مشكك فى عربية البيان القرآنى من هذا الجانب .

وان شئت مزيدا من الاستدلال فافتح كتاب الله ، تجد المئات من الجمل الاسمية فى موقعها الذى لا يناسب الا أن يبنى الكلام فى كل منها على الاسم ، الى جوار المئات من الجمل الفعلية كذلك التى لا يناسب الا أن يبنى الكلام فى كل منها على الفعل ، لا ترى فى شىء من هذا أو ذاك عوجا ولا أمتا .

ثانيا ان الصيغ التى تدل على الفاعل فى اللغة الأوربية ، اما أن تبنى على فاعل معلوم أو فاعل مجهول ، . وهى المعروفة بصيغة المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول — أما فى اللغة العربية فلا تقتصر فى الحديث عن الفاعل على هاتين الصيغتين ، ولكنها تضيف صيغة ثالثة لا وجود لها فى اللغة الأوربية ... تلك هى صيغة الفعل المطاوع ، فقولنا : (انسكب الماء) يختلف فى دلالته عن قولنا : (سكب الطفل الماء) ، وعن قولنا : (سكب الماء) وذلك لأن التعبير الأول يقدم معنى لا تدل عليه دلالته الدقيقة صيغة من الصيغتين الأخيرتين ، فقولنا (سكب الطفل الماء) يقال لمن يهمه أن يعرف من الذى سكب الماء . وقولنا (سكب الماء) يقال كذلك لمن يقصد التعرف على الفاعل ، لكننا نخبر عن ذلك الطريق اما بجهلنا بمن وقع منه الفعل ، أو بعدم ارادتنا ذكره .

أما حين نقول : (انسكب الماء) فاننا نوجه الحديث لمن يتوقع انسكاب الماء وينتظره ، ولا يهمه أن يعرف ساكبه ولا عدم معرفته .

ولا شك : فى أن الفارق كبير بين هذا وذاك .

وهذا الفارق الكبير يعين اللغة على الدقة فى استيفاء وجوه الدلالة ، حتى يتمكن بها من ملاحظة مقتضى الحال .

وهذه احدى مميزات اللغة

العربية فى بنائها عن غـيرها مـن اللغات الأوربية •

واذا نحن تأملنا آيات القـرآن الكريم من هذا المنطلق ، وجدناه قد جمع بين هذه الصيغ الثلاثة فى بنائه التعبيرى •

ولأن الذى يعنينا ــ هنا ــ هو أن نقف عـلى اسـتيعاب البيان القرآنى لكل ما يميز اللغة العربية عـن غيرها من اللغات فى البنـاء التركيبى ••• لا أرى ما يدعونا لأن نطيل بذكر نمـاذج قـرآنية لصـيغة المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول ــ فهذا واضح لا يحتاج برهانا ــ انما الذى يحتاج البرهان هو الصيغة الثالثة (صيغة الفعل المطاوع) •

وهـذه الصـيغة فى القـرآن لا تقصد لذاتها ، وانما شأنها شأن كل الصيغ تأتى حين يتطلبها الموقف ملبية المطلوب ، محققة المقصود •

من ذلك قول الله تبارك وتعالى:

« وان مـن الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لمـا يشـقق فيخرج منه الماء » •

٧٤ ــ البقرة

فالفعـلان (يتفجر ويشـقق) مضارعان • ماضيهما تفجر وتشقق وهما مطاوعان لفجـر وشـقق ــ المضعفين ــ فالحجارة لا يتـأتى منها الفعل ابتداء ، ولكنها خاضعة تستجيب للقوة العليا حين تفجرها وتشققها بتجميع أسباب التفجـير والتشقيق عليها •

فالآية الكريمة بذلك : تلفت نظر المتأمل الى ما وراء تلك الظواهر الطبيعية : من قدرة الله ومشيئته، دون أن يتصادم الظاهر مع الواقع الحـق •• !

ومن ذلك كذلك قوله عز وجل :

« قد نرى تقلب وجهـك فى السـماء » •

١٤٤ ــ البقرة

فالتقلب : التردد ، وهو مصدر تقلب المضـعف ، مطاوع قلب ، يقال : قلبته فتقلب تقلبا •

ولا ريب : فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يقلب وجهه فى السماء عن ارادة منه واختيار ، ولكنه كان فى ذلك خاضعا لقـوة نفسية خارجة عن ارادته ، هـذه القوة هى التى قلبت وجهه فتقلب

وذلك لأن حيرته صلى الله عليه وسلم فى أمر القبلة كانت أقوى من سلطانه هو وقدرته ، فبلغت منه هـذا المبلغ الذى سجله القرآن ٠

ومن ثم : يتضح الفارق الكبير بين (تقلب) ، و (تقليب) ولولا دقة البيان القرآنى فى اختيار التركيب الملائم للحال لما ظهر الفارق بين التركيبين ، ولكانا على مستوى واحد فى الأداء ٠

ومن ذلك قوله تعالى :

« فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت ٠٠٠ »

٢٦٦ ــ البقرة

لأن احترق : مطاوع أحرق ، يقال أحرقته فاحترق ٠

ولو اكتفى البيان القرآنى بأصل الفعل فقال : فأصابها اعصار فيه نار فأحرقتها ٠ لما حققت المقصود تبليغه من اتيان النار عليها ، لأن الاحراق يفيد احراق الكل كما يفيد احراق الجزء ٠

فلما جاءت الآية على هذا ٠٠٠ أفادت أن الاحراق من النار وليس ذاتيا ٠ وأن احراق النار اياها شامل وليس احراقا جزئيا ٠

ومنه أيضا قوله سبحانه :

« وما نتنزل الا بأمر ربك » ٠

٦٤ ــ مريم

فنتنزل : مضارع تنزل، وتنزل: مطاوع نزل ــ المضعف ــ تقول : نزلته فتنزل ٠

أى : أن نزول الملائكة ونحوهم من جنود الله لا يكون الا استجابة لأمر صادر اليهم وطاعة له ٠

ومن ثم : ضمنت الآية بيانا بصاحب الأمر الذى كان النزول مطاوعة له ٠٠ !

ومنه قوله عز وجل على المسار ذاته :

« تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض ٠٠٠ »

٩٠ ــ مريم

يتفطر : مضارع تفطر ، وهو : مطاوع فطر المضعف ، يقال : فطرته فتفطر ٠ وتنشق : مضارع انشق ، وهو : مطاوع شق : يقال: شققته فانشق ٠

وقوله : « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » •

٦٠ — البقرة

انفجر : مطاوع فجر ، يقال : فجرته فانفجر •

وقوله : « ••• الا لنعلـم من يتبع الرسول ممن ينقلب عـلى عقبيه • »

١٤٣ — البقرة

ينقلب : مطاوع قلب ، يقال : قلبته فانقلب •

وقوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها •• »
١٧٥ — الأعراف

انسلخ : مطاوع سلخ ، يقال : سلخته فانسلخ •

والآيات المشتملة عـلى صيغة المطاوعـة أكثر مـن أن تحصر فى مقال ، فليرجع الى كتاب الله من أراد مزيدا •

انما الذى نقصد اليه أننـا فى تأملنا ذلك تعرفنا على عربية البيان القرآنى فى بناء تعبيره ، كما تعرفنا من قبل على عربيته فى ألفاظه •

ثالثا : أن اللغة العربية تحرص على أن تسـتوفى أدوات الصـفة وكافة شروطها • وذلك أن الصفات لابد فيها من المطابقة بينها وبـين الموصوفات كل المطابقة ، بخلاف الأسماء ، فليس ضروريا فيها أن تطابق مسمياتها ، اذ الأسماء قد تكون توقيفية لا ارادة للمتكلم فى وضعها واطلاقها على مسمياتها ، وقد نطلق اسما على مسمى لأدنى ملابسة دون أن تكون هناك مطابقة بين الاسم ومسماه ، وذلـك بأن نسمى الشىء باسـم أرضه ، أو باسم صاحبه ، أو باسم حـادث وقع عندما تعرفنا عليه ، أو باسم كاشفه •• الى غـير ذلـك مـن الملابسات • وقد تكون الأسـماء منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع تعديل فيها •

أما الصفات فلابد من أن تطابق موصوفاتها •

ومن ثم : حرصت اللغات على أن تكون هناك مطابقة بين الصفة والموصوف •

لكنها لم تتمكن من اسـتيفاء

جميع أدوات الصفة وشروطها كما تمكنت منها اللغة العربية •

فالصفة فى اللغة العربية تابعة للموصوف ، مطابقة له فى الافراد والتثنية والجمع ، وفى التذكير والتأنيث ، وفى التعريف والتنكير ، وفى مواقع الاعراب • وبتعبير آخر : الصفة العربية تطابق الموصوف فى العدد وفى الجنس ، وفى التحدد والشيوع ، وفى الشكل العارض للفظ •

أما فى اللغات الأخرى : فقد تجد فيها بعض تلك المتابعات ، لكنك لن تجدها جميعها بقواعدها المطردة الا فى اللغة العربية !

ففى الانجليزية ــ مثلا ــ تأتى الصفة سابقة موصوفها ، ولا تتغير الصفة تبعا لتغير مواقع الاعراب•

ونحن حين نتأمل فى البيان القرآنى نجده عربيا فى بنائه الوصفى ، فلن تجد فيه صفة الا التزم فيها المطابقة الكاملة بينها وبين موصوفها ، من تبعية الى مطابقة فى الجهات الأربع التى تميزت بها الصفة العربية •

وأعتقد أن هذا فى البيان القرآنى أوضح من أن يحتاج منا الى تقديم نماذج تكشف ما قد يخفى على القارىء منه •

ومن ثم : يتقرر أن البناء التعبيرى فى البيان القرآنى لا يخرج على البناء التعبيرى للغة العربية فى قليل ولا فى كثير ، وانما هو يسير وفق منهج العربية تماما فى بنائها •

وبالتالى : فان روح اللغة العربية بمعانيها وأخيلتها هى التى تسرى فى البيان القرآنى فى أرقى مدارجها وامكاناتها ، بحيث تتحقق بالقرآن المعجزة البيانية من خلال اللغة العربية التى اصطفاها الله سبحانه لينزل القرآن الكريم بها دون غيرها •

ولذلك : خلدت العربية بكتاب الله ، وقاومت من العقبات ما كان من المحتمل أن يقضى عليها لولا خلود الذكر الحكيم •

دكتور ابراهيم عوضين

الباحث عن الحقيقة

للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله
من منظور الفن الروائى

للدكتور فتحى محمد أبو عيسى

— ٣ —

يدور محور الرواية الأساسى — كما بدا ذلك من خلال المقالين السابقين — على اماطة اللثام عن « سلمان الفارسى » — رضى الله عنه — فى المقام الأول ..

يجهد الروائى الراحل « محمد عبد الحليم عبد الله » فى تكثيف الأضواء عليه ، ثم يسلط شعاعا على سائر الشخصيات التى احتشدت فى روايته ، موزعة على الأدوار ، ومن ثم ترى ذلك الشعاع يتبدى فى أشكال مختلفة ، اذ يخبو مرة ويلتمع مرة أخرى ، ثم يقوى ويتوهج ثالثة .. ووفقا لهذه الأضواء تنبسط الشخصيات على مساحة الرواية وفى حيزها ، وقد أخذت أنماطا فنية متسقة ، تتضافر فى النهاية على ابراز ملامح البطولة فى الشخصية ، التى تستقى منها الرواية مادتها وأحداثها .

فالأسرة : الأبوان والاخت (بوران) — يضطلع كل فرد فيها بدور .. فالأم لاتلبث أن تتوارى فى زحمة المواقف ، وكأنما تناولها الروائى بقفاز حريرى ناعم ، شاء أن يمضى عنها بعد اشارات خاطفة ، ليجسد شخصية (الأب) بكل مافيه من ولاء لمجوسيته ، وتقديس لعاداته وحرص على تقاليده ، وشخصية كهذه تلغى عواطفها — وقد تكون مشبوبة — أمام تحقيق رغبة من الرغائب أو حفاظ على الشارات ، وهل تتحرج فى سبيل تلك الغاية أن تركب المركب الخشن ، متذرعة بالمكابرة واللجاجة !!

وأما (بوران) فهى الأخت الوديعة العطوف التى يحزنها أن ترى أخاها مقيدا بالأغلال ، موثوقا بالحبال ، ولهذا تبدو متقدة العاطفة فى مواجهة صلف الأب ، وعاطفته الصلدة ، وتظل على تلك الصورة من الحنو البالغ ، والانعطاف نحو أخيها ، رجاء أن تصحح مسيرة المشاعر فى أسرة تجمع بينها لحمة القرابة .

ويغلف الروائى « محمد عبد الحليم » بعض الشخصيات عنده بهالة من الغموض ، رامزا بذلك الى أن الحاسة الفنية فى شخوص الرواية لا ينبغى أن تكون من الدقة الصارمة بحيث تعنى بالتفريعات وتحفل بالتفصيلات ، كما هو الحال عند المؤرخ ..

ومن أجل ذلك جاءت شخصية العابد ، والراعى محددة الرسوم والمعالم ، مستغنيا بها عن تحديد الأسماء ، غير أن الحديث عن « العابد » يتشعب ويطول فى حوار شائق ، يلمس أقطار النفس وتصافح حرارته عاطفة « سلمان » وفكره .. وربما كان هذا أمرا طبيعيا فى رواية يفرض موضوعها أن يتبوأ « العابد » فيها منزلة مرموقة ، ونطاقا بارزا يشغله بين مواقفها وأحداثها ، فليس يعنى الباحث عن الحقيقة — أيا كان — الا أن يكون مسدد الخطا على درب المعرفة ، وأن يتزود بما يقرب اليه تلك الحقيقة ، وهذان المعنيان — لا شك — يملك زمامهما عابد شفت سريرته .. ولا تفتأ الرواية بعد ذلك تقدم أحداثا تتشابك فى شخصيات كل من « سهيل » و « أبى يعقوب » و « كعب القرظى » ومن اليهم فى لقطات رائعة ، على ما فيها من لمح سريع ، الا أنها بلغت حد البراعة الفنية ، حيث كان القاسم المشترك فى رسم هذه الشخصيات هى تلك المزايا التى تفرد كل منها فى خلقه أو سلوكه بعيدا عن التدخل والامتزاج ..

ومن الجدير بالتنويه أن المرحوم « محمد عبد الحليم » كان من وراء تلك البراعة ، يضفى عليها بعض لمسات الخيال ، مما جعل روايته

(الباحث عن الحقيقة) معرضا يموج باللمحات الفنية ، وما أكثرها فى أعماله الروائية ..

وأولى بنا وأقمن أن نؤصل الفكرة التى ذهبنا اليها فى موضوعية ، ولندع — بعد ذلك — ما يتراءى لنا فى تقويم فنية الرجل ، ومناقشة ما أثير من آراء مادحة أو قادحة ..

ان للعمل الروائى أبعادا معينة تتمثل فى اختيار الموضوع وتناوله ، وشخصيات الرواية ، ولغتها ، وفنية الحوار فيها الى غير ذلك مما هو جهير معروف ، فأين وقع الروائى (محمد عبد الحليم) من هذا كله ؟ وهل استطاع أن يطوع تلك العناصر ويعطيها من الأصباغ ما تتسق به ، وتتوازن ملامحها فى انسجام ، فلا يطغى عنصر فيها على حساب عنصر آخر ؟

لا محيد لنا — فى البداية — عن الاشارة الى حقيقة مهمة : أن الروائى الفنان يمكنه أن يطوع المرائى المشاهدة لقلمه،لتكون موضوعات لرواياته ، وقد يذهب الى أبعد من ذلك فى اختيار الموضوع حين تسيطر على وعيه خاطرة قد تكون بعيدة عن الواقع الذى تتحرك به الحياة ، ومن هنا كانت رقعة الموضوعات أمامه رحبة واسعة تتزاحم وتتدافع .

والروائى — صاحب الرؤية البعيدة — ينتقى من هذه الموضوعات ما يتجاوب مع فكره وشعوره ، وتبعا لذلك يأتى اختلاف الموضوعات وتناولها عند روائى آخر .

والفنان « محمد عبد الحليم » متعدد الرؤى فى رواياته ، يتجلى ذلك عنده فيما خلفه من روايات.. وروايته « الباحث عن الحقيقة » — كما أومأنا — تتخذ من أحداث التاريخ مسرحا ، على أرضه تلتقى شخصياتها .. واذا قص التاريخ علينا سيرة (سلمان) — رضى الله عنه — فان قصته لا تعدو أن تكون سردا للمنعطفات التاريخية فى نطاق مألوف ، لا يستهدف الخواطر الكامنة فى أعماق الشخصية ، أو الحدث الذى تضطلع به ، ولكن « الباحث عن الحقيقة » — فوق

أنها تؤرخ لجوانب من حياة الصحابى الجليل (سلمان) ـ تعد تجسيدا لنبض خفقت به جوانحه ، واضطرب فى وجدانه ، فموضوعها ـ لذلك ـ يبدو مألوفا مطروقا ، غير أن ابراز المعانى الدفينة ، وانتزاعها من الأغوار رغبة فى تصويرها ليس أمرا سهلا ، كما قد يخالج بعض الباحثين ، فاذا أضيف الى تلك المحاولة محاولة أخرى، تعكسها مقدرة الفنان على الابداع الفنى بما يشتمل عليه من خيالات تبتكرها ملكته ، لتواكب الموقف الذى يحدثنا عنه ألفينا أن عمل الروائى ومهمته شاقة جسيمة ..

يقول الدكتور « شوقى ضيف » :

« ان مادة القصة هى المجتمع وواقعه ، غير أنها تنتظر القصاص البارع كى يصوغها فى صور بشرية ثابتة ، والقصاصون كثيرون ، ولكن الذى يخلو منهم هو الذى يستطيع أن يتغلغل فى أعماق الأفراد وينفذ الى كيانهم الداخلى ، وما يرسب فيه من جواهر باقية على الأبد ، أما من يقف عند السطح من المواقف والقضايا الاجتماعية فان عمله لا يبقى طويلا ، لأنه لا ينفذ فيه الى الحقائق الانسانية الخالدة ، ومعنى ذلك أن القصة ينبغى ألا يكون غرضها التسلية والمتعة السريعة الزائلة ، وانما الوصول أو النفوذ من خلال الوعى الكامل بالمجتمع الى الحقائق الانسانية ، بل الى جذور هذه الحقائق ودفائنها ومكنوناتها » (١) .

وقد حاول الكاتب ـ وكان موفقا ـ أن يؤلف من بعض المواقف فى حياة (سلمان) عملا روائيا ، بمعنى أن الذى لفته الى تلك الشخصية « بحثه عن الحقيقة » ، وهى الحقيقة التى لقى فى سبيلها من المخاطر ما لقى ، حتى اذا رآها بعد رحلة طويلة استعذب فيها الآلام هب يرسخها

(١) فى النقد الأدبى ٢٢٨ (دار المعارف) .

فى نفوس القوم ، وذلك بعد أن صار واليا على « المدائن » من قبل « الفاروق عمر بن الخطاب » — رضى الله عنه — وأحسب لو أراد الكاتب أن يشعب المواقف ، ويعددها فى حياة (سلمان) لفعل ، اذ فى حياته من الثراء والعطاء ما يفجر المواهب ، ويغذو الملكات ، ولعل توقفه عند جانب منها : البحث عن الحقيقة هو مظهر الفنية فى اختيار الموضوع ، ولوقد عمد الى أن يطرق مجالات تاريخية معروفة فى حياته لاستحال الموضوع ،شيئا آخر ، قد لاتكتمل له فنية العروض ، وبراعة الاختيار ..

واذا كان « الحب » هو المعنى الذى يغلب على موضوعاته الروائية فتدور حوله ، فقد حول الحب فى « الباحث عن الحقيقة » عن السمة التى واكبت موضوعاته الروائية ، ومحضه فى مرتكز واحد تفردت به تلك الرواية عن سائر الاعمال الروائية عنده ، واستحقت أن تكون أنموذجا أدبيا رائعا بين رواياته ..

وهذا النموذج الروائى تشكله جملة من الحقائق ، تختلف فيها الرواية عن القصيدة ، اذ القصيدة لا تنبسط فيها عناصر الموضوع على نحو ما تتجه الرواية ، وليس من شك فى أن الروائى القدير يستطيع أن يجعل من عمله الروائى نمطا راقيا يكسب التفرد ، ويضفى عليه استقلالا وشخصية « ينفصل بها عن نظرائه وأشباهه ، وكأنها النموذج التام فى الأدب كالنموذج فى الطبيعة ، اذ لا يوجد فيها نموذجان بصورة واحدة ، بل ان شجرتين من نوع واحد تختلفان فى الساق والغصون والفروع ، بل ان ورقتين فى شجرة واحدة لا نزال نجد بينهما اختلافا بحسب ما تستقبل كل منهما من ضوء الشمس والظل والرياح ..

فكرة التفرد فى النموذج الأدبى فكرة تطابق طبائع الأشياء فى الوجود ، وارجع الى الانسان فانك لن تجد شخصا يكرر شخصا آخر ، بل دائما حتى بين الأب والابن تقوم أسرار فاصلة فى المزاج والطباع والشكل والملامح ،

فالفردية جوهر من جواهر حياتنا ، بل من جواهر وحـــدات الوجود جميعها ، وعلى هذا القياس نماذج الأدب الجديرة بأن تسمى نماذج ، فانه ينبغى أن يكون لكل منها شكله وقسماته وملامحه التى تفرده عن غيره (١) » .

فى ضوء هذه المعانى تبدو فكرة الرواية أو موضـــوعها متداولة ، مألوفة فالبحث عن الحقيقة معنى يتمثل فى حياة كثير من النـــاس ، وربما يكون ديدن عــديد منهم ، يعــرف به ويدل عليـــه ، الا أن فنيـــة الكـــاتب بعثت فى الالف به نبضـــا جديدا ، جرى فى بعض شرايين صنعها خيال الكاتب وطبيعته فى معايشــــة المواقف والأحداث ، فكان أن تماســـكت وحدات الموضـــوع ، وتناسقت لبناته فى جدة وحيوية يخلعان عليه رواء الفن ، وعبقرية الملكة ..

ولا يفوتنا ــ على ذكر موضوع الرواية ، ومدى الافتتـــان فى التصرف فيـــه ــ أن ننبه الى تلك المعارك الأدبية التى اشـــتجرت فيها الأقلام بين المرحوم « محمــد عبــد الحليم عبــد الله » وكتـــاب لامعين ، نذكر منهم الدكتـــورة « بنت الشـــاطىء » التى أخـــذت على الكاتب « محمد عبد الحليم » أن « شمس الخريف تكرار لبعــد الغروب » وأن « غصن الزيتون » و « شجرة اللبلاب » أنبتتهما بذرة واحدة ، وتضيف الى ذلك ما قالته : « لقد ذكرنى صنيع « عبد الحليم » حين كرر الغصن بالشـــــجرة والغروب بالخريف بنادرة قيلت عن (بوانكاريه) فى زيارته لانجلترة ، حين استقبل عشرين وفدا من شتى الطوائف ، وأصـــغى الى عشرين خطبـــة ترحيب به ، فرد عليهـــا عشرين مرة شـــاكرا دون أن يكرر عبـــارة واحدة فى مرتين ، وروى (ابن بســـام) فى « الذخيرة » أنه سمع وزيرا من وزراء (أشبيلية) يقول عن (ابن زيدون) : لعهدى بأبى الوليد قائمـــا فى مأتم بعض

---

(١) ذاته ١٨٨ .

حـرمه ، والناس يعـزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سـمعناه يجيب بما أجاب به غيره (١) » •

ومهما يكن من شيء فان موضوع الرواية عند (محمد عبد الحليم) لم يجمـد عند حـدود هـذه الموضوعات ••

نعم قد تسـيطر عليه أحيانا أفكار تتكرر فى بعض أعمـاله الروائية ، ولكنـه ـ مع ذلك ـ اسـتطاع أن يعدو هذا الطور ، ويتجاوز تلك المرحلة ، ويعزى ذلك الى تطور الرؤية عنده ، وانفساح النظرة الى العمل الفنى لديه ، حتى ليصـح وصفه بأنه كاتب متعدد النزعة •

ولئن تجرد «محمد عبد الحليم» للرد على ما أثارته الدكتـورة « بنت الشـاطىء » انه كان محقا فى دفاعه عن موقفه حيال هـذه القضـية •

ولندع حديثه عن المشـابه فى الأدب العالمى الى مايذكره فى هذا المضمار من أن « الأديب لا يستطيع أن يعدم ويستهلك شخصـياته وذكرياته أولا بأول بعد كل رواية ، ثم يقف من جـديد ليخلـق شخصيات وذكريات لا ترتبط بحق •• أما التشابه بين قصة « بعـد الغروب » و « شمس الخريف » الذى زعمته الدكتـورة « بنت الشـاطىء » فهو غير موجود الا بالقدر الذى يربط الأخـوين أبناء الحلال بأبيهم •

وهكذا الأمر بين « شـجرة اللبـلاب » و « غصن الزيتون » حيث تلوح فكرة « الشك » فيهما الا أن ذلك الشك كان من الضرورة والحتمية بمكان •

(يتبـع)

دكتور فتحى محمد أبو عيسى

---

(١) قضايا ومعارك أدبية ٩٧ وما بعدها .

رمضان والفضائل النفسية

دكتور عبد الغنى الراجحى

رمضان ــ أيامه ولياليه ، صيامه وقيامه ، ودروسه وقرآنه ، وأحاديثه وثقافته ، وأمجاده وابتهاج المسلمين به ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، لازمة من اللوازم ، وظاهرة من الظواهر العربية والاسلامية ، عبر الأجيال الى أن تقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها .

مجرد ذكر رمضان يعطى شحنة كبيرة من الطاقات الروحية والاجتماعية فى البيئة العربية والاسلامية ، عندما يهل هلاله ، وتتابع بين المسلمين لياليه وأيامه ، يمكن للمسلمين أن يخرجوا منه بحصيلة كبيرة وزاد ثقافى كبير ، ورصيد اجتماعى ودينى وفير ، يقضون على مدده وعلى صلة به بقية شهور العام ، حتى يأتى رمضان القادم ، فيتجدد ما تبدد من هذا الرصيد وتلك الحصيلة ، ويعطيهم طاقة أخرى جديدة من الزاد الروحى ، والمدد الفكرى ، والثقافى والاجتماعى ، الذى يسعدون به فى الدنيا والآخرة ، ويبلغون به فى مدارج الحضارة والرقى ، والكمالات النفسية والسلوك الانسانى النظيف ، أعلى الدرجات وأكمل المستويات ، ولعل ذلك هو مايشير اليه الحديث النبوى القائل « لو علمت أمتى مالها من الفضل والكرامة عند الله فى رمضان لتمنت أن تكون السنةكلها رمضان»

سوق تقوم ثم تنفض ، يربح ويخسر فيها من خسر ، أما الخاسر

فقد خرج منها صفر اليدين ، وكان من الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، حال الشيطان بينهم وبين ما جاء به رمضان من مناهج الهدى والخير والبركة ، فلم يصوموا يومه ، ولم يقوموا ليله ، ولم يقدموا فيه مثقال ذرة من صالح الأعمال ، وظلوا فى ضلالهم يعمهون ، لم يرفعوا له رأسا ، ولم يقدموا فيه خيرا ، ولم يلقوا اليه بالا ، وأما الرابح فقد أمده رمضان بالمعانى الدينية ، والقيم الاجتماعية ، والروحية ، والذكريات المجيدة ، والعبادات المشروعة ، التى تقربه الى ربه ، وتنتقل بالنفس البشرية من حضيض البهيمية الى أبهج صورها وأسمى كمالاتها ، حتى أن الله سبحانه يباهى ملائكته بعباده الصائمين ، فيقول لهم انظروا يا ملائكتى الى عبدى ، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل الصوم لى وأنا أجزى به « كما جاء فى الحديث الشريف الصحيح .

ففى رمضان يتشبه المسلمون فى صيامهم وقيامهم بملائكة الله المقربين ، المنزهين عن الطعام والشراب وشهوة الجنس ، وفى كل انسان عنصران — عنصر مادى ترابى كثيف ، وعنصر روحانى سماوى نظيف ، فمن غلبت عليه مظاهر العنصر الأول الكثيف فهو الى الحيوانية والبهيمية أقرب .. ومن غلبت عليه مظاهر العنصر الثانى الروحانى اللطيف ، فهو الى الملائكة أقرب ، وبعالم المجردات أشبه ، والى هذين العنصرين فى التركيب البشرى يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : « **اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** »(١) فقد أشار هذا النص الكريم الى العنصرين اللذين تتركب منهما حقيقة الانسان ، المادة والروح ، ولا يزال الانسان يسفل فى درجات

---

(١) ص ٧١ ، ٧٢

العنصر الأول حتى يكون أحط فى شرف الوجود وفضله من البهائم والعجماوات ، ولا يزال يترقى فى مدارج العنصر الثانى الى أن يبلغ من شرف الوجود وفضله مرتبة ربما فاقت مرتبة الملائكة المقربين.

ان رمضان بصيامه وقيامه ، وروحانياته وذكرياته وأمجاده القرآنية ، يعتبر فرصة سانحة ومنهجا ربانيا لتقوى فى المسلم روحانياته ، وقيمه الروحية على مادياته وقيمه المادية ، التى من شأنها أن تكون حائلة بينه وبين الادراك الصحيح لجلال الحق وجمال الحق جل جلاله .

ان الانهماك فى اللذائذ الحسية من مأكل ومشرب وجنس ، بهيمية قال الله فى أصحابها : « **يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** » (١) ويقول الحديث الصحيح فيها : « الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معى واحد » ــ فاذا خرج المسلمون من شهر رمضان بحصيلة القيم الروحية ، والمدارك المعنوية والدينية والالهية ، يعبئون بها نفوسهم لتدفعهم الى التحلى بالفضائل ، والتشبه بالكمالات الربانية على قدر الطاقة البشرية ، فقد خرجوا من رمضان بمعين لا ينضب ، ومدد لا ينفد ، وزاد يتزودون به ليبلغوا القمة والذروة فى معالم الانسانية ، وفضائل النفس البشرية .

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

هذه الكمالات تدفع بالانسان الى كل ما هو نافع ومفيد وبناء ، تقوى همته وتشحذ عزيمته وتشد ارادته ، وتجعله أكثر انتاجا ، وأقوى على الصمود والجلاد والجهاد ، فى ميادين العمل وميادين الانتاج وميادين الجهاد ، ومن هنا تسقط عن درجته الاعتبار قولة القائلين : ان الصيام يكون سببا فى

---

(١) من الآية ١٢ سورة محمد

ضعف الانتاج ، وقلته ، فان القوى المادية اذا لم تكن لها خلفية من القوى الروحية تشحذها وتدفعها وتصبغها بصبغة الايمان والتضحية والاستبسال ، كانت لا محالة قليلة الجدوى ضعيفة الأثر . وتلك حقيقة يؤكدها لنا ما نراه من الربط الوثيق بين الصيام وانتصار المسلمين فى بدر ، ثم فى غزوة الفتح ثم فى معارك العبور فى العاشر من رمضان المبارك ، والسادس من أكتوبر ١٩٧٣ يوم عبرنا القناة ، وحطمنا خط بارليف ، وزلزلنا الارض تحت أقدام اليهود بصيحة الله أكبر ، وأعاد التاريخ نفسه وتكرر المشهد الذى قال الله فيه منذ أربعة عشر قرنا من الزمن : « **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا** » (١) .

ومن توابع ذلك ومتمماته ، ما يتدرب عليه المسلمون فى شهر الصيام ، من قوة الارادة والصلابة فى تنفيذها ، وانتصارها على الشهوات الفانية ، فشهوة البطن وشهوة الفرج ، تدعو الانسان الى ممارستها ، ومن شأن الانسان أن يكون أسرع استجابة الى صوت الشهوات منه الى صوت العقل والحكمة ، ولكنه بالصيام يتدرب ويتمرن على أن يكون أكثر استجابة الى صوت الحكمة والعقل ، منه الى صوت الشهوات ، واذا دعته نفسه الأمارة بالسوء الى شىء من هذه الشهوات المفسدة للصيام ، دعاه صوت الحكمة والعقل أن يكون ذا ارادة حديدية ، لا تلين أمام هذه المغريات مهما اشتهتها النفس ، فيستمسك بصيامه ويلوذ بطاعة ربه ، وتتمرس نفسه على هذا الصنيع من انتصار ارادته دائما أبدا ، فى ميادين جهاد النفس والهوى والشيطان ، فتصير قوة الارادة له خلقا وكيفية راسخة فى نفسه ، يشق طريقه بها فى حياته موفقا منتصرا متألق النفس والروح ، صلب الارادة قوى

---

(١) ٢٦ سورة الأحزاب

العزيمة ، يملك زمام نفسه ولاتملك نفسه زمامه ، فمن ملك زمام نفسه نجا ونجت ، ومن ملكته نفسه هلك وهلكت ، وصدق الله حيث يقول : **« ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى أن ربى غفور رحيم »(١)** وصدق البوصيرى وهو يقول :

والنفس كالطفل ان تتركه شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم
فاحذر هوى النفس واحذر أن تواتيه
ان الهوى ما تولى يصم أو يصم .

وهكذا تدعو قوة الارادة الى الوقوف فى وجه النزوات جميعها ، والمغريات الداعية الى الوقوع فيما يغضب الله من سائر المعاصى والآثام ، والتورط فى الاندفاعات والهفوات التى يكون التورط فيها عادة ناشئا عن ضعف الارادة ، وضعف العزيمة وعدم ضبط النفس ، وكثيرا ما يعرف الانسان أن هذا الفعل قبيح ، ولكنه لا يملك نفسه من الوقوع فيه ، وفى هذا ورد الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »

والحديث الذى يفيد أن قوة الارادة التى يتحلى بها الصائم مانعة له عن فعل القبائح جميعها ، واتيان الرذائل ما ظهر وما بطن فيقول صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وان شتمه أحد فليقل انى صائم انى صائم » ويقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ويقول : « كم من صائم ليس من صومه الا جوعه وعطشه» ويقول : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا مجاريه — قالوا : بم يارسول الله ؟ قال : بالجوع »

ويقول فى امراتين اغتابتا الناس وهما صائمتان : ان هاتين صامتا عما حلل الله وأفطرتا على ماحرم الله » يعنى لحوم الناس .

---

(١) ٥٤ سورة يوسف .

ألا يرى الى مافى قوة الارادة عند الصائم من كسر العادة ونبذها ، والانفكاك من أسرها ، فبعد أن يتعود الناس على مدى أحد عشر شهرا أن يصبحوا فيفطروا ، ثم يأتى وقت الغذاء فالعشاء وهكذا دواليك ، مع ما تعودوا أن يتعاطوه على فترات مختلفة من قهوة أو شاى أو مثلجات أو ما شاكل ذلك ، يأتيهم رمضان بنظام جديد وتوقيت جديد ، يرضخون ويذللون أنفسهم وحياتهم ، ونظامهم المعيشى على وفقه ، من افطار وسحور ، ومايحل تعاطيه فيما بين الافطار والسحور وكفى ٠

ان قوة الارادة المعينة على كسر العادة ، والمتحصلة من فضيلة الصيام ، تستطيع أن تساعد الكثيرين على التخلص من عاداتهم السيئة من المكيفات وغيرها ، التى أدمنوها واعتادوا عليها ، وهى لا يرضى بها عقل ولا دين ، فليجربوا اذا شاءوا ٠

ومن توابع ذلك كله ومتمماته ، ما تتربى عليه نفوس المسلمين فى رمضان ؛ من فضيلة المراقبة لله ، والقيام بحقوق الأمانة ، بحافز من الذات والضمير وجوانبه الانسانية ، وابتغاء وجه ربه الأعلى ، فكم يستطيع الانسان الصائم أن يخلو الى نفسه ، فيأكل ما شاء أن يأكل ، ويشرب ماشاء بعيدا عن أعين الرقباء من الخلق ، ثم يخرج اليهم مندمجا فى صفوفهم واحدا منهم كأنه صائم من الصائمين ، لكنه لا يفعل ذلك لأنه اذا استطاع الخفية عن أعين الرقباء من الناس فلن يستطيع الخفية عنأعين الخلاق العليم ، ولا يريد أن يكون من الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم **« وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (١)** ٠ **« ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » (٢)** ٠

---

(١) سورة الحديد من الآية ٤
(٢) سورة المجادلة من الآية ٧

ويستطيع المسلمون أن يخرجوا من رمضان برصيد من حصيلته ، فيما يتعلق بمشاعر الوحدة بينهم ، فى أمر ان كان مظهريا الا أنه يعبر أصدق تعبير عن أمر جوهرى ، لا غنى لهم عنه اذا ما أرادوا القوة والعزة والكرامة ، وهو الوحدة ، فان المغرب يؤذن فتسمعه ملايين المسلمين فينطلقون الى انهاء الصيام وبدء الفطر فى لحظات جماعية ، وان تفرقت بهم الأماكن والديار والبيوت ، فهذه اللحظة الحاسمة التى كانوا يترقبونها قد وحدت بينهم فى شعور واحد ، وعمل واحد مشترك هو الافطار : وكذلك ينطلق مدفع الامساك ، أو يؤذن للفجر فيمسك ملايين المسلمين فى وقت واحد ، ولحظة واحدة عن الطعام والشراب ، يضم شملهم عمل واحد ، وموقف واحد ، وان نأت بهم الديار ، وتفرقت بهم الأماكن والبلاد ، لقد كان من تعاليم الاسلام وسننه المندوبة تعجيل الفطر وتأخير السحور ، يفطر الصائم فيحس بالفرحة والبهجة ، لأنه آدى الأمانة ، واقتحم العقبة ، ونجح فى طاعة ربه وخذلان شيطانه ، مرددا هذا الدعاء المشهور « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، وبك آمنت وعليك توكلت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ، ان شاء الله ، ياواسع الفضل اغفر لى » ثم يحس احساسا قويا بمدى صدق الحديث الصحيح الذى يقول فيه نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه : « للصائم فرحتان • فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » ويتسحر الصائمون استعانة لهم بالسحور على طاعة الله فى صيام يومهم القادم ، ويجدون لذلك راحة نفسية واعدادا نفسيا ، وتجهيزا عمليا للقيام بطاعة الله ومرضاته ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فان فى السحور بركة » فمن يسر الاسلام وعدم الحرج والمشقة فيه ، ورعايته لمطالب الروح والجسد معا ، أن كره الاسلام للمسلمين الوصال فى الصيام على معنى أنهم لا يتسحرون ، وكانوا

فى مبدأ الاسلام يتحرجون من الطعام والشراب والجماع ، بعد أن يصلوا العشاء ، فنزل قوله تعالى : **« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »**(١) •

ولما نهى النبى المسلمين عن الوصال ، قالوا له : انك تواصل يا رسول الله ، فقال لهم : اننى لست كهيئتكم ، اننى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ، فكان ذلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم، ومن لواحق ذلك وتوابعه ، أن يتمرس المسلمون على عملية النظام والانضباط ، فيتخذون ذلك ديدنا لهم فى ممارسة حياتهم بعامة ، فيكون ذلك أرجى لنجاحهم فى أعمالهم ونظم حياتهم ومسيرتها ، يشقون طريقهم فيها بدقة ونظام واحكام ، فقبل أذان المغرب بدقيقة واحدة ، لا يحل شىء من الطعام والشراب ، فاذا ما نطق المؤذن بقوله الله أكبر فقد حل ما كان حراما ، وسبحان من حرم الحلال بالصيام ، وحلل الحرام بالفطر ، وكذلك الشأن فى طلوع الفجر ، فكل شىء حلال مادام الليل ، فاذا طلع الفجر حرم ما كان حلالا ، وحصل الانتظام والانضباط فى طرفى النهار ، فيما بين جموع المسلمين وملايين المسلمين ، وان اختلفت أزمان ذلك فى بعض القطاعات عنها فى بعض آخر ، الا أن معنى الانضباط لا محالة قائم ، والانضباط سر الحياة وسر النجاح فيها ، وقد يستطيع المسلمون أن يدركوا ويحسوا فى نهاية شهر الصيام ، أن جسومهم بالجوع قد تخلصت من كثير من سمومها ، وأدرانها ، وأن كثيرا من أجهزة الجسم قد أخذت راحتها طيلة الصيام ، من مضار البطنة وامتلاء المعدة بالطعام والشراب ، فما ملأ

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٧

ابن آدام وعاء شرا من بطنه ، وفى الحديث الصحيح جوعوا تصحوا ، وقد سبق ذكره ، فاذا ما أحس الصائمون فى نهار رمضان ببعض الفتور والضعف ، فانهم لا محالة بعد انقضاء الشهر سوف يكونون أنشط وأقوى بدنا ، فيعودون الى مضاعفة الانتاج ، واجادة العمل تعويضا عما عسى أن يكون قد نقص من ذلك ، أو ضعف فى شهر الصيام .

ان هذه الحصيلة الرمضانية ، والثمرات التى يجنيها الصائمون من شهر الصيام ، والانطباعات التى تشبعت بها أحاسيسهم ، ومواجدهم ، نستطيع أن نجد القرآن قد جمعها على تغرق شتاتها ، وفروعها ، فى كلمات قليلة من جوامع الكلم ، تلك التى يقول فيها : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »**(١) . وقوله تعالى فى آية أخرى : **« وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون »**(٢) فاذا كانت التقوى هى حصيلة الصيام ، فانها كلمة جامعة لكل خير ، ومنافية لكل شر ، وهى رأس الأمر كله كما ورد فى حديث النبى لمعاذ : « عليك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله » وكذلك كانت الخيرية فى الآية الأخرى كلمة جامعة لكل فضيلة ، وكل نافع ومفيد فى الدنيا أو فى الآخرة ، على مستوى الفرد ومستوى الجماعة ، ومستوى الأمة الاسلامية كلها ، من الوجهة الدينية ، والاجتماعية والصحية والنفسية .

أن الشارع الحكيم ، لم ينس أن يتوج الأعمال الرمضانية التى تزكو بها النفوس ، ويستقيم عليها السلوك ، وتتضح بها حياة المسلمين بتاج أخير من العمل الجليل ، الذى لا يقبل صيام رمضان عند الله الا به ، فشرع زكاة الفطر التى قال عنها نبى الاسلام ، صلى الله

(١) سورة البقرة ١٨٣
(٢) سورة البقرة ١٨٤

عليه وسلم : « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع الا بزكاة الفطر » وقال : « زكاة الفطر طهرة للصائم وطعمة للمسكين » ثم تكون كلمة الختام وحفل الوداع لرمضان ، هى صلاة عيد الفطر ، بما فيها من التكبير الذى قال الله فيه : « **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** » (١) .

ان رمضان مهرجان اسلامى وضعه الشارع الحكيم للمسلمين ينتقلون فيه من طاعة الى طاعة ومن ممارسة الى ممارسة ، ومن موقع الى موقع ، منهج تربوى اسلامى ، يربى أمة الاسلام على عمل الخير ، وخير العمل ، حتى تكون بين أمم الأرض أمة رائدة ، تهدى بدينها وقرآنها وسلوكها أهل الأرض ، الى أرفع المثل ، وأنبل الغايات ، ويتحقق فيها قول الله : «**كنتم خير أمة أخرجت للناس**»(٢) .

دكتور عبد الغنى الراجحى



(١) البقرة من الآية ١٨٥ .
(٢) آل عمران ١١٠ .

واجب المسلمين نحو القرآن في شهر القرآن

للأستاذ محمد شلبى

سأل قيصر الروم أحد قواده يوما عن سبب هزيمة جيشه أمام المسلمين ، رغم أنهم — أى الروم — كانوا أكثر عددا وعدة ، وأعز نفرا وجندا ، فقال له القائد الحكيم :

« لقد انهزمنا ودمرنا وضعنا من أجل أننا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونشهد بالزور ، ونجور ونظلم .

وانتصر المسلمون لأنهم صادقون متقون ، لا يشربون الخمر ، ولا يأتون الفاحشة ، ويحكمون بالعدل ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

ان الفضل هو ما شهد به الأعداء كما يقولون ، فقد أعلن القائد الرومى أن النصر الذى حققه المسلمون سببه : صدقهم وتقواهم ، وعدم شربهم الخمر ، وبعدهم عن الفاحشة ، وحكمهم بالعدل ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

ومن أين للمسلمين هذه الصفات النبيلة ، وتلك الأخلاق الكريمةالتى مكنت لهم فى الأرض وكانت من من أسباب النصر ؟

انه القرآن الكريم ، الذى أكرمنا الله — سبحانه وتعالى — به فى هذا الشهر العظيم : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »** .

القرآن الذى يقول عنه المرحوم الأديب : مصطفى صادق الرافعى فى كتابه القيم : « اعجاز القرآن » والذى سنحاول أن نقتبس بعض فقراته عن القرآن • قال :

« لم يأت دين من الأديان بمعجزة توضع بين يدى الناس يبحث فيها أهل كل عصر بوسائل عصرهم ، غير الاسلام بما أنزل فيه من القرآن •

ان القرآن أنزل لتكون كل نفس سامية نسخة حية من معانيه ، وليكون هو النفس المعنوية الكبرى ، فهو كتاب ولكنه مع ذلك مجموعة العالم الانسانى »•

ويقول الرافعى : « ولكنه مع ذلك كتاب ، أى : كلام ومعان تتسع لكل الأزمنة ، وتحتمل اختلافها الذى تختلف به ، ثم هى تحدد هذا الاختلاف ، فترده الى القانون الانسانى الأعلى ، الذى يسرى فيه اليقين العام ، ليحفظ الانسانية على أهلها ، ومن ثم : تراه يجمع فى نفسه الثبات الزمنى ، فلا يتغير ولا يتبدل ، ثم يجمع الى ذلك لكل جيل قوة التأويل فى معانيه الحادثة الصحيحة ، وقوة التكوين فى آدابه الصالحة القوية كأنه ليس فى زمن مضى ، ولا كان لأمة سلفت ، ولا هو لتاريخ وقع وانقطع » •

فاذا أنت تدبرت هذا واستدللت عليه بما أظهره هذا الجيل العلمى فى القرآن ، مما وافق الحقائق الطبيعية والكونية والاجتماعية ، فلن يأتى لك من ذلك الا معنى واحد تستخرجه وتقنع به ، وهو أن هذا الكتاب الكريم أثر غيبى ، كان فى علم الله قبل كل الأزمنة ، فهو يحويها كلها ، وكأنه يوجد معها كلها ، وبذلك يتعين أنه هداية الهية فى أسلوب انسانى يحمل فى نفسه دليل اعجازه ، ويكون القرآن منفردا فى التاريخ بأنه منذ أنزل لا يبرح فى كل عصر من ناحيتين صادقتين : ناحية الماضى ، وناحية الحاضر •

وقد ثبت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبض ولم يفسر من القرآن الكريم الا قليلا جدا • وهذا وحده يجعل كل منصف

يقول : أشهد أن محمدا رسول الله •

اذ لو كان صلى الله عليه وسلم فسر للعرب بما يحتمله زمانهم ، وتطيقه أفهامهم ، لجمد القرآن جمودا تهدمه عليه الأزمنة والعصرو بآلاتها ووسائلها ، فان كلام الرسول نص قاطع ، ولكنه ترك تاريخ الانسانية يفسر كتاب الانسانية ، فتأمل حكمة ذلك السكوت : فهى اعجاز لا يكابر فيه الا من قلع مخه من رأسه •

كان العرب يأخذون القرآن على لسان أفصح خلق الله منطقا ، وأصحهم أداء ، وأجملهم ايماء ، وأبدعهم فى الاشارة ، وأبينهم فى العبارة ، وهو صلى الله عليه وسلم كان بينهم مظهر خطاب الله لأولى الألباب •

لا جرم أن القرآن هو سر السماء ، فهو نور الله فى أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود فى دولة الأرض الى أن تزول ، وكذلك تمادى العرب فى طغيانهم يعمهون ، وظلت آياته تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون •

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم » •

تأمل كيف أقام القرآن الكريم هذا الأساس الأدبى العظيم ، فجعل أكرم الناس المتساوين جميعا فى الحالتين الفردية والاجتماعية هو « أتقاهم » أى أعظمهم خلقا ، لا أوفرهم مالا ولا أحسنهم حالا ولا أكثرهم رجالا ولا أثقبهم فهما ولا أعلمهم علما ولا أقواهم قوة ، ولا شىء من ذلك وأشباه ذلك مما لا يتفاضل به الناس على التحقيق الا فى ادبار الدولة ، واضطراب الاجتماع ، وفساد العمران •

« الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » •

المعروف هو كل ما يعرفه العقل الصحيح حقا ، والمنكر كل ما ينكره •

ففى ذلك تقويم لكل انسان من الملوك فمن دونهم ، غير أن هذا المعنى لم يكن على حقيقته الا فى أهل الصدر الأول للاسلام •

والآن : ما هو واجبنا نحو القرآن فى شهر القرآن ؟

لقد أجاب عن هذا السؤال أحد رواد الفكر الاسلامى فى العصر الحديث فقال :

« فى الحقيقة ان الانسان ليعجب من موقف الناس أمام كتاب الله تعالى : « القرآن الكريم » ان موقف الناس من كتاب الله فى هذه الأيام ، مثلهم كمثل جماعة أحاط بهم الظلام من كل مكان ، فهم يتخبطون فيه ، ويسيرون فيه على غير هدى .

فتارة يقعون فى هاوية ، وأخرى يصدمون بحجر ، وثالثة يصطدم بعضهم ببعض ، ولايزالون يخبطون خبطا عشوائيا ، ويسيرون فى ظلام دامس ، مع أن بين أيديهم زرا كهربائيا لو وصلت اليه أصابعهم فان حركة يسيرة يمكن أن توقد مصباحا مشرقا منيرا .

فهذا هو مثل الناس الآن ، مثل كتاب الله وموقفهم من القرآن . فما هو واجبنا الآن نحو القرآن ؟

واجبنا نحو القرآن الكريم :

« أن نؤمن ايمانا جازما قويا لا ضعف فيه ولا وهن معه ، بأن لا ينقذنا الا منهاج اجتماعى مستمد من كتاب الله تبارك وتعالى ، منهاج مأخوذ من كتاب الله وصادر عنه ، وأن كل نظام اجتماعى حيوى لا يعتمد على القرآن الكريم ، ولا يستمدمن القرآن الكريم فى كل ناحية من نواحى الحياة ، منهاج فاشل .

فمثلا هم يعالجون الحالة الاقتصادية بترقيعات لا تسمن ولا تغنى ، على حين أن القرآن الكريم :

- نظم الزكاة .
- حرم الربا .
- أوجب الكسب والعمل .
- منع الترف .
- أوجد التراحم بين الناس .

وبهذا تحل مشكلة الفقر ، وبغير هذا لا يمكن أن يكون ، وغير هذا لا يتعدى أن يكون مسكنات وقتية .

فى محاربة الجريمة مثلا : هل نضع السارق فى السجن ليتخصص على أساتذة الاجرام ؟ وكلما طالت

مدة اقامته فى السجن زاد تخصصه فى الاجرام .

واذا كان الأخذ بهذا النص القرآنى : « أن ينفوا من الأرض » قد أفادت البلاد منه كثيرا فما بالك يا أخى لو طبق النظام جميعه !

الاسلام وحدة واحدة ، لا يقبل الشركة ، فيجب أن نؤمن بأن الاسلام هو الصالح لانقاذ الأمة من كل ناحية من نواحى حياتها .

علينا بعد ذلك — نحن المسلمين — نحو كتاب الله — تبارك وتعالى — أن نتخذ منه أنيسا وسميرا ومعلما ، نتلوه ونقرأه ، وألا يمر بنا يوم من الأيام حتى تكون لنا صلة بالله ، وبكتاب الله تبارك وتعالى .

وعلينا بعد ذلك أن نلاحظ حين نقرأ القرآن آداب التلاوة ، وحين نسمع كتاب الله آداب الاستماع ، وأن نحاول ما استطعنا أن نتدبر وأن نتأثر .

وبعد أن نؤمن بأن كتاب الله هو المنقذ الوحيد ، بعد هذا يجب علينا أن نصل الى العمل بأحكامه تطبيقا عمليا ، فحين تقرأ القرآن يجب أن تقف عند أحكامه وحدوده ، فمن لم يكن يصلى ويقرأ قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » فلابد أن يصلى . وحين تقرأ : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » فيجب أن تؤدى الى كل ذى حق حقه ، ويجب ألا تحتاج الى من يحملك على هذا ، فالحلال بين والحرام بين .

وعن فضل القرآن والشريعة الاسلامية تكلم كثيرون ، ولكن فى هذه العجالة سنحاول أن نورد آراء الكتاب والمفكرين من غير المسلمين ، الذين أدركوا فضل الاسلام .

قال الأستاذ : يوسف زخريا — وهو مسيحى يقوم بتدريس الشريعة الاسلامية فى الجامعة الأمريكية — مبينا فضل الشريعة الاسلامية :

« ان الشريعة الاسلامية تمتاز عن سواها من الشرائع المعمول بها فى عصرنا بأنها فضلا عن كونها

مجموعة القواعد التى يجب أن يتبعها كل مسلم ، بما حوت من أمر ونهى ، هى أيضا شريعة مدنية صالحة للأمم التى لا تزال تعمل بها سواء كانت هذه الأمم مسلمة أم غير مسلمة » .

ويعلن « هوكنج » أستاذ الفلسفة بجامعة « هارفرد » :

« أن سبيل تقدم البلاد الاسلامية ليس اتخاذ الأساليب الغربية المتنكرة للدين كموجه لحياتهم اليومية ، وانما سبيل تقدمهم ونموهم اتخاذ الدين مصدرا ، فنظام الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة ، وأحكام مستقلة متفقة مع الحياة .

وانى أشعر بأنى على حق ، حين أقر : أن الشريعة الاسلامية تحتوى بوفرة على جميع المبادىء اللازمة لارتقاء الانسان » .

ويقول الدكتور « أنريكو انسابا تومين » :

« ان الاسلام — مع احتفاظه بحيويته وقوته وأصالته — يتمشى مع مقتضيات الحاجات العصرية ، فهو الدين الذى أعطى أرسخ الشرائع نباتا » .

واقرأ معى أيها الأخ المسلم ما قاله « شبرل » عميد كلية الحقوق بجامعة « فينا » عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ان البشرية لتفخر بانتساب رجل « كمحمد » اليها فقد استطاع — على أميته — أن يأتى قبل بضعة عشر قرنا ، بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفى عام » .

وفى شهر يوليو عام ١٩٥١ انعقد فى باريس مؤتمر أسبوع الفقة الاسلامى ، فى كلية الحقوق بجامعة السربون ، بدعوة من لجنة الحقوق فى المجتمع الدولى للقانون المقارن ، وبعد أن ألقى عدد من الأعضاء محاضراتهم عن الفقه الاسلامى ، وتبين منها أصالة التشريع الاسلامى واشتماله على ثروة حقوقية ، ونظريات قانونية خالدة القيمة ، اتخذ المؤتمر قرارا جاء فيه مانصه :

« ان مبادىء الفقه الاسـلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها ، وأن اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطـوى على ثروة من المفاهيـم والمعـلومات ، ومن الأصـــول الحقوقية ، هى مثار الاعجـاب ، وبها يستطيع الفقه الاسـلامى أن يستجيب لمطالب الحياة الحديثـة والتوفيق بين حاجاتها » •

وينفى « ريتشارد وود » مايقال عن القرآن : من أنه حـائل دون النهوض بالانسـان ، والارتقـاء بفكره وحيـاته ، فان القـرآن يتضمن أحكام الدين ، وفى الوقت نفسـه يتضمن الأمور المدنيـة والشئون السياسية » •

ويقول « ريتشـارد وود » نفسـه :

« ان كثيرا من المسـتشرقين يزعمون أن المسـلمين لن يتقدموا ما داموا بنصـوص القرآن التى لا تتلاءم ــ بزعمهم ــ مع المعارف والفنون الحديثة » •

وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصـد القرآن ، ويكفى برهانا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام ، وعنـاية علمـاء العرب بالعـلوم والفنـون ، ودراسـتهم لكتب الحكماء الأقدمين •

ان الاسلام قد أكد منذ الساعة الأولى لظهـوره أنه دين عـام ، يصلح لكل جنس وصـنف ، ولكل عقـل وعصر ، ولكل درجـة من درجات الحضارة •

وبعد :

فهـذا هو القـرآن من وجهة النظر الاسلامية ، وتلك هى آراء بعض المستشرقين المنصفين فيه ، وفى الشريعة الاسـلامية والفقه الاسلامى • وذلك هو واجبنا نحو القرآن فى رمضان شهر القرآن ، وفقنا الله الى العمـل بما فيـه ، باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فنسعد فى دنيانا ، ويرضى عنا الله ورسوله يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم •

محمد شلبى

هـواتف

طلب العلم

للدكتور ابراهيم على أبو الخشب

فى الحديث الشريف ما يفيد أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة • وربما كان هـذا العلم الذى يقصد اليه الحديث هنا ، هو هذا الذى يصحح به المسلم سلوكه مع الله — سبحانه وتعالى — لتكون عبادته له على بصيرة تامة ، ووعى سليم ، لا تشوبها خرافة ، ولا يداخلها تزيد ولا مبالغة ، ولا يحيط بها جهل ولا تخبط ، وانما تكون كما رسمها القرآن الكريم ، وبينتها السنة النبوية المطهرة ، وان كان طلب العلم ، والاشتغال به ، والتحصيل له ، والعيش معه ، والانتساب اليه ، شرف لا يدانيه شرف ، ولا يعدله جاه أو سلطان، الا أن هنالك معنى وراء ذلك كله قلما يفطن له الناس ، ويلتفتون اليه ، ويدور بخلدهم أنه مقترن به ، أو ملازم له ، وذلك هو ما يجده الطالب حينما تربطه به الأسباب ، وتصله به تلك الوشائج النبيلة التى تعلق ذهنه به ، وتحول نظره اليه ، وتفكيره فيه ، فانه — حينئذ — يحلق فى جو من السعادة التى لا يجدها الا الشعراء ، وهم يحلقون فى ملكوت السماوات والارض ، يبحثون عن صورة جميلة ، أو معنى رائع ، وقد أدركت بنفسى هذه الحقيقة التى لاشك فيها وأنا أقلب خزانة كتبى ، بحثا عن سفر أعاود النظر اليه ، أو القراءة له ، لأتصور عهدى به لأول مرة ربطتنى به الأسباب ، وجمعت بينى وبينه

المناسبات ، وربما كررت هـــذه الزيارة لخزانة كتبى هذه مــرة وأخرى ، اذا وجدت ملا من جهد بذلته ، أو عناء قاسيته ، فلا يخفف عنى ما ألاقيه الا عيشى فى هــذه الرحاب الطاهــرة ، والأجـــواء العطرة ، وكثيرا ما تغمرنى الفرحة البالغة ، والغبطــة العميقـــة ، والبهجة الحلوة ، اذا وجدت كتابا كنت قد قطعت الرجاء منــه ، أو الأمل فيه ، اذ ظننت أن أحدا قــد استعاره ولم يرده الى ، وماأدرى ان كان ذلك لأن كتب الانســـان — كما يقـــول بعض الأدباء — كفلذات أكبــاده الذين يوليهم من حـــدبه عليهم ، واغتباطه بهم ، وميله اليهم ، وهشاشـــته لهم ، وما لا يمكن أن يتصوره الا الأب الحانى على أولاده ، الذى يتصور السعادة كلها فى ذلك الاشراق الذى ترسله وجوهم وموسيقى نبراتهم وأصـــوات كلماتهـــم وهــو ينظـــر اليهم ، أو يصـــغى الى أحـــاديثهم ، أو يقتـــرب منهم ، وكثير من الغرائز البارزة فى الانسان كحب الاستطلاع ، والحل والتركيب ، والولوع بالكشف عن المجهول ، وغير ذلك مــن القوى الكامنة فيه ، والاســـتعداد الذى خصه الله به دون ســـائر أنواع الحيوانات برهان واضح عــلى أنه لا يرضى لنفسه بحال من الأحوال ، أن ينطوى على الجهل ، أو يسكت على عدم المعرفة ، أو يستكين لتلك الظروف القاهرة التى تجعلــه — هكــذا — صندوقا مغلقـــا ، أو صخرة صماء ، أو كومة من اللحم والدم ، أو شبحا كل همه أن يروح ويجىء ليس الا ، والدليل عـــلى ذلك أنه يغضب ويثور اذا رمــاه أحد بالجهل ، أو قال له انســـان أنت لا تدرى ، ولو كان هو فى واقع الأمر كـــذلك ، وكم رأينا مــن مصادمات لا يكون لها من سبب ، سوى أن يقول قائل لصــاحبه ان بينك وبين العلم عداوة الصــديق، ونفور المختلفين ، ولقد كان المرجح الذى فضل الله به آدم عليه السلام على الملائكة ، ومن أجله منحـــه الخـــلافة فى الارض ، وأمرهم بالســـجود له ، انما هـــو العلم ، «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم

على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (١) •• وكذلك كان جل جلاله لا يسوى بين العلم والجهل ، ولا بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، واذا كان السؤال نصف العلم — كما يقولون — فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أسئلة ، ربما بدا منها أنها مما يتحرجون منه ، أو يترددون فى توجيهها اليه ، وهم الذين أمرهم الله بالتزام الادب معه ، وعدم الايذاء له ، وقد كانوا يلحون فى طلب الجواب ولو كان غير سار ، كهذا الذى نزلت فيه الآية الكريمة ، « **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم** » وقد كان مطعون النسب جاءت به أمه من أب غير شرعى ، فلما أخبره صلى الله عليه وسلم أن أباه فلان كانت القاصمة له •• ولم يكن مثل هذا كله شاقا على النبى ، أو مؤلما لنفسه ، لأنه يعلم علم اليقين ما تحدثه فى الرأس لذعة الحيرة والشك ، أو الجهل بالأمور ، وعدم المعرفة للأشياء ، والوقوف على أسبابها وعللها ، وارتباط بعضها ببعض ، ولهذا لم يكن يتغاضى عن اجابة السائل ، واضاءة المشاعل لمن تشتبه عليه المسائل ، أو تخفى عنه المعالم ، أو تغيب عنه براهين الاشياء ، وأدلة الحقائق ، ويعاتبه سبحانه وتعالى اذا بدا منه ما يشبه التوانى ، أو الاهمال فى الأخذ بيد الضالين ، أو الحيارى الذين يطرقون بابه رغبة فى العلم ، أو بحثا عن المعرفة ، أو حرصا على أن يرشدهم الى السلوك الذى يجب

---

(١) البقرة ٣١ — ٣٤

أن يأخذوا به ، ليكونوا من المؤمنين الصادقين ، لا تهزهم عواطف الشك ولا أعاصير الزيغ ، و لا عوامل الباطل ، ولو حصل شيء من ذلك ولو على سبيل الاجتهاد لم يقره عليه ، أو يتركه للاسترسال فيه ، كما حصل مع ابن أم مكتوم ، ذلك الذى كان حريصا على الذهاب اليه، والأخذ منه ، ليكون له من هذا فقه فى دينه ، وكمال فى يقينه ،وقوة فى ايمانه ، وثبات على دربه ، ونور فى سبيله ، وقد صادف فى احدى غدواته اليه ، أن كان عنده بعض وجوه الكفار الذين كانوا يساومونه على الايمان به والدخول فى دينه ويريدون منه أن يطرد من حوله الفقراء الذين يغشون مجلسه ، ويتوددون اليه ، أو يترددون عليه ، وهنالك لم يستقبله الاستقبال الذى عوده عليه ، واشتغل بالحفاوة بهم، وكأنه كان مطمئنا الى أن هذا الذى ألف التردد عليه ، والزيارة له ، لا ينكر فى نفسه اغضاءه عنه ولا تركه للحفاوة به ، والاقبال عليه ، والألفة — كما يقولون — نسقط الكلفة ، لكن جبريل ، عليه السلام ، قد نزل عليه ، يبلغه صوت السماء بالانكار لهذا الصنيع، **« عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى»** (١) وكان صلى الله عليه وسلم اذا لقى ابن أم مكتوم بعد هذا يقول له : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى .. وكان جبريل الأمين فى بعض الأحايين يجيء الى الرسول الكريم ، فى شكل أعرابى جلف ، يسأله فى عنف وغلظة — كما هو شأن الأعراب وكان بعض الصحابة تدفعه نفسه الى الاعتداء عليه ، أو التأنيب له ، لاساءته الأدب مع سيد الخلق ، وكان النبى يردهم عن ذلك قائلا انه أخى جبريل جاء ليعلمكم كيف تسألون عما يشتبه عليكم من الحلال والحرام ، وكان الصحابة يسألونه صلى الله عليه وسلم ، لا يقف سؤالهم عند حدود الخبر الذى يريدون معرفته ، وانما يسألون عن الشر كما يسألون عن

---

(١) عبس ١ — ٤

الخير ، وعن الفضيلة كما يسألون عن الرذيلة ، ويقول حذيفة بن اليمان كان الناس يسألون رسول الله عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .. وهكذا نرى السؤال لا حدود له ، وقد يكون عن الشر الذى يجب تركه ، وعدم الاقتراب منه ، كما يكون عن الخير الذى يجب اتباعه ، والأخذ به، ومن المعقول أن تنصرف البشرية عن النظر فى الأشياء ، أو البحث عنها ، والتفكير فيها ، والمعرفة لها، أو ربط الأسباب بالمسببات منها ، اذا طغى عليها طيش الحياة ، أو استولت عليها غفلة الذهن ، أو غفوة القلب ، أو حالت بينها وبين ذلك ظروف قاسية ، لا تستطيع أن نتحكم فيها ، أو تقدر على تخطيها ، لكنه ليس من المعقول أن يظل ذلك دائما أبدا ، وعلى طول الخط . فان فرعون موسى الذى عاش غارقا فى سكرة الملك ، وغرور الحكم وأبهة الجاه ، أو جبروت السلطان ، لم يمنعه ما كان فيه ، من محاولة المعرفة ، والرغبة فى الوقوف على حقائق الأشياء ، ولم يلبث وقد أخبره موسى ان الله فى عليائه قد استوى على العرش ، أن قال لوزيره « **يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فأطلع الى اله موسى** »(١) وكانت نهايته وقد تطامن كبرياؤه ، وذهب غروره ، وأيقن أنه ملاق سوء عمله « **قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل** » (٢) وهكذا كان طغيان المادة على الناس اذ يحول بينهم وبين الحق، فلا تنظر عيونهم للنور ، ولاتذعن قلوبهم للخير ، ولا ترتبط أفئدتهم بالذى خلق السماوات والأرض ، لأنهم فى هذه الفترة من أعمارهم يعيشون لليوم لا للغد ، وللجسد لا للروح ، ولشهوة البطن لا أكثر ولا أقل ، حتى اذا ما أطبق عليهم الحال ، وضاقت عليهم السبل ، وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا

---

(١) غافر : من آيتى ٣٦ ، ٣٧
(٢) يونس : من الآية ٩٠

أنهم قد أحيط بهم ، عاد اليهم الرشد ، واعتدل فيهم ميزان التفكير ، ولذلك رأينا الحروب الأخيرة ، وقد طحنت رحاها العالم ، وأتت على الأخضر واليابس ، تفتح قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما ، وتوقظ كثيرا من الجاحدين أن يبحثوا عن السداد والرشاد ، والصواب والحق ، ليستقيموا على الجادة ، ويسلكوا السبيل الصحيح الذى لا التواء فيه ولا انحراف ، وربما كان الرأى مضطربا بين الأخذ بشريعة الله أو شريعة الناس ، ولا يعنينا أن نقول ما هو هذا الذى كان يجمل بهم أن يفزعوا اليه ليكون فيصلا ، انما يعنينا فقط أن نقول ان ذلك عنوان النزوح الى العلم والمعرفة ، والبحث عن الحق والصواب ، أو تجاوز الحدود والسدود .. وعلماء الاجتماع وهم يتكلمون عن البدائية الأولى فى الانسان ، لم يختلفوا فى أنه كان يتطلع ويتأمل ويسأل ويحاول أن تتكشف له الحقائق عارية من الأغلفة والحجب ، والحاجة الى الزاد العقلى كانت دائما أبدا تلح على صاحبها أكثر من الحاجة الى الزاد الجسمى ، لأنه يستطيع أن يحتمل الجوع والعطش من غير غضاضة ولا مضاضة ، ولا يعيبه معهما أحد ، ولكنه لا يحتمل الجهل بالأشياء ، وعدم معرفته لها الا على ضرب من القلق والحيرة ، والسخط والاضطراب ، الذى يستحيل معه السكون والاستقرار ، والرضا والارتياح ، ولا أدل على ذلك كله من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان لا يشك فى رعاية ربه له ، واهتمامه به ، وتوفير كل أسباب النجاح لدعوته ، يتلهف تلهفا يشبه النهم على أن يردد ما يوحى به اليه ، دون أن ينتظر انتهاء جبريل ، عليه السلام من تلاوته اياه ، وكان جل جلاله يذهب هلعه وفزعه ، ويطمئنه على أنه لا يضيع عليه شيئا منه أو يجعل الفرصة تفلت دون أن يكون قد أحاط به : « **لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه** »(١) .. وفى قصة موسى مع الخضر

(١) القيامه : ١٦ ــ ١٨

عليهما السلام ، صورة طريفة الى أبعد حد — فى هذه الناحية ، اذ وجد موسى أنه مع التشريف الذى شرفه الله به من اختياره للنبوة ، واصطفائه بالرسالة ، ينقصه كثير من علم الخضر بالأشياء ، وبصره بالأمور ، واحاطته بالمسائل ، وكأنما تمنى لو يقتبس من وعيه ، ويأخذ من فهمه، ويغترف من بحره ، ويكون لهبعض ما أفاض الله به عليه « **قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ، قال انك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ، قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ، قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكر** » (١)وعلى الرغم منأن موسى أبدى طاعة التلميذ لأستاذه، وخضوع المريد لشيخه ، وأعلن أنه سينزل على حكم الكبير على الصغير ، فلا يتحول عن هذا الأدب ، ولا يتمرد على تلك التقاليد ، فان الطبيعة الانسانية كانت تفرض عليه أن يسأل ، وتحتم عليه أن يتعجل المعرفة ، وتلح عليه أن يطلب كشف الغطاء عن المجهول ، غير مترقب للفرصة المتاحة أو الظروف الملائمة ، وهنالك تخطى الوعد الذى وعد به ، والعهد الذى اخذه على نفسه ، وانساق انسياقا للسؤال وطلب العلم والمعرفة ، مكتفيا بالاعتذار عما بدر منه ، أو وقع فيه ، وكلما ضاق الخضر ذرعا بما حصل منه أعاد على سمعه « **ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا** »كأنما يشفى بهذا غليله ، ويرمه به ، أو غضبه الذى كان يملأ جوانحه ، ولا يزيد موسى مع ذلك كله على اعتذاره له « **لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا**» وهكذا يتكرر خطأ المخطىء، واعتذار المعتذر ، بقول الأول

---

(١) الكهف : ٦٧ — ٧٠

« ألم أقل لك » وبقول الثـــانى « لا تؤاخذنى » ونحن أمام هــذا الحوار الطريف بينهما نقف موقف المتأمل ، وكلاهما رجل لا يستهان بعقلــه ورأيه ، وذوقــه وأدبه ، وتفكيره وحصـــافته ، يؤاخــذه المجتمع على أنه لم يلتزم بما أخذه على نفسه ، واذا قلنـــا ان الخضر كان له رأيه فى الانتظام أو التؤدة ليكون ذلك أدعى الى التشـــويق والترقب ، وليكون للاجابة وقعها الطيب فى النفس ، كما يفعل المربى الماهر مع التلاميذ ، فماذا عســاه أن نقول له عن هذا الــذى تخطى السدود والحــدود ، أو المواثيق والعهود ، ثم انساق انسياقا قاهرا وراء الرغبة فى العلم ، والنزوع الحاد الى المعرفة ، الا أن يكــون هو الطبع الانســـانى الـــذى لا يستطيع أحد أن يخالفه ، أو أن يخرج على تقاليده ، وهكذا كانت البشرية منذ خلقها الله ، تنزع الى طلب العلم ، وتبحث عن حقــائق الأشياء .

د . ابراهيم على أبو الخشب

* * *

انشقاق القمر والإعجاز العلمى للقرآن

دكتور منصور محمد حسب النبى

أشار الله سبحانه وتعالى الى ظاهرة انشقاق القمر فى مطلع سورة : « القمر » بقوله سبحانه : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » (١) .

ولقد اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية ، ولذلك أردت أن أكتب هذا المقال لأساهم برأى العلم الحديث فى هذا الموضوع ، وخاصة وقد توقعت البحوث الحديثة أن نظام الأرض والقمر سيتطور مؤديا الى انشقاق القمر .

وفيما يلى : سأناقش قضية انشقاق القمر على ضوء التفسيرين الواردين لهذه الآية الكريمة :

أولا : يستدل بعض المفسرين بهذه الآية على أن انشقاق القمر وقع فعلا فى الماضى ، كمعجزة مادية خارقة من معجزات سيدنا : محمد عليه الصلاة والسلام وذلك استجابة لطلب المشركين ، ودليلا على اقتراب يوم القيامة .

ثانيا : يجمع المفسرون حديثا على أن هذه الآية تعبير عن الأحداث الكونية فى المستقبل ، فعند دنو يوم القيامة سينشق القمر ، وينفصل بعضه عن بعض ، ويؤيد وجهة النظر هذه ما يأتى :

(أ) أن التعبير عن الماضى فى الآية الكريمة : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » ليس معناه أن القمر قد انشق فعلا ولكنه التعبير

---

(١) سورة القمر ٥٤ الآية الأولى منها .

بالفعل الماضى عن حدث مايستخدم عادة فى الأصل البلاغى فى مقام التعبير عن المستقبل ، تأكيداً لتحقق وقوعه ، بدليل قوله تعالى : « **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** » (١) فلفظ أتى هنا بمعنى : سيأتى . حيث عبر القرآن الكريم بصيغة الماضى بدلا من المضارع ، تأكيدا لوقوع الحدث فى المستقبل.

(ب) أن التوقعات العلمية الحديثة تشير الى انشقاق القمر فى المستقبل ، وهذا ما سأوضحه فى هذا المقال .

وقبل أن أدخل فى التفاصيل العلمية لهذا الموضوع ، فسوف أناقش التفسير الأول .

أولا : انشقاق القمر فى الماضى

يقول صاحب كتاب « الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى » ان دعوة الاسلام لم تكن دعوة لقوم أو لجنس ، ولم تكن دعوة جيل أو زمن محدد معلوم ، ولم تعتمد فى عملها على القهر والتسلط على العقل أو المشاعر ، لأنها دعوة عامة للبشر ، وهى دين الله الخاتم للناس جميعا ، فالدعوة الاسلامية دعوة قائمة على الحجة الواضحة ، والبيان النير ، ولم تعتمد على اعجاز مادى ، لأنها خالدة الى يوم القيامة ، وعامة لكل جيل من البشر فى أى مكان على وجه الأرض .

ولقد كانت معجزة كل رسول حسية ، لأنه مبعوث لقومه خاصة ، أما معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله الى البشرية كلها : فهى عقلية خالدة ، لا تتغير ولا تتبدل بحفظ الله لها ، وهى : « القرآن » .

ولقد ضرب القرآن الكريم أمثلة كثيرة للذين كانوا يشاهدون الآيات التى تعتمد على الخوارق المادية ثم لم يؤمنوا بها مثل : قوم ثمود ، الذين جاءتهم الناقة وفق ما طلبوا ، ولكنهم كفروا وأهلكهم الله .

---

(١) سورة النحل ١٦ الآية الأولى منها

ولهذا جاءت رسالة الاسلام ختاما للرسالات كلها ، غير مصحوبة بخوارق مادية ، لأنها رسالة الانسان على وجه الأرض • انها رسالة الأجيال المتعاقبة ، ورسالة الرشد البشرى تخاطب فى الانسان مداركه وعقله ووجدانه جيلا اثر جيل •

انها رسالة تحترم الانسان وتميزه ببشريته •

وآية الاسلام هى « القرآن » كتاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •

حقا : ان « القرآن الكريم » معجزة الله الخالدة ، وسوف يظل القرآن الكريم مفتوحا للأجيال المتعاقبة ، وحتى قيام الساعة ، باعجازه اللغوى والبيانى والعلمى •

ويسجل « القرآن الكريم » مرحلة المهاترات التى كان يثيرها الكفار بطلب المعجزات والخوارق المادية ، أيام نزول القرآن الكريم بقوله تعالى :

« ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا • وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا • أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا • أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا • أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » •

(الاسراء ـ ٨٩ ـ ٩٣)

ويتضح بهذا أن الكفار قد قصر اداركهم عن التطلع الى آفاق الاعجاز القرآنى ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية ، ويتعنتون فى مطالبهم ، لدرجة المطالبة بمجىء الله ـ سبحانه وتعالى ـ والملائكة اليهم ! مما يدل على اختلال قواهم العقلية •

ولقد كان الجواب على هذه المطالب : **« قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » •**

حقا : أن محمدا بشر • ولقد طلب الكفار منه أن ينزل الله عليه ملكا يصدقه ويحدث الناس

معه ، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة التالية .

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

(الانعام ٨ ــ ٩)

وبهذا يتضح أن الله سبحانه لو استجاب لمطالبهم وأرسل مع محمد ملكا كما اقترحوا ، ثم عاندوا ولم يؤمنوا ، لنفذ الأمر الالهى باهلاكهم فورا . كما أن الملك المطلوب ليؤيد الرسول لابد وأن يكون على هيئة بشر ، حتى يستطيع الكفار مشاهدته والفهم عنه ، لأنهم لا يقدرون على رؤية الملك فى صورته الأصلية ، ولكن ارسال الملك فى صورة بشر اليهم سوف يوقعهم فى نفس الخطأ الذى يتخبطون فيه لأنه فى هذه الحالة سوف يشتبه عليهم الأمر ، ولهذا كان طلبهم مرفوضا .

ولقد سأل أهل مكة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعون .

فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة :

« وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » .

(الاسراء : ٥٩)

أن التكذيب بالآيات المادية الخارقة ، يوجب فى حكم الله معاقبة المكذبين فورا بالنقمة ، كما حدث لقوم صالح : (ثمود) ولآل فرعون ، وبهذا : فلو أعطيت قريش ما سألوا من الآيات ، وجاءهم بما اقترحوا من معجزات مادية خارقة ، ثم كذبوا ... لم يلبثوا أن عوقبوا بتكذيبهم للمعجزات .

ولكن الله أكرم محمدا ، وبعثه رحمة للعالمين .

ويتضح مما سبق أن الدعوة

---

(١) الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ــ للدكتور : رؤوف شلبى . من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية .

الاسلامية لم تعتمد على اعجاز مادى لأنها خالدة الى يوم القيامة، ولأنها عامة لكل البشر ، ولأنها رحمة للعالمين .

أما موضوع انشقاق القمر : فقد قال بعض المفسرين عنه :

أنه حدث ووقع تاريخيا ، وثبت بالسنة (١) ، على نحو ما رواه البخارى :

انشق القمر ونحن مع النبى — صلى الله عليه وسلم — بمنى فقال :

(اشهدوا ، وذهبت فرقة نحو الجبل) .

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله : انشق القمر بمكة . وتابعه محمد بن مسلم عن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى يعمر عن عبد الله .

وهو حادث واجه به القرآن الكريم جماعة المشركين فى حينه ، ولم يروعنهم تكذيب لوقوعه ، فهو بذلك قد وقع بصورة يتعذر معها التكذيب ، حتى ولو على سبيل المراء الذى كانوا يتذرعون به ، غير أنه روى عنهم أنهم قالوا : سحرنا : ولكنهم أنفسهم اختبروا الأمر فعرفوا أنه ليس سحرا ، حيث سألوا آخرين قادمين من السفر ، فأخبروهم أنهم رأوا القمر منشقا ، ورغم ذلك قالوا : هذا سحر . فأنزل الله تعالى الآية

« اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » .

(القمر — ١ — ٢)

والسؤال الآن :

هل انشق القمر فعلا فى الماضى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ولو سلمنا بأن حادثة انشقاق القمر قد وقعت فعلا استجابة لمطالب المشركين ، فلماذا لم يستجب القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم — لباقى مطالب المشركين ؟

وللجواب على ذلك :

فاننا نحن « المسلمين » نؤمن

بكتاب الله ، وبصدق رسول الله ، ولو كانت رواية انشـــقاق القمر صحيحة عـلى نحـــو مـا رواه البخارى ، فليس بوسـعنا تكذيب حادثة انشقاق القمر أيام رســول الله لأن الله قادر فى أى لحظة أن يشق القمر ، وقادر أن يعيده الى كتلة واحدة .

ولكن القول بأن انشقاق القمر كان استجابة لطلب المشركين : قول متجـــاف مع النص القــرآنى ، والموقف النبوى الذى أوضحناه من قبل مصداقا لقوله تعالى :

« قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » .

وقوله تعــالى :

« وما منعنا أن نرســل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » .

يقول المســلم الفرنسى « اتين دينيه » (١) :

« اننا لا نستطيع تصـــديق حـــدوث تلك المعجــزة المزعزعة ، لأنها تتنافى صراحة مع الكثــير من آيات القرآن . ومــا أقــل تأثير المعجزات فيما مضى من التاريخ . لقــد عبد بنــوا اسرائيل العجــل بعد أن أنقذهم موسى بمعجزته من لجة البحر ، ومن طغيــان فرعون وما كان أهــل مكــة المشركــون ليتأثروا بالمعجزة أكثــر من غيرهم من بنى البشر ، فــان الطبيعــــة الانسانية واحدة .

غير أننى لا أملك أمام الكثــرة الكثيرة من الأحاديث الصــحيحة الا أن أقول : انه ليس فى الامكان تكذيب حادثة انشاق القمر ، لكنها وقعت ، لا على أنها دليل فى مواجهة مطالب المشركين لاثبات الرسالة ، بل هى وقعت كما وقعت خــوارق كثيرة لرسول الله صلى الله عليــه وسلم » .

دكتــور

منصور محمد حسب النبى

---

(١) محمد رسول الله « اتين دينيه » .

رمضان
والمجتمع والقيم والحياة ..

بقلم سيد عبد الحكيم النجار

فى شهر رمضان المبارك .. تتجه القلوب الى ربنا تبارك وتعالى .. منطلقة لتجديد القيم فى النفس والمجتمع والحياة .. وتتجه ملايين الأنفس الى مقام الجلال والكمال سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم .. محمد .. هدية السماء الى الأرض .. من أرسله الله رحمة للعالمين ..

فتتخذ جماهير المؤمنين من هذا الشهر العزيز .. على الله وعلى الناس .. ومن منهاج صاحب الرسالة العظمى فى هذه الأيام الروحية الرحبة .. منطلقا لتطهير النفس وتصفية الروح .. وحتى نجعل من رسالة السماء .. سلوكا ومنهاجا وواقع حياة .. حيث تنطلق فى جنبات الدنيا الكلمة الشريفة .. للسيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها .. عندما سئلت عن خلق رسولنا العظيم فقالت : كان خلقه القرآن .. بل كان قرآنا يمشى على الأرض .. يضىء ويحكم ويشرع بين الناس بالعدل وللعدل ومن أجل العدل ..

هكذا عاشت ومازالت تعيش هذه القيم الخوالد فى نفوس أبناء الاسلام .. حتى أصبح رمضان ربيع القلوب والأرواح وواحة الأمل للعودة الى رحاب الله .. سبحانه وتعالى ..

تربية الروح

الطاقات الروحية أقوى طاقات الانسان وأكثرها أثرا فى

حياته .. وفى شعوره بالسعادة والأمن والأمان .. فان الله جلت قدرته وعظمت ارادته طلب من المؤمن أن يكون دائم الاتصال به . والشعائر فى حقيقتها ما هى الا محطات للتزود من الطاقات الروحية التى تؤثر فى المسلم وفى سلوكه وفى عادته وفى أمنه وأمانه.. بل فى سعادته .. ومن هنا يطلب القرآن من المسلمين جميعا أن ينهلوا من هذا الرحيق الصافى الشفيف النظيف ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ..

وفى الحديث الشريف .. أن رجلا سأل النبى العظيم عن الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل للمغنم أى ذلك فى سبيل الله ؟

فقال الرسول : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » ..

والصوم من الناحية الروحية صلة وثيقة متفاعلة بين العبد وربه صلة بعيدة عن الرياء وفى ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى فى حديثه القدسى « **كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به** » ..

تغذية الروح

ومن أهداف الصيام تربية النفس على الصبر .. فالمسلم يتحرر من ذاته ويتربى على ضبط أعصابه فلا يثور لأول مؤثر بل يقيم الاعتدال فى طبيعته وحركته وسلوكه .. والصوم يساعد على تربية المسلمين ومساعدتهم على اقامة مجتمع سليم قوى له قيادة يرجع اليها فى كل أمر من أمور حياته .

والصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا .. ومن هنا ندرك أن أساس الصوم اعداد المسلم بأن تكون تصرفاته كلها منسجمة مع تعاليم الاسلام .. وجوهر الاسلام ينادى دائما بتحرير الانسان فى الأرض من العبودية للعباد ومن العبودية للهوى .. بل لعبودية الواحد الأحد بأن الله واحد .. لا شريك له .. سبحانه ..

ولم يكن من المصادفة أن

يفرض الصوم فى العام الذى فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .. فالصوم هو مجال تقرير الارادة القوية واتصال الانسان بربه اتصال طاعة وانقياد ـ ومجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها ايثار لما عند الله .. وهذه عناصر لازمة لاعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك والذى تحف بالسالكين فيه المغريات ..

التفكير الحديث

ونحن نعلم أن الشباب المدلل لا يستطيع أن يقف على قدميه فى هذه الحياة لأنه نشأ طفلا رخوا لينا تتقاذفه الرياح من كل جانب ثم هو فى العادة الذى يصاب بالأمراض والعقد النفسية وبصدمات الحياة ..

والفرق الخاصة فى الجيوش تدرب تدريبا عاليا يؤهلها للقيام بالمهمات الخطيرة التى تحتاج اليها الأمة فى ملماتها ..

ان الجندى الذى يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد لهو شاب فاشل .. وان الشباب الذى يقابل الحياة وصعوباتها بدون اعداد لهو شاب فاشل .. والصوم يسهم فى تربية النفوس وترويضها وتعويدها الصبر فى كل الأمور ..

وشباب اليوم يحتاج الى الاعداد النفسى والعقلى فى مدرسة الصوم ..

والصوم فى حقيقته ليس حرمانا من حرية الانسان بل هو يطهر النفس ويوجه عقل الصائم كى يسترد حريته .. حرية الارادة وحرية التفكير .. وحرية الحركة فى سبيل الله الحق المبين ..

والتفكير الحديث أفسد فى أذهاننا معنى الحرية حين هدم حدودها الروحية والنفسية ثم استبقى حدودها المادية فالانسان ليس حرا فى التفكير الحديث فى ان يعتدى على مال غيره أو على شخصه ولكنه حر فى نفسه وان جاوز ذلك حدود القتل .. أو قواعد الخلق ..

والواقع ان الانسان عبد العادة وتغيير العادة فيها حرية الانسان . وعبودية العادة مفسدة للارادة ومفسدة للفكرة الصحيحة عن الحرية فى صورتها الصادقة .. ومفسدة لسلامة التفكير لأنها تخضعه للتأثر بضرورات الجسم المادية التى طبعتها العادة ..

التفكير العقلى

العقل طاقة هائلة ضخمة اذا أحسن الانسان استخدامها استطاع أن ينتج انتاجا ضخما .. والله سبحانه وتعالى يمن على عباده بالعقل فيقول **« وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة »** وجعل الانسان مسئولا عن هذه النعم .. **« أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »** ونعى على الكفار الذين يلغون عقولهم ويقولون **« انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون »** .

وقد وضع الاسلام المنهج الصحيح للاستدلال العقلى وطلب من عباده أن ينظروا ويتفكروا **« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »** .

وفى هذا الشأن كانت الدقة العلمية التى أدهشت علماء الغرب وجعلت عالما مثل « جب » يقول فى كتابه الاتجاهات الحديثة فى الاسلام : « أعتقد أنه من المتفق عليه ان الملاحظات الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وانه عن طريق الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوروبا فى العصور الوسطى » .

والصوم من الناحية الفكرية يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان أقدر على الفهم والادراك والتفكير .. **وما أحوجنا الى أن نسير على النظام الذى كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان فائدة كاملة ..**

المجتمع المتكامل

وصوم رمضان فرصة لتربية المسلم عن طريق القدوة حين يقتدى الصغير بالكبير وحين

يقتدى المسلمون بسلوك النبى الكريم وعن طريق الموعظة الحسنة التى تأتى عن طريق دراسة القرآن وفهم معانيه والحديث الشريف فى المساجد والمنتديات ووسائل الاعلام والصحف •• وفى رمضان عمليات تربية لا مثيل لها فى الدول المتقدمة من حيث المساواة الكاملة بين المسلمين جميعا لأنهم يصومون فى وقت واحد ، الكل سواسية فى الصوم •• تلك المساواة التى يهدف الاسلام الى اظهارها دائما والى تثبيتها فى النفوس ••

والاسلام حث على التعاطف فى كل وقت ولكنه حث عليه فى رمضان **أكثر والتاريخ يحدثنا أن النبى كان أجود من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون فى رمضان •• والصوم من الناحية الاجتماعية فيه تقوية وتنقية للمجتمع المتعاطف المتكامل ••**

والاسلام قد جعل من الصوم علاج لكثير من الأمراض الباطنية لا سيما الجهاز الهضمى وهو يعالج الأمراض الجلدية وأمراض القلب وضغط الدم وغيرها حيث قال تعالى « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » •

الصوم والعلم الحديث

ان العلم الحديث قد أثبت ظاهرة فى الجسم تسمى : « ظاهرة التكيف » ـ فعندما يصاب أى جزء من الجسم بعطل يسرع باقى الجسم الى التكيف •• على الظروف الصعبة التى أصبح فيها ـ فيزداد نشاط الأجهزة كلها بحيث يعوض أى نقص قد حدث فى الجسم •• فقد ثبت أن القلب قد يتضخم الى أكثر من ثلاثة أضعاف حجمه ليواجه أزمة فى الجسم وانه اذا توقفت كلية عن العمل سارعت الكلية الأخرى الى عمل مضاعف حتى تصل الى عمل الكليتين ••

ولذلك فان الانسان عندما يجوع تماما فان هذا الجوع يحرك كافة الأجهزة الداخلية ويدفعها الى العمل فيكتسب قوة عن طريق عملها السريع وتنعكس هذه القوة على الجسم كله ••

وفى هذه الظاهرة يقول الدكتور « الكسيس كاريل » الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة فى كتابه الانسان ذلك المجهول « ان كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة لعبت دورا عظيما فى بناء الاجناس البشرية وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام ٠٠ كان الناس فى الزمن الغابر يلتزمون الصوم فى بعض الأوقات وكانوا اذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك يفرضونه على أنفسهم فرضا بارادتهم ٠٠ ان الصوم ينظف عطل عمليات ظات ذاتية النشاط آلاف السنين لدى الكائنات البشرية » ٠٠

وأخيرا ٠٠

ان الصوم مدرسة كبرى تؤدى واجبها ٠٠ وتظهر أثرها فى تربية النفس البشرية على أكمل الوجوه وأفضلها ومن حق المؤمن المسلم أن يستفيد من هذا الشهر الكريم ٠٠ فائدة كاملة ٠٠ فيقوى ارادته ويتقى الله فى السر والعلن ليصبح الانسان الصائم القوة الدافعة للبناء والبذل والعطاء بلا حدود ٠٠ وبذلك نحس جميعا بأثر رمضان فى تربية المجتمع الاسلامى ٠٠ السعيد ٠٠ فى التعمير والانتاج من أجل غد مشرق ينشده الاسلام لملايين البشر شرقا وغربا ٠٠ والله ولى التوفيق

عبد الحكيم النجار



الأزهر جامعاً وجامعة
أو مصر فى ألف عام

للاستاذ محمد كمال السيد

- ١٣ -

ذكرنا فى المقال السابق أن محمد باشا شريف ألف وزارته فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ وأن الشعب قابلها بالابتهاج وسماها وزارة الأمة .

وطلب شريف من عرابى وأصحابه الابتعاد بفرقهم عن القاهرة ، ليعود الهدوء والسكينة ، فاستجابوا له ، ونقل عرابى الى الشرقية ، وعبد العال حلمى الى دمياط ، وخرجوا من القاهرة يودعهم عشرات الآلاف ، واستقبلتهم فى الطريق فى كل محطة أيضا عشرات الآلاف مبتهجين بما حققوه للشعب من انتصار .

ثم رأت الحكومة أن فى وجود عرابى فى الشرقية موطنه الأصلى – زيادة فى قوته ، وتجميعا لمؤيديه ، ووجدت أن الحكمة هى فى وجوده بالقاهرة تحت رقابتها ، فعينته بعد ثلاثة شهور وكيلا لوزارة الحربية .

وكان شريف من الداعين للدستور ، وقد سبق فى هذا العرابيين ، فقد طالب به فى أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق ، وقد وضع مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب فى وزارته الأولى .

فما أن شكل هذه الوزارة حتى قدم فى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ الى الخديوى تقريرا بمزايا النظام النيابى ، وطلب اجراء انتخابات عامة لمجلس شورى النواب ، ليجتمع بصفة جمعية تأسيسية يعرض عليها مشروع الدستور ،

أو القانون الأساسى كما كان يسمى وقتذاك ، وفعلا تمت الانتخابات فى حرية ودون تدخل من الحكومة أو من العـرابيين ، واجتمـع مجلس النواب فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨١ ، وألقى توفيق فى جلسة الافتتـاح ما أصبح يسمى فيما بعد بخطـاب العرش ، ورد عليه بعض الأعضاء بالخطابات المناسـبة .

وقدم شريف للمجلس فى ٢يناير سنة ١٨٨٢ مشروع الدســتور للمناقشة ، وكان دستورا محتويا على أحدث المبادىء العصرية ، من فصل السلطات ، وتحديد مدى كل سلطة ، والمسـئولية الـوزارية ، وغير ذلك من الشئون الدستورية ، وابتهجت الأمة بمجلسها الجديد ، وتفتحت آمالها بالدستور وبدا فى الأفق ابتداء انتظام حال مصر .

ولكن أوربا كانت بالمرصـــاد لتعـويق البــلاد عن التقـــدم ، فاعترضت انجلترا وفرنسـا على ما ورد فى الدستور من حق المجلس فى تقرير الميزانية ، فشاعت موجة من السخط فى البــلاد على هـذا التدخل فى مسألة من صميم شئون مصر الداخلية .

وكان شريف بحنكة الرجـــل السياسى يرى أن يطأطىء الرأس حتى تمر الزوبعة ، فالميزانية قـد تقررت قبـل انعقـاد المجلس ، والميزانية الجديدة لن تعرض قبـل سنة تقريبا ، فلا داعى للتصـادم الآن ، ويحسن تأجيـل البت فى المادة الخاصـة بالميزانيـة الى ما بعد .

وكان هذا أيضـا رأى الشـيخ محمد عبده ، فقـد قـال لأحمـد عرابى : لقـد لبثنا عـدة قرون فى انتظار حريتنا ، فلا يشق علينا أن ننتظر بضـعة أشـهر . (أحمد عرابى للرافعى ص ٣٠) .

ولكن عرابى وصحبه لم يقبلوا فكرة التأجيل . ويرى المرحـوم الرافعى فى كتابه المذكور : (ص ٩٠) أن هنـاك عاملا آخر كان فى نفوس العرابيين ، هـو احـراج شريف باشا باشـا ليســتقيل ، وتسند الوزارة الى أحدهم .

وفعلا استقال شريف باشـا ،

وألف محمود باشا سامى البارودى الوزارة الجديدة فى ٢ فبراير سنة ١٨٨٢ ومن أعضائها أحمد عرابى بصفته وزيرا للحربية، أو الجهادية كما كانت تسمى . وهكذا وصل الى رتبة اللواء والباشوية .

وأتم المجلس مهمته ، وأقر الدستور فى ٨ فبراير ، وصدق عليه الخديوى ، ولم يقتصر عمل المجلس فى مدة انعقاده القصيرة على اقرار الدستور ، ولكنه وضع اللائحة الداخلية للمجلس ، وبحث بعض شئون التعليم والتجارة ، كما أقر اقتراحا من أحد أعضائه **بانشاء خزان أسوان .**

وهكذا نرى أن فكرة خزان أسوان مصرية ، لا كما يدعى الانجليز أن لهم الفضل فيها لتنظيم الرى ، ولولا الاحتلال الانجليزى لما تأخر تنفيذه . فقد بدىء العمل فى خزان أسوان سنة ١٨٩٨ ، وتم سنة ١٩٠٢.

وازدادات مكانة أحمد عرابى فى البلاد ، وأصبح منزله مقصدا لأصحاب المصالح والحاجات من شتى الجهات كأنه احدى الوزارات .

وكانت استقالة شريف ، ووزارة البارودى على غير هوى الخديوى، برغم أن شريف كان حريصا على كرامته ، مستقلا برأيه ، فالوزارة الجديدة كانت عرابية بالكامل ، وكان الرئيس الفعلى لها هو أحمد عرابى .

وبدأت الفتن :

فقد نما الى العرابيين وجود مؤمرات من الضباط الجركس ، لاغتيال عرابى وعدد من أصحابه . فقبض على عدد منهم ، وتشكل مجلس حربى لمحاكمتهم ، وحكم على أربعين منهم بالنفى الى أماكن متفرقة فى أقاصى السودان ، مع تجريدهم من الرتب والنياشين والامتيازات العسكرية .

ووجد توفيق فى هذه الأحكام قسوة بالغة ، فعدلها الى النفى خارج البلاد ، على أن يختار المنفيون البلاد التى ينفون اليها ، ورفضت الوزارة التعديل ، وصممت

على اقرار الأحكام ، وفكرت فى دعوة مجلس النواب ، وهذا يستوجب توجيه الدعوة من الخديوى ، طبقا للائحة التى أقرها المجلس ، ورفض الخديوى دعوة المجلس ، ولكن الوزارة دعته الى الاجتماع .

وحضر النواب من دوائرهم ، واجتمعوا فى دار البارودى فى مايو سنة ١٨٨٢ ، ولكن الأعضاء اعتبروا هذا الاجتماع غير قانونى ، ويحمد لهم هذا الموقف لما أبدوه فى هذا الشأن من استقلال فى الرأى، وكانت موافقة المجلس مسألة خطيرة ، فاذا صمم الخديوى على موقفه فمعناه التهديد بخلعه ، وكانت هذه الفكرة بدأ يرددها العرابيون ، وأخيرا سوى الأمر بموافقة الوزارة على التعديل الذى أجراه الخديوى ، وهو ما كان على الوزارة قبوله ابتداء ، فلم يكن الموضوع يستحق هذه الأزمة .

ولكن انجلترا وفرنسا كانتا بالمرصاد ، وحضرت أساطيلهما للاسكندرية ، وقدمتا فى ٢٥ مايو مذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة، طلبتافيها استقالة وزارة البارودى، ونفى عرابى خارج البلاد ، وتحديد اقامة عبد العال حلمى باشا ، وعلى الديب باشا بالأرياف، مع حفظ رتبهم ومرتباتهم .

وكان رأى البارودى قبول هذه المذكرة ، ولكنه لم يستطع اقناع أحمد عرابى ، كما نصحه الشيخ محمد عبده قائلا : (ان هذا الشغب قد يجر الى البلاد احتلالا أجنبيا ، يستدعى تسجيل اللعنة بسببه الى يوم القيامة) . فأجابه عرابى مبتسما : (أبذل جهدى ألا أكون مورد هذه اللعنة) . (محمد عبده للمرحوم محمود عباس العقاد ص ١٦٧) .

وقبل توفيق المذكرة ، واستقال البارودى بوزارته ، ومن ضمنها أحمد عرابى ، وعقد توفيق فى ٢٧ مايو اجتماعا بسراى الاسماعيلية (بميدان التحرير) حضره النواب، والعلماء ، والأعيان ، وكبار الموظفين ، ومن ضمنهم شريف باشا ، فكلفه توفيق بتشكيل الوزارة الجديدة ، ولكنه رفض .

ثم اجتمع النواب بدار محمد

باشا سلطان — رئيس مجلس النواب — وكانت بشارع صبرى أبو علم (جامع جركس سابقا)، ومحلها الآن شركة فيلبس ، ومسجد أنشىء بجوارها •

واجتمع معهم كبار العلماء والأعيان ، وحضر عرابى وصحبه مطالبين بخلع الخديوى ، فلم يوافقهم أغلب الحاضرين ، فلجأ العسكريون الى التهديد ، فأصروا على موقفهم ، ولما عجز عرابى عن ضمهم الى صفه اكتفى بالمطالبة ببقائه وزيرا للحربية ، وفعلا قابل سلطان باشا الخديوى وأقنعه بذلك ، وصدر القرار باستمرار أحمد عرابى وزيرا للحربية ، رغم استقالة وزارة البارودى ، وبذلك ظل أحمد عرابى مسيطرا على الجيش والحكم •

وتوالت الأحداث سريعا ، ففى الاسكندرية ترددت فرنسا فى التدخل ، فاستقل الأسطول الانجليزى بالأمر ، وطلب قائده من حكومته تعزيز قوته ، بحجة أن مصر تحصن بطارياتها بالاسكندرية ، ولبت طلبه •

وفى ١١ يونية حصلت **مذبحة الاسكندرية** المعروفة ، فقد قتل أحد المالطيين أحد الحمارة ، بعد أن ركب حماره طول النهار ، وأبى ألا يدفع الا قرشا واحدا ، فلم يقبل المصرى فقتله وهرب •

وثارت نفوس الشعب على الأجانب عامة ، وهاجموهم ، ورد الأجانب باطلاق الرصاص عليهم من النوافذ ، وقتل فى هذا اليوم ٤٩ شخصا منهم ٣٨ من الأجانب ، والحادث مفتعل كما دلت الأحداث فيما بعد ، فالمالطى انجليزى الجنسية ، وكان أخا لخادم القنصل الانجليزى (أحمد عرابى للرافعى ص ١٢١) •

ووصلت الأخبار الى القاهرة • وارتبك الجميع • وتوجسوا خيفة من قيام حرب • وتعهد أحمد عرابى بالطاعة للخديوى • وبمنع الاجتماعات العامة • واليقظة والمحافظة على الأمن ، وأموال وأرواح الأجانب ولكن شرع الأجانب فى الهجرة بايعاز القناصل، حتى بلغ عدد المهاجرين

حتى ضرب الاسكندرية فى ١١ يولية ستين ألفا •

وانتقل توفيق الى الاسكندرية بحجة تهدئة النفوس بها ولكن انتقاله كان نذيرا بالشر ، واعتبر هروبا من القاهرة ، والتجاء للانجليز •

وتشكلت وزارة اسماعيل باشا راغب ، وكان أحمد عرابى وزيرا للحربية فيها ، ولكن انجلترا قد حزمت أمرها على احتلال مصر ، وكان يهمها أن تظهر البلاد فى حالة فوضى ، تبرر لها هذا الاحتلال • فلم تقابل تشكيلها بالارتياح ، وأخذت تخلق لها العراقيل •

ففى أول يولية أرسل الأميرال : سيمور ــ قائد الأسطول الانجليزى ــ يطلب ازالة التحصينات التى أجريت فى طوابى الاسكندرية ، ولم تكن تحصينات ، ولكنها ترميمات عادية • فقد كانت الحرب أبعد ما يكون عن ذهن العرابيين ، فلم يستعدوا لها ، وركبهم الغرور أنهم يستطيعون قهر الدول الأوربية • ولو مجتمعة•

وفى ٦ يولية كرر سيمور الطلب ، فأجابه طلبة باشا عصمت ــ قومندان موقع الاسكندرية ــ بأنه لم تجر أى تحصينات جديدة ، وفى ١٠ يولية أرسل سيمور يطلب تسليم بعض البطاريات ، مع التهديد فى حالة الامتناع بضرب الاسكندرية فى اليوم التالى •

وتقرر رفض هذه الطلبات ، فضرب الأسطول على الطوابى فى صباح ١١ يولية سنة ١٨٨٢ ، ولم تمض ساعات حتى سكتت مدافع هذه الطوابى ، وأخذ الجنود المصريون فى اخلائها ، وبدأ الجيش الانجليزى فى النزول الى البر •

وكان من الممكن صد هذا الجيش لو صمد العرابيون ، ولكنهم آثروا الانسحاب من الاسكندرية والتحصن فى كفر الدوار • ولم يكتفوا بالانسحاب ، بل أحرقوا المدينة قبل مغادرتهم لها بغرض تعويق العدو •

وهكذا تم للانجليز احتلال الاسكندرية :

وفى ١٧ يولية أرسل اسماعيل

باشا راغب – رئيس الوزارة الى عرابى – بتكليف من الخديوى – يحمله فيها مسئولية اخلاء الاسكندرية بدون مقاومة ، واحراقها ، ويأمره بوقف التحصينات فى كفر الدوار ، ويطلب اليه الحضور للاسكندرية لتلقى الأوامر .

ورفض عرابى الذهاب للاسكندرية لاحتلال الانجليز لها ، وطلب حضور رئيس الوزارة والوزراء الى كفر الدوار ، للتشاور فى الدفاع عن البلاد .

وتشكل فى القاهرة مجلس من وكلاء الوزارات ، وبعض كبار الضباط بصفة حكومة أخرى ، ودعا هذا المجلس الى مؤتمر يحضره النواب والعلماء والأعيان وكبار الموظفين .

وانعقد المؤتمر فى ١٧ يولية فى وزارة الداخلية . وكان عدد المجتمعين ٤٠٠ شخص ، منهم بعض الأمراء الموجودين بالقاهرة ، وعرضت على المؤتمر تفاصيل الموقف ، فقرروا وجوب الدفاع عن البلاد ، واستدعاء الوزراء من الاسكندرية للتداول معهم ، وكان رد الخديوى على ذلك عزل عرابى من وزارة الحربية .

واجتمع المؤتمر ثانية فى ٢٣ يولية . وكان اجتماعه هذه المرة أكثر شمولا من المرة السابقة ، فقد بلغ عدد المجتمعين حوالى الخمسمائة .

فتوى العلماء :

وفى المؤتمر تلا الشيخ : محمد عبده قرار الخديوى كما تليت فتوى شرعية من الشيخ : محمد عليش ، والشيخ : حسن العدوى، والشيخ : محمد أبو العلا الحفناوى بمروق الخديوى:توفيق من الدين ، لانحيازه الى العدو المحارب للبلاد ، وقرر المؤتمر وجوب الدفاع عن البلاد ، وعدم قبول عزل عرابى ، كما قرر ايقاف تنفيذ أوامر الخديوى .

ولم تعد المسألة خلافا بين الخديوى وعرابى ، بل أصبحت استقلال البلاد ووجوب الدفاع عنها ضد الغاصب المحتل ،

واستجابت البلاد جميعها لهذا الهدف النبيل بكل ما تستطيع ، من رجال ومال ، تطوعا وتبرعا ، وأزكت الخطابات حماس الشعب ، فعلى منبر الأزهر وقف الشيخ حسن العدوى غير مكتف بخلع توفيق بل ينادى باهدار دمه لخروجه على الدين ، وانحيازه لأعداد البلاد .

ولن نسترسل فى تفاصيل الاحتلال الانجليزى للبلاد ، فهذا موضوع آخر ، ولكن نختصر فنقول : ان الانجليز عجزوا عن اختراق التحصينات المصرية عند كفر الدوار ، وهزموا مرارا ، فاتجهوا الى الناحية الشرقية .

وكان العرابيون قد أهملوا تحصين هذه الجهة ، اعتمادا على أقوال : (ديلسبس) بحياد قناة السويس ، وأنه لن يسمح بدخول الأسطول الانجليزى فيها ، ولا ندرى كيف ينخدع أحد بهذه الأقوال !! حتى ولو كان الرجل صادقا ، فكيف يستطيع منعهم ، ولو فكر عرابى فى سد القناة لتعسر على الانجليز الدخول ، ولكنه انخدع وتردد لسوء حظ مصر ، ولما حزم أمره على قطعها كان قد نفذ المقدور ، فقد احتل الانجليز بور سعيد فى ٢٠ أغسطس ، والاسماعيلية فى ٢١ منه وفى ٢٢ منه تم احتلال القناة حتى السويس ، واتخذوها قاعدة للهجوم على الجيش المصرى ، الذى كانت مواقعه منتشرة فى محافظة الشرقية .

وظهر عجز وزارة اسماعيل باشا راغب عن معالجة الموقف ، فاستدعى محمد باشا شريف من أوربا ، وشكل الوزارة فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ ، ومن أعضائها : : رياض باشا للداخلية ، وعلى باشا مبارك للأشغال ، وغيرهما من المعروفين بمخالفتهم للعرابيين .

وأسرع عرابى الى الجبهة الشرقية ، وتضافر سوء التخطيط العسكرى ، وبطء التحركات ، وعدم الكفاءة واليقظة عند بعض الضباط وخيانة البدو ، فوقعت

الهزيمة الكبرى فى التل الكبير فى ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

ولجأ عرابى الى القاهرة ، فوصلها فى اليوم التالى ، ودخل الانجليز القاهرة فى ١٤ سبتمبر ، وسلمت القوات المصرية لهم بدون قتال ، وتشتت رجال الجيش فى البلاد ، بعد أن تركوا أسلحتهم لضباطهم فى الثكنات ، وأراد أهالى القاهرة المقاومة ، ولكن اقنعهم محافظ العاصمة بعدم جدوى المقاومة ، وأنها لن تؤدى الا لمجرد سفك الدماء .

وقيل ان شريف باشا دخل القاهرة بعد ذلك ، ورأى فى طريقه من المحطة الى سراى عابدين آثار الاحتلال الانجليزى ، لم يتمالك نفسه من البكاء ، وظلت وزارة شريف باشا حتى يناير سنة ١٨٨٤ ، حيث استقال احتجاجا على طلب الانجليز اخلاء السودان للعجز عن قمع ثورة المهدى ، وتوفى شريف بعد ذلك فى نفس السنة .

وانتهت الثورة العرابية بتسليم أحمد عرابى وأصحابه أنفسهم ومحاكمتهم ، واعترافهم بجريمة العصيان ، ليحكم عليهم بالنفى بدلا من الاعدام .

يتبع

للأستاذ محمد كمال السيد

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فما فاته منها فليس بضائر

رمضان وحكمة الصيام

للأستاذ محمد نعيم عكاشة

•• وجاء الشهر الكريم •• الشهر الذى شرفه الله وعظمه وأعلى فيه منزلة الانسانية ، حيث أنقذها من ظلمات الجهل والوثنية وهداها الى سبيل الرشاد •

•• شهر رمضان الذى ذكر صراحة فى القرآن ، دون بقية الشهور ، واختصه الله تبارك وتعالى بالصيام الذى فرضه على عباده •• يقول سبحانه وهو أصدق القائلين : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** »•

والصيام فى حقيقته – وان طال الحديث عن أسراره وحكمه – تزكية للنفس وتطهير للقلب وجلاء للصدر ، حيث ينقطع الصائم فى نهاره عن الطعام والشراب وملاذ الحياة محتسبا بذلك النية لله تعالى ، ويقوم ليله متقربا الى الذات العلية •

من أجل هذا : كان فضل الصوم عظيما ، وكان من أحب العبادات الى الله تعالى •• وقد اعتبروه ربع الايمان ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « الصوم نصف الصبر » •• وقوله : « الصبر نصف الايمان » •

وقد روى فى المباهاة بالصائم : أن الله تعالى يقول : « انظروا ياملائكتى الى عبدى ترك شهوته ولذته ، وطعامه وشرابه من أجلى » • وقيل فى قوله تعالى : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ،جزاء بما كانوا يعملون** »

.. كان عملهم الصيام ، **لأنه** قال : « **انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**» .والصابرون الصائمون فى أكثر الأقات .

وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخص شهر رمضان من العبادة بما لايخص به غيره من الشهور ، فكان يكثر فيه من الصدقة والاحسان ، وتلاوة القرآن ، والصلاة ، والذكر والاعتكاف .. كان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن فىرمضان، وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود الناس ، وأجود مايكون فى رمضان .

كما أن الصوم يتميز عن غيره من سائر العبادات ، وهو ماعبر عنه بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : **الصيام لى وأنا أجزى به**» وذلك : لأنه يقع فى القلب ولايكون الا بالنية التى تخفى عن الناس ولا يطلع عليها أحد غير الله ، فأضافه سبحانه الى نفسه باعتباره سرا بين العبد وربه يفعله خالصا له ، ويعامله به طالبا لرضاه .

وقد تضمنت الآيات الخمس من سور البقرة المدنية : (١٨٣ ــ ١٨٧) فرض الصوم على المسلمين مثلما كان مفروضا من قبل على أهل الملل السابقة ، حيث كانت تتعبد به الأمم القديمة حتى الوثنية منها ، باعتباره من أقوى العبادات .. فقد كان معروفا عند قدماء المصريين ، وانتقل منهم الى اليونان ، ثم الرومان ، ولايزال الوثنيون حتى وقتنا هذا يؤدون نوعا خاصا من الصيام،وقد وردفى التوراة والانجيل مدح الصوم ، وفرض على اليهود فى بعض الأيام وأشهر صوموأقدمه عند النصارى هو: الصوم الكبير الذى يسبق عيد الفصح ، وهو الذى صامه موسى، وكان يصومه عيسى والحواريون ، والتشبيه انما هو فى الفرضية لا فى الصفة ولا فى العدد ..

صيام المسلمين ليس كصيام أهل الديانات والملل الأخرى ..

ومن حيث صيام رمضان : فقد بين الله لنا الحكمة فى كتابته على الناس ببيان فائدته الكبرى، وهى:

اعداد نفس الصائم لتقوى الله بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة ، امتثالا لأمر ربه ، واحتسابا للأجر عنده ، فتتربى بذلك ارادته ، وتقوى نفسه ..

كما تتناول هذا المعنى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة . ومنها على سبيل المثال : عن أبى هريرة رضى الله عنه ــ عن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » .

وفى معنى « ايمانا واحتسابا » قال الخطابى : « ايمانا واحتسابا» أى نية وعزيمة ، وهو أن يصومه على التصديق ، والرغبة فى ثوابه، طيبة به نفسه ، غير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ، ولا مستطيل لأيامه ، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب .

وقال البغوى:قوله: «احتسابا» أى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحتسب الأخبار ، ويتحسبها : أى يتطلبها .

وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» ، وقال عليه الصلاة والسلام : « صمت الصائم تسبيح ، ونومه عبادة ، ودعاؤه مستجاب ، وعمله مضاعف وذنبه مغفور » .

.. الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التى تذكر فضل الصوم وآدابه ..

ثم بين الله سبحانه وتعالى: أن الصيام الذى كتبه علينا معين محدد ، فقال : **« أياما معدودات »** أى معينات بالعدد أو قليلات ، لأن القليل يسهل عده . روى عن مقاتل:أن كل معدودات فى القرآن أو معدودة ، دون الأربعين ، ولايقال ذلك لما زاد ، والمراد بهذه الأيام المعدودات هى:أيام رمضان ــ اختار ذلك ابن عباس والحسن ــ رضى الله عنهما ــ .

وبنزول تلك الآيات الكريمة من سورة البقرة صام الرسول صلوات

الله وسلامه عليه والمسلمون شهر رمضان فى العام الثانى من الهجرة وكان أول يوم فيه يوافق أول شهر برمهات القبطى ، والسادس والعشرين من شهر فبراير الميلادى • وذكرت بعض كتب أهل السيرة: أن أيامه فى تلك السنة كانت كاملة العدد كما دون ذلك الحاسبون •

قال البيضاوى : « **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** » ، يعنى الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام ، وفيه توكيد للحكم ، وترغيب على الفعل وتطييب للنفس •

وقال الجصاص « فى أحكام القرآن » : ان قوله تعالى: « **كما كتب على الذين من قبلكم** » : يحتمل ثلاثة معان ، كل واحد منها روى عن السلف ، قال الحسن والشعبى وقتادة : انه كتب على الذين من قبلنا ــ وهم النصارى ــ صيام شهر رمضان أو مقداره من عدد الأيام • وقال ابن عباس والربيع بن أنس والسدى : كان الصوم من العتمة الى العتمة ، ولايحل بعد النوم مأكل ولا مشرب ولا منكح ثم فسخ •

وقال آخرون : معناه : أنه كتب علينا صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام ، ولا دلالة فيه على مساواته فى المقدار ، بل جائز فيه الزيادة والنقصان •

وقال أبو السعود : المراد بالمماثلة : اما فى أصل الوجوب ، واما فى الوقت والمقدار •

والخلاصة عند جمهور العلماء : أن ليس المقصود من الآية :« **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** » أن من قبلنا كانوا يصومون ما نصومه اليوم ، بل القصد من ذلك هو : بيان أن فريضة الصوم عامة ، ولكل أمة أيام معينة تصومها • قال تعالى : « **ولكل أمة جعلنا منسكا** » وقد خص الله الأمة الاسلامية بصوم شهر رمضان باعتباره الشهر الذى أمر فيه رسوله بالبلاغ ، ونزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد الشهر وجب عليه صومه •

ومن أعظم فضائل الصوم : أنه يتميز عن بقية العبادات بخاصية لاتوجد فى سواه ، وهى: أنه ينسب الى الله تعالى ، وأنه يعطى عليه من الثواب بغير حساب ولا تقدير، ويشهد لهذا قول الله تعالى فيما حكاه نبيه صلى الله عليه وسلم :

« كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، الا الصيام ،فانه لى ، وأنا أجزى به » ••

شهر رمضان فى الجاهلية :

كان شهر رمضان معظما فى الجاهلية عند كثير من قبائل قريش، خصوصا المتألهين ، أى الذين يعتقدون فى وجود الآله ، وان كانت مضر تعظم رجبا لأنه شهر حرام لا قتال فيه ، وقد كانت تصومه وتذبح فيه ، ولذلك سماه رسول الله شهر مضر •

ويروى أهل السير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحنث شهرا من كل سنة فى غار حراء ، كما هو مبسوط فى سيرةابن اسحاق وغيره ، ويقول صاحب السيرة الحلبية : ان غار حراء كان يتحنث فيه أهل الجاهلية الذين يروضونأنفسهم على الأخلاق القويمة وهم المتألهون منهم ، وأول من تحنث بحراء : عبد المطلب ابن هاشم ، كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء ، وأطعم المساكين ، ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل ، وأبى أمية بن المغيرة •

وكان عليه السلام يجاور ذلك الشهر ، يطعم من جاءه من المساكين لأنه كان من نسك قريش فى الجاهلية ••

تعظيمه فى الاسلام :

أما تعظيمه فى الاسلام فقد ازداد بعد أن ذكر اسمه صراحة فى القرآن دون بقية الشهور ، وأن الله سبحانه جعله شهر الصوم الذى فرضه على عباده •

وكذلك حفاوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشهر رمضان ، واعتباره شهر القرآن •• ففيه نزل القرآن الكريم •• وفيه كانت انتصارات الاسلام الأولى • وفيه يستجاب لكل مسلم صائم ••

الصحة والطب والصوم :

واذا نظرنا الى ما توصل اليه الطب من اكتشافات علمية نجد:أنه يعدد فوائد الصوم فى علاج كثيرمن الأمراض مثل : اضطرابات المعدة والأمعاء ، وحالات البول السكرى المصحوبة بزيادة الوزن ، وزيادة ضغط الدم ، والتهاب الكلى الحاد والمزمن ، وأمراض القلب ، كما يستخدم وقائيا فى حالات أخرى كثيرة .

ويقول الدكتور ماك خادون من كبار علماء الصحة بأمريكا فى كتابه: « الصوم والطب » : « ان كل انسان يحتاج الى الصيام وان لم يكن مريضا ، لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع فى الجسم فتجعله كالمريض ، وتثقله وتقلل نشاطه ، فاذا صام خف وزنه وتحللت هذه السموم من جسمه » .

ويذكر : أنه عالج بالصوم كثيرا من المرضى بأمراض مختلفة مثل اضطرابات المعدة ، قائلا : « ان الصوم لها مثل العصا السحرية يسارع فى شفائها ، وتليها أمراض الدم ، ثم أمراض العروق كالروماتيزم وغيره ..

ويقول الدكتور محمد جعفر : « ان الصوم نعمة وبركة وان خير ما يفعله الناس أن يتبعوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيفطروا على لقيمات صغيرة ، أو حسوات قليلة من طعام خفيف ، أو شراب ساخن ، أو فاكهة يسيرة ، مما يكفى لكسرة حدة الجوع ، وأفضل ما يزيل العطش فى هذه الآونة فنجال من مرق دافىء أو حليب أو ما شابهه من السوائل الدافئة ، أما الثلج والسوائل الباردة فهى مصدر للمتاعب فى الجهاز الهضمى جميعه ، ومثار لكافة العلل ، ثم فليصل الصائمون ولينتظروا ساعة أو بعض ساعة ثم يتناولوا طعامهم من كأكلهم المعتاد ، وليراعو االله فى أنفسهم ولا يسرفوا .. امتثالا لأمر الله تعالى : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » .

وقد تأكد لعلماء الطب فى العالم فوائد الصوم لعلاج كثير من الأمراض الى حد انشاء مصحات

يقوم فيها العلاج على الصـــوم أساسا .

وأشهر مصـــحة موجودة الآن هى : مصـــحة الدكتـــور هيتربج لاهمان فى درسن بســـكسونيا ، ويقوم العلاج فيها بالصـــوم ..

وكذلك : مصحة الدكتور برشديد والدكتور مولر وغيرهما،ويكون ذلك العلاج غالبا فيـــه الشـــفاء من اضطراب الهضم والبدانة وأمراض القلب والكبد والكلى والبـــول السكرى وارتفاع ضغط الدم ..

ومما ذكرناه وغيره ..

يبين لنا حكمة التكاليف الدينية وما أشملها ! وتتجلى بأوسع مدلول عظمة الشارع الاســـلامى فيما فرض وشرع ..

وتبقى بعـــد ذلك كلمة أخـــيرة تتعلق بظاهـــرة المجاهرين بالفطر فى رمضـــان ، والتى تشـــيع فى الشوارع والمحلات العامة ووسائل المواصلات ..وفى المكاتب ودوائر الأعمال أيضا ، وهى بلا شك ظاهرة مؤسفة ومعيبة خاصـــة فى بلـــد الأزهر ، وتســـتوجب بالضرورة محاسبة هؤلاء المجاهرين بالفطر فى نهار رمضان بالحبس أو الغرامة ، اذ لا يجـــوز أن تجـــاوز الحريات الشخصية حرمة الدين ، وتتحدى مشاعر الصائمين ، وتتصـــادم مع الجو الاسلامى العام .

فاذا كان الفطـــر لعـــذر شرعى أو لاختلاف فى الدين : فيجب على أصحاب تلك الأعذار أن يستتروا . أما الملاحدة الذين يتعمدون الاساءة الى الاسلام وأهله فلابد أن يكون عقابهم أشـــد ، فليس بعد الكفر ذنب ..

محمد نعيم

شعر

ربيع الروح

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

يا هـــلالا راح يحبـو فى سماه
نـــوره الوهـــاج من نور الالـــه
ناســـك قد عاد من محـــرابه
يسكب الاشراق فى قلب الحيـــــاه

* * *

رن فى الآذان ابان الغـــــــروب
صـــوت داع فوق أســـتار الغيوب
ســـاحر الأنغـــام قدسى الصـــدى
أيقـــظ الاحساس فى غافى القلـــوب

* * *

أيهـــا الحيران فى تيـــه الضـــلال
أيهـــا المحـــروم من برد الظـــلال
قف قليـــلا واســـتمع أنشـــودتى
مرهف الاحســـاس مشبوب الخيال

* * *

ان نـــور الله شــــفاف سـناه
ان أصـــاب الـــروح رجس لا تراه

فاغســـلوها فى ينـــابيع التقى
وارقبـــوه فى محـــاريب الصـلاه

* * *

ذاك شــهر الصوم رفاف الضـياء
ذا نعيم الــــروح فى دنيا الشــقاء

لوعـــة الحـرمان فيـــه لـــذة
لا تســامى فى شــعور الأشــقياء

* * *

آه لـــو ذاقت شـــفاه المرمـــل
فى رحـــاب الصـــوم عـذب المنهل

ما اشــــتكى فى عيشــة حر الظمــا
لا ولا أحنى بمتــــن مثقــــل

* * *

آه لو راءت عيـــون حائــــرة
بارقـــات فى الديـــاجى باهــرة

لاســـتبانت فى ســناها رشـدها
واســــتحالت من عشـاها باصرة

* * *

قـــم ترقب أيهـــذ الصـــائم
ليلـــة من ألف شـــهر أعظـــم

ان فضـــل الله فيهـــا ســـابغ
من فيـــوض يرتجيهـــا المسلم

* * *

حســبك الريــان اذ ما يفتـــح
حســبك الجنـــات فيهـــا تمرح

فـــوق نهـــر تحت ظـــل وارق
بـــين حـــور عند طـــير يصـــدح

* * *

محمد صان الدين البرديسى

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« الفضائل الخمس »

قال على ــ كرم الله وجهه : أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها اباط الابل لكانت لذلك أهلا : لا يرجون أحد منكم الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستحين أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا يستحين أحد اذا لم يعلم الشىء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ، ولا خير فى جسد لا رأس معه ولا فى ايمان لا صبر معه •

« درجات الصوم »

للصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص •

فصوم العموم : هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة •

وصوم الخصوص : وهو صوم الصالحين ، فهو كف الجوارح عن الآثام •

وتمامه بستة أمور :

الأول غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل •

الثـــانى : حفظ اللســـان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت ، وشغله بذكر الله .

الثالث : كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه ، لأن كل ما حــرم قوله حرم الاصغاء اليه .

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام : من اليد والرجل وعـــن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار .

الخامس : أن لايستكثر من الطعام الحلال وقت الافطـار ، فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال .

السادس : أن يكون القلب بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليـه فهو من الممقوتين .

أما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنيـة **والأفكار الدنيوية** ، وكفه عما سوى الله بالكليــة .

« جهد ضــائع »

دخل لصـــوص بيت أحــد الظرفاء ، يطلبون شيئا يسرقونه ، فقال لهم :

ان الذى تطلبونه منا فى الليل ، قد طلبناه فى النهار فما وجــدناه .

« آداب الكلام »

قال حكيم : اعقل لسانك الا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضــه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها .

وقال آخــر : اذا جالست الجهال فانصت لهم ، واذا جالســت العلماء فانصـــت لهم ، فان فى انصاتك للجهــال زيادة فى الحلم ، وفى انصاتك للعلماء زيادة فى العلم .

وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد الكلام رجع الى قلبه ، فان كان له تكلم ، وان كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له •

وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : من لم يعد كلامه من عمله ، كثرت خطاياه •

« ما لم تكن تعرفه »

وقع ببن الأعمش وبين زوجته وحشة ، فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما ، فدخل اليها وقال : ان أبا محمد شيخ كبير ، فلا يزهدنك فيه : عمش عينيه ورقة ساقيه وضعف ركبتيه ، ونتن ابطيه وبخر فيه ، وجمود كفيه !!

فقال الأعمش : قم قبحك الله !! فقد أريتها من عيوبى ما لم تكن تعرفه •

« الحزم »

قيل لأبى مسلم الخرسانى ، بأى شىء أدركت ما أدركت ؟

قال : ائتزرت بالحزم ، وارتديت الكتمان ، حالفت الصبر ، وساعدنى القدر ، فأدركت مرادى وحققت ما فى نفسى •

« مايصفو به ود المتوادين »

قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ثلاث يصفو بها ود أخيك : تسلم عليه اذا لقيته •

وتوسع له فى المجلس •

وتدعوه بأحب أسمائه اليه •

وقال على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته ، وغيبته ، ووفاته •

وقال ابو العتاهية :

أحب مـن الاخـوان كل مـواتى
وكـل غضـيض الطـرف من عثراتى
يـوافقنى فى كـل أمـر أريـده
ويحفظنى حيـا وبعـد ممـاتى
ومـن لى بهـذا ليت أنى وجـدته
فقاسـمته ما لى مـن حسـناتى

« مواجهة قاسـية »

من المواجهات القاسية الرادة ، ماروى عن عمـر بن عبد العزيز من أن رجلا سعى برجل عنده ، فقال : ان شئت نظرنا فى أمـرك ، فان كنت كاذبا فأنت من هذه الآية « **ان جاءكم فاسق بنبـأ** » وان كنت صادقا فأنت من هذه الآية : « **هماز مشاء بنميم** » وان شئت عفـونا عنـك •

قال : العفو يا أمير المؤمنين •

قال : على عدم العودة مرة ثانية •

« يكره الزحمة على المـائدة »

جلس أبو الفضـل الشـاعر المعروف : « بابن القطا » يأكل مـع زوجته ، فقال لها اكشفى رأسك •

ففعلت •

ثم قرأ سورة الاخلاص •

فقالت له : ما الخبر ؟

قال : اذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ! واذا قـرئت سورة الاخلاص ، هربت الشياطين •

وأنا أكره الزحمة على المائدة •

« بـــر الـــوالدين »

مرض لعمر بن ذر ابن له ، فدخل عليه وهو يجود بنفسه ، فقال : يابنى انه ما علينا من موتك غضاضة ، فلما قضى وصلى عليـــه ، وواراه التراب ، وقف على قبره فقال : يابنى انه قد شـــغلنا الحزن لك ، عـــن الحزن عليك ، لأنا لا ندرى ما قلت ، وما قيل لك ، اللهم انى قد وهبت له ما قصر فيه ممـــا افترضت عليه من حقى ، فهب له مـــا قصر فيـــه من حقك ، واجعل ثوابى عليه له ، وردنى من فضـــلك ، انى اليك من الراغبين وسئل يوما ، ما بلغ من بره بك ؟

قال : ماشى معى بنهار قط الا قد منى !

وما شى معى بليل قط ، ألا تقدمنى ، ولا رقى سطحا وأنا تحته •

« كذا أدبنا الله »

قال أنس بن مالك ، كنت عند الحسن بن على • رضى الله عنهما • فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيته بها ، فقال لها : أنت حـــرة لوجه الله تعالى •

فقلت : تحييك بطاقة ريحان لاخطر لها فتعتقها ؟

قال : كذا أدبنا الله تعالى فقال : **«وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »** وكان أحسن منها عتقها •

« دعـــــاء »

اللهم لك صـــمت ، وعلى رزقك أفطرت ، فاجعـــل يارب رحمتك سترا لعيوبى ، وعفوك سترا لذنوبى ، ووفقنى للقيام بطاعتك ، والابتعاد عن معصيتك، وألهمنى خيرا أفعله ترضى به عنى ، عليك اتكالى فى جميع أحوالى يا رحمن يا رحيم •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : هل النية شرط فى صحة الصوم فى كل يوم أم يكتفى بنية واحدة فى أول الشهر ؟

ج : نية الصوم شرط فى صحته .. فانما الأعمال بالنيات ، ويرى بعض الأئمة أنه يكتفى بنية واحدة فى أول ليلة من ليالى شهر رمضان وأن كان يستحب تجديدها فى كل ليلة ، على أنه ليس من الضرورى التلفظ بها ، بل يكفى السحور نية للصائم وكل ما يدل على هـذه النية .

س : صام فى الاسكندرية ثم سافر فى اليوم نفسه الى القاهرة وفى القاهرة يفطرون قبل الاسكندرية فعلى أى توقيت يفطر ؟

الفطور يكون على توقيت بلد الوصول فهو يفطر هنا على توقيت القاهرة . ولو كان الأمر بالعكس فانه يفطر على توقيت الاسكندرية ولو أفطر فى الحالة الثانية على توقيت القاهرة — قبل غروب الشمس فى الاسكندرية — يبطل صومه .

س : ماذا تفعل المرأة اذا فاجأها الحيض أو النفاس فى نهار رمضان وهى صائمة ؟

جميع الفتاوى المذكورة أخذت مادتها العلمية ، من كتب الفقه المختلفة ومن فتاوى وأقوال كبار الفقهاء المعاصرين مثل : الشيخ محمود شلتوت والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ صالح شرف ، والشيخ سيد سابق وغيرهم نفعنا الله بعلمهم ورضى الله عنهم .

ج : على هذه المرأة أن تفطر فانه يحرم على الحائض والنفساء الصوم فاذا انتهى الحيض أو النفاس صامت ما بقى لها من رمضان وقضت الايام التى أفطرتها من رمضان ..

ومن رحمة الله بالمرأة أنها تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ، لأن رمضان لا يتكرر ، أما الصلاة فهى تتكرر فى كل يوم خمس مرات ولو تكرر القضاء بتكرر الحيض لكان فى ذلك مشقة والدين يسر لا عسر .

س : ما حكم اختلاط الرجال والنساء فى المواصلات العامة وغيرها مما يوقع الصائمين والصائمات فى الحرج ؟

ج : لا شك أن اختلاط الرجال والنساء بالصورة التى نشاهدها فى المواصلات العامة لا يقره الاسلام ولا يبيحه ، بل انه يهدد آدمية الانسان وهو اذا كان غير مباح فى غير رمضان فهو فى رمضان أشد كراهية بل قد يصل الى درجة الحرمة اذا صاحبه القصد السىء — وعلى كل فهو يحط من ثواب الصائمين والصائمات ، والاولى تجنبه الا لضرورة ملحة للخروج والا فليتجنبوه ما أمكن .

س : عقد قرانه فى شعبان وأراد الدخول فى رمضان فعارض ذلك بعض الاهل فى الحكم ؟

ج : الدخول فى رمضان أو عقد القران فيه مباح لا شىء فيه فلم يحدد الشرع أياما معينة لذلك ، واعتقاد بعض الناس أن الزواج أو العقد فى شهر رمضان لا يجوز اعتقاد باطل وليس له أصل فى الشريعة .

فلا حرج أن يدخل بزوجته فى أى ليلة من لياليه المباركة ولاشؤم فى الاسلام .

س : من الناس من يعتبرون رمضان شهر راحة وكسل فيقل انتاجهم فيه ، ومنهم من يقتل نهاره فى اللهو والجلوس فى المقاهى ولعب الأوراق أو الطاولة بقصد التسلية ، ومنهم من يسهر ليله وينام نهاره فما حكم هؤلاء الناس ؟

ج : شهر رمضان شـــهر تربية وليس شهر كسل وعدم انتـــاج ، وعلى العامل والموظف والصانع أن يحسن عمله فيه ولا يؤخره حتى لا تتعطل مصالح الناس ، ولا يقل الانتاج •

ولنا فى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الأسوة فقد غزا بدرا وفتح مكة فى رمضان مما يدل على أن الجهاد مطلوب فى هذا الشهر — ولا شك أنه أشق من ممارسة الأعمال العادية فيجب أداء العمل من باب أولى •

أما هؤلاء الذين يقتلون أوقاتهم الغـــالية فى اللهـــو واللعب فلعله لا حظ لهم من صيامهم الا الجوع والعطش ، وان كانوا قـــد أدوا الفريضة ، وأولى بهم أن يقضـــوا هذه الأوقات فيما يعود عليهـــم بالنفع فى دينهم ودنياهم من قراءة قرآن أو ذكر أو أداء أعمال تتصل بمعايشهم ففى هذا الخير الكثير •

والأجر على قدر المشقة فكـــل عمل فيه مشقة كان أجره مضاعفا « حفت الجنـــة بالمكـــاره وحفت النار بالشهوات » ونوم الصـــائم نهاره لا يتحقق به معنى الصيام ، وليس هذا النوم عبادة كما يزعم البعض — ورحم الله أصـــحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا رهبانا بالليل فرســـانا بالنهار •

س : عند الغروب يهجم بعض الناس عـــلى المائـــدة ويملئـــون معداتهم بالطعام والشراب فهـــل يتفق هذا مع هدى الاسلام ؟

ج : تعجيل الفطـــر مســـتحب ولكن على أن يكون على تمرات أو شىء من الماء ويقول عند فطره : اللهم لك صـــمت وعـــــلى رزقك أفطرت،فاغفرلى ماقدمت وماأخرت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر ان شاء الله •• ثم يصلى المغرب وبعده يتناول عشاءه •• هكذا كان يفعل النبى وخير الهدى هديه صلى الله عليه وسلم •

س هل الغيبة والنميمة تفسدان الصيام ؟

ج : ان الغيبة والنميـــمة مـــن المحـــرمات فى دين الله ، وهمـــا كغيرهما مـــن المحرمات مثـــل أن يغش أو يطفف فى الكـــــيل أو

الميزان أو يؤذى الناس بيده أو بلسانه فكل هذا محرم شرعا وارتكاب المحرم يؤثر فى الصيام تأثيرا بالغا اذ يوجب عقوبته فى الآخرة .

ولذلك ورد النهى عن جميع المحرمات متأكدا فى الصوم لأن ارتكاب المحرمات يتنافى مع مايصاحبه من الاخلاص لله ومراقبته والتخلى عن جميع المعاصى والتحلى بالفضائل ، والتى ينال بها الثواب العميم لمن صام رمضان ايمانا واحتسابا مما ورد ذكره فى السنة .

ومع هذا فان الصيام لا يفسد بمثل هذه المحرمات ولا يجب قضاءه ، على أنه مما يجب التنبيه عليه ، أن من ارتكب معصية صغيرة كانت أو كبيرة أن يتوب الى الله ولا يؤخر التوبة حتى يلقى الله ربه وقد غفر له ذنبه .

والكيس من جعل رمضان فترة جهاد شامل للنفس والشيطان والشهوات حتى يخرج من رمضان قوى الايمان ، يفرح بفطره ، كما يفرح بلقاء ربه .

س : يسافر كل يوم لعمله وليس فى سفره مشقة فهل يرخص له فى الفطر ، واذا نوى الصيام ليلا ثم بدأ سفره نهارا هل يجوز له الفطر ؟

ج : السفر ولو كان مريحا فى سيارة أو طيارة أو قطار مكيف رخصة فى الفطر فقد أطلق القرآن السفر دون قيد ، لأن السفر مظنة المشقة ، والله يحب أن تؤتى رخصه .

وقد اختلفت العلماء فى مقدار السفر المبيح للفطر ، فمنهم من قال لابد أن يكون سفر قصر وهو حوالى ثمانين كيلو مترا ومنهم من قدره بثلاثة أيام بلياليها بالسير العادى قبل المواصلات الحديثة . وهناك أقوال أخرى .

ومذهب مالك لاباحة الفطر انه لابد من تبييت نية الفطر وأن يبدأ السفر قبل الفجر .. ويرى غيره أنه يجوز أن يفطر سواء نوى الصيام قبل السفر أو نوى الفطر .

والأفضل فى السفر الصيام لمن لا يشق عليه الصوم ، أما من يشق عليه الصوم فان الافضل له

الفطر ، بل قد يكون الفطر واجبا عليه ان خاف شدة المرض •

س : هل يصح لربة البيت أن تتذوق الطعام وهى صائمة ؟

ج : يجوز لطاهيـــة الطعام أن تذوق الطعام لتعرف بذلك نضجه وصـــــلاحيته للأكل شريطـــة أن تحرص على عدم تحلل شىء منه الى الحلق ، وألا تتمادى فى ذلك ويكره لغـــيرها ممن لا يمـــارس الطهى ذلك ، لأنـــه رخص ذلـــك للطاهية للضرورة •

ومثلها كل صاحب صنعة مـــن كيال وجباس وحفار يصل الى فمه شىء مـــن غبار صـــنعته فانه لا يفطر به •

س : كيف يصوم أهل البـــلاد التى يقصر ليلها ويطول نهارها أو تلـــك التى يقصر نهـــارها ويطول ليلهـــــا ؟

ج : اختلف الفقهاء فى التقدير على أى البـــلاد يكون • فقيـــل : يكون التقدير على البلاد المعتدلة التى وقع فيـــها التشريع كمـــكة والمدينة •

وقيل : على أقرب بلاد معتدلة اليهم •

س : هل يجوز تعاطى الحقن أثناء الصيام ؟

ج : الحقنة مطلقا سواء أكانت للتغذية أم للعلاج وســـواء أكانت فى العروق أو تحت الجلد مبـــاحة ولا تبطل الصيام فانها وان وصلت الى الجوف فانها تصل اليه مـــن غير المنفذ المعتاد •

ولما كان المحظور فى الصوم هو الاكل والشرب عـــن طريق دخول شىء من الحلق الى المعدة — التى هى محل الطعام والشراب مـــن الانسان — كان المبطل للصـــوم ما دخل فيها بخصوصها سواء كان مغذيا أم غير مغذ • ولابد أن يكون عن طريق المنفذ المعتاد • فما دخل فى الجوف ولم يصل اليها لايفسد الصوم •

وعلى هـــذا فقـــد رأى بعض العلماء أن الحقنة الشرجية التى يدخل بها الماء الى الجوف ولايصل الى المعدة لا تفطر الصائم ، وبهذا تكون الحقن بجميع أنواعها لاتفطر الصائم •

وكذلك أقماع البواسير أو مراهمها ، والاكتحال والتقطير فى العين كل ذلك لا يبطل الصيام .

س : أين تصلى صلاة العيدين؟

ج : صلاة العيد يجوز أن تؤدى فى المسجد . ولكن أداءها فى المصلى خارج البلد أفضل ــ ماعدا مكة والمدينة ــ ما لم يكن هناك عذر كمطر ونحوها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين فى المصلى . ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة لعذر المطر .

س : هل تجوز زيارة القبور فى الاعياد وما الحكم فيمن يذهبون اليها بالطبول والاكل والشرب ؟

ج : زيارة القبور جائزة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » .. وكان النهى عنها أولا لقرب عهدهم بالاسلام خوفا عليهم من الشرك كعبدة الاصنام . ثم أبيحت لأجل العبرة والعظة وذكر الموت ، والدعاء للأموات بالرحمة والمغفرة ، أما خروج النساء والرجال اليها فى أيام العيدين ومعهم الطعام والشراب واتخاذ القبور مسكنا ومأوى للطعام والشراب واللهو فذلك غير جائز شرعا ..

والله أعلم .

عبد الحميد شاهين

من أنباء العالم الاسلامى

اعداد الأستاذ : فهمى عبد اللاه سيد على

جاء فى نشرة المركز الاسلامى بايطاليا رقم ٨٣ فى شهر أبريل عام ١٩٨٠ م : ما يلى

يشهد العالم فى هذه الأيام صحوة دينية اسلامية عظيمة لم يسجل التاريخ لها مثيلا ، المسلمون يعملون على ابراز شخصيتهم وتأكيد وجودهم ، وقد بدءوا يراجعوا خططهم ويعدوا أنفسهم للعودة الى الحكم بشريعة دين الاسلام السمحة ومبادئه السامية ، يقينا منهم أن تمسكهم بكتاب ربهم واتباعهم سنة نبيهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وتطبيقهم لأحكام دينهم كما كانوا رواد الحضارة التى تبارى عبر التاريخ ، ولقد شعروا بذلك عندما ابتعدوا عن أحكام دينهم ، ألا أنهم سرعان ما أفاقوا من غفوتهم ونهضوا من كبوتهم التى عانوا منها زمن الاستعمار .

لقد بدءوا يدركون أهمية ذلك التراث الاسلامى العظيم وأن الفرصة ما زالت مواتية لهم ليتبوءوا مكانتهم بين الامم ، وليساهموا فى تطوير الحياة الانسانية نحو الافضل ، لصالح الأمم والشعوب دون استثناء أو تمييز بحيث يعم الرخاء وتسود العدالة ، وتنتشر الأخلاق الفاضلة والقيم المثالية التى جاء بها ودعا اليها الدين الاسلامى الحنيف .

لقد جاء دين الاسلام بأفكار قويمة ومبادىء سليمة وعقائد مستقيمة تتفق مع الفطرة الانسانية الصحيحة التى فطر الله

الناس عليها ، كما أنها تلتقى مع القيمة الأخلاقية والمثل العليا ، وتعرف الناس بالحقوق والواجبات ، دون تفريق بين الأجناس أو تمايز بين الألوان ، فالاسلام هو دين الحياة صالح لكل زمان ومكان .

« الذبح وفق الشريعة الاسلامية »

ان ما كان ينقصنا ، فى مدينة روما ، أصبح موجودا الآن فى بعض المدن الايطالية ألا وهو اللحم الحلال ، المذبوح وفق الشريعة الاسلامية ، وهذا أمر بالغ الأهمية للعديد من أبناء الجالية الاسلامية فى مدينة روما ، والذين يعافون اللحم الموجود فى الأسواق ، ويفضلون عليه أكل السمك أو الجبن أو الدجاج الذى يذبحونه أو يشرفون على ذبحه بأنفسهم وفق الشريعة الاسلامية.

جاء فى (ملحق مجلة الوعى الاسلامى) العدد ٦١ رجب ١٤ هـ ص ٦ر٧ (جمهورية مصر العربية)

حصن العروبة والاسلام .. بلد الأزهر الشريف ... وعاصمة الدولة الفاطمية .. وخط الدفاع عن الاسلام والعروبة وستبقى هكذا رغم كيد الأعداء ... وعبث العابثين .. وما تعيشه مصر اليوم وما يعيشه العالم العربى والاسلامى سحابة صيف سوف تنقشع قريبا ... ليلتقى الجمع العربي والاسلامى من جديد فى بلد الأزهر الشريف .

جاء فى صحيفة الأخبار بتاريخ ١٨/٦/١٩٨٠ ويوميات الأخبار للأستاذ محد فهمى عبد اللطيف ما يلى :

ان الازهر ليس جامعة ولا جامعا كما يقولون ، ولكنه تراث تاريخى ضخم من الفكر والرأى والعمل الاسلامى ، وبهذا عاش قبله المسلمين على امتداد ألف عام

« والأزهر هو القاعدة »

تردد الحديث عن انشاء مجلس اسلامى أعلى يضطلع برسالة العمل الاسلامى فى الأمة

الاسلامية ، ويكون قاعدة لجامعة الشعوب فى العالم الاسلامى على أن يكون فى تكوينه صورة للأمة الاسلامية على المستوى العلمى والمستوى الشعبى •

ويتجه الرأى الى أن يكون المجلس الأعلى للشئون الاسلامية هو القاعدة أو الصورة التى يتم بها انشاء هذا المجلس مع اضافة ما يقتضيه التوسع فى العمل والغرض لتحقيق الهدف المنشود• الفكرة فى ذاتها قويمة وعظيمة ، وهى لا تنشأ من فراغ فى مصر فقد عاش الأزهر بقيمته العلمية ومكانته الاسلامية ، حتى فى الوقت الذى أصبحت فيه الاستانة دار الخلافة الاسلامية ، فكان للأزهر كلمته المسموعة فى كل مايهم العالم الاسلامى من شئون الدين والدنيا ، وفى الآونة الأخيرة أقمنا هذه الفكرة على وضع رسمى شمل فى تكوينه المؤتمر الاسلامى ومجمع البحوث الاسلامية وهو تكوين يضم صفوة من العلماء الأعلام الذين يمثلون شعوب الأمة الاسلامية ، ولقد بدأ مجمع البحوث الاسلامية هذا بداية طيبة وعقد المؤتمر الاسلامى عددا من الاجتماعات عرضت فيها أبحاث قيمة تناولت القضايا الاسلامية التى تشغل اهتمام المسلمين فى هذا العصر ، ولكن فى الايام الأخيرة أصيب مجمع البحوث الاسلامية بنوبة من الركود ، وانقضت اجتماعات المؤتمر الاسلامى لهذا المجمع لغير سبب معقول •

فاذا كنا نريد انشاء مجلس اسلامى يكون قاعدة للعمل الاسلامى وقاعدة لجامعة الشعوب الاسلامية ، فلابد أن يكون الأزهر هو الأساس الأول لهذه القاعدة ، فان الأزهر له قداسته العلمية والفكرية فى العالم الاسلامى كله، وما زال جامعة الشعوب الاسلامية يتوافد عليه طلاب العلم والدراسات الاسلامية من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، ومازالت أروقته تحمل أسماء هذه الدول ، وأوقافه شركة بين أبناء هذه

الدول . والتكوين المطلوب للمجلس قائم فى مجتمع البحوث الاسلامية ومؤتمره العام وكل ماهناك هوأن يتوسع فىهذا التكوين وفاء للغرض المنشود . فلنحذر أن يكون المجلس الذى نريده بعيدا عن الأزهر ، لأننا بهذا نضحى بتراث اسلامى ضخم ليس ملكنا وحدنا ولكنه ملك لكل المسلمين . «النصوص الكاملة لميثاق الشعوب الاسلامية » .

* المسلمون أمة واحدة والشريعة الاسلامية المصدر الأساسى للتقنين .

* أى عدوان على أى شعب من الأمة الاسلامية عدوان عليها جميعا .

* مؤتمر عام للشعوب الاسلامية .

* محكمة عدل لدعم التعاون بين المسلمين .

انتهت اللجنة المشكلة بالأزهر الشريف لوضع ميثاق الشعوب الاسلامية الذى طلب الرئيس محمد أنور السادات من فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر اعداده ليكون أساسا لعلاقات الدول الاسلامية ومعاملاتها .

وحول ما تضمنه الميثاق من مبادىء سيتم رفعه للرئيس خلال الأيام القليلة القادمة .

توصيات اللجنة البرلمانية :

دعم الأزهر وتوحيد أجهزة الدعوة والتصدى للأفكار المضادة .

أوصت لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب فىتقريرها الذى وافقت عليه أمس برياسة الدكتور محمد محجوب بضرورة دعم الكيان الدينى والعلمى للأزهر الشريف ، ليظل مركزا للاشعاع الروحى فى مصر والعالم العربى والاسلامى ، وتوحيد أجهزة الدعوة الاسلامية فى جهاز واحد ، يمكن أن تكون له فعاليه أقوى فى سبيل دعم الأسس السلبية للعقيدة الاسلامية .

وطلبت اللجنة بالاهتمام باعداد الدعاة وتخريج العدد اللازم منهم للعمل فى مجال الدعوة الاسلامية ، وضرورة التنسيق بين وزارات التعليم والثقافة والاعلام، من أجل التصدى للتيارات الفكرية المضادة للعقيدة الاسلامية •

لأول مرة تفسير اذاعى جديد للقرآن الكريم •

كما كان لمصر السبق فى جمع القرآن الكريم جمعا صوتيا لاول مرة فى المصحف المرتل ، فانها تستقبل القرن الهجرى الخامس عشر بأضخم حدث فى عالم الفكر الاسلامى ، وهو التسجيل الكامل لتفسير عصرى على ستين شريطا من أشرطة الكاسيت يحمل كل شريط أربع حلقات ، تشرح كل حلقة منها ربعا من أرباع القرآن الكريم ، بعد قراءة الربع بصوت المفسر ، وتستغرق الحلقة نصف ساعة ••

وقد اشترك فى هذا التفسير نخبة من كبار علماء مصر والعالم الاسلامى •

فهمى عبد اللاه سيد على

نزول الوحى

على النبى صلى الله عليه وسلم

كان محمد صلى الله عليه وسلم يذهب الى « غار حراء » ويمكث فيه أياما يفكر فى كل شىء حوله ، . وفى ليلة من ليالى رمضان جاءه الملك (جبريل) فناداه يامحمد !! وقال له :

« اقرأ » فقال محمد : ما أنا بقارىء ، فضمه الملك ضمة شديدة ، وقال له : اقرأ ، قال محمد : ما أنا بقارىء ، فضمه ضمة ثانية ، وقال له : اقرأ ، قال محمد : ما أنا بقارىء . قال جبريل عليه السلام : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » فقرأها محمد ، وحفظها ، ثم اختفى جبريل عن عينيه ، وكانت هذه أول ما نزل من القرآن الكريم .

١٢١١

كتاب الشهر

الآلهة في الأسواق

تأليف الدكتور رءوف شلبي

عرض وتحليل : للدكتور محمد رجب البيومي

مؤلف الكتاب عالم داعية ، وكتابه ينم عنه فى صفتيه هاتين ، ففيه دقة العالم عمقه وأمانته ، وسلامة استنباطه وحسن تعليله ، وفيه شفافية الداعية ، وقوة ايمانه وحرارة دفاعه ووضوح غايته ، وقد أسس لهذه الخصائص تأسيسا مكينا أن المؤلف قد سافر الى بلاد الآلهة الارضية ، وناقش كهانها ، وخالط عبادها ومشى فى الأسواق بحثا عن الحق وتوضيحا للباطل الزائف ، فأدار أسئلة ، واستمع الى اجابات ، وشاهد من المساخر العابثة ما كاد يصدمه فيما متع به الله عقول الناس من حصافة واعية ، ونفاذ مستشف ، فأين هى الحصافة ؟ وأين هو النفاذ ؟ فى سوق الآلهة التى تشترى وتباع ؟ !

والكتاب من وجهته الثابته دعوة لأبناء الاسلام ، كى ينشطوا الى الدعوة لدينهم الصحيح ، لأن فساد الاعتقاد فى الشرق والغرب يدعو أصحاب الرسالة الخاتمة أن يكونوا مؤمنين بها ، فيعملوا على نشرها ، واشراق نورها ، فى بلاد الظلمات ، لتخرج الناس من الغى الى الرشاد ، وقد عجب المؤلف كل العجب حين رأى أمريكا وأوربا ترسل المبشرين الى مناطق الاسلام نفسه ، لتخرج الموحدين بالله الى التثليث ، دون حياء ، وأبناء الاسلام نائمون لا يفعلون شيئا ، ومن هؤلاء القسس من يعد الرسائل الجامعية لمعالجة الدعوة التبشيرية لدينهم فى بلاد الاسلام من ناحية • ولتسهيل أقرب الطرق لتشويه معانى هذا الدين الأصيل، وقد اتصل أحدهم بالأستاذ المؤلف ، وحاول أن يخدعه باصطناع ما يزعمه من التزام المنهج العلمى ، ولكن الدكتور رءوف كان جريئا على الباطل ،فأفهم الدارس أنه يلتزم — سابقا — بمقررات باطلة ، لا تتحمل هبة ريح ،ولو أراد الحق لوجه الحق لنزع عن نفسه كل تأثير طائفى ، ليواجه الحقائق سافرة ، بعيدة عن الطلاء • وما أن سمع الدارس هذه النصيحة حتى لاذ بالفرار •

يتحدث هذا الكتاب القيم عن الوثنيات المنتشرة فى الدنيا ، وقد

بدأ بالحديث عن الوثنية العربيـة الجاهلية ، وهو حديث مشتهر لدى الدارس المسـلم المثقف ، ولـكن المؤلف قد أوجز نقاطهوحدد مجراه فلم يترك الماء يفيض دون نفـع ، ولكن امتد به الى الزرع المتعطش للرى ، فأينع وأثمر ، وآتى أكله ، ولم ينقص منه شيئا ، فليت الذين يتكلمون فى الذائع المشتهر يحسنون احسان المؤلف فى استخلاص للباب وطرح القشور •

ويأتى بعد حـديث الوثنيـة العربية الجاهلية حديث الوثنية فى جنوب شرق آسـيا ، اذ تحـدث المؤلف عن الهنـدوكية والبوذية ، ثم كر راجعا الى مصر الفرعونية ، ليحدد مكانها من التوحيد •

وقد سرنى جدا : أن يجعـل المـؤلف اهـداء كتـابه الى روح أستاذنا المغفور له الدكتور : محمد عبد الله دراز ، رحمه الله ـ لأن المهدى اليه علم حقيقى من أعلام الازهر ، ومفكر نابه من مفكـرى الاسلام ، وقد تحدث عن نشـأة الأديان حديث العـلامة المكـين ، وللدكتور دراز شفافية ساطعة ، تجعل الغامض المبهم فى سراديب الفلسفة والمنطق باهـر اللألاء ، ساطع الضياء ، كمـا سرنى : أن يشيد بالأسـتاذ الدكتور : محمود حب الله ، معترفا بفضل توجيهه ، وراجعـا الى مؤلفـاته النافعـة ومترجماته السديدة ، لأن الوفـاء للأساتذة قد قل فى هذه الأيام ، اذ رأينا فى الدوائر العلميـة : من يحاول أن ينكر آثار أسـاتذته ، وأن يغتصبها لنفسه ، والاشـارة أولى من التصريح •

وقد جلى المؤلف تجلية رائعـة مقالاته الأولى عن الدين : نشـأة وبواعث ومفهـوما واتجـاها وثقافة ، موضـحا اضطراب الفكر الأوربى فى بحوثه الدينية ، وموازنا بين ما يكتبه القسس وأصـحاب دوائر المعارف ، وبين ما يقـول به الاسلام فى مصدريه الصحيحين : كتاب الله وسنة رسوله واذا كانت علاقة الدين بالأخلاق من جهـة وعلاقة الدين بالفلسفة من جهـة ثانية موضع خلط كثـير لدى المتسرعين من الدراسـين فقـد وفـق الدكتـور : رءوف الى

تحديد هاتين العلاقتين فى وضوح سافر لا يحتمل اللبس ، اذ قال عن علاقة الدين بالأخلاق :

« فالدين والأخلاق فى الفكر الغربى من الناحية التجريبية مستقلان وان أمكن لقاؤهما فى الغاية ،ومن الناحية العلمية الواقعية يسبق الشعور الأخلاقى الشعور الدينى . فى نفس الطفل ، وفى عدم امتزاج القوانين الأخلاقية بالقوانين الدينية فى المجتمع ، أما فى الاسلام : فالدين مصدر الأخلاق . لأن الدين منهج واضح يحدد السلوك ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر » .

وفى مجال التفرقة بين الفلسفة والدين : اختار المؤلف رأيين قويين للدكتورين الكبيرين : محمد عبدالله دراز ،وعبد الحليم محمود رحمهما الله ، ثم بلور الخلاف فى نقاط هامة حين قال ص ٤٠ —

« ان الدين السماوى حقيقة الهية ، وان الفلسفة ظن بشرى ، فالدين السماوى له من صفات الكمال والثبات مثل ما للحق — سبحانه وتعالى — وللفلسفة من العثار والضعف ما للانسان الضعيف الذى كتبهما ، وان أدلة الدين يقينية ، لأنها من الوحى المعصوم وأدلة الفلسفة ظنية ، لأنها من العقل الذى يستطيع أن يبنى ، وأن يهدم دون يقين .

وفى الحديث عن الهندوسية والبوذية ، ذكر المؤلف : أنه لم يشأ أن يعتمد على رأى عالم أوربى ، لأن أكثر الكاتبين فى العربية ليس لهم مصدر عنهما ، غير ما كتبه الأوربيون ، ولكن المؤلف درس لغة القوم ، وقرأ مؤلفاتهم ، ورحل الى بلادهم ، وشاهد معابدهم ، وناقش العباد فى أمور المعبودين . وبذلك : استطاع أن يهتدى الى صواب كثير ، وأن يصحح أخطاء وقع فيها نفر من أساتذته ، على اخلاصهم الزائد للحق كالأستاذ ، الدكتور : محمد غلاب ، اذ أن مصادر الدكتور : غلاب — رحمه الله — كانت أوربية تحمل من الصواب قدر ما تحمل من الخطأ ولم يجىء خطأ الباحث الأوربى

عن غفلــة فى النظــر ، وخطــأ فى البحث ، ولكنه جــاء عن محــاولة الاستعلاء المتغطرس على كل دين يخالف دينه ، أرضيا كان هذا الدين أو سماويا ، وقد اهتــدى المؤلف الى حقيقة خطيرة هى : أن دعــاة الهندوســية المحدثين قد أخــذوا مناهج الاســلام ليلصــقوها بالهندوسية ، دون أن تعرف هذه المبادىء لدى الســابقين من دعاة الهندوسية ، قبل ان تعم بلادهم تعاليم الاسلام ، يقول الأســتاذ : رءوف وتحت عنوان : (كيف ألفت كتب الويدا) ص ٥٧ ٠

« يقــول المؤرخــون : كــانت « الويدا » تنقل عن طريق السمع الى زمن معين ، شعر فيه المؤلفون الملهمون الذين يرون بعين البصيرة أنوار الحق ، فأحالوا ما رأوه الى كتب تسمى بالويدا : (وهى التى تعرف لــدى المثقفين بالفيــدا) ، ولهذا : فان بعضا من الكتب قــد لحق اسمه باسم المــؤلف ، لا لأن هؤلاء الشعراء هم المؤلفون عــن أنفسهم ، بل لأنهم تلقوا محتويات عن طريق الالهــام والايحــاء ذلك الالهام الذى سكب عليهم فأظهروه فى هذا الثوب الجميل من المعــانى والألفاظ البديعة » ٠

ينقل الدكتور ذلك القــول عن مؤرخى الهندوسية ، ليكون شاهدا بعدم الجزم بأصالة الويــدا ، ثم يوالى البحث ليجد فى النهــاية أثر الاســلام بارزا فى اتجــاه دعاة الهندوسية المحدثين ، لأن السابقين من دعاة الهندوسية كانوا ينكرون الوحى ، وقد حكى الشــهر متانى عنهــم ذلك بوضــوح لا يقبــل التأويل ، فكيف تســنى للمحدثين أن يعتــرفوا به ٠ يقــــول المؤلف ص ٩٤ :

« وهذا أســلوب جديد يتبعــه القساوسة ، اذ يلفقون لنحلهم أدلة وقضايا لتســاير العصر ، وقــد سمعت قسيســا كبيرا يتحدث فى التليفزيون عن يوم القيامة ، فأقام على صحة البعث عدة أدلة منها : أدلة العــدالة الالهيــة ، وأدلــة المشــاهدات اليوميــة ، وأدلــة الســلطان الالهى ، وهى كلها من منابــع القرآن الكريم ، وليس فى

الأناجيل كلها فقرة ، تشير اليها ، وأفاض المؤلف فى تأكيد ذلك ، بما نرجو أن يكون موضع ملاحظة صادقة لدى علماء مقارنة الأديان ، ومن أعظم ما هزنى فيما أعلم من الحقائق : ما ذهب اليه الدكتور : رءوف من انكار القول بتناسخ الأرواح فى العقيدة الهندوسية ، مستندا الى نصوص صريحة من كتب القوم ، مع أن الذى نعلمه : أن التناسخ مذهب هندوسى ، ولا أقول : ان المؤلف قد قال الكلمة الأخيرة فى هذا المجال ، فلابد من دراسات شافية جامعة ، ولكن أقول : انه قد فتح بذلك مجالا للبحث عن التناسخ مبدأ ونحلة وعاقبة ، وهو أمر جدير بنظر الدارسين •

وحديث المؤلف عن المنبوذين حديث جيد ، والمجلد السابع من مجلة الأزهر قد اتسع لتقرير البعثة الأزهرية للهند ، فأغنى عن كل مرجع • وقد أدت البعثة واجبها ، وان لم تظفر بما تريد ، وقد ذكر المؤلف أحد أعضائها شيخنا العلامة المؤرخ الأستاذ : عبد الوهاب النجار ص ٢٩٣ مسبوقا بكلمة الدكتور ، والعلامة الكبير لم يكن دكتورا ، وان استحق أن تؤخذ دكتوراه فى بحوثه التاريخية ، وحديثة عن الأناجيل من أقوى ما كتبت فى العربية ، وقد نقل قصص الانبياء الى اللغة الفارسية، فامتد نوره الى آفاق شتى •

فاذا تركنا آسيا الى مصر ، فاننا نجد : حديث المؤلف عن مصادر التاريخ القديم ، وعن طريقة حل الرموز فى حجر رشيد ، وعن مؤرخى الفرعونية القديمة من أقوى ما قيل ، واذا سبق المؤلف ببعض ما كتب فان ما سطره تحت عنوان : (توحيد اخناتون ودعوة الأنبياء) يدعو الى التأمل الوئيد ، فقد فتح الله على المؤلف فتحا مبينا ، حين أظهر الحق الأبلج ، الذى حاول المضللون شرقا وغربا أن يطمسوه ، اذ زعم أساتذة الجامعات لدينا نقلا عن سدنة الاستشراق فى أوربا : أن مصر لم تعرف التوحيد الا على يد أخناتون ، مع أن التوحيد عقيدة

عرفت من يوم أن نزل آدم الى الأرض ، اذ علمه ربه الأسماء وأمر الملائكة بالسجود له اجلالا لما علم ، ثم توالت الرسل والأنبياء قبل اخناتون ، لتثبيت التوحيد ، جاء نوح وابراهيم ويوسف قبل اخناتون — فاذا لم يكن نوح ممن قدموا الى مصر من الأنبياء ، فقد قدم اليها عن يقين : ابراهيم ويوسف ، وفى ربوع النيل : صدع أبو الأنبياء ابراهيم بوحدانية الله ،وفى سجن مصر :هتف يوسف بما حكاه الله عنه فى قوله : **« يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » :** ٣٩ ، ٤٠ سورة يوسف .

واذا كان لى من رجاء لدى المؤلف فهو : أن يصحح رأيه فى « انجيل برنابا » ، مستأنسا بما ذكره عنه الأستاذ السيد : محمد رشيد رضا — رحمه الله — وانى لأعترف أن كتاب : (آلهة فى الأسواق) مصدر نفع محقق للدارسين ، ولعل المؤلف بسبيل اعداد كتاب آخر يستكمل به قصة الآلهة ، ومن غير الآلهة أجدر بالحديث ، وان كانوا متوهمين لا حقيقيين . ؟ !

دكتور: محمدرجب البيومى

فهـــرس العــــدد

الموضوع — صفحة

مطابع مؤسسة روزاليوسف

مدير المجلة
محمد صابر البرديسي

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع ـ السنة الثانية والخمسون ـ شوال سنة ١٤٠٠ هـ ـ سبتمبر سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام يدعو إلى الحياة الكريمة فى ظل العمل والتعاون

للدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

جاء الاسلام الحنيف فاشرف على العالمين بدستور قوى متين يدعو الى مكارم الاخلاق وكريم العادات وينظم العلاقة بين الافراد والجماعات ويصف ما تعانيه الامم من الادواء ثم يقدم لها فى يسر وسهولة أنجع الدواء ٠

• وهذه المشكلات والامراض الاجتماعية التى تعانى الانسانية ويلاتها وتقاسى آلامها والتى طالما اجهد المصلحون انفسهم فى علاجها فنجحوا بعض النجاح حينا واخفقوا أحيانا قد وصف لها الاسلام الدواء الناجع الذى يضمن النجاح من ايسر سبيل واقوم طريق وانما يستشرى

الداء ويعز الدواء من التقصير والاهمال ، وعدم تطبيق مبادىء الدين والاخذ بما تنطوى عليه تلك المبادىء من انظمة واحكام وقوانين .

• والاسلام فى معالجته لمشاكل الافراد والجماعات انما يوجه الامم والشعوب فى مختلف الازمنة والعصور الى النظر بعين الاعتبار الى الظروف والملابسات التى تحيط بالمجتمع ، ومن هنا : كانت لولى الامر سلطته الواسعة فى تقدير كل ظرف ، ووضع العلاج المناسب الذى يلائمه ، وهذه السلطة ـ بلا شك ـ انما ترتكز على أساس متين هو العقيدة الصادقة والايمان الخالص والعدالة الكاملة .

• ولعل اصدق الامثلة على ذلك ما وقع عقب هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واصحابه من مكة الى المدينة حينما بدأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤسس الدولة الاسلامية الجديدة وكانت الظروف حينئذ تملى على ولى الامر ان يتخذ خطة حكيمة تلائم الوضع الاليم الذى يحيط بالمهاجرين .

• فلقد آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين والانصار وكانت هى الاولى من نوعها فى تاريخ الانسانية لانها أخوة نادرة المثال لم تقم على قانون وضعى يسهل مغالطته ويمكن مخالفته اذا غفلت عينه وضعفت الرقابة على تنفيذه وانما قامت على عقيدة راسخة تهون امامها متع الحياة ولذاتها ولأنها لم تفرض بقوة البطش وجبروت السلطان وانما فرضت بأمر من الرسول الذى لا ينطق الا بما يتنزل عليه من العليم الحكيم الرءوف الرحيم ولقد جعل الرسول لكل رجل من المهاجرين أخا من الانصار ، وجعل لهذه الاخوة من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب ، فكلاهما يرث صاحبه اذا مات ويعقل عنه اذا جنى ويؤازره اذا ألمت به شدة أو اصابه مكروه مؤازرة الأخ لأخيه من النسب فكان ابو بكر الصديق اخا لخارجة بن زهير الانصارى

وكان ابو عبيدة بن الجـراح من المهاجرين اخـا لسعد بن معاذ من الانصار وكان عثمان بن عفـان من المهاجرين اخا لأوس بن ثابت من الانصار ، وكان عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين اخا لسعد بن الربيـع من الانصـار .. .. وهكذا أصبح المهاجرون والانصار بنعمة الله اخوانا وقد آتت هـذه الاخوة — بحمد الله — ثمرتهـا المباركة ، اذ خففت عن المهاجـرين وعوضتهم خير العوض عن فـراق الاهل والعشيرة .

وكان هـذا عـلاجا طارئا زال بزوال اسبابه وانتهى حينما انتهت دواعيه فحينما اطمأن المسـلمون فى مقرهم الجديد وشعر المهاجرون بكيانهم وبالامن والحرية يشرقان عليهم وشقوا طريقهم بالعمـل فى سبيل الرزق نزلت الآية الكريمة : **« وأولوا الارحام بعضـهم اولى ببعض »** فانقطع التـوارث بين المهاجرين والانصـار ، ورجعت الاخوة الى قاعدتهـا الاولى وهى اخوة النسب ، ولكن بقيت الاخوة الاسـلامية التى تظلل جميـع المسلمين وتقتضى المودة والتعاون بينهم .

وفى ظـل تلك الاخـوة الكاملة الشاملة بين جميع المسلمين وضعت القواعد الدقيقة التى تكفل قيـام مجتمع اسلامى رشيد والتى تقضى على المشكلة الاقتصـادية الاولى فى هذا العالم ، وهى : فقر الافراد الذى هو النواة الاولى لفقر الامم والشعوب .

وكان من اقـوى الدعائم التى قام عليها النظـام فى الـدولة الاسلامية الدعوة الى العمل ونبذ البطالة والكسل .. فلقـد دعـا الاسلام كل انسان ان يأكل من كد يمينه وعرق جبينه ومن ذلك جـاء فى صحيح البخارى عن المقـداد بن معد يكرب رضى الله عنـه ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « ما أكل احـد طعـاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبى الله داود عليه السـلام كان يأكل من عمـل يده » وثبت فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان زكريا عليه

السلام نجارا » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتجارة ويشتغل ــ كذلك ــ برعى الغنم وقد ذكر عن نفسه وعن بعض الانبياء فقال : « بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت وانا ارعى غنم اهلى باجياد » .

واعتبر الاسلام العمل عبادة لله وجهادا فى سبيله فلقد روى ان رجلا قويا نشيطا مر على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ متوجها الى عمل معين فقال اصحاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لو كانت قوة هذا الرجل موجهة الى الجهاد فى سبيل الله . فقال صلوات الله وسلامه عليه : « انكان خرج يسعى على اولاده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه فهو فى سبيل الله » وقال الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه « الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » .

أجل : ان الاسلام يدعو الافراد الى العمل حتى لا يكونوا عالة على المجتمع ، وسوسا ينخر فى عظامه ولقد ضرب اسلافنا الاولون رضى الله عنهم اروع الامثال فى هذا السبيل فكانوا يكرهون البطالة ويأنفون ان يكونوا كلا وعالة . والتاريخ الاسلامى مشرق بسيرتهم عطر بانبائهم ومن ذلك قصة عبد الرحمن بن عوف المهاجر مع سعد بن الربيع الانصارى رضى الله عنهما فحينما آخى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بينهما بعد الهجرة عرض سعد على عبد الرحمن نصف ماله ونصف بيته بل لقد أراد ان يطلقاحدى زوجتيه لتكون زوجة لعبد الرحمن ويكتفى هو بزوجة واحدة ولكن عبد الرحمن وقد تربى فى كنف العزة الاسلامية وهى تلك التى ينطوى عليها قول الله تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » أبى الا ان يعتمد بعد الله على نفسه فقال لصاحبه دلنى على سوق المدينة ثم اشترى شيئا يسيرا من الزبد وامهل صاحبه بعض الوقت ثم باعه وسدد ماعليه

ثم اشترى وباع واشترى وباع وربح ثم ربح فلم يمض الا زمن يسير حتى ملأ اسمه الاسماع وملأت تجارته الاصقاع والبقاع .

وكان ابو سليمان الدارنى يقول : ليست العبادة فى الاسلام ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصى الفقراء والاغنياء بأن يتعلموا المهنة ويقول انه يوشك ان يحتاج احدكم الى مهنة وان كان من الاغنياء . وكان يمقت اشد المقت اولئك الذين يخلدون الى الراحة والكسل مع قدرتهم على العمل ، ومن ثم قال قولته المشهورة « لا يقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وقد بلغ من قيمة العمل فى الاسلام انه يعتبر عبادة ، وقد جعله الله سبحانه فرضا واجبا على كل قادر عليه تحصيلا للرزق وابتغاء تحقيق مجتمع الكفاية والامن ، وفى ذلك يقول الله سبحانه « **هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** » ويقول « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله** » .

وفى الحديث القدسى « ياعبدى حرك يدك انزل عليك الرزق » .

كما كانت « الزكاة » ولاتزال من اقوى الدعائم التى قام عليها النظام فى الدولة الاسلامية وقد جعل الله الزكاة الركن الثالث من اركان الدين وفرضها حقا معلوما للفقراء والمساكين واوجب اداءها على كل مسلم يملك النصاب فى النقدين وفى الزروع والثمار وفى الابل والبقر والغنم وعروض التجارة وتوعد من يمتنع عن ادائها بالويل والثبور وعذاب السعير فقال تعالى « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** » .

وجعل الله ايتاء الزكاة من أسس الفلاح والايمان فقال « **قد افلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون** » .

ويبين الله عز وجل ان الانفاق فى سبيل الله هو التجارة الرابحة التى لا ينمو فيها رأس المال الى عشرة امثال فحسب بل الى سبعمائة بل يضاعفه الله اضعافا كثيرة وذلك حيث يقول « **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » وثبت فى الصحيحين ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما ، اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا » .

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا رجلين احدهما بخيل يضن بمال الله على عباد الله والآخر منفق يعطى مما اعطاه الله فقال ــ كما جاء فى الصحيحين : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو اثره ، واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » . ومعنى ذلك : ان المنفق كلما بذل المال فى سبيل الله وسع الله عليه بزيادة رزقه أو بالقناعة التى تجعل القليل كثيرا وان البخيل فى ضيق من نفسه الكزة وطبيعته الشحيحة فهو مهما زادت امواله وكثرت ارزاقه فى ضنك وشقاء وبؤس وعناء . واذا كانت موارد الزكاة تكمن فى كل ما يحوزه الانسان من انواع المال المهيأ للتنمية والاستثمار كالنقدين (الذهب والفضة) والانعام والزروع والثمار وعروض التجارة .. فانه يمكن أن يلحق بها فى هذا العصر الذى نعيش فيه وفيما يأتى بعد ذلك من الازمنة كل ما استحدث أو يستحدث من انواع

الاموال واستثماراتها كأرباح المصانع والشركات والعمارات السكنية الى غير ذلك على ان يقوم كل نوع به عند حساب ما يجب فيه من زكاة - ثم تكون الزكاة على حسب القواعد المفصلة فى كتب الفقه الاسلامى » •

وقد حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة فى ثمانية اصناف بقوله تعالى : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » •

ويلاحظ ان من بين المصارف الثمانية الاموال التى تصرف « فى سبيل الله » وهذه الكلمة كانت تحمل أولا على المجاهدين ولكنها فى واقع الامر تتسع لكل وجوه الخير كبناء المساجد وانشاء المدارس والمصحات وما الى ذلك من دور الخير والبر •

ومن واجب الدولة المسلمة أن تنشىء صناديق الزكاة لكى تتجمع فيها حصيلة تلك الموارد وفق ما امر به الدين الحنيف وهو جزء ضئيل ولكنه مجزىء وجزيل ومقدار قليل ولكن اثره كبير ووفير •

اجل : انه فى جملته وفى اغلب الموارد يوازى ربع العشر من الارباح السنوية ولكنه لو احسن توزيعه فى يقظة ودقة على المحتاجين والمستحقين ، وتولت كل حكومة مسلمة الاشراف على هذا التوزيع على أساس من الانصاف والعدل والامانة فلن يبقى فى المجتمعات الاسلامية بائس أو فقير •

وليس هذا الكلام جزافا أو مجرد ادعاء ولكنه النبأ الصادق الذى تحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والذى لا يتحدث الا عن وحى يوحى •• ومن ذلك ما يرويه على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى -صلى الله عليه وسلم- انه قال « ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى اموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما

يصنع اغنياؤهم . الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما » .

ولقد مرت على المجتمع الاسلامى فترات مشرقة بالخير والسعادة نتيجة لتطبيق المبادىء الاسلامية والسير على سننها الحكيم ومنهجها القويم وقد توارى — حينئذ — شبح الفقر البغيض واحس الجميع برد النعمة والرخاء ، فيروى الطبرى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عقبة بن زرعة الطائى — وكان قد ولاه الخراج فى خراسان — فقال له : « استوعب الخراج واحرزه فى غير ظلم فان بك كفافا لاعطياتهم « أى مساويا لاعطياتهم » فسبيل ذلك والا فاكتب الى حتى احمل لك الاموال فتوفر لهم اعطياتهم قال : فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن اعطياتهم » (١) .

ويروى ابن عبد الحكم ان رجلا من ولد زيد بن الخطاب قال « انما ولى عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا فذلك ثلاثون شهرا فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده »(٢) .

على ان الزكاة المفروضة وهى دعامة كبرى لاصلاح المجتمع الاسلامى وتدعيم اقتصادياته — ليست فى واقع الامر الا جزءا محدودا من الاسس القوية الاخرى التى جاء بها الاسلام فى هذا المجال ، فقد امعن الاسلام فى محاربة الفقر واتخذ كل الوسائل فى سبيل القضاء عليه ، حيث جعل الاحسان الى الفقراء والمساكين كفارة للخطايا والذنوب وستارا للآثام والعيوب ، فكفارة اليمين اذا ما حنث فيها الانسان هى اطعام الفقراء والمساكين ، وفى ذلك يقول الله تعالى : **(لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن**

---

(١) الطبرى جـ ٨ ص ١٣٩ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .

يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) •

والرجل اذا ظاهر من امرأته بأن قال لها : أنت على كظهر أمى حرمت عليه ولا يحل له أن يقربها الا بعد الكفارة ، والكفارة تكون باطعام الفقراء والمساكين وفى ذلك يقول الله تعالى « **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم** » •

ومن أفطر بالجماع فى شهر رمضان لزمته الكفارة ، والكفارة هى عتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ••

وهكذا يكفر الاحسان الى الى الفقراء الذنوب والآثام ، ويغسل الخطايا والأوزار ، ولا غرر فقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — «الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار» •

ومظاهر التعاون فى الاسلام كثيرة ومجالاته واسعة تمتد امتداد الحسنات التى يضاعفها الله الى عشر ثم يضاعفها حتى تصل الى سبعمائة ثم يضاعفها الى ما يشاء ولمن يشاء فالصدقات والاحسان الى المحتاجين والمعوزين لا يتقيد شىء من ذلك بقيود ولا تقف دونه حدود ، وقد وصل الأمر بجماعة من المسلمين الى درجة الايثار ، وكان ذلك فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم — وذكرهم الله فيمن ذكر من عباده الأبرار فقال عنهم « **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم**

خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

والاسلام هو دين العالمين ، وليس دين العرب وحدهم . وهو دين الأزمنة والعصور جميعا منذ أشرقت الأرض بنوره الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » وفى رواية أخرى « وبعثت الى كل أحمر وأسود » « والمعنى على الروايتين واحد . ومادام الاسلام قد تخطى حواجز الأمكنة والأزمنة ، فان آدابه العالية ومبادئه السامية يجب أن تتخطى نطاق الزمان والمكان كذلك .

وبهذا يكون المسلمون فى أرجاء هذا العالم مدعوين الى الجهاد فى سبيل الله حتى تكون كلمة الله هى العليا وحتى يعلو لواء الاسلام .

ويتم نور الله ويتحقق وعده سبحانه وتعالى حيث يقول « **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله لقوى عزيز » .**

وحتى يتم ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز — فان من حق الأقليات الاسلامية التى تعانى من جور الظالمين وطغيان الكافرين أن تشعر بهذا التعاون الذى يفرضه الاسلام على الدول الاسلامية التى منحها الله نعمة الحرية ، وأفاض عليها من الخير والثراء وبسط لها فى الرزق وبذلك يمكن أن تكون الأمة الاسلامية التى قال الله عنها « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » ويمكن كذلك أن تتحقق بين المسلمين فى أرجاء الدنيا الأخوة الاسلامية التى لا تفرق بين مصرى ويمنى وهندى وباكستانى وعراقى وشامى ، بل تجعل المسلمين فى أرض الله الواسعة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ..

وفى هذا العصر الذى تقاسى فيه الشعوب الاسلامية من آثار

التخلف الذى فرضه المستعمرون والذى يتولى كبره الآن جنود الشيطان وأعوان الباطل فى كل مكان ، فى هذا الوقت العصيب والجو الرهيب تظهر قيمة التعاون الذى يفرضه ديننا الحنيف على الدول الاسلامية التى تتوفر لها الثروات الضخمة والاقتصاد القوى المتين • كى تمد يد العون

الى الأقليات الاسلامية لتتوفر لها العزة والكرامة ، والحياة الآمنة السعيدة ، وتبدلها من بعد ضعف قوة ومن بعد خوف أمنا وطمأنينة، وبذلك يرأب الصدع ، ويجتمع الشمل ، وتعود للمسلمين عهود القوة والمجد والسلطان •

فياأمة الاسلام ، ويا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام •

ان الاسلام جهاد وعمل ، وعقيدة وايمان ، وتعاون وتضامن ، وليس الاسلام ألفاظا تجرى على اللسان ، ولا أدعية تتلى فى المساجد والمعابد ، وليس الاسلام ركوعا وقياما ولا حجا وصياما فحسب ، انما الاسلام فوق ذلك كله عاطفة انسانية واحساس بآلام الناس وآمالهم ، ومشاركة لهم فى شعورهم وتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان وأخوة كاملة ترفع عن بنى الاسلام ضراوة الهمجية والوحشية وتجعل الصغير بجوار الكبير والقوى الى جانب الضعيف كالبنيان يشد بعضه بعضا •

الا ان الفجر الصادق فى حياة المسلمين لقريب ان شاء الله ، ولقد بدأ الاسلام غريبا من العظمة والغرابة وسوف يعود غريبا فى عظمته كما بدأ ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين •

والسلام عليكم ورحمة الله ••

وكيل الأزهر

دكتور / محمد الطيب النجار

مناهج المحدثين

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رواية الحديث وشجع المسلمين عليه فقال : « نضر الله امرءا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها » . وفى رواية : نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » .

وفى رواية : « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » .

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحافظ الحديث وراوى الحديث بالسعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة والبركة فى الجسد وفى الروح بشرط أن تكون الرواية صحيحة وأن يكون الراوى تثبيتا .

قال سفيان بن عيينة : « ليس من أهل الحديث أحد الا وفى وجهه نضرة لهذا الحديث » .

ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم حملة الدين الحقيقيين الذين تجمعت فيهم أوصاف خاصة هى الذكاء والحفظ والقدرة على استخراج الطيب من الخبيث والتعرف على الصحيح من السقيم فقال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ما ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » . وقد روى هذا الحديث من غير طريق وتعددت طرقه بما يقتضى حسنه

كما قال العلائى .. وفى هـذا الحديث رسم لمنهج المدرسة الحديثية ووصف لرسالتها فى الحياة . انها تميز الحق من الباطل وحماية الدين من كل دخيل عليه. قال النووى رحمه الله : « هذا ـ أى الحديث ـ اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم ، وحفظه ، وعدالة ، وان الله يوفق له فى كل عصر خلفا من العدول ، يحمونه وينفون عنه التحريف ، فلا يضيع ، ان فى الحديث رسما لمنهج وأخبارا يتحقق هذا المنهج مصداقا لقوله تعالى : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » والذكر هو القرآن ما يبينه من السنة الصحيحة ، وسنرى كيف تحقق هذا الخبر على يد الأئمة الأفذاذ من رجال الحديث . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل . وهو بذلك انما يبين خطر السنة النبوية ورسالة رجال الحديث .

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ السنة الصادقة وحذر من الكذب عليه فقال : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال : « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين» .

وقال : « ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وفى هذا الحديث توجيه الى أهمية السنة وخطرها . ان الكذب فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على غيره . اذ لا التزام على أحد باتباع غيره ولا الزام لأحد بذلك ان الكذب عليه عنيف الأثر يمتدوزره الى كل زمان والى كل مكان ، وقد يحدث من الآثار ما لا يمكن جبره .وعلى الكاذب عليه أن يتعرف مكانه أنه النار .

من هنا كان اختلاف العلماء فى كذب الكاذب المتعمد على الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان غير

مستحيل لذلك ولكنهم لم يختلفوا فى أن من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث واحد عمدا فسق وردت رواياته كلها ويبطل الاحتجاج بجميعها حماية للسنة وحفظا لحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم — بل لقد قال بعض العلماء بعدم ذهاب الفسق عنه بعد توبته وعدم قبول روايته بعد اقلاعه عن هذا الذنب العظيم .

وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التحديث بكل ما سمع السامع فقال :

« كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع . وقال مالك رحمه الله : اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون اماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع .

والمقصود من ذلك أن يتحرى الانسان فى الرواية ويعرف وجوه الحديث لينتقى منه ما يصلح للعامة وما لا يصلح ، وما كان منه عاما وما كان منه خاصا وما كان منه مقصودا لذاته وما كان منه غير مقصود . قال النووى : فيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الانسان فانه يسمع الصدق والكذب فاذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لاخباره بما لم يكن . ومذهب أهل الحق أن الكذب الاخبار عن الشىء بخلاف ما هو . ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط فى كونه اثما . ولا يناقض هذا ما روى الامام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو أنه قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتنى قريش فقالوا : انك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى الا حق » وقوله صلى الله عليه وسلم : « انى لأمزح ولا أقول الا حقا » وقوله : « انى وان داعبتكم فلا

أقول الا حقا » لأن النهى انما هو فى حق غير النبى صلى الله عليه وسلم • ففيه توجيه الى التعرف على الرواة والتثبيت من المشايخ وتعرف مجارى كلامهم وأساليبه واذا كان فى كل ما يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم فائدة للمسلمين فان على المحدث أن يتعرف مناسبات الحديث وجو التحديث وأن يتلاءم مع بيئته وظروفه : روى البخارى فى كتاب العلم من صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان راكبا ومعاذ رديفه على الرحل فقال :

« يا معاذ بن جبل • قال : لبيك يا رسول الله وسعديك • قال : ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار • قال معاذ : يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا • قال : اذن يتكلوا » وأخبر بها معاذ عند موته تجنبا لاثم كتمان العلم •

وروى مسلم فى كتاب الايمان : ان عمر رد أبا هريرة وقد أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يبشر الناس بمثل حديث معاذ ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله : أنت قلت لأبى هريرة كذا وكذا •• فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: نعم فقال عمر : لا تفعل فانى أخشى أن يتكل الناس فخلهم يعملون • وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال « فخلهم » لقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم قبلا ورأى عمر من بعده أن ظروف المسلمين الشاقة قد تدفعهم الى الاسترخاء عند معرفة هذا الخبر • وأن المصلحة فى عدم اعلامهم به حتى يتعودوا على الأعمال الصالحة ويتمرسوا بفعل الطاعات فلم يعلموهم به رغم صحته وما فيه من فائدة •

وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » •

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين • أما أحدهما

فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هــذا البلعوم .

وهذا الذى امتنع عن نشره هو ما فيه أخبار الفتن والملاحم ومــا يكون من الأحداث مما قد ينفر عن الحكام ويخلق الفتن ويثير الأزمات بلا فائدة ترجى منه . أو ما فيه أخبار عن أمور غيبية تتصل بمعانى المتشابهات أو تفصــــيل بعض المشكلات مما لا تطيق الأفهــام فهمه ولا يقدر غير الرسول على تفهيمه .

ومن هنا كان ما قاله عبدالرحمن ابن مهدى « لا يكون الرجل يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع»

وكان أحمــد بن حنبــل يكره التحديث ببعض الأخبار التى يكون ظاهرها الخروج على الأمير وكان أبو موسى يكره التحديث بالغرائب

وبالجملة كانوا حريصين عــلى عدم بث الفتنة أو فتح الطــريق أمامها برواية ما يســبب ذلــــك وتوجيه الأنظار اليه محافظة على سلامة الدين من أصحاب الأهواء والشغب والفتن وغــيرهم مــن المغرضين والجاهلين .

وقد حمل الرســول صلى الله عليه وسلم من ســمع منه العلم مسئولية تبليغه فقال بعد أن أمر ونهى وبشر وحذر : « ألا ليبلغ الشاهد الغائب » وقال : « ألا هل بلغت » مرتين .

وقد دعا صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة بالحفظ ومدحه بحرصه على الحديث .

وكان من هديه التعليمى أنه اذا سئل عن شىء لم يعلمه سكت حتى يأتى الوحى بالجواب . وكان اذا قال كلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه وكان كثيرا ما يطرح المســألة على أصحابه ليجــذب انتباههم ، ويختبر أفهامهم وكان يتخــولهم بالموعظة مخافة الســآمة عليــهم ويختار الأوقات الملائمة للوعــظ والتذكير والتدريس كوقت السحر وبعد صلاة الفجر وبعــد العشاء ونحو ذلك . لقد رسم الرســول (صلى الله عليه وسلم) منهــج التحــديث ومنــهج التلقى وحد الحدود لأخذ السنة واعطائها .

وما جهود العلماء بعد ذلك الا تفصيل لما أجمل وتقنين لما رسم .

دكتور الحسينى هاشم

ولاية الله للمؤمنين

للأستاذ محمد صابر البرديسى

الايمان : ماوقر فى القلب ، وصدقه العمل — التصديق الثابت المتيقن الذى لا يتزعزع ولا يضطرب .

فالايمان له مشاعر قلبية باطنة، وقرت فى القلب واستقرت فيه ، من : اخلاص الاعتقاد بوحدانية الله ، والتصديق بألوهيته بلاشك ولا ارتياب .

وللايمان صورة حركية ظاهرة ، هى : العمل .

فالعمل هو الدلالة الظاهرة للايمان ، والتى لابد من ظهورها للعيان ، لتكون شهادة بالوجود الفعلى للايمان .

ومتى أخلص العبد الاعتقاد بوحدانية الله وأخلص العمل والعبادة له دون سواه ، صفا قلبه . فلا يعمل عملا يخالف شريعة الله .

ومتى استشعر القلب فى باطنه بحقيقة الايمان ، وامتلأت جوانبه بنور الله ، فان الصورة الايمانية التى تضىء قلبه لاتفترق عن الصورة العملية التى تصدر عنه .

ان لكل شىء حقيقة ، وحقيقة الايمان : أن يستشعر المؤمن وحدانية الله فى قلبه ثم تكون له جدية تظهر فى دنيا الواقع وفى عمله ، فليس الايمان كلمة تقال باللسان ، مع عمل يخالف الحال والكلام ، فلا يطابق المقال المقام.

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » (١) .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٤ .

روى عن الحـــارث بن مالك الأنصارى : أنه مر برسول اللـــه « صلى الله عليه وسلم » فقال : « كيف أصبحت يا حارث » ؟ قال: أصبحت مؤمنـــا حقا . قال : « انظر ما تقول ، فان لكـل شىء حقيقة ، فما حقيقـــة ايمانك » ؟ فقال : عزفت نفسى عن الدنيـا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا، وكأنى أنظر الى أهـــل الجنـة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر الى أهل النار يتضاغون فيها . فقال : « يا حارث ، عـــرفت فالزم » ثـــلاثا .

هذه شهادة من رسول اللـــه « صلى الله عليه وسلم » للحارث بأنه عرف حال نفسه ، وأنه مؤمن حقا ، وأن هذا الصحابى الـذى استحق شهادة الرسـول « صلى الله عليه وسـلم » لم يكن ايمانه مجرد ايمان ، وانما كان مصحوبا بالعمل والحركة المدفوعين بمشاعر قوية ، ملأت عليه قلبـــه فأثرت فيهمـا .

ان حلاوة الايمان التى يجدها المؤمن فى قلبه تشرح صـــدره وتؤنس نفسه ، وتزيل كـــربه ، وتطيب بها حياته ، ويطمئن لهـا قلبه **(ألا بذكـر اللـــه تطمئن القلوب)** (١) .

والمؤمن حقا يكون فى مدد الهى وأمن ربانى ، يحمل بايمانه ثقـل الدنيا وأكدارها ، فلا تكون أثقالها ثقلا على نفســه ، وانما تكون له أسباب قوة .

لا يضطرب من شىء ، وكيـف يضطرب وعنده الاسـتقرار ؟ لا يخشى مخلوقا وكيف يخشى ومعه اللـــه ؟

« ان من عباد الله عبادا أحبوا ربهم حبـــا ملك عليهم قلوبهـم وجوارحهم ، فغدوا بهـذا الحب عبادا قانتين لله ، مداومين عــلى عبادته ، محافظين على اتبـــاع أوامـــــره ، واجتناب نواهيه ، مراقبين له فى كل أحوالهم ، رغبة ورهبة منه.انهم بهذا يبلغون درجة

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨ .

رفيعة ، ومنزلة عالية ، ويصبحون أولياء لله . وأحباء له وأقرباء منه تذكر أسماؤهم بذكر الله بصفاء قلوبهم ، واشراقة وجوههم ، ويذكر الله برؤية غيرهم لهم » .

عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » . أن الله تعالى قال فى الحديث القدسى : « ان أوليائى من عبادى ، وأحبائى من خلقى ، الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم (١) » .

وكما يدفع الايمان صاحبه الى العمل الصالح فانه يمنعه من اقتراف المعاصى ، ويكون حائلا بينه وبين الموبقات ، لأن الانسان فيما يفعل وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته ، ومسير بأمرها ، ولهذا يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

فالايمان يأبى على المؤمن أن يفعل ماينافيه ، أو يترك مايقتضيه .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » (٢) .

وعد الله الذين آمنوا بهدايته لهم بسبب ايمانهم .

فما أعظم الانسان حين يؤمن بربه ، ويعمل للتقرب من خالقه ، فيؤدى ما أمر الله به ، ويجتنب مانهى الله عنه ، فمن آمن بالله واستقامت أحواله فانه يصير من أولياء الله .

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون » (٣)

تبين الآية : أن المؤمنين يتولاهم ربهم فى شتى شئونهم ، فلا خوف

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٢) سورة يونس الآية ٩ .
(٣) سورة فصلت الآيات (٣٠ ، ٣١) .

عليهم ولا حزن يعتريهم .

والأمة المؤمنة يمدها الله بعونه وينصرها بقدرته ، ويبدل خوفها أمنا ، ويستخلفها فى الارض ، ويمكن لها من اقامة شريعة الله .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (١) .

ذكر عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قال تعالى **« لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »** لقد عرفنا بشرى الآخرة : الجنة . فما بشرى الدنيا ؟

قال : « الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له ، وهى جزء من أربعة وأربعين جزءا من النبوة » (٢) .

وعن أبى ذر قال : قيل لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ، قال: « تلك عاجل بشرى المؤمن » (٣) .

وقد يكون من البشرى فى الدنيا الصبر عند الابتلاء ، فالمؤمن يبتلى فى دنياه بألوان الابتلاء ، فلا يشعر أنه المرزأ المبتلى .

« ولقد كان المسلم يضرب بالسيف فى سبيل الله ، فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه ، فما يحسها الا كأنها قبلات أصدقاء من الملائكة ، يلقونه ويعانقونه » (٤) .

وعمار بن ياسر وأهله وغيرهم من الرعيل الأول المؤمنين السابقين قد لقوا من صنوف العذاب والتنكيل ، ماتقشعر له الأبدان وتنوء عن حمله الجبال « ان عمارا ملىء ايمانا من رأسه الى قدمه ،

---

(١) سورة النور الآية ٥٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ص ٢ ص ٤٢٣ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) مصطفى الرافعى .

واختلط ايمانه بلحمه ودمه » .

والعبرة بالتضحية ، وما يقدمه المؤمن لدينه وأمته ، فالتضحية هى جوهر الايمان .

تلك بشرى المؤمنين فى الدنيا .

أما بشراهم فى الآخرة ومايتصل بها ، فان المؤمن اذا حضرته الوفاة وانقطع خيطه من الدنيا ، كشف عنه الغطاء ، فيرى مقعده فى الجنة ، فيحب لقاء الله ، ويحب الله لقاءه ، فاذا ثوى فى قبره ، وسوى عليه التراب ، جعل الله قبره روضة من رياض الجنة ، ويوم يحشر الناس من قبورهم وقاه الله شر ذلك اليوم ، ولقاه نضرة وسرورا ، فاذا اشتدت الشمس على الرءوس ، أظله الله فى ظله يوم لاظل الا ظله ، ثم يدخله الله الجنة .

وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وان لم يكن فيها الا التمتع بالنظر الى وجه الله الكريم لكفى **« وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (١)** .

أرجو الله أن يبصر المسلمين بدينهم ، وأن يهديهم الى الايمان الكامل ، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، حتى يحكموا بكتاب الله ، ويطبقوا فى الأرض نظم السماء ، فيعم العدل والرخاء وتصبح الأرض كلها جنة ، والناس كلهم ملائكة .

محمد صابر البرديسى
مدير مجلة الأزهر

---

(١) سورة القيامة الآيات ٣٢ ، ٣٣ .

دراسات قرآنية :

الإيمان بالله كما يعنيه القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى فى سورة البقرة « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) » .

البيان

جاء مثل هذه الآية فى سورة المائدة بتقديم الصابئين على النصارى ، ورقمها هناك (٦٩) وقد أساء بعض المعاصرين فهم الآية على صورتيها ، حيث زعم أن اليهود والنصارى والصابئين ، مأجورون يوم القيامة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون — وان لم يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه — لأن الآية فى نظره تدل على أن المطلوب من هذه الطوائف أن يؤمنوا بالله واليوم الآخر ويعملوا صالحا ، ليحصلوا على الأجر ويأمنوا من الخوف ، وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات ، ولم تطلب الآية منهم أن يؤمنوا بالنبى وما أنزل عليه حتى يحصلوا على الأجر ويأمنوا من الخوف وقد أساء هؤلاء فهم الآية فضلوا عن سواء السبيل ، وباءوا بغضب من الله لانحرافهم بذلك عن حقيقة الاسلام .

(الآية تدعوهم الى الايمان بالله)

لو كان ما عليه أهل الكتاب والصابئة ايمانا بالله لم يشترطه القرآن عليهم لكى يحصلوا على

الأجر وينجوا من الخوف ، ولكان نظم الآية هكذا : ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ـ من عمل منهم صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ ولكنه اشترط عليهم الايمان بالله واليوم الآخر بقوله « **من آمن بالله واليوم الآخر** » لكى يحصلوا على الأجر كما يحصل عليه المؤمنون الذين صدرت بهم الآية ـ فكأن النص يقول ـ ان الذين آمنوا بالله ورسوله ، وكذا اليهود والنصارى والصابئون لو آمنوا بالله ايمان المؤمنين ، بأن دانوا بشريعة التوحيد التى أصلحت ما أفسده أهل الأديان ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. فالآية فى الحقيقة دعوة لهم الى الايمان بالله ايمانا نظيفا من الشرك والولدية والوثنية ، وترك ما هم عليه من الأفكار الخاطئة فى الله تعالى ، وترك الديانات التى انتهت بهم الى عقائدهم الفاسدة ، والاستجابة الى دين الحق الذى أصلح ما أفسدته الأديان ، اذ يناديهم بقوله سبحانه فى سورة آل عمران « **يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » أى أنهم ان لم يستجيبوا الى ما دعاهم اليه من دين التوحيد وترك ما هم عليه مما ينافيه ، فانهم بذلك لا يكونون مسلمين ولا مؤمنين بل كافرين خالدين فى النار ، وأشهدهم على أن المسلمين هم الذين دانوا بدين التوحيد ، وهم محمد وأصحابه .

وقد توعدهم على كفرهم بآيات الله بقوله تعالى لرسوله فى سورة آل عمران « **قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ٩٨** » كما توعدهم على صدهم عن سبيله بقوله له ايضا « **قل ياأهل الكتابلم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون** » .

عقائدهم فى الله أبعدتهم عن الايمـــــان بـــه ..

يقول الله تعالى فى ســـورة التوبة «**وقالت اليهــود عزير ابن الله وقالت النصارى المسـيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبــل قاتلهم الله أنى يؤفكون** » ويقول فى سورة المائدة « **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للنــاس اتخذونى وأمى الهين من دون اللـــه قال ســـبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمتــه تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمــرتنى به أن اعبـــدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شـــــهيدا مادمت فيهم فلمـــا توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد**» .

واليهود يعتقدون أن الله تعالى يخطىء ويصـــيب كالبشر ، فاذا تبين له خطـــؤه نـــدم وبكى ، ويزعمون أنه ندم على الطـــوفان الذى أهلك به عصارة البشر ، وأنه يبكى من أجل هذا الخطأ ، كمـا يزعمون أنه صـــارع يعقــوب حتى الفجر ، ولم يستطع الافلات منه الا بعد ان ضربه فى حق وركه ، وأصابه من أجل ذلك بعرق النسا ، وأنه تعالى غير اســمه من يعقوب الى اسرائيل لشـــجاعته وجهاده ومصـــارعته لربه ــ هكذا قالت التوراة ــ فانظر ســفر التكوين . اصحاح ٣٢ فقرة ٢٣ ــ ٢٨ .

والايمان بالله فى الاســـلام لا يبيح مثل هــذا الاعتقاد فى الله ويرفضه ويكفره ، كما أن العقــل المســتقيم لا يقبل أن يغلب البشر خالق الكون ، ولا يوافق على هذا العبث الماجن ، حيث تصـــــور التوراة المقتدر الجبار بمصـــارع عابث وواهن عاجز لا يستطيع أن يفلت من البشر الذى يصـــارعه الا بعد أن يضربه فى فخذه .

والنصارى تخبطوا فى شـــأن المســيح ، فجعلوه ابن الله تارة ، وثالث ثلاثة تارة ، وجعلوه هو الله تارة أخرى ، واعتقدوه فى كل هذه الصورشخصا ساذجا ضعيفالفكر،

اذ يسلم نفسه لخصومه اليهود ليصلبوه ويقتلوه على زعم تكفير خطايا البشر ، مع أنه يضاعف ذنبهم بتمكينهم من قتله ، فى حين أنه يستطيع العفو عنهم دون أن يرتكبوا اثم قتله ، وكيف يستطيع البشر قتل الههم أو ابن الههم ، وكيف كان حال الكون حين قتله ، ومن كان يدير شئونه بعد قتله وقبل قيامه من الموت .

وكيف يستقيم أن عيسى هو الله ، وقد جاء فى أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم ، أنه خاطب الله تعالى وهو مصلوب قائلا « ايلى ايلى لما شبقتنى » أى الهى الهى لماذا تركتنى لليهود ليصلبونى ويقتلونى .

لقد أنكر القرآن عليهم كل ذلك وحكم بكفرهم ، وقضى بعقابهم ، قال تعالى فى سورة المائدة **« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ٧٢ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ٧٣ »** .

وحسبك هذا القدر فى تصوير الايمان بالله عند أهل الكتاب ، دون أن نعرض لتفاصيل أخرى ، ومعلوم أن العهد القديم موضع التسليم من اليهود والنصارى ، وحسبك فى الرد عليهم قوله تعالى فى سورة الزمر **« وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »** وقوله سبحانه **« ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »** وقوله **« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »** .

أما الصابئة فمع ايمانهم بالله ووصفه بالأزلية والأبدية ، يتوصلون الى عبادته بعبادة الكواكب كما نبينه ، ولما كان ايمانهم بالله مشوبا بالاشراك به فى

العبادة ، فانه لا يعتبر ايمانا به سبحانه ، ولهذا لا ينجى صاحبه من أشد العقاب ، قال تعالى « **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** » وقال « **ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية** » .

من لم يؤمن برسالة محمد فهو هالك

ضلال مبين أن يزعم أحد صحة الايمان بالله وكفايته فى النجاة مع الكفر برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فالكفر برسول الله كفر بالله الذى أرسله وتمرد عليه، ولهذا قال تعالى فى سورة النساء « **أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (١٥٠) . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١)** » فالله سبحانه لا يرسل رسولا الا ليطاع باذنه ويعمل بشريعته ، والا كان ارساله عبثا ، وتعالى الله أن يكون عابثا ، ولهذا قال سبحانه فى سورة النساء « **وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله (٦٤)** » وقال « **من يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠)** » وهذا النص شاهد بأن من يعصى الرسول فقد عصى الله .

واعلم أن شريعة كل رسول ناسخة للشريعة التى قبلها بما اشتملت عليه من أحكام جديدة تناسب الأمة التى شرعت لها ، وأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم — مع نسخها للشرائع التى سبقتها ، فهى عامة لجميع الخلائق ، منذ بعثته الى أن تقوم الساعة ، قال تعالى فى سورة الأعراف « **قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جمعيا** » وقال فى سورة النساء « **وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا** » وقال فى سورة سبأ « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » .

وقد صدقت رسالته صلى الله عليه وسلم رسائل النبيين قبله فيما اشتملت عليه من العقائد وأصول الأحكام ، قال تعالى فى سورة آل عمران « **نزل عليك**

الكتاب بالحق مصـــــدقا لما بين يديه » .

وكمـا صـدقت رسائل النبيين فيما جاء بها من الحق ، ردت ما جاء فيهـا من عبث العابثين وتبـديل المبدلين ، وبينت الحق فيـه ، ففي شأن عيسى ــ مثلا ــ قال تعالى فى سورة المائدة « **ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعـام انظـر كيف نبـين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون** » . ولهـذا كان القرآن مهيمنا على تلك الرسالات السابقة ومبينا لما فسد فيها ، كما قال تعالى فى سـورة المـائدة « **وأنزلنا اليـك الكتـاب بالحق مصـدقا لما بين يديه من الكتـاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جـاءك من الحق** » .

وحيث كان محمد من ربه عـلى هـذه المكـانة الرفعيـة ، فيجب الايمان بنبوته وعموم رسـالته ونسخها لما قبلها من الرسـالات التى عبث بها أصحابها ، ومن لم يفعل ذلك فهو كافر ومصـيره جنهم ، قال تعالى فى سورة النساء « **ومن يشاقق الرسـول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسـاءت مصـيرا** » وقـال سبحانه فىسورة البينة « **ان الذين كفروا من أهل الكتـاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية** » .

وقد بين القرآن أن الرسـول يشهد يوم القيامة على من كفر به فتسوء حالته ، قال تعالى فى سورة النسـاء « **فكيف اذا جئنا من كل أمة بشـهيد وجئنا بك على هؤلاء شـهيدا (٤١) يومئذ يـود الذين كفرو وعصوا الرسول لو تسـوى بهم الأرض ولا يكتمـون اللـه حديثا (٤٢)** » .

وحذرهم عاقبـة كفرهم بآيات الله الشاهدة على صدق رسـوله فقال فى سورة النساء « **ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضـجت جلودهم بدلنـاهم جلودا غيرها ليذوقوا العـذاب ان الله كان عزيزا حكيما (٥٦)** » .

كما حذر أهل الكتاب من كفرهم

به فقال فى سورة النساء أيضا **« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٤٧) »** .

أفبعد هذا البيان مستنبطا من آيات القرآن ، يتوهم أحد أن من يؤمن بالله ويكفر بمحمد يكون ناجيا ، ان من ينحدر الى ذلك الفهم الخاطىء هالك خالد فى نار جهنم والعياذ بالله رب العالمين ، **« فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون » وماذا بعد الضلال** سوى سوء المصير .

دعوة هرقل الى الاسلام ومدلولها

لا يوجد من هو أعلم بمقاصد القرآن ممن أنزل عليه القرآن ، وأنت — أيها القارىء الكريم — تعلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا هرقل عظيم الروم — وهو نصرانى يؤمن بالله ايمان النصارى به — دعاه الى الاسلام بقوله «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فان عليك اثم ، اليريسيين — أى عامة الشعب — **ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »** .

فأنت ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعتبر هرقل النصرانى على هدى ، ولهذا قال له : السلام على من اتبع الهدى ، ولو اعتبره على هدى لقال له : السلام عليك ، كما انه دعاه الى الاسلام ، لأن ايمانه بالله كايمان النصارى بعيسى ، وهو ايمان فاسد ، والاسلام جاء ليصلح ما أفسده أهل الكتاب ، وليأخذ بيد البشرية لتسلك الجادة الآمنة الى نعيم الخلود ، وتبتعد عن تيهاء الضلال ، وتتجنب عذاب السعير .

ولقد اختتم النبى صلى الله عليه وسلم كتابه الى هرقل بإنذاره بأنه ان تولى وأعرض عن الاسلام الذى دعاه وأمته اليه ، فان عليه اثم عامة الشعب فوق اثمه ، لأنه لم يبلغ دعوة الاسلام اليهم ، ثم نبههم الى توحيد الله والامتناع عن اتخاذ أرباب من البشر ، وختم كتابه اليه ، بأنهم ان أعرضوا عما دعاهم اليه ، فليشهد هو ومن معه من أهل دينه أننا نحن المسلون دونهم •

فاقرأ حديث هرقل فى صحيح البخارى — كتاب بدء الخلق ج ١ ص٥ — طبعة قديمة ، قبيل كتاب الايمان مباشرة ، وسترى فيه فصل الخطاب وهدى الحيران بمشيئة الله تعالى •

وكما دعا هرقل الى الاسلام دعا المقوقس عظيم القبط اليه ، ومن ذلك يفهم أن الاسلام الذى يدعو اليه القرآن ويأمن به صاحبه من النار هو الذى يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل ذلك يعتبر الايمان به وبالقرآن الذى أنزل عليه أساسا فى الايمان بالله الذى تكون به النجاة من الخلود فى النار ، ويعتبر الكفر به كفرا بمن أرسله وأيده بكتابه العظيم •

« أن الدين عند الله الاسلام »

هذه الآية تقتضى أن جميع الأديان الالهية ، تشترك فى معنى الاسلام وقواعده القلبية والعملية فأما معناه الذى تشترك فيه فهو المعنى العام ، وهو الاستسلام والخضوع لله رب العالمين ، وأما قواعده القلبية فهى الايمان بالله وملائكته وكتبه التى أنزلها على رسله ، وسلمت من تغيير أصحاب الهوى ، والايمان برسله جميعا دون استثناء أحد منهم ، ولا تفريق فى التصديق بينهم ، والايمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ، والايمان بالقدر خيره وشره •

وأما قواعده العملية المشتركة ، فالاعتراف برسول الأمة ، وبجميع الرسل — سابقهم ومعاصرهم ولاحقهم — وأصول الشرائع والأخلاق ، من صلاة وصيام

وزكاة وبر للوالدين ، وحرمة العدوان بغير حق ، وغير ذلك من عموم الأحكام والعبادات ومكارم الأخلاق .

ومع اشتراك هذه الأصول العملية بين جميع الأديان ، فانها تختلف فى صورها وأحوالها ، لكى تناسب عصرها وأمتها ، فالصيام فى شريعة أمة ، يختلف فى كيفيته ووقته ومقداره عنه فى شريعة أمة أخرى ، والصلاة فى أمة قد تختلف فى كيفيتها وشروطها وأوقاتها عنها فى أمة أخرى ، والزكاة فى أمة قد تختلف فى أنواع الزكويات ومقدار النصاب ومقدار الزكاة ووقت اخراجها عنها فى أمه أخرى ، الى غير ذلك فالأمور المشتركة من العقائد وأصول الأحكام تمثل الاسلام المشترك بين الأديان السماوية ، وهو الذى يعنيه قوله تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» وكل ما خالف تلك الأصول فهو من وضع أصحابه كادعاء البشرية فى الله وأن له ولدا وأنه ثالث ثلاثة الى غير ذلك من الفساد فى الأصول .

وكل دين بأصوله المشتركة ، وبفروعه وتفصيلاته الخاصة به ، يمثل الاسلام الخاص بأمته وبرسوله ، ويسمى كل من النوعين اسلاما ، لما فيه من الاستسلام والخضوع لله رب العالمين .

وشريعة كل رسول تنسخ شريعة من قبلها فى أمة هذا الرسول ، وتوجب على أمة أن يدينوا بها ويتركوا الشريعة التى قبلها ، لما فيها من تغييرات تناسبها وفى ذلك يقول الله سبحانه « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فان لم يفعلوا فهم برسولهم وبرسالته كافرون ، كما حدث من بنى اسرائيل حين رفضوا رسالة عيسى « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » .

ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يبلغ الناس عموم رسالته فقال « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » وأيد ذلك بقوله « وما

أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

كلمة عن ديانة الصابئة

فى سهول الموصل جماعة يسمون الصابئة ، يؤمنون بأن الخالق واحد أزلى ، لا أول لوجوده ولا نهاية له ، منزه عن عالم المادة والطبيعة ، وهو الذى أوجدها ، ولكنهم مع هذا يتقربون اليه بعبادة الأفلاك والكواكب ، زاعمين أنها أقرب الأجسام المرئية الى الله تعالى ، وأنها حية خالدة ناطقة ، وأن كل ما يحدث فى العالم يكون على حسب ما تجرى به الكواكب حسب أمر الله لها ، فعظموها ثم جعلوا لها تماثيل وأصناما ترمز اليها فعبدوها ، فهم كالمشركين الذين عبدوا الاصنام لتقربهم الى الله وبما أنه تعالى لم يقبل من المشركين اعترافهم بالله خالقا ، مع اشراكهم غيره معه فى العبادة ، فكذلك الصابئة لا يقبل الله منهم اعترافهم بأنه هو الخالق مع اشراكهم غيره معه فى العبادة ، قال تعالى **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** فالله سبحانه يرفض الوسائط فى عبادته بقوله **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** ويقول فى الحديث القدسى **« أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه »** والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى

الطير

* * *

نظرات هادفة :

عالم الدين عندنا وعندهم

للدكتور محمد رجب البيومى

قرأت قديما قصة البؤساء التى كتبها الاديب الفرنسى الأشهر فيكتور هوجو ، ثم شاهدتها تمثل معربة على الشاشة البيضاء بمصر ، فرأيت رجل الدين المسيحى يأخذ بين أبطال الرواية أرفع مكان اذ تجلى فى أنبل المواقف الانسانية وأقربها الى معانى الايثار والكرامة والتضحية والاحساس حين صوره المؤلف الكبير فى صورة الانسان المثالى الذى يلقى كلمة الله فيواسى المنكوب ويعمل على اسعاد الفقير ويمسح دموع الأيامى والثواكل ، وهو بهذا يقدم رحمة الله للبائسين والتعساء ، وقد رسمه الكاتب فى عدة مشاهد تنطق بهذه المعانى لا فى مشهد واحد !

وأذكر منها موقفه الرائع حين ولج الكنيسة لص مجرم أخذ يجمع التحف ويسرق السجاد والبسط ، وقد عثر عليه الخدم فى لحظاته الأخيرة فاقتادوه مكبلاالىالشرطة وعلم رئيس الكنيسة بالامر فبادر الى المجرم ، وفهم من قصته أنه فقير لا يجد قوت اطفاله ، فسعى الى العفو عنه ، وقدم له من العطاء الجزل ما يفى بحاجته ثم أخذ يقدم له نصائح الحياة ، فى وعظ عملى مؤثر حتى رده الى دنيا العفة والكرامة ، وهكذا شاء الأديب الفرنسى أن يقدم لقرائه ومشاهديه رجل الكنيسة فى أعطر أفق ، وأوسع مرأى وكأنه عندهم ملك لا انسان •

أثار هذا المشهد الرائع فى نفسى

خواطر أليمة ، حين تذكرت موضع عالم الدين الاسلامى لدى نفر كبير من كتاب المسرحية العربية اليوم ، اذ دأب الكثيرون على انتقاصه زورا ، والصاق المثالب به بهتانا وقد يفجر أحدهم فجورا يكذب به على الله وعلى الناس حين يعمد الى مشعوذ أمى فيلبسه عمامة ، ويطلق له لحية ثم يجعله واعظا داعية فى الظاهر ليطلع الناس منه على باطن دنىء كله احتيال وعهر وتسفل ، وهو بعد صاحب عمامة يتلو آية ، ويقرأ حديثا ، ويتمتم على مسبحة ! حتى قدم علينا وقت لا نرى فيه غير أشباه من يسمون (بالشيخ متلوف) فى مذهب هؤلاء ، وهو آدمى هزأة ضحكة يلبس العمامة والقفطان ليرفه عن الحاضرين بحركات صبيانية واشارات بهلوانية ثم ينطق بلغة بين الفصيحة والعامية، يتقعر فى حروفها ، ويتماجن فى نبرها ليثير الضحك من لغة الضاد أيضا ، وكأن الفصحى هدف آخر للمناوأة والمعاداة ، ثم تنتهى الرواية وقد أوحت ظلالها الكئيبة فى نفوس المشاهدين ، فزعزعت مكانة عالم الدين اذ لا يخلو أمامهم من أحد أمرين ، اما أن يكون عاقلا داهية فهو مراب ولص وفاجر ، واما أن يكون مجنونا مستهترا فهو مهرج بهلوان !

ذلك مزلق وبىء تسقط فيه الاقدام المغرضة سقوطا بعيد المدى سيىء المنقلب لانه فى أبسط نتائجه يوحى بأن الدين الاسلامى قد عجز عن تكوين علمائه تكوينا انسانيا يقدم المثل ، ويعطى الشاهد ، وهو تبعا لذلك أعجز من أن ينشىء أجيالا تفهم معنى الخير والرحمة وتسعى بالتسامح والهداية بين الناس ، وأنا لا ادعى العصمة لعالم الدين ، اذ أنى اعرف أن كل طائفة من الطوائف تضم الخبيث والطيب ، وتجمع الصالح الى الطالح • ومع ما أعرفه من ذلك فانى أقرر أن نسبة الشاذ بين رجال الدين فى الاسلام لا تقاس اطلاقا بنسبة المنحرف من غير رجال الدين بمعنى أن المنحرف من علماء الشريعة يمثل

الاستثناء النـــــادر لا القــاعدة المطردة ، اما الطوائف الاخــرى فنسبة المنحرفين فيها لا تســمح بالموازنة بحال ، فماذا يريد هؤلاء المفترون حين يصممون على تشويه عالم الدين ، وكأنه وحده هــدف لكل تجريح .

نحن نعرف أن الاســقاط مــن الحيل العدوانية لــدى الانسان ، ومعناه أن يرمى الانسان غــيره بدائه لينجو مــن التثريب ، واذا كان عالم الدين هو الهــادى الى البر ، والداعى الى المعــروف ، والمندد بالشرفان هؤلاء النفر من الكتاب يجدون راحة نفسية فى أن يظهروه فى غير مظهره ، وكــأنهم من ناحية أولى يريدون أن ينتقموا لأنفسهم من هــذا الذى يحذرهم

عقوبة الله اذ ينقد مســالكهم المشبوهة على رءوس الأشــهاد ، ومن ناحية ثانية يقولون للنــاس لا تصدقوا أن مبادىء الاســلام وأخلاقه الرفيعة شىء عملى يتاح فى الحياة ، ولكنها مسائل نظــرية تقال فقط ! ولو وجدت تطبيقهــا عند أحد لوجدته عند علماء الدين ، وهاهم هؤلاء أمامكم كما يعرضهم الفنانون !

هذا التواطؤ المنكر على تشويه عالم الدين ! لا يقف عند اصطياد الهفــوات العــابرة لتضخيمهــا وتجسيمها كى تذاع على النظارة بألف مذياع ، ولكنه يعمــــد الى مواقف الكــرامة المثاليــة لــدى الأفذاذ من العلماء ليشوه وسامتها الرائعة بعــد أن بهرت العيــون وملكت الألبــاب ، وتلك وقاحــة سافرة تتطلب التأديب دون مراء . وواضح أننا لا ندعو الى الاطراء الباطل ، ولكننا ننكر ان يكون عالم الدين وسيلة للاسقاط الدنىء لدى أناس يسرهم ان تكون الرذيلــة قاسما مشتركا بين الجميع ! ولكى اوضــح ما أعنيه مــن الاطــراء المنصف ، استشهد هنا بشخصية العز بن عبد السلام لنــرى كيف نظر اليها روائيان مختلفان !

كان العز بن عبد السلام سلطان العلماء فى عصره ، وكان من المهابة والعزة والكرامة والتجلــة بحيث

أصبح بعض من عناهم شوقى حين قال :

كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا وأبهى مظهرا
من كل بحر فى الشريعة زاخر
ويريكه الخلق العظيم غضنفرا

وقد كان بطلا روائيا فى قصة واسلاماه للاستاذ على أحمدباكثير رحمه الله وفى قصة السلطان الحائر للاستاذ توفيق الحكيم ، فلننظر الى ما صنع الكاتبان :

لقد كان الاستاذ باكثير رحمه الله رجل صدق واخلاص وفن ! فقد قرأ تاريخ العز ورأى من شجاعته الرائعة فى مواجهة الطغاة ثم فى مقاومة الصليبيين والتتار معا ، ما كاد يعز نظيره فى عشرات الاجيال ، فعرف أن مواقف الرجل العظيم بحقائقها المذهلة تغنى عن كل خيال فالكاتب عادة لا يلجأ للخيال الا ليزين الواقع ويجمله ويقربه من الخواطر والأذهان ، فاذا كان الواقع نفسه أبهر من الخيال ، فان الكاتب رحمه الله قد جعل من واقع العز بن عبد السلام مجال امتاع خصيب يرضى العقل ويغذى الشعور ويحيى الوجدان ، ولذلك جاءت قصته البارعة « وا اسلاماه » آية للسائلين !

اما الاستاذ توفيق الحكيم فلم يكن رجل صدق واخلاص ، ولكنه كان رجل فن فقط ، اذ جعل العز ابن عبد السلام رجل كفاح ونضال وعزة فى بعض مواقفه ، والى هنا فالكاتب صادق لم يتخيل ما يشين، ولو دار فى هذا المدار وحده لمضي بخط باكثير من الاتقان ، ولكنه افترى على الحق حين جعل العز عاشق غانية يلين لها ويتوسل !! وما هكذا كان العز ولن يكون وقد كان هذا الانحدار الشائن مدعاة غضب عنيف من الفاقهين ، واذكران المغفور له الاستاذ أمين الخولى قد نقد هذا الاسفاف بجريدة الاهرام نقدا ساطع الدليل ، واضطر الاستاذ توفيق أن يلتمس من يدافع عنه فقال من يبرر مسلكه : ان الروائى لا يتقيد بالتاريخ وانما يريد ان يصور النفس البشرية ، ولكل نفس مهما ارتقت مثالب ومحرجات والعزوان لم يكن فى تاريخه ما يوحى بهذا

المسلك ، فهو بشر ينتظر ان يحدث منه هذا وان لم يحدث !! وهـذا كلام باطل لأن العـز وأمثاله قد تغلبوا على النوازع المنحـدرة وعاشوا فى أفق الطهارة ، فمحاولة الصاق التهم بهم بدعوى أنهـم معرضون لها كبشر ، محاولة هابطة ولها دلالة خبيثة لا تشرف كاتبـا كالحكيم ونحن نسأل الكاتب بربه أيرضى لنفسه ان يجعل منه كاتب آخر بطلا روائيا يصـور السرقة والزنا بدعوى أنه بشر يتعـرض للانحـدار !! واذا كان لا يرضى لنفسه هذا وهو باريسى «متفرنج» أفيرضاه لسلطان العلماء العز بن عبد السلام ! انا لا أتردد لحظة فى ان أقول ان هذا الذى يتجه هذا الاتجاه ممن يتسـترون بالفن ليلصقوا التهم بالشرفاء أحد الذين عناهم الله عز وجل حين قال :

« ان الذين يحبون أن تشـيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ان تاريخ علماء الاسلام عـلى مد عصوره يفيض بسـير أعـلام أئمة ، يصلح تاريخ الواحد منهم أن يكون تـاريخ عصره جميعه ، فأنت اذا تحـدثت عن تاريـخ سعيد بن المسيب أو الحسـن البصرى أو مالك بن أنس أو أحمد ابن حنبل فى قصص تاريخية، تقوم كل قصة على تصوير مواقف العزة والمروءة فستجد من هؤلاء وأمثالهم ما وجده الأستاذ على باكثـير فى العز بن عبد السلام ، وكتـابة تاريخ هؤلاء الافذاذ فى ثـوب قصصى واجب مفروض عـلى المخلصين من رجال القصـة لأن تراجم هؤلاء فى كتب الطبقـات لا تتيسر للشبيبة المتطلعة فى عصر المسرح والسينما والتليفزيون وان قراءة قصة غـرامية أو حكاية بوليسية لأفضل لديهم من صحف قديمة تتحدث عن القدماء ! فـاذا ما نهض فضلاء من أمثال باكثـير رحمه الله لتسجيل حيوات أئمـة رفعوا كرامة العلم وأعزوا كلمـة الاسلام فسيعلم جمهرة القارئين كيف كان عالم الدين فى الاسـلام وكيف يتحدث عنه المتحدثون .

أذكر أن فقيد البيان العـربى

الاستاذ مصطفى صادق الرافعى رضى الله عنه قد كتب فى أوائل الثلاثينيات بقلمه الساحر سير نفر من الائمة على صفحات الرسالة وقد جمعت فيما بعد فى وحى القلم فجذبت الانظار الى نوع من الأدب الاسلامى الحى ،ونفر من حملة الاصلاح الدينى أدوا رسالتهم الحية فى محاربة الشهوات وكانوا بسيرهم الطاهرة موضع الاسوة لمن ينشدون عزة النفس وشرف الحياة ، ولكن أسلوب الرافعى من القوة والعمق والدقة والايغال بالمكان الذى يرضى الخاصة ويعلو على العامة، ولابد لاكمال رسالته فى هذا المضمار من أن تعاد سير هؤلاء الأفذاذ مرة أخرى فى قالب روائى أخاذ ، وأن يقوم بكتابتها جماعة فهموا روح الاسلام فى تنشئة علمائه وابداع حكمائه ، وحين تنتشر هذه السير الرفيعة بين المجتمع المعاصر يستطيع عالم الدين اليوم أن يمثل دور سالفه الغابر ، وقد عرف مكانه الطبيعى من القيادة البصيرة والهدى المستنير ، كما تحتم على المجتمع أن يعلم أن عالم الدين شمس تضىء لا رجل يحتال ويختل ويسف ليعيش !

لقد صدر عن مارتن لوثر وحده فى أوربا اكثر من عشرين رواية أدبية تتحدث عن اصلاحه الدينى كما صدرت روايات هادفة عن اغسطن وكلفن وتوماس ألا كوين ثم رسم هيجو واضرابه صورا زاهية لأناس متخيلين لا حقيقيين يمثلون الشخصية المحترمة لعالم الدين فاذا كان كتاب الرواية عندنا اليوم يقلدون أساتذتهم الأوروبيين فيما يعالجون من فنون • فلماذا لايقلدون صنيعهم المثالى فى تقدير الرسالة الحية لعالم الدين ! ان كان لابد من التقليد المترسم لدى أناس يرون طريق الغرب أقوم سبيل •

د • محمد رجب البيومى

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رءوف شلبي

كل النظريات الاقتصادية تحاول أن تقدم لشعبها خدمة بقدر مايرى علماء النظرية مقدار هذه المصلحة لبلادهم .

* فالتجاريون حين زعموا أنهم فسروا كمية الثروة لدى كل أمة بالمقدار الذى تملكه من النقد استخدموا هذه الفكرة لتنشيط التجارة الخارجية بوصفها الأداة الوحيدة لجلب النقد الاجنبى وذلك من أجل خدمة اقتصاد بلادهم ورفاهية شعبهم ولذلك نراهم يضعوا معالم سياسة اقتصادية تؤدى الى زيادة قيمة البضائع المصدرة على قيمة البضائع المستوردة من أجل تحقيق عمل تجارى يزيد فى جلب النقد الأجنبى الى البلاد .

* والطبيعيون من بعدهم يفسرون الثروة بأنها الانتاج الزراعى وحده وأنه هو الذى يكفل تنمية الثروة دون التجارة والصناعة وأيضا كان ذلك خدمة لبلادهم من أجل ازدهار الزراعة وتقدمها لأنها فى نظرهم قوام التجارة والصناعة .

* ولما رأى الغربيون أن محاولاتهم كلها لم تحقق الأمل المنشود ورأوا أن الشرق العربى والاسلام هو خزانة المال ومصدر الثروات طلعوا علينا بنظرية « مالتس » التى تزعم أن : نمو البشر أسرع من نمو الانتاج الزراعى وذلك يؤدى حتما — حسب زعمه — الى مجاعة هائلة فى مستقبل الانسانية وذلك بسبب

زيادة الناس على المواد الغذائية ووجد الحل الذى يريح البشرية من هذه الفجيعة هو تحديد النسل وراحت البلاد التى تعانى من كثرة الأيدى العاملة تنادى بفكرة تحديد النسل .

وتلقف الاقتصاديون فى البلدان العربية والاسلامية نظرية « مالتس » وروجوها ، وزج علماء الاجتماع بأبحاثهم فى الميدان ثم زج السياسيون بسطوتهم فرض تحديد النسل كعمل قومى وراحت البلاد التى تعانى من قلة الايدى العاملة تنادى كذلك بفكرة تحديد النسل ، واعتبروا ذلك حلا .

ثم دس الاشتراكيون أنوفهم المزكومة فى ميدان الاقتصاد رغم أنهم فاشلون فيه زراعيا وصناعيا — وزعموا انهم كشفوا القوانين الطبيعية التى تتحكم فى التاريخ وقالوا بحتمية الصراع بين الطبقات ، وحكم البوليتاريا ومن العجيب أن صاحب النظرية كان يعيش فى انجلترا عام ١٨٤٨ م ابان حملة العمال الانجليز وثورتهم من أجل الأجور واستطاعت الحكومة البريطانية حل الازمة عن طريق التشريع وانتهت ثورة العمال الى الابد ولم تتحول بريطانيا الى دولة شيوعية ، رغم أن ماركس كان يكتب ورقاته ابان ثورة العمال فى انجلترا وشاهد حلها لكنه كان « رجماسيا » فاسد المزاج ، ديكتاتورى الرأى فلم يعبأ بما حدث واستمر يكتب الورقات وها هو التاريخ يقرعه فى قبره فى لندن ان العمال فى انجلترا لم يحولوا بريطانيا الى دولة شيوعية كما كان يحلم صاحب السخيمة الاحمق .

ومع هذا يجنح حكماء العرب الى موسكو ظنا منهم أن كعبة المال السخى والمدد الممدود سوف تغرقهم فى نعيم الاشتراكية .. ومع الحفاء الذى تعانيه الشعوب الاشتراكية والمرض والجهل ، ومع الظلم والبغى فما زالت حفنة منهم تظن أن الحل النبيل هو فى النظام الاشتراكى .

وان النتائج المذهلة التى ترتبت على اقتصاد فاشل فى الغرب وفى

الشرق الشيوعى قد جعلهـا قومنا محاور للاصـــلاح الاجتماعى والاقتصادى .

(أ) فالاشتراكية الفاشـلة فى نظر بعض حكام الامة العـربية والاسلامية هى عندهم طـريق الاصلاح الاقتصادى .

ولقد جربت الشيوعية وكان من حصيلة تجربتها : —

(أ) مصانع متخلفة لا تصـلح للعمل .

(ب) عمالة فاسدة لفشل المصانع فى تحقيق ارباح لرداءة منتجاتهـا وعدم قدرتها على سد الديون .

(جـ) دين باهظ يتراكم نتيجـة تخلف المصانع وسوء ادارة الانتاج وفساد التوزيع .

(د) بيوقراطية كسيحة جعلت الصناعة قزما .

(هـ) تعطيل طاقات العمـل الزراعى بتحويل عمال الزراعة الى المصانع لا من أجل الانتاج بل من أجل ايجاد جناح عمالى يستخدم فى المظـاهرات والمضـاربات السياسية .

فاذا أضيف الى هذا ما جـرته الشيوعية على بلادنا من : —

(أ) المعتقلات التى مازال اثرها الى اليوم فى نفوس شبابنا خوفـا ورعبا وعدم ثقة فى كثير من حياتنا المعاصرة .

(ب) تجميد الطاقات البنـاءة المتحررة فى نفوس المحبين للعمل الاقتصادى .

(جـ) ارهاب رأس المال الاجنبى من دخول البلاد خوفا من المصادرة والتأميم والحراسة .

(د) زعزعة الثقة فى نظام الحكم واشاعة سقوطه لا رجاف النقـد الاجنبى من دخول البلاد لتظـل البلاد فقيرة ليفرخ فيهـا الوباء الاشتراكى فان الاشـتراكية لا تعيش الا وسط أكوام المـرض والفقر والجهل والرذيلة .

ولهـذا فان الجنـوح الى الاديولوجيةالاشتراكية خطأ دينى أولا ، ووطنى ثانيـا لأنها نظرية فاشـلة لم تستطع أن تنجح مع

ما يحرسها من السلاح المدجج والسلطان المستبد .

ب : وتحديد النسل كنتيجة أوربية دعا اليها ديكلردو لمعالجة قضايا العمال كان يراعى فيها :

* ضيق الارض فى البلاد الأوربية .

يضاف الى ذلك : —

* ضيق التدين فليس لديهم دين يعطيهم مفهوما كاملا عن الكون والرزق وقدرة الله .

* والتطلع الاستعمارى لبلاد العرب والمسلمين لكثرة خيراتها ، ولن يمكنهم ذلك الا اذا اضعفت فى العرب والمسلمين القدرات العقلية الفياضة وذلك يتأتى عن طريق تحديد النسل .

وتحديد النسل خرافة لأن الله جل جلاله هو الكبير المتعال وهو الفعال لما يريد ، وان الله بالغ امره فأية قوة تستطيع أن تحدد ما قرر خلقه ، أو تقف دون ارادته، أو تناوىء قدرته ؟ كلا وألف كلا .

ولست أريد أن أعرج على أدلة الدين فى هذه القضية بل سأعرج على افتراض عقلى صرف وهو لو فرضنا أن الله اراد أن يوجد فى عام ١٩٨٠ مليون نسمة فى مجتمع معين وأراد أهل المجتمع أن يحددوا النسل فعقموا ثلاثة أرباع النساء فيه أفلا يمكن أن يوجد الله هذا المليون من بقية النساء .. ؟؟

ولقد فشلت جميع وسائل تحديد النسل الا وسيلة واحدة هى العقم فهل تستطيع الحكومات ان تغامر بهذه المخاطرة .. ؟؟

ان تجربة الاشتراكية فى العالم العربى والاسلامى تشير الى خطأ ممارسة أتباع هذه الايديولوجية .

وان الدعوة الى تحديد النسل تبعية الى اديولوجية اقتصاد غربى

---

(١) يراجع فتح البارى جـ ٥ ص ٣١٥ ، ٣١٠
وكتاب أحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٥١ ، ٥٢
وكتابنا استوصوا بالنساء خيرا ص ١٢٠ ، ١٠٣

فاسد فاشل وكلاهما فاسد وكلاهما خاسر لان الله تبارك وتعالى حكم منذ الازل .

ان الله لا يصلح عمل المفسدين .

فهل من توبة نصوح عسى ربنا أن يرحمنا ويرزقنا من حيث لا نحتسب فان قوله صدق **« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .**

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شىء قدرا » .

الخاتمة

الامكانات العربية فى مواجهة التحدى الخارجى

تقع الامة العربية فى منطقة استراتيجية هامة فهى مركز الاتصال بين القارات وهى كذلك مصدر تمويل للعالم بكثير من المواد الأولية التى تقوم عليها الحياة الصناعية بل والاجتماعية فى أوربا واليابان وأمريكا .

لقد كانت الامة العربية فى بدء القرن العشرين فقيرة وكانت ممزقة للسطو الاستعمارى عليها .

واليوم وقد اظهر الله ثراءها الباهظ فى الموارد الطبيعية وفى النقد الحر ، وفى القوة البشرية وفى العلم والبحوث .

* ففى الامة العربية مساحات بالملايين لما تزرع حتى الآن وفى السودان وحده ٢٠٠ مليون فدان صالحة للزراعة وتحفها المياه من النيلين الازرق والابيض .

وفى العراق وسوريا حوالى ٣٠ مليونا وهذه امكانات معطلة ، تحتاج الى وحدة فى الضمير تجمع شتات الامة العربية بنية خالصة لاستثمار هذه المساحات لتغطية حاجات العالم العربى والاسلامى من الغذاء .

فالمعركة المعاصرة ليست معركة سلاح بقدر ما هى معركة تجويع .

* وفى الأمة العربية طاقات هائلة من البترول والغاز الطبيعى . والمعادن الاخرى ففى الجزائر : معادن الرصاص ، والزئبق ،

والنحاس ، الحديد ، الفوسفات وبها ١٠٪ من الغاز الطبيعى الذى يغطى احتياجات العالم •

وفى دولة الامارات العربية المتحدة: بترول يستخرج يوميا من حقوله ٢ مليون برميل •

وفى الكويت : بترول يقدر بـ ١٠٠ مليون طن سنويا بالاضافة الى المعادن الكيماوية •

وفى ليبيا : يقدر البترول المستخرج من الحقوق سنويا بألف مليون برميل •

وفى المغرب : معادن الزنك ، والحديد ، والفوسفات والمنجنيز ، والفضة والفحم وهى مصدر طبيعى للأسماك •

وفى قطر : يقدر انتاج البترول سنويا بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار بالاضافة الى الحديد ، والغاز الطبيعى ، وبعض المحاصيل الزراعية •

وفى السعودية : الرخام ، والنحاس ، والحديد ، والاسمنت وبلغ دخلها من البترول عام ١٩٧٤م ٤١٧ بليون دولار •

وفى مصر : الغاز الطبيعى ، والبترول ، والزراعة ، وقناة السويس والمحاصيل الزراعية •

يضاف الى هذه الامكانات امكانات استراتيجية فالامة العربية هى صاحبة البحر الاحمر وهى المتحكمة فى مضايق البحر الابيض المتوسط والخليج العربى فما الذى يجعل الامة العربية عضوا فى دول العالم النامى ؟؟

أرأيت لو أن هذه الامكانات مع اسرائيل ماذا كانت تفعل ؟

ان العالم العربى يسأل يوم القيامة عن ضياع أرضه وأمته وعن فقر شعوبه لأن الله :

* اختار له الاسلام دينا وهو منهج حياة عليا •

* اختار له الموقع الاستراتيجى الهام •

* وأعطاه من الامكانات مالا معذرة معها •

* وجعل فيه من القوة البشرية

ما يكفى لاقامة حضارة رائعة فى السياسة والعسكرية والرخاء ، والعلم والأمن الدولى .

فلم يذهب العرب الى روسيا أو الى أمريكا أو الى أوربا .. ؟؟

ان العرب سيسألون يوم القيامة عن كل هذه النعم وعن رسالتهم فى الحياة فبماذا يجيبون ؟؟

ألا هل بلغت اللهم فاشهد

دكتور : رءوف شلبى

تضع ست توائم بنات

نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٠/٦/٣٠ بأن سيدة فى مدينة طما محافظة سوهاج قد وضعت ست توائم بنات وجميعهن فى حالة صحية جيدة .

من مراجــع البحث

* **القــرآن الكريم**

* **فتح البارى : شرح صـــحيح البخارى** — المطبعة السلفية

* **كتاب الخــــراج : للقاضى أبى يوسف يعقوب ابن ابراهيم** — المطبعة السلفية

* **الربا فى نظر القانون الاسلامى** — للمرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز

* **المال والحكم فى الاسلام** — للشهيد الاستاذ عبد القادر عوده

* **خلاصة الاقتصاد السياسى** — الدكتور حسين على الرفاعى

* **تاريخ أوربا الاقتصادى** — دكتور أمين مصـــطفى عفيفى عبد الله واخر .

* **اقتصـــادنا** — العلامة محمد بافر الصدر

* **الاقتصاد الاســلامى** — للمرحوم الدكتور عيسى عبده

* **التضليل الماركسى** — دكتور : رءوف شلبى .

* **العمل الاقتصادى من وجهــة نظرا الاسلام** — دكتور : رءوف شلبى .

* **المبادىء الاقتصادية فى الاسلام** — دكتور : على عبد الرسول .

* **فى الاقتصاد الاسلامى** — المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربى

* **العدالة الاجتماعية فى الاسلام** — الشهيد سيد قطب

* **النظام المالى فى الاسلام**	المرحوم العلامة أبو الاعــــلى
* **الربــــا**	المودودى
* **النظرية العامة فى الاقتصاد**	ترجمة نهاد رضا ــ تأليف جون ميركنز
* **فى مبادىء الاقتصــاد**	دكتور : محمد خليل برعى
* **الاسلام والاوضاع الاقتصادية**	العلامة الشيخ محمــد الغزالى
* **التكافل الاقتصادى فى الاسلام**	دكتور : على عبد الواحد وافى .
* **الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة**	الاستاذ : محمد اسماعيل .
* **نظرة الاسلام الاقتصادية**	عبد الحميد أحمد ابو سليمان .
* **نظرية التوزيع**	الاستاذ رفعت العوضى .
* **السياسة المالية فى الاسلام**	الاستاذ عبد الكريم الخطيب .
* **الاسلام والتكافل الاجتماعى**	للاستاذ الاكبر الشيخ محمــود شلتوت .

الشعر الحديث والقصيدة العمودية

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

القصيدة العربية العمـودية ، التى يمتد عمرها الى آلاف السنين والتى ورثناها عن المهلهل وامرىء القيس وشعراء المعلقات .

— ١ —

القصيدة العربية العمودية هى:
التى نهج نهجها جميع الشـعراء على مدى العصور حتى اليـوم ، والتى أدت جميع أغراض الشعر والشاعر ، وخدمت جميع قضـايا العروبة والاسلام ، على اختلاف الأجيال ، والتى أكبرها الدارسون والعلماء والنقاد ، بل المستشرقون الذين ترجموها الى كل اللغـات العالمية ، حتى ان المستر : وليـم هونر أكبر قصيدة المعلقـات وترجمهـا الى الانجليزية ، ونوه بصورها وخيالاتهـا وبحيويتهـا أيضا ، ودعا الشعراء الانجليز الى خلق حركة تجـديد فى الشـعر الانجليزى تأثرا بها .. هـذه القصيدة خالدة ، وستبقى حيـة ومتجددة على مر العصور .

وموسيقى هـذه القصـيدة العمودية الداخلية والخارجيـة ، المتمثلـة فى الوزن والقافيـة ، صارت من الأصول الفنية للقصيدة العربية ، وصارت تمتلك ناحيـة

التأثير الكبير فى الجماهير العربية وتقود ثوراتها دائما الى التقدم والحرية •

ان مدائح المتنبى فى سيف الدولة مثلا ، لم تكن مجرد مدائح فى مناسبات طارئة ، انما كانت أغانى وطنية تمثل روح الشعب العربى العظيم ، فى دفاعه عن حرياته ضد الغزو البيزنطى لبلاده ـ فى القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى ـ وقصيدة أبى تمام مثلا فى مدح المعتصم بمناسبة انتصاره فى عمورية ـ فى اوائل العشرينيات فى القرن الثالث الهجرى ـ كانت تمجد البطولات الاسلامية الظافرة ضد جيوش بيزنطة فى سهول آسيا الصغرى •

ولم يمجد الشعراء العرب على اختلاف العصور الحكام بمقدار ما مجدوا الشعوب العربية فى حركتها المستمرة نحو الحضارة والتقدم ، وفى انتصاراتها ضد أعدائها فى كل مكان ••

وقد تطورت هذه القصيدة العمودية ، منذ وضع الخليل بن أحمد عروضها الشعرى ، فشملت الموشحات ، وشملت الأوزان المولدة الجديدة ، وشملت ضروبا من التجديد فى القافية أحدثته مدارسنا الشعرية المتعاقبة ، ومن أواخرها : مدرسة البعث ، ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ومدرسة شعراء المهجر •

بل نظم الشعراء العباسيون والأندلسيون الملاحم التاريخية ، ونظم من أتى بعدهم ملاحم فى السيرة النبوية ، ونظم الشعراء الصوفيون القصائد الصوفية الطويلة فى الحب الالهى ، ونظم شوقى البردة ، كما نظم ملحمته عن كبار الحوادث فى وادى النيل وملحمته الأخرى فى التاريخ الاسلامى العظيم فى كتابه : «دول العرب وعظماء الاسلام» •

ولم تضق القصيدة العمودية ـ التى ورثناها عن شعرائنا ، والتى لايزال ينظمها شعراؤنا العموديون حتى اليوم ـ صدرا بأية خاطرة أو فكرة أو غرض من أغراض الشعر والحياة ، حتى الملاحم والقصص الشعرية كتب فيها الشعراء قديما وحديثا •

ومع أن القصيدة، لابد فيها عند علماء الشعر من أن تكون أبياتها من بحر شعرى واحد ، وأن تلتزم فيها قافية واحدة ، فقد نظم الشعراء المحدثون من « مجمع البحور » كما فعل أبو ماضى فى قصيدته : « الشاعر والسلطان الجائر » ، وكما فعل غنيم فى بعض قصائده وكما فعل عزيز أباظة فى ملحمته : « من اشراقات السيرة الزكية » . بل كما فعل شوقى فى مسرحياته ، التى أبدع فيها كل الابداع ، ووضح بها أن الشعر العربى لايعجز عن نظم التمثيلية ولا يعجز عن الحوار وتمثيل الصراع .

وبذلك : صارت القصيدة يمكن أن تشتمل على عدة أوزان ، اذا تعددت مواقفها وأفكارها .

وعدد المعاصرون كذلك — من أمثال : مطران ،وشكرى ،وشعراء الديوان ، وأبولو ، والمهجر — القافية فى القصيدة الواحدة ، مجاراة لفن الموشحات الأندلسى ، وتحررا من سلطان القافية، وجعل الكثير منهم كل مقطع يمثل تيارا فكريا متميزا فى القصيدة ..

وبذلك : صارت القيود الفنية فى القصيدة ضيقة غاية الضيق ،أو قل : صارت سهلة غاية السهولة . مع أن الفن هو الفن لابد فيه من القيود ، والمثل الفرنسى يقول : « لايحيا الفن بغير القيود » ، بل ان الفن فى رأيه : هو العبور الى الانطلاق من خلال القيود .

والشاعر الموهوب لاتعوقه أبدا قيود الوزن والقافية ، كما يقول أبو شادى فى مقدمة ديوانه « الينبوع » :

« وفى تراثنا الشعرى نظام المسمط والأرجوزة والموشحة وعكس البحور ، ويضاف الى ذلك ماجد من أوزان شعرية ، ومن تنويع القافية والوزن فى القصيدة الواحدة ، مع بقاء الروح الشعرى والهيكل التراثى لها ، والموسيقى الحلوة الرفافة المؤثرة » .

ولاننسى : أن القصيدة العمودية بعروضها قد قلدها الشعر الفارسى والتركى ، بل والعبرى أيضا .. كما أنها استخدمت فى الشعر القصصى

والملحمى والمسرحى ، وبـذلك صارت مطواعة للتعبير عن مطالب الحياة ، وأقطار الشاعر .

وقد نظم الشاعر الفـرنسى : « لوبيس أراجون » بعض شـعره على نهج الشعر العمودى ، فقسم بيته الى مصراعين وقفاهما تقفية عربية ، وعد ذلك كشفا جديدا .

ـ ٢ ـ

ولقد حدث فى الثلاثين سـنة الأخيرة أن نظم شعراء الشـباب قصائد من الشعر الحر ، وبـدأت الدعوة الى هذا الشعر الحـر تظهر فى كتابات كثيرة ، بل لقـد غالى بعض الكتاب ، فـزعم أن عمود الشعر قد انتهى الى الأبد ، وانتهت معه القصيدة العمودية الى غير رجعة ، وانتهى معهما الشعراء العموديون بلا رثاء أو رحمـة !! كأنما هم أعداء لايستريح شعراء الشعر الحر الا اذا أجهـزوا عليهم .

هذه الدعوة تأثرت فى أكثـر الأمر بمذهب الشاعر الأمريكى : « والت هوتمان » الذى هجـر الأوزان فى معظم شعره ، ولـم يهتم بالقافية .

وكان بعض الشعراء فى أوربـا قد شـكوا فى ضرورة الـوزن للشعر ، وان لم يلق رأى هـؤلاء جميعا أنصارا كثيرين فى الولايات المتحدة ، وفى بلجيكا .

أما فى انجلترا وفرنسا : فلـم يصادفوا نجاحا يذكر .. وفى عام ١٩١٧ نشر « اليوت » : ديـوانا شعريا خرج فيه على نظام الشعر القديم وزنا وقافية .

وشـعراء الشعر الحر بـدءوا فقيدوا أنفسهم بالشكل الهرمى ، تفعيلة فى البيت الاول ، واثنتان فى الثانى ، فثلاث ، فأربع ، فخمس مثلا ، ثم يعـودون بالعكس الى نهاية القصيدة : خمس تفاعيـل ، فأربـع ، فثـلاث ، فاثنتـين ، فواحـدة .

ومن الشعراء الذين ينظمـون هذا الشعر الحـر من يتأثرون بالطريقة القديمة ، فيلتزمـون فى أحيان كثـيرة القافية ، كنزار والفيتورى ، ومنهم من يتركهـا كنـازك والسـياب فى أغلب شعرهما ..

وهكذا : صار الشاعر (الحر) لايتقيد بنظام التفاعيل العروضية، ولايقيد البيت بنظام الشطرين ، وكأن التفعيلة العروضية هى الاناء الموسيقى للشعر الجديد .. بل ان منهم من ترك التفعيلة نهائيا باسم التجديد ..

وهكذا : صار الشعر الحر تغييرا كاملا لنظام القصيدة العمودية ، وأضبح يحاول اسدال الستار على تراثنا الشعرى كله ، دون أن يملك الموسيقى أو العروض الشعرى الذى يبرر له أن يزعم ذلك ، ودون أن يملك زمام التأثير على الجماهير ، وعلى أذواق الشعب ومشاعره . ودون أن تصمد قصيدة من قصائده لروح الغناء والفن الأصيلة .

ومع ذلك صار هذا الشعر الجديد يحطم عمود الشعر العربى بقسوة وعنف مع أن جميع النقاد العرب فى القديم والحديث حذروا من الخروج عليه ، وعدوا ما خرج عليه من النظم ليس شعرا على الاطلاق .

الشعر فى أساسه فن ، والفنون هى القيود ، ويقول نيتشه : « الفن هو الرقص بالقيود والأغلال » .

وعمر الشعر الحر ثلاثون عاما، ولايملك أية قدرة خارقة على تحطيم الجبل الأشم الذى يمثل القصيدة العمودية ، واليوت الشاعر الانجليزى يقول : « اذا أردت أن تجدد فى الشعر فيجب أن تكون جذورك عميقة فى الماضى» .. وهذا هو الطريق الصحيحة للتجديد ..

هل صار شوقى وحافظ وعزيز أباظة وشعراء الثلاثينيات — الديوان وأبولو — بل ومن عاصرهم أو سبقهم من أعلام الشعر العربى على مدى العصور يستحقون منا أن نرجمهم بالحجارة وندعى أنهم غير جديرين بالخلود والتقدير من أحد ؟

لقد صاحب نشأة الشعر الحر دعوات لتحطيم عمود الشعر ، ونحن نعلم أن الشعر الحر قبل أن يظهر عندنا ظهر فى أمريكا وأوربا ، ونظم منه « اليوت ، وما يكوفسكى ، وهوتمان،وسواهم

كما نعلم أن فى أوربا مدارس أدبية تتبنى تحطيم القديم بحثا عن شىء جديد،من مثل: التعبيريين والعبثيين وغيرهما ، وفى مجموعة : (فجر الانسانية) التى أصدرها الشعراء التعبيريون صدى لذلك •

ان أرسطو يقرر فى كتابه « الشعر » أن الفنون الشعرية الكبرى لابد أن تستخدم كل أدوات المحاكاة ، من الايقاع والوزن والانسجام • بينما لم يستطع الشعر الحر اثارة القارىء ولا السامع ، لفقدانه الموسيقى الخارجية دائما ، وأحيانا كثيرة جدا يفقد الموسيقى الداخلية أيضا • وقد سماه العقاد وعزيز أباظة والزيات وصالح جودت ، وآلاف الدارسين والنقاد : الشعر المنثور • وعادت نازك الملائكة فى ديوانها الرابع (شجرة القمر) الصادر عام ١٩٦٨ تتنبأ بوقوف تيار الشعر الحر ، وبأن الشعراء لابد أن يرجعوا الى الاوزان الشطرية ، بعد أن خاضوا فى الاستهانة بها ، والخروج عليها •

ولها الحق فى ذلك بعد ظهور ما يسمى قصيدة النثر ، وبعد أن أصبح الغموض والرمز والمضامين الغريبة تحيط بالشعر الجديد احاطة السوار بالمعصم ، وبعد أن صار اهتمامه بالاثارة والرمز الاسطورى والتفكير الدرامى أكثر من أى شىء آخر •

لقد حدثنا السياب أنه هو وجماعة جلسوا يوما فى مقهى من مقاهى شارع أبى نواس فى بغداد •• وكتبوا قصيدة حرة ، توخوا فيها أن تكون خالية من أى معنى أو مضمون ، وبعثوا بها الى مجلة أدبية مشهورة ، بعد أن ذيلوها بتوقيع مستعار « سميرة أحمد العلنى » ونشرت المجلة القصيدة فى مكان بارز ، وجاء بعض أدعياء النقد فصنف الشاعرة سميرة التى ليس لها وجود ضمن الشعراء المبدعين من شعراء الشعر الحر ، وتنبأ لها بمستقبل مرموق !!

ولا يزال الهجوم على القصيدة العمودية صناعة كثير من الناس فهذا معين بسيسو يقول كما كتب فى صحيفة كبيرة : ان الشاعر

العمودى يرتطم صوته وتسقط قافيته ، ويجىء الشعر الحر كالصاعقة الكهربائية ، التى تلتهم القصيدة العمودية وتذروها رمادا » •

لقد ذكر العقاد أن سليقة الشعر العربى تنفر من الغاء القافية كل النفور ، كما تنفر من طرح الموسيقى فى شعر الشعراء الجدد •

ولطه حسين رأى مشهور نختم به هذه الكلمة ، قال : « ان التجديد فى الأوزان أو القوافى دعوة غير منكرة وغير جديدة » •• وبالطبع التجديد فيهما غير الالغاء •• ثم يقول : « والجدير بالبحث فى الشعر الجديد هو البحث عن توافر الأسس التى يجب أن تراعى فى الفن الشعرى ، والخصائص التى ينبغى أن تتحقق فيه ، ولا يمكن أن يعد هذا الجديد شعرا الا اذا قام على تلك الأسس ، وتوافرت فيه تلك الخصائص ، ولست أرفض الشعر لأنه انحرف عن عمود الشعر القديم أو خالف الأوزان ، (المخالفة خلاف الالغاء طبعا) التى أحصاها الخليل ، وانما أرفضه حين يقصر فى أمرين :

الأول : الصدق والقوة وجمال الصورة وطرافتها •

والثانى : أن يكون عربيا لا يدركه فساد اللغة ولا الاسفاف فى اللفظ • وقديما قال أرسطو : يجب قبل كل شىء أن نتكلم اليونانية • فلنقل : يجب قبل كل شىء أن نتكلم العربية •

وأقول مع عميد الأدب العربى: انه يجب أن يكون ما ننظمه ــ قبل كل شىء مما يصح أن يسمى شعرا •

د• محمد عبد المنعم خفاجى

التصوف والعلوم العصرية

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

مفهوم التصوف : ينبغى أولا على هذا الفهم هو الصوفى الحق ، تحديد مفهوم التصوف ، فقد يظن الكثيرون أنه شىء جديد فى الاسلام ، ولكنه هو جوهر الاسلام وحقيقته ، بل هو المنهج الامثل له ، لانه يعنى بتنقية الخلق ، وتهذيب النفس وتخليصها من شوائبها ، كما يعنى بمراقبة الله تماما ، ومحاسبة النفس فى دقة بالغة ، ويهدف الى التعرف على الله عن طريق أداء الفرائض والنوافل ، والاذكار فى أدب ودأب واخلاص وخشوع .

وباختصار : هو مقام الاحسان الذى ورد فى حقه الاثر الشريف : **« الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »** .

هذا هو التصوف ، وسالك طريقه أما غير ذلك : فهو اما جاهل بحقيقته أو منحرف فى طريقته ، وكلاهما لا يسمى صوفيا .

وبعد : فما العلم فى نظر الصوفية ؟

العلم فى نظر الصوفية **هو ما هداك الى الله لا ما أبعدك** عنه . والعلم فى رأيهم : خلق محض وتهذيب مطلق ، ويستوى فى ذلك النظرى والعملى .

والصوفية لا يعارضون العلوم الحديثة بفروعها المختلفة طالما كان الهدف من ورائها ادراك سر الوجود واستنباط الدليل على قدرة الموجود ، الذى دعانا الى التفكر **« وفى أنفسكم أفلا تبصرون »** ويقول جل وعلا : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم**

أنه الحق » • ويقول : **« وما يتذكر الا أولوا الالباب»** بعد قوله تعالى : **« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً »** •

ويقول : **« ولتعلموا عدد السنين والحساب »** • ويقول **« وما يعقلها الا العالمون »** • الى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تدعو الى التعلم والتفكر •

والذى يتهم الصوفية بالجمود غير منصف لهم • وانما شاع بين طوائف مدعى التصوف أن العلم حجاب ، وأن العقل عقال ، حتى أصبحت هذه الشائعة بكل أسف تكاد تكون عقيدة راسخةبين هؤلاء•

ولكن الذى يعنينا : هو موقف المستنيرين من أهل التصوف ، الذين تحققوا بالدين ، وتسلموا باليقين ، ومضوا على درب من تقدمهم من الصحابة الأجلاء ، والتابعين الأوفياء ، وكانوا فى منتهى الجرأة حين وجهوا أنظارهم الى السماء وأفلاكها ، والمخلوقات وأجناسها ، باحثين عن الحقيقة المجردة ، وقد أدركوا من وراء ذلك أسرارا عزيزة يوحى الفطرة السليمة ، والنظرة الثاقبة ، والالهام الصادق ، والرغبة الأكيدة فى معرفة واجب الوجود •

رائد الصوفية : ولقد كان رائدهم فى ذلك الامام : على كرم الله وجهه الذىيعتبرونه مورثالعلم الصوفى بل هو باب مدينة العلم ، الذى منه يلج المتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ويستخرجون منها كنوز المعرفة والتبيان • اقرأ قوله رضى الله عنه فى وصف الخفاش :

« ومن لطائف صنعته ، وعجائب حكمته ما أرانا من غوامض الحكمة فى هذه الخفافيش ، التى يقبضها الضياء الباسط لكل شىء ويبسطها الظلام القابض لكل حى ، وكيف غشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدى به فى مذاهبها ، وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها فسبحان من جعل الليل سكنا وقرارا ، والنهار معاشا ، وجعل لها أجنحة من لحمها ، تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كأنها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا أنك ترى مواضع العروق بينة أعلاما ، لها جناحان لم يرقا

فينشقا ، ولم يغلظا فيثقلا .. فسبحان البارىء لكل شىء على غير مثال خلا من غيره .. » .

واقرأ قوله فى وصف الجرادة : « خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج حدقتين قمراوين ، وجعل لها السمع الخفى ، وفتح لها الفم السوى ، وجعل لها الحس القوى ، ونابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما تقبض ، يرهبها الزراع فى زرعهم ، ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم ، حتى ترد الحرث فى فى نزواتها ، وتقضى منه شهواتها ، فتبارك الله الذى يسجد له من فى السموات طوعا وكرها .. » .

فبغض النظر عن البلاغة التى أحكمت نسج هذه العبارات ، وأضفت على البيان روعة وجلالا ، نجد من وراء ذلك أفكارا دقيقة ، ومعانى عظيمة ، تشهد بتصويب النظر فى روائع ما خلق الله ، لاستنباط دلائل القدرة الالهية الفائقة ، وشهود عظمة الخالق فى خلقه ، ومن وراء ذلك علوم جمة مكتسبة بالفكر والتروى ، وهذا هو معنى التوحيد ، والهدف من هبة العقل للانسان .

انما يخشى الله من عباده العلماء : لقد كانت خشية الله هدفا ساميا من أهداف الصوفية ، والعارفون بالله أخشى الناس لله ، والمعرفة أساسها العلم ، وليس العلم الدينى فقط ، بل العلم بما تحويه الدنيا من عوالم تخطف بصر الناظر ، وتلفت ذهن المتفكر ، وتبعث على التأمل ، ولقد جاء قوله تعالى : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » بعد كلام يلفت الله فيه النظر الى ظواهر كونية تستحق البحث والدراسة : « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود — ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك** ... » .

ولقد ورث الصوفية الحقيقيون هذه الفطرة السليمة ، فنادوا بأن يستغل الفرد قدراته الممنوحة له فى الوصول الى الحق ، وبرز منهم من برز فى مختلف العلوم والفنون ولم تقف مجهوداتهم عند التبحر

فى علوم الشريعة وما وراءها من أسرار ، ولكنهم برزوا فى الكثير من الكثير من علوم الحياة : من تاريخ ، وتقويم ، وهندسة ، وطبيعة وغيرها من العلوم يستوى فى ذلك السابقون فى العصور الاولى ومن جاءوا بعدهم فى العصور المتأخرة •

ونستشهد فى ذلك بالمقريزى صاحب المؤلفات المتعددة التى تشهد بسعة علمه : فى التاريخ ، والخطط ، والترجمة ، والسكة ، والأوزان ، والمقاييس ، فضلا عن التوحيد ، والحديث ، والفقه ، وان غلبت شهرة التاريخ عليه ، يقول السخاوى المعروف بدقة النقد ــ فيما ترويه مقدمة كتاب الخطط ــ عنه « انه كان على جانب عظيم من حسن الخلق ، وكرم العهد ، وكثرة التواضع ، وعلو الهمة ، والمداومة على التهجد والأوراد ، وحسن الصلاة ، والملازمة لبيته » •

ولا أدل على تواضعه من قول المقريزى نفسه فى مقدمة كتاب الخطط :

وما أبرى نفسى اننى بشر
أسهو وأخطىء مالم يحمنى القدر
ولا ترى عذرا أولى بذى زلل
من أن يقول مقرا اننى بشر

هذه شنشنة صوفية ، وهى طريق الوصول ، فمن تواضع لله رفعه، وأنار له سبيل الفهم والمعرفة •

ونستشهد أيضا بالدميرى صاحب كتاب « حياة الحيوان » الذى كان رائدا لكثير من علماء الفرنجة حتى اعتنوا بهذا الكتاب، ودرسوه وحققوه واستفادوا منه ، واشتهر فى الاوساط العلمية فى «أوربا» بأنه كتاب عظيم قيم ، وقد استطاع ــ كما تقول مقدمة الكتاب التى كتبها الدكتور حسين فرج زين الدين ونشرتها دائرة معارف الشعب ــ أن يلعب دورا هاما فى الثقافة الغربية ، فكثيرا ما اقتبس منه العلامة « لين » واقتبس عنه « وستنفلد » واستعان به العلامة « يوكارت » والعلامة « هاذل » وغيرهم من أعلام المستشرقين •

هذا الرجل العظيم الذى يقول عنه « لوسين ليكلير » : انه أعظم عالم فى علم الحيوان أنجبته العرب،

كان نموذجا صوفيا عظيما ، ومازال مسجده فى حى «الحسينية» بالقاهرة عامرا ، وله فيه مشهد يزار .

وقد اخترت هذين الشاهدين من القرون المتوسطة . فما بالك بالقرون الاولى ! حيث كان المسلمون فى أوج نشاطهم ، وعنفوان قوتهم ، وفورة تمسكهم بدينهم ؟

الشعرانى والعلم :

وفى القرون المتأخرة من لدن القرن العاشر الهجرى وما تلاه ، برز صوفيون آخرون . من أمثال: الخواص والشعرانى والدباغ وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، وقد يظن ظان أن هؤلاء كانوا غفلا من العلوم الحديثة المبنية على التجربة والمشاهدة ، ولكنهم بوحى من الالهام الصادق ، والفطرة الصافية ، هداهم الله الى ما اهتدى اليه الأوربيون بتجاربهم وملاحظاتهم .

يرى الشعرانى : أن العلم الظاهرى ضرورة لتعمير الحياة ، بل يرى أنه الوسيلة للتقرب الى الله عند أهل الحق ، ويقول فى ذلك فى كتاب « درر الخواص » :

« ان أهل الحق يشهدون جميع العلوم ، حتى الحساب والهندسة، وعلوم الرياضيات ، والمنطق ، والعلم الطبيعى . لها دلالة وطريق الى العلم بالله » . ويرد فى كتابه « آداب العبودية » على من يرى فى دراسة هذه العلوم حجبا عن الله بأن الذى يشهد ذلك انما هو محجوب عن موضع الدلالة فيها عن الحق ، لأن جميع العلوم التى يراها أكثر الناس حجابا انما هى عند « أهل الله لا حجاب فيها » . وهذا ذوق عال وادراك عظيم .

الخواص الأمى المعلم :

وللاستدلال على سبق الصوفية الى العلوم التجريبية نسوق ما أورده المرحوم : طنطاوى جوهرى فى كتاب «تفسيرالجواهر» فى الجزء التاسع عند قوله تعالى :

« ولكن لا تفقهون تسبيحهم »

قال : ألهم الله الرجل الصالح الشيخ الخواص فى القرن العاشر

الهجرى أن يلقى بعض مسائل للشيخ : عبد الوهاب الشعرانى ، وتلك المسائل تناسب الآية « **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** » التى نحن بصددها ، وتناسب العلوم التى كشفت حديثا ولم تكن معلومة فى ذلك العصر ، وانما فعل ذلك ليرد على جهلة المسلمين فى عصره ، الذين يقولون : ان العلوم لا لزوم لها ، وفى الوقت نفسه حجة على من يدعى من الصوفية جهلا أن الاسلام براء من هذه العلوم . لقد أظهر الله على يد الخواص بعض العجائب العلمية ، ليثير فى المسلمين روح التعلم ، وليكون ذلك علامة على صدق هذا الدين ، ومعجزة لصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم .

أما هذه المسائل التى أشار اليها الجوهرى فتتلخص فى أن الخواص أخبر تلميذه الشعرانى بأن كل شىء فى الوجود حى يدرك حتى الجمادات ، وفى أن الاشجار تتعاشق ويطلب بعضها بعضا للقاح .

وحدثت محاورة بين الشعرانى وشيخه حول ذلك ، انتهت باقتناع الشعرانى العالم بردود الخواص المؤيدة بالكتاب والسنة . وليرجع اليه من أراد الاستيضاح فى مصدره المشار اليه .

والدباغ أيضا :

وقال الجوهرى أيضا : ثم ان الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك بقرنين حدث عن شيخه الدباغ بمثل هذا ، حين سأله عن تسبيح الحصى ، فقال الدباغ : ان ذلك كلامها وتسبيحها دائما ، وقد سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك منها ، فسمعوا . وأفاد أن الجمادات تعرف ربها كسائر الحيوان وأنها عابدة خاشعة خاضعة ، هذه وجهتها الى ربها أما وجهتها الينا فهى أنها لا تعلم ولا تسمع . قال تعالى : « **وان من شىء الا يسبح بحمده** »

وقال الدباغ أيضا : ان للارض علما هى حاملته وعارفة به ، كما يحمل أحدنا كتاب الله تعالى . وعلق الجوهرى ــ رحمه الله ــ على ذلك بقوله : « ان كلام

الصوفية هذا هو ما كشفته العلوم الحديثة الآن ، فتعاشق الاشجار الذى قاله الخواص هـــو نفس ماأثبته العلم الحديث فى نظـرية التلاقح ، وأما حياة الجمـاد فهو أمر خفى لم يذكر علمـاء العصر الحـاضر منـه الا قولهم ، كل الجمادات متحركات . وهـذا أمر صحيح مبرهن عليه ، ومعنى ذلك أن كل قطرة ماء أو قطعـة حجـر مركبة من ذرات صغيرة ، والذرات الصغيرة ترجع الى جواهر فردة ، والجواهر الفردة ترجع الى عناصر أولية كالأكسجين والايدروجين ، وهذه العناصر متى تحللت ترجـع الى الكهرباء ، وما هى الا تموجات وبينها مسافات متبـاعدات يدور بعضـــها على بعض كمـا تدور السيارات حول الشمس ، فالعوالم كلها متحركة دائما لا سكون لها ، وحركات تلك الذرات دائمة لا فتور فيها ، فهى لا تهدأ من يوم أن خلق الله العالم الى أن يفنى .

والخلاصة : أن كل موجـــود حى .

وقال الجوهرى : ان كشـــف العصر الحـــاضر قد أتى بثلاثة أرباع ما قاله شيوخ الصوفية من باب الالهام ، وقد نبه هـــؤلاء الشيوخ المسلمين ، ولكن المسلمين مع ذلك بقوا غافلين لم يفطنوا لما يقوله الشيوخ .

نخلص من كل ذلك الى أن العلم الحديث لا ينافى التصوف ، بل هو طريق من طرق الوصول الى الله ، لأنه يدل عليه عن طريق هـــذه المكتشفات العظيمة ، التى تدل على عظمة الخالق وقدرته ، وكلمـــا أمعن العالم فى بحثه ، ووصل الى أسرار جديدة من أسرار الكون ، ازداد ثقة بأن هذا الكون لم يخلق عبثا ، بل ازداد ايمانا بقـــوله تعالى :

« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

درس لصوفية عصرنا :

ان ظهور تلك الأذواق على يد أولئك الصوفية دليل مسـوق الى أهل التصوف فى عصرنا أن يعملوا عقـــولهم ليدركوا علوم عصرهم ، فان ذلك لون من الجهـاد العملى المؤدى الى معرفة الحق سـبحانه

وتعالى .

ولا يقال : ان هؤلاء المتقدمين قد وصلوا الى ذلك عن طريق الكشف والالهام ، فعلى المريدين أن يتجردوا عن الأسباب لينالوا ما ناله المتقدمون .

لا يقال ذلك : فان الذين منحوا عن طريق الالهام نادرون، والنادر لا حكم له ، ولو كان الفتوح عاما لأصبحت بلاد الاسلام أغنى وأعمر من الدول الأخرى المتقدمة. على أن الكثيرين من العلماء الأجلاء السابقين سلكوا الطريق الطبيعى للوصول الى ما وصلوا اليه من ابتكار وعلم وفهم ، ان العلم بالتعلم ، والله لا يمنح مفاتيح علمه الا للمجد فيه ، ولو درس المتصوفون الآن العلوم بالجد والتقوى ، ومراقبة الله ومحاسبة النفس ، وغير ذلك من الآداب التى يحرص على توطيدها التصوف ، لأثمر ذلك ثمارا يانعة ، وأتى بنتائج مضاعفة ، مصداقا لقوله تعالى : ولقول الأثر الكريم : « من عمل بما علم ورثه ويعلمكم الله » . « واتقوا الله الله علم ما لم يعلم » .

ان من يترك عقله ومواهبه اتكالا على الفتوح يكون أشبه — كما يقول الجوهرى — بمن يترك حرث الأرض وزرعها اتكالا على أنه ربما يعثر على كنز .

أداب المتعلم

ولابد من التنبه لهذه الملاحظة فى أثناء طلب العلم ، وهى : أن العلم أحيانا يقف فى طريق العالم ويصده عن الغاية الروحية المطلوبة ، وذلك حين يغتر العالم بعلمه ويظن أنه قد بلغ نهاية الكمال . فاغتراره حينذاك هو الذى يضع حجابا كثيفا على قلبه ، يحول بينه وبين الرؤية الحقيقية المبصرة ، فالعلم بحر لا ساحل له ، وحقائق المعرفة لا يمكن لكائن أن يحيط بها مهما أوفى على الغاية فى فنه ، والرجل عالم مازال يطلب العلم ، فمتى ظن أنه علم فقد جهل .

ومن أجل ذلك ، كان التواضع ميزة فى العالم أكمل منها فى غيره ، لأن تواضعه عن معرفة كاملة ،

وتحقق تام بحال العجز الذى يرفع من شأنه ، ويعلى من قدره •

التصوف والكشوف الحديثة :

لا نكرر القول بأن الصوفى الحق يتحمس لهذه الفتوح العلمية الحديثة ، لأنه يعتقد أنها من أبواب الخير على الانسانية ، وبشرى تحمل فى طياتها انتصارا للروح على المادة ، وانطلاقا لقوى الخير الكامنة فى الانسان •

يقول المرحوم طه عبد الباقى سرور فى كتاب «أعلام التصوف» : « لقد آمن المتصوفة بأن فجر الذرة انما هو صفحة جديدة فى تاريخ الكون ، تتمشى مع التسخير الالهى لقوى الكائنات كافة للانسان « الخليفة » ، بل لقد رأوا فى الفجر الجديد ارهاصا لعالم جديد سيبلغ كماله مع الوثبة الروحية » ، ويستشهد على ذلك بأقوال أساطين المادة أنفسهم ، كقول العلامة برديف : « والعالم اليوم يدلج نحو صوفية روحانية جديدة ، لا محل فيها لتلفت النظرة النكسية الى الدنيا ، ولا لما توحيه تلك النظرة النكسية من العزلة ، واجتناب الجماعات والآحاد ، ولا يبقى فيها النسك الا كوسيلة أو رياضة على التطهر والصفاء ، وهو يتجه الى الدنيا ولكن لايعتبرها نهاية الغايات ، فهو مسلك من النسك أشد اتصالا بالدنيا ، وأكثر تحررا منها فى وقت واحد » •

ويقول اينشتين : « ان الانسان الذى لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال ذلك العالم ، ولم يشعر نحوه بالروعة ، هو حى حكمه حكم الميت » وبقوله : « كنت كلما تعمقت فى نظرية النسبية ازددت قربا من منطقة الروح والايمان » • وبأقوال غيره من علماء الغرب ، الذين لم يقفوا عند حدود المادة فى كشوفهم ، بل نفذوا من ورائها الى عالم فسيح من الروح والملأ الأعلى •

ان كثيرا من هؤلاء العلماء انطلقت أصواتهم تحذر من طغيان المادة ، وانسياق الناس وراءها انسياقا أعمى ، لأن فى سيطرة المادة على الروح نذيرا بتغلب

الشر على الخير ، وفى النهاية فناء العالم . مصداقا لما جاء فى القرآن الكريم : ((**حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**)) .

لا نكرر ما سبق أن قلناه من أن تاريخ التصوف يروى لنا قصص المئات من علوم الصوفية ، الذين برزوا فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية وغيرها ، واستطاعوا أن يقدموا للحياة زادا وافرا من المعلومات التى نفعت الناس ، ويسرت لهم السبل ، فهم لم يقصروا فى علوم الحياة ، كما لم يقصروا فى علوم الدين ، وهم وان كانوا قد وصفوا فى الأولوية ندب أنفسهم لتعلم وتعليم العلوم الموصلة الى الله ، فلأنها فى نظر العاقل أحوج ما يكون اليها الانسان ، بل هى أمس ما تدعو اليه الغاية من خلقه ووجوده فى الحياة ما دام غيره من العلماء معنيا بعلوم الدنيا ، ومع ذلك فاشتغاله بها لم يصده عن طريقه الى الله ، وربما كان ذلك من وسائله فى هذه الطريق .

حقا : اعتبروا العلوم الموصلة الى الله أشرف العلوم ، حتى قال الجنيد فيما يرويه ابن عجيبة عنه فى كتابه ايقاظ الهمم : « لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه » . ولقد صدق الجنيد رضى الله عنه فى قولته .

على أنه من أسباب الوصول الى الله : البحث فى أرجاء هذا الكون الواسع ، وما فيه من عوالم يهتدى المفكر بواسطتها وبواسطة دراستها واستقصائها وتحليلها والمقارنة بينها على قدرة المبدع ، الذى فطر السموات والأرض ، وفى هذه الحالة يصبح تعلمها فرض عين لا فرض كفاية كما يرى بعض الصوفية رحمهم الله .

لا أحسب أن الصوفى الحق فى عصرنا هذا يحاول أن يقف فى وجه التقدم العلمى ، لا سيما ونحن فى أمس الحاجة اليه ، لأنه من أسباب

القوة التى أمرنا الله ـ سبحانه وتعالى باعدادها فى قوله تعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »** .

ولا أشك فى أن الصوفى الحق فرح بما تناله دولته الاسلامية من أمجاد علمية ورقى فكرى على يد أمثالها العلماء المجدين والمستكشفين ، ولكن الصوفى أيضا يسره أكثر أن يجد هؤلاء النابهين غير معطلين لشعائر دينهم ، أو مفرطين فى حقوقه ، ويسره أيضا أن يكون هذا التقدم العلمى طريقا الى الايمان العميق ، واليقين الصادق ، والاستدلال المشرق على معرفة واجب الوجود .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

« العلم والعمل »

الدنيا كلها ظلمات ، الا موضع العلم ، والعلم كله هباء الا موضع العمل ، والعمل كله هباء الا ما كان خالصا لوجه الله الكريم ، قال جل وعلا : « الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » .

أهل الذمة وواجباتهم فى بلاد الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

تكلمنا فى مقال سابق عن أهل الذمة وحقوقهم فى بلاد الاسلام وذكرنا أنه من المقرر أن كل حق يقابله واجب ، ومادام الاسلام قد قدر للذميين تلك الحقوق فلابد وأنه رتب مقابلها واجبات عليهم أن يلتزموا بها ، وهذه الواجبات تنحصر فى الامور الآتية :

أولا : واجبات مالية هى :

١ ــ أداء الجزية .

٢ ــ أداء الخراج .

٣ ــ أداء الضريبة التجارية .

ثانيا :

التزام أحكام القانون الاسلامى فى المعاملات المدنية والتجارية والجنائية .

ثالثا :

احترام شعائر المسلمين ومشاعرهم .

الواجبات المالية :

١ ــ اداء الجزية : والجزية ضريبة سنوية على الرءوس من الذميين ، تتمثل فى مقدار زهيد من المال ، يفرض على الرجال البالغين القادرين على حسب

ثرواتهم ، فى ميعاد معين ، ويعفى الفقراء منها اعفاء تاما .

وليس للجزية حد معين ، وانما ترجع الى تقدير الامام الذى عليه أن يراعى طاقات الذميين ولا يرهقهم كما عليه أن يراعى المصلحة العامة للأمــــة .

أساس وجوب الجزية :

هو : القرآن الكريم ، والسـنة النبوية المطهرة .

فمن القرآن الكـــريم : قوله تعالى : **(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الـــذين أوتوا الكتاب حتى يعطـوا الجـزية عن يدوهم صاغرون)** ســورة التــوبة ٢٩ ــ وصاغرون : تعنى هنا التســليم والقاء السلاح والخضوع لحكــم الدولة الاسلامية .

ومن السنة النبوية المطهرة :

ثبت أن النبى صلى الله عليــه وسلم أخذ الجزية من مجـــوس البحرين ، وأخذها عمر بن الخطاب من مجوس سواد العراق بلا انكار من أحد من المسلمين ، وأخذهـا عمرو بن العاص من أقباط مصر من كل حالم دينارين ، وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب فأجازه .

شرائط وجوب الجزية :

أولا : العقل والبلوغ والذكورة فلا تجب على الصبيان والنســاء والمجانين من أهل الذمة ، لان الله تعالى أوجب الجزية على من هــو أهل للقتال ــ فقال جلت كلماته : **« قاتلوا الذين لا يؤمنون باللـــه ولا باليوم الآخــــر .. الآية »** والصبيان والنساء والمجانين ليسوا من أهل القتال ، فلا تجب عليهم .

ثانيا : السلامة من الزمـــانة والعمى والكبر ــ فلا يجب على من زمن وعمى والشيخ الكبير ــ وهذا ما فعله خالد بن الوليد فى صلحــه مع أهل الحيرة ، وقد كتب به الى الصديق : أبى بكر وقت خـــلافته ليعلمه بما فعل ، فلم ينكره عليه .

ثالثا : الحرية ــ أى : أن يكون الشخص الذمى الذى يقوم بدفع الجزية متمتعا بالحرية ، فلا تجب على العبد ، وهو : الشخص الذى

فقد حريته ، لانه ليس من أهل ملك المال يقول الله تعالى : « **حتى يعطوا الجزية** » سورة التوبة ٢٩ ـ ولا يقال لمن لا يملك ـ حتى يعطى ـ مع ملاحظة أن هذا الشرط أصبح فى زماننا المعاصر شرطا نظريا ، أو شرطا فرضيا ، لان نظم الرق تم الغاؤه دوليا .

رابعا : ألا يكون الذمى فقيرا غير معتمل ، وهو : الذى لا قدرة له على العمل والكسب ، لان الجزية لم توضع على فقير غير معتمل من أهل سواد العراق فى زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ كما أنه أيضا رفع الجزية عن رجل كبير من أهل الذمة رآه يسأل الناس « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » سورة البقرة ٢٧٦ .

خامسا : ألا يكون راهبا ، لأنه من المبادىء المقررة فى الاسلام أن الراهب اذا أسر فى الحرب لم يقتل ، فاذا دخل فى الذمة لم تجب عليه الجزية .

يقول المؤرخ الغربى آدم ميتز : (كان أهل الذمة بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم ، ومن حمايتهم لهم ، يدفعون الجزية كل منهم بحسب قدرته .. وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطنى ، فكان لا يدفعها الا الرجل القادر على حمل السلاح ، فلا يدفعها ذوو العاهات .. ولا المترهبون وأهل الصوامع) .

وقت وجوب الجزية :

اختلف الفقهاء فى وقت وجوبها فمنهم : من رأى وجوبها فى ابتداء السنة كالحنفية . ومن الفقهاء : من رأى أنها تجب فى آخر السنة وتؤخذ مرة واحدة .

عن أى شىء وجبت الجزية ؟

شرعت الجزية على الذميين بدلا عن حمايتهم من قبل الدولة الاسلامية ، ذلك أن الدولة الاسلامية دولة (عقائدية) ، ومثل هذه الدولة لا يقاتل دفاعا عنها وسلامة عقيدتها وفكرها ـ وليس من المعقول أن يؤخذ شخص ويدفع الى القتال والقتل ويسفك دمه من أجل فكرة يعتقد عدم صحتها ، وفى سبيل دين لا يؤمن به .

من ذلك يتبين: أن الجزية ليست عقوبة كما يشيع عنها أعداء الاسلام ، لان الاسلام لم يلزم الذميين بواجب الدفاع عن دار الاسلام كما الزم به المسلمين ، وان كان لهم أن يساهموا فى هذا الواجب لكن باختيارهم ، فضلا عن انتفاعهم بالمرافق العامة للدولة .

ويستدل على ذلك بالآتى :

١ ــ ما حرره خالد بن الوليد فى كتابه الى (صلوبا بن نسطونا) صاحب قس الناطف بعد مصالحته له ، فقد ورد فيه كما رواه الطبرى فى تاريخه : (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه ، أنى عاهدتكم على الجزية والمتعة .. وأنك نقيب على قومك ــ وأن قومك قد رضوا بك ــ وقد قبلت ومن معى من المسلمين ، ورضيت ورضى قومك ، تلك الذمة والمتعة ، فان منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا ، حتى نمنعكم) .

٢ ــ كتاب سويد بن مقرن قائد جيش المسلمين فى بلاد الفرس زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ملك جرجان ــ فقد جاء فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان ، وأهل دهستان ، وسائر أهل جرجان ، أن لكم الذمة ، وعلينا المنعة) .

٣ ــ أورد الامام أبو يوسف فى كتابه (الخراج) قوله : (فانما كان الصلح جرى بين المسلمين وأهل الذمة فى أداء الجزية ــ وفتحت المدن على ألا تهدم بيعهم ، وعلى أن يقاتلوا من ناوأهم من عدوهم ، ويذبوا عنهم ، فأدوا الجزية على هذا الشرط ، فافتتحت الشام كلها على هذا) .

ما يسقط الجزية بعد وجوبها ؟ :

١ ــ **الاسلام :** فمن دخل من الذميين فى الاسلام سقطت عنه الجزية .

٢ ــ **الموت :** كذلك من مات من الذميين بعد وجوب الجزية ولم تستوف منه سقطت عنه ، ولا يلزم بها ، ولا تؤخذ من تركته .

٣ ــ مضى المدة ويراد به مضى سنة أو أكثر على وجـوب الجزية تستوف دون أن تستوفى من الذمى، فقد اختلف فيها الفقهاء فبعضهم يقرر : وهو الامام أبو حنيفة بأن الذمى لا يطالب بجـزية السـنين الماضية ولابالسنة التى هوفيها حتى تنقضى ، لانه يرى أن دين الجزية دين ضعيف يمكن سقوطه بغـير الاداء أو الابـراء الا أن بعض الفقهاء ــ فى مذاهب الحنابلـة والشافعية والشيعة الامامية يرى عدم سقوطها بمضى المدة ، بحجـة أن الجزية حق مالى يجب فى آخـر كل حول •

٤ ــ حصول بعض الاعــذار :

فاذا طرأت بعض الاعذار المانعة من ايجاب الجزية ، كما لو صـار الذمى فقيرا لا يقدر على شىء ، أو صار مقعدا أو زمنا أو شيخا كبيرا، ففى هذه الاحوال تسقط عنـه الجزية ــ ولا تؤخذ منه جزية مـا مضى اذا لم يكن قد أداها فى وقتها، وهذا ما يراه الاحناف ويشترطون أن تدوم هذه الأعذار نصف سـنة فأكثر حتى يســقط الباقى من الجزية •

ويرى المالكية : أن الجزية تسقط عند عجز الذمى عن أدائها ، بـل انها لا تؤخذ منه بعد يساره عمـا عجز عنه •

٥ ــ سقوط الجزية بعجز الدولة الاسلامية عن حماية الذميين :

اذا عجز المسلمون عـن حماية الذميين لم يبق لهم ما يدعو الى بقاء الجزية عليهم ، لانها كما قررنا فى صدر هذا البحث أنها بدل عـن الحماية ، لان الاسلام لـم يلزم الذميين بواجب الدفاع عـن دار الاسلام رعاية لهم ، وعناية بهم ، والسوابق التاريخية شاهدة عـلى ذلك • فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) جاء فى صلح خالد بن الوليد مع صولبا بن نسطونا صاحب قس الناطف فى منطقة الحيرة والسابق الاشارة اليه : (انى عاهدت عـلى الجزية والمنعة •• فان منعنـاكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم)

(ب) أن أبا عبيدة بن الجراح عندما أعلمه نوابه على مدن الشام

بتجمع جيوش الروم للهجوم عليها . كتب اليهم : أن ردوا الجزية على من أخذتموها منه ، وأمرهم أن يقولوا لهم : (انما رددنا عليكم أموالكم ، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وانكم اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وأنا لا نقدر على ذلك ــ وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشروط ، وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم) .

٦ ــ سقوط الجزية باشتراك الذميين فى الدفاع عن دار الاسلام :

مادامت الجزية قد وجبت على الذميين بدلا عن حمايتهم ، فانهم اذا ساهموا فى الدفاع عن دار الاسلام فقد قاموا بالاصل الذى من أجله وجبت عليهم الجزية ، وبالتالى تسقط عنهم الجزية .

والأمثلة كثيرة نكتفى منها بالآتى :

(أ) روى الامام الطبرى فى تاريخه عن ملك (الباب) فى نواحى اقليم أرمينيا وكان اسمه : (شهر براز) أنه طلب من سراقة بن عمرو أمير تلك المناطق من قبل الدولة الاسلامية ــ : أن يضع عنه وعمن معه الجزية ، على أن يقوموا بما يريد منهم ضد عدوهم ، فقبل سراقه : وكتب بذلك الى الخليفة عمر بن الخطاب ، فأجازه وحسنه .

(ب) أن الجراجمة فى جبل اللكام فى نواحى أنطاكية نقضوا العهد ، فوجه أبو عبيدة بن الجراح الى انطاكية من فتحها ثانية ، وولى عليها بعد فتحها حبيب بن مسلم القهرى ، فغزا الجرجومة مكان الجراجمة ــ فلم يقاتله أهلها ــ ولكنهم طلبوا الامان والصلح ، فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين ، وعيونا ومسالح فى جبل اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالجزية ، ودخل من كان فى مدينتهم فى هذا الصلح .

الجزية فى البلاد الاسلامية عامة ، وفى بلادنا المصرية خاصة :

يوجد فى كثير من البلاد الاسلامية ذميون فى الوقت الحاضر ــ وهؤلاء لا تؤخذ منهم جزية ــ

ويمكن ارجاع ذلك الى أنهم فى تلك الدول يشتركون مع المسلمين فى واجب الدفاع عن دار الاسلام ، والمساهمة فى هذا الواجب تسقط الجزية — بعد وجوبها ، أو تمنع وجوبها أصلا — اذ الدفاع عن الوطن واجب مقدس — وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين، والتجديد أصبح اجباريا وفقا للقانون .

ولقد نص القانون رقم ٥٠٥ سنة ١٩٥٥ المعدل ، بشأن الخدمة العسكرية والوطنية فى مصر ، فى مادته الاولى على أن : (تفرض الخدمة العسكرية أو الوطنية على كل مصرى من الذكور أتم الثامنة عشرة من عمره) .

فمن ذلك يتبين أن الذميين يساهمون حاليا برضاهم فى الدفاع عن أرض الوطن ، ولا يتميزون فى هذا الواجب المقدس عن المواطنين المسلمين .

هل الجزية ضرائب كيدية ؟

يزعم أعداء الاسلام أن الجزية ما هى الا ضرائب كيدية ، ويبدو أن مرد ذلك راجع الى ما غلب عليها من وصف بأنها (جزية الرءوس) فاشتبهت بما كان من ضرائب فرضتها الدولة الرومانية فى الزمن القديم على رءوس رعاياها ، فكرهوها ، لانها انتقاص من الحرية ، وتعامل الشخص كعرض من عروض التجارة — وفاتهم أن الرءوس فى الاسلام غير ذلك ، اذ فرضت على الشخص لصفة فيه — وهى أنه ذمى — وأن هذا الوصف يلحق بالشخص لدينه لا لماله ، أما ماله ومال المسلم فسواء — أما عند الرومان فكانت ضريبة الرءوس تفرض عندهم على الشخص لعينه . وشتان بين الصورتين .

(٢) الخراج

الخراج فى اللغة يعنى الاتاوة — وأصله ما يخرج من غلة الارض والمال — ومن معناه : المال المضروب على الارض والجزية .

فكلمة الخراج ترد فى الاستعمال بمعنى الجزية ، استنادا لقول الشعبى عامر بن شراحبيل المتوفى سنة ١٠٤ هجرية (أول من فرض الخراج رسول الله — صلى الله

عليه وسلم — فرض على أهل هجر على كل محتلم ذكرا أو أنثى) •

الا أن المعنى الشائع فى استعمال كلمة الخراج عند الفقهاء هو ما يفرض على الارض من ضريبة مالية — ولا يطلق اسم الخراج على الجزية الا مقيدا بخراج الرأس •

أنواع الاراضى الخراجية

١ — الاراضى التى فتحها المسلمون عنوة وقهرا :

ومثالها : أراضى العراق ومصر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — ترك الارض بأيدى أهلها ، وضرب على رءوسهم الجزية ، وعلى أراضيهم الخراج ، بعد عرض الموضوع على صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وموافقتهم •

(ب) الاراضى التى تركها المسلمون الى أهلها صلحا على وظيفةمعلومة : فانها تكون خراجية لما روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه صالح نصارى نجران على جزية رءوسهم ، وخراج أراضيهم ، على ألفى حلة وروى على أكثر من هذا المقدار •

(جـ) أراضى نصارى بنى تغلب

وهذه لها حكم خاص بها ، فقد صالحهم الخليفة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — على أن يأخذ من أراضيهم العشر مضاعفا •

(د) أرض الموات التى أحياها ذمى ، وداره التى اتخذها بستانا

وأرض الغنيمة اذا حصل عليها الذمى بسبب اشتراكه فى القتال مع المسلمين — وانما كانت هذه الاراضى خراجية لأن الارض لا تخلو من خراج أو عشر ، وأرض الذمى يفرض عليها ابتداء الخراج لما فى العشر من معنى العبادة ، والذمى ليس من أهل وجوبها •

(هـ) الاراضى العشرية اذا تملكها ذمى فتصير أرضا خراجية :

ويعلل ذلك الامام أبو حنيفة : بأن فى العشر معنى العبادة ، **لأن** العشر زكاة ما تخرجه الارض •• والذمى ليس من **أهل** وجوبها — ولهذا لم يجب عليه العشر ابتداء — فكذلك **لا** يجب عليه فى حال البقاء •

أنـــواع الخراج :

الخراج نوعـــان : خراج وظيفة ـ وخراج مقاسمة .

(أ) خراج الوظيفة :

وهو : ما يفرض عـلى الارض بالنسبة الى مساحتهاونوع زراعتها والاصل هو ما فعله الخليفة : عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى أرض السواد فى بلاد العراق بعد فتحها ، فقد تركها بأيدى أهلها ــ وفرض على كل جريب أرض بيضاء تصلح للزراعة قفيزا مما يزرع فيهـــا ودرهما . وعـلى جريب الرطبـة خمسة دراهم . وعلى جريب الكرم عشرة دراهم . وقد جعل الخليفة الراشد تلك المقـادير بمحضر من الصحابة ، ولم ينكر عليه أحـــد وقتئذ .

(ب) خراج المقاسمة :

وهو : أن يكون الواجب شيئا من الخـارج نحو الخمس والسـدس وما أشبه ذلك وهـذا النوع مـن الخراج جائز ــ فقد فعله النبى صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر لما افتتحها .

والفرق بين النوعين : هو أن فى خراج الوظيفة يكون الواجب شيئا فى الذمة يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالارض .

أما اخـراج المقاسـمة فيتعلق بالخارج من الارض لا بالتمكن من الزراعة .

وخراج الوظيفة يؤخذ مرة واحدة فى السنة ــ أما خراج المقاســمة فيتكرر أخذه بتكرر الخارج مـن الارض .

مبنى الخراج على الطاقة :

عند تعيين مقدار الخراج ينظر ولى الامر الى طاقةالارض وقدرتها على تحمل ما يفرض عليهـــا من الخراج ، لـمـا ثبت من أن حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف لـمـا مسحا سواد العراق ووضعا عليها الخراج بأمر الخليفة : عمـــر بن الخطاب قال لهما لعلكما حملتـــا الارض ما لا تطيق ؟ قالا ــ لابل حملناها ما تطيق . ولـــو زدنا لأطاقت . فدل هذا الخبر على أن مبنى الخراج على الطاقة .

ما يستدل من مناقشة الخليفة عمر بن الخطاب ؟

هذه المناقشة تدل على عدالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه المستمدة من سماحة الاسلام وعدالته بالنسبة الى كل انسان مهما كان دينه ، ومهما كانت عداوته للاسلام والمسلمين ، ملتزما بما قاله تعالى : **« يأ يها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »** سورة المائدة ٨ .

كما يدل كلام الخليفة عمر بن الخطاب على أن المسلمين لم ينظروا الى غير المسلمين من أهل البلاد المفتوحة نظرة استغلال ، مما يشير الى أن الفتوحات الاسلامية لم يكن يراد بها استغلال الشعوب ونهب خيراتها ، وانما ابلاغها بعقيدة الاسلام وشريعته ، واقامة العدل فيها .

وقد نص الفقهاء على بعض الامور التى يجب ملاحظتها بمعرفة ولى الامر عند فرض الخراج ، للتعرف بها على طاقة الارض من ذلك خصوبة الارض ، ونوع ما يزرع ، وثمنه ، وطريقة سقيها وقربها أو بعدها عن المدن والاسواق .

تأثير الخراج بما يصيب الأرض من طوارىء :

اذا تقرر الخراج ، ثم طرأ على الأرض طارىء أضعف طاقتها ، فانه يجوز للامام تخفيضه . واذا زادت طاقة الأرض جاز له تقرير زيادة فى خراجها .

نظام الخراج فى ميزان التشريع الضريبى :

لما كان الخراج ضريبة مالية على الأراضى الزراعية التى تركها الفاتحون المسلمون بأيدى أهلها ، فقد توافر فى هذه الضريبة القواعد الأساسية التى يسترشد بها علماء التشريع المالى عند تقريرهم للضرائب فى الوقت الحاضر ، وهذه القواعد هى العدالة ــ واليقين ــ والرفق ــ والاقتصاد .

١ ـ قاعدة العدالة :

هذه القاعدة ملاحظة فى التشريع المالى الاسلامى ، وطبقت تطبيقا دقيقا فى الضرائب التى قررتها الدولة الاسلامية . ذلك أن الاسلام هو دين العدل والعدالة ، فالخليفة الراشد : عمر بن الخطاب هو أول من وضع ضريبة الخراج على أساس طاقة الأرض ، وأكد على عماله أن يجعلوا مقدارها مناسبا مع هذه الطاقة ، كما تشير بذلك المحاورة التى ذكرناها فيما سبق بينه وبين الصحابى : حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف . وكان قد أرسلها الى سواد العراق لمسح أراضيه وتقرير الخراج عليها .

وتبدو هذه القاعدة واضحة بجلاء فيما قرره فقهاء الاسلام : من أن خراج الوظيفة يجب بالتمكن من الانتفاع بالأرض ـ فاذا تعذر الانتفاع فلا يجب الخراج ، وأن خراج المقاسمة يجب بوجود الزرع حقيقة ، فان لم يوجد فلا يجب الخراج ـ واذا لم تخرج الأرض الا بقدر ما كفى الخراج فلا يؤخذ الخراج كله ، وانما ينقص الى النصف ـ اذا هلك الزرع بآفة سماوية فان الخراج يسقط فى هذه الحالة ، لأنه مصاب ، فيستحق المعونة ، وتعذر عليه استغلال الأرض .

ولم يفت فقهاء الاسلام أن يوصوا أولى الأمر من حكام المسلمين ، بل أكدوا عليهم ألا يتعسفوا فى جباية الخراج ، وأن يراقبوا عمالهم حتى لا يأخذوا من أصحاب الأرض أكثر من المقدار المعين عليها .

وفى ذلك يقول الامام أبو يوسف فى وصيته الى الخليفة العباس هارون الرشيد ، بعد أن طلب منه ضرورة مراقبة عمال الخراج ، والأخذ بمقتضى العدل ، وترك الظلم :

(ان العدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم مع ما فى ذلك من الأجر يزيد به الخراج ، وتكثر به عمارة البلاد ، والبركة مع العدل تكون . وهى تفقد مع الجور . والخراج المأخوذ مع الجور تنقص البلاد به وتخرب) .

٢ ــ قاعدة الوضوح واليقين :

فالضريبة التى يلتزم الفرد بأدائها يجب أن تكون محددة فى مقدارها ، واضحة فى سبب وجوبها ، وزمن أدائها • وبهذا الوضوح واليقين يكون المكلف بها على بينه من أمره ، فلا يستطيع جباةالخراج استغلال جهله ، وأخذ أكثر من المستحق عليه ــ وضريبة الخراج تتوافر فيها هذه القاعدة ، فمقدارها معلوم ومعلومة المقدار نسبة الى الخارج من الأرض ، وتدفع فى وقت معين من السنة •

٣ ــ قاعدة الرفق :

وتعنى هذه القاعدة : أن الضريبة أن تجبى فى الأوقات الملائمة التى لا ترهق الملتزم بها ، وضريبة الخراج لا تجبى الا وقت ظهور الزرع، وحلول وقت حصاده ، وهذا الوقت لا جدال أنه أنسب الأوقات لجباية الضرائب من المكلفين بها •

٤ ــ قاعدة الاقتصاد :

وتفيد هذه القاعدة فى : أن جباية الضريبة يجب أن تنتظم على نحو تكون نفقات جبايتها قليلة ، ويكون الفرق بين مايخرج من المكلف وبين ما يدخل الخزانة العامة أقل ما يمكن • ومن الأصول المخالفة لهذه القاعدة : أن تقوم الدولة ببيع الضرائب لقاء ثمن يدفعه الراغب فى شرائها وجبايتها ، وهذا ما عرفه فى الماضى : (بنظام التقبل) وهو نظام سقيم ، يرهق أصحاب الأرض ، ويلحق الضرر ببيت المال ، وينافى قاعدة الاقتصاد ، لأن الداخل فى بيت المال بهذا النظام أقل مما لو تولت الدولة جباية الخراج بمعرفة عمالها أنفسهم فضلا عما فى التقبل من ارهاق أصحاب الأرض وظلمهم بمعرفة المتقبل ، والذى يحمل على أهل الخراج ما لا يجب عليهم ليعوض لنفسه ما قام بدفعه للدولة •

وفى ذلك كما يقول الامام أبو يوسف (خراب البلاد وهلاك الرعية) •

ما عليه ، العمل فى بلادنا المصرية ؟

ينظم ضريبة الأراضى الزراعية

فى جمهوريتنا المصرية القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ وما تلاه من تعديلات وقوانين .

وبموجبه تفرض على الأراضى الزراعية الصالحة للزراعة ، سواء زرعت أو لم تزرع ، وهذا الحكم هو ما قرره الفقهاء فى خراج الوظيفة — اذ تجب بالتمكن من الانتفاع بالأرض الزراعية ، ولا يشترط الانتفاع الفعلى بها كما بيناه سابقا — ولا شك أن واضع القانون لاحظ طاقة الأرض فى تقرير نسب الضريبة المفروضة عليها ، حتى لا يكون هناك ارهاق على المكلف بدفعها . مع تفصيلات كثيرة يمكن الرجوع اليها فى كتب فقهاء التشريع الضريبى لمن أراد التوسع فى ذلك .

٣ — الضريبة التجارية — أو العشور

قرر الاسلام على الذميين ضريبة تجارية تفرض على أموالهم المعدة للتجارة عند نقلها من بلد الى بلد داخل دار الاسلام — وهى أشبه بالضريبة الجمركية فى عصرنا ، لان المسلمين يخضعون لها اذا ما انتقلوا بأموالهم التجارية من بلد الى آخر داخل دار السلام — ويعفى الذمى من هذه الضريبة فى بلده الذى هو فيه ، فتجارته وان كانت قد تجلب له ربحا الا أنه ليس كالربح الذى يحصل عليه بانتقاله من بلده الى بلد آخر ، كما أنه لا يستفيد من مرافق الدولة وهو فى بلده كما يستفيد بها فى تنقله .

ووعاء هذه الضريبة : جميع عروض التجارة : من ثياب ، وحيوان ، وحبوب ، ونحو ذلك وكذلك الذهب والفضة ، نقودا كانت أو عتادا اذا بلغت النصاب ، وهو نصاب الزكاة . ومقدارها : نصف العشر .

ويستوفى هذه الضريبة عمال الدولة المعينون لهذا الغرض ، والقائمون فى ثغور الدولة الاسلامية — وعلى طرق المواصلات خارج المدن — وقد سمى استيفاء هذه الضريبة بالتعشير ، وسمى العامل القائم بجبايتها بالعاشر ، لأن ما يستوفيه من ضريبة مداره على العشر .

دليل شرعية هذه الضريبة السنة ــ والاجماع .

١ ــ من السنة : فقد ورد فى كتاب شرح السير الكبير للسرخى وكتاب الأموال لأبى عبيد : أن الخليفة عمر بن الخطاب بعث أنس بن مالك لجباية العشور فقال أنس (يا أمير المؤمنين تقلدنى المكس ؟ . فقال عمر : قلدتك ما قلدنى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قلدنى أمور العشور، وأمرنى أن آخذ من المسلم ربع العشر ومن الذمى نصف العشر ، ومن الحربى العشر) .

٢ ــ من الاجماع : فقد أورد الكاساتى فى بدائعه بأن عمر بن الخطاب نصب العشار وقال لهم : (خذوا من المسلم ربع العشر ، ومن الذمى نصف العشر ، ومن الحربى العشر ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ــ ولم ينقل أنه أنكر عليه أحد منهم فكان اجماعا ــ والاجماع المذكور اجماع سكوتى والفقهاء ــ يختلفون فى حجيته) .

تعليل جعل ضريبة الذمى ضعف ضريبة المسلم :

يبدو أن السبب فى هذا التضعيف : هو أن الذمى كان لا يؤخذ من أمواله شىء سوى ما يؤخذ من أمواله التجارية التى ينتقل بها من بلد الى بلد ــ أما أمواله التجارية التى فى بلده ــ وأمواله الباطنة كالذهب والفضة ، وزروعه وسوائمه ، فلا يؤخذ منها شىء ، بخلاف المسلم الذى تؤخذ منه زكاة هذه الأموال جميعا ــ اما أن يأخذها الامام نفسه كما فى زكاة السوائم والزرع ــ واما أن يدفعها المسلم نفسه الى مستحقيها كما فى أمواله الباطنة وأمواله التجارية التى فى المدينة وعلى هذا تكون التكاليف المالية على المسلم أكثر منها على الذمى ، فاقتضى هذا الأمر تضعيف الضريبة التجارية على الذمى .

الضريبة التجارية على الخمور والخنازير :

يرى فقهاء الشافعية والحنابلة : ألا يعشر الخمر ولا الخنزير

ولا ثمنها ، لانهما ليسا بمال أصلا ــ والعشر ــ أي : الضريبــــة التجــارية ــ انما يؤخذ من المال المتقوم •

أما فقهــاء الأحناف فلهم رأى آخر : فمنهم من رأى أنها تفرض على الخمور دون الخنازير • ومنهم من رأى : أنهـــا تفـرض عــلى الخنــازير فقط ومنهم من رأى : أنها تفرض على الخنازير أيضــا شأنها شأن الخمور لاستوائهما فى المالية ، وهما مال متقوم فى حــق أهل الذمة ، ولهذا كان مضــمونا على المسلم بالاتلاف •

يتبــع

وبالله التوفيــق

المستشار / محمد عزت الطهطاوى

احجــز نسختك من مجــلة

الأزهـــــر

فى غرة كل شـــهر عربى

تأليف العبارة كما يراه المبرد فى الكامل

للأستاذ السيد حسن قرون

المبرد : هو محمد بن يزيد ابن عبد الأكبر ، ولقب « المبرد » لأن أستاذه المازنى لما صنف كتاب « الألف واللام » سأله عن دقيقه وعويصه فأحسن الجواب : فقال له المازنى : قم فأنت المبرد . أى المثبت للحق ، ولكن منافسيه فى عصره وحاسديه كانوا يتخذون من هذا اللقب منفذا للاساءة اليه والنيل منه ، فيقولون انه المبرد بفتح الراء لا بكسرها ، كما أن خصوم العقاد فى عصرنا اتخذوا من اسمه وصفا لغموض شعره ونثره وتعقيده ، والمبرد والعقاد بريئان مما تقول به منافسوهما .

والمبرد من اسرة نبيلة هى : «ثمالة» وثمالة من قبيلة «الأزد» والأزد ، قبيلة كبيرة لها شأنها فى الجاهلية والاسلام ، وحسبك أن منها الأوس والخزرج أنصار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفضلهم على الدعوة الاسلامية لا ينكر ، منهم دعاتها والمنافحون عنها ، والباذلون أموالهم وأرواحهم رخيصة فى سبيلها ، وأول حكومة اسلامية نشأت فى مدينتهم (يثرب) التى سميت المدينة المنورة فضمت خير البشر الرسول وخلفاءه وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، ومن الأزد الغساسنة ملوك الشام ، ومنهم أزد شنوءة ، وأصل الأزد اليمن ، ولكنهم بعد انهيار سد مأرب اتجهوا الى الشمال ، وبقى بعضهم فى الجنوب ، ومنهم المهلب بن أبى صعرة وأبناؤه ، ولهم دورهم فى تدمير الخوارج ،

وقد كانت ثمالة تسكن السراة من أرض الحجاز ، ولكن المبرد ولد فى مدينة البصرة من أسرة سرية ثرية ، ومن دلائل شرفها أن ابنها محمدا الأديب الوحيد فى أدبنا العربى ، الذى يعرف يوم مولده ويوم وفاته ، فقد ذكروا أنه ولد فى غداة عيد الأضحى من سنة ٢١٠ هـ ، وتوفى فى بغداد سنة ٢٨٥ هـ •

وتلقى المبرد النحو واللغة والأدب من شيوخ عصره وأئمة دهره ، كالأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة ، والجرمى والمازنى ولم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازنى، كما عرفمنه ذلك ونوه به تلاميذه وفى مقدمتهم المبرد •

وكما كان للمبرد شيوخه • كان له تلاميذه ، منهم أبو اسحاق الزجاج ، وأبو على الصغار ، وابن درستويه ، وأبو الحسن الأخفش « الصغير » ، وكان المبرد زعيم مدرسة البصريين ، فى الوقت الذى كان فيه أحمد بن يحيى ثعلب زعيم الكوفيين ، ويمتاز المبرد على ثعلب بفصاحة لسانه ، وصباحة وجهه ، مما جعل الخلفاء والأمراء والوزراء يقبلون ، ويتنافسون فى تكريمه •

وللمبرد مؤلفات أشهرها « الكامل » « والمقتضب » فى النحو ، و (الفاضل والمفضول) و « التعازى والمراثى » ، « ومعانى القرآن » ، ويعرف بالكتاب التام •

وكتاب الكامل أشهر كتب المبرد، وأكثرها فائدة للنحوى واللغوى والبلاغى ، وطالب الأخبار والأنساب ، لأنه قد حوى كل ذلك وقد يستطرد الى مسائل الفقه والعقائد ، والتفسير الى كثير من العلوم الاسلامية ولأهمية الكامل قال عنه ابن خلدون !

« سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهى كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها » •

ولكن كتاب الكامل • حسب النظرة المعاصرة • لا يعد كتاب

أدب بالمعنى الفنى الحديث ، ولكنه كما قدمنا كتاب جامع فى فنون المعرفة الدينية ، وكان المبرد واسع الأفق ، رحب الصدر ، متفتح الذهن ، لا يضيق بمناوئيه، ولا منافسيه ، حتى لقد روى الهجاء الذى قيل فيه فقد سئل ما أشد ما قيل فيك من هجاء ؟ قال قول الشاعر :

سألنا عن ثمالة كل حى
فقال القائلون ومن ثمالة ؟

فقلت محمد بن يزيد منهم
فقالوا زدتنا بهم جهالة

وما أسهل الرد على قائل ذلك الشعر ، محمد بن يزيد لا يزيد قبيلته جهالة ، بل يرفعها ويرفع الأمة كلها الى مواطن النجوم لما آداه للفكر العربى ، والبلاغة العربية من فن وعلم .

واذا كنت قدمت لما أنا بصدده بهذا التقديم للمبرد ، فلأنى أود أضع القارىء معى فى دائرة الضوء ، علنا نتبين معالم أدب المبرد ، ومدى رأيه فى نقد الشعر، وتأليف العبارة ، واذا كان المبرد عنى بالحديث عن الشعر من جميع نواحيه على مدى صفحات كتاب الكامل ، فانه بعد المقدمة التى جعلها للنبى وأصحابه وصد الباب الأول لنقد الشعر ، الذى راعنا منه عنايته بتأليف العبارة ، فماذا قال ؟ والى أى حد يتفق ونقدنا الحديث ؟ وينبغى أن نعلم أنه كان مجددا ولا ينظر الى القديم لقدمه ، فيطريه على طول الخط ، ولا ينظر الى الحديث لحداثته فينقص من قدره ، بل الميزان عنده واحد للقديم والحديث على السواء ، فالمدار على الاجادة أو كما يقول : « وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق ، وموقفى أنا معه موقف التلميذ المخاص والناقد معا ، ولست فى هذا بعاق له ، ولا حائد عن طريقته ، بل سعيا الى تبرئة ساحته ، وتكميلا لمذهبه ، وكان الأخفش الصغير من خاصة تلاميذه فى عصره ، ولكن الأخفش حين تقرأ « الكامل » تجد له تعليقات ناقدة ، مكملة منثورة ، فى غضون الكتاب ، وقد كنت

جمعت تلك التعليقات فى كراسة ، ثم فقدت منى ، وأرجو أن أوفق فى جمعها من جديد ، لأبين مدى ما أحسن فيه وما أساء فيه ، وأنا أوافق الأخفش فى أخذه على المبرد خطأه فى بعض أسماء الأعلام ، ومما لم يلاحظه الأخفش خطأ المبرد فى نسب خال هشام ابن عبد الملك ، فقد جعله من ولد هشام بن المنيرة ، والصواب أنه من ولد الوليد بن المغيرة ، فقد مدح جرير الخليفة هشام بن عبد الملك بقصيدة عصماء منها قوله :

سما بك خالد وبنو هشام
الى العلياء فى الحسب الجسيم

قال أبو الحسن الأخفش : « وهم أبو العباس فى قوله : وبنو هشام ، وانما وقع فى شعره وأبو هشام وهو الصحيح ، يريد اسماعيل ابن هشام ، وهو جده من قبل أمه » ولكن أبا العباس المبرد حين أورد النسب قال » : سما بك خالد يريد خالد بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، وهذا صحيح ثم قال : لأن أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام ابن المغيرة وهذا خطأ ، لأن هشام الأخير أخو خالد بن الوليد ، وقد بنى المبرد على الخطأ بيان منزلة (هشام بن المغيرة) فقال عنه أنه كان « أجل قريشى حلما وجودا ، وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ بعام الفيل .. قال الشاعر :

«زمان تناعى الناس موت هشام»

ومن أجله يقول القائل :

فأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الأرض ليس بها هشام

ووضع الأمور فى نصابها أن تقول سما بك خالد وأبو هشام وهو الوليد بن المغيرة الذى لا يقل منزلة فى قريش عن أخيه هشام ابن المغيرة ، وهشام أخو خالد سمى باسم عمه لمكانته فى قريش ، وكان زعيم بنى مخزوم عام غزوة بدر .

---

(١) ص ٣٢٥ جـ١ الكامل

أما هشام بن المغيرة فهو والد أبى جهـل ، ومن الغريب أنه فى فصل آخر أورد النسب سليما .

أقول : كل هذا الأبرهن على أنى مع المبرد فى احسانه ، وليس معه فى أخطائه .. واليك ما جاء منه فى تأليف العبارة ، قال أبو العباس : « من كلام العرب الاختصـــار المفهم ، والاطناب المفخم ، وقـــد يقع الايماء الى الشىء فيغنى عند ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل لمحة دالة ، وقد يضطر الشـــاعر المغـلق ، والخطيب المصـــقع ، والكاتب البليغ ، فيقع فى كـــلام أحدهم المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره ، وسترتا من شينه .

وان شاء قائل أن يقـــول : بل الكلام القبيح فى الكلام الحسن أظهر ، ومجاورته له أشهر ، كان ذلـك له ، ولكن يغتــفر السيىء للحسن ، والبعيـد للقريب » .. وقبل أن نورد ما مثل به لمذهبــه تناقش تلـك القطعة فى ضـــوء مفهومنا للكلام البليغ ، أشـــار أبو العباس المبرد الى منهج العرب فى الشعر والخطب والكتابة ، فبين خاصية العرب فى حب الايجاز .

فالايجـــاز مطلب صـــــعب لا يحسنه كل قائل ، فهو يحتاج الى حصافة العقل ، وتوهـــج الذهن ، وتملك اللغة والعربى الخالص فيه تلك الصـــفات ، وله اللمحة الدالة وتأليف العبارة تقتضى الوضوح ، ومن ثم قيل له بيان ، ولكن البيان يعتدره ما يشينه مـــن اســـتغلاق المعنى ، واســـتكراه اللفظ ، فماذا ينبغى لمن وقع فى صناعة الكلام ؟ يرى المبرد : أنه اذا أحيط بما يبينه من سياق العبارة . كان مقبولا ، « ويغتفر السـيىء للحسن » ثم هـــو لا ينكر قول الآخر مـــن أن المعنى المســـتغلق ، واللفـــظ المستكره ، يكون العيب فيه أظهر ، وهذه قضية قام بها القدماء ، منذ عهـــد الجاحظ الى اليوم ، وقـــد وضـــحها وبـــين معالمهـــا الامام عبـــد القـــاهر الجـــرجانى ، وأرجع كل نقص فى العبـــارة الى مخالفة النحو وقواعـــده ، وما من شك فى أن المبـــرد وان عفـــا عن

الاساءة لمقارنتها للاحسان ، فان أمثلته تضعه فى جانب من ينكر استغلاق المعنى ، واستكراه اللفظ، وشتان بين هذا وبين استخدام اللفظ مهما كان حسنه أو قبحه ، فما دام اللفظ يتعاون مع سابقه ولاحقه ، ويبين عن مكنون ما فى النفس ، فهو فى قمة البلاغة ، ولا تحديد للفظ شعرى أو غير شعرى .

يقول أبو العباس مبينا نقده للكلام موردا الأمثلة لما يحسن وما يستهجن : ، فمن ألفاظ العرب البنية القريبة المفهمة ، الحسنة الوصف الجميلة الوصف قول الحطيئة : وذلك فتى ان تأته فى صنيعة الى ما له لا تأته بشفيع

وكذلك قول عنترة :

يخبرك من شهد الوقيعة أننى
أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكما قال زهير :

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كالايماء قول الفرزوق (يهجر جريرا) :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل

وهذه الشواهد لم يعلق عليها المبرد ما عدا البيت الأخير فانه قال « فتآويل هذا أن بيت جرير فى العرب كالبيت الواهى الضعيف فقال : « وقضى عليك به الكتاب المنزل » يريد به قول الله تبارك وتعالى : **« وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكان يعلمون»**(١)

ولو نظرت الى قوله الحطيئة وقول زهير وهما مادحان لوجدت الألفاظ مفصلة على قدر المعانى ، فلا زيادة ولا نقصان ، وهذا ما يعرف فى البلاغة بالمساواة تسمية الا يجاز والاطناب ، وهما يرسمان صورة مثلى للانسان الرفيع والأسرة الكريمة ، أما عنترة فقد وصف نفسه بالشجاعة ، واحترس أن يكون دخوله فى الحرب للمغانم، فكان فى بينه اطناب جميل ، لا يتم

(١) العنكبوت من الآية ٤١ .

الوصف الا به ، وهو قوله : « وأعف عند المغنم » وهى جملة نسميها فى البلاغة الاطناب « بالاحتراس » .

والأبيات المختارة كلها تبين دون المبرد ونفاذه الى الوقوف على الشعر الجيد المنشود ، وبه تدفع قول القائل : ان مختارات المبرد فى الشعر ليست جيدة .

والمبرد وقد سبق عبد القاهر الجرجانى مثله فى أن جمال تأليف العبارة يجىء حسب قواعد النحو التى تجىء أيضا ترجمة لما فى نفس الشاعر أو الكاتب أو الخطيب ، فاذا ضعف المعنى فى نفس القائل أو لم يتضح له ونبهت عليه طرق الأداء وقد اتخذ المبرد من الفرزوق سبيله الى تطبيق مذهبه ، فأورد له شعرا غاية فى التعقيد ، وشعرا غاية فى الوضوح ، قال : ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعانى قول الفرزدق :

وما مثله فى الناس الا تملكا
أبو أمه حى أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام (١) بن المغيرة (المخزومى) ، وهوخال هشام بن الملك ، فقال : وما مثله فى الناس الا مملكا يعنى بالمملك هشاما أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح . ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا ، وكان يكون اذا وضع الكلام فى موضعه أن يقول : وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

تصرم منى ود بكر بن وائل
وما كاد معنى ودهم يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها
وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه
ليل يصيح بجانبيه نهار

---

(١) هشام بن الوليد بن المغيرة .

فهذا أوضح معنى وأغرب لفظا وأقرب مأخذا .

هذا هو الكلام الذى وازن فيه المبرد بين شعر الفرزدق المعقد ، وشعره البين ؛ وأنت تجده أرجع ذلك الى تأليف العبارة ، وايقاع لفظها حسب المتعارف من قواعد النحو ، فالبيت « وما مثله فى الناس .. » جاءه الفساد من التقديم والتأخير ، وفصل الصفة عن الموصوف ، وعلماء البلاغة منذ وقعوا على نقد المبرد ، اتخذوا هذا البيت مثالا للتعقيد ، الذى جاءه الوهن من مجافاة الشاعر لمنهج اللغة العربية .

أما ما عاتب به قبيلة بكر بن وائل وما تحدث به عن الشيب ، فهو فى غاية البلاغة . ألا تراه فى العقاب يذكر (تصرم) التى تدل على تدهور العلاقة شيئا فشيئا ، ويورد الفاعل ، ثم يوضح ما أراده بقوله وما كاد منى ودهم يتصرم فتجد يتصرم ردا على الصدر ، مما يجعلك تقول معه وتنتهى الى ما انتهى اليه ، والبيت الثانى يوضح ما جرى قوارحى تأتيه يظنونها لا تؤذى ، وهى بتكرارها تملأ نفسه غيظا ، وهنا تكون القطيعة .

وبيت الشيب واضح الدلالة والتشبيه يقع موقعه ، والجمل تتقابل . الشيب ينهض فى السواد ، يقابله ليل يصيح بجانبيه نهار ، فوصف الليل جعل التشبيه فى مقام البلاغة الأصيل ، وكلمة ينهض تدل على ظهور شىء لم يكن ، وكلمة يصيح هى من صاح العنقود يصيح اذا استتم خروجه من أكمتة وطال ، وهو فى ذلك غصن ، تأليف العبارة حسب قواعد النحو ، وكل لفظ يؤدى الغرض فهو تشبيه حالة بحالة ؛ وهذا البيت فى الشيب لقى حظوة عند عبد القاهر الجرجانى فجعله من التشبيه المصيب .

ناهيك بتشبيه يجمع الحركة واللون ، وقد تلمح فى يصيح « الصوت » .

وأنا فى هذا المقال لا أعرض عليك كل ما استشهد به المبرد على مذهبه ومثل به ، ولكنى اختار لك بعض ما أثبته فى كتابه

فى هذا الباب ، يقول : ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول مخيس بن أرطأة الأعرجى ، والأحرج الحارث بن كعب من تميم ، لرجل من بنى حنيفة يقال له (يحيى) ، وكان يصير الى امرأة فى قرية من قرى اليمامة يقال لها (بقعاء) :

عرضت نصيحة منى ليحيى
فقال غششتنى والنصح مر
ومابى أن أكون أعيب يحيى
ويحيى طاهر الاخلاق بر
ولكن قد أتانى أن يحيى
يقال عليه فى بقعاء شر
فقلت له تجنب كل شىء
يعاب عليك ان الحر حر

لم يتعرض المبرد لشرحها تفصيلا ، ولكن عنى ببعض فقراتها ، والمعنى واضح ، فالشاعر يرى أن صلة يحيى ببقعاء جعلته مضغة فى أفواه الناس يلوكونها ، فنصحه فرماه يحيى بالغش ، مع أن الشاعر حريص على تنقية سيرة يحيى من الدنس، لعلمه بطهارة أخلاقه ، وما عليه لو تركها حتى يسلم من ألسنة الناس ، ويسلموا من الاثم ؟

والشاعر مقتصد فى تعبيره ، فكل معنى له لفظه ، ولذلك يقول المبرد .. فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه ، وانظر الى شرحه وتعليقه تجده يقول : وقوله « ان الحر حر » انما تأويله أن الحر على الأخلاق التى عهدت فى الأحرار ، ومثل ذلك « أنا أبو النجم وشعرى شعرى » أى شعرى كما بلغك وكما كنت تعهد ، وكذلك قولهم : الناس الناس أى الناس كما كنت تعهدهم .. وقوله « تجنب كل شىء يعاب عليك » كقول عمر بن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك ابن مروان فقال : آخذ لثلاث تارك لثلاث : آخذ بقلوب الرجال اذا حدث ، وبحسن الاستماع اذا حدث ، وبأيسر الأمرين عليه اذا خولف . تارك للمراء ، تارك لمقاربة اللئيم ، تارك لما يعتذر منه كقوله :

... تجنب كل شىء
يعاب عليك ان الحر حر

والهدف من كل ما ذكرت ومالم أذكر ، أن أبين أن تأليف العبارة

يجب أن يكون واضح الدلالة ، مرصوفا حسب قواعد اللغة ، ولو كان المعنى عويصا يحتاج الى كد الذهن ، فان تأليف العبارة حسب القواعد يعين على الفهم ، والارتياح الى التحصيل ، ومن ثم نرفض الشعر الحديث ، الذى يجىء تهويهات وتهاويل ، بكل الذهن عن بيان ما يعرضه الشاعر، وقد يتصور الشاعر الحديث أن الرمز هو الأداء ، ولكن الرمز اذا زاد عن حده كان أصواتا لا تحمل معنى ، وجميل من الشاعر أن يأتينا بالصور ، ولكن الصور ينبغى أن تكون مما يعكس مشاعر الشاعر ، ومما ترفضه أن يكون هناك أداء حسب التراث ، وأداء حسب اللغة المعاصرة ، فالفصحى هى الفصحى ، لها قواعدها ولها تراكيبها ، واذا كان الأقدمون لهم معان وصور حسب رؤياهم ورؤيتهم ، فلنا نحن مثل ذلك فى عصرنا ، فقد اتخذ الأقدمون وسائل القتال مثل السهم والسنان والسيف مجالا فى الغزل وغيره ، فعلينا نحن المعاصرين أن نصنع صنيعهم حسب ماتملى المعاصرة .

أما اللغة فهى الوعاء ، والوعاء يتضح بما فيه .. وأول المبادىء فى التعبير الوضوح .

ألا ترى قول الله تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان »(١) فالبيان هو مطلب الانسان ، فاذا ضاع البيان ضاع التأثير وفقد الارتياح، وصرنا الى التعقيد وهو شر ما يصاب به الأدب فى ذلك الزمان ، ولناعودة .

السيد حسن قرون

---

(١) الرحمن الآية ١ — ٤ .

انشقاق القمر والاعجاز العلمى للقرآن

دكتور منصور محمد حسب النبى

- ٢ -

ونظرا لأن موضـــوع انشقاق القمر فى الماضى قد تعرض لكثير من الجدل ، وأن منطق الرسالة يعتمد على العقــل والتفكير ، فاننى أرى أن أقدم التفسير العلمى لانشقاق القمر فى المستقبل •

عند اختلال نظام الأرض والقمر الذى قد يكون مقدمة لاختـــلال الكون كله كبداية للنهاية ، باعتبار أن الكون أشبه بالعقد الـــذى اذا انفرطت احـــدى حبـــاته تناثرت الحبات الباقية ، وليس هنـــاك من الناحية العلمية ما يمنع من اختلال نظام الكون على هذا النحو كمقدمة لزواله نهائيا عند قيام الساعة •

وأجدنى أكثر ميلا الى الأخـــذ بالرأى الـــذى يقـــول : ان الآية الكريمة تتنبىء بأن القمر سينشـــق فى المستقبل ، كعـــلامة من علامات الساعة ، لأننى وجـــدت فى العلم الحديث ما يؤيد ذلك ، بالاضـــافة الى ما ذكرته سابقا •

فاذا كانت الحقيقة العلمية تتفق على هذا النحـــو المدهش مع نص الآية القرآنية ، فما الـــذى يمنع عقلا وشرعا من تفسير الآية طبقـــا لتلك الحسابات العلمية القاطعة ، لاسيما وأن العصر الـــذى نعيش فيه الآن لا يؤمن بغير لغـــة العلم وسيلة للتخـــاطب ، فضـــلا عن الاقتناع ، ولاسيما أيضا أن هذه اللغة العلمية هى اللغة التى لا لغة غيرها لمخاطبة غير المسلمين ؛ اذا أردنا أن نصدع بما أمرنا من نشر الدعوة الاســـلامية وتبليغهـــا الى البشر أجمعين •

فهيا لنرى سويا ذلك الاتفاق المذهل بين العلم والقرآن ، لالنرد على المنكرين والكافرين بالقرآن فحسب ، بل ان بعض المسلمين الراسخى العقيدة يريدون — لكى تطمئن قلوبهم — أن يجدوا جوابا علميا لكثير من التساؤلات — حتى لا يعتريهم شعور بالنقص فى حجة عقيدتهم ، ولنستفيد من الحضارة الحديثة ، لنقدم الرد الصحيح على التحدى الذى يمسنا فى صميم مصيرنا ، ولنعلن أن الاسلام يتحدى العلم فى كل زمان وأن الفكر الاسلامى يقف وجها لوجه مع الفكر المعاصر والالحاد •

ثانيا : انشقاق القمر فى المستقبل :

أجمع معظم المفسرين حديثا على أن الآية الكريمة •

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

تفيد بأن القمر سوف ينشق عند اقتراب الساعة فى المستقبل ، وذلك لأن التعبير بالفعل الماضى عن حدث ما يستخدم عادة فى الأصل البلاغى فى مقام التعبير عن المستقبل ، تأكيدا لتحقق وقوعه •

ومن جهة نظر علوم الطبيعة والفلك : فان التوقعات العلمية الحديثة تؤيد أيضا انشقاق القمر فى المستقبل ، نظرا للتغير التدريجى لنظام الأرض والقمر •

وفيما يلى أقدم شرحا مبسطا للحقائق العلمية التى أدت الى هذه التوقعات المثيرة :

١ — دوران الأرض حول نفسها :

نحن نعلم أن الأرض كروية الشكل تقريبا ، وهى تدور حول نفسها ، أى : تدور حول محورها الوهمى مرة واحدة فى اليوم الواحد ، فيتعاقب عليها النور نهارا ، والظلام ليلا ، وتكمل الأرض دورتها حول نفسها فى زمن يقدر حاليا بأربع وعشرين ساعة ، أو على وجه الدقة ٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤ ثوان •

ودوران الأرض يمثل الساعة الكونية العظمى بالنسبة للانسان ، فهى الساعة التى تبلغ فى انتظامها حدا يندهش له الانسان ، فهى كما سنعرف فيما بعد : سوف تعطينا يوما أطول بمقدار ٠٠٢و٠ من الثانية بعد مائة سنة من الآن ،

وبهذا فان نسبة الخطأ لا تتعـدى واحد فى البليون ! •

واذا ما قارنا تلك الدقة المتناهية فى انتظام مدة دوران الأرض بجرم الأرض الذى هو حوالى خمسـة آلاف مليـون طن عـلى تنـاهى كبره ، فان العقـل البشرى ليقف مندهشا غارقا فى التأمل ، لدقة هذه الساعة الكونية العظمى ! •

ان ساعة من معدن أو غير معدن جرمها جرامات تـدور فتخطىء فى دورانها فى اليـوم بضـع ثوان ، ونقول عنها : ما أضبط وما أجمـل هذه الساعة !! فما بالك بالكـرة الأرضية التى تعمل كساعة كونية ، جرمها ملايين ملايين المـلايين من الأطنـان !! تـدور ولا تخطىء فى اليوم ثوانى ولا أعشار الثوان ، ولكن أجزاء من آلاف من الثانيـة وتخطئهـا لأسـباب معلـومة محسوبة •

حقا ان هذا الخطأ البسـيط فى دوران الكرة الأرضية دليـل على الكمال • وسبحان الخالق مبـدع السماوات والأرض •

وقد يندهش القارىء لصـغر هذه الأجزاء من الألف من الثانية التى يزداد بهـا طـول اليـوم الأرضى • وقد يقترن اسـتصغاره لها بالاستخفاف بها ولكن حـذار من اهمال المقادير الضئيلة فى حساب الأفلاك • ان عمر الانسان يقاس بالأيام والأشهر والسنين ، ولكن عمر الأفـلاك وأحداثهـا تؤرخ بملايين وبلايين السنين • وبهـذا فان ملايين أو بلايين السنين تجمع القليل التافه من هذه الأجزاء من الألف من الثانية ، لدرجة أن طول اليوم كان فى الماضى عنـد نشـأة الأرض ٤ سـاعات فقط ، وذلك عندما كانت الأرض كرة من الصخر المنصهر كالعجين قبل أن تتجمـد قشرتها • وعندما استقر الماء على سطحهـا ، وتكـونت البحـار والمحيطات ، بدأ المد والجزر بفعل جذب القمر لهذا الماء ، فأدى الى تعويق دوران الأرض حول نفسها تدريجيا ، الى أن أصبح منذ ٣٥٠ مليون سنة مثلا ٢٢ ساعة ، وأصبح الآن ٢٤ ساعة ، وسوف يصـبح فى المستقبل ٤٣ ساعة مثـلا بعـد حوالى خمسة بلايين سنة من الآن

وبهذا يدرك الانسان ما فى ساعة الكون العظمى : (الأرض) من تأخير ، رغم أنها أدق من الساعة التى تطلق عليها الشركات الآن ساعات الكوارتز ، التى تدرك الجزء من الألف من الثانية !

والآن وقد اكتشف العلم ما فى دورة الأرض حول نفسها من ابطاء ، والى جانب هذا الابطاء الدائم القائم المنتظم فى دوران الأرض حول نفسها لأسباب أكثرها وأخطرها جذب القمر لمياه البحار والمحيطات : (المد والجزر) توجد تغيرات فى سرعة هذا الدوان اسراعا أو ابطاء ، تصيبه فى غير انتظام وقد تصيبه بغتة !

فكل حدث يحدث فى الأرض : فى سطحها ، أو فيما دون سطحها ، يكون من أثره انتقال مادة من مكان الى مكان ، يؤثر فى سرعة دورانها .

فليس المد والجزر هو العامل الوحيد فى ذلك حتى ما تنقله الأنهار من مائها من ناحية فى الأرض الى ناحية يؤثر فى سرعة الدوران وهبوط فى قاع البحر أو بروز فى سطح الأرض هنا أو هناك يؤثر فى سرعة الدوران .

ومما يؤثر فى سرعة الدوران أن تتمدد الأرض أو تنكمش ، بسبب ما ، ولو انكماشا أو تمددا طفيفا لايزيد فى قطرها أو ينقص منه الا بضعة أقدام .

ولقد ثبت علميا أن أهم العوامل فى ابطاء الأرض فى دورانها حول نفسها هو جذب القمر لمياه البحار والمحيطات ، محدثا ما نسميه : « المد والجزر » .

٢ ـ ظاهرة المد والجزر وابطاء الأرض :

عرفنا أن يوم الأرض يطول مع الزمن ، نظرا للتباطؤ الحادث فى سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ولقد ثبت أن القمر يلعب دورا هاما فى هذه الظاهرة ، فالقمر تابع للأرض ، ويدور حولها وحول نفسه ، وهو أقرب الأجرام السماوية للأرض ، وكلنا يعرف ظاهرة الجاذبية بين كل الأجرام فى الكون ، وبهذا فان القمر يؤثر بالجاذبية على الكرة الأرضية وعلى حركتها فى الفضاء ، فيسبب

ظاهرة معروفة : « بالمد والجزر » حيث يعمل القمر دائما على جـذب مياه البحار والمحيطات التى تغطى ثلاثة أرباع سطح الأرض ، أثناء مواجهة هذا الماء للقمر ، فترتفـع هذه المياه عن سطح الأرض عاليا ، نظرا لليونتها ومرونتهـا ، فينتج ما يسمى بظاهرة : « المد » لهـذه المياه • وتدور الأرض بهذا الماء ، ليستقبل القمر ماء غيره على سطح الأرض ، فيصيبه « المد » بجـذب القمر ، بينما يهبط الماء الأول بعد أن دارت به الأرض وبعد عن تأثير القمر فيصيبه « الجزر » من بعـد المد • وهكذا تدور الأرض حـول نفسها ، فيتناوب سطوحها المائية جذب القمر لها شدا وتعلقا ، ويبعد بعض سطحها اذ يدور عن القمر ، والقمر متعلق بمائه ، فيعوق هـذا التعلق الأرض فى دورانها ، ذاك لأن الماء المتعلق يرتطم بما يأتى من سواحل المحيطات الصلبة وقيعانها ، فيعوق من دورانها ، أى من دوران الأرض ، وهو تعـويق يؤدى الى ابطاء سرعة دوران الأرض حـول نفسها ، ورغم أنه تعويق فى غـاية التفاهة الا أنه تعويق على كل حال يؤدى الى أن يوم الأرض سيطول فى المسـتقبل •

ويمكن تشبيه هذه الظاهرة وكأن الكرة الأرضية رجـل يدور حـول نفسه ، وتمسك أنت بأطراف ثوبه ، وكلما أفلت من يدك طرف أمسكت فورا بطـرف آخـر من الثوب ، وبهذا يتعطل الرجل فى دورانه حول نفسـه •

ولهـذا فان المد والجزر يبطىء أى يفرمل من دوران الأرض حول نفسها • ويتكرر المد والجزر مرة كل يـوم ، فى جميـع البحـار والمحيطات فى سائر أنحاء الكـرة الأرضية ، وبهذا يتكرر التعطيل ، ويزداد طول اليوم الأرضى الحالى تدريجيا بمقدار ٠٠٢ر٠ ثانية كل قرن !! فى المستقبل ، بينما كان هذا اليـوم أقصر فى الماضى بنفس المعـدل •

فلقـد ثبت أن اليـوم كان ٢٢ ساعة فقط ، منذ حوالى ٣٥٠ مليون عـام مضى ، وذلك فى العصـر المعروف بعصر الأسـماك ، حيث ثبت أن بعض الشعب المرجانيـة الحالية تظهر عليها أحزمة سنوية

تتركب من ٣٦٥ حلقة أصغر : (بعدد أيام السنة الحالية) تمثل مؤشرا للنمو السنوى الحالى لهذا النوع من الشعب المرجانية .

بينما المرجان المتحجر لنفس النوع من هذه الشعب ، التى كانت موجودة منذ نحو ٣٥٠ مليون عام ، فقد أظهر ٤٠٠ حلقة صغيرة لكل حزمة سنوية (بعدد أيام السنة فى هذا العصر !) .

وحيث انه لا يوجد دليل أو سبب لتوقع لأى تغيير حقيقى لطول العام ، فان كثرة عدد الحلقات يعتبر دليلا على أن اليوم فى هذه الحقبة الماضية من الزمن كان أقصر ، ويمكن بذلك حساب طول اليوم فى هذا الوقت الماضى بمقدار ٢٢ ساعة .

وهكذا لقد أدى ابطاء الأرض الى زيادة طول اليوم تدريجيا ، كما أظهرته دراسات الشعب المرجانية ، وساعات الكوارتز ، والساعات الذرية .

ويمكن القول بأن اليوم سيزداد طوله فى المستقبل ، حتى يصل مثلا الى ٤٣ ساعة بعد فترة تقدر بحوالى خمسة بلايين سنة من الآن . وهذا طبعا يوم طويل اذا ما قورن بيومنا الحالى ذى الـ ٢٤ ساعة ، مما سيؤدى حتما الى تطور نظام الأرض والقمر تطورا يجبر القمر على الانشقاق !

٣ ـ انشقاق القمر علميا :

من المعروف أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، بينما القمر تابع للأرض يدور حول نفسه وحول الأرض ، ولهذا فان الأرض والقمر يمثلان معا نظاما شبه معزول ، وهناك تأثير متبادل بينهما ، وكمية تحركهما الزاوى أى : الدورانى مقدار ثابت ، فلو أبطأت الأرض فى دورانها أسرع القمر فى دورانه والعكس صحيح ، لأن مجموع كمية التحرك الدورانى فى أى نظام معزول مقدار ثابت طبقا للقوانين الأساسية فى الطبيعة . والمقصود بكمية التحرك الزاوى (١) لأى جسم هى كمية

---

(١) ـ كمية التحرك الزاوى لجسم ماهى ناتج حاصل ضرب كتلة الجسم الدائر × بعده عن محور الدوران × سرعة الدوران .

التحرك المناظرة لدوران الجسم حول محوره أو لدورانه فى مداره أو لكليهما .

وحيث ان الأرض سوف تبطىء فى سرعة دورانها حول نفسها فى المستقبل ، فان القمر سوف يسرع حتما فى دورانه حول نفسه ، أو فى دورانه حول الأرض ، ليعوض ما ينقص فى الأرض من كمية تحركه . وهذا التسارع فى دوران القمر فى المستقبل سوف يؤدى الى انشقاق القمر ، ويمكن ادراك ذلك بطريقتين :

(أ) زيادة سرعة دوران القمر حول نفسه فى المستقبل ، سوف تؤدى الى تغلب القوة الطاردة المركزية (١) على أجزاء القمر المتماسكة ، فينشق القمر ويتفتت كما يتفتت الشىء عندما يدور بسرعة فى الخلاط الكهربى .

(ب) زيادة سرعة دوران القمر حول الأرض سوف تؤدى الى ابتعاد القمر عن الأرض ، ثم اقترابه منها تدريجيا ، وخاصة بعدما يصل يوم الأرض الى حوالى ٤٣ ساعة ، وذلك فى غضون ٥ الى ١٠ بليون سنة من الآن ، (٢) حيث سيقترب القمر من الأرض اقترابا يجعل الفرق فى تأثير جذب الأرض على الجزئين : القريب والبعيد من القمر كافيا لشق القمر شيئا فشيئا ! وعندما يحدث هذا فان بقايا القمر تصبح على شكل حلقة من الجسيمات حول الأرض ، شبيهة بدرجة كبيرة بحلقات زحل !

والآن وقد عرفنا بالمنطق العلمى المتفق مع الحضارة الحديثة أن القمر سينشق بالتأكيد فى المستقبل فقد تسأل كيف يمكن للعلماء تحديد موعد ولو تقريبى لانشقاق القمر علما بأن انشقاق القمر مرتبط كما ورد فى القرآن الكريم باقتراب

---

(١) ــ وهى القوة التى يكتسبها أى جسم مادى دائر ، ويكون اتجاهها خارج مركز الدوران ، مثل القوة التى تقذف بقطرات الماء خارج الملابس التى تدور فى مجفف الغسالة .

(٢) ــ آفاق جديدة فى علم الفلك ــ تأليف : جون براندت وستيفن ماران (مترجم) مكتبة الوعى العربى صفحة ٤٢٠ .

الساعة كما تشير الآية الكريمة : ؟

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

كما أن علم الساعة وتحديد يوم القيامة أمر من الغيبيات التى يحتفظ بها الله سبحانه وتعالى لنفسه بدليل قوله تعالى :

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » لقمان ٣٣

وللرد على هذا السؤال فاننا نلاحظ من سياق هذه الآية الكريمة أنها تقرر أن الله عنده : علم الساعة ، وينزل المطر ، ويعلم مافى الأرحام . وقد يتعرض الانسان بواسطة العلم لهذه الأمور الثلاثة ، وقد يتمكن فى حدود ضيقة (اذا ما سمح الله له بشىء من العلم الالهى وهذا جائز) أن يعرف علامات الساعة وكيفية نزول المطر واستعجاله ، ونوع الجنين دون تأكيد مطلق فى هذه الأمور الثلاثة . ولكن موضوع رزق الانسان وميعاد ومكان وفاته ، فان الآية تنص نصا صريحا على استحالة التعرف عليهما داخل أى اطار بدليل قوله تعالى :

« وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » .

وبهذا فان من الجائز أن يسمح لنا الله بمعرفة موعد انشقاق القمر دون تأكيد مطلق بهذا الموعد، وحتى لو عرفنا موعد انشقاق القمر فان هذا سيكون دليلا على اقتراب الساعة ، وليس قيامها !

كما أن العلم لا يستبعد تدخل عوامل أخرى غير المد والجزر تؤثر على سرعة دوران الأرض حول نفسها ، مما يقدم أو يؤخر من موعد انشقاق القمر ، وهذا يتفق مع الآية الكريمة التالية التى تشير الى قيام الساعة فجأة ، وبالتالى فان علامات الساعة سوف تحدث دون تأكيد مطلق بموعد حدوثها :

« هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون » . (الزخرف : ٦٦)

وقوله تعالى :

« يسألونك عن الساعة أيان

مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها » .

(النازعات ٤٢ ـــ ٤٥)

هذا هو العلم الحديث يكشف عن امكانية انشقاق القمر فى المستقبل ، دون تحديد مطلق لموعد الانشقاق . وهذا هو القرآن الكريم يشير الى انشقاق القمر ، وما كان رسول الله سيدنا محمد يستطيع معرفة هذه الظاهرة ، وهو مجرد من كل الوسائل العلمية التى تكشف النقاب عنها ، ولهذا فان القرآن الكريم كتاب الله ، وأن سيدنا محمدا رسول الله . وسوف يظل الاعجاز العلمى للقرآن الكريم حتى قيام الساعة ، بعد أن ينشق القمر ، وتتكور الشمس ، وتتحول الى عملاق أحمر كما سنعرف فى المقالة التالية باذن الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمته الله وبركاته .

دكتور

منصور محمد حسب النبى

رجاء الى كتاب مجلة الأزهر

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (التبرايتر) ثم مراجعتها ـــ أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والله الموفق .

أسرة المجلة

مع اللغة في تطورها

للدكتور توفيق شاهين

اللغـــة ككائن حى ، تتحـــرك وتمـــوج وتضـــطرب ، وتحيـــا وتستخدم وتتغير وتموت ، كشأن الأحياء •

ولا يمكن أن تثبت اللغة ثبوت الدين فى دائرة الخلود ، بل لابد من تغيرها وتطورها ومعرفة حياة اللغة وتقلباتها ، وتأثرها وأثرها ، وتماسكها أو تلاشيها •• كانت من البحوث القيمة ، التى أولاها علماء اللغة عناية كبيرة ، فى مجالات :

• علم الاجتماع اللغوى

(SOCIOLOGY OF LANGUAGE)

لبيان العـــلاقات التى تربط بـــين اللغة ومجتمعها ، وأثره فى مختلف المظاهر اللغوية ، من حيث تركيبه وحضارته وبيئته •

وكان التعاون بين علماء اللغات والاجتماع مفيدا لكليهما :

اذ استفاد الاولون من دراسة الألفاظ ودلالتها على نحو دقيق فى واقع الاطار الحضارى والاجتماعى •• وتفسير التغير اللغوى تفسيرا كاملا فى ضوء الظروف السابقة •

واستفاد الآخرون : أن اللغة من أهم مظاهر السلوك الاجتماعى ، وسبب لانتماء الفرد لمجتمعه •

• كما عظمت العناية ببحـــوث (علم النفس اللغوى

LINGUISTIC PSYOLOGY)

لبيان العلاقة بين اللغة ، والحالة النفسية ، والتفكير والايحاء •

• وكذلك بحـــوث علم الدلالة (السيمنتيك SEMANTIQUE)

وخاصة علمي : البنية : الاشتقاق والتصريف (المورفولوجيا) • والتنظيم ، فى أقسام الكلام وأنواعها ، ووظائفها فى التركيب ، فى المسارين : التاريخى والمقارن •

• وكذلك علم الأساليب : (الستيليستيك STYLISTQUE) الذى ينوع فنون القول باختلاف العصور عند الشعوب ، فى اطارى المقارنة والتاريخ أيضا • أما الجانب التعليمى فى كل ما سلف فقد استقل بنفسه ، وأصبح علما مستقلا ، وكثير من علماء اللغة ، لا يعدونه من أبحاث علم اللغة اليوم •

وقد احتاجت اللغة فى دراسة جوانبها الى تكاتف وتعاون هؤلاء العلماء ، حتى يتم توضيحها والكشف عنها فى قطبيها من ناحية الأصوات وأجهزة النطق ، التى تحتاج لعلوم : الطبيعة ، والفيزيولوجيا ، والتشريح ، والأنثروبولوجيا •

ومن ناحية المخبر وهى المعانى التى تؤدى اليها الأصوات ، ولما كانت المعانى يتم بها تنظيم علاقات التفاهم ، والتعبير عن الحاجات والمشاعر والأحاسيس ، احتاجت فى دراستها الى علوم الاجتماع ، والنفس ، والتاريخ ، والبيئة الجغرافية •

اللغة فى مسارها التاريخى أو الموروث :

التطور والتغيير ناقوس فى كل مجتمع والمجتمع بأسره وما يدور فيه عامل فى خلق هذا التطور • والمدلول الاجتماعى يسبق دائما المدلول اللغوى ، الذى يخلفه ليغطيه برمز لغوى • واللغة أهم ظاهرة لغوية فى المجتمع ، التى يتوارثها الأجيال تباعا • وكل تطور نفسى أو عقلى أو اجتماعى ، بيئى، أو حضارى •• تبدو مظاهره فى اللغة ، فتلاحقه ، وتتشكل معه تطورا وتغييرا وأثرا وتأثيرا • وبازدياد ملامح التغيير والتطور تتسع مسافة الخلف ، حتى تتشعب اللغة الى لهجات ، وتصبح لغات ــ كما أسلفنا ــ وهكذا دواليك •

وقد شبه بعضهم اللغة

بشـــجرة (١) تتـــدلى فروعها الى أسفل ، فتلامس التربة ــ وترسل فى الأرض جذورا تصبح أشجارا فتية فيما بعد • وقد تموت الشجرة الأم ، ولكن من فروعها تنشـــأ أشجار جديدة •

واذا قلنا : ان اللغة تمــوت ، فانما نقصـــد بالموت التغيير الكلى الذى يطرأ على المجتمع ، والتبدل الجذرى فى الحياة ، وفى الظروف المحيطة بالحياة الى حد نســتطيع فيه القول أن لغـــة اليوم مغايرة للغة الأمس •

قد نستطيع أن نطيل حياة لغة باقامة سياج حولها مــن أحــكام شديدة وقوانين ثابتة • وقد نقيم حولها هالة من التقديس ، وقـــد نضـــفى عـــلى أدبها مسحة مــن القدسية •• وجميع هذه تطيل فى حياتها ، ولكن لا مفر من المحتوم: (الموت) ، وكل حى يموت ، واللغة حيـــة فهى خاضـــعة لهـــذا الناموس ••• » •

ونقول : اذا جاز ذلك الموت على كل لغة ، فان العربية وهى وعـــاء مقدساتنا لن تموت ــ باذن الله ــ وان نالها التطور والتغيير •

واللغة تنبع من أصل ، وتجرى فى روافد الى مصب ، وتتشعب بها المجارى والروافد ، وكلما بعـــدت عن نقطة الانطلاق ازداد التغاير والتباين •

وهذا التطور قوى التيـــار ، يجرف أمامه ما يعترضه ، ويصبغه بصبغته ، مهما نشط اللغويون بكل امكاناتهم فى ايقاف زحفه ، فقـــد يطيل الأجل قليلا ، أو يوقف الزحف يسيرا •• ثم تمسى اللغة متقوقعة ، أو غريبة الوجه واللســـان ، أو هامدة الحركة •

ويؤيد ذلـــك : أن العـــربية وأخواتها الســاميات : العبرية ، والبابلية ، والأشورية ، والفينيقية والسريانية ، والحبشية ، عـــلى ما بينها مـــن اختـــلاف •• كلهـــا انشعبت وتحدرت من مجـــرى واحد •

وأن اللغـــات : الأرمنيـــة ،

---

(١) نظريات فى اللغة ٥٠

والايرانية ، والروسية ، والألمانية، والايرلندية ، واليونانيةوالسويدية والدانمركية ، واللاتينية ، والانجليزية ... على ما بينها من تباين كبير فى الاصوات والنظام والاساليب ... تمثل مجارى متشبعة من مجرى واحد ، من الجرمانية الأم .

ولم يبق للاتينية الا رسمها ، حين استقلت عنها : الفرنسية ، والايطالية ، والرومانية ، والبرتغالية ، والأسبانية .

وكالعربية الفصحى التى ظلت لغة كتابة وحديث وتأليف وأدب ، بينما تجد — اليوم — لهجاتها فى البعد عنها فى عامية الأقطار العربية وتغذ السير فى هذا البعد الذى استشرى وخيفت عقباه ونتائجه .

ومعلوم أن لكل لغة صفات أساسية مشتركة بين عدد من أصواتها ، يعرفه أبناء تلك اللغة الا أن لكل انسان صفاته المميزة فى النطق، وطريقة تعبيره وأدائهحتى (IDIOLECT,) ليمكن أن نميز صوته عن غيره ، ومن بعيد ، وعبر الأثير واللاسلكى ويرجع هذا الاختلاف الى التكوين الفسيولوجى لكل واحد على حدة ، وبسبب تعوده والفه . كما يتلون حديثه بما ينم عنشخصيته ومهنته وطبقته فى الحياة . والفروق الفردية فى النطق لا تخفى الأصوات اللغوية للمجموعة ، والتى تحميها الصفات الأساسية التى يشترك الجميع فى معرفتها والسير عليها . وتحديد هذه الصفات الأساسية لاصوات لغة ما كان هو السبب الداعى لنشوء نظرية (الفونيم) فى الدراسات اللغوية ، وعنها تفرعت (الفونولوجيا) .

وهذه الفروق الفردية بين الأفراد فى نطق الأصوات حتمية ، لا يمكن ايقافها ، لأنها جبرية ، وكل انسان وطبيعة تكوينه .

كما أنها قديمة : فقد وصف سيبويه — فى القرن الثانى الهجرى — الضاد التى سمعها بأنها : الضاد الضعيفة ، أى ليست هى الضاد التى ينطقها الأعرابى الأصيل (١)

---

(١) الكتاب لسيبويه ٢/٤٠٦

وقد قلبت هذه الضاد الى ما يقرب من الدال فى بعض اللهجات ، والى ظاء فى لهجات أخرى كما يشاهد فى العراق .

. والتغيير يشمل المفردات فى معانيها ، كما يشمل التراكيب ، وكما شمل الحروف : فاذا تتبعنا لفـظ (جمع) وبعض مشتقاته فى العربية ـ مثلا ـ لوجـدناها تطـورت حضـاريا كما يلى : القـواميس القديمة عـرفت (جمـع) بمعنى الضم والجمع والاجتـماع للناس والأشياء ، والأمر الجامع . وعرفت الصلاة جامعة ، وصلاة الجماعة ، وما عرفت الجمعية ، حتى القـرن الثانى الهجرى .

ولكننا لو راجعنا معجم (دوزى) فى عصر الحضارة ، وراجعنـا ـ أيضا : (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى) (١) لوجـدنا تشـعب الاصطلاحات وكثرة الاستعمالات :

فالجمع : حسابى عند الرياضيين وضـم الأصـل والفـرع لعلة مشتركة ، ليصح القياس عنـد الأصـوليين . عكس المفرد عنـد النحويين .

والجامعة اليوم : تيار سياسى ، وأكاديمى ، وشعبى فى الجامعـة الشعبية .

وأهل السنة والجامعة ، وجماعة المسلمين ، للصف الاسلامى الموحد

والجمعية العمومية ، والتعاونية .. والاجتماع للقـاء ، واجتماع المنجمين ، والاجتماع عنـد علماء الاجتماع ، واجـماع الفقهاء ، وعلماء الكلام ، والنحاة .

ويقول المقرى : انجمعت عـلى القلوب ، والقواميس لم تعـرف (انجمع) . وجاء عـن الادريسى (مجتمع) ، وعندنا اليوم المجتمع السـنوى ، والمجمع اللغـوى ، ومجمع البحـوث ، ونكنى عـن الزوجة بالجماعة ..

وقد كان تتابع الاضافات معيبا فى التراكيب ، كقول الشاعر :

---

(١) علم اللغة العربية ـ د ـ محمود حجازى ٢٩٩ وما بعدها .
(٢) كشاف التهانوى ١ / ٣٣ .

(حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى) .. فأصبح مألوفا فى تراكيب جديدة مثل : احتمال قرب سقوط مطر الشتاء .

الاحتكاك اللغوى فى مجال التغير :

الانسان مدنى بطبعه ، والاتصال ضرورى بين الأمم ، وقد كثر نتيجة لتذليل سبل الاتصال والاحتكاك اللغوى عندئذ لابد منه والتأثر والتأثير اللغوى نتيجة هذا الاحتكاك ، ومصير التأثير التطور والتغيير لا شك فى ذلك .

وسنة اللغات فى الاحتكاك الأخذ والعطاء ، والأعلى كعبا من اللغات هى التى تقرض أكثر مما تقترض .

والبلد المتفوق فى ناحية من نواحى الحياة أو الثقافة يعطى هذا الجانب ومع ألفاظه الى الذى افتقد هذا الشىء :

فقد أخذت اللاتينية عن الاغريقية ، مع حضارتها الشىء الكثير من الألفاظ ، وخاصة الطبية والفلسفية وأخذت الجرمانية عن اللاتينية مفردات عديدة فى : التشريع ، والقضاء ، ونظم السياسة والاجتماع (١) وأخذت الأوربيات عن العربية كثيرا من ألفاظ منتجات الزراعة ، مثل : الليمون ، والزعفران ، والسكر ، والكافور ، والقهوة ، والقطن ، والنسيج الموصلى ، والدمشقى . وهى على الترتيب :

LEMON, SAFFRAN, SUGAR, CAMPHOR, COFFEE, COTTON, MUSLIN, DAMASK.

وأخذت الأسبانية عن العربية حوالى أربعمائة لفظة ، فى شئون الملاحة والبحرية ، وكذلك صنع اليونان كالأسبان .

وكلمة (شاى) وفدت من ماليزيا ، وعمت أرجاء المعمورة

وأخذت العربية من اليونانية : الفاظ الطب ، والفلسفة والمنطق ، وعلوم الطبيعة ، وكذلك الفردوس ، والقسطاس ،والبطاقة ، والسجنجل (للمرآة) .

وأخذت العربية عن الفارسية

---

(١) علم اللغة . د . وافى ٢٣٢ .

أسماء التوابل • والأدوات المنزلية •• مثــل الفلفل ، والقـــرفة ، والزنجبيل ، والدراصينى ، والكوز والابريق ، والطست • والخوان • ومن العطور : البنفسج ، والمسك ، والياسمين ، والكافور ، والعنبر • ومن النسيج : الديباج ، والسندس •• والاستبرق (١) •

وأثبتت العــربية بما أخـــذته وعربته من اللغات الأخرى أنهـا ذات قدرة بارعة على هضم الألفاظ الأجنبية ، وصقلها على أوزانها فيها وجعلها مثل الالفاظ الاصلية فيها ، حتى صرفتها واشتقت منها ، فقالت فلسفة ، وتفلسف ، ومتفلســف • ونورز من النيروز •

اللغة والحضارة :

تعيش اللغة فى تفاعل دائم مــع طبيعة العــلاقات الاجتمـــاعية ، والحضارية ، والسياسية ، وكــل ما فى المجتمع عبر الأجيال ، لأن اللغة من الحياة الانسانية ولها ، والعنصر الانسانى هو الـــذى السحر والكمال والجمال ، فهــى أكثر من (فونيمات) وحياتهـــا أو موتها أو تبدلها رهــن بالعنصر الانسانى اذا عاش عاشت معــه، وان مات توارت معه ، سواء اكان موته حقيقيا أو معنويا •

واللغة أصدق سجل لتـــاريخ الأمـــــة ، وميزان منزلتها من الحضارة ، وتعكس مافى البيئة من مختلف الشئون الحياتية ، وتتأثر بكل مايدور ويحدث فى البيئة من موروث أو طريف ، والانسان ابن بيئته : فــان بــدت وبادت معــه لغتــــه ، وان تحضرت حضر وتحضرت معه لغته :تتسع بانفتاح آفاقه وتنغلق بانعزاله :

فمن (الســـاميات) : كانت (الآرامية) فى الشمال : قليلـــة الألفاظ ، مضطربة القواعـــد ، ثقيلة التراكيب ، صعبة النطــق ، متنافرة الكلمات والحروف •

و (العربية) فى الجنـــوب : يضفى على اللغة مسحة من تأثير وفيرة المفردات ، رقيقة الحاشية

---

(١) فقه اللغة للثعالبى الباب ٢٩ ، والمزهر للسيوطى ، النوع ١٩.

انسانية التعبير ، منطقية القواعد، رحبة الأفق ، ووسعت كتاب الله لفظا وغاية •

وجاءت (العبرية) فى منزلة بين المنزلتين : ففاقت الاولى ، ولم تبلغ شأو الثانية » (١) •

واللغة أداة بلاغ ، وحمالة حضارة ، لكنها كما ثبت من الواقع — لاتحدد نوع الحضارة لمجتمع معين : فقد ثبت : « أن المجتمعات التى تتكلم لغات مختلفة يمكن أن تشارك فى نفس الحضارة : كالحضارة العربية الاسلامية » ، التى حاكتها أمم تنتمى الى لغات شتى •

وعكس هذا صحيح أيضا : «فمن الممكن أن تستعمل مجتمعات تنتمى الى حضارات مختلفة لغة واحدة ، كما هو حاصل فى الوقت الحاضر — مثلا — للغة الانجليزية » (٢) •

فاللغة انعكاس لاهتمامات المجتمع الذى يتكلمها ، وتفى — دائما — باحتياجاته واهتماماته بشكل مرض للغاية ، وهى — بالتالى — تساعد الفرد والمجتمع على التفكير الى العالم بطريقة ما ، ولكنها لاتمنعه من التفكير والتصرف بطريقة أو طرق أخرى•

فاذا انتقل المجتمع من حال الى حال : من الزراعة الى الصناعة ، أو من البداوة الى الحضارة لاتقف اللغة حائلا دون ذلك التحول ، لان فى كل لغة امكانيات للتطور والتغيير ، بحيث تساير المجتمع الجديد فى كل مايجد فيه من شئون ، تسرع أو تبطىء فى ذلك على حد ما فى طياتها من امكانات اليسر أو العسر فى الحركة ، ولكنها سائرة نحو الوفاء بالتعبير عما جد فى المجتمع الذى تعايشه من مداليل وأمور •

وتصطبغ اللغة بما فى البيئة ، وترى أنماط السلوك السائدة ، والاتجاهات الاجتماعية ، والطبقية وتوحى بدرجة الثقافة :

---

(١) علم اللغة ٠ د٠ وافى ٢٣٥ ٠
(٢) أضواء على الدراسات اللغوية ٢٢٠ ٠

فحين يصبح فرس امــــرىء القيس خير وسيلة للسفر ، يصفه امرؤ القيس بتفصيل دقيـــق . وحين تمسى ناقة طرفة خير ركوبة وعليها زاده وأمله وحيـــاته .. يمطرها بأكثر من أربعـــة آلاف لقطة ، لاتـــدع شاردة ولا واردة من شئون ناقة الا أحصاها .

وحين تمحل الأرض أو تخلــف السماء ، لاتجد أثرا للراحلـــين سوى الدمن والاطلال ، وبعـــر الآرام فى العرصات .

وحين يحيا القوم فى عيشـــة راضية ، يمـــدح الشاعر المرأة ، بأنها نئوم الضـــحى ، ويضـــحى فتيت المسك فوق فراشــــها ، ومشيتها من بيتها الى بيت جارتها مشى السحابة لاريث ولا عجل .

ويكون القـــوم الممدوحون : رقاق النعال ، وطيب حجـــزاتهم ، ويسوسون أحلاما بعيدا أناتهـــا وتخالهم جنا اذا جهلوا .

وقانون البيئة وانطباع مافيهافى اللغة لا يتخلف ، والعنصر الانسانى هو الأداة والحمالة : فقد تزدهـــر الحضارة ، وتموج بها الدنيا مـــن حوله ، وهو لايدرى .. لكـــن ما ان يتعامل مع الدنيا الجـــديدة وينفعل الا وتجد النقلة واســـعة ، والجذوة متقـــــدة ، اذا كانت القريحة وقادة :

تحدث أســــانيد الأدب : أن شاعرا وفد من البادية ، مشـــبعا بمشاهـــدها ، ويحمل بضـــاعتها ، مدح على بن الجهم ، فقال له :

أنت كالكلب فى وفائك بالعهـــد
وكالتيس فى قراع الخطـــوب
أنت كالدلو لاعد مناك دلـــوا
من كثير العطا قليل الذنـــوب

فهم احد جلساء الأمير بتأديبه، ولكن الأمــــير أدرك بفطنته ، فالشاعر استوحى محصــــوله ومخـــزونه اللفظى والمرئى ، فلم تسعفه الذاكرة بأكثر مما عاشـــه واقعا فى بيئته ، وأبقاه الأمير زمنا يسيرا ينعم فى بحبـــوحة العيش ، ويتعامل مع الطبيعـــــة فى أجلى مغانيها ومفاتنها ، ويشـــاهد الجوارى كالحوريات فى غدواتهن وروحاتهن وتحـــدث كتب الأدب أن ذات الشاعر رأى فى روضـــة

أريضة كالخميلة جارية تتهادى بين الشجر ، فهم بمغازلتها فتهددته بخنجرها ، فأمسك بيدها قائلا :

يامن حوى ورد الرياض بخده
وحكى قضيب الخيزران بقده
دععنك ذا السيف الذى جردته
عيناك أمضى من مضارب حده
كل السيوف قواطع ان جردت
وحسام لحظك قاتل فى غمده
ان رمت تقتلنى فأنت مخير
من ذا يعارض سيدا فى عبده

وذات الشاعر هو القائل أيضا :

عيون المهابين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى .

وهكذا تكون النقلة ، وهكذا يكون أثر البيئة ، وهكذا تكون اللغة مطواعا لألمعى .

وكثير من العلماء يرون أن لكل لغة مقدرتها على التعبير عما فى بيئتها ، فلا مجال لتفضيل لغة على أخرى فى أية ناحية ، وانما التفضيل لحضارة على أخرى تحملها لغة :

يقول الأستاذ أنيس فريحة :

« لقد أثبت علم اللغة الحديث: أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، يتميز بها كل مجتمع انسانى ، وهى ظاهرة انسانية .. لم تهبط من عل ، بل نشأت من أسفل ، وتطورت بتطور الانسان ذاته ، ونمت بحضارته . وليس هناك مبرر للمفاضلة بين لغة وأخرى .

لكل لغة عبقريتها ومقدرتها على التعبير عن حياة المجتمع .

وليست القضية قضية لغة أفضل من لغة ، بل قضية حضارة أرقى من حضارة . وحياة أغنى من حياة .

ولذلك لا مفاضلة فى أصوات اللغة : كأن يقول أحدنا ، ان فى الايطالية أصواتا أعذب موسيقى من أصوات العربية ، فالذى نعده ــ نحن البيض ــ عذوبة فى الصوت ، قد يعده الهندى الأحمر قبحا وخشونة . وما نحسبه بيانا وفصاحة .. قديرى فيه الزنجى غموضا وتعقيداً .

ولامبرر للقول بأن مفردات لغة ما أكثر عدداً من مفردات لغة أخرى ، اذ قد يكون عندنا ــ نحن البيض ــ للصورة الذهنية لقطة

خاصة تعبر عنها ، بينما نجد أن الصفر أو الحمر أو السود من البشر لايشعرون بأن هذه الصورة الذهنية تحتاج الى لقطة خاصة بل قد يعبرون عنها بطريقة أخرى مخالفة ، ولكن فعالة » (١)

ونحن لا نوافق الاستاذ فى كل ماذكره : فهناك عذوبة فى موسيقى بعض اللغات كالفرنسية ، يحب الانسان أن يسمعها ، ويأنس لها ويطرب ، ولولم يدرك معناها • وهناك لغات غنية بمفرداتها ، وأخرى فقيرة •• وناهيك (باللسان) الذى يضم بين دفتيه أكثر من مائة ألف مادة •• ومخزونه الوفير هذا ارهاص بأنه يلبى أشواق الروح ومطالب الحياة والأحياء ، حين تدعو الحاجة ، وتلم الضرورة •

اللغة والفكر :

ثار جدل كبير بين العلماء والمفكرين ، بشأن قضية : توافق اللغة والفكر وتفاعلهما • فكان التساؤل : هل يوجد فكر مجرد بدون رموز لغوية ؟ أو أن اللغة والفكر مظهران لعملية (سيكولوجية) واحدة ، كوجهى قطعة عملة ؟

والسؤال بوجه آخر ، هل هناك ارتباط بين طبيعة نظام اللغة ورموزها من جهة ، وبين تفكير مجتمع هذه اللغة وفلسفته ومظاهر التفكير التى انتجها وينتجها هذا المجتمع من جهه أخرى •

بعض العلماء يؤيد هذا الترابط وتؤيد التجارب والدراسات : بأن اللغة تسيطر على طريقة تفكير المجتمع ، وان سلوك الفرد والمجتمع معزو الى اللغة المتكلمة وطبيعتها •

وبعض العلماء ينقض ذلك وينفيه • فمسافة الخلف واسعة ، والتطرف كبير بين النفى والاثبات:

يرى سابير (SAPIR) : أن اللغة هى التى تجعل مجتمعا ما يتصرف ويفكر بالطريقة التى يتصرف ويفكر فيها • وأن ذلك

---

(١) نظريات فى اللغة ٤٨

المجتمع لايستطيع رؤية العالـــم الا من خلال لغته ، فالبشر واقعون تحت رحمة تلك اللغة المعينة ، التى اتخذوها وسيلة للتفاهم فى مجتمعهم • حقيقة الأمر أن العالم الحقيقى مبنى الى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين »(١)

وفى موطن آخر يوضح (سابير) نظريته ، بأن اللغة طريق ممهد ، أو أخدود كالأخاديد التى تراها على سطح اسطوانة تمهد وتحدد للابرة لتمر فيه لتردد الصوت •

فاللغة تسهل الفكر وتساعد على نموه ونمو الفكر ذاته يعود فيؤثر فى اللغة وتطورها ونموها • فالتفاعل بين اللغة والفكر أمر واقع : (٢) •

ان ولادة فكرة ما يسبقها عادة نوع من التعبير اللغوى الواضح أو غير الواضح • ولكن هذه الفكرة المولودة جديدا لايصبح لها كيان ذاتى مالم تلبس رمزا لغويا ، أى مالم تضمن الفكرة فى (كبسول) لغوى ، عندها تشعر أن الفكرة المولودة جديدا قد أصبحت ملكا لنا ، وأصبحت تشكل جزءا من تفكيرنا •

وكان (بنيامين وورف) أوضح وأشد صراحة من أستاذه (سابير) اذ جعل اللغة حاكمة تماما ، والمرء أسير لغته ، يقول : « ان الانسان أسير لغته ، وان اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار ، فنحن نقسم الطبيعة (العالم) بموجب الخطوط التى ترسمها لنا لغاتنا القومية » (٣) •

بينما يرى (الفرد كورزيسكى A. KORZYBSKY ١٨٧٩ — ١٩٥٠) ، عكس النظرية السابقة فلغة مجتمع معين لاتحدد الاطار لذلك المجتمع لأن يرى العالم من خلال لغته • ويوضح ذلك ، بأن (الخريطة لاتمثل الرقعة الأرضية كلها) ، أى أن اللغة لاتمثل كل مايشمله هذا العالم من أشياء ، وما يحدث فيه من أحداث » •

(١) أضواء على الدراسات اللغوية ٢١٨ •
(٢) نظريات فى اللغة ٥٩ •
(٣) أضواء على الدراسات اللغوية ٢١٩ •

وتأسيسا على الرأيين السابقين جعل العلماء طريقة التفكير عند العرب والفرنسيين استنتاجية : (DEDUCTIVE) لأن الصفة فى لغتيهما تتبع الموصوف • بينما تفكير الأمة الانجليزية تفكير استقرائى : (INDUCTIVE) لأن الموصوف عندهم يأتى بعد الصفة (١) •

وقيل أيضا : ان مجتمع اللغة التى لا تميز تراكيبها بين أحداث الجملة ، ومورفيماتها بدقة فى الاستعمال مجتمع قدرى، كمجتمع الهنود الحمر مثلا ، فلا ضابط له ولارابط ، وتفكيره ضحل ، وتعابيره بدائية محسوسة •

وأى مجتمع لا تتوافر فى لغته بنيات الزمن ، وتتقاسمها مصطلحات التحديد المنطقى ، تتسم حياته بعدم احترام الزمن ، ولا يقيم للفكر والمنطق وزنا •

ولكن بعض علماء اللغة يردون هذا وذاك ، ويثبتون خطأ هذا القول ، فقد ثبت أن ليس هناك لغات بدائية متخلفة ، ولغات عصرية متقدمة ، ففى مفردات كل لغة وتراكيبها — فى أى لغة — مايغطى ويفى بمتطلبات وحاجيات هذا المجتمع ، ويتمشى مع ما يعوزه من أشياء • فقد ذكر طرفة ناقته وشئونها فى أكثر من أربعة آلاف لفظة فى مجتمع بدائى التفكير والبيئة فيه ضحلة •

ويعرف (الاسكيمو) لصنوف الثلج وألوانه الشىء الكثير، ويعبر عن كل نوع بلفظة تخصه •

وللأرز فى (الفلبين) أكثر من عشرين لفظة •• وتراكيب كل لغة تعين مجتمعها على التعبير الصائب، والفهم والافهام •

وبعض الكلام لايدخل فى نطاق الفكر ، ولا تتلبس به اللغة تلبسا واضحا وقويا • فقولك مثلا : نمت الليلة نوما هادئا • وقولك لزميلك: تفضل معنا لا تحتاج سوى لمسة فكر خفيفة •

فالمعادلات الرياضية كانت

(١) أضواء على النظريات اللغوية ٢١٨ وما بعدها .

موجودة بصورة ما فى الذهن ، قبل تلبسها برمز لغوى . ولكنه بعد تلبسه بها وضحها وفننها ، وجعلها تقترب بسرعة من الفهم والاذهان عند ذويها .

فضلا عن أن المدلولات الاجتماعية تسبق فى الظهور المداليل اللغوية التى تعنونها . هذا **ما يترتب على الرأيين** السابقين ، (لسابير)وتلميذه (بنيامين) من ناحية ، ورأى (الفرد كورزبسكى) من ناحية أخرى فى سيطرة اللغة على الفكر ، أو عدم السيطرة . وذكرنا طرفا مما اعترض به على النظريتين .

وهناك رأى فلسفى لا يفصل بين الفكر واللغة ، لأنهما نوعان من السلوك البشرى : اذ يعتبر (جون واتسون JOHN WATSON وأصحاب المدرسة السلوكية : التفكير نوع من الكلام الداخلى، والمنطوق على مستوى الحنجرة . و (سكنير SKINNER) لا يفصل بين الفكر واللغة ، لأنهما نوعان من السلوك البشرى على حد سواء (١) .

ونقد هذا الرأى : بأن اللغة نظام تجريدى يشارك فيه أبناء المجتمع الواحد بينما الكلام الفعلى واحد من مظاهر القدرة اللغوية الكاملة .

والذى نرتضيه من هذه الآراء :

ـ أن العلاقة متبادلة بين اللغة والفكر ، وكذلك بينهما وبين الحضارة والأحداث التى تدور فى المجتمع : فهما يعتمدان على بعضهما الى حد كبير . ونحن لا نستطيع التفكير أبعد من قدرتنا اللغوية : كما لا نستطيع أن ننطق بما لا نستطيع التفكر فيه .

ـ وان التجارب التى أجريت ومازالت تجرى دلت على أن اللغة لا تسيطر سيطرة كاملة على أى مظهر من مظاهر الحضارة ، أو احتواء الفكر احتواء كاملا .

مجتمع اللغة والطبقية :

اللغة ناظمة عقد أى مجتمع ،

---

(١) السابق

ودليل هــويته ، ومرآة أحــداثه وشئونه ، وهى لذلك خير ترجمان لكــل ما يــدور فى المجتمع : ان فى أعــلاه أو فى قاعــه ، وتعــكس الاحداث الاجتماعيــة ، وهــوية النظم والتقاليـــد ، والثقـــافة والانتماء الحرفى ، وكــذلك القيم والسلوك السائدة ، لكل الأشتات والأجناس التى يموج بهــا هــذا المجتمع :

وتكشف الالقاب والنعوت جانبا كبيرا مما سلف ، اذ عندما تسمع : حضرة صاحب الجلالة والسلطان ، والعظمة ، والسمو ، والفضـيلة ، والغبطــة ، والمعــالى والسـيد ، والباشا ، والبــك والأفنـــدى ، والأستاذ ، والدكتور ، والمهندس ، والأسطى •••

وعندما تتصـــدر الرسائل أو تنتهى بمثل هذه العبارات :

تفضـــل ســـيدى ، ومولاى ، وأرجو أن تتفضلوا ••• تدرك على الفور أن اللغة كشفت عــن جانب من هوية المجتمع وبعض نظامه ، وطبقــاته المتعايشــة ، ونظــامه السياسى •

وبون شاســع بين هــذا ، وبين ما عرفته العربيـــة فى الصـــدر الاســـلامى ، حـــين كان يخاطب الأعـــرابى النبى صلى الله عليه وســـلم ، قائلا : يامحمد : أعطنى من مال الله •

وللمجتمع الفه وعـــاداته فى أحاديثه وتعـــابيره التى تخضـــع لمعايير الذوق والأدب : فيكنى عما يسىء ويزعج ، ويورى عما ينفر ، ويغلف بمعسول القول ، ما يؤلم ، ويستر بأسلوب الحكيم البليغ ما يؤذى المشـــاعر والأحاسيس ، وما يستقبح ويستهجن ذكره :

وللعربية قصب السبق فى هــذا المضمار :

ففى حديث السيدة عائشـــة ــ رضى الله عنها ــ : ما رأيت منــه ولا رأى منى « والرسول يوصى به بألا يقول أحد : عبـــدى وأمتى • ولكن فتاى • وفتاتى • والقـــرآن الكريم يقـــول فى أدب عـــال : **«نساؤكم حرث لكم» ، « فاعتزلوا النســـــاء فى المحيض » ، « واهجروهن فى المضـــاجع » ،**

« **فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا** » •

ويقول عمر بن أبى ربيعة فى مواسم تغزله :

وكم من مالىء عينيه من شىء غيره

ويقول فقهاؤنا ينقض الوضوء مايخرج من أحد السبيلين ••

وحتى أطباؤنا لايذكرون ألفاظ (السل) ، و (السرطان) ، لمن هو مريض بهما ••

ونحن لانقول : مات فلان ، ولكن نقول : انتقل الى رحمة الله ، وأراحه الله ، وأعطاك عمره ••

وأحيانا نلوذ بكلمة أجنبية ، مثل (التواليت) ، أو مجاورة كالحمام (واكس) لما دل عليهما ،

وحتى قلنا للأعمى : بصير ، وللمريض : سليم ، وللأعور : ممتع باحدى عينيه •

وذكرنا قبل لفظة « الشيطان » ببسم الله الرحمن الرحيم ، لئلا يخرج لنا • والشر بره وبعيد عن بيتنا •

كل ذلك من باب الأدب والاحتشام والحياء ، ومراعاة الذوق العام ، أومراعاة لأعراف ومعتقدات ، وأسباب تعلم أو تخفى •

وظاهرة الكلام المحظور اجتماعيا (TABOO) ، محكومة اجتماعيا ، وقد يكون قانونيا فى البلاد المنعزلة والمحافظة ، والتى لا تقبل اطلاقا بخدش الحياء العام كما فى بعض البلاد الاسلامية ، وفى المجتمعات الانجليزية •

بينما يكون الحبل على الغارب فى البلاد المفتوحة ، للأدب الصريح والمكشوف ، فلا يستحى أهلها فى التعبير عن السوآت والعورات ، وتسمية المستور باسمه الصريح ، وتداوله فى كتب ومجلات سيارة ، كاللغة اللاتينية قديما ، وبعض مجتمعات أوروبا حديثا ، وخاصة عند المنحرفين كالهيبيين ومن على شاكلتهم دونما حياء ولا خجل ، وقد يكون ذلك بسبب التحدى للمجتمع ، أو الشذوذ ، أو التمرد على السلطة والنظام القائم •

كما لاحظ علماء اللغة أن من الألفاظ ما يحظر على النساء ذكرها ومنها ما يكثر على لسانهن أكثر

مما يكون على لســـان الرجال ، وحبــذا لو درس ما يـــدور فى مجتمعهن كاملا ، ليظهــر الفــرق جليــا .

فالمـــــرأة الانجليزية كانت لاتتحدث عن رجل المائدة المكسورة والنساء عموما تكثر من ذكـــر الألفاظ العاطفية ،والتمييز الدقيق بين أنواع الألوان ، بما لايعرفــه معظم الرجال .

وتحابى اللغة أحيانـــا جنس الرجال ، فتغضب جماعات النساء، فالتغليب لجنس الرجال شائع فى العربية وغير العربية .

وذكر الدكتور نايف خرما ، أن الانجليزية حين تقول :

تعنى أن الرجل محترما وينتمى الى احدى المهن المرموقة
(HE IS PROFESSIONAL)
بينما اذا قالت الانجليزية
(SHE IS PROFESSIONAL)
فيصف ذلك المرأة

بأنها مومس وكلمــة (MASTER) تعنى بالنسبة للرجل (ســيد) .
بينما مؤنثها (MISTRESS
تعنى أن المرأة موسومة بوصــف سوء . وفى الانجليزية أكثــر من مائة كلمة بدلا من كلمة حيض .

وأحيانا تسقط اللفظة اجتماعيا، وأصلها لابأس به .. فلا تذكــر الا فى وسط مثقف كحــــديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : اخوانكم خولكم أطعموهــم مما تطعمــون ، وأكســـوهم .. والمعنى عبيدكم خدمكم ، بينما هم فى الحقيقة اخوان لكم ، فأنزلوهم المنزلة الاسلامية الانسانية .

الجهود اللغوية فى صــيانة اللغــة واثرائها :

كل أمة لها اسهام فى الحضارة الانسانية بشىء ، ولها ماضـــيها التليـــــد ، وحاضرها المشرف ، ومستقبلها المرجى .. تحافظ على لغتها ، حفاظها على مقوم رئيسى من مقومات حياتها ووجودها .

والمستعمر قبل أن ينال ثروات الشعوب ومقدراتها ويسيطر عليها يوهن من عرى لغتها ، ويطاردها حتى تمسى فى زوايا النسيان .. لأنه يدرك أن اللغة منــاط وحدتهم وناظمة عقدهم .

ولولا جهود الشيخ عبد الحميد

بن باديس الجزائرى وأعوانه فى الجزائر ابان الاستعمار الفرنسى لكانت العربية فى خبر كان .

وعندما نتأمل المنجزات الحضارية فى تاريخ الشعوب .. نجد أن مفخرة من مفاخرها هى أبجدية الكتابة .

وقد كان قصب السبق فى هذا الجانب للحضارة السامية ، ثم نقلتها عنها الحضارة الفينيقية الى اليونانية ، والرومانية بعد ذلك .

وتدرجت الكتابة بالرسم المشخص للشىء ، الى الرمز عنه بشىء منه ، أو بخطوط متعارف عليها ، كما تحكيه لنا قصة الكتابة الأبجدية : فالمصرية القديمة رسمت الصقر بصورته ، ورمزت الهيروغليفية للشمس بدائرة فى وسطها نقطة . ورسم الفينيقيون للدلالة على الثور رأس الهمزة . واستعانت الصينية بأكثر من أربعين خطا أساسيا ، توضحها خطط صغيرة فى أبجديتها .

وترجمت الحروف عن الأحداث ـ كما فى مقدمة الشيخ العلايلى ـ فالسين والميم والكاف تشير الى السمك بمعنى : كف الماء القوى . والجمل والشجر ، لأى شىء عال ضخم كالجبل ..

ومن الأبجدية الفينيقية اشتقت الاغريقية ، ومنها أخذت اللاتينية ومنها كانت حروف الأوربيات الحديثة ، ومن الفينيقية أيضا : اشتق العبرى القديم ، والآرامى ، والتدمرى ، والسريانى ، والنبطى ومن النبطى جاء العربية .

وكانت الكتابة نعمة جلى ، لأن الاعتماد على مخزون الذاكرة كثيرا مايخون ، أو يتداخل فيحدث اللبس والخلط فأصبحت لغة الكتابة ، وسيلة القيد ، والحفظ للتراث وعدم ضياعه ، وتولى الحكومات جهدها لتعليم اللغة المحلية ، وحفظها وصيانتها وتنقيتها مما يشوبها ويعلق بها ويأتى ذكرها فى دساتير البلاد فى المرتبة الثانية ان لم تكن الأولى ، وتعكف المدارس والمعاهد والجامعات على تعليمها ، والتدريس بها ، وتلتزمها وسائل الاعلام المختلفة فى بث برامجها ونشر بضاعتها . وقد أمر الرسول

ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيد بن ثابت بتعلم لغة أجنبية ، وجعل فداء اسرى بدر بتعليمهم أبناء المسلمين الكتابة !!

وكلما تقدمت وسائل الاتصال والتكنولوجيا ، كلما أعان ذلك على الثقافة ، ووجدنا حركة التجديد فى اللغة ، فى تأثر الأدباء والكتاب باللغات ، الأجنبية ، وترجمة المفردات الأجنبية والتراكيب والافكار .

وفى احياء المفردات المهجورة من بطون المعاجم القديمة رغبة فى التجديد ، ونقل المصطلحات الأجنبية .

والنشاط فى التآليف والترجمة .

والحث على التأليف اللغوى للأبحاث اللغوية ونشرها واشاعتها ..

وانشاء المجامع اللغوية للحفاظ على اللغة القومية وتنميتها ، وترويض الدخيل ، وانتقاء وصقل الوافد ، وايجاد البديل ..

وكل تلك محاولات تطيل أجل بقاء اللغة ، ولكن سنة التطور والارتقاء والتغيير تنال من اللغة برغم كل الاحتياطات والسياجات سنة الأحداث والأيام فى اللغات .

الدكتور توفيق شاهين

الأزهر جامعاً وجامعة
أو مصر فى ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

- ١٤ -

وانتهت الثورة العرابية بتسليم أحمد عرابى وأصحابه أنفسهم ومحاكمتهم واعترافهم بجريمة العصيان ليحكم بالنفى بدلا من الاعدام

ولم يقبل عبد الله النديم الاعتراف بالعصيان ، وانتقد عرابى وزملاءه على هذا الاعتراف، واختفى النديم تسع سنوات فى قرى الدلتا ، متخفيا متنكرا بزى مغربى أو يمنى أو شامى ، أو غير ذلك من صور التنكر ، ومجددا تنكره كل حين ، وآواه الناس وعرف الكثيرون سره ، فستروه ، ولم يطمعوا فى المكافأة التى جعلت لمن يدل عليه ، ايمانا بأهداف الثورة ، وحفاظا للذمام كطبيعة الخلق العربى ، حتى وشى به أخيرا مخبر سرى متقاعد طمعا فى المكافأة، ولكنه لم يقبضها ، لأنه لم يكن يعرف أنها كانت موقوتة بسنة ، فقبض على النديم فى أكتوبر سنة ١٨٩١ م ، ونفى الى يافا (تل أبيب بفلسطين) ٠ ثم عفى عنه سنة ١٨٩٢ ، ثم نفى ثانية سنة ١٨٩٣ ، وتوفى منفيا باستانبول فى أكتوبر سنة ١٨٩٦ ، وتعد حياة عبد الله النديم من أروع قصص المغامرات والبطولة وحرية الرأى (عبد الله

النديم للدكتور على الحديدى) •

ثم أخذت الحكومة تقبض على عشرات الآلاف ممن كان لهم ضلع فى الثورة ،أوتشجيعها سواء بالعمل أو القول أو المال ، وكان من المقبوض عليهم مئات من علماء الازهر وطلبته ، وحوكموا ، وحكم عليهم بالسجن أو النفى مددا مختلفة ، ولو أردنا حصر العلماء الذين قبض عليهم لطال بنا القول ، ولكن نذكر بعضهم ، فمنهم الشيخ محمد عبده، وقد سبق ذكره •

ومنهم : **الشيخ محمد عبد الله** عليش شيخ المالكية ، وهو احد الذين وقعوا على الفتوى بعزل توفيق ، فقد أخذ مريضا من داره ، ونقل الى المستشفى حيث توفى بها ، وأشيع أنه وضع له السم فى الدواء، ولم تسمح الحكومة لأهله بتشييع جنازته من داره ، ولم تكتف بموته، بل نفت أكبر أولاده الى الشام ، وهو الشيخ : **عبد الرحمن محمد عليش** •

وكان للشيخ حسن العدوى (بكسر العينى) ــ وهو أحد الموقعين على الفتوى والذى نادى من فوق منبر الازهر باهدار دم توفيق كما ذكرنا ــ فى محاكمته موقف مشرف ، فقد قال فى جرأة : انهم اذا جاءوه الآن بفتوى أن توفيقا مستحق للعزل فأنه يوقعها •• وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديوى توفيق مستحق للعزل ، لانه خرج على الدين والوطن •

والشيخ : حسن العدوى هو منشىء الجامع بشارع القائد جوهر ، أمام الجامعة الازهرية • أنشأه سنة ١٨٧١ م (١٢٨٥ هـ) كما سبق ذكره فى مقال سابق •

وممن نفوا الى الشام الشيخ : **محمد عبد الجواد القاياتى** ، وأخوه الشيخ : أحمد ، **وقد اختارا** بيروت •

والقاياتى : نسبة الى القايات ، قرية غربى البحر اليوسفى من مركز العدوة ، فى شمال محافظة المنيا ، وهو أحد العلماء الأجلاء ، وأحد مشايخ الطرق الصوفية ، وطريقتهم فرع من الطريقة

الأحمدية ، (نسبة الى السيد أحمد البدوى) ، وعرف بيتهم بالتقوى والكرم ، ولأهل مصر الوسطى اعتقاد كبير فيه ، وينسبون لآله الكرامات المختلفة ، وأخوه الشيخ : أحمد عالم أيضا ، وكان شيخ رواق الفشنية بالازهر، وهو والد الشيخ : مصطفى أحمد القاياتى، المعروف بخطاباته الوطنية فى ثورة سعد زغلول سنة ١٩١٩ .

وقد ألف الشيخ : محمد عبد الجواد القاياتى كتابا عن قصة نفيهما سماه : (نفحة البشام فى رحلة الشام) والبشام على وزن سحاب : نبات طيب الرائحة ونقتطف من مقدمة الكتاب المذكور ما ذكره عن سبب خروجهما من مصر ، فهو اجمال لشرح الحالة من أحد المعاصرين المشاركين ، فقال رحمه الله :

وسبب خروجنا من مصر أن أهالى البلاد عندما صارت الأحكام فيها عسكرية ، وانتشبت الحرب بين الانجليز وأهل الوطن العزيز ، اجتهدوا غاية الاجتهاد ، فى سبيل المدافعة والجهاد ، بأخذ الأهبة والاستعداد ، وأعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل الجياد ، وبذلوا ما يملكون من نفائس النفوس ، وما يقدرون عليه من مأكول وملبوس ، ومهمات عسكرية ، وتجهيزات حربية ، وغير ذلك مما تصل اليه الاستطاعة ، ولو ببسط أكف الابتهال والضراعة كل على حسب حاله ، وما يليق بأمثاله ، حتى أن أهل العلم والطريق ، وما أشبه هذا الفريق ، كانوا يساعدون بالدعوات الصالحات ، والاستغاثات والتضرعات . الى رب البرية فى دفع هذه البلية ،

(وكانت السادة العلماء الأعلام، ولاسيما أستاذنا شيخ الاسلام ، يقرأون كتاب البخارى الشريف ، فى الجامع الازهر المنيف، والافاضل منهم الكملة ، يحثون على اتحاد الكلمة ، فى مقاومة هذا البلاء والاصر ، النازل ببلاد مصر) .

(وليس هذا بالأمر العجيب منهم ، ولا بالغريب صدوره عنهم . فذلك شأن كل أمة قصدتها بالحرب

أمة أخرى ، فهى ترى أن الدفاع أولى وأحرى ، بل تراه من الواجب على الأعيان ، لا سيما اذا تخالفت الأديان ، اختلف اللسان ، وتباينت العقائد ، وافترقت العوايد) •

(فبهذه النسبة العلمية ، والمناسبة العملية ، التمس منا أهل بلادنا القيام معهم ، لنكون لهم قدوة ، وتكون لهم بنا أسوة ، فى مساعدة اخوانهم الجهادية ، بالمراكز العسكرية والنقط الحربية ، والحدود الدفاعية ، وذلك من انتقاد غيرتهم الدينية ، وحميتهم الوطنية ، فتوجهنا معهم الى تلك المواطن ، والله أعلم بالظواهر والباطن) •

(فلم نلبث الا قليلا من الأيام ، وقد فشلت الأقوام ، وحصل الانهزام ، بواسطة الخيانة من بعض اللئام ، وبث أنواع الدسائس ودس الوساوس ، فى قبائل العربان وعشائر البلدان ، وغالب الأمراء والأعيان ، لسابق الأمر المحتم ، والقضاء المبرم ، وقضت علينا حكمته الباهرة ، بدخول الجيوش الانجليزية القاهرة ، وفى مقدمتهم نائب الحضرة الخديوية ، وهو رئيس النواب فى البلاد المصرية) • (وهو يعنى سلطان باشا) •

(وأول ما بدأ به من الأعمال فى هذه الحال ، الترخيص لهم بالحلول بالقلعة العلية ، والقشلاقات العسكرية ، مثل : قصر النيل والعباسية ، والامر بالقبض على من نسب الى هذه الحركة، كائنا من يكون ، ولو كان المعهود من عادته السكوت والسكون ، انا لله وانا اليه راجعون ، ما قدر الله لابد أن يكون) •

(فكنا ممن وقع الحجر والحجز عليهم ، بعد صدور الأوامر العلية فيهم ، فصار سجيننا بمديرية المنيا، من مديريات الصعيد — مع جم غفير ، وعدد كثير ، من الوجوه والاعيان ، ومشايخ العرب والبلدان ، لاتهامات يطول شرحها بغير طائل ، والغالب فيها الوشاية بالباطل) •

(فمن هؤلاء من نسب الى

التطوع ، ومنهم فى نسب الى التبرع ، ومنهم من اتهم بالتهييج للخاطر ، وتحريك الساكن من الخواطر ، ومنهم من ادعى عليه بالتشيع للجهادية ، وكثرة قراءة الجرائد المحلية ، وغير ذلك من الاسباب الخصوصية ، والبواعث العدوانية ، لدواعى العداوات الشخصية ، بدون مراعاة المصالح العمومية) .

(فكم قبض على برىء ، وأطلق سبيل مجترىء ، بمجرد الوشاية فيه من بعض أعاديه ، هكذا حصل فى أغلب المديريات ، سوى من قبض عليهم فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد من الذوات والبكوات والباشوات ، والعلماء والامراء ، وأولاد الفقراء (لعله يعنى المعنى اللفظى للكلمة . أو المعنى الاصطلاحى أنهم أتباع الطرق الصوفية فهم يلقبون بالفقراء) ، ومكثوا فى أقبح السجون ، بغاية الاحزان والشجون ، يكابدون عذاب الهون ، بأنواع لا تحصى ولا تحصر ، من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) .

(وأما أكبر المعذبين : فأهل الفضل والدين ، فقد وقع لهم من الحقارة والتنكيل ، والاستهانة والتخميل ، والكرب والخطب الجليل ، مالم تسمح به لهم أهل التوراة والانجيل ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، يطاف بهم فى الاسواق والمحافل ، اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل ، وبعد أن مضت لهم على هذه الحالة أربعة من الشهور ، كأنها أعوام ودهور ، ومثلوا بغاية المثلة ، على حال لم يروا مثله ، بين أيدى الكتبة أقباط النصارى ، وهم فى أمرهم تائهون حيارى ، وأشخصوا أمامهم لاجل الاستنطاق . ، بمالا يطاق ، ولا تضبطه الاوراق ، ولا يدخل حصره فى نطاق ، صدرت فيهم الارادة النفسية على غير ما يراد ، باجلائهم وخروجهم من البلاد ، وابعادهم عنها أى ابعاد) .

(فمنهم من نفى مؤبدا الى سيلان ، ومنهم من نفى بمدة الى السودان ، ومنهم الى خارج القطر وملحقاته ، بدون تعيين مواطنه وجهاته ، وكنا من هذا القسم

الأخير ، نحن وجم غفير ، فبودرنا بالاخراج من غير مهلة ولا تأخير ، فالحكم لله العلى القدير، نعم الولى ونعم النصير) ١٠ هـ ٠

ثم يذكر بعد ذلك ما سماه نكتة تاريخية : أن (غرائب عجـائب) بحساب الجمل موافق لسنة حادثة النفى المذكور ، وهذا صحيح فهى تساوى بالحساب المذكور ١٢٩٩ ، وهذا يوافق سنة الحرب والهزيمة، فقد كانت سـنة ١٢٩٩ ٠ والنفى سنة ١٣٠٠ هـ ٠

ويعنينا من الكتاب المذكـــور مالاقاه صاحبه من حفاوة وترحيب فى جميع مدن الشام ، سـواء فى بيروت أو صيـــدا ، أو طرابلس الشام ، أو اللاذقيـــة ، أو بيت المقدس ، أو الرملة ، أو نابلس ، أو دمشق ، وغيرها من مدن الشام، الذى مزقته السياسة الاوربية الى أربع وحدات : ســوريا ولبنان والاردن وفلسطين ٠

ووصف المدن المذكورة ، وطرق المواصلات لها ، والمشاهد والمزادات فيها ، وعادات أهليهـا ، وغـــير ذلكمماتتناوله عادة كتب الرحلات٠

ولكن يعنينا بصفة خاصة ماحفل به الكتاب ، من أسماء علماء الشام وأعيانه ، فقد تلقى الكثيرون منهم دروسهم بالازهر ، وعـادوا الى مواطنهم علماء ينقلون ما درسوه ، فكانوا يحفظون لصاحب الكتاب حق الزمالة ، أو واجب التلمذة عليه ، ويدل هذا على ما كان للازهر من فضل فى تثبيت وحدة فكرية ثقافية فى العالم العربى ، بل فى العـــالم الاسلامى ، فقد رأينا أن أحمـــد أفندى شريف والد شريف باشـا كان شيخا للاسلام فى الاسـتانة ، بعد أن تلقى علومه فى الازهر ٠

وبعد الاحتلال الانجليزى لمصر، مرت بالبلاد فترة هدوء ، أو بعبارة أدق فترة ذهول ساعد عليهـــا استسلام الخـــديوى : توفيق للانجليز استسلاما كاملا ، وأخـذ الانجليز يمكنون لانفسهم فى حكم البلاد ٠

ثم توفى توفيق سنة ١٨٩٢ م ، وتولى بعده ابنه : عبـاس حلمى الثانى ، وسنرى فى المقال التـالى باذن الله كيف تطورت الأمور ٠

محمد كمال السيد

التجارة الرابحة

حب الله ورسوله

للدكتور محمد عبد اللطيف الغرفور

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)

بهذه الآية الكريمة استهل بحثى هذا ، وأنا أعلم أن هنالك من الناس من أضل الحقيقة حين ذهب يزعم للناس أن المحبة لا تنعقد أبدا بين مخلوق وخالقه ، بل هى ان ذكرت فى التنزيل أو السنة فهى مجاز وليست حقيقة ، اذ يستبعد هؤلاء كيف يحب العبد الضعيف المحدث الفانى ربا قويا باقيا خالقا ؟ ! فأولوها بالاتباع وقالوا ، حيثما وردت المحبة فى النصوص التشريعية فهى الاتباع لا غير ...

وفات هؤلاء السطحيين فى التفكير غفر الله لى ولهم أن الآية الكريمة تنفى ذلك بمنطوقها ومفهومها ، وكذلك قواعد الاستنباط وصريح القرآن والسنة ، والا لصار معنى **هذه الآية (قل ان كنتم تتبعون الله فاتبعونى ...)** وعلى تقدير (رسول) مضافا محذوفا يكون **المعنى (قل ان كنتم تتبعون رسول الله وهو أنا فاتبعونى)** !! وكلا التأويلين باطل كما هو ظاهر لكل ذى نظر صحيح ... ثم من قواعد الاستنباط أنه لا يصار الى المجاز الا عند تعذر الحقيقة ، أو بعد تصورها ، فهل استحال أن يحب العبد ربه ؟ ولماذا ؟ وماهو دليل هذه الاستحالة ؟ ! هل انحصر الحب كله فى الحب الشهوى أو الجسدى أو فى ما يرى وما يحس وما يلمس حتى يصح كلامهم ؟!

ألا يحب المرء مكارم الأخـــلاق ؟ الا يحب الانسان المعانى الساميـة والمبادىء الرفيعة والمثل العليا ؟! أم الانسان مادى لا يشعر بالحب الا للمادة ولا يكيف قلبـه مـودة الا للكثائف ؟ ! شـأنه شـأن الأنعام ؟ ! من قال هذا ؟ !

ان العبد الصادق ليبلغ من قوة محبـة الله ورســوله فى قلبـه مايســتطيع ان يقتحم به الجبـال والمحيطات وهـل دفع الصـحابة رضـوان الله عليهم الى الاتبـاع وحفزهم الى الجهـاد وفتـح لهم مشارق الأرض ومغاربها الى محبة الله ورسوله ؟ ! وهل كان فى قلبهم غير هـذه المحبـة يعتلج أوارها ، ويضطرم لهيبها ، حتى تصبح حمما يقذفونها على البـاطل وأتبـاعه ، **(بل نقذف بالحق عـلى البـاطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)** .

الحق أن المحبة شىء والاتبـاع شىء آخر ، لكنهما متلازمان تلازم الثمرة للشجرة والنتيجة للمقدمات، فالمحبة تثمر الاتباع وتنتجـه اذا صدقت فى قلب صاحبها ، وصـدق صاحبها بها ، ومن ذلك قول سيدنا على رضى الله عنه وكرم وجهه .

اللهم ارزقنى حبـك وحب نبيك واجعل حبك وحبه فى قلبى أحب من الماء البارد على الظمأ .

وفى حـديث الصـحيحين **ثلاث من كن فيه وجد بهن حـلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسـوله أحب اليه مما سواهما ...**

الحديث وكذلك حديث البخارى

ولا يـزال عبـدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبـه ومن احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا.

والله تبـارك وتعـالى يقـول **ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية ٥٤ من سورة المائدة**

فالمحبة حالة شريفة شهد الحق سـبحانه بهـا للعبـد ، وأخبر عن محبتة للعبد ، قال القشيرى : **وأما محبة العبد لله فحالة يجـدها من قلبه تلطف عن العبادة ، وقـد تحمله لتلك الحالة على التعظيم له**

وايثـــار رضاه وقلة الصبر عنه، والاهتيـــاج اليه ، وعـــدم القرار دونه ، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه .

أ هـ الرسالة القشيرية ح (٢) ص ٦١٢ .

وفسر القشيرى محبة الله لعبده (ارادته لأن يخصـــه بالقـــربة والأحوال العلية) ر ج ٢ ص ٦١١ وجعلهـــا أخص من الرحمـــة التى فسرها بأنها (ارادة الله تعالى لأن يوصل الى العبد الثواب والانعام) كما أن الرحمـــة أخص من الارادة ر ج ٢ ص ٦١١ وما قبلها .

ومن أجمل ما قال العارفون فى المحبـــة ما رواه أبو بكر الكتـــانى قال : (جرت مسألة فى المحبة بمكة أيـــام موســـم (الحـــج) فتكلم الشـــيوخ فيهـــا ، وكان الجنيـــد أصغرهم سنا فقـــالوا له ، هـــات ما عندك يا عراقى : فأطرق رأســـه ودمعت عيناه ثم قال : عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه ، قـــائم بأداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، أحرق قبله أنوار هيبتـــه ، وصـــفا شربه من كأس وده ، وانكشـــف له الجبارق من أستار غيبه ، فان تكلم فباللـــه ، وان نطق فباللـــه ، وان تحرك فبأمر الله ، وان سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله ... فبكى الشيوخ وقالوا :

ماعلى هذا مزيـــد ، جبرك الله ياتاج العارفين ...

ومن حكاياتهم ما رواه الحسين الأنصارى قال :

ــ رأيت فى النوم كأن القيـــامة قد قامت وشـــخص قائم تحت العرش فيقول الحق ســـبحانه : يا ملائكتى من هذا ؟ فقـــالوا الله أعلم . فقال : هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق الا بلقائى.

وفى رواية أخرى : هذا معروف خرج من الدنيا مشتاقا الى اللـــه فأباح الله عز وجل النظر اليه .

والله تعـــالى يقول : **(من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت)** الآية ٥ من سورة العنكبوت .

وهـــكذا يكون المعيار الحقيقى الصادق للمحبة من العبد لربه شدة

الشوق اليه ، وحب لقائه مع حالة الاستقامة ، قال تعالى : **(وعجلت اليك رب لترضى)** أى شوقا اليك .

وكان من روائع دعائه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى اخرجه النسائى عن عمار بن ياسر رضى الله عنه مرفوعا (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى ما علمت الوفاة خيرا لى ، اللهم انى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الغنى والفقر ، وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، وأسألك النظر الى وجهك الكريم ، وشوقا الى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الايمان ، اللهم اجعلنا هداة مهتدين وبعد .

فلابد لنا اليوم لكى يتحقق الاتباع الكامل لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأخلاقه وشمائله لابد لنا من شحن القلوب بشحنة قوية من المحبة المحرقة المتوهجة لله ولرسوله صلوات الله عليه لا مندوحة لنا عن حب كحب الصحابة ، وشوق كشوقهم ، وتفان كتفانيهم ، والا فمادام الاسلام كلاما يقال وصحفا تكتب وحبرا على قرطاس فلا أمل لنا فى نهضة اسلامية ، ولا فى فتح مبين . ليست أزمتنا اليوم أزمة علم بقدر ما هى أزمة محبة لله وشوق اليه .

أجل ان هذا الحب وحده هو الذى هزالعروش وقوض حضارات زائفة ، وأقام مكانها حضارات اسلامية راقية ، ان الحب وحده هوالذى دفع الصحابة الىالتضحية والايثار والزهد فى الدنيا ومتاعها والركض خلف رضاء الله سبحانه أجل هو الذى دفع خالد بن الوليد — رضى الله عنه — يوم عزله عمر — رضى الله عنهما — كى لايفتتن الناس فيه ، وكان عزله لمصلحة الامة ، وقف خالد يقول

وماضرني ، كنت أقاتل أميرا

واليـــوم أقاتل جنــــديا

المحبة ذلك الوقود الاعظم الذى يحول الشخصيات القـــزمة الى عمـــلاقة ، ويصنع القيـــادات والبطولات .

لقد امتلأت الدنيا كتبا وعلمـــا وفقها ودرسا ومحاضرات ودروسا ولم يحرك ذلك ساكنا على أننـــا محتاجون للعلم لانه أمام العمل ، وهو تابعه ، ولكـــن ما قيمة العلـــم والقراطيس والكتب بدون أن تكون هناك النفوس الكبيرة التى تحملها فتحولها الى عظمات ..

أجل ..

ان التصوف الصافى المصـــفى السائر على هدى الكتاب والســنة وعمل السالف الصالح والتصـــوف الذى يشحـــن النفوس بالمحبـــة الصادقة يثمر الاتباع الصحيح ، هذا التصوف على يد رجـــاله من العلمـــاء الذين زادوا على علومهم الكسبية علوما وهبية منحها اللـــه اياهم كما ورد فى الخبر « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » هذا التصوف اليوم هو سر انطلاق المسلمين ويقظتهم وزهدهم فى الدنيا ورغبتهم بما عند الله تعالى ، وهو التجارة الرابحة ، سمه ان شـــئت تصوفا أو احسانا ، أو تربية روحية أو تزكية فنحن لاتهمنا الاصطلاحات والاسماء بل يهمنا الجوهر ، وحين نقصد التصوف نقصـــد الاخلاقى منه والوجدانى ، ونترك مايسمونه بالتصوف الفلسفى ، فنحن مـــع تصوف المعاملة ، ونترك لاصحابه تصوف المشاهدة ندعه لهم ونسلم لهم حالهم فيه ولا نشتغل بـــه عن الاصول ، فالذى يهمنا اليوم هـــو انقاذ نفوسنـــا ومن حولنـــا من الشباب من بـــراثن الشـــهوات الموبقات وشـــياطين الانس والجن وذلك عن طريق هذه التجارة الرابحة ألا وهى حب الله ورسوله .

دكتور / محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

اللغة والشعر والشعراء قديماً وحديثاً

للاستاذ محمد عايش عبيد

مما لا شك فيه أن العرب هم أهل الفصاحة والبلاغة .. ملكوا ناصية البيان ، فانقادت اللغة لهم، وأرخت عنانها طائعة مختارة ، فصاروا فرسان الكلمة على مختلف ألوانها : شعرا ونثرا وخطابة وبديعا ، فمن ثم بزوا كل الامم ممن حولهم فى هذا الميدان ؟؟

وما كان نزول القرآن الكريم بهذه اللغة الا تكريما لها من ناحية ، وتجانسا لحال القوم الذى وصلوا اليه ، فصاحة وبلاغة من ناحية أخرى .

ووجه ثالث لنزول القرآن الكريم باللغة العربية هو : أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، جاءت للعرب خاصة ، وللعالم عامة .. فمن ثم كان من الحتم أن يكون الكتاب المنزل على صاحب هذه الرسالة ، باللغة العربية ، وهى لغة القوم ، عملا بقوله تعالى : « **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم .. الخ** » آية رقم ٤ سورة ابراهيم .

جاء القرآن الكريم فى الذروة من الفصاحة والبلاغة ، فلما سمعه العرب ، أدركوا معانيه ، وعرفوا مراميه ، وحاز اعجابهم ..

أما المخلصون منهم فبادروا بالدخول فى الاسلام طائعين .

وفريق آخر كابروا عنادا وغطرسة ، بيد أنهم كانوا يتسللون خفية فى جوف الليل فيجلسون حول بيت محمد صلى الله عليه وسلم ليسمعوا تلاوته ، كل واحد منهم لا يدرى عن الآخر ..

ما دفعهم الى هذا الا الاعجاب بلغة القرآن الكريم ، الذى تحداهم فى أخص خصائصهم ، بحيث أنه تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا !؟

ولا غرو : فالعرب هم الـذين جعلوا لفن الكلمة سوقا ، اسمه : سوق عكاظ قرب مكة ، هذا السوق لا سلعة فيه أثمن من الكلمة .. يفد الناس اليه من أنحاء الجزيرة العربيـة رجالا ونسـاء ، ممن يعشقون الكلمة على مختلف ألوانها، ولهم فيها ذوق رفيع وقدم راسخة، يستمر ذلك السوق شهرا من كل عام ، تعرض الكلمة فيه سلعـة ليست للبيع ، وانما هى للتقييم .. يتبارى الخطباء والشـعراء ، وقضاة يحكمون بين المتبارين بعد الاستماع لهم ، ثم يصـدرون أحكامهم عن دراسة وفهم دقيق .

وينفض السوق بعد أن عرض فيه كل جديد من أساليب الكلمة ، ويعود رواده كل الى الجهة التى وفد منهـا ، وقد ملأوا أرديتهم من أنفس ما عرض فى سوق عكاظ ، يقدمونه هدية ثمينة الى ذويهم !!

وهكذا،فقد كان للشعر والشعراء مكانة فى نفوس العرب ، لا تعد لها مكانة أخرى .. فالشاعر لسـان حال قبيلته ، يعدد مناقبها ويفخر بها ، مثل هذا الشاعر العربى الذى يفخر بقبيلته فيقول :

اذا بلغ الرضيع لنا فطامـا
تخر له الجبابر ساجدينا !؟

وكما يفخر الشـاعر بقبيلته ، فالقبيلة أيضا تفخر بشعرائهـا وتعتز بهم كفخرها بالزعمـاء والأبطال ــ ان لـم يكـن أكثر ــ والقبيلة التى يكثر شعراؤها تكون أكثر فخرا على غيرها من القبائل الاقل فى عدد شعرائها !؟

والشعر كان له وقع السـحر فى نفس العـربى ، سرعـان ما يتناقله الناس ، فيحفظونه عـن ظهر قلب ، يستعملونه سلاحا فعالا لمحاربة الأعداء ، لأنه أشد فتكا من ضربات السيوف وطعنات الرماح؟؟

وليس أدل على ذلك من أن بيتا واحدا من الشعر ، جعل احـدى القبائل الكبرى فى الجزيرة العربية، كان بنوها مشـهورين بالطـول

وضخامة الأجسام .. هذا البيت جعلهم يتمنون أن لو كانوا أقزاما، بعد أن كانوا يفخرون على غيرهم بأجسامهم طولا وضخامة !؟

هذا البيت نظمه حسان بن ثابت الأنصارى ، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن قبل الاسلام كما قيل .. وهذا هو البيت :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ
جسم البغال وأحلام العصافير

تردد هذ البيت على ألسنة الناس صغارهم وكبارهم ، فى البوادى والحضر ، بحيث أن كل عربى صار كلما وقع بصره على أى رجل ضخم الجسم طويل القامة ، هتف متمثلا بهذا البيت :

لا بأس بالقوم .. الخ .. ويسمعه آخر فيشاركه ، وثالث ورابع أيضا .. فلا يجد ذاك الرجل مفرا من أن يفر ويتوارى حياء من ضخامة جسمه وطوله ؟؟ لدرجة أن قبيلة بنى عبد المدان التى اشتهر بنوها بالطول والضخامة ، فكر بعض رجالها أن يقتلوا حسان بن ثابت قائل هذا البيت المشئوم؟؟ فاعترض العقلاء منهم على تلك الفكرة الخاطئة قائلين : لئن قتلتم الشاعر، فسوف يظل شعره أبد الدهر يتردد على ألسنة الناس .. ولكن الرأى الصواب هو : أن تذهبوا الى الشاعر بهدية قيمة تقدمونها اليه ، وتطلبون منه أن يقول شعرا آخر يمدحكم به ، فيبادر الناس الى حفظ الشعر الجديد ، وينسون القديم ! ؟

وفعلا ذهب وفد من عقلاء قبيلة بنى عبد المدان الى المدينة المنورة — يثرب — وقدموا لحسان ابن ثابت هدية ثمينة ، ورجوه أن يقول شعرا آخر يمدح به قبيلتهم التى آذاها ذاك البيت ؟

فقبل حسان هديتهم ، وقال : لاغرو لأصلحن ما أفسدته بشعرى .. فقال :

وقد كنا نقول اذا رأينا
لذى علم يعد وذى بيان
كأنك أيها المعطى بيانا
وجسما من بنى عبد المدان

سمع الناس بما نظمه حسان

ابن ثابت من الشعر ، فتناقلوه وحفظوه ، وصاروا يرددونه — صغارهم وكبارهم — فى البوادى والحضر .. فمن ثم صار الناس يستحسنون طول الاجسام بعد أن كانوا يسخرون منها !

وهكذا يتبين لنا أن الشعر كان من أقوى الأسلحة فى محاربة الأعداء عند العرب .

ولا غرو فقد حورب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السلاح: سلاح الشعر .. لقد كان أبو عزة الجمحى الشاعر ، يحرض مشركى مكة على رسول الله ، وعلى المسلمين بالشعر ، وكان أيضا يشبب بنساء المسلمين مما أوغر عليه صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان رسول الله قد من عليه بالعفو بين أسرى بدر ، بيد أنه اشترط عليه ألا يعود الى التحريض بالشعر ، أو التشبيب بالنساء المسلمات ، لكن أبا عزة منذ أن أطلق سراحه ، لم يتقيد بوعده لرسول الله ، فعاد الى التحريض والتشبيب معا !.

ويوم حمراء الأسد ، غداة غزوة أحد ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنين أسرى من المشركين ، فكان الشاعر أبو عزة واحدا منهما .. فلما مثل بين يدى رسول الله قال : يارسول الله أقلنى . فقال عليه الصلاة والسلام : « لا والله .. لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يازبير . فضرب الزبير عنقه .

وقد فعل رسول الله أيضا مثل فعلهم ، فحارب أعداءه بنفس السلاح الذى حاربوه به ، فقد قال لشاعره حسان بن ثابت : « اهجهم ومعك روح القدس » يعنى مشركى مكة ، فكان وقع شعر حسان على قريش أشد من طعن الرماح وضرب السيوف !.

وقد كان العربى لشدة حبه للشعر ، واعتزازه به ، لا ينسى أن يتمثل به فى أفراحه وفى أحزانه ،فى كل أمر من أموره ، حتى عند لقائه بأعدائه فى ميدان القتال .. فهذا جعفر بن أبى طالب ثانى القادة للجيش فى غزوة مؤتة ، يتمثل

بالشعر وهـو يرى الموت قاب قوسين أو أدنى منه ، فقد قتل قبله بلحظات زيد بن حارثة القائد الأول ، أمام جحافل الروم •• وهاهو ذا قد جاء دوره ليحمل الراية ، فأخذها وهتف قائلا بعد أن عقر جواده ، وهو أول من عقر فى الاسلام كما قيل ، فقال :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
على أن لاقيتها ضرابها

ثم هجم على الأعداء بقلب مملوء ايمانا •• فقتل بعد أن أبلى بلاء الصابرين الأبطال •

ثم تقدم بعده عبد الله ابن رواحة الأنصارى ، ثالث القادة ، وكان قد رأى صاحبيه : زيدا وجعفرا قد قتلا ، اذن فهو مقتول لا محالة ، فشعر فى أعماقه بشىء من التردد أمام هذا الموقف الرهيب ، ولا غرو فهو اللقاء بالموت ، فماذا فعل ؟! لم يطع نفسه فى ترددها ، بل أقدم بقوة الايمان وهو يهتف متمثلا بأبيات من الشعر يخاطب بها نفسه التى ترددت فيقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنه
لتنزلن أو لتكرهنه
أن أجلب الناس وشدو الرنه
مالى أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنه
هل أنت الا نطفة فى شنه ؟

وبعد لقد كان للشعر دولة ، وذلك حينما كان القوم يعنون بلغتهم ، أما الآن فقد ذهبت دولة الشعر ، لأن القوم أهملوا لغتهم ، فصاروا أجهل الناس بها / لاسيما بالشعر / وصدق فيهم قول الشاعر العربى ينعى على القوم جهلهم باللغة وبالشعر فيقول :

زوامل للأشعار لا علم عندهم
بجيدها الا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا
بأوثاقه أرواح ما فى الغرائر !!

وبعد : فهل من صحوة واعية تعيد للغة العربية مكانتها فى نفوس بنيها ؟! أرجو وأتمنى •

محمد عايش عبيد

التعزير
بين الفقه الإسلامي والفقه الوضعي

للأستاذ عبد العليم شداد

التعزيز فى اللغـــة

أصل التعزيز مأخوذ من العزر ، بمعنى الرد والردع والمنع واللوم والادب والعقاب والتعظم ، فيــقال عزره يعزره عـــزرا : رده وردعه ولامه ، وعاتبه ، وعظمه ، فهو من أسماء الاضداد ، ومنه قــوله تعالى : (فالذين آمنوا وعـــزروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) وقولــه تعـــالى :« وتعزروه وتوقروه » ومعنى هذا : تنصروه وتعظموه (١) .

وفى الاصطلاح عقوبة مشروعة غير مقدرة على كل ذنب لم تضـع له الشريعة عقوبة محددة . فولى الأمر مفوض شرعا بمعاقبة المذنب فى جميع أنواع الجرائم والاعمال الممنوعة من غير موجبات الحـــدود والقصـــاص بأى نوع من أنواع العقوبات ، وبأى مقـدار لا يقيد فى ذلك الا بقيد العدالة ، ومراعاة المصلحة المعتبرة شرعا (٢) .

(مبدأ المشروعية والنصـــوص الواردة فيه)

لقد وردت نصوص وشـــواهد ووقائع فى الشريعة الاسلامية فى الكتاب والسنة وعمل الصحابة تدل دلالة واضحة على شرعية التعزيز .

---

(١) القصاص والحدود فى الفقه الاسلامى دكتور فكرى عكاز ص ٧٦
(٢) المرجع السابق ص ٩٧ .

الكتاب الكريم :

قولـــــه تعالى : (**فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فانأطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)** فأنت ترى أمره سبحانه وتعـــالى بضرب الزوجات تأديبا وتهذيبـــا لهن (١) .

السـنة النبـوية :

قال عليه السلام : « **لا ترفـع عصاك عن أهلك** » وروى أنه عليه السلام : (عزر رجلا قال لغـيره يا مخنث) وروى عنه أنه قـال : (رحم الله امرأ علق سوطه حيث يراه أهله) وقوله : (واضربوهن على تركها لعشر) وروى عنه أنه : (حبس رجلا بالتهمة) وروى عنه عليه السلام مرفوعا وموقوفـــا أنه قال : (ان حد الساحر ضربة السيف) رواه الترمذى .

وروى عن رسول الله صــلى عليه وسلم أنه قال : (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه) وفى روايـة أخـرى : (ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الامة وهى جميـع فاضربوه بالسيف كائنا ما كان) . الهنات الفتن .

وعن ديلم الحميرى قال : « **سألت رسول الله عليـه السـلام فقلت يارسول الله انا بأرض نعالج بها عملا شديداً وأنا نتخذ شرابا مـن القمح نتقوى به على أعمالنا ، وعلى** برد بلادنا : قال : وهـل يسكر ؟ قلت نعم قال : فاجتنبوه . قلت : ان الناس غير تاركيه . قال : فان لم يتركوه فاقتلوهم »(٢) .

وقد جاءت أخبـــار كثيرة عن الرسول فىالتعزيز بالعقوبات المالية ذكر ذلك بن القيم فى كتـــابه : (الطرق الحكيمة فى السياســة الشرعية) واليك طرفا منها : فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (سلب الذى يصطاد فى حرم المدينة لمن وجده) ومثل : أمره عليه السلام (بكسر الدنان لشـــارب

---

(١) المرجع الســـابق ص ٩٧ ، ٩٨ .
(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٣٦٢١٣٥ طبعة الشعب .

الخمر وشق ظروفها) ومثل : هدمه (مسجد الضرار) ومثل : تحريق مال الغال • ومثل : أمره لعبد الله ابن عمرو باحراق التوبين المعصفرين • ومثل: أمره يوم خيبر بكسر القدور لطبخهم فيها لحوم الحمر الانسية ، ثم بعد ذلك أباحها لهم بغسلها واستعمالها ، ومثل أمره للابس خاتم الذهب بطرحه ، فطرحه على الارض ، فلم يتعرض له أحد ومثل : قطعه نخيل اليهود اغاظة لهم (١) •

أما عمل الصحابة :

فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه حرق المكان الذى يباع فيه الخمر ، وكذلك تحريق عمر قصر سعد بن أبى وقاص لما احتجب فيه عن الرعية ، ومن هذا القبيل أورد الامام ابن القيم طرفا كبيرا عن التعزيز بالعقوبات المالية، ورد على الذين يمنعون بأنهم لاسند لهم من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا عقل •

الاجماع :

لقد أجمع على جوازه الصحابة ومن بعدهم الى يومنا هذا ، ولم يوجد من أنكر مشروعيته (٢)•

العقل :

ان الزجر عن الافعال السيئة وارتكاب الجرائم الموبقات واجب، وذلك لكى لا تصير ملكات وعادات يتعود الناس عليها ، وتصبح عادة مألوفة فيفحش ويستدرج الى ماهو أقبح منها وأفحش ، ويضطرب أمن المجتمع ويختل نظامه ، وتصبح الحياة غير مطاقة ، لذا كان التعزيز ضروريا •

لدفع هذه الجرائم وازالتها من المجتمع الانسانى ، حتى تصير الحياة رخاء ويعم الأمن والسكينة ، ويأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم •

التعزيز عقوبة تفويضية :

سلكت الشريعة الاسلامية فى اقامة الحدود حفاظا على أمن

---

(١) الطرق الحكيمة لابن القيم ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ •
(٢) فتح القدير ص ٢١٢ •

المجتمع وسعادته وأمنه وهناءته مسلكين : ـ

المسلك الاول :

عقوبة محددة ومقدرة معينة لا دخل لحاكم فيها ولا مشرع وهى : عقوبات الحدود والقصاص •

« المسلك الثانى :

عقوبة تفويضية : وهى عقوبة التعزيز ، فهذه العقوبة متروك أمرها للحاكم وولى الامر والقاضى، يوقع منها ما يراه راجعا حسب ظروف الجريمة ، وحال المجرم والزمان والمكان ، وذلك تخفيفا وتشديدا حسب المصلحة العامة للمجتمع الانسانى (١) •

ومعنى التفويض : أى تركها : وترك تقعيدها ووضع نصوص لها الى ولى الامر •

أو هو : اعطاء الشريعة الاسلامية للحاكم أن يسن من الاحكام والقوانين والقواعد والنصوص ما يتلاءم مع ظروف المجتمع الاسلامى ، فكأن التعزيز اشارة طيبة •• ولفت نظر لعلماء وفقهاء الاسلام بأن الشريعة الاسلامية حية متطورة مع المجتمعات الاسلامية الانسانية ، وكيف لا : وقد قال الحق سبحانه وتعالى : **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** الى آخر النصوص المتعددة الدالة على خصوبة الشريعة الاسلامية وملاءمتها لروح المجتمعات الانسانية ، وكيف لا !! والله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الخلق ويعلم مستقبلا ما ينفع خلقه وعبيده •

وأنى أرجو من اساتذة القانون كما هرعوا الى الفقه الغربى ، وبحثوا ودرسوا ونقبوا فيه ، أن يهرعوا الى شريعتهم ، والى الفقه الاسلامى ، لينقبوا ويبحثوا فيه فسيجدوا بغيتهم ومأربهم وطلبتهم وضالتهم المنشودة •

من هو ولى الامر المفوض فى قانون التعزيز ؟

ولى الامر الذى تمنحه الشريعة الاسلامية هذا الحق ، ليس هو

---

(١) سلام مدكور بتصرف (المدخل للفقه الاسلامى) •

من يخلع عليه طائفته أو اقليمه أو نفر من الناس لقب : (الامام) بل هو الحاكم الذى يعرف فى صدر الاسلام بلقب الخليفة ، والذى حدد الكتاب والسنة مركزة فى الامة وهدفه فى الجماعة (١) .

العقوبات التعزيزية :

ان العقوبات التعزيزية كثيرة متنوعة منها : العقوبات التى تصيب البدن ، وأهمها : الاعدام والجلد . ومنها : العقوبات المقيدة للحرية ، وأهمها : الحبس والنفى ، ومنها : العقوبات المالية . وغير ذلك من العقوبات .

الاعدام :

قد أقرته الشريعة عقوبة تعزيزية ، كما أقرته كذلك عقوبة للقصاص ، فعند الأحناف يجوز الاعدام تعزيرا فى الجرائم التى شرع القتل فى جنسها اذا تكرر ارتكابها .

وعند المالكية والحنابلة يجوز الاعدام تعزيرا فى بعض الجرائم ، كجريمة التجسس للعدو على المسلمين والداعية الى البدعة ، لافساده فى الارض .

والوقوف بجريمة الاعدام عند بعض جرائم الحدود والعقاب لا يتمشى مع أغراض الشارع مع فريضة العقاب ، ولا يتفق مع المنطق والعقل ، فهناك جرائم تمس أمن المجتمع وكيانه وحياته ، وأمن الدولة وسلامتها ، فأى عقوبة توقع على هذه الجريمة ان لم يكن التعزيز . !!

القانون المصرى :

وفى القانون المصرى تعتبر عقوبة الاعدام عقوبة تعزيزية فى غير الاحوال التى تقررت فيها للقتل العمد أو للحرابة ، لانها فى حالة القتل العمد تعتبر قصاصا ، وفى أحوال الحرابة تعتبر حدا .

وهذه الاحوال الآتية هى التى أجاز فيها القانون الحكم بالاعدام:

أولا : بعض الجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الخارج . المادة

(١) شلتوت (عقيدة وشريعة) ص ٢٦٦ .

٧٧ وما بعدها وهى : ١ ــ اتيان فعل يؤدى الى المساس باستقلال البلد . (مادة ٧٧) .

٢ ــ الالتحاق بالقوات المسلحة لدولة فى حالة حرب مع مصر . مادة ٧٧ .

٣ ــ التخابر مع دولة أجنبية بأعمال عدائية ضد مصر مادة ٧٧ .

٤ ــ التخابر مع دولة أجنبية لمعاونتها فى عملياتها الحربية ، أو الاضرار بالعمليات الحربية المصرية مادة ٧٧ جـ .

٥ ــ التدخل لمصلحة العدو لاضعاف روح القوات المسلحة ، أو روح الشعب المعنوية . مادة ٧٨ .

٦ ــ تحريض الجند على الانخراط فى خدمة أى دولة أجنبية أو تسهيل ذلك لهم . مادة ٧٨ .

٧ ــ تسهيل دخول العدو فى البلاد . مادة ٧٨ .

٨ ــ اتلاف الاسلحة أو المؤن أو وسائل المواصلات فى زمن الحرب . مادة ٧٨ .

٩ ــ محاولة احتلال شىء من المبانى المخصصة للمصالح الحكومية ، أو المرافق العامة ، أو المؤسسات ذات النفع العامة اذا وقع من عصابة مسلحة . مادة ٩٠ مكرر .

ثانيا : بعض الجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الداخل طبقا للمادة ٨٦ وما بعدها وهى :

١ ــ الاعتداء على رئيس الجمهورية أو على حريته . (٨٦) .

٢ ــ فى جريمة الشروع بالقوة فى قلب دستور الدولة أو شكل الحكومة اذا وقعت من عصابة مسلحة ، يعاقب بالاعدام من ألف العصابة ، أو تولى زعامتها أو قيادتها . ٨٧ .

٣ ــ من ألف عصابة هاجمت طائفة من السكان ، أو قاومت بالاسلحة رجال السلطة العامة فى تنفيذ القوانين ٨٩ .

٤ ــ من تولى لغرض اجرامى قيادة فرقة من القوات المسلحة بغير تكليف من الحكومة ، أو سبب مشروع ، أو استمر رغم الامر الصادر من الحكومة فى قيادة عسكرية بعد صدور أمر الحكومة بتسريحها .

٥ ــ كل من قلد نفسه رئاسة

عصبة حاملة للسلاح ، بقصد اغتصاب الاموال المملوكة للحكومة أو لجماعة من الناس .

ثالثا : القتل العمد فى الاحوال الآتية :

١ - جناية تعريض وسائل النقل العام للخطر ، أو تعطيل سيرها عمدا اذا نشأ عنها الموت (١٦٧ ، ١٦٨) والعقوبة فى هذه الحالة الاعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة .

٢ - الحريق العمد اذا نشأ عنه الموت .

٣ - شهادة الزور التى يترتب عليها الحكم على متهم بالاعدام اذا نفذت العقوبة . مادة ٢٩٥ .

٤ - جناية تصدير أو جلب مخدرات أو انتاجها ، اذا كان قد سبق الحكم على المتهم فى احدى هذه الجرائم ، أو جريمة مخدرات مما نصت عنه المادة (٣٤) . أو اذا كان المتهم من الموظفين المنوط بهم مكافحة المواد المخدرة ، أو لهم بها اتصال من أى نوع كان . المادة ٣٣ من القانون ١٦٢ لسنة ١٩٦٠ م .

وعقوبة الاعدام فى جميع هذه الاحوال ليست قصاصا ، لانها لا تقابل قتل انسان عمدا ، وانما هى عقوبة تعزيزية، ولنا أن نعتبرها حدا فى الحالات التى تعتبر الجرائم المقررة لها تلك العقوبة من جرائم الحرابة فى كل مرة يصدق على الجريمة أنها سعى فى الارض بالفساد ، تكون عقوبة الاعدام المقررة لها من الحدود ، بشرط أن تتوفر للعقوبة بحل شرائط الحدود (١) .

الجلد :

الجلد عقوبة مشروعة فى بعض جرائم الحدود ، فهى فى الزنى والقذف مشروعة بالكتاب ، لقوله تعالى : **(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) .**

مشروعيته فى التعزيز :

فالجلد : تعزيز مشروع بالقرآن والسنة والاجماع .

أما القرآن فقوله تعالى : **(واللاتى تخافون نشوزهن**

---

(١) من الفقه الجنائى المقارن للمستشار موافى .

فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) .

أما السنة :

فقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط الا فى حد من حدود الله » .

الاجماع :

اتفق الاجماع على ذلك ، سار الخلفاء الراشدين على ذلك .

بعض الامثلة على الجلد تعزيرا

قضاء عمر بالجلد على من زور كتابا لبيت المال ، ووقع عليه ببصمة خاتم اصطنعه على نقش خاتم بيت المال ، وقدمه لامين بيت المال فأخذ منه مالا . وفى هذه القضية بالمفهوم العصرى الحديث تزوير واستعمال الاوراق المزورة .

ومنها : وطء الرجل أمة زوجته زنا ووطء الجارية المشتركة ، وكل ما كان سببه الوطء كوطء جاريته المزوجة ، أو جارية ولده أو جارية أحد أبويه ، والمحرمة بالرضاع ، أو الميتة . فقد ورد أن كل هؤلاء يعزرون بمائة جلدة .

وكذلك الحال فى السرقة . فقد قيل بالجلد عقوبة فى كل سرقة لا حد فيها : كأن يسرق من غير حرز .

وكذلك من الجرائم التى قيل فيها بالضرب : افساد الاخلاق والجاسوسية ، (١) وذلك مع العقوبات الاخرى .

هذا عن الجرائم . أما عن الاشخاص فقد قال الفقهاء : بالضرب عقوبة لمن لا يردعهم عدا الضرب من شرار الناس وأسافلهم، وممن مردوا على الاجرام واعتادوه ولهم فى ذلك تقسيمات للناس ، وبيان للعقاب اللازم لكل قسم ، يقسمون الناس الى مراتب أربع :

١ ـ أشراف الاشراف .
٢ ـ والاشراف .
٣ ـ والاوساط .
٤ ـ والسفلة .

ولا يقولون بالتعزيز بالضرب الا بالنسبة للقسم الاخير ، وهو أدنى الناس (٢) .

---

(١) التعزير د . عبد العزيز عامر .
(٢) التعزير فى الشريعة الاسلامية ـ دكتور عبد العزيز عامر .

الجلد فى التشريع المصرى :

لم يأخذ المشرع المصرى فى التشريع العقابى بالجلد ، وانما أقرها فى حالتين :

١ - فى قانون الاحكام العسكرية حيث ينص البند (١٧٠) على جزاءات توقع على الجنود . ومنها: العقاب البدنى بما لا يزيد على خمسين جلدة : وقد نص ذلك القانون على (الذنوب) التى يطبق فيها الجزاء البدنى فى بنود عديدة.

٢ - فى السجون : حيث تنص المادة ٦١ من لائحة السجون على العقوبات التأديبية التى توقع على المسجونلسوء السلوك ، أو فى مخالفة النظام . ومن هذه العقوبات : جلد المسجون الذى لا يجوز أن يزيد على ٣٦ جلدة . لمسجونى الليمانات ، ولا على ٢٤ جلدة لمسجونى السجون ، ولا يجوز أن يزيد على ١٢ جلدة لمن لم يبلغ سن سبع عشرة سنة .

وهناك حقائق وحسنات ، يجب أن تذكر لعقوبة الجلد وميزتها بين أنواع العقوبات وهى كالآتى :

١ - أنها تخيف الجناة .

٢ - وانها يمكن أن تكون ذات حدين .

٣ - وأن تطبيقها لا يثقل كاهل الدولة .

٤ - وأنه يظهر فيها مبدأ شخصية العقوبة ، لانها تلحق المحكوم عليه فقط ، ولا تلحق غيره ممن يتصلون به .

٥ - وانها لا تؤدى الى تعطيل الأيدى العاملة ، فلا يقف دولاب العمل .

٦ - وانها تحمى من نشر الحبس عند اختيار عقوبة الحبس، لأنه يعرض المحكوم عليهم للعدوى الخلقية من مخالطة المجرمين .

ولقد دافع عن عقوبة الجلد الدكتور : (القللى) عميد كلية حقوق القاهرة فقال : (ان عقوبة الجلد بلا مراء أقوى وأنجح وسيلة لردع بعض الطوائف المجرمة ، الذين لا يردعهم العقوبة المقيدة للحرية (١) .

ولقد نادى الدكتور « محمد نجيب الملاح » فى رسالته عن

---

(١) من الفقه الجنائي المقارن ص ٧٨ موافي .

الادمان فى المخدرات بعقوبة الجلد واعطاء القاضى تلك السلطة •

ولقد اقترح كذلك مكتب المخدرات فى تقرير عام ١٩٣١ م قائلا فى هذا الصدد : « ان الالم البدنى أنجح فى العلاج من السجن » •

عقوبة الحبس :

أما الحبس فى الشرع : فقد قال ابن القيم : أن المقصود بالحبس الشرعى ليس الحبس فى مكان ضيق ، ولكنه تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه ، سواء كان ذلك : فى بيت ، أم فى مسجد ، أم فى غيرهما • وان هذا كان هو الحبس على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فلم يكن هناك محبس معد لحبس الخصوم، ولكن لما انتشرت الرعية واتسعت رقعة البلادالاسلامية فى أيام عمر، اشترى دارا لصفوان بن امية بأربعة آلاف درهم ، وجعلها حبسا والسجن معناه : الحبس ، لذلك يطلق الفقهاء كلا منهما بمعنى الآخر ، ويطلقون كذلك كلمة الحبس أو المحبس أو السجن ، على المكان الذي تنفذ فيه عقوبة الحبس أو السجن ويقصدون بالكل نفس المعنى •

مشروعيته :

اختلف الفقهاء فى الحبس ومشروعيته ، فقال قوم : ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لم يكن لهما سجن ولم يسجنا أحدا •

وقال آخرون : بمشروعية الحبس ، وساقوا على ذلك حججا كثيرة منها :

ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم بالحبس ، فقد ورد أنه سجن بالمدينة أناسا فى تهمة دم ، وأنه حبس رجلا فى تهمة ، ساعة من نهار ثم أخلى سبيلة ، وثبت عن عمر أنه حبس الحطيئة على هجوه ، وأن عثمان سجن صابىء بن الحارث ، وكان من لصوص بنى تميم وفتاكهم حتى مات فى السجن ، وأن عليا سجن بالكوفة ، وروى : أنه بنى سجنا من قصب ، وسماه نافعا ، فنقبته اللصوص ، وبنى آخر من مدر ، وسماه مخبأ ، وكذلك ابن الزبير سجن بمكة :

واحتجوا على مشروعية السجن بقوله تعالى : « **فأمسكوهن فى البيوت الآية** » •

والحبس مشروع بالـــــكتاب والسنة والاجماع •

١ ـ أما الكتاب فقوله تعالى : (**أو ينفعوا من الأرض**) وقالوا : ان المقصود بالنفى فى آية المحاربة: هو الحبس •

٢ ـ وأما السنة : فلأن الرسول حبس :

٣ ـ وأما الاجمـــاع : فــلأن الصحابة ومن بعدهم أجم وا عليه، وقد انعقد الاجماع على أن الحبس يصلح عقوبة فى التعزيز ، ووضعه الفقهاء بين العقوبات التعزيرية •

نوعا الحبس :

والحبس فى الشريعة الاسلامية نوعـــان :

١ ـ محدد المددة •

٢ ـ غير محدد المدة •

١ ـ الحبس محدد المدة :

ليس للحبس مـــدة محـــدودة ومقدرة ، سواء فى حده الأدنى أو فى حـــده الأقصى ، وهـــو يختلف باختـــلاف ظـــروف كل مجـــرم ، وباختلاف ظروف كـــل جـــريمة وكذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة :

والشرط فيه : أن يكون كافيا لزجر الجانى ، جاء فى كشاف القناع : ان من وجب عليه التعزير يعزر بمـــا يردعه ، لأن القصد من التعزير هو الردع والزجر •

وجاء فى شرح الكنز للزيلعى فى صدد الكلام عن حبس المدين : أن ما جاء مـــن تقدير مـــدة الحبس بشهرين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر اتفاقى وليس يتحتم تقديرا ، وأن ليس للحبس مدة مقدرة ، ويترك الأمر فيه للقاضى ، وأن ذلك يختلف باختلاف الشخص والزمان والمكان والمال ، وأنه مفـــــوض الى رأى الامام ، ويختلف باختلاف الجريمة والمجرم ، وقيل فى نهاية المحتاج : ان مدة الحبس للأحرار لا تصـــل الى سنة •

ومن الأقوال المختلفة للفقهاء : ان الحبس المقدر ليس له حد أقصى ، فهو مفوض الى الامام أو القاضى بما يراه مفيداً للزجر وناجعاله •

ما يقابل هذا النوع فى القانون المصرى :

يقابله الحبس المحدد المـــدة فى الشريعة الاســـلامية فى القـــانون

المصرى عقوبتى الحبس والسجن والأشغال الشاقة المؤقتة اذا الغى منها التشغيل الشاق ، والحد الأدنى للحبس : ٢٤ ساعة ، وحده الأقصى ثلاث سنين •

والسجن : حده الأدنى ثلاث سنين ، وحده الأقصى خمس عشرة سنة •

والأشغال الشاقة المؤقتة : وحدها الأدنى ثلاث سنوات ، وحدها الأقصى خمس عشرة سنة ، على ما هو مذكور فى مراجعه •

٢ ـ الحبس غير محدد المدة :

ويأخذ هذا النوع صورتين :

١ ـ الصورة الاولى : الحبس حتى الموت •

٢ ـ الصورة الثانية : الحبس حتى التوبة أو الموت •

مثال الاول : حبس سيدنا عثمان الصابى بن الحارث ، وكان من لصوص بنى تميم وفتاكهم ، حتى مات فى السجن •

ومثال الصورة الثانية : قول أبى حذيفة : يحبس الشخص العائد للسرقة للمرة الثانية حتى يتوب ، ويكون بظهور أماراتها ودلائلها وعلاماتها •

ما يقابل الصورتين فى القانون المصرى :

يقابل الصورة الأولى : الأشغال الشاقة المؤبدة فى القانون المادة ١٤ اذا الغى منها التشغيل الشاق ، ويقابل الصورة الثانية ما ينادى به الآن فلاسفة علم العقاب ، من ضرورة عدم تحديد مدة الحبس ، وترك التحديد للسلطة التى لها الافراج •

التعزير بأخذ المال :

اختلف الفقهاء فى مشروعية التعزير بأخذ المال ، فمنهم من يجيزه ، ومنهم من يمنعه :

فأبو حنيفة يمنعه ولا يجيزه •

وأبو يوسف قال : بالجواز •

وأما الشافعية ، فقالوا بالجواز مع شىء من التفصيل •

وكذلك الحنابلة : ولقد ذكرها ابن القيم فى كتابه : « الطرق الحكمية » •

والتعزير بأخذ المال يكون بصورتين : الصورة الأولى : التمليك :

ومثاله قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن سرق من التمر المعلق قبل أن يؤخذ الى الجرين بجلدات نكال وغرم ما أخذ مرتين .

وفيمن سرق من الماشية قبل أن تؤدى الى المراح بجلدات نكال وغرم ذلك مرتين .

ما يقابل هذه الصورة فى التشريع المصرى :

تقابل هذه الصورة عقوبة الغرامة فى التشريع المصرى . المادة ٢٢ .

بقولها : العقوبة بالغرامة هى : الزام المحكوم عليه بأن يدفع الى خزينة الحكومة المبلغ المعتمد فى الحكم .

وهى فى القانون العقوبة أصلية عادة ، بمعنى : أنها تكون الجزاء الأصيل المقرر للجريمة ، وقد تكون تكميلية فى بعض الاحيان . أى بالاضافة الى العقوبة الأصلية .

ويقررها القانون عادة فى الجامح والمخالفات ، وقد يترك للقاضى حرية الاختيار بينها وبين الحبس ، أو حرية الجمع بينهما أو الحكم بأحدهما فقط ، وقد يلزمه بالجمع بينهما ، وفى أحوال كثيرة تقرر بمفردها ، وقد حدد الشرع حدها الأدنى بخمسة قروش المادة ٢٢

ولم يبين لها حدا أقصى بصفة عامة الا فى المخالفات ، وهو : مائة قرش المادة ١٢ عقوبات . وان كان قد بين بصفة خاصة الحد الاقصى فى كل حال على حدة .

وفى بعض الأحوال ينص القانون على حد أدنى بغرامة تزيد على الخمسة قروش .

الصورة الثانية : الاتلاف :

مثل اتلاف المنكرات من الأعيان: كالأصنام ، والخمر وأوعيتها ، واللبن المخلوط بالماء للبيع ، والصكوك المزيفة . وليس اتلاف المحل متعينا فى جميع الحالات ، بل يجوز التصدق بالشىء اذا لم يكن بالشىء ضرر لمن يتناوله أو يستعمله ، كاللبن المخلوط بالماء ، والطعام المغشوش غير الفاسد . ويرى الدكتور عبد العزيز عامر ابقاء الشىء وأخذه على ملك الدولة وضمه اليها .

ويقابل الصورة الثانية من التشريع المصرى « المصادرة » .

ولقد نصت عليها المادة ٣٠ بقولها : (يجوز للقاضى اذا حكم بعقوبة لجناية أو لجنحة أن يحكم بمصادرة الأشياء المضبوطة التى تحصلت من الجريمة ، وكذلك الأسلحة والآلات المضبوطة التى استعملت ، أو التى من شأنها أن تستعمل فيها ، وهذا كله بدون اخلال بحقوق الغير الحسن النية ، واذا كانت الاشياء المذكورة من التى تعد صنعها أو استعمالها أو حيازتها أو بيعها أو عرضها للبيع جريمة وجب الحكم بالمصادرة فى جميع الاحوال ، ولو لم تكن تلك الأشياء ملكا للمتهم .

التوبيخ :

استدل الفقهاء على مشروعيته بالسنة فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا ذر سب رجلا فعيره بأمه ، فقال الرسول : « أعيرته بأمه ، انك امرؤ فيك جاهلية » وقصة العبد مع عبد الرحمن بن عوف : فقد خاصم العبد عبد الرحمن بن عوف ، فغضب عبد الرحمن ، فسب العبد وقال له : يا بن السوداء فغضب الرسول وقال : « ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان الا بالحق » فخجل عبد الرحمن بن عوف واستخذى ، ووضع خده على التراب ثم قال (١) للعبد : طأ عليه حتى ترضى .

والمقابلة فى التشريع المصرى :

وأخذ التشريع المصرى بعقوبة التوبيخ فى المخالفات فقط ، بالنسبة للأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين سبع سنين واثنتى عشرة سنة (المادة ٦٥) .

العزل :

وهو حرمان الشخص من وظيفته ، قال ابن تيمية : ان التعزير قد يكون بالعزل من ولاية وان النبى عليه السلام وأصحابه كانوا يعزلون تعزيرا .

---

(١) الفقه الجنائى المقارن أحمد موافى ص ٨٤ — ٨٥ .

ما يقابل العـــزل فى التشريع المصرى :

عرفت (المـادة ٢٦) العــزل هو : الحرمان من الوظيفة نفسها ، ومن المرتبات المقررة له) .

واعتبر عقوبة تبعية كما جـاء بالمادة ٢٥ لكل حكم بعقوبة جنائية بمعنى أن المتهم اذا حـكم عليه بعقوبة جنائية : (أشـغال شاقة مؤبدة أو مؤقتة أو السجن) وكان موظفا فانه يعزل من وظيفته دون حاجة الى النص عـلى ذلـك فى الحكم ، كما اعتبره فى (المـادة ٢٧) عقوبة تكميلية : ينص عليها بالحكم اذا ارتكب الموظف جناية مما نص عليـها فى الباب : الثالث والرابع والخامس والسادس عشر من الكتاب الثانى من العقوبات : (الرشوة واختـلاس الأموال ، والاكراه ، وسوء معاملة الناس ، والتزوير) وعومل بالرأفة فحكم عليه بالحبس ، فانه يحـكم عليه أيضا بالعزل لمدة لا تنقص عـن ضعف مدة الحبس المحكوم بهـا عليه ، وهذه الجرائم التى اختارها المشرع للحكم بعقوبة العزل شبيهة الى حد كبير بمـا أورد ابن تيمية فى كتابة « الســياسة الشرعية » ومثل أمثلة للجرائم التى يحـاكم فيها بالعزل ، ومنها : ولاة أموال بيت المال اذا خانوا وهى تسـاوى (اختلاس الأموال الأميرية) ومن يقبل الهـدية بسـبب العمل وهى تساوى (الرشوة) وولى الأمـر الذى يقبل الرشـوة أو الهدية ، وهى (الرشـوة) بذاتهـا ، ومن يعتدى على رعيته ، وهى تساوى (الاكـراه وسـوء معـاملة الناس) (٢) . والله الموفق .

عبد العليم شداد

---

(١) الفقه الجنـائى المقارن لاحمد موافى ص ٨٤ ــ ٨٥ .

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٥٦١ ويقولون : **شاركه التجارة** ، وشاركه الميراث ونحو ذلك ، وكل هذا ضلال بعيد ، لأنهم جعلوا الفعل متعديا بنفسه الى مفعولين ، وهو لا يتعدى بنفسه الا الى مفعول به واحد ، فيقال : شاركه فى التجارة ، وشاركه فى الميراث ، ويؤيد هذا الرأى قوله تعالى «وشاركهم فى الأموال والأولاد» ومثل هذا الفعل فى التعدى الى مفعول واحد فعلان : أحدهما : الثلاثى تقول : شركة فى البيع يشركه من باب تعب شركا وشركة وزان كلم وكلمة بفتح فكسر فيهما اذا صار له شريكا ، ثم خفف المصدر بكسر الشين وسكون الراء، واستعمال المخفف أغلب ، فيقال : شرك وشركة كما يقال كلم وكلمة والاسم الشرك بالكسر ، جمعه أشراك كشبر وأشبار .

والفعل الآخر : المزيد بالهمزة، تقول : أشرك فلان أخاه فى كل أموره ، ومن هذا قوله تعالى «اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى» أى اجعله شريكى فى الأمر .

وجمع الشريك شركاء ، وأشراك ، كشريف وشرفاء وأشراف ، والمرأة شريكة وهن شرائك وهناك أشرك متعدد أيضا الى مفعول واحد ، بيد أنه لمعنى آخر ، تقول : أشرك فلان نعله اذا جعل لها شراكا بالكسر كشركها تشريكا ، والشراك هو سيرها الذى يكون على ظهر القدم ، جمعه شرك بضمتين ككتب تقول : أصلحوا شرك نعالكم .

وهناك أيضا أشرك غير متعد لمعنى آخر ، تقول أشرك الملحد بالله أى كفر وجعل لله شريكا فهو مشرك ومنه قوله سبحانه **« ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم »** وهم مشركون ومنه قوله تعالى **« انما المشركون نجس »** وهى مشركة وهن مشركات ومنه قوله **« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن »** ويقال : رجل مشرك بصيغة اسم المفعول اذا كان يحدث نفسه كالموسوس والمهموم ، وطريق مشترك أيضا ، والأصل مشترك فيه ، ومنه الأجير المشترك وهو الذى لا يخص أحدا بعمله بل يعمل لكل من يقصده للعمل .

٥٦٢ **ويقولون** : فلان ملاك بالفتح يعنون أنه متسم بكرم الأخلاق ، وهذا خطأ محض ، لأن للملاك معانى عدة لا صلة لأى منها بالمعنى الذى أرادوه ، فهو قوام الأمر الذى يملك به ، اذ يقال : القلب ملاك الجسد بفتح الميم وكسرها ، وهو اسم من ملكته الشىء تمليكا ، وهو التزوج أو العقد كما فى قولك : شهدنا ملاك فلان أى تزوجه أو عقد زواجه ، كما يقال شهدنا املاكه ، وهو التمالك كما فى قولك ليس لفلان ملاك أى لا يستطيع أن يتمالك أى يملك نفسه .

ويقال هذا المنزل ملك بميم مثلثه ، وملكه بميم مفتوحة ، والاملاك التزويج ، تقول أملكنا فلانا فلانة أى زوجناه اياها ، وهو أيضا التطليق تقول : أملكت المرأة أمرها بالبناء للمفعول اذا طلقت والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبنة ، تقول : لفلان ملكوت العراق أى له ملكه وعزه ، وهو مليك وملك بزنة عدل ، وملك بزنة كتف ، ومالك ، وتقول : علاه أبو مالك أى الكبر والشيخوخة ، قال :

أبا مالك ان الغوانى هجرتنى
أبا مالك انى أظنك دانيا

ويقال : فلان حسن الملكة بالتحريك أى حسن التصنيع الى مماليكه ، وفى الحديث لا يدخل

الجنة سيء الملكة والملك(١) بالتحريك من الملائكة واحد وجمع ، ويقال ملائكة وملائك بدون هاء •

٥٦٣ **وتقول المرأة لابنها** : أنت ضناى وتناديه فتقول : يا ضناى ، وهى بهذا تعنى أنها تحبه حبا ملك غليها لبها ، ومس شغاف قلبها •

وهذا غير سليم ، لأن الضنى معناه المرض الشديد ، تقول : ضنى فلان من باب تعب يضنى ضنى اذا مرض مرضا مخامرا كلما ظن أنه برىء نكس فهو ضن على النقص ، وامرأة ضنية وزان فرحة •

ويقال : تركته ضنى ، وضنيا أى مريضا ، وأضناه أى أثقله فهو مضنى بصيغة اسم المفعول ، وفلان بين سفر ينضيه ومرض يضنيه •

ويجوز الوصف بالمصدر فيقال: هو وهى وهم وهن ضنى ، والأصل هو ذوضنى وهى ذات ضنى ، وهم ذووضنى وهن ذوات ضنى •

والصواب أن يقال على سبيل التشبيه البليغ : أنت روحى ، أو قلبى ، أو كبدى أو انسان عينى ونحو ذلك •

وهذه المرأة لو قالت : أنت ضنوى بفتح الضاد وكسرها لكان قولها سليما لأن المعنى حينئذ يكون : أنت وكدى •

٥٦٤ **ويقولون** : تستعمل النظارة فى رؤيا الأشياء الصغيرة ، وفى هذا التعبير غلطتان احداهما كلمة النظارة ، والصواب أن يستبدل بها كلمة المنظار اسم آلة من النظر كالمفتاح فهو اسم آلة من الفتح ، والمنشار اسم آلة من النشر ، وللمنظار معنى آخر هو المرآة ، تقول رأيت خيالى فى المنظار ، وأنشد الفراء •

خود (٢) مهفهفه (٣) كأن جبينها
تحت الرصارص (٤) صفحة المنظار

---

(١) ـــ من الجمع قوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » أى بحسب منازلهم ومراتبهم •
(٢) ـــ الخود : الحسنة الشابة أو الناعمة •
(٣) ـــ المهفهفة : ضامرة البطن •
(٤) ـــ الرصارص براقع صغار تلبسها الجارية •

أما النظارة فهم القوم ينظرون الى سماء ، واحدهم ناظر كما رأى صاحب المصباح ، ورأى صاحب المختار أن الرجالة واحدهم راجل وهو خلاف الفارس ، ويجمع الراجل أيضا على رجال كما فى قوله سبحانه «**فإن خفتم فرجالا أو ركبانا**» ويجوز أن يكون واحد النظارة نظارا قياسا على ما قال صاحب الأساس : ان السيارة واحدهم سيار ، وقول أهل اللغة : ان الجمالة وهم أصحاب الجمال واحدهم جمال ، والحمارة وهم أصحاب الحمير واحدهم حمار والبغالة وهم أصحاب البغال وأحدهم بغال .

والغلطة الأخرى كلمة رؤيا ، والصواب أن يستبدل بها كلمة رؤية بالهاء لأن الرؤية هى الابصار بالعين تقول : رأيت الشىء رؤية اذا أبصرته بعينك ، جمعها رؤى ، كمدية ومدى .

أما الرؤيا فلا تكون الا فى النوم كما فى قوله تعالى «**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس**»

٥٦٥ **ويقولون** فى جمع الأمر بمعنييه أمور ، والحق أن الأمر قد يكون بمعنى الحال كما فى قوله تعالى : «**وما أمر فرعون برشيد**» وهذا جمعه أمور ومنه قوله سبحانه: «**والى الله عاقبة الأمور**» وقد يكون بمعنى الطلب أى ضد النهى كما فى قوله تعالى «**قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا**» وهذا جمعه أوامر ، ومن الأئمة من يقول فى تأويله ان الأمر مأمور به ثم حول المفعول الى فاعل كما قيل أمر عارف بمعنى معروف ، وبيت عامر بمعنى معمور ، وعيشة راضية بمعنى مرضية وكما قيل فى عكس ذلك مستور بمعنى ساتر فى قوله تعالى «**فاذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا**» أى حجابا ساترا .

ثم جمع فاعل على فواعل ككاهل وكواهل ، وصاهل وصواهل ، وشاهق وشواهق ، فأوامر جمع آمر الذى هو فى الحقيقة مأمور كما قلنا ذلك سابقا .

واذا أمرت من هذا الفعل ولم

يتقدمه حرف عطف حذفت الهمزة على غير قياس وقلت مره بكـذا ، ومنه قوله تعالى : **« وأمر أهلك بالصلاة »** والامر بكسر الهمزة معناه معناه العجيب ومنه قوله سبحانه **« لقد جئت شيئا امرا »** .

٥٦٦ ويقولون : اشتد المرض على فلان فأخذ ينازع نزاعا مؤلما ، وهذا خطأ والصواب أن يقال : فأخذ ينزع من باب ضرب نزعا أى أشرف على الموت ، وقولهم فلان فى النزع معناه فى قلع الحياة ، أو يقال : فأخذ يئن أنينا ، أو أخذ يتوجع توجعا أو أخذ يتأوه تأوها ونحو ذلك .

أما النزاع بالكسر فله معنيان **أحدهما** الخصومة والمجاذبة كما فى قولك : نازعت فلانا منازعة ونزاعا اذا جاذبته فى الخصومة .

والآخر الاشتياق كما فى قولك : نازعت النفس الى كذا نزاعا بكسر النون ، ونزوعا بضمها أيضا اذا اشتاقت اليه .

ويقال : بين فلان وجاره نزاعة بفتح النون أى خصومة فى حق ، والتنازع التخاصم ، ومنه قوله تعالى **« ولا تنازعوا فتفشلوا »** .

ومن الثلاثى يقال لمن أشبه أخواله أو أعمامه : نزعهم ونزعوه ، أو نزع اليهم كما فى قول الفرزدق :

أشبهت أمك يا جرير فانها
نزعتك والأم اللئيمة تنزع

ونزع فلان الشىء من مكانه من باب ضرب قلعه ومنه قوله تعالى : **« تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء »** ونزع فلان من باب تعب نزعا اذا انحسر الشعر عن جانبى جبهته فهو أنزع ، وهى زعراء ولا يقال للانثى نزعاء من لفظه .

٥٦٧ ويقولون لواحدة الذباب ذبانة بكسر الذال وتشديد الباء وزيادة نون قبل الهاء والعامة يستبدلون بالذال دالا فيقولون دبانه .

والصواب أن يقال لها ذبانه بضم الذال وتشديد الباء ، أو يقال لها ذبابة والجمع ذباب بالضم ، ويجمع الذباب فى القلة على أذبة ، وفى الكثرة على ذبان

بالكسر كما يقال فى جمع غراب أغربة وغربان .

ويقال أرض مذبة بثلاث فتحات أو مذبوبة اذا كانت كثيرة الذباب ، والمذبه بكسر الميم وفتح الذال ما يذب به الذباب اسم آلة .

وللذباب معان كثيرة زيادة على المعنى المعروف ، فهو انسان العين ، نقول : فلان أعز على من ذباب العين ، وهو من السيف حده الذى يضرب به ، تقول ضربه بذباب سيفه وكذلك هو من الأذن ما حد من طرفها ، وهو الشر ، تقول : أصابنى ذباب شر مأذى وللذبابه أيضا معنى آخر غير معناها المعروف فهى بقية الشىء وجمعها ذبابات ، تقول : فلان ذبابه من دين منذبابات أى بقايا ، وبه ذبابه من جوع ، أو من عطش ، تقول : ما تركت فى الاناء صبابة وفى من العطش ذبة .

وتقول : ذبب النهار اذا مضى ولم يبق منه الا ذبابة .

ويقال ذب فلان عن حريمه من باب نصر ذبا اذا حماه ودافع عنه قال الطرماح :

أذب عن أحساب قحطان أننى
أنا ابن قحطانها حيث حلت

٥٦٨ وينكرون أن يقول القائل :

صديقى يقبل عنى ما أقدم اليه من آراء ، ويصرون على أنه يجب أن يقال يقبل منى كذا ، مستأنسين بقوله تعالى : « **ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » .

والحق أن التعبير الذى أنكروه سليم لا غبار عليه .

وبيان ذلك أن الحرفين من وعن يترادفان : فعن تأتى مرادفة من كما فىقوله تعالى : « **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** » أى منهم .

كما تأتى من مرادفة عن فى قوله سبحانه : « **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله** » **أى عن ذكر الله** وقوله : « **يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا** » أى عن هذا .

وكذلك تأتى عن مرادفة الباء لما فى قوله جل شأنه « **وما ينطق عن الهوى** » أى بالهوى وتأتى مرادفة بعد كما فى قوله « **عما قليل ليصبحن نادمين** » أى بعد قليل ،

وقوله : « **يحـــرفون الكلم عن مواضعه** » أى بعد مواضعه بدليل قوله فى مكان آخر « **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** » وقوله « **لتركبن طبقا عن طبق** » أى حالة بعد حالة وتأتى من مرادفة فى كمـا فى قوله سبحانه « **اذا نودى للصـلاة من يوم الجمعة** » أى فى يوم الجمعة .

٥٦٩ وينكرون أن يقول القائل :

أعتد الرجل لضيفانه مأدبة شائقة بها كل ما لذ وطاب من طعام وشراب ، يعنى هيأها لهم تهيئة طيبة تملؤهم غبطـة وسرورا ويصرون على أنه كان يجب عليه أن يقول : أعـــد الرجل مأدبة .

والحق أن التعبير الذى أنكروه سليم لاخطأ فيه ولا غبار عليه فقد ورد فى التنزيل قـوله تعـالى : « **وأعتدت لهن متكأ** » وقـوله : « **وأعتدنا لها رزقا كريما** » .

وهذا الفعل (عتـد) يتعـدى بالهمزة فيقال : أعتده اعتادا وزان أخرجه اخراجا اذا أعده وهيأه ، ويتعدى بالتضعيف أيضا لهـذا المعنى فيقـال : عتده تعتيدا وزان علمه تعليما فهو عتيـد أى حاضر مهيأ .

٥٧٠ ويقولون لقوس الله : قوس قزح ، وقزح وزان صرد خطـوط من صفر وخضرة وحمرة ، وهذا غير سليم .

والفصيح كما فى مراجع اللغـة — أن يقال له : قسطان ، قسطانى وقسطانية بضمهن ، وبتشديد الياء فى الآخيرين .

وقال علماء اللغة : والعامة تقول قوس قزح ، وقد نهى أن يقال .

وروى عن ابن عبـاس رضى الله عنه أنه قال : لا تقولوا قوس قزح ، فان قزح اسم شـيطان ، ولكن قولوا قوس الله .

وقال الدميرى فى المســائل المنثورة : قولهـم قـوس قزح بالحاء خطأ ، والصـواب أن يقال قوس قزع بالعين وبالتحريك ، لأن القزع هـو السـحاب المتفـرق واحــدته قزعة بالهاء تقول فى التشبيه : كأنهم قزع السـحاب تعنى أنهم متفرقون ومختلفون فى ألوانهم وأشكالهم ، قال ذو الرمة :

ترى عصب (١) القطـــا (٢)
همـــلا (٣) عليـــه

كأن رعاله (٤) قزع الجهـــام (٥)

وقيل قزح جبـــل بالمزدلفة ، واسم ملك موكل بالســـحاب ، أو اســـم ملك من ملوك العجم أضيفت قوس الى أحدهما .

٥٧١ ويقولون : تتابعت النوائب على فلان فيخطئون ، والصواب أن يقال : تتايعت النوائب بالياء بدلا من الباء ، وذلك لأن التتابع يكون فى الصلاح والخير .

أما التتـــايع فمختص بالشر والمنكر ، تقول : فلان يتتايـــع فى الأمور اذا رمى نفسه فيها من غير تثبت ، وتتـــايع النـــاس فى الشر اذا تهافتوا فيه .

والأتيع هو المتتايع فى الحمـــق ، والتيعان بتشـــديد الياء وزان (البيعـــان) وهو المتسرع الى الشر ، وفى الحـــديث « ما يحملكم على أن تتايعـــوا فى الكـــذب كما يتتايع الفراش فى النار » .

وروى أنه لما كثر شرب الخمـــر فى عهد عمر رضى الله عنه ، جمـــع الصحابة وقال : انى أرى الناس قد تتايعوا فى شرب الخمـــــر واستهانوا بحدها .

٥٧٢ ويقولون : لقد وصينا الوزير على فلان ، وهـــذا كتاب موصى عليه ، والفصيح أن يقال : وصينا الوزير بفلان ، وهذا كتاب موصى به ، لأن هذا الفعل لا تستعمل معه الا الباء سواء أكان رباعيا مضعفا كما ذكرنا ، وكما فى قوله تعالى : **« ووصينا الانسان بوالـــديه »** وقوله **« ذلكم وصاكم به »** أم كان رباعيا مهموزا كما فى قولك لغيرك: « أوصـــيك بتقوى الله » وقوله

---

١ ـــ العصب بضم ففتح جمع عصبة وهى الجماعة من العشرين الى الاربعين .
٢ ـــ القطا : نوع من الطير واحدته قطاة ، وتجمع القطاه أيضا على قطوان وربما قالوا قطيـــات .
٣ ـــ هملا : مهملة .
٤ ـــ الرعال : جمع رعلة وهى النخلة الطويلة .
٥ ـــ الجهام السحاب لا ماء فيه .

جل شأنه « **وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا** » وقوله «**من بعدوصية يوصىبها أو دين**»ويقال: تواصوا بالصدق ، ومن هذا قوله تعالى : « **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** » .

٥٧٣ **ويقولون :** صار المريض فى زمن (النقاهة) وهذا المصدر عامى لا وجود له فى العربية والصواب أن يقال : نقه المريض نقها من باب طرب ، ونقوها أيضا بالضم اذا برىء وصح ولكن فيه ضعف وأثر من المرض ، فهو نقه كطرب وتعب وضجر ويقال أيضا نقه ينقه من باب نفع فهو ناقه ، جمعه نقه كراكع وركع قالوا : لفلان فى كل عام مرضة ونقهة بالفتح فى كل منهما لأنه اسم مرة ومن هذا قول عمران بن حطان :

أفى كل عام مرضة ثم نقهة
وتنعى ولاتنعى فكم ذا الىمتى؟

٥٧٤ **وهم يخطئون حين يقولون:** هذا الشاعر رقيق الوجدان بكسر الواو ، ووجه الكلام أن يوصف الشاعر بأنه رقيق الاحساس أو رقيق العاطفة ، صادق الشعور ، واسع الخيال ، صافى القريحة ، بارع التصوير ، قوى التأثير فى النفوس .

أما الوجدان فهو مصدر لقولك : وجد فلان ضالته يجدها وجدانا ، ووجد عليه بكسر الجيم فى الغضب موجدة ووجدانا ، ومن هذا قول صخر النعى :

كلانا رد صاحبه بيأس
وتأنيب ووجدان شديد

وقد يستعمل الوجدان بكسر الواو فى الوجد بضمها ، ومنه قول العرب : وجدان الرقين (١) يغطى أفن الأفين (٢) أى أن اليسار يغطى ما يبدو على صاحبه من ضعف فى عقله .

عباس أبو السعود

---

١ ــ الرقين : الدرهم

٢ ــ الافين منزوف العقل ، وكذلك هو من يتمدح بما ليس عنده تقول : فى عقل فلان أفن أى ضعف من أفنت الناقة اذا استنزف الحالب لبنها .

وفاء لإمام

للدكتور كمال جعفر

قيلت فى رثاء فضيلة الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وألقيت فى ١٩٧٨/١٠/٢٦ بالسودان .

أين راحت ــ حمامة الاسلام ــ وخلى جموعهم فى الظلام
واحة الانس ، راحة الايام وبكاه الشيوخ من كل فج
كيف ولى الهديل ساحر الالحـ ورثته شبيبة الاسلام
ن ونابت نوائح الآلام كان جم التقى ، نقى الطوايا
كيف تاه الدليل فى سائر الركب واسع العلم حاسم حكام
وزلت ثوابت الأقدام مطلق الكف فى سبيل المعالى
فيم هذا الذبول يا ربة الروض هادىء الطبع فى لجاج الخصام
وفيم الذهول فى الاحلام ؟ مشرق الروح فى خضم المآسى
رقرق الدمع فى المآثى حبيسا رابط الجأش فى مور العظام
والبرايا ضنينة بالكلام باسم الثغر لا يفل رضاه
مادها ، الصجت يا حبيبة قولى ؟ جاهل القوم ومرذول الطغام
ما عراهم بجنة فى الزحام ظل يذكى على المطامع حربا
فاجأ الخطب يا حبيبة قومى ويؤاخى زهادة بالسلام
ورماهم من قهره بالسهام بات سفيان يرتضيه خليلا
أطفأ الموت بالديار سراجا وسمات البصرى تحكى امامى
وكساها بحالك الاقتام لاتراعى حمامتى ان قومى
غاب عبد الحليم عن أفق الناس أوفياء بعهده والذمام

لن يكلوا ولن تخور قواهم
بل سيمضون فى مضاء الحسام
لا تقولى تهدم الصرح حتى
عاد فيها بقية من ركام
لا تقولى قد غاض نبع الأمانى
واستبد الردى بختم الكرام
ان ربى عطاؤه لا يبارى
لن يزال المفيض بالاعلام
فاذا خر فى النضال شهيد
سبقته الالطاف بالانعام
دين ربى يصونه من عواد
من غلاظ القلوب والافهام
ويمد الجنود تلو الجنود
فى طريق الهدى بخير الانام
رحمة الله ما لها من نفاد
وهى تمضى بعناية الاحكام
أرتجيها لشيخنا فى ثراه
ومقام يحف بالاكرام
قادة الدين لا أراكم وقوفا
ويفوز الغريب بالاقدام
ان دين الاله يطلب بذلا
بعميم النفيس ، والاعلام
بنقاء الضمير من أجل ربى
وسراح الحظوظ والاقسام
فى دياجى الحياة كونوا هداة
ومن الأمجاد بوءوا بالسنام
لا تذل الصعاب الا لقوم
واصلوا العزم بموفور الوئام
وأعدوا بدينهم خير زاد
لصراع الحياة والايام
وأحالوا النصوص نبضا قويا
ليريحوا النفوس من أسقام
انما الدين طاقة وحياة
فى حماها معاقل الابرام
أم درمان لاعدمت رجالا
هم مناط العلا ونيل المرام
منك كان الوفاء (بمحمود) سعى
يذكر الفضل سابغا للامام
من بنى (مصر) للفقيد التياع
(وبسودان) لاذع الآلام
هز وقع المصاب فيها قلوبا
جاوبتها مواطن الاسلام
أيها (النيل) كم حملت لمصر
من سدان شيق نسام
كم تدانت حناجر الحب حتى
أطربتنا بساحر نغام
رب سدد خطاهما فى كفاح
وتعهد فيهما درب السلام

الدكتور / كمال جعفر

دعاء الفجر

للأستاذ محمد الضمرانى أبو العلا

نامت الأعين الا أعينا
تنشد الصفح وترجو الفرجا
قلت ادعونى دعونا فاستجب
نفد الصبر فهات المخرجا
كيف الوصول ؟
قلت كيف الوصول والليل داج
وظلام النفوس كالليل حالك
وطعام الانام يحتضن الشـ
ـر ويرمى بشره فى المسالك
وعراك الحياة يوردنا الصعـ
ـب ويلقى بمثلنا فى المعارك
أنصد الجهول بالعفو دوما
فنرى الحتف والخنا والمهالك
قال هذى الحياة ياصاح دنيا
وسمو السمو يوم القيامه
مزج القبح بالجمال وصارت
قيم الناس لا تساوى قلامه
فعظيم الرجال أغزر مالا
وفقير الرجال دون الكرامه
وأخو العلم فى سمو وطهر
عابه اللص واستخف مقامه
ثم ماذا ؟
فخذ بالعلم والمعالى سبيلا
ودع الخصم فى ضلال وغى
وأنشد الخير للبرايا جميعا
وابذل النصح عن ضمير نقى
وكن النخلة السخية تعطى
أطيب التمر للصبى الشقى
وأحمد الله أن حباك فؤادا
ورث العلم عن أحب نبى

محمد الضمرانى أبو العلا

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« من أصبح وليس همه الا الله »

اذا أصبح العبد وأمسى وليس همه الا الله وحده : تحمل الله سبحانه حوائجه كلها وحمل عنه كل ما أهمه ، وفرغ قلبه لمحبته ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وان أصبح وأمسى والدنيا همه ، حمله الله همومها وأنكادها ، ووكله الى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم ، فهو يكدح كدح الوحش فى خدمة غيره ، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه فى نفع غيره ، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تعالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »** .

« شكاية صريحة »

قدم أمير المؤمنين ــ المنصور ــ حاجا ، فكان يخرج للطواف ليلا وبينما هو يطوفه اذ برجل يقول : اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع .

فاستدعاه ــ المنصور ــ وسأله ، ما هذا الذى تقول ؟ لقد حشوت مسامعى بما أمرضنى وأقلقنى .

فأجابه الرجل ، انما عنيتك بقولى ، وقصدتك ، لا سواك .

قال المنصور : وكيف يدخلنى الطمع ؟ والصفراء والبيضاء فى يدى ، والحلو والحامض فى قبضتى ؟ !!

قال الرجل : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ؟ ان الله تعالى ـ استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا ، واتخذت لك أعوانا ووزراء ظلمة آثمين ، ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم رعيتك ، وابتزاز أموالهم فلما رأتك حاشيتك هذه قد استخلصت أفرادها لنفسك ، وآثرتهم على أمتك ، قالوا: هذا قد خان الله فلماذا لا نخونه ؟ فأتمروا على ألا يصل اليك شىء من أخبار الناس ، الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه ، حتى امتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وأنت تنظر ولا تنكر ، وترى ولا تغير ، فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين الدنيا من يدك ، ودعاك الى الحساب ؟ هل يغنى عنك عنده شىء مما كنت فيه ؟ فبكى المنصور حتى نحب ، ثم زهد وتنسك واستبدل بحاشيته الأئمة الأعلام المرشدين فصلحت بهم الرعية ، واستقامت أمورهم •

« رأس المال »

سرق رجل جملا ، وذهب ليبيعه فى السوق ، فسرق منه ، فلما عاد قيل له بكم بعت جملك ؟ قال برأس المال •

« خير صاحب »

قال ابن المقفع : انى مخبرك عن صاحب لى ، كان أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ما أعظمه فى عينى ، صغر الدنيا فى عينه ، كان خارجا من سلطان بطنه ، فلا يشتهى ما لا يجد ، ولا يكثر اذا وجد ، وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يقول ما لا يعلمه ، ولا ينازع فيما يعلمه ، وكان خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يقدم أبدا الا على ثقة بمنفعة ، كان

أكثـــر دهـــره صـــامتا فاذا نطق بز النـــاطقين كـــان يرى متضاعفا مستضعفا ، فاذا جاء الجد كان كالليث عـــاديا ، وكان لا يدخل فى دعوى ، ولا يشـــترك فى مراء ولا يدلى بحجة ، حتى يرى قاضيا عادلا ، وشهودا عدولا ، وكان لا يلوم أحدا على ما قد يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما اعتذاره ، وكان لا يشكو وجعا الا لمن يرجو عنده البرء ، وكان لا يستشير صاحبا الا من يرجو عنـــده النصـــيحة ، وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا يخص نفسه دون اخوانه بشىء من اهتمامه وحيلته وقوته ، فعليك بهذه الأخلاق ما استطعت ولن تستطيع ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع •

« دعه »

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، خرج ليلة للحراسة فدخـــل المسجد ، وبينما هو يجوسه فى خلال الظلام ، عثرت رجله برجل نائم ، فرفع الرجل نصف رأسه ، وقال لعمر : أمجنون أنت ؟ !!

قال عمر : لا •

فهم به حارسه ، فقال له عمر : صه ودعه ، انما سألنى أمجنون أنت ؟

فقلت له لا !!

« فيك طبع الدواب »

مر بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نائم ، فركضه برجله وقال : قم ، فقام غير مرتاع منه ، ولا ملتف اليه فقال له الملك : أما تعرفنى ؟

قال : لا ، ولكن أرى فيك طبع الدواب ، فهى تركض بأرجلهـــا ، فغضـــب •

وقال : أتقول لى هذا وأنت عبدى •

قال له سقراط : بل أنت عبد عبدى ، •

قال : وكيف ذلك ؟

قال : لأن شهوتك قد ملكتك ، وأنا ملكت شهوتى •

قال : أنا الملك ابن السادة ، ، أملك من البلاد كــذا ، ومن الأموال كذا ، ومن الرجال كذا !!

فقال له سقراط : أراك تفخر على بما ليس من نفســك ، وانما سبيلك أن تفخر على بنفسك ، ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا من ماء هذا النهر ، ونتكلم اذ يتبين الفاضل من المفضول •

فانصرف الملك خجلا •

« عظة شــعرية »

مر عابد براهب فى صومعة • فقال له : عظنى ، قال : أعظك ، وعليكم نزل القرآن ، ونبيكم محمد قريب العهد بكم ؟ !

قال العابد : نعم •

قال : فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية •

تجرد من الدنيا فــانك انمــا
وقعت الى الدنيــا وأنت مجــرد

« أربع آيات فيهن غنى وغناء »

عن المعلى بن زيــاد الفردوسى : أن عامر بن عبد القيس العنبرى كان يقول : أربع آيات من كتاب الله اذا قرأتهن مساء لم أبال عــلى ما أمسى ، واذا تلوتهن صباحا لم أبال على ما أصبح •

« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فــلا مرسل له من بعده » •

« وأن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده » •

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » •

« سيجعل الله بعد عسر يسرا » •

« فائدة العصا »

لقى الحجاج أعرابيا فقال : ما بيدك ؟

قال : هى عصاى أركزها لصلاتى ، وأعدها لعداتى وأسوق بها دابتى وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى ، وأعبر بها النهر ، وتبعدنى العثر ، وألقى عليها كسائى فيقينى الحر ، ويجنبنى القر وتدنى لى ما بعد ، وهى محل سفرتى وعلاقة أدواتى أقرع بها الأبواب ، وألقى بها عقور الكلاب ، وتنوب عن الرمح فى الطعان ، وعن السيف عند منازلة الأقران ورثتها عن أبى ، وسأورثها ابنى من بعدى ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ٠٠

« ثلاث خصال »

قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ :

ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان :

حلم يردبه جهم الجاهل •

وورع يحجزه عن المحارم •

وخلق يدارى به الناس •

« تضرع بعد صلاة العيد »

وقف عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ بعد صلاة العيد ، فقال : اللهم ، انك قلت ــ وقولك الحق ــ **« ان رحمة الله قريب من المحسنين »** فان كنت من المحسنين فارحمنى ، وان لم أكن من المحسنين فقد قلت : **« وكان بالمؤمنين رحيما »** فارحمنى !! وان لم أكن من المؤمنين فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة فاغفرلى •

وان لم أكن مستحقا لشىء من ذلك ، فأنا صاحب مصيبة وقد قلت : **« الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »** اللهم فارحمنى •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : ما حكم صوم ستة أيام من شوال ؟ وكيف يتم صومها ؟

ج : جاء فى كتاب « الصيام — فضائله وأحكامه » لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى :

يندب صوم ستة من شوال لما روى أبو أيوب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » رواه مسلم ، ورواه أبو داود بلفظ « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ستا من شوال أو بست من شوال » من غير هاء التأنيث فى آخره هذه لغة العرب الفصيحة المعروفة ، يقولون : صمنا ثلاثا وصمنا خمسا ، وصمنا عشرا ، بحذف الهاء وان كان المراد مذكرا وهو الأيام .. فما لم يصرحوا بذكر الأيام يحذفون الهاء جوازا ، لأن اسم العدد اذا لم يذكر مميزه يجوز فيه الوجهان : حذف الهاء واثباتها ، فاذا ذكروا المعدود المذكر أثبتوا الهاء فقالوا : صمنا ستة أيام وعشرة أيام وهكذا ... ومما جاء مثله فى القرآن العظيم : **« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا »** (١) والمراد عشرة

---

(١) آية ٢٣٤ من سورة البقرة .

أيام بلياليها ، ولا تنقضى العــدة حتى تغـرب الشمس مــن اليوم العاشر •

ومثله قوله تعالى : « **يتخافتون بينهم ان لبثتــم الا عشرا** » (١) أى عشرة أيام بدليل قوله تعالى : « **اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما** » (٢) •

قال أهل اللغة فى تعليل هــذا الباب : وانما كان كذلــك لتغليب الليالى على الايام ، وذلك لان أول الشهر الليالى : فلما كانت الليالى هى الأوائــل غلبت لأن الأوائل أقوى ، ومن هــذا قول العرب : خرجنا ليالى الفتنة وخفت ليــالى امارة الحجـــاج ، والمراد الايام بلياليها •

ويؤخذ من الحديث استحباب صــوم ستة أيام مــن شــوال ، ويستحب صومهــا متتابعة فى أول شوال ، بأن يبدأ فى صــــومها فى اليوم التالى من أيام عيد الفطر ، لأن صوم اليوم الاول منه حرام ، ولا ينعقد صومه •

فان لم يجعلها متتابعة بل فرقها أو أخرها عن اليوم الثانى مـــن شوال جاز وكان فاعلا لأصل هذه السنة ، لعموم الحديث واطلاقه ، وهذا مذهب الامامــين الشافعى وأحمــد •

وذهب أبو حنيفة ومالــك الى كراهة صومها •

قال مالك فى الموطأ : وصــوم ستة أيام من شوال لم أر أحدا من أهل العلم والفقه يصــومها ، ولم يبلغنى ذلك عن أحد من السلف ، وان أهل العلم كانوا يكرهون ذلك ويخافون بدعته • وأن يلحق أهل الجفاء والجهالة برمضــان ماليس منه لو رأوا فى ذلك رخصــة عنــد أهل العلم ، ورأوهم يعملون ذلــك انتهى من الموطأ •

وحجة الشـــافعى وأحمــد الحديث السابق ، ولا معارض له من الأحاديث مطلقا ، وأما قــول مالك : لم أر أحدا يصومها فليس

---

(١) آية ١٠٣ من سورة طه
(٢) ١٠٤ من سورة طه

حجة فى الكراهة ، لأن السنة ثبتت فى ذلك ، وعدم رؤيته من يصومها لا يعارض السنة .

قال علماء الشافعية : وتحصل السنة بصوم الايام المذكورة عن قضاء رمضان ، أو عن نذر ويفوت وقتها بفوات شوال ولكن يسن قضاؤها .

وعلل بعض العلماء تشبيه صوم الايام الستة بصوم الدهر فقال : لأن الحسنة بعشر أمثالها فرمضان بعشرة أشهر ، وست من شوال بشهرين .

س : سأل طالب جامعى متدين: كنت أصوم يوم الجمة نظرا لأنه يوم اجازة . ولكن البعض نصحنى بعدم صيامه . فأرجو توضيح ذلك وبيان وجه الحق فيه ؟

ج : الأصل فى مشروعية العبادات هو النقل من كتاب أو سنة« **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (١)** » والاتباع فيها خير من الابتداع .

وفى هذا المقام يحدثنا الامام ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فيقول : وكان من هديه صلى الله عليه وسلم كراهة تخصيص يوم الجمعة بالصوم — فعلا منه وقولا .

فصح نهى النبى عن افراده بالصوم من حديث جابر بن عبد الله وأبى هريرة وجويرية بنت الحارث وعبد الله بن مسعود ، وجنادة الأزدى وغيرهم .

وشرب يوم الجمعة وهو على المنبر يريهم أنه لا يصوم يوم الجمعة . ذكره الامام أحمد ، وعلل المنع من صومه بأنه يوم عيد، فروى الامام أحمد من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا أن تصوموا قبله أو بعده » .

فان قيل يوم العيد لا يصام مع ما قبله ولا ما بعده . قيل لما كان

(١) آية ٧ منسورة الحشر

يوم الجمعة مشبها بالعيد أخذ من شبهه النهى عن تحرى صــيامه فاذا صام ما قبله أو مابعده لم يكن قد تحراه • وكان حكمه حكم صوم الشهر ، أو العشر منه ، أو صوم يوم وفطر يوم ، أو صــوم يوم عرفة أو عاشوراء • اذا وافق يوم جمعة : فانه لا يكــره فى شىء من ذلك •

فان قيل فما تصــنعون بحديث عبد الله بن مســعود قــال : « ما رأيت رسول الله صــلى الله عليه وسلم يفطر فى يوم الجمعة » رواه أهل الســنة • قيل نقبله ان كان صــحيحا ويتعين حمله عــلى صومه مع ما قبله أو بعده ، ونرده ان لم يصــح فانه من الغرائب • قــال الترمذى : هــذا حــديث غريب • أ هـ

وعلى هــذا فيــكره تحريما أو تنزيها افراد يوم الجمعة بالصيام الا فى الحالات المذكورة ســابقا وينبغى لمن أراد صيامه أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده •

هذا وقد قال أبو حنيفة ومحمد ابن الحسن ومالك بن أنس لا يكره افراد يوم الجمعة وهم محجوجون بالأحــاديث الصحيحة الواردة بالنهى عن صومه وحده •

س : هل فى القرآن ما يدل أو يشير الى أن الانســان يصل الى القمر ؟

ج : يجيب عن هذا الســؤال الامام الأكبر الشــيخ محمود شلتوت رحمــه اللــه فى كتــابه الفتاوى تحت عنوان : من شئون العقل البشرى :

الجواب أنه يكفينا فى مثل هذا ، أن القرآن الكريم ليس فيه ما يدل على عدم امكان الوصول الى القمر وهو من الشــئون التى تركهــا القرآن للعقل البشرى عن طريق تفكيره فيما أودع الله فى خلقه من أسرار وسنن ، وعن طريق أن الله سخر لنا ما فى الأرض جميعا • كما سخر لنا الشمس والقمر ، والليل والنهار ، ومهد لنا طرق المعرفة لما يحيط بنــا من عجائب اللــه فى ملكوته •

وليس بلازم ــ ومهمة القرآن

هداية وارشـــــاد ــ أن يصرح القرآن أو يشـــــير الى هـــذه المخترعات البشرية أو الى غـــاية ما تصل اليه .

وليس من رأيى تحميل آيـــات القرآن هذه الاشـــارات ، وانما نأخذ القرآن بمعنى آياته الـــذى تعطيه ، بحسب سوقها ، وبحسب اللغة التى نزل بها وهى لغة العرب وكم من مخترعات جدت وليس فى القرآن مايشير اليها .

نعم القرآن أمـــر بالنظـــر فى ملكوت السموات والأرض وتعرف سنن الله فى كونه والانتفاع بها .

وهذا على عمومه لا يعطى حكما من القرآن بامكان الوصـــول الى القمر أو بعدمه ... أ . هـ

هكذا وقـــد فسر العلمـــاء لفظ « الكتـــاب » فى قوله تعـــالى : **« ما فرطنـــا فى الكتـــاب من شىء »**(١) أن المراد به هو اللـــوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان أو جماد .

أو القرآن فانه قد دون فيـــه ما يحتاج اليه من أمـــر الـــدين مفصلا أو مجملا .

والله وأعلم

عبد الحميد شاهين

---

(١) من الآية (٣٨) من سورة الانعام

من أنباء العالم الاسلامى

اعداد الاستاذ فهمى عبد اللاه سيد على

المسلمون فى أمريكا لهم ٣ مشاكل : تعليم الأولاد ، زواج البنات ، التليفزيون (١) .

أكبر الهيئات الاسلامية فى أمريكا وأكثرها نشاطا هو (اتحاد الطلاب المسلمين) ومقره مدينة (انديا) التى تتوسط هذه البلاد الفسيحة ، وله زهاء ثلاثمائة فرع فى أنحاء الولايات المتحدة مما يدل على أن المسلمين قد انتشروا خلال السنوات الأخيرة فى جميع أرجائها .

ورغم أن هذه المنظمة تسمى اتحاد الطلاب الا أن نصف أعضائها تقريبا قد انتهوا من دراستهم ، وصاروا مهندسين وأطباء ، وأساتذة فى الكليات والمعاهد ، وعاملين فى كثير من فروع الحياة الامريكية ، ولهذا تفرعت عن الاتحاد جماعات مهنية عديدة ، فهناك اتحاد المهندسين المسلمين ، واتحاد الأطباء المسلمين وهكذا .

أنشأ هذا الاتحاد منذ عدة سنوات الدكتور عثمان أحمد استاذ مصرى فى علم الطبيعة .. وهو رجل ممتلىء حماسة وثقة .. وتفاؤلا بأن المسلمين فى أمريكا يستطيعون أنيحافظوا على

---

(١) من مقال للاستاذ عبد الحميد الكاتب فى يوميات الاخبار ١٩٨٠/٦/٢١ .

كيانهم رغم اندماجهم فى المجتمع الامريكى ، بل يستطيعون أن يصيروا قوة مؤثرة ولها نفوذ فيما يتصل بأمورهم فى أمريكا ، وفى علاقة أمريكا ببلادهم .

« موسوعات عن العالم الاسلامى »

تقوم الحكومة الباكستانية بتنظيم احتفالات بمناسبة مرور ١٤ قرنا على الهجرة النبوية الشريفة ، وأنها بصدد اعداد ثلاث موسوعات عن العالم الاسلامى هى :

١ ــ موسوعة بعنوان : (العالم الاسلامى اليوم) بالتعاون مع جميع الدول الاسلامية :

٢ ــ موسوعة بعنوان (الاسلام فى جنوب آسيا) بالتعاون مع دول جنوب آسيا .

٣ ــ أطلس للعالم الاسلامى ، بالتعاون مع جامعة الكويت .

والموضوعات المقترحة التى سيدور البحث حولها فى موسوعة (العالم الاسلامى اليوم) هى :

ظهور الاسلام وانتشاره ــ التأثير الاسلامى فى مختلف أنحاء العالم ــ نهضة العالم الاسلامى ــ الصحوة الاسلامية ــ اقتصاديات العالم الاسلامى ــ التنمية الصناعية والنمو الاقتصادى ــ القوانين والدساتير ــ الحكومات والسياسة فى الدول الاسلامية ــ الحياة الاجتماعية والتربية ــ عظماء الاسلام المعاصرين ــ الساسة والمحاربين من أجل الحرية

وترى سفارة جمهورية مصر العربية ــ فى اسلام اباد ــ ضرورة الاسهام فى هذا العمل لابراز دور مصر القيادى على مر التاريخ الاسلامى ، وكذا ابراز دور الأزهر الهام فى تعميق العقيدة الاسلامية .

« مركز اسلامى متعدد النشاط لخدمة ١٧٠٠ مسلم فى فنلندا » .

بعيدا هناك فى أقصى شمال الدنيا فى فنلندا يعيش حوالى ١٧٠٠ مسلم من بينهم ١٢٠٠ من أصل تتارى عاشوا فى هذه البلاد منذ أزمان طويلة ، واستقروا فيها بالاضافة الى ٥٠٠ جاءوا من دول أخرى واستقروا فى فنلندا سعيا وراء الرزق .

على أية حال فان هؤلاء

المسلمين يخشى عليهم أن يذوبوا وسط مجتمع أوربى الطباع وله عادات تختلف كثيرا عن عادات المسلمين •

ولكن أيذوب المسلمون كما يذوب جليد هلستكى مع قدوم الصيف !! لقد تحرك البعض وعلى رأسهم المهندس المصرى محمد عبد الحميد سليمان لانشاء مركز اسلامى يكون دوما راعيا للمسلمين ويربطهم بدينهم الحنيف •

وقد بدأ التخطيط لبناء هذا المركز منذ عام ١٩٧٧ م ويستمر العمل لمدة ٨ سنوات ••• وتم تشكيل مجلس للادارة من ٦ أفراد منهم شخصيات فنلندية مرموقه •

وهكذا المركز لم ينشأ من فراغ ، بل جاء امتدادا للجمعية الاسلامية فى تأميره والتى توقفت عن العمل تقريبا بعد وفاة امام المسلمين بفنلندا حبيب الرحمن شاكر عام ١٩٧٦ م كنتيجة لبعض الظروف غير الملائمة للعمل•

يحدد القائمون على المركز آمالا عريضة فى مستقبل مشرق للأقلية المسلمة •• يأتي فى مقدمة الآمال بالطبع : رؤية المركز قائما يمارس نشاطه بعد التغلب على العقبات التى تعترض طريق التنفيذ ، وبعد ما تمكن محمد سليمان من ادخال مادة التاريخ الاسلامى فى مناهج كلية الآداب بجامعة تأميره بعد اقناع هيئة التدريس بوجهة نظره ، فانه يسعى لدى المسئولين عن الاذاعة لبث أذان الصلوات الخمس ، وتلاوة القرآن يوميا فى رمضان •

كل هذه المحاولات لربط المسلمين بدينهم ، واعادتهم الى ممارسة الشعائر والعبادات الاسلامية من جديد ، تهدف الى تجميع المسلمين ، ومقاومة انقراضهم ، ولربطهم بالعالم الاسلامى •

ويتمنى المسلمون هناك الحصول على الدعم اللازم من الهيئات الاسلامية ، كالازهر ، ووزارة الاوقاف ، لارسال علماء وتخصيص منح دراسية فى الأزهر ، ولتدعيمهم بالكتب اللازمة •

« مجلس الشعب يبحث مشروع قانون لانشاء أول نقابة لقراء القرآن الكريم » .

قدم السيد محمد رشوان مشروع قانون جديد بانشاء نقابة لقراء القرآن الكريم .

وقد وافقت لجنة الاقتراحات والشكاوى بالمجلس على القانون من حيث الشكل ، واحالته الآن الى لجنة الشئون الدينية لاعداد تقرير عنه يعرض على مجلس الشعب .

ومن ابرز وسائل الحفاظ على القرآن الكريم من خلال هذا القانون يقول السيد محمد رشوان : ان القانون تضمن نصا صريحا بأنه لا يجوز لأحد تلاوة القرآن الكريم ، سواء فى جهة حكومية أو غير حكومية ، ما لم يكن عضوا عاما بالنقابة .

« انشاء أول جمعية للاقتصاد الاسلامى » .

فى أول يوليو الماضى تكونت — ولأول مرة — جمعية للاقتصاد الاسلامى برئاسة د . عبد العزيز حجازى نقيب التجاريين ورئيس الوزراء الأسبق ... أعضاء الجمعية من أساتذة الاقتصاد وخبراء البنوك الاسلامية ، ورجال الأعمال وعلماء الشريعة ، وتهدف الجمعية الجديدة الى نشر التراث الاقتصادى الاجتماعى الاسلامى والانسانى ، وتقديم أصول الاقتصاد الاسلامى بلغة العصر .

فهمى عبد اللاه سيد على

١٣٩٥

كتاب الشهر ؛

تراثنا في دائرة الضوء

لطائف المنن

تأليف العارف بالله ابن عطاء الله السكندرى

تحقيق

الإمام الأكبر المرحوم الدكتور

عبد الحليم محمود

شيخ الأزهر السابق

عرض وتقديم

الدكتور محمود بن الشريف

للدعاة والهداة أتباع وأشياع . وللمفكرين وذوى الـــرأى حواريون يتتلمذون عليهـــم ، ويأخذون منهم ، وينقلون عنهم ، يســجلون تعاليمهــم ويدونون آراءهم واتجاهاتهم ..

وللعلماء والأساتذة وأصحاب المذاهب الفكـــرية والمدارس التربوية كتب وتواليف يسـطرون فيها ، ما أفاء الله عليهـــم من خواطر وأحاسيس ، وعلـــوم ومعارف ، والهامات وأشراقات .

الا أن هناك قلة من هـــؤلاء الذين وصلوا الى القمة ، وتسنموا الذروة فى مجاليهم ومجالاتهم لم يحبروا كتابا ولم يخطوا حرفا فى قرطاس .. يعقدون مجالس العلم يتصدرون اللقـــاءات والندوات ، ويطلقون الآراء والنظـريات .. ويقوم بمهمة التدوين طلبتهـــم وتلاميذهم ..

من هذه القلة القليلة الامـــام العارف بالله أبو الحسن الشاذلى، وتلميذه الشـــيخ أبو العباس المرسى ..

يقول عن ذلك ابن عطاء اللـــه السكندرى فى مقـــدمة كتابه (لطائف المنن) :

« وكان أصحاب الشيخ الامام القطب أبى الحسن الشاذلى قـــد أثبتوا جملا من كلامه ، وان كـــان هو — رضى الله عنه — لم يضع كتابا .. وقد بلغنى أنه قيل له : لم لاتضع الكتب فى الدلالة عـــلى اللـــه ، وفى نشر علوم القـــوم (الصوفية) فقال رضى الله عنه : **كتبى أصحابى ..**

ثم يقول ابن عطاء : « وكـــذلك تلميذه شيخنا أبو العباس المرسى لم يضع فى هذا الشأن كتابا » ..

وفى المقدمة أيضا يتحدث الامام ابن عطاء الله عن الدافع له عـــلى تأليف هذا الكتاب الجليل فيقول : « لا أعلم أن أحدا من أصـــحاب شيخنا أبى العباس المرسى تصدى الى جمع كلامه ، وذكر مناقبـــه ، وأسرارا علومه وغرائبه ، فحدانى ذلك الى وضع هذا الكتاب بعـــد أن استخرت الله تعالى ، وطلبت منه المعونة وهو خير معين » ..

على أن المؤلف نفسه يعترف بأنه لم يضمن كتابه كل ما عرف عن شيخه أبى العباس المرسى .. يذكر ذلك فى المقدمة فيقول :

«وليس كل شىء سمعته من الشيخ رضى الله عنه استحضرته وقت وضعى لهذا الكتاب ، ولا كل شىء استحضرته يمكن اثباته .. وقصدت بذلك أن تنتفع به هذه الطائفة (أى الصوفية) خصوصا، وغيرهم عموما ، ليؤمن بأحوال هذه الطائفة من قسم الله له نصيبا من المنة ، وجعل فى قلبه نورا من الهداية ، وليرجع المكذب الى الاعتراف ، والمكابر الى الانصاف ، ولتستبين به — لمن أراد الله به الهدى — المحجة ، وتقوم — على من لم تنصره عناية الله — الحجة » ..

أما المؤلف ، فهو العارف ابن عطاء الله : الجذامى نسبا ، المالكى مذهبا ، الاسكندرى دارا ، القاهرى مزارا — توفى بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ .. وتتلمذ على يد الامام الكبير أبى العباس المرسى، وصلته بأستاذه أبى العباس يقصها فى هذا الكتاب فيقول :

« كنت لأمر الشيخ أبى العباس من المنكرين ، وعليه من المعترضين لا لشىء سمعته منه ، ولا لشىء صح نقله عنه ، ولكن جرت المخاصمة بينى وبين أصحابه فقلت فيهم قولا عظيما .. ثم قلت فى نفسى : « دعنى أذهب أنظر هذا الرجل ، فصاحب الحق له أمارات .. لايخفى شأنه .. فأتيت الى مجلسه ، فوجدته يتكلم فى الأنفاس ، ومسألة درجات السالكين الى الله ، ومدى معرفتهم به وقربهم منه ، فقال :

الأول اسلام : وهو درجة الانقياد والطاعة ، والقيام بمراسم الشريعة .. وثانيها الايمان : وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية .. وثالثها الاحسان : وهو مقام شهود الحق تعالى فى القلب ..

وان شئت قلت : الأول عبادة، والثانى عبودية ، والثالث عبودة..

وان شئت قلت : الأول شريعة ، والثانى حقيقة ، والثالث تحقق ..

فما زال يقول : وان شئت

قلت .. الى أن بهر عقلى وسلب لبى ، فعلمت أن الرجل يغترف من فيض بحر الهى ، ومدد ربانى ، فأذهب الله ما كان عندى ...

ثم ذهبت تلك الليلة الى المنزل، فلم أجد فى شيئا يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى .. ووجدت معنى غريبا لا أدرى ما هو .. فانفردت فى مكان أنظر الى السماء وكواكبها .. وما خلق الله فيها من عجائب قدرته . فلمس قلبى أشياء لم أعرفها من قبل .. فحملنى ذلك على العودة اليه مرة أخرى .. فأتيت اليه ، فاستؤذن لى عليه ، فلما دخلت اليه قام قائما وتلقانى ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا .. واستصغرت نفسى أن أكون أهلا لذلك ، فكان أول ما قلت له :

ــ ياسيدى ، أنا والله أحبك ..

فقال :

ــ أحبك الله كما أحببتنى ..

ثم شكوت له ما أجده من هموم وأحزان ، فقال :

ــ أحوال العبد أربع لا خامسة لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية .. فان كنت فى النعمة ، فمقتضى الحق منك الشكر .. وان كنت فى البلية ، فمقتضى الحق منك الصبر .. وان كنت بالمعصية ، فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار .. وان كنت بالطاعة ، فمقتضى الحق منك شهود منته عليك ..

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم ثوبا نزعته .. ثم سألنى بعد ذلك بمدة :

ــ كيف حالك ..

فقلت :

ــ أفتش عن الهم فما أجد ..

فقال :

ــ الزم ، فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين : فى علوم الظاهر .. وحقائق الباطن ..

وأخذا ابن عطاء الله العهد على أبى العباس .. ولازمه ، وأخذ منه ، ونقل عنه ، وسجل ما سمع وما نقل فى « لطائف المنن » ..

فتاريخ حياة أبى العباس المرسى ، وتدوين ذلك التاريخ العريض المضىء .. بما يحمل من علم ونور وهداية ومعرفة ووصول

ـ انما يرجع الفضل فيه الى صاحب اللطائف والمنن ولى الله العارف بالله ابن عطاء الله الذى قال فى مقدمة اللطائف : (فانى قد قصدت فى هذا الكتاب أن أذكر جملا من فضائل سيدنا ومولانا الامام : قطب العارفين ، علم المهتدين ، حجة الصوفية ، مرشد السالكين الواصل الى الله الموصل اليه : شهاب الدين أبى العباس ابن عمر الانصارى المرسى .. وما نقله عن شيخه الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه) ..

والمؤلف فى مطلع كتابه يتحدث عن منهجه فى تأليف هذا الكتاب ، ويقول انه قسمه الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة ..

تناولت المقدمة اقامة الأدلة على أن أول المرسلين محمدا صلى اللهعليه وسلم هو أفضل النبيين وأكمل الخلق أجمعين .. ثم أبرز بعد ذلك جوانب من هديه صلى الله عليه وسلم وارشاده .. وأنه كان مربيا حكيما ، اذ كان يعالج كل نفس بما يتفق مع أدوائها .. ليس هناك علاج واحد ، فما يصلح لنفس قد تتضرر به نفس أخرى ، لذا نراه صلوات الله وسلامه عليه تختلف وصاياه لأصحابه كل حسب اختلاف شخصيته ونفسيته ، فهو يقول لبلال : « أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا » .. بينما يقول لآخر : « أمسك عليك ما لك فانك تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهمعالة يتكففون الناس » .. وقال رجل له صلى الله عليه وسلم : أوصنى ـ فقال له الرسول عليه السلام : استح من الله ، وقال لآخر عندما قال له أوصنى ، قال له : لا تغضب..

وفى المقدمة بعد ذلك حديث مستفيض عن الأنبياء وورثتهم ، وحديث شاف دقيق عن الفرق بين الرسالة والنبوة والولاية ، وعن الأولياء ووجودهم فى كل وقت (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ...) وأن فساد الوقت لا يحط من مكانتهم ، لأنهم مع المؤقت لا مع الأوقات ، ومن كان مع المؤقت لا يتغير بتغير الوقت ، ومن كان مع الوقت يتغير بتغيره ، ثم ساق النصوص القرآنية

والنبوية عن مكانة الأولياء عند الله ، كما تحدث عن ولاية الله لعباده ، وولاية العباد لله ، وعن الفرق بين ولاية الصادقين وولاية الصديقين ، وأثبت أن ظهور الولى ليس بارادة نفسه ، ولكن بارادة الله له ..

ولما تحدث عن كرامات الأولياء الحسية والمعنوية عرض الدلائل العقلية والنقلية على وجود الكرامات وأشبع القول فيها .. وعرض بمن عارضها وأنكرها ..

وبعد كل هذا الحديث المسهب المستفيض ... وبعد كل هذا التحليل والتحقيق والتحليق فى تلك الأجواء ، اذا بالمؤلف يشدنا فجأة من سبحاتنا فى هاتيك المقامات وتلك المجالات والتجليات عندما قال : (ان ذلك كله كان مقدمة ، وقد انبسط الكلام فى هذه المقدمة وما كان لنا باختيار) ..

ثم يدلف الى الدخول فى الباب الأول الذى خصصه للحديث عن ولى من أولياء الله . مولده : بالمغرب الأقصى بشاذلة واليها نسب : ذلكم هو العارف بالله الدال على الله أبو الحسن الشاذلى أستاذ أبى العباس المرسى ..

وأبواب الكتاب عشرة كلها دراسة تحليلية للامام أبى العباس المرسى شيخ المؤلف ورائده وامامه .. عرض فيها زهد أبى العباس وعلمه وجهاده وصبره وهمته ومنهج طريقه ومدى علمه بدقائق التفسير وغريب الحديث ، وخص الباب الخامس للحديث عن آيات قرآنية تناول شيخه أبو العباس شرحها وتبيان دقائقها ودلالاتها..

ولكل مؤلف ظلال من شخصيته ونفسيته وثقافته تسقط على كتاباته وتظهر فى تأليفه من أجل هذا ذخر الكتاب بزوايا ومناحى أظهرت بوضوح معالم شخصية المؤلف ، وأنه كان بجوار كونه علما من أعلام الصوفية والتصوف كان أديبا شاعرا ، كما كان مفسرا محدثا متمكنا فى كل هذه النواحى ..

فهو مفسر متمكن ينفذ الى الأعماق يدل على ذلك تفسيره لقول الله سبحانه : (ومن يتول الله

ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) (١) ذلك التفسير الدقيق الذى استغرق صفحات عدة من كتابه أبان فيها أن الولاية ولايتان : ولاية تؤخذ من هذه الآية الشريفة ، وهى ولاية العبد لله .. وولاية أخرى تؤخذ من قوله تعالى **(وهو يتولى الصالحين)** وهى ولاية الله للعبد .. وعن الفرق بين هاتين الولايتين، وعن المراد من الصلاح فى قوله تعالى (وهو يتولى الصالحين) وعن حديثه عقيب ذلك عن ولاية « الايمان » .. عن ذلك كله تحدث بعبارة مجلوة ، وتعبير حى نابض ..

ثم هو « شاعر » ففى ثنايا حديثه أبيات شعرية ومقطوعات وقصائد نظمها تعبر عن أحاسيسه ومواجيده وتدل على مدى مشاعره .. فعندما تحدث عن شمس النهار التى بها نشاهد الأنوار والآثار.. وتحدث عن شمس اليقين التى نشاهد بها آلاء المحبوب الموجد ، قال :

هذه الشمس قابلتنا بنور
ولشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور ، لكنا
بهاتيك قد رأينا المنيرا

وللامام ابن عطاء الله فى « اللطائف » تحليلات رائعة وتعليلات بارعة ، من هذا القبيل تعليله لتأخير عقوبة الذين يؤذون أولياء الله .. فقال ان عقوبة الحق تبارك وتعالى لمن آذى أولياءه لا تلزم أن تكون معجلة فى الدنيا ، لقصر مدة الدنيا عند الله ، ولأن الله لم يرض الدنيا أهلا لعقوبة أعدائه ، كما لم يرضها أهلا لاثابة أحبابه ، فالجزاء الأوفى فى دار الجزاء ..

وعندما تحدث أبو الحسن الشاذلى وقال ان من أطاع الله فى كل شىء بهجرانه لكل شىء ، يطيعه الله فى كل شىء ، بأن يتجلى له فى كل شىء ، حتى يراه أقرب اليه من كل شىء ، نرى المؤلف يتلقف هذا القول ويبسط الكلام

---

(١) آية رقم : ٥٦ سورة المائدة .

فيه ويقيم الشــواهد والأدلة على ما أورد •• وفى النهاية قال :

« هناك : ولى يفنى عن كل شىء فلا يشهد مع الله شـيئا ، وولى يبقى فى كل شىء فيشهد الله فى كل شىء » ••

ثم علل قائلا : « وهــذا ــ أى الثانى » أتم ، لأن الله سبحانه لم يظهر المملكة الا كى يشاهد فيها ، فالكائنات مرايا الصـفات ، فمن غاب عن الكون غاب عن شـهوده الحق فيه ، فما نصـبت الكائنات لنراها •• ولكن لنرى فيها مولاها •• فمراد الحـق منك أن تراهـا بعين من لا يراهـا •• تراهـا من حيث ظهوره فيها ، ولا تراها من حيث كونيتها » ••

وهذا هو التفكر والتدبر والنظر فى ملكوت الله •• لنصـل به الى الله ••

وقد حقق هذا الســفر القيم ووشاه ، فضــيلة الامام الأكبر الدكتــور عبد الحليم محمود ــ شيخ الأزهر السابق ، رحمه الله •

ولفضيلته جهد محمود ظاهر فى اخراج هذا الكتــاب ، والتعريف بمؤلفه وايضاح ما خفى على بعض الأذهان من تعبيراته ، وما دق من اشاراته واصطلاحاته ، يؤيد هــذا ما حفل به الكتاب من هوامش كثيرة فيها تجلية •• وتحلية وفيها تذوق •• وفيهــا من وراء ذلك كلــه •• الهــام •• واشراق •• وفيض • ودلالات على تفهم لعلوم القــوم الظــاهرة ، وتذوق لمـا خفى من اشــاراتهم وتعبيراتهم •••

فعند حديث المؤلف عن الأولياء وأنهم مظــاهر أنوار النبــوة وأن مددهم من « الحقيقــة المحمــدية » نرى فضيلة شيخ الأزهر المحقق يزيد الأمر تحقيقا وتبيانا فيقــول فى هامش ص ٣٩ : « يتحــدث كثير من الناس عن هذه الحقيقة : ماهى •• وينكر بعض الناس هذه الكلمة ، أو على الأقــل يجــادل فيها •• ويمارى ••

والواقع أن الأمر أيسر من أن يثير نقاشا •• وأوضح من أن يكون مصدر مماراة أو انكار : فالحقيقة المحمدية هى : النبــوة ، ومحمــد صلى الله عليــه وسلم حقيقتــه نبوته ، وهذه النبوة فى علم اللــه

منذ الأزل .. قدرها الله سبحانه وتعالى بحكمته قبل خلق الكون وقبل وجود العالم ..

وعلى هذا الأساس يمكنك أن تقول : ان الحقيقة المحمدية أزلية أو قديمة .. وتقصد أنها كذلك فى علم الله ..

ويمكنك أن تقول : ان الحقيقة المحمدية حادثة ، وذلك يوم بعثته، أى : سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة عندما أشرق فجر الهداية الخاتمة، وبدأ النور يشرق مستفتحا بـ (اقرأ باسم ربك الذى خلق ..) والأمر على هذا الوضع لا يثير مماراة ولا انكارا ..

وعند حديث المؤلف عن الانتصار لله والانتصار على النفس ، رأينا فضيلة الامام الأكبر قد أضاف اضافة جديدة فى هذا المجال عندما قرر أن الولى يقتدى برسول الله صلى اله عليه وسلم فى الانتصار لله ، وما جوهر حياة الولى الا الانتصار لله : ينتصر لله من نفسه ، وينتصر لله فى أسرته ، وينتصر لله فى مجتمعه .. انه يقوم بالمبدأ الاسلامى الواجب وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...

ونرى لزاما علينا أن ننقل هنا تعليق فضيلة المحقق شيخ الأزهر عن موقف الدعاة والهداة حول اثبات وجود الله والدلالة على وحدانيته .. اذ بين فى دقة دقيقة وعمق عميق أن هناك حدا دقيقا حول اثبات وجود الله .. واثبات وحدانيته ، وقال ان وجود الله أمر بديهى لم يحتج من الدعاة الى اقامة الأدلة بعد أن ثبت أن الاعتراف بالربوبية مركوز فى القلوب .. كل القلوب ..

أما مثار الاختلاف وتفرق البشر وتباين العقائد فهو حول « الوحدانية » عن ذلك يقول الامام الأكبر شيخ الأزهر فى « هامش ٩٦ » حين بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته ، بعد ثلاث سنوات من الاسرار بها ، فانه صلوات الله عليه وسلم لم يبدأ باثبات وجود الله ، وانما بدأ بالبرهنة على صدقه هو ، وتحدى العرب بصدقه ..

ومن قبل ذلك حين فاجأه الملك فى الغار ، ونزل الوحى لم يبدأ الملك أو لم يبدأ الوحى باثبات وجود الله ، وانما بدأ بالأمر بأن يقرأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه باسم ربه(**اقرأ باسم ربك الذى خلق**) ..

ومضى القرن الأول كله .. ولم يحاول انسان قط أن يتحدث حديثا عابرا أو مستفيضا ، عن اثبات وجود اله سبحانه وتعالى..

ومضى أكثر القرن الثانى ، والمسألة — فيما يتعلق بوجود الله — لا توضع موضع البحث ، ذلك أن وجود الله انما هو أمر بدهى لا ينبغى أن يتحدث فيه المؤمنون نفيا أو اثباتا ولا سلبا أو ايجابا ..

ان وجود الله من القضايا المسلمة التى لا توضع فى الأوساط الدينية موضع البحث ، لأنها فطرية :

وأن كل شخص يحاول وضعها موضع البحث انما هو شخص فى ايمانه دخل ، وفى دينه انحراف .. فما خفى الله قط حتى يحتاج الى أن يثبته البشر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

ومن المعروف أن الدين الاسلامى لم يجىء لاثبات وجود الله .. وانما جاء لتوحيد الله ..

واذا تصفحت القرآن أو التوراة — حتى على وضعها الحالى — أو الانجيل — حتى فى وضعه الراهن — فانك لا تجد أن مسألة وجود الله قد اتخذت فى أى سفر منها مكانة تجعلها هدفا من الأهداف الدينية .. أو احتلت مكانا يشعر بأنها من مقاصد الرسالة السماوية .. والقرآن الكريم : يتحدث عن بداهة وجود الله حتى عند ذوى العقائد المنحرفة يقول سبحانه (**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**) ..

انهم يقولون ان الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون ، أو منحرفون بوجه من الوجوه فى ايمانهم بالله تعالى ، وما نزلت الأديان قط لاثبات وجود الله ، وانما نزلت لتصحيح الاعتقاد

بالله ، أو لتصحيح طريق التوحيد ..

أما الآيات الكثيرة التى يظن بعض الناس أنها نزلت لاثبات الوجود : فليست من ذلك فى قليل ولا فى كثير ، انها تبين عظمة الله ، وجلاله ، وكبرياءه وهيمنته الكاملة على العالم ما عظم من أمره ومادق منه ، لا تفوت هيمنته كبيرة ولا صغيرة .. ولا يخرج عن سلطانه ما دق وما جل ..

وقد أتت على هذا الوضع لتقود الانسان الى اسلام وجهه لله اسلاما كاملا ، بحيث لا يصد ، ولا يرد الا باسمه سبحانه ولا يأتى ما يأتى أو يدع ما يدع الا فى سبيله تعالى ..

ومضى القرن الأول على ذلك ، ومضى القرن الثانى — أو أكثره — على الفطرة .. ثم كانت الفلسفة اليونانية .. والفلسفة اليونانية فلسفة وثنية ، لأنها تصدر عن العقل ، لا عن وحى ، وكل فكرة تصدر عن العقل لا عن الوحى فى عالم ما وراء الطبيعة أى فى عالم العقيدة انما هى فكرة وثنية ، أى أنها فكرة لا حق لها فى الوجود ، لأن عالم العقيدة انما هو من اختصاص الله ، يبينه على لسان رسله ، وكل تدخل من الانسان فى هذا العالم انما هو تدخل فيما ليس للانسان التدخل فيه ، لأنه اقتحام لساحة محرمة مقدسة ، لا ينبغى أن يدخلها الانسان الا دخول الساجد الخاشع ، الخاضع ، المسلم لما جاء به الوحى الالهى ..

ان الفلسفة اليونانية فى عالم العقيدة ، فلسفة وثنية ، انها وثنية حتى حين تثبت وجود الله ، ولا يخرجها اثباتها وجود الله عن أن تكون وثنية .. انها وثنية بالمبدأ الذى قامت عليه وهو مبدأ تأليه العقل البشرى ويستوى بعد ذلك أن تكون قد أثبتت وجود الله أو أنكرته ..

وهى حينما تثبت وجود الله عقليا ليس فى ذاك كبير فائدة .. ولا يبرر ذلك وجودها — ولا قيمة لما تثبته ، واثباتها والعدم سواء .. ذلك أن العقل الذى أثبت هو العقل الذى يمكنه أن ينكر .. وهو العقل الذى ينكر بالفعل ..

ولا لزوم – اذن – للطنطنة والتصفيق الذى نحيى به كل عبقرية فكرية فى الشرق أو فى الغرب تحاول فكريا اثبات وجود الله .. اننا لا نقيم عقيدتنا على فكر بشرى ، مهما كان هذا الفكر عبقريا ..

ويجب على المؤمن ألا يقيم وزنا – أى وزن – لأى نتاج فكرى فى عالم ما وراء الطبيعة – فسواء خالف معتقده أو وافقه ، انه فى معتقده يدين لله وحده ، وكفى بالله مصدرا .. وكفى بالله هاديا ، وكفى بالله مرشدا .. ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ..

ان كل ما عدا الهدى الالهى فى عالم الدين ، انما هو وثنية وضلال ..

كانت الفلسفة اليونانية فلسفة وثنية بشرية ، وقد أرادت أن تجد لجاما يعصمها من الخطأ فاخترعت فنا وثنيا آخر .. هو فن «المنطق» فما أجدى .. وما أغنى .. ولا تقدم بالفكر الوثنى فى عالم الصواب شروى نقير ..

وبقيت هذه الفلسفة الوثنية – عبر القرون – على ما هى عليه ، فيها كل سمات الوثنية من ضلال وخرافات ..

ولقد كانت الأمة اليونانية معذورة بعض العذر ، فما كان فى ربوعها دين منزل من السماء تلجأ اليه مهتدية مسترشدة ، وما كان مثلها فى ذلك الا كمثل العصر الجاهلى فى الجزيرة العربية .. فلجأت الى العقل وألهته ، وأخذت تثبت به وتنكر ، فضلت وأضلت .. وجاءت الديانة النصرانية مصححة للوضع .. فعزلت فكرة الألوهية من تدنيس الوثنية .. وسمت بالله جل جلاله عن أن تضع وجوده موضع البحث ، ثم تسللت اليها – كميكروب خبيث – وثنية اليونان .. فجعلت من وجود الله – مجرد وجود الله – بابا ضخما من أبواب البحث .. أو من أبواب اللاهوت الكنسى ، ونزلت بتلك الفكرة الدينية المقدسة عن الله الى مستوى الجو الوثنى البشرى، وجاء الاسلام تطهيرا للعقيدة وتزكية تامة للايمان .. وأعلن

بمجرد التسمية « الاسلام » الحرب على التدخل البشرى فى دين الله ورسالته ، فما جاء الاسلام الا للاستسلام المطلق لله سبحانه وتعالى •• انه الاسترسال مع الله على ما يرضيه، وهل للانسان غير هذا بالنسبة لله ؟ ، وهل للمؤمن أن يتصرف تصرفا آخر ؟ •• وهل اذا تصرف تصرفا آخر سمى مؤمنا ؟!

والاسلام توجيه ومبادىء ، ومن توجيه الاسلام : أن وجود الله لا ينبغى أن يوضع موضع البحث •• وكل من وضعه موضع البحث فانه بذلك يعدل عن توجيه الله تعالى •• الى توجيه بشرى •• انه يبتغى غير الاسلام توجها ••• »

وكتاب اللطائف هذا يعلمك الحب : الحب لله ، والحب فى الله ، والحب لرسول الله ، وللدعاة ، وللهداة الى الله ••

فقد استفاض فى الحديث عن هذه العاطفة السامية النبيلة ، وأورد ما جاء فيها من نصوص قرآنية ونبوية وأقوال المحبين •• وأهل الهوى الالهى ، وفصلها وفسرها ، وأبان أمارات الحب ، وعلاماته ، ومن هو المحب الحقيقى ، وكيف يتمحض الحى ويخلص للمحبوب ، وعن كأس الحب وشرابه وساقيه •• وقد أفاض فى ذلك وأفاد وبخاصة عندما تعرض بالتفسير لقول الله سبحانه وتعالى فى شأن موسى عليه السلام : **(وألقيت عليك محبة منى)** ••

وعند حديث الحب ذاك ، وقف المحقق رحمه الله وقفة طويلة ، فيها تعليق وتعقيب واضافة استغرقت صفحات عدة شرح فيها أن المحبة صراط الأولياء •• وأن الناس فى العواطف درجات ، ثم كشف فى نهايتها عن علاقة المحبة بالعمل والايمان والاتباع •• كما تحدث عن أسباب الحب ، وثمرة المحبة ، وأجمل تعبيرات المحبين••

أقباس •• من اللطائف :

من أحاديث صاحب اللطائف عن الصوفية ، وحبهم لله ، وذكرهم له ، يقول : « هم فى معاقل عزه ، تحت سرادقات مجده •• يصونهم

من كل شىء الا من ذكره ، ويقطعهم عن كل شىء الا عن حبه ، ألسنتهم بذكره لهجة ، وقلوبهم بأنواره بهجة •• وطن لهم وطنا بين يديه ، فقلوبهم جاثمة فى حضرته •• وأسرارهم محققة بشهود أحديته » ••

وعن أعداء الصوفية يقول : « ان الله ابتلى هذه الطائفة (الصوفية) بالخلق ليرفع — بالصبر على أذاهم — مقدارهم — ولتكمل بذلك أنوارهم •• وليتحقق الميراث فيهم •• ليؤذوا كما أوذى من قبلهم فيصبروا كما صبروا ، ولو كان من أتى بهدى فأطبق الخلق على تصديقه لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم •• وقد صدقه قوم هداهم الله بفضله وحجب من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك •• فانقسم العباد فى هذه الطائفة الى معتقد ومنتقد ، ومصدق ومكذب ، وانما — يصدق بعلومهم من أراد الحق سبحانه أن يلحق بهم •• ومن أين للعباد أن يعلموا أسرار الحق فى أوليائه ، وشروق نوره فى قلوب أحبائه ، وسبب هلاك الهالك بهم أن من أظهره الله منهم لابد أن يظهره ببواهر المنن وطوارق العادات فتستغرب عقول العموم أن يعطى ذلك غير الأنبياء ، وأن تظهر الخوارق الا فى أهل العصمة •• وهؤلاء لم يعلموا أن كل كرامة لولى هى معجزة لذلك النبى ، الذى هذا الولى تابع له ، فظن هؤلاء أن جريان الكرامة على الولى مساهمة لمقام النبوة •• وحاشا لله أن يشترك النبى والولى فى مقام •• كيف وقد قال أبو يزيد : « جميع ما أخذ الأولياء مما هو للأنبياء كزق ملىء عسلا •• فرشحت منه رشاحة ، فما انطوى عليه الزق فهو مثل علوم الأنبياء •• وتلك الرشاحة هى حظ الأولياء منهم » ••

ومن مناجاة المؤلف لربه •• وهى نفحة الهية •• فيها سمو فى التعبير ، وبلاغة فى القول ، يزينها المنطق الأخاذ والحكمة الدقيقة العميقة ، فيها يقول : « الهى •• كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ؟! أيكون لغيرك

من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهـر لك •• متى غبت حتى تحتاج الى دليـل يـدل عليك •• ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى الموصلة اليك ••

ومما يثلج الصـدر ، أن هـذا الكتـاب ـ وغيره كثير ـ قد رأى النور بفضل اسهام حضرة صاحب السمو ولى عهد امارة أبى ظبى ؛ وهذه يد تذكر ، فنشـكر لهؤلاء الولاة والحكام والمسئولين الذين دفعهم الـولاء لـدينهم والوفاء لتـراثهم الـروحى العتيـق لأن يسهموا فى نشر هذا التراث ، وأن ينفضوا الغبار الذى تراكم عـلى الكثير من كتبه بعد أن ظل قابعـا فى زوايا النسيان •• ولعل اللـه يوفق الجميع لأن يرصدوا جانبـا من امكاناتهم المادية والعلمية ومما أنعم الله به عليهم لاحيـاء هـذا التراث العربى الأصيل حتى يرى الضوء مجلوا فى أبهى ثوب وأنقى طبـع •• وأدق تحقيق •• والله ولى التوفيق ••

الدكتور / محمود بن الشريف

فهرس العدد

اسم الموضوع | صفحة

مطابع مؤسسة روزاليوسف


العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
محمد صابر البرديسى

الجزء الثامن ـ السنة والخمسون ـ ذو القعدة سنة ١٤٠٠ هـ ـ أكتوبر ـ سنة ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حول رأى العلامة ابن خلدون فى اقتداء المغلوب بالغالب

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

عسى أن يدرك العرب والمسلمون عوامل ضعفهم وتخلفهم فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، ويفكروا بعقل وتبصرة فيما يحيط بهم من أخطار تهدد كيانهم ، وتكاد تعصف بهم ، ويعملوا بجد وإخلاص على استرداد نهضتهم الغاربة لتشرق من جديد فى أفق العروبة والاسلام .

سنة الله فى خلقه ان ينجذب الصغير الى الكبير ليدور فى فلكه وأن يقتدى الضعيف بالقوى ويقتفى أثره ويتشبه به فى أخلاقه وعاداته وسائر حالاته ونجد ذلك واضحا فى الأبناء يحذون حذو الآباء فيما يقولون ويفعلون ، وفيما يأخذون ويذرون . ذلك بأن

الطفل الصغير يشعر بضالته أمام والديه ، فيرى فيهما مثله الأعلى وغايته المرجوة وينساق الى الاقتداء بهما فى كل شىء ولو لم يتلاءم مع طاقته وقدرته ويعجب بما يصدر عنهما من أفكار وآراء ولو كانت سقيمة باطلة وتنطبع بها نفسه ويصعب صرفه عنها بعد ذلك مهما وضح له ما فيها من زيف وفساد وقديما كان العرب فى جاهليتهم — وفيهم أفذاذ الرجال الذين صقلتهم التجارب والحوادث — يعكفون على أصنام لهم يلتمسون فيها الخير والبركة ، ويعتقدون أنها تشفع لهم عند الله بل يعبدونها من دون الله ويلجأون اليها فى الشدائد والكروب ولئن سألتهم : لم تعبدون مالا يسمع ولا يبصر ؟ فانهم يتشبثون بهذا المنطق الكليل وتلك الحجة الداحضة العمياء وهى الاقتداء بما كان يفعله الآباء ويقولون : وجدنا آباءنا لها عابدين .

ومن هذا المنطلق نرى المرءوسين يقلدون الرؤساء والرعية تقتفى أثر الراعى وتجىء الحكمة القائلة : « الناس على دين ملوكهم » والحكمة الاخرى : « المرء أشبه شىء بزمانه ، وصبغة كل زمان منتخبة من سجايا سلطانه » .

ونرى من واقع التاريخ مثلا كثيرة فى اقتداء الرعية بالراعى .. وكما يروى ان الوليد بن عبد الملك كان يحب العمارات والأبنية فكان الناس فى زمنه اذا تلاقوا يتساءلون عن العمارات والأبنية ويتنافسون فى ذلك السبيل وكان سليمان بن عبد الملك يحب الطعام والنساء ، فكان الناس فى زمنه يهتمون كل الاهتمام بالتفنن فى ألوان الطعام ويكثرون من زواج النساء وكان عمر ابن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة فكان الناس فى زمنه اذا تلاقوا يسأل بعضهم بعضا ما وردك الليلة ؟ وكم تقوم من الليل ؟ وكم تصوم من الشهر ؟ .

وتصل من ذلك الى نتيجة حتمية وهى ان المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب والاقتداء به فى شعاره ودثاره أو بعبارة أخرى فى شكله

ومظهره واخلاقه وعاداته وسائر حالاته :

ولو مضينا مع ركب الانسانية منذ وجد التاريخ لرأينا كيف كانت المدنية والحضارة والعلوم والمعارف والعادات والتقاليد تزحف فى هذا العالم وراء زحف القوى المتغلبة وأن الشعوب المغلوبة تقتدى أبدا بالشعوب الغالبة ، وترى أن فى ذلك الخير والسعادة كما هو شأن الابناء مع الآباء والضعفاء مع الأقوياء .
وخذوا لذلك مثلا من واقع تاريخنا الاسلامى فى عصر القوة والفتوح .

فحينما فتح المسلمون بلاد الفرس والروم كانت تلك البلاد تقف على درجة أعلى فى سلم المدنية والحضارة وفى سلم العلم والمعرفة ومع ذلك وجدنا تلك الشعوب تسارع الى الاقتداء بالمسلمين فانتشر الاسلام وانتشرت اللغة العربية وغلبت العادات والتقاليد العربية

وازدهرت العلوم الاسلامية فى كنف الموالى وهم المسلمون من غير العرب فنبغ فيهم العلماء الكثيرون الذين أسهموا فى بناء النهضة العلمية فى الاسلام بأوفى نصيب وتوزعوا فى الامصار الاسلامية المختلفة نجوما متألقة هادية .. **« فكان فى المدينة نافع مولى عبد الله بن عمر وكان ديلميا واصابه** عبد الله بن عمر فى احدى الغزوات وهو من كبار التابعين ... وروى عن عبد الله بن عمر وأبى سعيد الخدرى ، وروى عنه الزهرى وأيوب السجستانى ومالك بن أنس ، وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ، وقال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالى الا أسمعه من أحد غيره .. وأهل الحديث يقولون رواية الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وتوفى سنة ١٢٠ هـ (١) .

---

(١) راجع وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٣ ص ٥٠ ، ٥١ ط الوطن .

وكان فى المدينة كذلك **ربيعة الرأى** مولى آل المنكدر التميميين وهو شيخ الامام مالك بن أنس وكان فقيه المدينة فى وقته غير منازع حتى كان القاسم بن محمد يقول : لو تمنيت أحدا تلده أمى لتمنيت ربيعة وكان يجلس فى مسجد المدينة وحوله حلقة كبيرة من العلماء والأشراف يتلقون العلم عنه وقد اتفق العلماء من المحدثين وغيرهم على توثيقه وجلالته وعظم مرتبته فى العلم والفهم وكانت وفاته سنة ١٣٦ هـ (١) ٠

وكان من علماء مكة **مجاهد ابن جبر** مولى قيس المخزومى وكان فقيها عالما ثقة كثير الحديث وهو من اكبر رواة التفسير عن ابن عباس حتى كان يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة وتوفى سنة ١٠٢ هـ **وعكرمة مولى ابن عباس** وكانت له شهرة علمية فائقة حتى يروى عن معمر ابن أيوب أنه قال : قدم علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى اصعد فوق ظهر بيت وكان من اعلم الناس بالتفسير وقد توفى سنة ١٠٥ هـ هو وكثير عزة فى يوم واحد ، وصلى عليهما فى مكان واحد وقال الناس اذ ذاك : مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس (٢) ٠

واشتهر من علماء الكوفة **سعيد ابن جبير** مولى بنى والبة بن الحارث ٠

واشتهر من علماء البصرة **الحسن البصرى ومحمد بن سيرين** ٠

واشتهر فى مصر **يزيد بن حبيب مولى الأزد** وكان مفتى أهل مصر وعنه أخذ الليث بن سعد وعبد الله ابن لهيعة ، وكان يزيد بربرى الاصل وقال فيه الليث بن سعد : يزيد عالمنا وسيدنا وهو أحد ثلاثة عهد اليهم عمر بن عبد العزيز بالفتيا فى مصر ، وقد جمع ناحيتين كبيرتين من نواحى العلم **احداهما** الناحية التاريخية فيروى عنه الكثير فى حروب مصر وفتنها وفتوحها ، **والثانية الناحية الفقهية** ٠٠ فكان

---

(١) راجع تهذيب الاسماء واللغات للنووى جـ ١ ص ١٨٩ ٠

(٢) طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٢١٢ ٠

واسع العلم فى الحلال والحرام حتى قيل فيه ، انه أول من أظهر العلم فى مصر والمسائل فى الحلال والحرام .. وتوفى يزيد سنة ١٢٨ هـ (١) .

وهكذا اذا رجعنا الى كتب الطبقات والتراجم وجدنا الموالى وهم المسلمون من غير العرب لم يكتفوا فى اقتدائهم بالعرب بتعلم اللغة العربية بل نبغ الكثير منهم فى العلوم الاسلامية بل امتد نشاطهم الفكرى الى اللغة العربية نفسها على الرغم من رطانة ألسنة الموالى وبعدهم عن السليقة العربية ، حتى رأينا منهم علماء أجلاء يسهمون فى وضع قواعد للغة العرب وفى رواية الشعر العربى بل فى قرض الشعر العربى نفسه ، ومن هؤلاء **أبو بحر عبد الله بن اسحق** وهو من موالى بنى عبد شمس ، وكان اماما فى النحو واللغة (٢) وكان عيسى ابن عمر النحوى مولى خالد بن الوليد اماما فى النحو ، وهو صاحب كتابى الاكمال والجامع اللذين قصدهما الشاعر بقوله :

ذهب النحو جميعا كله
غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع
وهما للناس شمس وقمر

وكان حماد الراوية ــ مولى بنى بكر بن وائل ــ من أعلم الناس بأخبار العرب وأنسابها وأيامها وأشعارها ولغاتها وكانت ملوك بنى أمية تقدمه وتؤثره وتستزيده فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها .. وقال له الوليد بن يزيد الاموى يوما ــ وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية ؟ قال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أوسمعت به ، ثم أروى لاكثر منهم ممن تعترف أنك لاتعرفه ولاسمعت به ، ثم لاينشدنى أحد شعرا قديما ولا محدثا الاميزت القديم من المحدث .. فقال له: فكم مقدار

(١) النجوم الزاهرة لابن المحاسن بن تغرى بردى جـ ١ ص١٤٣ و ٢٣٨ ، ٣٠٨ .
(٢) عقد الجمان للعينى جـ ١٢ ص ٦٢ .

ماتحفظ من الشعر قال : كثير ، ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال : سأمتحنك فى هذا ، ثم أمره بالانشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه فأنشد ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم (١) .

وقد نبغ فى الشعر العربى كثير من هؤلاء الموالى ، ولانود الاطالة بذكرهم فى هذا المجال المحدود ، ففى كتب الأدب العربى ما يحقق طلبة الباحث ورغبة المستزيد .

وبهذا يتبين لنا أن قوة العرب وغلبتهم على غيرهم من الأمم كانت من أقوى العوامل فى نشر ثقافتهم وعلومهم بين الأمم التى تغلبوا عليها ، فبدأت تلك الامم تقلدهم وتحاكيهم وتتأثر بهم الى حد كبير .. وقد عقد ابن خلدون فصلا فى مقدمته حول هذا المعنى وقد جعل عنوانه « فصل فى أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده » وقد ذكر السبب فى ذلك (أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه لماتراه — والله أعلم — من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولابقوة بأس وانما هو بما انتحله من العوائد والمذاهب ، أى بما اتصف به من عادات طيبة وأخلاق كريمة ... ولذلك نرى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب فى ملبسه وموكبه وصلاحه فى اتخاذها وأشكالها ، بل وفى سائر أحواله ، وانظر ذلك فى الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان فى

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩٢ .

الأكثر لأنهم الغالبون لهم ، حتى أنه اذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير .. ونأمل فى هذا سر قولهم « **العامة على دين الملك** » فانه من بابه اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الابناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم) .

فعسى أن يدرك العرب والمسلمون عوامل ضعفهم وتخلفهم فى هذا العصر الذى نعيش فيه ويفكروا بعقل وتبصرة فيما يحيط بهم من أخطار تهدد كيانهم وتكاد تعصف بهم ، ويعملوا بجد واخلاص على استرداد نهضتهم الغاربة لتشرق من جديد فى أفق العروبة والاسلام ، ولن يكون لهم سبيل الى ذلك الا بالقوة . ولن تتحقق لهم القوة والغلبة الا بالتضامن الشامل والايمان الكامل وحينئذ لايتبددون ركاما تذروه الرياح وتدوسه الاقدام . بل يصبحون الامة الغالبة التى تقتدى بها الامم المغلوبة ، والتى تدفع قافلة المدنية والحضارة فى هذا العالم الى الامام .

هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق .

دكتور / محمد الطيب النجار

قررت ادارة مجلة الأزهر أن تصدر عددا ممتازا فى غرة المحرم ١٤٠١ هـ وستكون موضوعاته موحدة تتناول هجرة الرسول (صلى الله عليه سلم) نرجو من السادة المفكرين الاسلاميين أن يوافونا بمقالاتهم حول الهجرةقبل منتصف شهر ذى القعدة حتى نتمكن من نشرها فى هذا العدد (وكل عام وأنتم بخير) والله الموفق .

أسرة المجلة

الروحانية فى الإسلام

للاستاذ محمد صابر البرديسى

الانسان يتركب من عنصرين أساسيين : عنصر مادى ، وعنصر روحى . ولكل عنصر من هذين العنصرين مظاهر خاصة :

فالجسم له رغائبه من الطعام والشراب ، وسائر الملذات .

وللروح مظاهرها : من العبادة . والاستقامة ، والثقة فى الله ، والخضوع لجلاله والاستغناء عما سواه .

وللروح أن تتدرج فى مدارج الكمال ، حسب مجاهدتها وتدريبها حتى تصل الى مرتبة من الصفاء ، وتكون فى مقام ليس بينها وبين الله حجاب .

والروح باتصالها بالجسد ، واختلاطها بالجسم ، يحدث بينهما صراع ، صراع بين رغائب الجسم ، ومظاهر الروح ، فاذا تغلبت الناحية المادية والميول الشهوانية ، صار الانسان كالحيوان ، خلقه بهيمى ، وعمله شيطانى يحكمه الهوى ويقوده الجهل ، يسىء الى نفسه والى مجتمعه ، أضر على نفسه من النار ، وعلى الناس من الشيطان .

« واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » (١) .

وللبيئة التى ينشأ فيها الانسان أثر كبير على ميوله ، وتحديد

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٥ .

اتجاهه ، وتحويل سلوكه ، يولد الانسان على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

فاذا نشأ فى بيئة دينية ، وترعرع فى وسط صالح ، وخالط أصحاب السلوك السوى ، والتفكير السليم ، وتربى تربية دينية حسنة ، امتلأ قلبه بنور المعرفة ، وأشرقت شمس الايمان فى باطنه ، يعرف ربه ، ويسلك اليه طريقه ، وينعم بالقرب منه ، ويسعد فى المثول بين يديه ، يعبد الله فى كل لحظة من حياته ، قد استقام أمره، وحسن حاله حتى وصل الى مرتبة الاحسان ، وهى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » (١) .

وحين يصل الانسان الى هذه المرتبة ، فانه يفعل الطاعات كلها ، وينتهى عن المعاصى كلها ، ويراقب الله فى كل حال ، يصدق مع الله فى عبادته ، ويصدق مع الناس فى معاملاته ، يرهب دائما من جلال الله وعظمته ، حتى ليكون فراغه وشهوته ابتغاء وجه الله ، وفى طلب الأجر منه — عز وجل — يظل موصولا بربه ، فلا يحس بشىء يشتت عليه فكره ، ويقطع عنه صلته بربه .

أما اذا نشأ فى بيئة غير دينية ، وكان هدفها ماديا فان سلوكه يكون غير مرضى ، لا يهوى شيئا الا حصله ، ولا اشتهى أمرا الا أتاه ، يدعوه الهوى فيضله عن سبيل الله ، وتلعب به الحاجة فيبيع آخرته بدنياه .

قال تعالى : « **فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى** » (٢) .

فاذا تعرض للاختبار ، وأصابه لون من الابتلاء فانه لا يصبر على البلاء ، ولا يصمد أمام الاحداث ، ولا يثبت تجاه الشدائد ، وحينئذ يظهر خبث معدنه وكذب ما يدعيه من ايمان .

---

(١) فى الصحيحين من حديث الايمان .
(٢) سورة النازعات — اية ٣٧ .

قال تعالى « **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (١) •**

الاسلام فى معناه : انقياد وخشوع لله ، واتباع لمنهج الله ، وامتثال لما جاء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — •

ومبدؤه : النطق بالشهادتين • ثم يكمل اسلام المرء اذا ما صدقه العمل ، بأن يقيم الصلاة على أتم شروطها فى خشوع ، ويؤتى الزكاة حسب ما وضحته السنة ، ويلتزم بالصوم على أكمل واجباته ، ويحج مراعيا جميع مناسك الحج وأوامره •

والروحانية فى معناها الاسلامى : أن يكون المسلم هواه تبعا لما يحبه الله ، فمن أحب شيئا مما يكرهه الله ، أو كره شيئا مما يحبه الله لم يكمل اسلامه ، ويكون قد فقد محبة الله، وجانب الروحانية التى من أهم مميزاتها طاعة الله ، قال تعالى : **« ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم » (٢) •**

سئل ذو القرنين المصرى : « متى أحب ربى ؟ • قال : اذا كان ما يبغضه عندك أمر من الصبر » •

ومن الروحانية فى الاسلام ، أن يكون المسلم أشد حبا لله عن كل ما سواه ، وأن يرى النور الالهى قد أشرق على محياه ، فأكسبه المهابة والجلال ، والفيض الربانى قد ملأ قلبه ، فبعث فيه الأمن والطمأنينة •

لا يخاف من شىء ، وكيف يخاف وعنده الطمأنينة ؟

لا يضطرب من شىء ، وكيف يضطرب وعنده الاستقرار ؟

لا يخشى مخلوقا ، وكيف يخشى ومعه الله ؟

ولا يزال المسلم يرتقى فى

---

(١) سورة العنكبوت — آية ٢ ، ٣ •
(٢) سورة محمد — آية ٢٨ •

روحانيته حتى يحظى بمحبة الله ، ويصدق فيه قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث القدسى « ان الله — تبارك وتعالى — يقول : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبد بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ، وان سألنى أعطيته ، وأن استعاذنى أعذته » .

وبالانقياد لله ، والخضوع له ، وتطبيق منهجه ، والتوكل عليه حق توكله ، يحيا المسلم حياة طيبة لا يضل فيها ولا يشقى ، حياة سعيدة لها جدوى ، حياة فيها متعة دون أن تعقب ألما ، حياة يذوق فيها المسلم لذة القرب الى الله ، ويحظى بمقام الرضى منه ، والأنس به ويتناول من شراب القرب رحيق الحب ، ويكون الله كل مناه .

المسلم الروحانى : فقير الى الله من جهة العبادة له وفقير اليه من جهة توكله عليه ، مفتقر الى الله دائما من حيث هو المعبود ، ومفتقر اليه من حيث هو المستعان والمتوكل عليه ، ولا تتم العبودية والروحانية الا بهذين الأمرين .

والروحانية الحقة : أن يستسلم العبد لله ، وينقاد له وحده دون سواه ، يحقق لنفسه معنى قولة تعالى : **« اياك نعبد واياك نستعين »** (١) .

والاسلام فى روحانيته لا يميل الى الانزواء فى الكهوف ، والعكوف فى المساجد والصوامع ، ولا يريد الانطواء على النفس ، والعزلة عن المجتمع ، ولا يحب أن يكون المسلم انسانا ضيقا مجتمعا حول نفسه .

وانما روحانية الاسلام : أن يكون المسلم انسانا أخلاقيا ممتدا بمنافعه حول أمته كلها ، يعيش

---

(١) سورة الفاتحة — آية ٥

للناس ، ويحيا مع المجتمع ، شعاره الحب والايثار والتضحية ، يأخذ حظه من الدنيا بقدر ، ويتمتع بلذائذ الحياة فى حذر ، ينتفع بالطيبات من الرزق ، ويتجمل بزينة الله التى أخرج لعباده ، ويتزود بكل زاد حلال به قوام الأبدان ، وحياة الانسان ، طبقا لشريعة الله ، وفى حدود الاعتدال .

قال تعالى : « **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** » (١) .

ويقول تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** » (٢) .

روى البخارى ومسلم فى حديث أوله : « مابال أقوام » (وهم الامام على وعبد الله بن عمر وعثمان بن مظعون) رضى الله عنهم « قالوا كذا وكذا » — أى ذكروا عباداتهم — (وكأنهم تقالوها) أى رأوها : قليلة مع أنها كثيرة — قال صلى الله عليه وسلم : « لكنى أصلى وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

واذا كان الاعتدال فى كل حال مطلوبا من الانسان ، وكانت الروحانية المغالية مجافية لروح الاسلام ، لقول الرسول — عليه الصلاة والسلام — : « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » . فان من كمال المسلم مجانبة المادية المغالية ، والابتعاد عن الشهوة الجامحة ، والبعد عن عمل ما به

---

(١) سورة الاعراف — آية ٣١ ، ٣٢
(٢) سورة المائدة ٨٧ ، ٨٨

يطرد من رحمة الله ، فلا يجعل الدنيا همه تملك عليه قلبه فيسره ملك ما به يخلد فى النار ، أو يحرص عليها ، فينهج مناهج الطمع ، أو يسعى للوصول الى غرضه بكل أسباب الفساد ، وبأنواع النشاط المشبوهة ، والوسائل الممقوتة ، دون نظر الى حلال أو حرام .

المسلم الروحانى المعتدل ، يرى أن اشباع رغبات النفس ، والاكثار من حطام الدنيا وزينتها ، يقعد عن طاعة الله ، وأن التعلق بالماديات ، والانغماس فى الشهوات ، يعوق الاتصال بالله ، ويقف حائلا دون رحمة الله ، وأن الجنة لا يبلغها الا من كان خفيفا من هذه التعلقات ، التى حلالها حساب ، وحرامها عقاب .

المسلم الروحانى ، يصاب بألوان الابتلاء ، فيصمد ويصبر على ما أصابه ، يصاب فى النفس والأموال والأولاد ، ونقص الثمرات فلا يشعر بأنه المرزأ المبتلى ، بل يرضى ، ويرى أن الابتلاء رحمة ، يلجأ المسلم فى فترة الاختبار الى الله ويرجع اليه فى صدق وايمان ، فيغفر له ، لأن المؤمن اذا ابتلى فصبر ، آجره الله وعوضه بكرمه ، وكان الابتلاء سبب قوة تدفعه الى التحمل ، ومضاعفة العمل ، والرضا بالقضاء والقدر ، وهذه هى روحانية الاسلام .

ومن لم يتمتع بقسط من هذه الروحانية فانه لا يصبر أمام الابتلاء ، بل يجأر بالشكوى ، ويكثر من الفزع ، وتهن عزيمته ويقعد عن العمل ، فلو كشف عنه البلاء ، ورفع عنه الضرر ، وسكنت آلامه وخفت أحزانه ، رجع الى سابق عهده ، وحرص على حطام الدنيا ، وطمع فى الزيادة منه ، وازداد فسادا فى الأرض ، وأمعن فى أذى الخلق ، ورتب ما يعمله فى الغد بما يعود عليه وعلى المجتمع بالضرر ، ويستمر على حاله حتى ينتهى أجله ، وتقوم قيامته فيلقى ربه فى أسوأ حال ، يحمل أثقالا تنوء عن حملها الجبال فيندم بعد فوات الاوان .

ورد فى صحيح بن حبان :

(مــوارد الظمـــآن) أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « ان الله اذا أراد بعبد خيرا عجل عقوبة ذنبه ، واذا أراد بعبد شرا أمسك ذنبه حتى يــوافى يوم القيامة كأنه عاثر » •

الروحــانية التى ندعو اليها : أن تكون مطابقة لكتاب الله وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ موافقة لشريعــة الاســلام فى الفــرائض والســنن والآداب والفضائل •

الروحانية التى نريدها : تورع عن كل ما حرم الله ، وصــبر على كل حرمان ، ورضى بكل ما يقضى به الله •

الروحــانية التى نرجوها : أن يكون المســلم أكثر مراقبة لله ، وأشد شوقا اليه ، وأعمق شــعورا بالقرب منه ، وأشغف حبا له وأتم اطمئنانا به ، وأصدق توكلا عليه ، وأسعد أنسا به •

ســئل الجنيد ــ رحمــه الله تعالى ــ : « بم يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله اليك أســبق من نظــرك الى من تنظر » •

فلنسر فى طريق الروحــــانية الحقة ، القائمة على المنهج الالهى القويم ،يقينا منــا أن التقــدم والرقى ، والأمن والطمأنينــة ، والرزق والخــير ، والســعادة والنصر ، لن يكون الا عن هــذا الطريق • وأن لا مخرج مما يموج فيه العالم اليــوم ، من الخــوف والاضــطراب والشرور والآثــام والقلق والانزعــاج ، والحــرب والاستغلال ، والفرقة والانقسام الا عن هذا الدين القويم ، والمنهج الاسلامى السليم ، فهو الغــاية لكل من يرجــو النجــاة ، أفرادا وجماعات ، فى الدنيا والآخرة •

قال تعالى : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليســتخلفنهم فى الأرض كمـــا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهــم دينهــم الذى ارتضى لهــم وليبدلنهم من بعد خــوفهم أمنــا يعبـــدوننى لا يشركــون بى شيئا** » (١) •

---

(١) سورة النور من الآية ٥٥

وقال تعالى : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون** » (١) ٠

ولو أن المسلمين اليوم رجعوا الى ربهم ، وتمسكوا بكتاب الله وسنته ونبيه وطبقوا شريعة الله فى أرضه ، ونبذوا الخلاف وطرحوا العداوة التى تحكمت بينهم لسادوا الدنيا ، وحكموا العالم ، وأعلوا كلمة الله فى كل مكان ٠

وحينئذ : يتحقق وعد الله لهم بأن يمدهم بنصره ، ويعيد اليهم مجدهم وتصبح أرض الاسلام كلها جنة ، والمسلمون كلهم أحباب الله وجنوده : قال تعالى : «**وان جندنا لهم الغالبون** » (٢) ٠

وقال تعالى : « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** (٣) ٠

ونهيب بالدعاة والمصلحين فى الأمة الاسلامية أن يبثوا فى المسلمين الروحية السامية ، ويوقظوا فى المسلمين الطاقات الهائلة ، وأن يحولوها الى حركة اصلاح نابضة ، تعمل فى صدق ووفاء ، واخلاص وصراحة الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، لأنه لا يصلح حال هذه الأمة الا على وحدة صف المسلمين ، وجمع شملهم ، وبث هذا المعنى بين جميع أبناء الأمة ، حتى يزول العداء ، وتتمحى الشحناء والبغضاء ، وتصبح أمة الاسلام أمة واحدة ، تخفق رايتها عالية فى كل مكان من بلاد الاسلام ، راية الوحدة والمحبة والاخاء ٠

هذه هى الروحية الحقة ، التى تتمثل فى بناء قواعد الأمة ، وتدعيم أركان المجتمع ، على أساس المنهج الاسلامى القويم ، والمثل العليا والقدوة الحسنة ٠

---

(١) سورة العنكبوت ـ آية ٧ ٠
(٢) سورة الصافات ـ آية ١٧٣ ٠
(٣) سورة الاعراف ـ آية ٩٦ ٠

على الدعاة والمصلحين وعلماء الازهر وطلابه فى أنحاء الدنيا أن يبصروا الشباب بمبادىء الاسلام، وأن يبينوا لهم منهجه فى وضوح ، ويشرحوا لهم أخلاقه وفضائله ، عليهم أن يفهموا الشباب دينهم فهما سليما ، بعيدا عن النزعات المغرضة ، والمبادىء الهدامة ، التى لا تمت الى الاسلام بأية صلة ، والتى تنسب أحيانا الى الاسلام ، والاسلام منها براء .

على هذا الأساس المتين ، وبهذا المنهج الاسلامى السليم ، تقام الوحدة وتتحد الأمة ، ويتحقق النصر ، وما النصر الا من عند الله، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

اللهم بصر قادة المسلمين بدينهم ، ووفقهم الى تطبيق منهجه تطبيقا كليا كاملا كما تحبه وترضاه .

اللهم طهر قلوب المسلمين من كل وصف يباعدهم عن مشاهدتك ومحبتك ووفقهم الى الخير ، وخذ بيدهم الى النصر ، فانه لا يعجزك شىء فى السماء والأرض ، وأنت وحدك سبحانك نعم المولى ونعم النصير ..

محمد صابر البرديسى

« رجاء الى كتاب مجلة الأزهر »

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (التربرايتر) ثم مراجعتها أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والله الموفق .

أسرة المجلة

مكانة الحديث فى التشريع الإسلامى

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

وجاء عصر الصـحابة : فكان تطبيقا عمليـا لتلك التوجيهات النبوية • والحق أن جهود الصحابة فى مجال حفظ الدين بالدرس والعلم ورسم المناهج لاتقـل أهمية عن جهودهم لحفظه بالسيف وبـذل الارواح • لقد كان الوحى ينزل بما يحتاجون اليه ويكشـف ما يخفى عليهم ، وكانت حلقة الاتصال بين السماء والارض موصولة حتى أن الخائن كان لا يأمن سره والمخطىء لا يخشى مـن خطئه والجاهـل لا يخاف من جهله • قال تعـالى : **« يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بمـا فى قلوبهم »** • وكشف الوحى سر الخطـاب الذى أرسله بعض الصحابة لتحذير أهل مكة ونزل قوله تعالى : **« يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا عـدوى وعدوكم أولياء »** وكم نزل القرآن يوضح المشكل ويبين الصواب •

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر ما خفى وبرز مـا ما استتر وأمن الخائف على نفسه وارتد كثير من العرب ومنع بعضهم الزكاة وحـاولوا تشـويه الدين بالكذب على الرسول صلى اللـه عليه وسلم • ولكن أبا بكـر وقف وقفة الحيطة والحذر ، فكما حـد المرتدين وكسر شوكتهم وبـدد شملهم كذلك سد الباب فى وجـوه الكذابين بما وضـعه من قوانين الرواية وتابعه عمر رضى الله عنه على ذلك • واحتياطا للدين وحرصا على السنة وتفرغا لمشاكل الحرب الساخنة المفروضة على المسلمين

كان الاتجاه الى تقليل الرواية والمبالغة فى الاحتياط والتثبت لارهاب الكاذبين ، وتخويف الماكرين • فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه — على كثرة سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم — يقلل من رواية الحديث — وهذا عمران بن حصين — وهذا أبو عبيدة والعباس بن عبدالمطلب وغيرهم • كلهم يقلون الرواية ، حتى أن سعيد بن زيد أحدالعشرة المبشرين بالجنة لم يرو له الا حديثان أو ثلاثة • وهذا أبى بن عمارة لم يرو له الا حديث واحد فى المسح على الخفين •

وهذا أنس بن مالك قال : انه ليمنعنى أن احدثكم حديثا كثيرا ان رسول الله صلى اللهعليه وسلم قال: من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار • وكان اذا ذكر حديثا ختمه بقوله « أو كما قال » حذرا من أن يغير لفظا منه • وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر الناس بتقليل الرواية وكان مهيبا عند جميع الصحابة وما كان كذلك الا ليتمكن من حصر مصادر الاخبار فى تلك الفترة الحاسمة • روى الشعبى عن قرظة بن كعب أنه قال: خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر الى صرار ، فتوضأ ، فغسل اثنتين ثم قال : أتدرون لم مشيت معكم ، قالوا نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا فقال : انكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم • جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • أمضوا وأنا شريككم فلما قدم قرظة قالوا حدثنا قال : نهانا عمر بن الخطاب • وفى هذا الخبر ما يدل على ان عمر رضى الله عنه رأى أن العناية أولا ينبغى أن تكون مركزة على القرآن لأنه الأساس وأن حفظ القرآن سيجر حتما الى حفظ السنة والبحث عن كل ما يتعلق بها •

وسأل عبد الله بن الزبير أباه : انى لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان فقال له أما انى لم أفارقه ولكنى سمعته يقول :

« من كذب على فليتبوأ مقعده من النـــار » •

وقيل لزيد بن أرقم وقــد كبر سنه ووهن عظمه : حدثنا يازيـد فقال : كبرنا ونسينا والحديث عـن رسول الله صلى الله عليه وسـلم شديد •

ولم يقتصر الصحابة على ذلك ، سواء من أنفسهم أو بتوجيه الخلفاء وانما رســـموا منهج التثبيت من رواية الحـــديث ومن رواته فلم يقبلوا الا ما اطمأنت اليه نفوسهم ورضيته ضمائرهم •

وقد بين الذهبى فى تذكرته أن أبا بكر رضى الله عنه كان أول من احتاط فى قبول الأخبـــار • وروى عن الزهرى عن قبيصة : أن الجدة جاءت الى أبى بكـــر تلتمس أن تورث • قال : ما أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس • فقـــام المغيرة بن شعبة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهـــا السدس : فقال هل معك أحـــد • فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه أبو بكر لها •

وروى عن عمر رضى الله عنـــه بعد أن ذكر أنه الذى سن للمحدثين سنة التثبت فى النقل وربمـــا كان يتوقف فى خبر الواحد اذا ارتاب ــ أن أبا موسى سلم عليه مـــن وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن لـــه فرجع ، فأرسل عمر فى أثره فقال : لم رجعت ؟ قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع » قال لتأتينى على ذلك بينة أو لأفعلن بك • فأخبر أبو موسى بعض الصحابة بذلك وسألهم هـــل سمع أحد منكم هذا الحديث فقالوا نعم كلنا سمعه وأرسلوا معه رجلا منهم أخبره •• وقال لأبى بن كعب وقد روى له حديثا لتأتينى عـــلى ما تقول ببينة فلما أحضر ما يؤيد قوله قال عمر رضى الله عنه : أما أنى لم أتهمك ولكن أحببت أن أتثبت ــ ولعل عمر رضى الله عنه بذلك انما أراد أن يختبر حفظ الرواة من الصحابة مع ثقته التامة فى عدالتهم ونزاهتهم • وعن أسماء بن الحكم الفزارى أنه سمع عليا يقول : كنت

اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى به وكان اذا حدثنى غيره استحلفته فاذا حلف صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« **ما من عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له** » .

وكان كثير من الصحابة يختبرون حفظ الرواة وينقدون الحديث نقدا ذاتيا داخليا بمقارنته بغيره مما ثبت وصح . فهذه عائشة رضى الله عنها ترد حديث رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج بظاهر قوله تعالى : « **لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار** » . وهذا اجتهاد منها عارضها فيه غيرها بأن معنى الآية « **لا تحيط به الابصار** » وبذلك لا تتنافى الآية مع الحديث — وفى هذا ما يدلنا على أن نقد الحديث على الأساس الداخلى يضر بالسنة أكثر مما يفيد لانه يفتح المجال أمام غير المتخصصين للطعن فى السنة بأدنى توهم — فاذا كانت عائشة وهى من هى قد أخطأت حينما استعملت مثل هذا المنهج فما بالك بغيرها ؟! ومن ذلك أيضا أن عائشة لما سمعت بوقوف النبى صلى الله عليه وسلم على قتلى بدر وقوله : « **هل وجدتم ما وعد ربكم حقا** » وأنه قال : انهم الآن يسمعون ما أقول ، قالت : انما قال النبى صلى الله عليه وسلم : انهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت « **انك لا تسمع الموتى** » حتى قرأت الآية ، وخالفها غيرها فقال ان الآية فى سماع الاجابة وأن الموتى غير مكلفين ، وفى رواية أنها قرأت أيضا قوله تعالى : « **وما أنت بمسمع من فى القبور** » والمراد من الآيتين عدم تكليف الموتى ووجوب تبليغهم الرسالة لانقطاعهم عن دار التكليف .. وقد بينت الآية الاخيرة أن الله يسمع من يشاء . وغرضنا هو بيان فساد هذا المنهج فى الحكم على السنة والوقوف معه عند حد الضرورة .

وكما كان لها فى مجال النقد الداخلى شأنها فانها اختبرت الرواة

والمحدثين خاصة من اشتهر منهم بالرواية • ففى الصحيحين عنها : أنها قالت لعـــروة بن الزبير يا ابن أختى بلغنى أن عبد الله ابن عمرو مار بنا الى الحج فالقه فأسأله فانه حمل عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا قال : فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن النبى صلى الله عليه وسلم • قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله لا ينزع العلم مـــن الناس انتزاعا ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ويبقى فى الناس رءوس جهال يفتونهم بغـــير علم فيضلون ويضلون • قال عروة فلما حـــدثت عائشـــة بذلـــك أعظمته وأنكرته • قالت : أحدثك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال عروة : نعم • حتى اذا كان عام قابل قالت لى : ان ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذى ذكره لك فى العلم • قال : فلقيته فسألته فذكر لى نحو ما حدثنى فى المرة الاولى • قال عروة : فلما أخبرتها بـــذلك : قالت : ماأحسبه الا وقدصدق أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص • لقد اختبرت حفظه أحلى اختبار وهو لا يشعر فنجح فى الاختبـــار • وتبين لنا من ذلك أنها كانت حريصة على تنقية السنة من كل ما يمكن أن يكون فيه أدنى ريب أو عيب وكذلك كان أكثر الصحابة رضوان اللـــه عليهم ولم يمنع هذا التدقيق مـــن انتشار رواية الحديث وقبول خبر الواحد الثقة فقد قبل عمر خبـــر الضحاك بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه أن يورث امرأة أشيم الضبابى مـــن ديته وخبر عبد الرحمن بن عوف فى الرجوع عن بلد الطاعون وعدم الدخول عليه وغير ذلك •

ولما أوشك عصر الصحابة عـــلى الانتهاء فتحت الفتن أفواهها ولعبت دســـائس الكفـــار والمنتفعين والمشتغلين أدوارهـــا فتفـــرق المسلمون وظهرت الأحـــزاب وكان الشـــيعة والخـــوارج والأمويون والعلويون ونحو ذلك ، بدأ الوضع بصورة جدية فى الحديث ومحاولـــة ادخال ما ليس منه فيه • روى ابن الجوزى فى مقدمة كتاب الموضوعات

عن ابن لهيعة أنه قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول: ان هذه الاحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا .
وقال عبد الرحمن بن مهدى فى حديث « اذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته » : « أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث » وابتدع الشيعة أحاديث كثيرة منها ما وضعوه فى الحط من شأن معاوية وبنى أمية . ومن ذلك :

« من مات وفى قلبه بغض لعلى ابن أبى طالب فليمت يهوديا أو نصرانيا » .

« ستكون فتنة فان أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين : كتاب الله ، وعلى بن أبى طالب » .. الخ .

وهى أحاديث طافحة بالوضع بعيدة عن نور النبوة .

ولما خرج المختار بن أبى عبيد الثقفى على عبد الله بن الزبير قال لرجل من محترفى الحديث : ضع لى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كائن بعده خليفة يطالب له بترة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة مركوب وخادم فقال له الرجل : أما عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا ولكن اختر من شئت من الصحابة وحط لى من الثمن ما شئت قال : عن النبى صلى الله عليه وسلم أوكدوا العذاب عليه أشد .

بل لقد حاول بعض الشيعة تركيب أحاديث موضوعة على أسانيد صحيحة فقابلهم أئمة الحديث من أصل الصحيح بعدم اعتماد احاديث على رضى الله عنه ولا فتاواه الا ما جاء عنه من طريق أهل بيته خاصة أو من طريق أصحاب عبد الله بن مسعود كعبيدة السلمانى وشريح وأبى وائل ونحوهم وهى طرق أطمأن الى سلامتها حذاق المحدثين .

وكان أعداء الشيعة يحاربونهم بأسلحتهم ، فوضعوا أحاديث مضادة لأحاديثهم : **«ان فى السماء الدنيا ثمانين ملك يستغفرون الله لمن أحب أبا بكر وعمر » الخ .. « اذا رأيتم معاوية يخطب على**

منبرى فقبلوه فانه أمين مأمون » «قابل اذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فأقتلوه والكل موضوع .

ولكن الله تعالى حفظا لـدينه وتحقيقا لقول رسوله : « يحمـل هذا العلم من كل خلف عـدوله » الخ . قيض للسنة حماتها وهيأ لها رجالها فرفضوا أحاديث أهل الفرق وحفظوا السنة من أهل الأهـواء وقصدوا القبول عـلى الأحاديث الصحيحة المنقولة عن رجـال مخلصين تجردوا عن التعصب ، لهم من دينهم ما يحفظ عليهم صدقهم ويردعهـم عن الكذب والاختلاق وزادوا فى الاحتيـاط ودققوا فى الانتقاء .

وقد ذكر الامام مسلم فى مقدمة صحيحه صـورة صـادقة للتحوط ودواعيه ، فروى عن أبى هـريرة رضى الله عنه أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : **« يكون فى آخر الزمان دجالون كـذابون يأتونكم مـن الأحاديث بمـا لـم تسمعوا ـ أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهـم ولا يضـلونكم ولا يفتنونكم »** .

وعن طاوس قال : جاء هذا الى ابن عباس ـ يعنى بشير بن كعب ـ فجعل يحدثه فقال له ابن عباس عد لحديث كذا وكذا فعاد له ثم حدثه فقال له عد لحديث كذا وكذا فعاد له فقال له : ما أدرى أعرفت حديثى كله وانكرت هذا أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : انا كنا نحـدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن يكذب فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحـديث عنـه .

وعن مجاهد قال : جاء بشـير العدوى الى ابن عباس فجعـل يحدث ويقول : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم فجعـل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولاينظر اليه . فقال : يا ابن عباس لا أراك تسمع لحديثى . أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع لحديثى ؟ فقال ابن عباس : انا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقـول قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ابتدرته أبصارنا وأصـغينا اليه

بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس الا ما نعرف .

وعن ابن أبى مليكة قال : كتبت الى ابن عباس أسأله أن يكتب لى كتابا ويخفى عنى . فقال ولد ناصح أنا أختار له الامور اختيارا وأخفى عنه . قال : فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمـــر به الشىء فيقول : والله ما قضى بهذا على الا أن يكون ضل .

وعن طاوس قال : أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على رضى الله عنه فسماه الاقدار . وأشار سفيان بن عيينة بذراعه .

ومن ذلك كلــه نتبين أن بعض الصحابة ومنهم ابن عباس واجهوا هذا التيار بحسم ورسموا المنهج الصحيح لمقاومته وربوا على ذلك الكثيرين من النبهاء .

وعن ابن سيرين قال : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلمـــا وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهـــم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخـــذ حديثهم .

ولقد تفرق الصحابة فى البلاد المختلفة وكونوا فيها حلقات العلم وزرعوا بها مدارس الحــــديث وغرسوا هذا المنهج النبوى الحكيم فى الحث على السنة والتحذير من التهاون فى شأنها أو ادخال ما ليس منها فيها .

وحفظ التاريخ كثيرا من الصحابة واتباعهم بالأمصار المختلفة .

فبالمدينة كان أبو بكر وعمـــر وعلى قبل انتقاله الى الكوفــــة وأبو هريرة وعائشـــة أم المؤمنين وعبد الله بن عمرو وأبو ســـعيد الخدرى وزيد بن ثابت وقد تخرج على أيديهم أفاضل التابعين مثـــل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى وغيرهم من فقهاء المدينة وعلمائها الذين كانوا من المراجع الهامة فى الســـنة والذين انتفعت بعلومهم أمصار الاسلام فى مواسم الحج وغيرها .

وكان بمكة معـــاذ بن جبـــل وعبد الله بن عباس وعبد الله بن السائب المخزومى وخباب وخالد ابنا أسيد والحكم بن أبى العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم وتخرج

على أيديهم أفاضل التابعين مثل مجاهد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبى رباح وغيرهم .

وكان بالكوفة على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وخباب ابن الارت وعمار بن ياسر وأبو موسى الاشعرى والنعمان بن بشير والبراء بن عازب وغيرهم وتخرج على أيديهم كثيرون من أفاضل التابعين منهم مسروق بن الأجدح وعبدة بن عوف السلمانى وابراهيم بن يزيد النخعى وغيرهم .

وكان بالبصرة أنس بن مالك وعتبة بن غزوان وعمران بن الحصين ومعقل بن يسار وغيرهم وتخرج عليهم من التابعين الحسن البصرى ومطرف بن عبد الله بن الشخير وأبو بردة بن أبى موسى وغيرهم .

وكان بالشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنة والفضل ابن العباس بن عبد المطلب وتخرج على أيديهم كثير من التابعين كأبى ادريس الخولانى وقبيعة بن ذؤيب ومكحول بن أبى مسلم وغيرهم .

وكان بمصر عبد الله بن عمرو ابن العاص وعقبة بن عامر الجهنى وخارجة بن حذافة وأبو بعرة الغفارى وغيرهم وتخرج على أيديهم كثير من التابعين كأبى الخير مرثد بن عبد الله اليزنى ويزيد بن أبى حبيب وغيرهما .

لقد امتد نور النبوة ممثلا فى الصحابة وما حملوه من علم الى كل أقطار الاسلام وحملت طائفة خيرة منهم من بعدهم وهكذا جيلا بعد جيل حتى وصلت السنة الى قمة ازدهارها على يد أئمة الحديث .

دكتور / الحسينى هاشم

دراسات قرآنية

الحج وأهدافه السامية

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال تعالى « **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل انك أنت السميع العليم • ربنا واجعلنامسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » الآيات من البقرة •**

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » الآيات من الحج •

الحج وأهدافه السامية

كان العرب فى أرض الحجاز الجرداء مشتتين ، يرحلون بابلهم وأغنامهم الى الوديان ، حيث مهابط الأمطار ، ومستقر السيول المنحدرة من الجبال والتلال فيرعون ماشيتهم فى الاعشاب الناشئة عنها ، ويأوون الى أكنان مصنوعة من أوبارها وأصوافها ، حتى اذا استوعبت خضراءها ، ارتحلوا عنها الى سواها •

وكانت أفكارهم فى رب هذا البيت ساذجة الى أبعد حدود السذاجة ، فلهذا عبدوا الاوثان ، وأشركوها فى العبادة مع الواحد الديان •

وقد شاءت عناية الرحمن الرحيم ، أن يجمعهم بعد شتات ، وييسرلهم الارزاق بعد صعوبة ، ويفتح قلوبهم وأرواحهم على شواهد خالق الأكوان ، حتى يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، ويجعل منهم أمة مسلمة لرب العالمين تحمل مشاعل الحق فى ليل الجهالة

والشبهات ، فتضيء للناس سبيل الهدى والرشاد .

فلهذا أمر الله نبيه ابراهيم عليه السلام ، أن يرحل بولده اسماعيل وأمه هاجر الى أرض الحجاز ، وأن ينزل بهما فى مكان معين منها ، شاءت العناية أن تنشأ فيه مكة المكرمة ، ليكون مشرق الهدى ومبعث الايمان والعرفان ، ففعل ابراهيم ما أمره الله به ، ولما أراد الانصراف دونهما سألته هاجر : الى من تكلنا ؟ قال ابراهيم عليه السلام : الى الله تعالى ، قالت هاجر : آلله أمرك بذلك ؟ قال نعم، قالت : اذن لا يضيعنا .

فلما انصرف أخرج الله لهما عين زمزم ، وأفاض الماء من حولها غزيرا ملأ البقاع ، فحومت الطيور فوق الماء ، فلما رأت قبيلة جرهم تلك الطيور تروح وتغدو ، أرسلوا رائدهم اليها ، فرأى ما لم يكن رآه من قبل ، رأى سيدة كريمة معها رضيعها ، والماء يستبحر من حولها، فسألها عن أمرها وأمر الماء الذى لم يعرف قبل نزولها ، فأخبرته بقصتها ، فعرف أنها من بيت كريم على الله تعالى ، وأن الماء الذى جرى حولها هو من بركات بيت النبوة الكريم ، وأن ذلك الحدث الجليل يخفى وراءه أسرارا ستظهرها عناية الله فى أوانها .

الرائد يزف البشرى الى قومه

زف الرائد البشرى الى قومه — قبيلة جرهم — فأقبلوا عليها فى فرحة غامرة يسألونها المقام حولها، ويلتمسون الانتفاع بالعين المباركة التى أكرمها الله بها، على أن يقوموا بخدمتها ورعايتها وطفلها ، وحتى يترعرع ويبلغ مبلغ الرجال ، فأذنت لهم .

بناء الكعبة :

كان ابراهيم يتعهد اسماعيل وأمه ويزورهما من آن لآخر حتى كبر اسماعيل ، فأمره الله أن يبنى كعبة يحج اليها الناس لعبادة الله رب العالمين فى هذه البقعة المباركة، ويتخلصون بذلك من عبادة الأوثان ، ويكون من وراء ذلك جلب الأرزاق لأهل هذا الوادى الذى لا زرع فيه ولا شجر ، فاستجاب لربه وبنى البيت الحرام ، وكان يقول هو وولده

اسماعيل — وهما يرفعان القواعد منه « **ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » (١)** .

فالغرض الأول من بناء الكعبة هو انشاء أمة مجتمعة مسلمة لله وحده لا شريك له ، تنحدر من اسماعيل عليه السلام ، بعد تزوجه من قبيلة جرهم .

والغرض الثانى من بنائها أن تتجه هذه الأمة المسلمة اليها لتقيم الصلاة لرب العالمين وحده لا شريك له .

والغرض الثالث أن يحج الناس اليها من مختلف البقاع ، لأداء المناسك وحمل الأرزاق الى السكان حولها ، وفى ذلك يقول الله تعالى حكاية لدعوة ابراهيم عليه السلام التى حددت أهدافه « **ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » .

وتحقيقا لتلك الأغراض ، أمر الله ابراهيم عليه السلام ، أن يؤذن فى الناس بالحج ، وفى ذلك يقول الله تعالى « **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» (٢)**

أى يأتوك مشاة وركبانا على بعير مهزول من طول السفر على ابلهم آتية من كل طريق بعيد « **ليشهدوا منافع لهم** » عظيمة الخطر ، جليلة القدر فى الدنيا والآخرة .

روى ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما عن ابن عباس قال « لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال : رب قد فرغت ، قال : أذن فى الناس بالحج ، قال : يارب وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلى البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل يأيها الناس كتب عليكم

---

(١) البقرة — الآية ١٢٨
(٢) ابراهيم من الآية ٣٧

الحج الى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون » .

وجاء فى رواية أخرى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس ، فوضع أصبعيه فى أذنيه ثم نادى : « يأيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال وأرحام النساء، وأول من أجاب أهل اليمن ، فليس حاج يحج من يومئذ الى أن تقوم الساعة الا من أجاب يومئذ ابراهيم » .

وقد استجاب الناس فى عهد ابراهيم واسماعيل الى دعوة التوحيد ، ونبذوا الاشراك وعبادة الأوثان ، الى عبادة الواحد الديان ، وكان طوافهم بالبيت تمجيدا لرب البيت ، لا لذات البيت .

تحويل كعبة التوحيد الى بيت للأصنام

بعد فترة من عصر اسماعيل عليه السلام ، نسى أهل هذه البقعة التوحيد فى حجهم وسائر عباداتهم ، ورجعوا الى عبادة الأوثان التى أبطلتها شريعة ابراهيم واسماعيل عليه السلام ، وكانوا يزعمون أنهم يتقربون بها الى الله ، مع أن الله أقرب اليهم من حبل الوريد ، وليسوا بحاجة الى أن يتقربوا بها اليه ، فهى تبعدهم عنه سبحانه ، فتراهم حولوا الكعبة من قبلة لعبادة الرحمن ومطاف يذكر حوله اسم الله ، الى بيت للأصنام ، ومطاف تذكر حوله أسماء الأوثان .

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، كان أهم أغراض دينه القضاء على الشرك والوثنية وتوجيه البشر الى عبادة الواحد الصمد .

وقد استمر الرسول يجاهد فى سبيل ذلك حتى نصره على أهل مكة ، حماة الشرك فى الجزيرة العربية ، فى غزوة الفتح المبين ، سنة ثمان من الهجرة النبوية .

قضاء الاسلام على دولة الأوثان

ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة بعد أن دانت له ،

أمر أصحابه بتطهير الكعبة وما حولها من الأصنام ، فأخرجوها وحطموها ، وأخرجوا صورتين لابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وفى أيديهما الأزلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : « قاتلهم الله . لقد علموا ما استقسما بهما قط » ونادى منادى الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره ، وأرسل خالد بن الوليد الى شجرة العزى فقطعها وهدم بيتها ، وكانت معبودة قريش وبنى كنانة ، وكانت أعظم آلهتهم فى نظرهم ، ثم بعث عمرو ابن العاص فى سرية الى سواع فحطمه ، وكان معبود هذيل ، ثم بعث سعد بن زيد بن عبد الأشهل الى مناة معبودة الأوس والخزرج وغسان وغيرهم فهدمها ، الى غير ذلك .

وبالقضاء على عبادة الأوثان بمكة وما حولها ، سقطت دولة الشرك فى جميع البلاد العربية ، لأنها كانت معقل الوثنية فيها ، والمركز الأول لقداستها عندهم .

الكعبة أول بيت وضع للناس

كانت الكعبة أول مبنى أمر الله بانشائه ليتجه الناس اليه حين عبادتهم لله رب العالمين ، ولما زعمت اليهود أن بيت المقدس هو أول بيت أنشىء لذلك ، كذبهم الله فأنزل قوله تعالى « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين** » ودلل على كونه أول بيت وضع للناس بأدلة ثلاثة ذكرها فى قوله « **فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » .

فمقام ابراهيم هو المكان الذى كان يقوم فيه للصلاة ، وهو الآية الأولى على كون هذا البيت بناه ابراهيم عليه السلام ، فان الناس قد توارثوا هذه التسمية خلفا عن سلف ، وهى تدل على أن ابراهيم كان يقوم للصلاة فيه أثناء بنائه للكعبة أو أثناء زيارته لاسماعيل وأهله .

والآية الثانية أن من دخله كان آمنا ، وذلك من شرع ابراهيم ، توارثه العرب عنه جيلا بعد جيل ، فقد صار ملاذا للخائفين منذ انشائه وجعل هذا الحكم من سماته ، فاذا أقام خائف فى رحابه أمن على نفسه من أعدائه ، ولو كانت بينه وبينهم دماء وترات ، وفى ذلك يقول الله تعالى **« أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم »** •

والآية الثالثة أن الناس يحجون اليه استجابة لأذان ابراهيم ، فتلك آيات بينات على أن الكعبة أول بيت وضع للناس وليس بيت المقدس ، فانها شاهدة بأن منشئه هو ابراهيم عليه السلام ، وابراهيم لم يبن بيت المقدس ، بل أنشأه حفيده سليمان ، وبينهما زمن طويل •

حكمة استقبال الكعبة

قد يقول قائل ان استقبال قبلة معينة أثناء العبادة ، ربما يشعر أن المولى سبحانه مقيم فيها ، فلذا يتجه الناس اليها ، مع أنه تعالى مكون الأكوان ، فهو أجل وأعظم من أن يكون له مكان فكيف يحل فى هذا الحيز الصغير ، والحيز عليه محال **« ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »** وفى حديث « كان الله ولا شىء معه وكان عرشه على الماء » فالله موجود قبل خلقه المكان والأحياز ، فيستحيل عليه المكان ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك •

وجواب هذا السؤال أن اتخاذ القبلة ليس المقصود منه أن يواجه المصلى ذات ربه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل المقصود منه توحيد مظهر العبادة من أهل الملة الواحدة ، فكما اتحدوا فى عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادتهم ، يتحدون فى قبلتهم أثناء أدائها ، حتى يتميزوا عن سواهم من أهل الباطل ، وحتى تتميز عاداتهم عن عبادتهم •

ومن الامور المقررة فى الأديان السماوية قبل أن يلحقها التبديل والتحريف أن الله أجل وأعظم من

أن يحل فى مكان ، فانه ليس بحاجة الى مكان .

فعلى كل متدين حين يستقبل القبلة أن يشعر بهذا المبدأ وأن يجعله مسيطرا على عقيدته ، فلا ايمان بدون تنزيه الله عن الزمان وعن المكان ، وليعلم المؤمن أنه تعالى موجود بعلمه فى كل مكان يتجهون فيه اليه ، وهذا هو المعنى المقصود بقوله تعالى « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » .

فضل الحج وأسراره

دعا الله تعالى عباده الى حج بيته الحرام ، وأعد لهم مائدة يختلفون اليها ، هى مائدة الغفران والرحمة ، والثواب الجزيل على ما بذلوا من جهد ومال ، فى سبيل تلبية هذه الدعوة المباركة .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** » .

وبسندهما عن أبى هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وأخرج البزار بسنده عن أبى هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأتوه ، وسألوه فأعطاهم » .

وبما أنه تعالى صاحب الضيافة وأنت لا تراه ، فلهذا تطوف ببيت ضيافته لك ، كما يفعل المحب الهائم ، حول المحبوب الذى يرى نعمه ولا يرى ذاته .

وأنت فى طوافك لا تعظم البيت تعظيم المشركين ، بل تعظيم رب البيت الذى لا تراه ، اذ تقول وأنت به تطوف : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وتدعو الله بما شئت ، وبهذا تحول طواف الشرك وتقديس الأوثان ، الى طواف التوحيد وتقديس رب الأكوان .

وأنت حين تستلم الحجر الأسود وتقبله ، و لاتجعل منه شريكا لله تعالى ــ كما كان

المشركون يصنعون ، بل أنت تعبر بذاك عن أشــواق القلب ، وعظيم الحب لله الذى لا تراه ، ولهــذا تقول حين أستلامه : اللهم ايمانا بك ، وتصــديقا بكتابك ، ووفــاء بعهدك ، وأتباعا لسنة نبيك ، وبهذا الذكر النظيف ، تحــولت هــذه المناســك وغــيرها من الوثنيــة العارضــة الى التوحيــد النظيف الذى كانت عليــه شريعة ابراهيم جد الأنبيــاء — عليــه وعليهــم السلام —

ولقد أكثر الله تعالى فى سورة الحج من التحــذير من الشرك ، وحسبك قوله تعالى فيها ، « **ومن يشرك باللــه فكأنمــا خر مــن السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** » .

ومن حــكم الحج وأسراره أنه يجمع وفود أهل الأرض على توحيد الله تعالى ، وأن يكون موســـما لتبادل الرأى فيما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم ، ويقيهــم شرور أعدائهــم ويؤكــد الوحــدة الدينيـــة والفكــرية التى تجمعهم ، ويزيل أسـباب الفرقة بينهم ، ولهذا ذكر الله تعالى من حكم تشريعه أن يشهدوا منافــع لهم ، الى غــير ذلك من الحــكم والأسرار ولــو أمكن اســـتغلال الحج كما أراده الاســلام ، لكان سببا فى عزة المســلمين ومنعتهم والله يقول الحــق وهو يهــدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير

تعقيب ورد على التعقيب

الشعر المملوكى مرآة عصره

للأستاذ السيد حسن قرون

فى عدد رمضان سنة ١٤٠٠ هـ من مجلة الأزهر أثناء تفسير قوله تعالى «**فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب**» قال فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الطير فى دراساته القرآنية (وزعم بعض قدامى المفسرين فى تفسيره أن الماء الدافق يخرج من بين صلب الرجل — وهو عظام ظهره — وترائب المرأة — وهى عظام صدرها — ونسبوا هذا التأويل الى ابن عباس ، وهذا غير صحيح نقلا ولا موضوعا ..) الخ

تعقيب العقيد

وعقب على ذلك العقيد عبد الفتاح الزهيرى (بالمعاش) فقال : ان العلم والطب الحديث أثبت أن الغدة التناسلية فى الانسان بين الصلب والترائب ، أى بين عظام ظهره وعظام صدره ، فقد رأى الأطباء بأجهزة الأشعة ، أن خصيتى الجنين موجودتان خلف الكليتين فى مكان يقع بين عظام السلسلة الفقرية للظهر ، والضلعين الحادى عشر والثانى عشر من عظام الصدر ، وذلك فى الشهر الثانى لوجود الجنين فى الرحم ، ثم تترك الغدة التناسلية هذا الموضع وتتدلى لتأخذ مكانها العادى فى الصفن — وهو جلد الخصيتين فى الشهر التاسع للحمل .. ثم قال : وكذلك توجد الغدة التناسلية (المبيضان) للمرأة فى هذا المكان عندما يكون

الجنين فى الشهر الثانى فى الرحم ، ثم تأخذ مكانها الطبيعى فى الشهر (التاسع ..) الى آخر ما قال .
(عقيد : عبد الفتاح الزهيرى)

رد فضيلة الشيخ مصطفى الطير :

لا شك أن السيد العقيد لم يتأن فى قراءة ما كتبناه فى هذا الموضوع الذى أخذ حقه من العناية الدقيقة علميا وطبيا ، ولذا كان كلامه فى واد ، وكلامنا فى واد آخر ، فنحن لم نتعرض لتكوين الغدة الجنسية وموضعها من الجنين فى رحم أمه ذكرا كان أو أنثى،سواء صح ماقاله العقيد بشأنها أم لم يصح ، وانما تعرضنا لقول القائلين ان المنى يخرج من بين صلب الرجل دون ترائبه وترائب المرأة دون صلبها وزعمهم أن ذلك رأى ابن عباس ، فقد قلنا ان ذلك لم يصح نقلا — لأنه عديم السند — ولم يصح موضوعا ، لأن القرآن الكريم لم يقل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، حتى يصح ماقالوا، بل قال « يخرج من بين الصلب والترائب » أى يخرج الماء الدافق من بين صلب الرجل وترائبه ، وكذا من بين صلب المرأة وترائبها أيضا ، ونقلنا رأى ابن عباس الذى رواه عنه مكى فى ص ١٠٦٥ من المجلة ، فى آخر العمود الأول منها ، وهو يخالف النقل السابق الذى رفضناه .. حيث قلنا : (وكأن ابن عباس كان يعيش بيننا فى عصر الحقائق العلمية ، حيث حمل الترائب على أطراف الانسان وعينيه — كما نقله عنه مكى — وروى الحسن عن قتادة:يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبها — وهذا المعنى هو الذى رأينا الأخذ به) هذا نص كلامنا فى الموضع المذكور .

وليس المقصود المعنى الحرفى للنص القرآنى ، فان الماء الدافق لا يخرج من بينهما حقيقة وانما يخرج من الخصيتين فى الرجل ، والمبيضين فى المرأة (١)،بل المقصود أنه يخرج من جميع أجزاء البدن فان النطفة سلالة من الدم انتهت الى الخصيتين والمبيضين أثناء

(١) وموضع كل منهما معروف

الانفعال الجنسى الذى يثير الجسد كله ، ولهذا يشبه الولد أبويه فى خصائصهما الجسدية والخلقية .

وفى هذا المعنى قلت فى العمود الأول من ص ١٠٦٥ (وقد عبر الله عن خروج المنى من الجسد كله بخروجه من بين الصلب والترائب على سبيل الكناية ــ كما قلنا ــ لأن الترائب أطراف البدن كما جاء فى القاموس ، والصلب موضع العصب النازل من الدماغ ، ومنه تتوزع الشعيرات العصبية على جميع الجسد ، وله دخل عظيم فى نقل ايحاءات المخ الى الدورة الدموية ، فهو الذى ينقل الاحساس بالشهوة اليها فيثيرها ، وتتنزل سلالة من الدم الثائر الى الأنثيين والمبيضين، فيتحول فيهما الى منى ..) الى آخر ما قلناه .

ثم ماشأن موضع الخصيتين أو المبيضين من الجنين فى الشهر الثانى ثم فى الشهر التاسع بالنسبة لشرح الآية الكريمة ، فهل الجنين يخرج منه ماء دافق من بين صلبه وترائبه فى بطن أمه،أم أن النص القرآنى خاص بالازدواج الجنسى للبالغين ، فماوجه تعرضك لموضوع خارج عن البحث ، لهذا أنصح الاخ الفاضل بأن يعود الى قراءة المقال ، فسيجد فيه ضالة الحق التى ينشدها المتريثون ، وأنى أشكر سيادته على ماجاء بخطابه من ثناء على ماأقدمه للقراء من بحوث أرجو أن يتقبلها الله ويرضى عنها ، والله الموفق .

أسرة المجلة

المقالات التى لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردها .

فقيد الأزهر
رجل العلم والدين
الدكتور أحمد الشرباصى ١٩١٩ - ١٩٨٠

للأستاذ السيد حسن قرون

فى صبيحة الجمعة وفى العاشرة والربع من اليوم الخامس من شوال ١٤٠٠ هـ الموافق الخامس عشر من أغسطس ١٩٨٠ م شيعت جنازة فضيلة الدكتور الشيخ أحمد الشرباصى من الجامع الازهر بعد الصلاة عليه فشيعنا بتشييعه علما من أعلام الأزهر ، ورائدا فى الفكر الاسلامى ، وكاتبا عبقريا ، وخطيبا بارعا ، ومتحدثا شائقا فى المجالس والأندية والاذاعة المرئية والمسموعة ، ومؤلفا له أسلوبه المتميز ومنهجه العلمى ، ووفاؤه للكلمة . عرفته مذ جاء من معهد الزقازيق ليكون طالبا مستجدا بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٩ وقد جاء يحمل مؤلفاته «بين عهدين » وكأنه جاء من مسقط رأسه « البجلات » من أعمال محافظة دمياط ليجعل من كل مكان فى الوطن العربى والعالم الاسلامى مسقطا لكلماته ومقالاته ومؤلفاته. كان طموحا مشغوفا بطلب العلم مقبلا عليه راغبا فيه ، متحركا لا يهدأ ، منطلقا لا يستريح ، ان القاهرة المعزية على طولها وعرضها لم تشبع نهم الشيخ الصغير ، انه طموح جموح — ان صح التعبير ، فهو فى الدرس نجم الفصل يعب ما يلقى عبا ، دائم السؤال ان غم عليه شىء منه ، وفى خارج الفصل تراه فى مسالك المدينة يبتغى ندوة أو حفلا يشارك ويحاور ويخطب ، وفى المسجد تجده الشيخ الذى له مريدوه وسامعوه يتطلعون اليه ويلتفون حوله ، فاذا آوى الى

منزله عاش مع كتب العلم والأدب لا يترك شـــاردة ولا واردة الا أمسكها وعانقها وجعلها دليله الى هـدفه .

وقد أتيح له النشر من صـغره فنشر فى السـياسة الأسـبوعية وغيرها حتى التقى بأستاذه الشيخ محمود خليفة ، وعن صلته به كتب فى مجلة « الاســلام » الأسبوعية التى كان يصـدرها آل خليـفة : عبد الرحمن وعبد الفتاح ومحمود خليفة ، والأخير مهد له السـبيل ليعتلى المنابر ويخطب فى المساجد ، فكان ينيبه عنه ليخطب فى مسجد الشامية ، ومن هنا عرفته مساجد القـاهرة خطيبا لا يجـارى وكم سمعته يخطب فى مسجد الكخيـا والناس يعجبون به ويأخذون عنه، وقد حباه الله طلاقة لسان وقـوة حجة وبيان ، ينبعان من ايمـان راسـخ ، ويقـين لا يتزعـزع . وبجانب ذلك ينشر فصـــولا فى الأدب فى الصحف والمجلات كـل هذا وما زال طالبا ، وطالبا متفوقا الأول فى جميع سـنوات الكلية ، وتخرج فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٥ وكان الأول ، والأول الذى يقام له حفل فى قصر رأس التين مع أوائل الجامعـات والأول على الأوائل لان الأزهر لقدمه يقـدم على الجامعات الأخرى .. وقـد تحدث عن هـذا اليوم فى هـلال أغسطس ١٩٧٦ قال : « معنى هذا أنى سأكون أول من يصافح الملك» وسأله شـيخه عميـد كلية اللغة العربية فى ذلك الوقت الشـيخ الجبالى : هل تعرف طريقة السلام على الملك؟ وهل هناك طريقة خاصة؟ ذهل الشيخ وهتف .. ياخبر أسود يجب أن تقبـل يـده . يقـول الشرباصى : لـكنى صرت مـن أصحاب الفضيلة فكيف أقبل يـد انسـان ؟ ولم تعجب الشـيخ فلسفته ، فأمره بتنفيذ ما أشار به اليه ، وطمأنه الشرباصى فهدأ قليلا ولكنه عاد يقول : لاتنسى تقبيل يد مولانا . ويروى فقيـدنا تمـام القصة على حسب ما جرى : «كان الواقف خلفى مـن طابور الأوائل الزميل محمـد السيد بكر ، وانتهز الزميل غفلة من الشيخ وهمس لى من خلفى ماذا ستصـنع ؟ وعاد

الشيخ يقول : لا تنس يد مولانا .

وجاءت الاشارة بالتقدم الى مصافحة الملك الذى كان يقف على مرتفع خشبى ، الى جانبه الشيخ المراغى وتقدم الشيخ الجبالى بثيابه الفضفاضة ونطق باسمى ودرجتى العلمية .

وببساطة تقدمت مرفوع الرأس وسلمت على الملك يدا بيد وقد غرق الشيخ فى ذهوله وقد أعجب الشيخ المراغى بموقفه فقال له : « أرجو أن تكون عالما عزيزا كما كنت طالبا موفقا . »

ولم يدر الشيخ أنه قد أهل نفسه ليكون أعلى درجة من تلك الدرجة التى دفعته الى مصافحة الملك فجد حتى نال الماجستير ثم الدكتوراه ، ولكن هذه المؤهلات العلمية والتفوق فيها ليست هى كل الشيخ الشرباصى ، فالرجل منذ حفظ القرآن وتأدب بآدابه جعل ينظر الى الاسلام وأهله نظرة المسئول عنه ، فكان أن تجرأ لنشر مفاهيم القرآن ، يكتب ويؤلف ويخطب ويذيع ، ألا تراه يقول : ان أستاذى الأول والأعلى هو القرآن الكريم . كان القرآن أول كتاب فى الوجود فتق لسانى وعلمه كيف ينطق الحرف الصحيح من مخرجه مضبوطا ، والكلمة الفصيحة محكمة .. وعلمنى الطريقة الى الحفظ . لقد حفظ القرآن قبل أن يبلغ الحادية عشرة من عمره ، لذا تراه ضنينا عليه ، يعاود حفظه ، ويتأمل معناه ، ويتخذ منه سبيله الى اللفظة النافعة والكلمة التى تمس القلوب .

وكنا نظنه من تلاميذ الدكتور زكى مبارك فى الأدب ، لأنه كان معنيا بأدبه ولا سيما كتاب «النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى » ثم تكشفت لنا الأمور عن انسان بعيد المرامى يقبل على كل أديب ، وينهل من كل كتاب ويمزج القديم بالحديث فيخرجه أدبا رائعا ، وبحثا كثير المعانى حلو الألفاظ ، ورأيناه يعنى بالأعلام ممن خدموا لغتهم ووقفوا أنفسهم على تعريف مميزات دينهم للناس . له مؤلفات عن خامس خلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز وعن أمير البيان شكيب

أرسلان ، وعن رشيد رضا ، وبجانب ذلك « موسوعة الفداء » ومنها : « الفداء فى الاسلام » ، « فدائيون فى تاريخ الاسلام » و « أبطال عقيدة وجهاد » و « بين الوفاء والفداء » و « رجال صدقوا » وله كثير غير ما ذكرنا . وله مقالات فى مجلة الأزهر شائقة ورائقة .

وانك لتعجب لهذا الفاضل الذى له كل هذا النشاط فى التأليف كيف تسنى له القيام بعمله أستاذا بكلية اللغة العربية ، وأمينا عاما لجمعيات الشبان المسلمين ، وعضوا فى المجلس القومى للخدمات ؟

وقد فرح المسلمون حين تولى وظيفته بالشبان المسلمين مع رئيسها العام فضيلة الشيخ الباقورى وأملوا خيرا فى توجيهاتهما السديدة ، وترشيد الرواد والقصاد للمعرفة الأصيلة والأفكار الصحيحة فى الافادة الدنيوية والأخروية .

وها هو ذا يسقط أحد الفرقدين وهو الشيخ الشرباصى ، فيعم الحزن ، ويعظم المصاب ، وتكبر الفجيعة . أنا لا أرثيه ولا أبكيه فقد كان الفقيد يكره البكاء والرثاء فقد كان قوى الشعور بالحياة له فن فى ربط الدين بالحياة وربط الحياة بالدين ليجعل المسلم راضيا بقضاء الله ، مدركا أن الحياة الأخرى خير وأبقى وفى هذا المجال أصدر أكثر من كتاب مثل : « الدين للحياة » و « بين الدين والدنيا » و « يسألونك فى الدين والحياة » و « توجيهات الرسول للحياة والأحياء » .

ومقالاته لا تقل أثرا عن كتبه ، وانها لغزيرة المادة ، طيبة الأداء ، فحبذا لو جمعناها من مظانها لتكون مرجعا للكبار ونموذجا للشباب ، ونبراسا للشداة .

نعم غاب نجمنا المفضل ولكن آثاره وأخباره خليقة أن تجعله بيننا معلما ومرشدا ورائدا فى الخير والحب والجمال والوفاء . رحمه الله وأدخله فسيحات جناته بمقدار ما أدى وأسدى .

السيد حسن قرون

الشرباصى فى سطور

ولد أحمد الشرباصى بالبجلات عام ١٩١٩ حفظ القرآن وتعلم فى المدرسة الالزامية بالقرية

طلب العلم فى المرحلة الابتدائية بمعهد دمياط

وفى معهد الزقازيق الثانوى أمضى سنوات الدراسة به وكان كشافا يقوم بالرحلات الكشفية .

دخل كلية اللغة العربية عام ١٩٣٩ وتخرج فيها عام ١٩٤٥

آخر مؤهل دراسى الدكتوراه

قام بالتدريس بالمعاهد ثم فى كلية اللغة العربية

من المناصب العامة التى تولاها

الامين العام لجمعيات الشبان المسلمين .

من حبه للمعرفة تبرع بمكافأة الأولية للشهادة العالية عام ١٩٤٣ بمبلغ المكافأة وهو عشرون جنيها لانشاء مجلة كلية اللغة العربية .

توفى رحمه الله فى ١٤/أغسطس ودفن فى اليوم التالى ١٥/٨/١٩٨٠ م

أسرة المجلة تنعى فقيد الأزهر والاسلام وتسأل الله له الرحمة وأن يسكنه فسيح جناته انه سميع مجيب .

أهل الذمة وواجباتهم في بلاد الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

أشرنا من قبل الى الواجب الأول : الواجبات المالية واليوم نتحدث عن الواجب الثانى .

التزام الذميين بأحكام القانون الاسلامى

لما كان الذميون بمقتضى عقد الذمة يحملون جنسية الدولة الاسلامية كان عليهم أن يتقيدوا بقوانينها التى لا تمس عقائدهم وحريتهم الدينية .

فليس عليهم أى تكليف من التكاليف التعبدية للمسلمين ، أو التى لها صبغة تعبدية ، أو دينية مثل الزكاة التى تجمع بين الضريبة والعبادة — ومثل الجهاد الذى هو خدمة عسكرية وفريضة اسلامية — ومن أجل ذلك قرر الاسلام عليهم الجزية بدلا من الجهاد والزكاة — رعاية لشعورهم أن يفرض عليهم ما هو من عبادات الاسلام .

وفى أحوالهم الشخصية والاجتماعية لا يتعرض الاسلام لهم فيما يرونه مباحا فى ملتهم ، (وان كان قد حرمه الاسلام) كما فى الزواج والطلاق والميراث وأكل لحم الخنزير .

فاليهودى الذى يتزوج بنت أخيه ، والنصرانى الذى يأكل الخنزير ، والمجوسى الذى يتزوج

احدى محارمه ، لا يتدخل الاسلام فى شئونهم هذه ماداموا يعتقدون حلها ، لكن اذا طلبوا الاحتكام الى شرع المسلمين فى هذه الأمور حكمنا فيهم بحكم الاسلام تطبيقا لقوله تعالى : **(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)** سورة المائدة ٤٩ — ومن هنا كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة يحتكمون اليها وان شاءوا لجأوا الى القضاء الاسلامى ، وفى ذلك يقول المؤرخ النصرانى الغربى آدم ميتز فى كتابه : — (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) لما كان الشرع الاسلامى خاصا بالمسلمين فقد حلت الدولة الاسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم — وقد كانت محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضا — وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون ، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل الى جانب ذلك مسائل الميراث ، وأكثر المنازعات التى تخص المسيحيين وحدهم ، مما لا شأن للدولة الاسلامية به ، على أنه كان يجوز للذمى أن يلجأ الى المحاكم الاسلامية ، — ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر الى ذلك بعين الرضا — أما فى بلاد الأندلس فكان النصارى يفصلون فى خصوماتهم بأنفسهم وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضى المسلم الا فى مسائل القتل ، هذا كله — يشير الى مدى سماحة الاسلام ، وتنازل المسلمين عن شىء من سلطة دولتهم القضائية على كافة رعاياها للمسيحيين وقتئذ ، لكن كقاعدة عامة فانه من المسلم به فيما عدا مسائل الأحوال الشخصية يلزم الذميون أن يتقيدوا بأحكام الشريعة الاسلامية فى الدماء ، والأموال والأعراض ، أى فى نواحى القوانين المدنية ، والتجارية والجنائية ، ونحوها شأنهم فى ذلك شأن المسلمين .

فكل ما جاز من بيوع المسلمين وعقودهم جاز من بيوع أهل الذمة

وعقودهم ، وما يفسد منها عند المسلمين يفسد عند الذميين ، خصوصا عقود الربا فلا يقرون عليها مهما كانت الأحوال .

أما بالنسبة للجرائم التى يرتكبها الذميون ، فان القانون الجنائى الاسلامى هو الواجب التطبيق عليهم — ومن هذه الجرائم جريمة قطع الطريق ، فيعاقبون عليها بالعقوبات المقررة لهذه الجريمة ، فيقتل الذمى أو يصلب اذا قتل وأخذ المال — ويقتل بلا صلب اذا قتل ولم يأخذ مالا وتقطع يده ورجله من خلاف اذا أخذ المال ولم يقتل — وينفى من الأرض اذا أخاف الناس فقط فلم يقتل ولم يأخذ مالا ، وان كان هناك خلاف قليل بين فقهاء الاسلام فى بعض جزئيات تلك العقوبات ، وهل ينتقض بهذه الجريمة عقد الذمة مع تفصيلات كثيرة يمكن الرجوع اليها فى كتب الفقهاء المختلفة عن هذه الجريمة ، وعن جريمة الزنا وكذا جرائم الاعتداء على النفس وجرائم الاعتداء على ما دون النفس ، كقطع اليد والرجل واتلاف السمع والبصر ، واحداث الجراحات فى الرأس والوجه أو احداثها فى سائر البدن ، وأيضا جرائم الاعتداء على الأموال .

أما جريمة شرب الخمر فان الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة يستثنون الذميين من عقوبة شرب الخمر ، لأنهم لا يؤمنون بحرمتها ، وذهب علماء الظاهر الى وجوب تطبيق عقوبة شرب الخمر على شاربيها مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، وعند الشيعة الامامية يحدون اذا تظاهروا بشرب الخمر ، وعند الزيدية يحدون اذا سكروا لتحريم السكر عليهم — ويرى الحسن بن زياد وهو من تلاميذ الامام أبى حنيفة أنهم يحدون اذا شربوا وسكروا لأجل السكر لا لأجل الشرب .

حكم مواريث الذميين فى الوقت الحاضر ببلادنا المصرية

تخضع مواريث جميع المصريين حاليا من مسلمين وغير مسلمين لقانون المواريث رقم ١٩٤٣/٧٧

أما تعيين الورثة وتحديد أنصبائهم فتسرى فى شأنها أحكام الشريعة الاسلامية ، وذلك طبقا لنص المادة ٨٧٥ من القانون المدنى والتى تنص على ان (تعيين الورثة وتحديد أنصبائهم فى الارث وانتقال أموال التركة اليهم تسرى فى شأنها أحكام الشريعة الاسلامية ، والقوانين الصادرة فى شأنها) وجاء فى المذكرة الايضاحية لهذه المادة أن المشرع حسم بهذا النص الخلاف القائم فى أمرين جوهريين فى الميراث — فقضى بأن الشريعة الاسلامية هى التى تطبق فى ميراث المصريين حتى ولو كانوا غير مسلمين ، حتى لو اتفقوا جميعا على تطبيق قانون ملتهم •

الواجب الثالث : احترام شعائر المسلمين ومشاعرهم

على الذميين وهم يعيشون فى حماية الدولة الاسلامية التى تظلهم بحمايتها ورعايتها أن يراعوا شعور المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم ، ولايحملوا على جرح مشاعرهم •

١ — فليس لهم أن يروجوا علنا من العقائد والأفكار ما ينافى عقيدة الدولة الاسلامية ودينها ، سواء بالطبع أو بالنشر أو ما شابه ذلك •

٢ — ولا يجوز لهم أن يسبوا الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يطعنوا فى القرآن الكريم جهرة •

٣ — ولا يجوز لهم أن يتظاهروا بشرب الخمور ، وأكل الخنازير — ونحو ذلك مما يحرم فى دين الاسلام — كما لا يجوز أن يبيعوها لأفراد المسلمين — لما فى ذلك من افساد للمجتمع الاسلامى •

٤ — وعليهم ألا يظهروا الأكل والشرب فى نهار رمضان ، مراعاة لعواطف المسلمين •

٥ — وليس لهم أن يدقوا نواقيسهم بلا داع أو مبرر فى وقت أداء صلاة الجمعة عند المسلمين وأعيادهم أو غيرها من الصلوات الخمس •

٦ — وعليهم ألا يظهروا الشماتة والفرح بنكبات المسلمين ، كما حدث من يهود المغرب بعد هزيمة العرب وسقوط مدينة القدس فى ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ ، فلقد قام يهود المغرب باظهار فرحهم وتعليق الزينات والأنوار على منازلهم ومحال اعمالهم وتجارتهم .

٧ — وليس لهم أن يتصلوا بأعداء المسلمين والانضمام اليهم ، أو التخابر معهم أو مراسلتهم لا فى وقت السلام ، ولا فى وقت الحرب كما حدث من نصارى بلاد الشام ، اذ انضموا الى التتار ضد مواطنيهم المسلمين .

٨ — وكل ما يراه الاسلام منكرا فى حق أبنائه — وهو مباح فى دينهم فعليهم — ان فعلوه — ألا يعلنوا به ولا يظهروا فى صورة المتحدى لجماهير المسلمين ، حتى تعيش عناصر المجتمع كلها فى سلام ووئام .

أورد الطبرانى فى مجمع الزوائد عن عرفة بن الحارث — وكانت له صحبة مع النبى صلى صلى الله عليه وسلم — وقاتل مع عكرمة بن أبى جهل باليمن فى حروب الردة ، أنه دعا نصرانيا الى الاسلام فذكر النصرانى النبى صلى الله عليه وسلم فتناوله (أى بسوء القول) فرفع ذلك الى عمرو بن العاص فقال عمرو قد أعطيناهم العهد — فقال عرفة معاذ الله أن نكون أعطيناهم العهود والمواثيق على أن يؤذونا فى الله ورسوله ، انما أعطيناهم على أن نخلى بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم وألا نحملهم مالا طاقة لهم به — وأن نقاتل من ورائهم — وأن نخلى بينهم وبين أحكامهم الا أن يأتونا فنحكم بينهم بما أنزل الله فقال عمرو صدقت .

وبعد

فهذه هى حقوق الذميين وواجباتهم فى بلاد الاسلام تقررت من شريعة الاسلام الخالدة تلك الشريعة التى قامت على أساس القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وكلاهما

وحى من الله تعالى . هى شريعة عامة لجميع البشر شاملة لجميع شئونهم وأحوالهم ، خالدة خلود الزمان لا يلحقها نسخ ولا تبديل، لأنها خاتمة شرائع السماء ، وصالحة لكل زمان ومكان ، لأن الله تعالى حفظها بقيامها على دعائم ثابتة لا تميل الى باطل أو انحراف .

فمبادئها ربانية الأصول ، دينية الصبغة ، ولهذا وجدت من القبول والاستجابة السريعة بين البشر ما لم تجده أى شريعة أخرى ، هى لا تضيق بحاجات الناس ، وما يستجد من أمورهم وأحوالهم وغايتها ايصال الناس الى سعادتهم فى الدنيا والآخرة - وقد كان لأحكام الشريعة الاسلامية السيادة فى التطبيق قرونا فى الماضى عديدة فما وجد الناس فى ذلك الزمان حاجة الى استيراد تشريع بدلا منها ، ولا حتى ضيقا فى تطبيقها .

ولما أصاب المسلمين ما أصابهم من ضعف ، وصارت الكلمة عليهم للحاقدين والمستعمرين من أعداء الاسلام ، هجروا شريعة الاسلام هجرا غير جميل ، ودفعوا الى الأخذ والاستعاضة عنها بتشريعات وضعية غربية ، (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفاتهم أنهم يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وأن فعلهم هذا لا يجوز فى شرع الاسلام لأن الله جلت كلماته حذر المسلمين من الالتجاء الى غير شريعته ، والاستعانة أو الاستعاضة بغير حكمه ، فيقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** سورة المائدة ٤٤ **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** سورة المائدة ٤٥ **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** سورة المائدة ٤٧ . لكن مع هذا كله فهناك آمال كبار فى رجعة المسلمين الى أحكام شريعتهم ، ونبذ كل ما يخالفها من قوانين ، لأن الحق لابد أن يعلو ، وأن المسلمين لابد وأن يستيقظوا ، ويدركوا مدى خسارتهم فى ترك شريعتهم ، ومدى تفريطهم فى عدم الالتفات اليها ، ومما يشجع على هذا الأمل ان لم يكن قد

تحقق فعلا ما حدث فى جمهوريتنا المصرية أخيرا من استفتاء بتاريخ ٧ رجب سنة ١٤٠٠ هـ — ٢٢ مايو سنة ١٩٨٠ م ، فلقد وافق الشعب المصرى المسلم بأغلبية ساحقة بلغت ٩٦ ر ٩٨ ٪ وأعلنت الجماهير المسلمة على اتساع أرض مصر ترحيبها وسعادتها للشريعة الاسلامية باعتبارها المصدر الرئيسى للتشريع •

وأهل العلم وفقهاء الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، وليس فى مصر وحدها ، مدعوون اليوم الى مضاعفة الجهد فى التأليف والانتاج ، واستنباط الحلول الاسلامية لكل مشكلة أو معضلة مما استحدثته الحياة فى زماننا المعاصر ، فهم بهذا يؤدون واجبا نحو الاسلام ، ويقدمون خدمة جليلة لا للمسلمين فحسب بل للبشرية جمعاء ، لأن شريعة الاسلام قامت على أساس وحى الله ، والله أعلم بما يصلح لعباده يقول الله تعالى : **(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** سورة الملك ١٤ •

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

الى السادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصال بتوزيع الأخبار فى بلادهم •

شاعر فى خدمة الإسلام
محمد إقبال منشئ باكستان

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

فى مقال سابق عرضت كتاب « روائع اقبال » للكاتب الاسلامى الكبير العلامة أبى الحسن الندوى — حفظه الله وأطال حياته ذخرا للاسلام — وقد احتوى هذا العرض قبسات من حياة الشاعر الاسلامى العظيم « محمد اقبال » الذى وقف فكره وشعره وحياته على خدمة الاسلام ، ولفظ أنفاسه الاخيرة وهو يهتف باسمه .

فكان من الحق له أن نقدمه للقراء الكرام فى هذه السطور ، وفاء له وتكريما لجهاده ، وشعلة مضيئة أمام كتابنا وأدبائنا وشعرائنا ، ليضعوا أقلامهم ومواهبهم فى خدمة هذا الدين العظيم ، الذى شرفنا الله به ، وهدانا اليه ، وجعلنا به من خير أمة أخرجت للناس ، ومرجعى فى هذا التقديم بعض المصادر من بينها : «الشعر فى موكب الدعوة» للدكتور صادق عبد الحليم وغيره من المراجع المشار اليها فى الموضوع .

مولده ونشأته :

ولد محمد اقبال فى « سيالكوت » بالهند فى فبراير سنة ١٨٧٣ م فى أسرة عريقة فى الاسلام ، واشتهرت بعمق الايمان ، وكان أبوه صالحا تقيا ، تلقى ابنه على يديه مبادىء التعليم ، قبل أن يدخله مكتبا لتحفيظ القرآن الكريم وتعلمه ، وحين كبر قليلا اصطحبه الأب الى صديق له ضليع فى الادب الفارسى ، ومتقن للغة العربية ، وطلب اليه أن يعلمه

الدين الاسلامى ، ويعمقه فيه بدلا من أن يتعلمه فى المدرسة ، ذلك أن القسط الذى يتضمنه منهج المدرسة غير واف بالقصد فى نظر الاب الصالح ، وهو يريد لولده أن يوفى على الغاية فى دراسته .

وهكذا كان للأب أثر كبير فى توجيه دراسة ابنه ، بالاضافة الى سلوك هذا الاب القويم ، وايمانه العميق الذى ترك أثره العظيم الواضح فى الابن .

قال له حين رآه يكثر من قراءة القرآن الكريم : ان أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك . وهى كلمة لها معناها تدل على منزلة الرجل فى الفهم واليقين .

وقال مرة لابنه وقد رآه ينهر سائلا : انظر يابنى الى شيبتى واضطرابى وقلقى ولا تقس على أبيك ، ولا تفضحه أمام مولاه ، انك كم فى غصن المصطفى فكن وردة من نسيم ربيعه ، وخذ من ربيعه نصيبا من الريح واللون ، لابد لك أن تظفر من خلقه بنصيب .

ولقد كان لاقبال استعداد تام لقبول تعاليم والده ومعلمه ، ولقد أعجب به أستاذه حين رأى نجابته وذكاءه ، واقباله على التعليم بغير كلل أو ملل ، فعنى به عناية فائقة ، وأقبل على تعليمه اللغة العربية واللغة الفارسية وآدابهما ، الى جانب تعليمه الدين الاسلامى .

موهبته الشعرية

وظهرت موهبته الشعرية مبكرة، وكان ينظم شعره فى أول أمره باللغة البنجابية فنصحه أستاذه أن ينظمه باللغة الاوروبية ، وكانت هى لغة الادب والكتاب ، وكانت سنه حين أنهى الدراسة فى الكلية الأسكونية سنة ١٨٩٥ م اثنين وعشرين عاما ، انتقل بعدها الى لاهور حيث التحق بكلية الحكومة ، وظل يتزود من العلم ، والثقافة محققا نبوغا عظيما فى اللغتين العربية والانجليزية ، بل أصبح أستاذا فى الفلسفة حاصلا على جوائز التفوق والتقدير فى مختلف المجالات .

وأسند اليه التدريس لمادة التاريخ والفلسفة فى الكلية الشرقية

بلاهور ، كما اختير لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية الحكومة التى تخرج فيها ، وقام بعدة رحلات الى الخارج ساعدت فى مضاعفة أفكاره وتنمية مواهبه وزيادة معلوماته ، وأسندت اليه مناصب مرموقة نجح فى أدائها كل النجاح .

قدومه الى مصر :

وزار الشاعر اقبال مصر سنة ١٩٣١ وهو فى طريقه الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى المسجد الأقصى ، وقد احتفلت به جمعية الشبان المسلمين احتفالا مشهودا ، وكان لحفاوة اللقاء به أثر عظيم فى نفسه ، وثارت أحاسيس الوحدة الاسلامية التى كان يدعو اليها فى قلبه ، تلك الوحدة التى تربط بين المسلمين فى مختلف الأقطار على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم برباط المحبة والوئام ، وأشعره مقامه فى القاهرة بأنه ليس غريبا فيها ، فالقاهرة وطن كل مسلم حيث تعمر بالقباب والمآذن التى تنطلق من فوقها صيحة الله أكبر فتتجاوب معها مشاعر المسلمين ، وتهتز لها جوانحهم لا فرق فى ذلك بين لسان ولسان .

لقد أحبت مصر بكل وجدانها هذا المفكر والشاعر الاسلامى العظيم ، حتى لقد حزنت لوفاته فى ابريل عام ١٩٣٨ حزنا شديدا ، وأقامت له حفل تأبين تناوب فيه الخطباء والشعراء الكلام يثنون فيه على جهوده ، ويمجدون كفاحه وجهاده، وكان مما قاله فيه الاستاذ عبد الوهاب عزام صديقه ومترجم بيانه « وقف قلب كبير كان يحاول أن يصوغ الامة الاسلامية من كل ماوعى التاريخ من مآثر الابطال وأعمال العظماء ، مات محمد اقبال الذى وهب عقله وقلبه للمسلمين والبشر أجمعين » .

اقبال والجامعة الاسلامية :

لقد كان اقبال عميق الايمان بحضارة الاسلام ، ظهر ذلك فى آرائه وأشعاره ، وتتجلى مثالية الاسلام عنده فى عصر الخلفاء الراشدين – رضوان الله عليهم – حيث ظهرت الديموقراطية الحقيقية

فى صورتها المثالية ، بعيدة عن المظاهر والشكليات ، ولذلك ازداد حماسه للدعوة للجامعة الاسلامية ، لأن تفكك المسلمين فى العصر الحاضر يحول دون تقدمهم ، ويعوقهم عن الوصول الى المثالية التى يدعو اليها الاسلام ، ويجعلهم فريسة لاحول لها فى براثن الاستعمار .

كما كان ينزع الى قيام دولة مستقلة فى الهند — هى التى ظهرت بسبب دعوته فى دولة باكستان — ولو أدى ذلك الى معارضة الهندوس والانجليز ، حيث كانت الهند فى ذلك الوقت تحت التاج البريطانى .

ولقد انتخب بالاجماع فى الجمعية التشريعية فى بنجاب، وكان لرئاسته للرابطة الاسلامية أثر كبير فى اذاعة أرائه التى صدرت عن شعور منه بالتبعة التى يحملها ، كما كانت أحوال المسلمين آنذاك فى الهند وما جاورها سيئة تثير مشاعر المؤمنين الغيورين على دينهم ، وفى مقدمة هؤلاء اقبال .

ولا حل فى نظره لمشاكل المسلمين الا الوحدة والترابط ، والاتحاد فى جامعة اسلامية متعاونة ، تقضى على روح التنافس والتباغض الذى تثيره العصبيات ، والجمعيات الكثيرة المتناحرة . كان ينظر الى الامور نظرة واقعية ، ويدرك بثاقب فكره أنه لا أمل فى وحدة كاملة بين المسلمين الا عن طريق التعاون أولا بين تلك الجمعيات ، الذى يكلل فى النهاية بالوحدة الكاملة ، ومن مأثوراته فى ذلك . « ان الفرق الاجتماعية والجماعات الدينية فى الهند لا تقبل التغاضى عن أشخاصها من أجل الوحدة الهندية حتى ينشأ لديها الشعور بوحدتها » .

أراء اقبال وفلسفته :

يقول صاحبا كتاب باكستان المعاصرة عن فلسفة اقبال : انها فلسفة كاملة مشرفة باسمه متفائلة، مستمدة من الاسلام . فلسلفة كلها عمل وجهد وبناء ، تجمع بين وجود الذات وايمان القلب ، أولها الفرد وآخرها الجماعة ، وطريقها الجهد والحب ، وغايتها الدين .

ان هذه الفلسفة هى التى ينشدها

الاسلام ويعمل لها ، والقـــرآن الكريم يدعو المسلمين جميعا الى العمل ويحذرهم من الكسل ، قال تعالى : **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»** وفى ذلك احترام لفطرة الانسان ، وحسـن استغلال لقدراته الممنوحة لـــه ، وطاقاته التى وهبها الله له ، ان الله ــ جلت قدرته ــ يمنـــح النصر للمجاهد والنجاح للمكافح المجد ، والثمار للمجتهد ، لقــد خاض الاسلام ــ كما يقول صاحب كتاب واقعية المنهج القرآنى ــ معارك منتصرة لأن جنودها بذلوا أقصى جهودهم ، وخاض معــارك دون ذلك ، لان جنودها لم يحققوا شرط النصر فى أنفسهم .

ان فلسفة اقبال التى كان يدعولها ويتحدث عنها دائما فى أشعاره ، وخطبه وآرائه ، تقوم على عاملين هامين هما : بعث الايمان فى الفرد ليؤمن بذاته ،ووجوب تنشئته نشأة صالحة ليحقق الكمال فى المجتمع ، ثم العمل الجاد المثمر الذى يقضى على داء التواكل الذى ينخـــر فى جسم الامة الاسلامية ، كما يقضى على اليأس القاتل المميت ، الذى يسلم الى السلبية والنكوص ، ومن شعره فى ذلك الذى استشـــهد به مؤلفا كتاب باكستان المعاصرة وهما الاســتاذان حمدى حافظ ومحمود الشرقاوى :

عش ســـاعة فى لجج البحـــار
ومت شـــهيد الموج والتيـــار
ولا تعش دهرك عيش الخامل
مقيدا بين صخور الســـــاحل

واقبال : يحق له أن يحتفــل بهذه الدعوة ، لان الشرق بعامة اجتاحته فى القرون المتأخرة هـــذه الافة ، آفة التواكل والكســـل ، فأصابته فى الصميم ، وأقعدته عن التلفت الى تراثه القديم ، الذى يجب أن يستمد منه مقومات النهضة واليقظة ، التى تكفل له التقدم فى الحياة ، لقد غفل المسلمون عـــن حقائق دينهم ، وانساق بعضـــهم وراء الافهام الخاطئة ، ومن بينها أن التوكل معناه ترك العمـــل ، والعقود عـــن طلب الرزق ، حتى أصبح شغل المصلحين الشـــاغل تصحيح هذه المفهومات . ومن بين هؤلاء اقبال الذى نعى على بعض

الناس احترافهم التسول ، معطلين بذلك قدراتهم التى وهبها الله لهم، وقال فى ذلك :

أيها الجانى من الليث الخراج
صرت كالثعلب خبا باحتياج
ذلك الاعواز أصل العلك
كل أدوائك من ذا المعضل
من كنوز الدهر أخرج ما تريد
وخذ الصهباء من دن الوجود

فهو يدعو الى القوة والكفاح ، وينفر من وسائل الاحتيال التى يلجأ اليها المتسولون ، ان التسول فى رأيه مرض يسلب الافكار السامية ، ويطفىء الخيال الشريف، وبالسؤال يصبح الفقر أشد حقارة والفقير أشد فقرا ، انه يقول « مهما كنت فقيرا وبائسا وغارقا فى المحن ، فلا تطلب خبز يومك من احسان الناس ، اسأل الله الشجاعة وصارع القدر ، تعسا لمن يقبل منح الاخرين ، ويحنى رقبته للعطايا ، لقد باع شرفه بدرهم بخس، وسعدا للرجل الذى يقتله العطش فى الشمس ، ولايتوق للاكسير فى كوب ماء انه مازال رجلا وليس قطعة من طين .

فى الحب والتصوف :

واذا كان هذا هو رأى اقبال فى تحقيق ذاتية الانسان ، ودعوته الى العمل ليكمل نفسه ، فان رأيه فى الحب أنه هو الذى يطهره من الشهوة والانانية ، ويقوى هذه الذاتية ويدفعها الى الكمال . ويقول فى ذلك :

« كان وجودى تمثالا ناقصا لا قيمة له ولا ترتاح له العين
فأعمل الحب ازميله فيه فصرت رجلا
وكسبت المعرفة الحقة لطبيعة الكون والوجود ...
النقطة المثيرة التى تسمى الذات ، هى شرارة الحياة تحت التراب
جعلها الحب خالدة وأكثر حيوية واحتراما ووهجا
ومن الحب بدأ شعاع وجودها ، ونمو قدرتها المجهولة
وشرارة الحب المقدس تجعل القلب العذب شعلة من نور ، والقلب من حجر الصبابة .
يزدهى خصبا ، وينبت فيه نخل الطور . »

وما أشبه هـذا الحب بحب الصوفية الذى يصهر أرواحهم فى بوتقته ، فينقى أرواحهم ويطهر نفوسهم ، ويبرز حقيقتهم ، فتنكشف أمامهم حقائق الاشياء ، ويبصرون مالاعين رأت ، ويدركون مالا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •

لقد كان اقبال صوفيا •ورث ذلك عن أبيه ،واكتسبه منروحهالشفاف ولا شك أن يكون لذلك أثره الذى يحقق — كما يقول اقبال — معنى خلافة الانسان لله فى الارض ، تحقيقا لقوله تعالى : **« انى جاعل فى الارض خليفة »** ولا يتم ذلك الا اذا ربى الانسان ذاته عن طريق التمرس بقوانين الدين ، والسير على تعاليمه واحياء الضمير، والوازع الدينى الذى يحيى ميزان المراقبة فى نفسه ، فبذلك يصبح الانسان سيد الكائنات •

أثر اقبال :

لقد أثر اقبال بأفكاره هذه فى نفوس المسلمين ، التى التقت مع ما يتوقون اليه ، من سمو ورفعة هم بها جديرون ، لان دينهم هو مصدر السمو والرفعة ، ومنبع المجد والعظمة ، وقد ألفت كتب كثيرة بالأردية والانجليزية فى سيرته وفلسفته ، وكتبت مقالات لا حصر لها فى فضله وأثره ، وأما آثاره فهى كثيرة ، تظهر فى دواوينه المتعددة ، التى كتبها باللغة الأردية والفارسية ، والتى عرض العلامة الندوى بعضها فى كتابه الذى سبق أن عرضته فى المقال السابق بعنوان « روائع اقبال » • وأشعاره تتضمن أفكاره وآراءه ، وقد صاغها فى أساليب متعددة ، من بينها : الاسلوب القصصى والتعليمى ، ومن بينها : الوصف والشعر الغنائى والوجدانى •

يقول فى قصيدة له يخاطب أمة العرب ، وينعى عليها تصرفها مع أنها أول أمة جاوزت حدود النسب والوطن ، وآخت بين الناس ، وهجرت كل غوى يتبع أبا لهب :

هل يسعد الكافر الهندى منطقه

مسائلا أمراء العرب فى أدب من أمة قبل كل الناس قد أخذت

بحكمة فأعانتها على النـــوب
أخـــاء كل تقى دون تفرقـــة
وهجر كل غـــوى من أبى لهب
ما من حدود وأرض كان منشؤها
من أحمد العرب كانت أمة العرب

الشخصيات الاسلامية فى شعره :

ومن المعانى التى صاغ اقبـال حولها أشعاره الاسلامية ، غـير تلك المعانى التى أشرنا اليها ، تمجيد الشخصيات الاسلامية ، ومن ذلك قصيدته فى السيدة فاطمة الزهراء — رضى الله عنها — التى يقـول فيها :

نسب المسيح بنى لمريم سـيرة
بقيت على طـول المـدى ذكراها
والمجد يشرق من ثلاث مطالـع
فى مهد فاطمة فما أعلاهـــا
هى بنت من هى زوج من هى أم
من • من ذايدانى فى الفخار أباها ؟
هى ومضـة من نور عين المصطفى
هادى الشعوب اذا تروم هواها

وفيها يقول :

لولا وقوفى عند أمر المصـطفى
وحدود شرعته ونحن فداهـــا
لمضيت للتطواف حول ضريحهـا
وغمرت بالقبلات طيب ثراها ••

ولعله من حسن الختام أن نعرض نموذجا آخر حول مطلع النور ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه مترجما بقلم الشيخ صـاوى شعلان مترجم القصيدة السابقة :

« يا ثروة وجودنا وكنز أمانينا • سل ربك أن ينقذ حياتنا من الحرص على الحياة ، فان الخوف عـلى ضياعها هو الموت قبل الممات •

« يا من هدمت أصـنام اللات والعزى ومناة ، وألقيت بها جذاذا على الثرى وجددت حياة الكائنات بعد البلى •

« فى طريق الذكر والفكر معـا
فى جميع الخلق من انس وجان
« أشرق النور فكنت المطلعـا
ياصلاة الصبح يا صوت الأذان

« لقد وجدنا صفة الاحتراق ونعيم الأشواق من جذوة لا اله الا الله وانقشع ظلام لياليبنا بنورها •

« لقد حررتنا بالسجود لله مـن السجود لمن عداه ، رأس مالنـا ذكراك التى حفظت لهذه الامة على رغم فقرها ثروة العزة والكرامة •

« أنت العلم الذى يهـــدى السالكين الى مقامات الصـــدق والمنار الذى يمـــد كل ركب فى طريق الحق ، ولكن معذرة اذا بدت قيثارتى خافتة الرنين ، فقد ثقــل العزف على أوتارها ، وحتى لــو انطلق منها النغم فلم تعد تجــد سامعا أو مستجيبا .

« لو أن هذا المســلم تنبه الى قيمة نفسه لاستطاع أن يخلق فى هذا العالم دنيا جديدة يتبوأ منهـا حيث يشاء .

« يا صاحب الرسالة أيقظ هذا النائم ، وقل له : قم باذن اللـــه لتبعث فى كيانه مرة أخــرى روح الحيــاة » .

رحم الله الشاعر العظيم اقبال الذى طوف بشعره حول كثير مــن المعانى ، وكانت له أراؤه فى مختلف مناحى الحياة ، وتوجيهاته التربوية السليمة السديدة ، التى ظهــر بعضها فى العرض السابق ، والتى كان لها أثرها المشرق العظيم .

لقد كان مسلما حقا ، يشهــد بذلك أثره الخالد ، وذكراه العاطرة، وتاريخه المشرق ، لقد كانت آخــر كلماته وهو يجود بنفسه ، « أنــا لا أرهب الموت . أنا مسلم أستقبل الموت راضيا مسرورا » .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

أهداف سورة محمد صلى الله عليه وسلم

للدكتور عبد الله محمود شحاته

سورة محمد سورة مدنية وآياتها ٣٧ آية ، نزلت بعد سورة الحديد ولها اسمان : سورة محمد، وسورة القتال .

والقتال عنصر بارز فى السورة ، بل هو موضوعها الرئيسى ، فقد نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة الاحزاب . أى فى الفترة الاولى من حياة المسلمين بالمدينة ، حيث كان المؤمنون يتعرضون لعنت المشركين ، وكيد المنافقين ، ودسائس اليهود .

عناصر السورة

يمكن ان نقسم سورة محمد الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : يحرض على قتال المشركين ويحث عليه ،ويشمل الآيات من ١ ــ ١٥ .

القسم الثانى يفضح المنافقين ويكشف نفاقهم ، ويشمل الايات من ١٦ ــ ٣٠ .

القسم الثالث : دعوة المسلمين الى مواصلة الجهاد بالنفس والمال من الآية ٣١ ــ ٣٨ .

١ ــ التحريض على قتال المشركين

تبدأ السورة بالهجوم على المشركين وتبين هلاكهم وضياعهم وضلالهم ، لقد سلب الله عنهم الهدى والتوفيق ، فاتبعوا الباطل وانحرفوا الى الضلال اما المؤمنون فقد آمنوا بالله وبرسوله فكفر الله ذنوبهم ورزقهم صلاح

البال وهدوء النفس ونعمة الرضا واليقين .

وشتان بين مؤمن راسخ الايمان صادق اليقين معتمد على رب كريم حليم وبين كافر ضال يبيع الحق ويشترى الباطل ويفرط فى الايمان والهدى ، ويتبع الشرك والضلال.

ثم تحث السورة المسلمين على قتال المشركين ، وقطع شوكتهم وهدم جبروتهم ، وازالة قوتهم من طريق المسلمين . (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**)وهذا الضرب بعد عرض الاسلام عليهم وابائهم له ،(**حتى اذ أثخنتموهم فشدوا الوثاق**) والاثخان شدة التقتيل حتى تتحطم قوة العدو وتتهاوى فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع وعندئذ يؤسر من استأسر ويشد وثاقه (**فاما منا بعد واما فداء**) أى اما أن يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل واما ان يطلق سراحهم مقابل فدية من مال أو عمل أو فى نظير اطلاق سراح المسلمين المأسورين . (**حتى تضع الحرب أوزارها**) حتى تنتهى الحرب بين الاسلام وأعدائه المناوئين له .

ولو شاء الله لانتقم من المشركين وأهلكهم كما اهلك من سبقهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم ، ولكن الله اراد ان يختبر قوة المؤمنين وأن يجعلهم سبيلا لاعزاز الدين واهلاك الكافرين ، والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضيع اعمالهم فهم شهداء عند الله يتمتعون بجنات خالدة ونعيم مقيم وأرواحهم فى حواصل طير خضر تسبح حول الجنة وتأكل من ثمارها وتقيم فى الوان النعيم . وقد وعد الله الشهداء بحسن المثوبة والكرامة والهداية وصلاح البال ودخول الجنة لانهم نصروا دين الله فسينصرهم الله ويثبت اقدامهم ، كما توعد الكافرين بالتعاسة والضلال والهلاك جزاء كفرهم وعنادهم .

وتسوق السورة الوانا من التهديد للمشركين فتأمرهم أن يسيروا فى الارض فينظروا ماذا أصاب المكذبين من الهلاك والدمار ثم تمضى السورة فى ألوان من

الحديث حول الكفر والايمان فتصف المؤمنين بأنهم فى ولاية الله ورعايته والكفار محرومون من هذه الولايـة .

وتفرق السورة بين متاع المؤمن بالطيبات ، وتمتع الكافرين بلذائذ الارض ، كالحيوانات **(ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم)** محمد/١٢ .

ان الفارق الرئيسى بين الانسان والحيوان ان للانسان ارادة وهدفا وتصورا خاصا للحياة يقوم على أصولها الصحيحة المتلقاة من الله خالق الحياة . فاذا فقد هذا فقد أهم خصائص الانسان المميزة لجنسه ، وأهم المزايا التى من أجلها كرمه الله .

ثم تمضى السورة فى سلسلة من الموازنات بين المؤمن المتيقن والكافر الذى اتبع هواه وشيطانه وزين له سوء العمل **(أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم)** .

كما تصف الايات متاع المؤمنين فى الجنة بشتى الاشربة الشهية ، من ماء غير آسن ، ولبن لم يتغير طعمه ، وخمر لذة للشاربين وعسل مصفى ، فى وفر وفيض .. فى صورة أنهار جارية .. ذلك مع شتى الثمرات ومع المغفرة والرضوان ثم سؤال : أهؤلاء المتمتعين بالجنة والرضوان **« كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ؟ »** .

٢ ــ خصال المنافقين

تشمل الايات من ١٦ ــ ٣٠ المقطع الثانى من سورة محمد . وفيها حديث عن المنافقين وصفاتهم وحركة النفاق حركة مدنية لم يكن لها وجود فى مكة نظرا لضعف المسلمين فى مكة وتفوق أعدائهم . فلما هاجر المسلمون الى المدينة وبدأ شأن الاسلام فى الظهور والاستعلاء ، بدأت حركة النفاق فى الظهور والنمو وساعدها على

الظهور وجود اليهود فى المدينة ولهم قوة مادية وفكرية ، وكراهيتهم للدين الجديد ، وسرعان ما اجتمع اليهود مع المنافقين على هدف واحد ، ودبروا أمرهم بليل، فأخذ المنافقون فى حبك المؤامرات ودس الدسائس فى كل مناسبة تعرض ، فان كان المسلمون فى شدة ظهروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم ، واذا كانوا فى رخاء ظلت الدسائس سرية والمكايد فى الظلام ، وكانوا الى منتصف العهد المدنى يؤلفون خطرا حقيقيا على الاسلام والمسلمين • وقد تواتر ذكر المنافقين ووصف دسائسهم والتنديد بمؤامراتهم وأخلاقهم فى السور المدنية ، كما تكرر ذكر اتصالهم باليهود وتلقيهم عنهم ، واشتراكهم معهم فى بعض المؤامرات المحبوكة •

والحديث عن المنافقين فى سورة محمد يحمل فكرتها ويصور شدتها فى مواجهة المشركين والمنافقين • بل ان المنافقين هم فرع من الكافرين ، أظهروا الملاينة وأبطنوا الكفر والخداع • أو هم فرع من اليهود يعمل بأمرهم ، وينفذ كيدهم ومكرهم ، فمن هؤلاء المنافقين من يستمع الى النبى بأذنه ويغيب عنه بوعيه وقلبه ، فاذا خرج من مجلس النبى تظاهر بالحرص على الدين ، فسأل الصحابة عما قاله النبى سؤال سخرية واستهزاء أو سؤال تظاهر ورياء •

أولئك المنافقون قد طمس الله على افئدتهم فلا تفقه ، وقد اتبعوا أهواءهم فقادهم الهوى الى الهلاك •

بينما المتقون المهتدون يزيدهم الله هدى ويمنحهم التقوى والرشاد ، ثم يتهدد القرآن المنافقين بالساعة ، فاذا جاءت فلا يملكون الهداية ولا تنفعهم الندامة •

(فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) محمد /١٨ •

ثم تصور الايات جبن المنافقين وهلعهم وتهافتهم اذا ووجهوا بالقرآن يكلفهم بالقتال ، فهم

يتظاهرون بالايمان ، فــاذا انزلت سورة لاتشابه فيها وذكر فيهــا الجهاد رأيت المنافقين ينظرون اليك يا محمد نظرا كنظر من هو فى النزع الأخير ، تشخص أبصارهم ، لذلك كانوا جديرين بأن يهددهم اللــه بالويل والهلاك •

وتحثهم الايات على الطاعــــة والصدق والثبات **(فأولى لهــم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهــم)** محمد/٢١ •

وبذلك يفتح القرآن البـــاب لمن يريد الطهارة الحسية والنفسية من المنافقين ومن جميع المخاطبين•

ثم يحثهم عــلى تدبر القـــرآن وتأمله فان القرآن يحرك المشاعــر ويســـــتجيش القلوب ويخلص الضمير •

وتمضى الآيات فى تصــوير حال المنافقين ، وبيان سبب توليهم عن الايمان بعد اذ شــارفوه ، فيتبين أنه تآمرهم مع اليهود ، ووعدهــم لهم بالطاعة فيما يدبرون •

لقد كره اليهود الاسلام وتألبوا عليه ، فلما هاجر النبى الى المدينة شنوا عليه حرب الدس والمكــــر والكيد ، وانضم المنافقون لليهــود يقولون لهم سرا : **(سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم)**•

ثم يتهدد القــــرآن المنافقين ، بملائكة العذاب لانهم تركوا طريق الاسلام ، وانضموا الى دسائس الحاقدين عليه •

وفى نهاية المقطع يتهــــــددهم بكشف أمرهم لرسول الله صــلى الله عليه وسلم وللمسلمين الذين يعيشـــــون بينهم متخفين ، لان مافيك يظهر على فيك :

ومهما تكن عند امرىء من خليقـــة
وان خالها تخفى على الناس تعلم •

قال تعالى : **(أم حسب الــذين فى قلوبهم مرض أن لن يخــــرج الله أضغانهم ؟ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعـلم أعمالكم)** محمد/٢٩ و ٣٠ •

٣ ــ حديث عن المشركين والمؤمنين

المقطع الاخير من السورة يشمل الآيات ٣٢ ــ ٣٨ ، وقد تحــدث فى

بدايته عن المشركين وبين أنهم منعوا الناس عن الايمان بالله ، وأعلنوا الشقاق والعداوة لرسول الله ، وهؤلاء لن يضروا الله بكفرهم ، وسيحبط الله أعمالهم •

وتتجه الآيات الى المؤمنين فتأمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول وتأمرهم بالثبات على الحق حتى يأتى نصر الله •

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) محمد/٣٣ •

وهذا التوجيه يوحى بانه كان فى الجماعة المسلمة يومئذ من لايتحرى الطاعة الكاملة ، أو من تثقل عليه بعض التكاليف ، وتشق عليه بعض التضحيات التى يقتضيها جهاد هذه الطوائف القوية المختلفة التى تقف للاسلام ، وتناوشه من كل جانب ، والتى تربطها بالمسلمين مصالح ووشائج قربى يصعب فصمها والتخلى عنها نهائيا كما تقتضى العقيدة ذلك •

ولقد كان وقع هذا التوجيه عنيفا عميقا فى نفوس المسلمين الصادقين فارتعشت له قلوبهم وخافوا أن يقع منهم ما يبطل أعمالهم ويذهب بحسناتهم •

وتستمر الآيات فى خطاب المؤمنين ، تدعوهم الى مواصلة الجهاد بالنفس والمال دون تراخ أو دعوة الى مهادنة الكفر المعتدى الظالم ، تحت أى مؤثر من ضعف أو مراعاة قرابة أو رعاية مصلحة ودون بخل بالمال الذى لا يكلفهم الله أن ينفقوا منه الا فى حدود مستطاعة • مراعيا الشح الفطرى فى النفوس • واذا لم ينهضوا بتكاليف هذه الدعوة فان الله يحرمهم كرامة حملها والانتداب لها ويستبدل بهم قوما غيرهم ، ينهضون بتكاليفها ، ويعرفون قدرها ، وهو تهديد عنيف مخيف يناسب جو السورة كما يشير بأنه كان علاجا لحالات نفسية قائمة فى صفوف المسلمين اذ ذاك — من غير المنافقين — وذلك الى جانب حالات التفانى والتجرد والشجاعة والفداء التى اشتهرت بها الروايات ، فقد كان فى الجماعة المسلمة هؤلاء

وهؤلاء .. وكان القرآن يعالج ويربى لينهض بالمتخلفين الى المستوى العالى الكريم .

مقصود السورة اجمالا

قال الفيروزبادى : معظم مقصود سورة محمد :

« الشكاية من الكفار فى اعراضهم عن الحق ، وذكر آداب الحرب والاسرى وحكمهم ، والأمر بالنصرة والايمان ، وابتلاء الكفار فى العذاب ، وذكر انهار الجنة : من ماء ولبن وخمر وعسل ، وذكر طعام الكفار وشرابهم ، وظهور علامة القيامة ، والشكاية من المنافقين ، وتفصيل ذميمات خصالهم ، وأمر المؤمنين بالطاعة والاحسان وذم البخلاء فى الانفاق وبيان استغناء الحق تعالى وفقر الخلق فى قوله تعالى **(والله الغنى وأنتم الفقراء)** » (١) .

د : عبد الله محمود شحاته

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ١/٤٣٠ تحقيق النجار ، نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية . مطابع شركة الاعلانات الشرقية ١٩٦٤ م .

التنمية

أحد ضوابط منهج الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي

للدكتور رفعت العوضي

تحقيق التنمية هو احد ضوابط المنهج الاسلامى فى الاستثمار . ويعالج هذا الضابط ما يتعلق بالتنمية . ونتساءل فى البداية ماذا يعنى الضابط ؟

ان المقصود بهذا الضابط هو أن الاسلام يستهدف فى منهجه للاستثمار تحقيق التنمية ولا أريد أن أدخل فى المناقشة التى تثار دائما عن الفرق بين التنمية والنمو ، وان كنت أشير الى أننى استخدمت مصطلح التنمية ولم أستخدم مصطلح النمو ، كأحد ضوابط المنهج الاسلامى فى الاستثمار ، لان التنمية المقصودة اسلاميا هى أكبر من مجرد زيادة دخل الفرد فى المتوسط ، وهو المعنى الذى يفسر به عادة مصطلح النمو .

نتساءل مرة أخرى عن الأدوات التى يستخدمها الاسلام فى منهجه للاستثمار لتحقيق التنمية ؟

للاجابة على هذا التساؤل ، سوف أناقش أربعة عناصر أو أربع أدوات أعتقد أنها تمثل أدوات استخدمها الاسلام لتحقيق التنمية فى منهجه لاستثمار رأس المال : هى :

١ ـ الالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال .

٢ ـ الالزام بأن يغطى الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع .

٣ ـ الالزام بأن يكون أسلوب

مشاركة رأس المال كأحد عوامل الانتاج الأخرى يستهدف الانتاج وليس مجرد الحصول على دخل •

٤ ــ الالزام بأن يستهدف استثمار رأس المال تنمية العنصر البشرى •

هذه هى العناصر الأربعة ، أو بمعنى آخر الأدوات الأربع التى اعتقد أن الاسلام يستهدف بها تحقيق التنمية من خلال منهجه لاستثمار رأس المال •

أود أن أشير قبل عرض هذه الأدوات الى أن الادوات التى يستخدمها الاسلام لتحقيق التنمية فى منهج للاستثمار ، لا يقتصر على هذه الأدوات الأربع وحدها، وانما هناك أدوات أخرى كثيرة غير هذه الأدوات الأربع تستخدم لتحقيق التنمية وفق المنهج الاسلامى ، من هذه الادوات الملكية ، ذلك أن دراسة التنظيم الاسلامى للملكية تكشف عن أن الاسلام يستهدف بهذا الشكل أن يكون هذا التنظيم يعمل كأداة لتحقيق التنمية (١) •

ويعد أيضا من هذه الأدوات توزيع المنهج الاسلامى ، لذلك أن للاسلام منهج متميز فى التوزيع ، وتكشف الدراسة أن هذا المنهج بهذا الشكل يستهدف ضمن ما يستهدف تحقيق التنمية (٢) •

وبسبب أن دراستنا هنا تتجه الى الكشف عن المنهج الاسلامى للاستثمار ، واذن فان الدراسة الكاملة لأدوات تحقيق التنمية فى المنهج الاسلامى لا تكون موضوعنا المستهدف •

لذلك لن أعرض لكل هذه الأدوات ، وانما سوف تقتصر الدراسة على عرض أدوات تحقيق التنمية فى المنهج الاسلامى التى تدخل فى دراسة المنهج

---

(١) يمكن الرجوع فى هذا الموضوع الى رسالتى للماجستير السابق الاشارة اليها والمنشورة تحت عنوان : نظرية التوزيع فى الاقتصاد الاسلامى ، مجمع البحوث الاسلامية الفصل الثامن ، ص ٢٩٧ ــ ٣٢٢ •

(٢) يرجع الى رسالتى للماجستير السابق الاشارة اليها •

الاســـــلامى للاستثمار ٠ وهى الادوات الأربـــع التى ســـبق تحديدهـــا ، والتى نتناولها الآن بالمناقشة ٠

الأداة الأولى الالزام بالتشـــغيل الكامل لرأس المال

أعنى بالتشغيل الكامل لرأس المال فى هذا الصدد أن الاسلام يلزم ضمن منهجه لاستثمار رأس المال أن يوجه الى الانتاج ، وأن يوضع فى خدمة المجتمع الاسلامى جميع وحدات رأس المال ، ويتضـــمن هذا الا تكون أيه وحدة من وحدات رأس المال عاطلة ، أى لا تعمل فى دائرة النشـــــاط الاقتصـــــادى المشروع ٠ والدليل الذى استند اليـــه فى هذا هو قـــوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أمـــوال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بهـــا جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون»** سورة التوبة الآيتان ٣٤ ، ٣٥ ٠

أريد أن أجذب الانتباه فى هذا الدليل الى السياق الذى وضع فيه تأثيم الاكتناز من حيث أنه قـــرن بالصد عن سبيل الله وأكل أموال الناس بالباطل ، وما يشـــير اليه بصفة خاصة قرن تأثيم الاكتناز بأكل أموال الناس بالباطـــل وما يتضمنه من حقوق للجماعة عـــلى المال الخاص بحيث أن كنزه يقرن بأكل أموال الناس بالباطل والمعنى الذى أريد أن أقف عنده أكثر هو المعنى الذى يســـتنتج من تأثيم الاســـــلام للاكتناز فى عـــلاقته بالتشغيل الكامل لرأس المـــال ٠ ان الاكتناز هو جزء الأدخار الذى لم يوجه الى الاســـتثمار ٠ واذا التزم المســـلم التزاما اســـلاميا صـــحيحا بالمنهـــج الاســـلامى ، ومـــن هـــذا المنهـــج تأثيـــم الاكتناز ، فســـوف يوجـــه كل ادخاراته التى هى جزء الدخـــل الذى يفيض عن الاستهلاك ، سوف يوجهه الى الاستثمار ٠ معنى ذلك

أنه وفق المنهج الاسلامى لا توجد رؤوس أمواله مكتنزه ، أى عاطلة .

هناك دليل آخر يستدل به على الالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال وهذا الدليل يتعلق بالزكاة . ان الزكاة يمكن أن ينظر اليها من أن توجه كل رؤوس الاموال الى التشغيل ، والا تبقى عاطلة . وتستند وجهة النظر هذه الى تحليل طبيعة الزكاة والتى يشير اليها القول المأثور (اتجروا بمال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة) . يعنى هذا أن بقاء رأس المال عاطلا وعدم تشغيله فى النشاط الانتاجى مع استمرار فرض الزكاة عليه يجعل رأس المال ينفذ وأريد أن أوضح رأيى فى علاقة الزكاة بالالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال ، ذلك أنه وان كنت أرى أنه يمكن استنتاج علاقة بين فرض الزكاة والالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال الا أنه تكملة لرأيى ، لا أعتقد أن هذه العلاقة هى أحد الاهداف الرئيسية للزكاة . اذ أن للزكاة أهدافا اقتصادية أخرى أقوى وأوضح من هذه الاهداف : استخدام حصيلة الزكاة فى تنمية العنصر البشرى فى المجتمع وذلك بتوفيرها حدا أدنى من الدخل لصاحب الحاجة .

ومن هذه الاهداف أيضا تقليل حدة التفاوت الداخلى بين أفراد المجتمع الاسلامى . وبمعنى آخر أن الزكاة تمثل أحد الأدوات المستخدمة فى اعادة التوزيع فى النظرية الاقتصادية الاسلامية . وهناك اهداف أخرى كثيرة للزكاة يمكن البحث عنها والرجوع اليهافى الكتب المخصصة لدراسة الزكاة . كما أن الزكاة تستهدف أيضا هدفا معنويا له أهميته فى المجتمع هذا الهدف هو خلق نوع من الترابط والتماسك والاحساس الجماعى المشترك ، ماديا ومعنويا بين أفراد الجماعة الاسلامية . هذه هى بعض الاهداف الرئيسية للزكاة ، أما علاقة فريضة الزكاة بالالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال فهى نوع من أنواع الاستلزام ، أى الأمر الذى يترتب بالضرورة على أمر آخر .

اذا قارنا بين المنهج الاسلامى للاستثمار وبين المناهج الاقتصادية الوضــعية فما يتعــلق بالالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال نجد أن للمنهج الاسلامى تمييزه وذاتيته المستقلة فى هذا الصدد . وذلك أننا نعرف كاقتصــاديين أن ضرورة المساواة بين الادخار والاستثمار، وهى الفــكرة ذات الاهميــة الاقتصــادية ، هى فكرة يربطها الاقتصاديون بالدورة التجارية . ومصــطلح الدورة التجــارية هو ما سبق ان قربناه للقارىء العادى غير المتخصــص فى الاقتصــاد بمصطلح الأزمة الاقتصــادية . وهكذا يكون التشــغيل الكامل لرأس المال وان اســتهدف فى المناهج الاقتصادية الوضــعية الا أنه لا يستهدف كأداة فى المنهــج الاستثمارى بقصد تحقيق التنمية فى المقابل ، ان الاقتصاد الاسلامى وهو يفرض ويلزم بالتشــغيل الكامل لرأس المــال بربط هــذا الالزام بهــدف التنمية . وقــول الرسول (ص) : الامن ولى يتيما فليتجر بماله حتى لا تأكله الصدقة هو واضح فى هذا الربط . ذلك أن المقابل لتعطيل المــال حسب هــذا النص الاتجار به . والاتجار هو مصطلح يكتنى به عن تشغيل رأس المال فى النشاط الانتاجى . سواء أكان انتــاجا مــاديا أم انتاجــا خدميا .

ونربط كذلك الآية التى ســبق الاســتدلال بها وهى آية تحريم وتــأثيم الاكتنــاز بين الالــزام بتشغيل رأس المال وبين التنمية ، ذلك أنها تربط بين اكتناز الأموال وبين منع انفاقها فى سبيل الله . ويمثل الانفاق فى سبيل استثمار فى تنمية العنصر البشرى ، أو ما تسمى اقتصاديا بالموارد البشرية .

كنتيجة ان الاسلام يجعل ضمن

يمثل الالزام بأن يغطى الاســتثمار الأنشــطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع الاداة الثانية التى استخدمها الاسلام لتحقيق التنمية كأحد ضوابط المنهج الاسلامى فى الاستثمار . ويمكن الاستدلال على هذا النوع من الأدوات بالحكم الاسلامى .

ضوابطه لاستثمار رأس المال التنمية • ومن الادوات التى يستخدمها لتحقيق ذلك : الالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال •

الأداة الثانية : الالزام بأن يغطى الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع المعروف : فرض الكفاية • ويعنى هذا المصطلح أن القيام بما يلزم للجماعة الاسلامية يكون فرض كفاية : اذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين • وبتطبيق هذا النوع من الاحكام على النشاط الاقتصادى نستنتج أنه اذا كان هناك نشاط اقتصادى مشروع يلزم للجماعة الاسلامية كضرورة يكون القيام به أى تنفيذه وتوجيه الاستثمارات اليه فرض كفاية على جميع المسلمين ككل • اذا قام بهذا الاستثمار بعض أفراد المجتمع الاسلامى ، فان هذا يكفى وتسقط المسئولية عن باقى أفراد الجماعة الاسلامية • وفى المقابل ، اذا لم يقم أحد بهذا الاستثمار ، مع وجود القادرين عليه ، فان المسئولية تظل واقعة على جميع المسلمين • واعتقد أن الشيخ محمود شلتوت قد استند الى هذا حين قال : (اذ كان من قضايا العقل والدين أن مالا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وكانت عزة الجماعة الاسلامية أول ما يوجبه الاسلام على أهله ، وكانت متوقفة على العمد الثلاثة : الزراعة والصناعة والتجارة ، كانت هذه العمد واجبه ، وكان تنسيقها على الوجه الذى يحقق خير الأمة واجبا (١) •

أريد أن أشير الى أهمية هذا النوع الفريد من الاحكام فى الاسلام وهو فرض الكفاية • وأكاد أعتقد أنه حكم قصد به مواجهة ضروريات سوف تواجه المجتمع الاسلامى • كما أريد أن أشير أيضا الى أننا تعلقنا بهذا الحكم طويلا من خلال تطبيقاته

---

(١) نقلا عن د . محمد عبد الله العربى « استثمار الاموال فى الاسلام » المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية ، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ ، ص ١٣٠ •

فى العبادات ، كما انه ارتبط بفكرنا من حيث ربطه بحـالات مـن الجهاد • والآن وأمـام تحديات كثـيرة ومعقدة تواجـه العـالم الاسـلامى ، هى فى غالبيتهـا اقتصادية ، يجب أن نربط هـذا الحكم الهام بمثل هذا النشاط • ان فرض الكفاية كأحد الاحـكام الاسلامية هو فرض ليس له نظر فى التشريعات الوضعية ، سـواء منها ما تعلق بالاقتصاد أم بغـير الاقتصاد • وهو فرض فريد من حيث تكييفه القانونى •

ماذا تعنى هـذه الاداة ، أى الالزام بتغطية كل الانشـطة الاقتصـادية اللازمة للمجتمع من وجهة النظر الاقتصـادية ؟ يعنى هذا ببسـاطة أن الاسـتثمارات سـوف توجه الى الأنشـطة الضرورية للمجتمع الاسـلامى ، ولن ترتبط بمعيار الربح بمعنـاه المادى والأنانى فى الاقتصاد الذى يعرف الربح بأنه العائد النقدى من الاستثمار • ويكون الاستثمار أعلا ربحية حين يحقق أكبر عائد نقدى • لكن من وجهـة النظـر الاسلامية يكون الاسـتثمار أعلا ربحيه حين يوجه الى النشـاط الاقتصـادى الأكثر ضرورية من وجهة النظر الاسلامية • واذا كنا كاقتصاديين ننتقد باستمرار توجيه الاستثمارات فى البلاد الاسلامية الى انتاج السـلع للترفيه مثـل السـيارات ودور اللهو والسـلع المشابهة واهمال انتاج السـلع الضرورية ، ونذكره على أنه أحد أسـباب اسـتمرار تخلف هـذه المجموعة من البلاد ، فأن الالزام بهذه الأداة الاسـلامية ، التى تعنى ضرورة توجيه الاستثمارات الى أوجه النشاط الاقتصـادى الضرورية والـلازمة للمجتمـع ، سـوف يقضى علي التخلف الاقتصادى المسبب عن هذا الخلل التوجيهى للاستثمارات • وأيضا يعنى ذلك أن الاستثمارات سوف تغطى كـل ما يلزم للجمـاعة الاسلامية •

ومرة أخرى ، ماذا يعنى هـذا اقتصـاديا ؟ يعنى ذلـك أننـا كاقتصاديين ننتقد دائما فى البلاد المتخلفة ما نسـميه بتضخم

الاستثمارات أو بطنة الاستثمارات فى بعض الأنشطة الاقتصادية أو بعض المناطق الاقتصادية ، بينما يكون هناك فى المقابل الجوع للاستثمارات وشدة الحاجة اليها فى أنشطة أخرى أو مناطق أخرى. ويمكن أن نعطى كثيرا من الأمثلة: تركيز الاستثمارات فى كل عواصم البلاد الاسلامية هى ظاهرة منتشرة يقابل ذلك اهمال خطير للمناطق الأخرى البعيدة عن العواصم ، كما أنه على مستوى العالم الاسلامى المتحد ، وحيث نتعلق بهذه الوحدة ، هناك سوء توزيع استثمارات . وهكذا ، اذا وضعنا موضع التطبيق هذه الاداة الاسلامية فى الاستثمارات وهى تغطية كل أوجه النشاط الاقتصادى الضرورى للمجتمع الاسلامى ، فاننا بهذا نقضى على سبب تخلف العالم الاسلامى الناتج عن اهمال ذلك .

نستنتج أن الالزام بأن يغطى الاستثمارات كل الأنشطة الضرورية للمجتمع الاسلامى على مستوى العالم الاسلامى ككل ، يمثل هذا الالزام أحد أبعاد التنمية بمفهومها الحديث فى الاقتصاد . وهكذا ، يكون هذا الالزام هو أحد الأدوات الاسلامية المستخدمة لتحقيق التنمية . والتنمية بدورها وفق التصنيف الذى اقترحته هى أحد ضوابط المنهج الاسلامى للاستثمار .

دكتور رفعت العوضى

فلسفة الحضارة الإسلامية

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

لم يخلق الله ، سبحانه وتعالى ، الانسان ، فى هذا الكون .. ليعبث أو يلهو ، أو يلعب .. أو ليطغى بقوته وجبروته ، أو ليعيش فى أحضان الجهل والاتكالية ، والاستجداء ..

قال تعالى فى سورة « المؤمنون » : **أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون (١) »** .. وقال تعالى فى سورة الملك : « **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** » .

وانما خلق الله سبحانه وتعالى ، الانسان ، وركب فيه ماركب ، من قوى الادراك والعمل ، لحكم سامية .. منها : ليكون خليفة فى الأرض ، يعمل على اصلاحها ، واتساع عمرانها ، واظهار أسرار خالق الكون فيها ، وتدعيم أواصر الخير ، واقرار السعادة ، فى جميع أرجائها .

وقد أرشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن .. منها قوله تعالى ، فى سورة البقرة ، وهو يحدث عن مبدأ خلق الانسان : «**واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل**

---

(١) آية ١١٥

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى أعلم ما لا تعلمون ٠ وعلم أدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ٠ قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ٠ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ٠ فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم : انى اعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (١)٠

فهذه الآيات توحى بأن العلم أساس الحياة ، وسر النجاح ، فالخلافة فى الأرض والسيطرة عليها ، وتسخير ما فيها ، واستغلال خيراتها ، وثمراتها وطيباتها أساس ذلك كله العلم لا غيره ٠٠

واذا كانت هذه هى مهمة الانسان فى الحياة ، وهى حكمة خلقه ، وحكمة الانعام عليه ، بقوى العلم والعمل ، وحكمة تسخير الكون واخضاعه له فى التفكير والتصريف ٠ فلا سبيل الى قيام الانسان بهذه المهمة ، وتحقيق تلك الحكم الا بالعلم والمعرفة والعمل ٠

ولم يكتف الاسلام بهذا ٠٠ بل فتح مجال العلم ، للعقل الانسانى ، وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به فى أسرار الحياة ٠٠ قال تعالى فى سورة عبس « **فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم » (٢) ٠**

وقال تعالى : فى سورة الطارق : **« فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق ٠ يخرج من بين الصلب والترائب » ٠٠ وقال تعالى** فى سورة الحجر : **« وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » ٠**

---

(١) البقرة : ٣٠ — ٣٣

(٢) آية ٢٢

هذه الآيات وما جرى مجراها ، قد فتحت للعقل الانسانى ، آفاق ، الكون وبينت له طريق التأمل والمشاهدة والتفكير ، فى ملكوت السموات والارض ، لاستنباط الحقائق ، وما يفيد المجتمع الانسانى ويعود عليه بالنفع والأمن .. وتلك دعوة صريحة الى العلم ، حظيت بها الانسانية ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، دعوة صريحة صادقة الى اتباع الاسلوب العلمى والمنهج القائم على التكامل والصدق والاخلاص ..

والاسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة . وهذه الوثبة الهائلة كانت على أثر اشعاع القرآن الكريم ، فى جنبات الدنيا والانسانية فأنارهما بعد ظلمة ، وهدى الانسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتقاق ، وأزال الأصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر .

وكان من ذلك أن نبه على وجوب النظر فى الكون العام ، وفى النفس الانسانية وفى الأسباب والمسببات ، والمقدمات والنتائج ، والعلة والمعلول .

فكان بهذا مصباحا أضاء الدنيا وأنار أفق الانسانية ، وأشرق بالمعرفة الصحيحة .

والباحث المنصف يرى أن الاسلام فى وثبته : تلك ، قد وضع أسس المعرفة التى تهدى الانسان الى الخير ..

والمعرفة فى الاسلام ، لا تقوم على نظرية تحتاج الى دراسة وتأمل وانما على اساس التعادل بين الكم والكيف ، وبين المادة والروح ، وبين الغاية والسبب ، وبين الدنيا والآخرة .. فلا افراط ولا تفريط ، لقد ربط الاسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقل الباحث المنظم والوجدان النقى ، وكل ما جاء فى القرآن فى الحث على التفكر ، دليل على مكانة العقل ، والعلم ، والمعرفة فى نظر الاسلام .

اذ العقل آلة التفكير ، والعلم ثمرة التفكير . فكل ما ورد فى

القرآن ، حثا على التفكير ، وهو اعلان عن فضل العقل ، وايحاء بالعمل على تربيته وتقويته ، وهو فى الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم .. حتى يتمكن الانسان من الحقائق ، وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويتحرر من رق الاوهام ، والخرافات والاساطير التى لا صلة لها بواقع الحياة .

وبهذا كان الاسلام دين الفكر ، والعقل ، والعلم .. وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير ، وجعله ميزة الانسان . قال تعالى : « أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » (*)

وبناء على التوجيهات القرآنية ، للناس بالنظر والدراسة .. انطلق المسلمون يدرسون ويبحثون ، ويقارنون ، ويغربلون ، ويقعدون القواعد ، ويؤصلون الاصول .

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية ، على أصول ومبادىء عامة صلحت لان تكون منهجا فكريا سليما ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة .

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين ، من الاستفادة ، من تلك الدرة الالهية ، التى منحها الله للانسان ، وهى العقل . فنمته ، وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التى خلق من أجلها . حتى كانت للمسلمين حضارة وعلوم ومخترعات حضارية عالمية لن ينسى التاريخ دورها فى تحويل مجرى الانسانية ، ولن تنسى الانسانية دور المسلمين فى بناء الحضارة ، بأصالة وعمق وفاعلية ..

كانت هناك تشريعات ، وفلسفة ، وقوانين ، وطب ، وفلك ، وأدب ، واجتماع ، ورياضيات ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وفنون جميلة ، وآداب للسلوك والاجتماع ..

وكان لكل هذه العلوم والفلسفات ، أساتذة عباقرة ، كأئمة الحديث ، ورجال الفقه الذين ضبطوا أساليب النقد ، وقعدوا قواعد التشريع ..

وفوق هذا وذاك .. فقد كان المسلمون هم واضعو طرق البحث العلمى التجريبى الذى كان أساسا للحضارة الأوربية الحديثة ، ويكفى

فى هذا أن نستشهد باعتراف العلامة (بريفولت) : « ان الاوربيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمى التجريبى وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصيلة ، واستقرت دعائمها فى نفوسهم ، فكانت الرائد الامين للعقول والافهام ، والغذاء الروحى للغرائز والمواهب . وهذه الينابيع طبعت الناس على استقلال الارادة ، وحرية الفكر ، كما كرهت اليهم التقليد والتبعية العمياء ، ووجهت العقول للبحث والانتاج .. وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون .. فأقبلوا عليها سراعا .. ودخلوها من كل باب . وبهذه النهضة العلمية الجبارة استطاع المسلمون فى سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . أن ينتقلوا الى القيادة الفكرية العالمية ويصبحوا أساتذة الدنيا ، وعباقرة العلوم .. وكان وأصبح هناك قادة وحكام ، ومدن وعواصم ومعاهد وجامعات ودول وممالك لم يشهد التاريخ لها مثيلا .

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التى غرسها الاسلام ، والتى أدت الى تنمية القوى العقلية الكامنة فى الانسان ، والتى جعلت من المسلمين أساتذة للعلوم وكانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية فيأخذون عن علمائها ماشاءوا من أفانين العلوم . وألوان المعرفة ثم يعودون الى بلادهم حاملين اليها مشاعل هذه العلوم التى نفخت فيهم روح الحياة ، وفتحت لهم طريق الانتفاع بأصلين عظيمين من أصول الاصلاح الاسلامى . وهما :

حرية الفكر .. واستقلال الادارة .. فلم تنهض العقول للبحث ، ولم تتحرك النفوس للعمل .. الا بعد أن عرفت أن لها حقا فى طلب الحقائق .

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلمية .. فاستقت من روافدها المعرفة ، والفلك والجبر والهندسة ، والكيمياء ، والطب ، والفلسفة ، وعلوم النبات ،

والحيوان وسائر أنواع الفنون الحضارية .

وبنى رجال أوربا ، بما تعلموه فى معاهد المسلمين بالاندلس ، وربما نقلوه من علوم .. أسس النهضة الحديثة ، التى ظهر نجمها فى القرن الثامن عشر . وازدهر فى القرن التاسع عشر ، وتألق فى القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذى خرج جهابذة الفكر ، ورجال الحضارة أمثال ابن الهيثم ، وابن البيطار ، وابن سينا ، وابن النفيس ، وابن زهر وابن بطوطه ، والكندى ، والفارابى ، والبيرونى ، والطوسى، والدينورى، والبغدادى والفيروزا بادى ، والامام الغزالى ، والطبرى والرازى ، والانطاكى ، والخوارزمى ، والادريسى ، والمسعودى ، وجابر والجاحظ ، وغيرهم ممن أفادوا الانسانية .

وهذا ابن الهيثم يبحث فى السهل والأودية ، ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجيلى فيسهر على قمم الجبال العالية ، يحدق فى الكواكب والنجوم ليحد أفلاكها ، ويعرف أبعادها ، ويقيس محيط الكرة الارضية ، وعبد الله الخوارزمى العالم المسلم الذى ولد فى اقليم خوارزم (١) أول رجل فى العالم يضع أصول علم الجبر وفى كتابه « الجبر والمقابلة » يقسم العلماء الى ثلاثة : « فمنهم المخترع المبتكر الذى لم يسبق اليه ، ومنهم الذى يتناول أراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم المخترع المبتكر الذى لم يسبق اليه ، ومنهم الذى يتناول أراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم الذى لم يكلف نفسه أكثر من جمع المتفرق » ..

وأبو الريحان محمد البيرونى الذى ولد فى بيرون ، وهى مدينة

(١) اقليم خوارزم هذا من الاقاليم الاسلامية التى كانت عامرة بالعلم والعلماء وهو الآن تحت الاستعمار الشيوعى الروسى .

صغيرة تتبع مدينة خوارزم. يساهم فى الفلك والرياضيات ، بمساهمات فعالة .

وابن النفيس العالم الدمشقى ، يجرى التجارب والاختبارات ، حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا فى الاوردة والشرايين . بل هو سائل متحرك يدور فى جميع أجزاء الجسم، وذلك قبل ان يكشف العالم البرتغالى (هارفى) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه ذلك المفكر الاسلامى الكبير الذى طرق الدراسات الاخلاقية والنفسية يسبق فلاسفة أوربا ، وعلمائها بثمانية قرون فى علوم الاخلاق والفلسفة والتهذيب والنفس ..

وجابر بن حيان يحلل عناصر الطبيعة ، وتفاعل المواد المختلطة ، حتى يضع أصول علم الكيمياء ..

وابن يونس يسبق العلماء فى اختراع بندول الساعة «الرقاص» .

هذا كله فى الوقت الذى كانت فيه أوربا ، تعيش فى ظلمات الجهل والفوضوية والامية والهمجية والتأخر ، ولم ينقذ أوربا من ورطتها التى كانت واقعة فيها الاحضارة المسلمين ومازالت أسماء العلوم والمصطلحات التى أعطاها هؤلاء العلماء المسلمون ، لغرائب المخترعات ، مازالت حية نابضة ، فى جميع اللغات ، رغم مانالها من تحريف وتغيير .

ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة الاسلامية ، وشهد بها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه ، الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة العلم فى ذاته .

تقول الكاتبة الالمانية الدكتورة سيجريدهونكة : « ان أوربا تدين للعرب ، وللحضارة العربية ، وان الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات ، للعرب كبير جدا » ..

وقال العلامة ، دريبر « المدرس فى جامعة (هارفارد) بامريكا . فى كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : « ان نتائج هذه الحركة العلمية ، تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصناعات فى عصرهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة

فى أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات ، وسنن النظم الزراعية الحكيمة ، وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبن.. وقد انشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المعادن ، ويجودون فى عملها على ما حسنوه وهذبوه ، من سبكها وصنعها ، واننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ، ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر .. وان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك أوربا وأمراؤها ، يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

ان هذه الاقوال التى جاءت على لسان علماء أفذاذ لمرضاة العلم فى ذاته تشهد صراحة وضمنا ، وجملة وتفصيلا ، لحضارة المسلمين ، ومدى فاعلية هذه الحضارة الاسلامية الانسانية .

وان الامة الاسلامية يمكن أن تعود الى بناء حضارتها المتميزة وشخصيتها الاسلامية الفريدة .

وقبل أن نقرر امكانية عودة الحضارة الاسلامية نضع الحقائق التالية :

أولا : العالم الاسلامى حباه الله بأعظم النعم ، اذ يتربع على كنوز ثمينة ويربض على ثروات معدنية هائلة ، ويملك من حقول البترول أجداها نفعا ، وأكثرها سخاء وثراء ، وأقواها تدفقا وعطاء .

ثانيا : ـ يملك العالم الاسلامى من شواطىء البحار والانهار ، والممرات ، والطرق البرية ، والبحرية ، والجوية ، مما يجعله فى مركز القيادة ، ويمكنه من المساهمة والاشراف والتحرك الفعال .

ثالثا : ـ مناطق الثقل فى العالم الاسلامى بعيدة عن القطبين ومصونة من الاعاصير والطوفانات ، والثلوج ، والمد والجزر ، وسالمة من البراكين

والزلازل، وهذا يتيح لها ماتستطيع به العمل والتقدم ..

رابعا : ــ العالم الاسلامى غنى بالمحاصيل الزراعيــــة ، والانتاج الحيوانى ، مما يمكن من قيـــام صناعات متقدمة ومتطورة .

خامسا : ــ يعيش العـــالم الاسلامى اليوم فى يقظة واعية ، وصحوة صحيـــة ، فاذا أحســن توجيهها ، أثمـــرت وأفـــادت الانسانية ..

سادسا : ــ يشــغل الامـــة الاسلامية من خريطته العـــالم الانسانى حيزا جغرافيا عظيما مما يمكن المسلمين من التأثير والفاعلية القادرة على الانطلاق » .

تلك وغيرها أمور تجعل الامـــة الاسلامية ، قوة ايجابية ، مهيأة للاسهام فى انقاذ الانسانية مـــن وهذة الضياع والفوضوية والجهل، والالحاد ، والمذاهب الهدامة .

ولقد وصف المستشرق السويدى « فرناو » العالم الاسلامى بأنه يمثل بموقعه فى قلب قارات ثلاث « قارة وسطى » .

وهذا تعبير قد لا يرضى عنـــه علماء الجغرافيا . ومع هذا فهـــو تعبير محمل بالمعانى .. وصادق على جغرافية المســلمين ، وملىء بالتفاؤل ..

يقول الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن ان يعـــودوا الى عظمتهم الماضية اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة فى الاســـلام والعلوم التى حث الاسلام عـــلى الاخذ بها » .

وقال الدكتـــور فيلب حتى : « ان الشرق الاسلامى هو اليوم فى مطلع دور جديد فى حيـــاته العلمية ، كما أنه فى فجر جديد فى حياته السياسية ، وهو دور جديـــد يمكن أن نسميه دور الابـــداع والابتكار ، ضمن اطـــار الميراث الخالد ، من القيم الدينية والأدبية.

والحقيقة التى لا يستســـاغ انكارها ان تقدم المسلمين علميـــا وحضـــاريا رهين بعودتهم الى الاســـلام .

أحمد عبد الرحيم السايح

فقيد العلم والإسلام
عالم الأزهر
المرحوم الدكتور الشيخ محمد الفحام
شيخ الأزهر الأسبق

فقدت مصر والعالم الاسلامى علما من أعلام الدين والدعوة يوم ٣٠/٨/١٩٨٠ م هو الدكتور الشيخ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق عن ٨٤ عاما قضى الشيخ الفحام ٦٠ عاما فى العمل من أجل نشر الدعوة الاسلامية .

ولد الشيخ الفحام بالاسكندرية فى ١٨ سبتمبر عام ١٨٩٤ م . وتلقى بعض علومه الدينية فى مسجد العباس المرسى والتحق بالأزهر حتى تخرج منه ثم تولى التدريس بمعهد الاسكندرية الدينى ثم عين مدرسا بكلية الشريعة .

سافر الشيخ الفحام فى بعثة دراسية الى فرنسا حيث قضى عدة سنوات حصل خلالها على دبلومات عليا فى اللغات اللاتينية واليونانية والأسبانية كما حصل على الدكتوراه فى الآداب من جامعة السربون بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٤٩ وعاد الى مصر .

قام بتدريس الأدب المقارن بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وكلية الآداب جامعة الاسكندرية .

عين عميدا لكلية اللغة العربية عام ١٩٥٩ .

عين شيخا للأزهر عام ١٩٦٩ فى ١٦ سبتمبر وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٧٣ .

انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية فى ديسمبر ١٩٧١ .

منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى فى مايو ١٩٧٣ م .

وقد شارك الدكتور محمد الفحام فى عدة مؤتمرات اسلامية أولها فى لبنان عام ١٩٤٨ وتوجه الى نيجريا فى عام ١٩٥١ فى مهمة لدراسة أحوال المسلمين وأمضى خمسة أشهر فى هذه المهمة وشارك أيضا فى مؤتمرات اسلامية فى باكستان وأندونيسيا وماليزيا وقام بدراسة أحوال المسلمين فى موريتانيا بعد احالته للمعاش وزار السودان وليبيا والجزائر وأسبانيا والعراق واليابان والسعودية وكذا ايران والجمهورية الاسلامية بالاتحاد السوفيتى وكان هو شيخ الأزهر الوحيد الذى زار هذين البلدين وللشيخ الفحام خمسة أبناء يشغلون مواقع عمل مختلفة .

والأزهر اذ ينعى الأمة الاسلامية فقد شيخا من شيوخه وعالما جليلا من علمائه يرجو للفقيد الرحمة ولأسرته العزاء ..

أسرة المجلة

مشكلات الشباب وحلولها
في ضوء الكتاب والسنة

للأستاذ على القاضى

تمهيـــد :

عنى الاسلام بتربية الشـباب عناية واضـــحة ذلـك لأن فترة الشباب هى فترة القوة والحيوية والنشاط وفترة امتصاص الأفكار واعتناق المبادىء والحماسة لهـا والدفاع عنهـا ومحـاولة نشرها والبـذل فى سبيلها بكل شىء بالصحة والمال والوقت بل والنفس فى كثير من الأحيان .

ومن هنـا رأينـا الصراعـات المختلفة حـول الشباب ومحاولة اجتذابهم حـول الفكرة التى يعمل فيها كل منهم .. وقد وجدنا عناية الاسلام بالشباب تلك العنـاية الرائعة التى جعلته يعطيه الامكانات التى تكفل انطلاقه وتسلحه بكافة الأسلحة التى تعينه عـلى أداء رسالته فى هذه الحياة .

عناية سابقة على وجوده :

وعناية الاسلام بالشباب تبدأ من قبل أن يولد .. تبدأ بتكوين الاسرة التى تحقق البيئة الصالحة له فهو يرى أن تكوين الاسرة له أسس تحقق الاطمئنان والسـكن والتربية الكاملة المتكاملة : (**خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمـة**) الروم / ٢١ ــ ولذلك فقد طلب من الرجل أن يختار المرأة الصالحة التى تحقق التربية المثالية وتعطى للطفل كـل حاجـاته ــ ويعبر الرسول الكريم عن ذلك بقـوله : (فاظفر بذات الدين تربت يداك) البخارى ــ ومثل ذلك فى اختيار الرجل : (اذا جاءكم من ترضون

خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) ابن ماجه — وصفات الوراثة تظهر فى الأبناء فان الاسلام يعطى لأبنائه مؤشرات تساعده فى اختيار العناصر الصالحة فى تكوين الاسرة فهو يقول : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) البخارى ،ويقول (اياكم وخضراء الدمن) ويفسر الرسول الكريم خضراء الدمن بأنها (المرأة الحسناء فى المنبت السيىء) .

وبهذا التخطيط يضمن الأساس السليم للبيئة المتكاملة التى ينشأ فيها الطفل المسلم ثم هو يحاول أن يضمن له الاستقرار الدائم فى كنف الاسرة فيجعل الطلاق أبغض الحلال الى الله كما يقول الرسول الكريم — ويجعل أساس البيوت الوفاء كما يقول عمر بن الخطاب — ثم يجعل الأسرة مسئولة مسئولية كاملة عن تربية الأبناء يقول الرسول الكريم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) — البخارى .

وظيفة الشباب فى الاسلام :

ووظيفة الشباب فى الاسلام هى وظيفة المسلم بعامة ، ولكن الشباب أقدر من غيرهم على حملها بما لهم من حماسة وحيوية ونشاط واستعداد للتضحية — فهو جزء من هذا الكون . والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ما سواه من استذلال النظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان .

انه سيد الكون وليس عبدا الا لله الذى خلقه وخلق الكون ثم ان الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لسكينة الانسان وهدوئه ومشاعره — وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات المسلمين بقدر ما يرفع تصورهم للوجود كله — وبقدر ما يكشف أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره — والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله خلقه فى احسن تقويم وسواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له فى الأرض .

والاسلام بهذا يرسى القواعد الاساسية التى لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحيـاة كما لا يؤثر فيها اختـلاف النظم ولا تعـدد المذاهب ولا تنـوع البيئات فمن أداها كاملة فقـد أدى وظيفته — ومن قصر فيها أو نكل عنها فقـد أصبح بلا وظيفة فى هذه الحياة — وأصبحت حياته خاوية من معناها الأصيل الذى تستمد منها قيمتها الأولى — ثم اذا به يسـير الى الضياع الذى يصيب كل من يتخلى عن وظيفته والاسـلام يوجه طاقة الشباب الى العمل المنتـج المفيد الذى هو ثمرة الايمـان بالله — والقـرآن الكريم يؤكـد تأكيدا شديدا على العمل الصالح فى عشرات الآيات : (**فمن كـان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) آخر الكهف — والعمل الصالح يشـمل كل ما يقوم به المسـلم نحو ربه ونحو نفسه ونحو اسرته ونحـو مجتمعه الاسـلامى بل والمجتمع الانسانى كله •

والشـباب المسلم يستطيع أن يقوم برسالته كاملة مادام خاليـا من المشكلات — ولكن اذا وجدت المشكلات فى حياته فان ذلك يعوقه عن أداء هذه الرسالة •

ولما كان الاسـلام حريصا على الشباب وعلى أن يؤدى رسـالته كاملة فانه يعمل على ازالة العقبات من طريقه وعلى تقوية شـخصيته بحيث يسـتطيع أن يقـاوم هذه المشكلات فاذا ما جاءت المشكلات بعد ذلك حاول علاجها بالاسلوب الذى يفيد ويريح وينتج •

الاسـلام يزيل العقبـات أمام الشباب :

من طبيعة الشـباب الحركة والحيوية والنشاط ، وقد يستتبع هذا الخطأ فى جانب من الجوانب والله سبحانه وتعـالى يفتح بابه للتائبين دون وسـاطة ويقول : (**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللـه ان الله يغفر الـذنوب جميعـا**) الزمر / ٥٣ ويقـول : (**واذا سـألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الـداع اذا دعـان**) البقرة / ١٨٦ ، وجعل من السجعة

الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله (**شاب نشأ فى عبادة الله**) البخارى ويبين للشباب أن الخطأ طبعى والمهم أن يتوب الشاب . والنبى الكريم يقول : (عجب ربك من شاب ليس له صبوة) . والمهم ألا يتمادى الشاب فى أخطائه ولا يجاهر بها يقول الرسول عليه السلام : (كل أمتى معافى الا المجاهرين وان من المجانة أن يعمل الرجل عملا بالليل فيصبح وقد ستره الله يكشف ستر الله عليه) البخارى ، والاسلام يزيل العقبات الداخلية حين يربى المسلم على صفاء القلوب يقول النبى عليه السلام لأنس (يابنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك بغض لأحد فافعل — ثم قال : يابنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى دخل الجنة) الترمذى، وقال عليه السلام عن رجل من الانصار : انه من أهل الجنة .. وحين لحظ عبد الله بن عمر أن الرجل لا يمتاز بشىء غير عادى وصارح الرجل بذلك فقال الرجل : يابنى لا أعلم شيئا عندى الا أنى لا أبيت وفى نفسى حقد لانسان وهو يبعد عن الشاب المسلم الحقد والحسد لأنه يقطع الروابط ويزيد المشكلات الاجتماعية — ويجعل الاوقات تضيع فيما يعود على الناس بالضرر — كما أنه يعلم الشباب الصبر عند الغضب حين يطلب من الغاضب أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فاذا بالغضب يذهب عنه — كما يطلب من الغاضب أن يغير من وضعه فيكسر هذا من حدة الغضب ويصبح الانسان أكثر هدوءا . ويقول الرسول عليه السلام : (اذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد فاذا ذهب عنه والا فليضطجع) ثم هو من الناحية الايجابية يبين للشباب قوة المجتمع المتكامل فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب

يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه بل ان الرسول الكريم يقول : (من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) مسلم ، وبهذا يزيل الاسلام العقبات امام الشباب .

الناحية الانشائية فى الاسلام :

الاسلام عنى بالناحية الانشائية للشاب حتى يخرج الى الحياة سليم النفس قوى الجسم فقد عمل على تهيئة الجو الملائم الذى يتربى فيه بحيث يخرج الى الحياة مسلما قائما بواجبه نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه — وقد حدد الاسلام واجبات الوالدين فى معاملة الابناء من ناحية الرضاعة والعناية بالنواحى الجسمية والنفسية والعقلية — فالبيت الأمثل صلة روحية ورحمة ومودة بين ساكنيه — فيه تنبعث عواطف المحبة والتضحية والتعاون — وخير العواطف أمسها بحياة المجتمع وعواطف الصداقة والاحترام — احترام الطفل لأبويه الذى هو أساس احترامه لنفسه .. وكل سلطة زمنية أو روحية فيما بعد — فيه يتعلم الطفل معنى الضبط وقيمته يتقبله طوعا من والديه فقد عرف أن فيه خيره وسعادته .. فى هذا البيت يخرج الطفل الى الحياة مزودا بطائفة من العواطف الحميدة تكون فى يده سلاحا للكفاح كما تكون أمانا من العلة النفسية فى مستقبل حياته — والشاب الذى ينشأ فى البيت المسلم ينشأ على صلة قوية بالله فيحس بأنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها فيكون فى مأمن من الأمراض النفسية لأن الايمان بالله خالق الانسان ومدبر الكون يجعل الانسان يحس بأن له سندا قويا فى هذه الحياة — والمؤمن متصل بالقرآن الذى أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين — ذلك لأن الايمان نور يشرق فى القلب فتشرق به النفس — فيرى الانسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق — وعقيدة الاسلام حين تتغلغل فى

النفس تدفعها الى السلوك الايجابى السليم الذى يجعل المؤمن مطمئنا ثابتا **(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة)** ابراهيم / ٢٧ .

والاسلام يهيىء نفس المسلم لتحمل صعوبات الحياة : **(ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات)** البقرة ١٥٥ وبمقدار صبر الانسان على ما يلقى بمقدار ثواب الله له : **(انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب)** الزمر / ١٠ .

وليس من المقبول مثلا أن يقول الانسان : انى مسلم ثم لا يتحمل شيئا فى سبيل عقيدته : **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)** ٢/٣ العنكبوت — وفى المعارك الاسلامية التى تقوم لتحقيق العدالة فى الارض يطلب من المسلمين أن يصبروا وأن يصابروا وأن يرابطوا فى سبيل الله فاذا ما أصابهم ضر فى المعركة فهذا أمر طبيعى — والضرر متبادل : **(ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون)** النساء / ١٠٤ ، وفى مسألة الموت والحياة يبين للمسلمين أن كل نفس ذائقة الموت وخاطب نبيه الكريم فقال : **(انك ميت وانهم ميتون) الزمر /٣٠ ،** وعلى الانسان أن يمتثل لأمر الله وأن يصبر على ما أصابه واذا خاف من ضيق الرزق فالله سبحانه وتعالى يطمئنه : **(وفى السماء رزقكم وما توعدون)** الذاريات /٢٢ — فالمسلم يتطلع الى السماء والى الله الخالق ، أما الارض وما فيها من أسباب ظاهرية للرزق فلا يدعها تحول بينه وبين التطلع الى المصدر الأول الذى أنشأ هذه الأسباب — وليس معنى هذا اهمال الأرض — فالانسان مكلف بعمارتها — ولكن المقصود ألا يعلق نفسه بها ، وألا يغفل عن الله فى عمارتها فهو يعمر فى الأرض آخذا بأسباب السماء متطلعا اليها وهو مستيقن بأن

ما وعد الله تعالى لابد وأن يكون — وبذلك يعيش قلبه موصولا بالسماء وقدماه ثابتتان فى الارض — والشاب اذا وصل الى هذه الدرجة فهو فى الحالة التى أنشأه الله عليها قبل أن يتناولها الانحراف : (**فطرة الله التى فطر الناس عليها**) الروم / ٣٠ — وعلى الانسان ألا يتطلع الى ما فى يد غيره أو الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية وبخاصة وأن ما فى يد غيره قد يكون مقصودا به الفتنة وقد عافاه الله منها : (**ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه**) طه / ١٣١ .

والانسان قد يخاف من المرض والانسان اذا اصابه المرض بعد أن اعتنى بنفسه وبعد أن أصبح جسمه قويا ونفسه قوية فعليه أن يلتمس العلاج من مظانه ثم ان الاسلام يرشده الى أن ما يصيب المسلم له ثواب عليه حتى الشوكة يشاكها — والمسلم بخير على كل حال ان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وان أصابته سراء فشكر كان خيرا له — وقد يخاف من ضغوط الحياة عليه لسبب من الأسباب — والشاب المؤمن موصول القلب بالله وهذا يجعله أكثر تحملا والا فعليه أن يعيد النظر فى قوة صلته بالله ولا يهمه الناس لأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضراوهم لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشىء لم ينفعوه الا بشىء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه الا بشىء قد كتبه الله عليه .

والاسلام يربى أبناءه على الامل والبعد عن اليأس ذلك لأن اليأس والايمان لا يجتمعان فى قلبمؤمن والقرآن الكريم يقول : (**ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**) — « يوسف ٨٧ » — ذلك لأن اليأس يؤدى الىانقباض الكرتزون فى الدم والغضب يؤدى الى ارتفاع الادرالين والتروكسين فىالدم .. واذا استسلم الانسان لدوافع الغضب واليأس أصبح

فريسة سهلة لقرحة المعدةوالسكر وتقلص القولون وأمراض الغدد الدرقية والذبحة ، وهى أمراض لا علاج لها الا المحبة والتفاؤل والتسامح لأنهافى حقيقتها أمراض نفسية — ومن هنا ندرك أهمية وصية النبى للصحابى الذى جاء يطلب نصيحة بقوله : أوصنى فقال له عليه السلام (لاتغضب) وكررها ثلاثا — البخارى — كما ندرك أهمية قوله صلى الله عليه وسلم : (ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) متفق عليه — ومقاومة الأجسام للأمراض تكون على أعلى مستوى من الكفاءة اذا كان هناك انسجام بين كل الخلايا والغدد والأعصاب وهى حالة ترتد فى النهاية الى صورة من صور الائتلاف الكامل بين النفس والجسد ٠٠ ولهذا يرى الأطباء أن الانفلونزا تعود الانسان بكثرة لأسباب نفسية حقيقة انه لابد من وجود أسباب — ولكن لابد من وجود قابلية للعدوى أيضا — والقابلية حالة نفسية كما أنها حالة جسمية ٠

وقد بدأ الأطباء يتجهون الى أن مرض السل قد يكون سببه نفسيا — ومن الأشياء التى تلفت النظر أن بعض الأمراض كالأكزيما أمكن احداثها بواسطة الايحاء أثناء التنويم المغناطيسى — كما أن الحالة النفسية قد تكون سببا فى الحمى والصداع والضغط والسكر والروماتزم والسرطان ٠

ومن هنا فاننا نجد أن المؤمنين الصادقين الذين سلمت نفوسهم وصفت قلوبهم بأخلص الايمان لم يتعرضوا مطلقا للامراض النفسية التى تجر وراءهاالأمراض البدنية — ذلك لأن هذه الأمراض بنوعيها لا تظهر الا مع ضعف الايمان أو مع فقدانه حين تتسرب الوساوس الىالنفس فتنشأ العقد وتكثر الحاجة الى الأدويةالمنشطة والمهدئة والمخدرة التى لا يعتدل بها ما اعوج من النفوس — وسيظل الصراع قائما فى زوايا النفس التى ضعف ايمانها ٠

مشـــكلات الشباب

وللشباب مشكلات تعـوقه عن أداء رسالته فى هذه الحياة وتأخذ من وقته وجهــده ما يصرفه عن الطريق السليم ان لم تحل عـلى أساس سليم ــ بل انه قد يكون عبئا على المجتمع الذى يعيش فيه وأداة من أدوات الهدم ــ كمـا نرى فى المجتمعات الغربيـــة فى عصرنا الحاضر •

وبعض هذه المشكلات متجـدد أى أنه كان موجـودا فى الأزمان الماضية وهو موجـود فى الزمـن الحاضر وبعض هذه المشكلات نشر فى العصر الحديث بعد ظهور الآلات التى قلبت موازين الأفكار ــ وبعد ظهور الفلسفات المختلفـــة التى غيرت من مفاهيم القيـم والأفكار وسنتناول أولا المشكلات القديمة الجديدة أى المتجددة ثم نتنـاول المشكلات الحديثة لنرى حلولهـا على ضوء الاسلام •

المشكلات المتجددة

مشكلات الغريزة الجنسية :

الغريزة الجنسيـــة من غرائز الانسان المهمة التى أوجدها اللـــه تعالى لحفظ النـــوع البشرى ــ لكن فرويد اشتط فى أهميتها حين فسر السلوك البشرى كله علـــى أساسها فنزل بالانسان الى مستوى الحيوان وجعل الدوافع كلهـــا مصدرها الجنس حتى العبادة ــ وقد رتب على هذا دمار الانسان اذا لم يشبع هذه الغريزة ــ مـع أن سلوك الانسان الجنسى يختلف عـن سلوك الحيـوان ذلـك لأن الانسان فيه عقـل وروح ونفس ثم هو يقوم بضروراته الجنسيـة على طريقـة الانســان لا على طريقـة الحيـــوان ــ وفرويد كان يهوديا واقعـــا تحت تأثير البيئة التى كانت تسود فيهـــا بعض المفاهيم الدينية المنحـرفة التى كانت تعيشهـا أوربا والتى كانت تدعو الى كراهية العلاقة بين الرجل والمرأة وتحث على الرهبنة ــ ومع أن تلاميذه أثبتوا أن هذا الرأى غير صحيح وأثبتوا أن عدم الاشباع لا يؤدى الى الدمار ــ بل وليس هناك ضرر جســمى أو عقـلى ينتج عن الامتنـــاع عن

الجنس — ومع أنهم بذلك أعادوا الكرامة الى الجنس البشرى الا أن آراء فرويد تلقفتها أيدى التجار وساعدهم على ذلك أجهزة الاعلام فعملوا على نشر آراء فرويد من الناحية النظرية وأوجدوا كل الأساليب لتطبيقها من الناحية العملية حتى شملت آثارها الكبير والصغير فى المجتمعات الغربية وسار على نهجها الى حد كبير أو صغير فى البلاد الاسلامية — واكتوى الجميع بنارها ٠٠ ولا يزالون يكتوون — لأن آراء فرويد — وان ثبت فشلها من الناحية النظرية وخطرها من الناحية العملية — الا أن التجار وأجهزة الاعلام ما زالت تسير فى الطريق الذى يثير الغرائز ويلهبها وبذلك فان المشكلة مستمرة وآثارها مدمرة وقد طغت هذه الناحية فى العصر الحديث على الفكر المسيحى المعادى للزواج ، والذى يرى أن الغريزة الجنسية ينبغى أن تكبت فاتجه الى الرهبانية يدعو لها ويشجع عليها ويفتح الأديرة ويضع لها أنظمتها — وعلى مدى التاريخ الطويل الذى انتشرت فيه الأديرة فشلت فى أداء رسالتها لأنها معادية للطبيعة البشرية ٠

الغريزة الجنسية فى الاسلام :

يقف الاسلام وسطا بين هذين الفكرين فهو يعترف بالغريزة الجنسية وأهميتها ولكنه يضعها فى اطارها الصحيح فهو لا يرى رأى فرويد فى سيطرتها التى لا تدفع — ولا يرى رأى من يكبتها عن طريق الرهبنة — لكنه ينظمها ويضبطها ، ويرى أنها من مميزات الجنس البشرى فهى سبب بقائه وسبب انجاب الذرية التى تحقق رسالة الانسان فى هذه الحياة ٠

وقد أزال الاسلام بذلك الفكر المعادى للزواج الذى ساد العالم المسيحى وحرم الرهبانية وقالها نبى الاسلام صريحة : (النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) — البخارى ٠

ووصل المتعة بالدين بهدف بقاء الجنس البشرى وأداء رسالته فى هذه الحياة يجعل التناقض غير موجود فى ضمير الشباب المؤمن بين قوانين الحياة التى يمارسها — وبين تعاليم الدين التى يجب

احترامها — والجنس طاقة بشرية طبيعية تحتاج الى اشباع — ولكن الاستغراق الذى يجاوز حدود المعقول هو الأمر المستنكر فى الاسلام لأنه يضخم أحد جوانب الانسان على بقية الجوانب الأخرى .

والأعضاء التناسلية ليست مقززة فى التربية الاسلامية — فالطفل يعود الطهارة من صغره لاتصاله بالصلاة — وفى كتب الفقه تفصيلات كثيرة يدرسها الاطفال والشباب ليتطهروا ويستعدوا للصلاة التى هى أهم ركن فى الاسلام .

والاسلام لا يثير الغريزة ، بل يمنع الاثارة فى أية صورة من الصور وذلك منذ الصغر ، فهو يوصى بألا تترك الفرصة للصغار للاطلاع على العورات ، قال تعالى :

(يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء) النور / ٥٨ — فهذا أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية ظانين أن الصغار لا تمتد أعينهم — قبل البلوغ الى هذه المناظر بينما يقرر النفسيون أن المشاهد التى تقع عليها أعين الاطفال هى التى تؤثر فى حياتهم المقبلة — والله سبحانه وتعالى يؤدب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبنى أمة سليمة الاعصاب طاهرة القلوب نظيفة التصورات .

ثم ان الاسلام — لذلك — لا يبيح الاختلاط المثير ولا يبيح الخلوة ولا يبيح الملابس المثيرة لما لها من خطورة فهو يمنع ابداء الزينة الا للزوج والمحارم : **(ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها)** ثم يقول : **(ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن)** الآية/٣١ النور — وينهى المؤمنات عن الحركات التى تعلن الزينة المستترة وتهيج الشهوات الكامنة وتوقظ المشاعر

الهادئة : (**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**) النور / ٣١ ، ومن ذلك الاثارة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام ومن واجب المسلمين أن يطلبوا منع هذا ٠٠ ومن واجب ولى الأمر أن يمنع فهو مسئول أمام الله وأمام الناس — والمسلم مطلوب منه أن يتعفف حتى عن النظر الى المرأة فليس له الا النظرة الاولى العفوية أما الثانية فهى عليه ٠

والاسلام بذلك يريد بذلك حماية المسلم من الأخطار النفسية التى يتعرض لها نتيجة لما يحدث فى المجتمعات التى تظهر زينة المرأة فتثير الشهوات وتحدث الصراعات داخل النفس وتكون سببا من أسباب الكوارث عليها ٠

أ — الزواج :

والزواج هو الطريق الطبيعى لاستجابة الغريزة — وذلك يتم فى ظل الرعاية الالهية وقد جعله الله تعالى للبشرية ليكون سكينة وألفة ومودة — وبالزواج تتوحد القلوب تحت ظل العقيدة وهى أعمق ما يؤثر فى النفوس — ومن هنا فقد حرم الاسلام الزواج بين المسلم والمشركة لأنهما لا يجتمعان على عقيدة واحدة — والله سبحانه وتعالى يريد ألا تكون هذه الصلة ميلا حيوانيا — بل يرفعها حتى يصلها بالله تعالى ويربط بينها وبين مشيئته فى نمو الحياة ، ورضى بزواج المسلم من الكتابية لأنها تؤمن بأصل العقيدة وقد تهتدى الى الدين الحق ٠

والزواج يعصم الانسان الى حد كبير لانه أغض للبصر وأحصن للفرج — بل ان فى اشباع الغريزة عن طريق الزواج أجر كما قال عليه السلام : (وفى بضع أحدكم صدقة فقالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له أجر ؟ فقال عليه السلام أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها فى حلال كان له أجر) مسلم ٠

والاسلام لا يعتبر الحديث عن الغريزة عارا ٠ لأنه يصلها بأهداف علوية وهو لذلك يتحدث عنها فى

القرآن مبينا كثيرا من الجوانب التي يحتاج اليها الانسان فى بيان الأحكام فهو يتحدث عن حل المعاشرة الزوجية ليلة الصيام : **(أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم)** البقرة / ١٨٧ ، وحرمتها لمن نوى الاعتكاف ولذلك فانه يقول فى نفس الآية : **(ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد)** ، وحرم اتصال المسلم بزوجته أثناء المحيض : **(يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)** ، ثم يقول : **(فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله)** ومعنى ذلك الاتيان من منبت الاخصاب دون سواه — فليس الهدف هو حصول اللذة — انما هو امتداد الحياة ابتغاء رضوان الله ، ولذلك فانه يقول فى نهاية الآية : **(ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** البقرة / ٢٢٢، يتحدث عن ذلك أثناء الحديث عن أحكام الزواج والطلاق والعدة ويرفع هذه العلاقة عن أن تكون مجرد متعة جسد .

ب — الصيام :

فاذا لم يستطع الشاب الزواج لسبب من الأسباب فعليه أن يلجأ الى الصوم فانه له وقاية والرسول الكريم يقول فى ذلك : **(من استطاع منكم الباءة — تكاليف الزواج — فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء — وقاء)** البخارى ، فالصيام وسيلة ضبط قوية فعالة ذلك لأن الانسان يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة ويحقق كيانه بذلك .

جـ — ضبط الغريزة :

والاسلام يضبط الغريزة ويوجهها — والضبط يأتى أولا من ربط القلب البشرى بالله ومراقبته فى كل عمل ومن ربط المسلم باليوم الآخر — فالانسان يتلهف على لذائذ الحياة حين يحس بأن فرصته فى الدنيا هى الفرصة الوحيدة فهو ينتهزها قبل أن تفوت — لكن المسلم يؤمن بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى ..

والاسلام يعرض الى جانب اللذة الجنسية ألوانا من لذائذ الحس والنفس ينالها من يحاولون ضبط أنفسهم فى هذه الحياة عن الاستغراق فى لذائذها المحببة لتبقى لهم انسانيتهم الرفيعة ومن هنا فان القرآن الكريم يجمع فى آية واحدة أحب شهوات الأرض الى نفس الانسان : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث**) آل عمران/١٤ ثم يبين للناس أن هذا كله متاع الحياة الدنيا ، ولكن هناك لذائذ أخرى وهى ما ذكرت فى الآية الأخرى : (**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله**) آل عمران / ١٥ — كما ان لهفة الانسان على المتعة الجنسية تضبط حين يعرف المرء فى هذه المتعة وسائل لانتشار النوع ويربط بين نزوة الجسد العارضة وغايات الانسانية الدائمة ورفرفة الوجدان الدينى ويمزج بينها فى لحظة واحدة وحركة واحدة واتجاه واحد ذلك المزج القائم فى كيان الانسان وأنه خليفة الله فى أرضه المستحق لهذه الخلافة بما ركب فى طبيعته من قوى وبما أودع فى كيانه من طاقات •

والاسلام مع هذا يستنفد طاقات الانسان النفسية فى اتجاهات عليا لا تلجأ الى المتاع الحسى وحده — كما يستنفد هذه الطاقات فى اتجاهات عليا بقصد تحويل الفائض منها عن أن يستغرق فى متاع الحس فهو لذلك حث — عن طريق الاعلاء — على الفروسية لأنها رياضة ترفع النفس عن محيط الحس وتوجه الطاقة الى منصرف نبيل — وهو يقيم نظام المجتمع كله بصورة لا تحصر الدوافع الفطرية ولكنها تمنع الاسراف فى كل شىء والله لا يحب المسرفين •

من هنا فان الشاب المسلم لا تظهر عنده العقد النفسية لأنه لا يوضع بين ضغطين متعارضين

ضغط من ضميره الذى كونه من الدين والعرف لا يجوز وجودها — وان وجدت أخمدت ، وضغط غريزته عندئذ تتكون العقد النفسية — أما الاسلام فقد ضمن سلامة الانسان من هذا الصراع بين شطرى النفس البشرية من نوازع الشهوة واللذة ، وحب الارتفاع والتسامى ولكل نشاطه المستمر فى حدود التوسط والاعتدال •

الحب :

ويأخذ الحب كثيرا من التفكير والوقت فى العصر الحديث ، وما أكثر مشكلاته وما أكثر الأمراض النفسية التى تنجم عنه ، ولعل أغرب تجارة كسب منها التجار ألوف الملايين هى تجارة الحب وصناعة السينما ونحوها ، ولقد ساعد ذلك على افساد عواطف الشباب فى هذا الجيل الذى ولد بعد الحرب وقالوا له : ان الحب جميل وساحر ، وأصبحت كلمة الحب صورة خيالية لا يستطيع الانسان أن يصل اليها فيعجز الشاب عن ممارسة الحب وعن الرضا العاطفى ، وبذلك يختلف الانسان عن أفكاره لأن الواقع يصدمها ، ولذلك فلابد وأن يعرف المجتمع الانسانى صاحب الثقافة الغربية حقائق الحياة جيدا وأن يقنع الانسان بأن يتعامل مع الحب كعاطفة انسانية لا كشىء مدمر فتاك يطلب الولاء والتقديس ، ولابد من منع وسائل الدعاية من نشر المفاهيم الخطيرة حول هذا الموضوع حتى نحفظ الشباب من الدمار الذى ينتظره •

والاسلام يبدأ فى علاج هذه المشكلة مع الشباب بايجاد الصلة القوية بالله فهو نعم المعين لعبده فى كل وقت وقد فتح الباب أمام الجميع : (**واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان**) البقرة ١٨٦ — وهو يناقش المشكلة مناقشة هادئة حتى يصل الى الاقناع الى قلب الشاب فيساعده بذلك على التغلب على مشكلته — جاء شاب الى النبى صلوات الله عليه وطلب منه أن يصرح له بالزنا لأنه تمكن منه فلا يستطيع التخلى عنه — وبدأ

النبى عليه السلام يناقشه فى هذه المسألة قائلا له : أترضاه لأمك ؟ قال الشاب : لا قال النبى الكريم: وكذلك النــاس لا يرضــــونه لأمهاتهم ثم قال له : هل ترضاه لأختك ؟ قال الشاب : لا قال النبى الكريم : وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم ثم قال النبى الكريم : هل ترضاه لابنتك ؟ قال الشاب : لا قال النبى الكريم وكذلك الناس لا يرضونه لبناتهم ، فاقتنع الشاب بهذا المنطق وطلب من النبى الكريم أن يدعو له بعد أن عزم فى نفسه على الاقلاع عنه فدعا له النبى عليــه السلام ومسح على قلبه وشــفى الشاب من هذه المشــكلة ـ رواه أحمــــد .

وتذكر الانســان لله تعالى فى أشد الأقات يحميه من الوقوع فى الخطأ ، وهذا ما حــدث مع النبى يوسف عليه الســلام ـ فمع أنه كان غلاما فى بيت وزير يعيش فى مظاهر النعمــة ، ومــع أن التى راودته عن نفسها هى سيدته الا أنه رفض الفاحشة فى اصرار رائع قائلا : **(انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون)** يوسف / ٢٣ .

والتاريخ الاسلامى يحدثنا أن الشاب المسلم عبد الله الذى لقب بالقس لكثرة عبادته وورعه أحب سلامة المغنية حبا ملك عليه فؤاده وجعل الناس يطلقون عليها : سلامة القس ـ وقد اســتعملت معه كل وسائل الاغراء فلم تفلح فى جذبه الى ما تريد وأخيرا صرحت له بما تريد وقالت له : انى أحبك فقال : وأنا والله الذى لا اله الا هو ـ فقالت وأشتهى أن أضع فمى على فمك فقال : وأنا والله الذى لا اله الا هــو قالت : فما يمنعك فوالله ان المكان لخال فقال يمنعنى قوله تعالى : **(الأخلاء يومئذ بعضــهم لبعض عدو الا المتقين)** الزخرف / ٦٧ ـ ثم خرج ولم يعد اليها بعد ذلك أبدا .

على القاضى

دراسات قرآنية :

فى ملكوت السموات والارض

للاستاذ على عبد العظيم

أولا :

لهج المسلمون بالقرآن الكريم منذ نزوله تلاوة وحفظا وتدبرا ، وعملا بما فيه من توجيهات رشيدة، وتفرغ كبار العلماء قديما وحديثا لتفسير القرآن الكريم ليتيحوا للمسلمين فهمه وفقهه والعمل بما فيه ، امتثالا لقوله تعالى : **« أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين »** ٦٨ المؤمنون وقوله سبحانه **« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »** محمد ٢٤ .

وتنوعت مصنفات العلماء فى التفسير تنوعا فمنهم من جنح الى التفسير بالمأثور كما فعل الطبرى فى تفسيره « جامع البيان » والثعالبى فى تفسيره « الجواهر الحسان » والسيوطى فى تفسيره « الدر المنثور » وجنح بعضهم فى تفسيره بالرأى كما فعل الفخر الرازى فى « مفاتيح الغيب » والبيضاوى فى « أنوار التنزيل » والآلوسى فى « روح المعانى » وجنح بعضهم الى التفسير البلاغى مثل الزمخشرى فى « الكشاف » أو التفسير النحوى مثل ابن حيان فى « البحر المحيط » أو التفسير الفقهى مثل القرطبى فى « الجامع لأحكام القرآن » أو التفسير الصوفى كالسلمى فى « حقائق التفسير » وأخيرا ظهرت أنواع من التفسير العلمى للقرآن بذل أصحابها جهودا جبارة فى جمع الاشارات العلمية فى القرآن

الكريم والتوفيق بينها وبين ما كشف عنه العلم الحديث لاظهار أنه لا تناقض بين العلم والدين ولابراز اعجاز القرآن الكريم فيما أشار اليه من حقائق علمية لم يكشفها العلماء الا فى العصر الحديث ، وذلك مثل تفسير « الجواهر الحسان » للشيخ طنطاى جوهرى ومثل « التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن » للأستاذ حنفى أحمد ، ومثل « الاسلام فى عصر العلم » للدكتور محمد أحمد الغمراوى ، هذا الى ما يكتبه بعض الباحثين المعاصرين من أبحاث ومقالات أو مايصدرونه من مصنفات ٠

وقد ظهر الى جانب التفسير العلمى للقرآن الكريم تيار مضاد له ينكر وجود اشارات علمية فى القرآن الكريم ويقرر أنه كتاب دين لا كتاب فلك أو طبيعة أو طب ٠٠٠ ويدعو الى فهم القرآن الكريم فهما مطلقا لمدلول كلماته كما فهمه العرب فى صدر الاسلام ويشفق من اندفاع العلماء فى تأويل آيات القرآن الكريم تأويلا يصرفها عن معانيها الحقيقية وليها ليا عنيفا لتطابق ما اهتدى اليه العلم الحديث من كشوف عملية وقد تزعم هذا التيار المرحوم أمين الخولى وتزعمه من بعده زوجته الدكتورة / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ٠

والحقيقة أن كلا الطرفين مبالغ فيما ذهب اليه :

فأما الجانحون للتفسير العلمى ٠ فاننا نقول لهم أن الكشوف العلمية تتغير من جيل الى جيل فان العلم ينقض اليوم ما أبرمه بالأمس ، وينقض غدا ما أبرمه اليوم ، والقرآن الكريم ثابت لا يتغيرلأنه: « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ومن الخطأ أن نخضع القرآن الكريم للمعارف البشرية التى تتغير وتتبدل من جيل الى جيل وحسبنا أن نقرر أن نظرية النسبية للعلامة « آينشتاين » جاءت حديثا فغيرت مفاهيمنا عن الكون وغيرت كثيرا من الآراء العلمية التى كنا نؤمن بها كل الايمان ٠

ولهذا يلاحظ على الشيخ

طنطاوى جوهرى ــ رحمه الله ــ أنه أخذ ببعض الآراء العلمية فى تفسيره ولكنهاتغيرت الآن وتحولت من النقيض الى النقيض وهنا مكمن الخطر فى التفسير العلمى للقرآن .

أما الفريق الثانى فهو مخطىء كل الخطأ فى انكار ما ورد فى القرآن الكريم من اشارات علمية لأن القرآن الكريم حافل بالاشارات العلمية التى تدل على عظمة الله وعلى قدرته وابداعه ــ وسنتناولها بالتفصيل فيما بعد ــ كما أنه حافل بدعوتنا الى استعمال العقل والى التدبر فى ملكوت السموات والأرض ، أما الدعوة الى استعمال العقل فقد حثنا القرآن الكريم على استعمال عقولنا فى نحو خمسين آية مثل قوله تعالى « **ويريكم آياته لعلكم تعقلون** » ٧٣ البقرة « **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** » ٢٤٢ البقرة « **قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون** » ١١٨ آل عمران « **انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** » ٢ يوسف « **وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون** » ٨٠ المؤمنون « **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » **١٦٤ البقرة** .

كما وردت فى القرآن الكريم عبارات الدعوة الى التدبر والتفكر والنظر فى ملكوت السموات والأرض والاشارة الى العقول والالباب والافئدة مئات المرات ، وما من كتاب سماوى أشار مئات المرات الى العقل أو التدبر أو التأمل أو النظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء كما أشار القرآن الكريم .

وقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بأنه سيرينا من آياته العلمية مايردنا الى الايمان به ، قال سبحانه : « **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها** » ٩٣ النمل وقال عز من قائل : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم**

أنه الحق » من آية ٥٣ فصلت ٠

والقرآن الكريم يلفت أنظارنا الى آيات الله المتلوة فى كتابه الكريم فيقول : « **كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » ٢٩ ص** كما يلفت أنظارنا الى آياته الكريمة المنبثة فى أرجاء الأرض والسموات « **أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها** رواسى **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » ٦ ، ٧ ق** ، « **أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت**» فالقرآن كلمات الله المتلوة والكون كلمات الله المجلوة فلو كان القرآن عوالم حسية لكان هو الكون العجيب « **ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى» ٣١ الرعد أى لكان هو هذا** الكتاب المنزل الحكيم ٠

ولو كان الكون كتابا متلوا لكان هو القرآن الكريم فكلاهما كتاب الله وكلماته البينات وآياته الخالدات قال تعالى : « **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله » ٠** ٢٧ لقمان وقال سبحانه : « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا » ٠** ١٠٩ الكهف

والمسلمون مطالبون بالتدبر فى آيات الله المتلوة ليفوزوا برحمة الله « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » ٠ ٢٠٤ الاعراف** ومن علامات الايمان أن تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله قال تعالى : « **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » ٠** ٢ الانفال

كما أن المسلمين مطالبون بالتأمل فى آيات الله الكونية وقد عاب الله على الغافلين أنهم يمرون بآياته الكونية دون تدبر أو تفكر قال تعالى « **وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها**

معرضون » ١٠٥ • يوسف وقال سبحانه : « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء** » • ١٨٥ الاعراف

والقرآن الكريم معجزة تقاصرت أعناق البلغاء عن أن يأتوا بسورة من مثله كما عجزت عقول الجن والانس جميعا عن أن تأتى بمثله « **ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » ٨٨ الاسراء •

كما أن آيات الله الكونية معجزة أيضا فان الجن والانس عاجزان عن تكوين خلية حية واحدة من خلايا الذبابة « **ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه** » من ٧٣ الحج • « **فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون** » من ٦ الجاثية •

أما زعمهم أن القرآن نزل ليفهمه العرب فى الصدر الأول من الاسلام وأن علينا أن نحذو حذوهم فيما فهموه من آياته البينات بحسب مدلولات ألفاظه المفهومة لديهم لأنهم عرب أدرى بلغتهم وأقدر على فهم معانى كلماتها منا فهو رأى بعيد كل البعد عن الصواب ، لأن القرآن الكريم لم ينزل لعصر واحد ، ولا لجيل واحد ، ولا لأمة واحدة وانما نزل للبشرية جمعاء وهو يخاطب العقول فى كل زمان ومكان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها من كائنات •

والقرآن الكريم يخاطب العقول على اختلاف المواهب والثقافة والتدبر والتفكر وكل عقل يأخذ منه ما يطيقه وما ينتفع به ، فاذا عجزت بعض العقول عن ادراك بعض معانى آياته وجب عليها أن تستعين بكبار العلماء الباحثين فان الله تبارك وتعالى يقول : « **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** »من ٤٣ آية النحل ويقول سبحانه : « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** » ٤٣ العنكبوت ، ويقول عز من قائل : « **وما يذكر الا أولوا الالباب** »٧ آل عمران وكم استنبط العلماء والفقهاء والباحثون من آيات القرآن الكريم

معـــانى وأحكاما لم يعرفهـــا السابقون .

فالقرآن الكريم – كما قال فيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – « حبـــل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهـــواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشـــبع منه العلمـــاء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه » والدارس للقرآن الكريم يأخذ منه بمقـــدار موهبته الفكرية وايمانه القـــوى وثقافته العلمية ومعارفه العـــديدة وتفكيره العميق وكلما نما العقـــل البشرى واتسعت مداركه وتنوعت ثقافته وتعـــددت تجاربه وغزرت معـــارفه أدرك من معانى القـــرآن الكريم ما لم يدركه ســـواه ، وقد يدرك بالتأمل العميـــق مالم يكـــن يدركه من قبل .

وسنوضـــح هذا بالأدلة العقلية والشـــــواهد المنطقية والأمثلة الواقعية فى الفصل التالى ان شاء اللـــه .

ثانيـــا :

ان الدارس لأســـاليب القرآن الكريم يلاحظ أنه يتحـــدث عن الحـــدود أو الأحكام فانه يذكر أصـــولها فى تحديد دقيق ويترك التفصـــيلات الفرعية للحديث الشريف وذلك مثل الآيات الكريمة التى تناولت القصـــاص والمواريث وما حرمه الله من الطعام .

وكثيرا ما ينبهنا الله الى مراعاة حدوده ويحذرنا من تجاوزها مثل قوله تعـــالى : « **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها** » ١٤ النساء وقـــوله سبحانه « **ومن يتعد حدود اللـــه فاولئك هم الظـــالمون** » من الآية ٢٤٩ البقرة وقوله عز وجل « **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** » من الآيـــة ٢٣٠ البقـــرة وقـــوله تباركت آلاؤة « **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفســـه** » من الآية الاولى سورة الطلاق .

ولكن القرآن الكريم حينمـــا يتناول القضـــــايا الاجتماعية أو المشكلات الفلسفية أو الدراسات

العلمية فانه يصوغها فى عبارات تسع أفكارا عديدة يأخذ منها كل باحث ما يناسب ثقافته ودراساته ومواهبه وما يتفق مع ما وصلت اليه المعارف البشرية من تقدم وازدهار .

وهنا يعطينا القرآن الكريم أكثر من معنى فى العبارة الواحدة وهذا لون من ألوان الاعجاز القرآنى لم يوله الباحثون ما يستحقه من عناية واهتمام ، بل اننا نجد أحيانا عبارة واحدة تعطينا معنى خاصا وفى الوقت نفسه تعطينا ما يبدو مضادا لهذا المعنى وذلك مثل قوله تعالى : « **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون** » « ٣٣ — ٣٥ يس » فان الآية الأخيرة تعطينا معنى أن الله سبحانه خلق لنا الثمر لنأكل منه ونبهنا الى أنه من صنع الله لا من صنع البشر فما عملته أيدينا بل الله سبحانه هو الذى خلقه ويسره كما قال سبحانه فى موضع آخر « **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** » ٦٣ ، ٦٤ الواقعة على أساس أن أن (ما) حرف نفى .

ولكن الآية تعطينا معنى آخر الى جانب المعنى الأول ، وهو أن الله خلق الثمرات لنأكل منها طازجة ولنأكل مما صنعته أيدينا من هذه الثمرات بالطهى أو العصير أو التمليح أو التسكير أو التجفيف أو التقديد ... أى لنأكل منها طازجة ومما صنعته أيدينا منها بالوسائل الصناعية على أساس أن (ما) هنا موصولة . والمعنيان كلاهما صحيح وان كان ظاهرهما يشعر أنهما متضادان ولكن النظر الدقيق يمنع التضاد فكلا المعنيين صحيح ومقصود .

وشبيه بهذا قوله تعالى : « **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال** » فان الآية الكريمة تعطينا معنى أن مكرهم عظيم وأن كيدهم متين حتى تكاد تزول منه الجبال وتكون (إن) هنا مخففة من (ان المشددة) وهى اذا تأكيد وقد وصف الله

الانسان المنحرف بأنه كان ظلوما جهولا » وأنه « لربه لكنود » ولكن الآية اذا نظرنا لمعناها من حيث نتيجة الكيد فانها تعطينا معنى مخالفا للمعنى الأول وهو : وماكان مكرهم لتزول منه الجبال والمعنى أنهم مهما بلغوا فى الكيد والمكر فان نتيجة مكرهم فاشلة وغاية كيدهم خاسرة **« انه لا يفلح الظالمون »** . من الآية ٢٣ يوسف

وكلا المعنيين صحيح ولا تعارض بينهما فالمعنى الأول يؤكد أنهم يلحون ويلجون فى الكيد والمكر لجاجا شديدا والمعنى الثانى أن نتيجة مكرهم وكيدهم فاشلة وان بالغوا فى التدبير والتصميم .

وهناك آيات عديدة تعطينا معانى عديدة يظهر بعضها فى زمن ويظهر باقيها فى أزمان متوالية تبعا لازدياد فنون الثقافة والكشوف العلمية بعض ومن الخير أن نعطى بعض الأمثلة التوضيحية فى هذا المقام مثل قوله تعالى **« وأرسلنا الرياح لواقح »** من الآية ٢٢ الحجر فاننا نستطيع أن نفهم من العبارة القرآنية أن الله يرسل الرياح حاملة المطر الذى يلمس الأرض فتهتز وتؤتى أطيب الثمرات كما يلمس الذكر الأنثى بمائه فتنجب ويزكى هذا المعنى قوله سبحانه بعد هذا **« فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه »** من الآية ٢٢ الحجر ، ويذكر الزمخشرى أن الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى ريح عقيم .

وهناك معنى آخر هو أن تحمل حبوب التلقيح من النبات الذكر الى أعضاء التأنيث فى النبات الأنثى وهنا يتم الاخصاب وقد تحمل الريح الحشرات وتتيح لها الانتقال حاملة حبوب التلقيح من نبات ذكر الى نبات أنثى وهناك معنى ثالث هو أن الرياح تمد التربة الأرضية ببعض من عناصر الهواء لتزيد خصوبة الأرض وتجلعها صالحة للانتاج ونحن نستمد الآن عنصر الآزوت من الهواء بطريقة صناعية كيماوية لنمزجه بالتربة الارضية فيزيدها خصبا على خصب وتجعلها صالحة للاثمار . ومن الأمثلة القرآنية

التوضيحية قوله تعالى : « **ان كل نفس لما عليها حافظ** » ٤ الطارق ٠

فانها تعطينا معانى عديدة بعضها قديم وبعضها عرفناه أخيرا عن طريق الكشوف العلمية الحديثة فمن المعانى القديمة :

أولا : أن الله سبحانه يحفظنا من كثير من الأخطار المحدقة بنا لأنه سبحانه « **خير حافظا وهو أرحم الراحمين** » ٦٤ يوسف ٠

وهذا ما لاحظه الشاعر العربى القديم حيث يقول :

لعمرك ما يدرى امرؤ كيف يتقى

اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ولاحظ شاعر آخر أن الله يحفظنا من أخطار نعرفها فيلهمنا تجنبها كما يحفظنا دون أن ندرى من أخطار لا ندركها فقال :

نرى الشىء مما يتقى فنهابه

وما لانرى مما يقى الله أعظم

ثانيا : أن الله سخر بعض ملائكته لتسجل علينا أقولنا وأفعالنا ليجازينا عنها بما نستحقه من جزاء كما قال سبحانه « **وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون** » ١٠ ــ ١٤ الانفطار ٠

وكما قال تعالى : « **ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد** » ١٨ ق٠

ثالثا : ان على كل منا رقيبا يحفظه من أن يدمر الآخرين أو أن يعبث فى الأرض فسادا الا حين يشاء الله أن يجعل بعض الناس فتنة للبعض الآخر كما قال تعالى : « **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة** » من الآية ٢٠ (الفرقان) والانسان لايملك أن يفعل الا ما أراده الله سبحانه لأن الله سبحانه يصده عن فعل مالا يريده « **وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما** » ٠

ومن المعانى الحديثة :

أولا : أن الله أودع فى دم الانسان ما يسميه الأطباء (كرات الدم البيضاء) وكل مليمتر مكعب من الدم يضم ثمانية آلاف كرة بيضاء ٠ مهمتها الدفاع عن الجسم اذا تسللت اليه جراثيم الأمراض فاذا اقتحمت الميكروبات الجسم البشرى صدرت اشارة من المخ الى فصيلة من فصائل كرات الدم البيضاء بملاقاة العدو والالتحام به للقضاء عليه ، وقد فطن الأطباء الى هذه الخاصية فاذا انتشر وباء

مثل الكوليرا أو الجدرى بادر الأطباء بتطعيم الأصحاء بجراثيم ضعيفة من هذا الوباء لتتدرب كرات الدم البيضاء على ملاقاة هذا العدو تدريبا كافيا حتى اذا تعرض الجسم للعدوى بعد ذلك كانت لديها حصانة كافية وقدرة تامة على ابادة هذه الجراثيم .

والقوانين الدولية تحتم على المسافرين من دولة الى أخرى أن يحصنوا أنفسهم بالتطعيم ضد الأمراض المنتشرة .

أليست كرات الدم البيضاء جيشا معدا لحفظ الجسم من جراثيم الأمراض الفتاكة « **ان كل نفس لما عليها حافظ** » ٤ (الطارق).

ثانيا : ويرى الأطباء تفسيرا جديدا آخر للآية فان الجراثيم اذا تسللت الى الجسم البشرى عن طريق الأنف مثلا وجدت ثلاثة خطوط دفاعية حافظة للجسم ، الأول منها شعرات الأنف الموجودة فى داخله فهى تعمل على تنقية الهواء من هذه الجراثيم وأمثالها ، والخط الثانى عدد المخاط فانها تفرز افرازات عديدة تطرد هذه الأجسام الدخيلة ، والخط الثالث هو الخياشيم التى تنقى الهواء تنقية تامة وتدفئه حتى تكون حرارته مناسبة لحرارة الجسم حتى لايصاب المستنشق بنزلة شعبية أو التهاب رئوى حاد .

وهكذا جميع أعضاء الجسم كل منها مزود بجهاز حافظ وواق من الأخطار .

ثالثا : أما علماء النفس فيفهمون الآية الكريمة فهما جديدا فكل جسم بشرى أمده الله بحافظ ينبهه الى ما يصيبه ويحميه من ارتكاب الآثام التى تدمره تدميرا ويطلقون على هذا الحافظ اسم « الرقيب » ويمكن أن نسميه بالضمير الذى ينبه صاحبه الى اجتناب ما يخالف القانون أو الأخلاق الكريمة أو الشرائع السماوية وقد يقع الانسان فى خطأ ما فينبهه ضميره الى المبادرة باصلاح ما أخطأ فيه .

على أن خير ما نسمى به هذا الحافظ هو التسمية القرآنية « **النفس اللوامة** » التى تلوم صاحبها اذا قصر أو أهمل أو أخطأ فترده الى الصواب . فليستمع الى

صوت نفسه اللوامه وليستجب لها ليعود الى فطرته الطبيعية النقية التى فطر الله عليها الناس، والى هذا يشير الحديث الشريف « استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك » .

رابعا : يرى علماء الأحياء رأيا آخر وهو أن الله زود كل كائن حى بما يحفظه ويحميه فى ميادين الصراع القائمة بين الأحياء ، فقد زود الله الانسان بالعقل ليحميه من فتك الحيوانات المفترسة به كما زود السلحفاة بالدرع الحجرى الذى يحفظها وزود الثعابين بالسم الواقى ، والقنافذ بالأشواك والأبقار بالقرون ، والأسود بالمخالب والأنياب والغزلان بالخفة والسرعة الفائقة .... حتى بعض النباتات الضعيفة زودها الله بالأشواك .... « **ان كل نفس لما عليها حافظ** » ٤ الطارق .

ومن هذا المثل رأينا أن الآية الكريمة زودتنا بمعانى عديدة قديمة وحديثة وقد تعطينا معانى جديدة أخرى فى مستقبل الأيام وكل هذه المعانى صحيحة ومقصودة ولو ذكر القرآن الكريم كل معنى على حدة فى آية مستقلة لتضاعف حجمه أضعافا مضاعفة ولباغت بعض الأجيال بما لاتستطيع فهمه قبل أن تتضج ثقافتها العلمية .

ان الله هدى الانسان لاختراع انصاروخ صاحب الرءوس المتعددة التى تنطلق منه فيصيب كل منها هدفا مستقلا مقصودا .

أما أن تصيب الجملة الكلامية عدة أهداف مقصودة فى وقت واحد فهذا اعجاز انفرد به القرآن الكريم ليأخذ كل انسان منه مايتفق وثقافته وتفكيره وتقواه ، وليستطيع كل عصر أن يضيف جديدا فى فهم هذا الكتاب الكريم الذى « لا يخلق على كثرة الرد ولاتنقضى عجائبه » كما ورد فى الحديث الشريف ، أما مناهج التفسير العلمى لهذا الكتاب المبين فموعدنا بها البحث القادم ان شاء الله .

على عبد العظيم

حول إعلام إسلامي رشيد
الوعظ الديني

للدكتور محمد رجب البيومي

— ١ —

تصادف كلمة الوعظ ثقلا لدى بعض النـــاس ، اذ توحي اليهم بادىء ذى بدء بأنها لا تخرج عـن سيل من النصائح العامـــة التى يعرفها السامع مقدما ، قبـــل أن ينطق بها المتكلم ، حتى أصبح من المألوف المشاهد أن تستمع من انسان تنصحه بما ترى فى اتبـــاعه الخير ، صيحة متبرمة يلخصـــها فى قوله : كفى كفى ، لا أريـــد وعظا !

والوعظ الذى نعنيه بمقال اليوم هو الوعظ الدينى الذى يهـدى الى الصلاح دينـا ودنيـا وهـو شىء آخر غير العلوم الدينية وان اتفق معها فى نتيجته المثمرة ، فالشيخ الذى يشرح للعامة فى المســاجد مسائل الفقه والعقيدة ليس واعظا بالمعنى الـــذى نقصده ، بل معلم مثقف ، ولكن هذا الشيخ اذا حث سامعيه على الفضـــائل والآداب الاسلامية وحضهم على التمســك بالمثل العليا مستشهدا بكتـــاب الله وسنة رسوله ووقائع الســـلف الصالح من صدور هذه الأمة ، فهو داعية واعظ ، وهو من نعنيه بهـــذا التوجيه •

ونحن نعلم أن الوعظ الدينى فى مطلع هذا القرن لم يكن وظيفـــة رسمية لها دعاتها المعينون من قبـــل الدولة ، وانما كان عملا اختياريـــا يقوم به نفر ممن يعلمـــون واجب المسلم المثقف فى هداية النفـــوس

والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر كما يقوم اليوم بعض المتبرعين بالهداية ممن لا يحملون الصبغة الرسمية تعيينا وتحديدا للزمان والمكان ، ولكن الاحتلال الانجليزى قد عمل منذ هزيمة الثورة العرابية على تنشيط التبشير بالمسيحية فى بعض البلاد المصرية وبخاصة مدن الصعيد ، فأحس علماء الاسلام بخطر هذا النشاط ، وهبوا تلقائيا يذودون عن معتقدهم الاسلامى

وألفت جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية حينئذ لتقوم بالرد على ما يأفكه المبشرون ، وقد اشتهر من العلماء طائفة مخلصة جعلت قيادها الى المرحوم الشيخ زكى الدين سند رئيس الجماعة ، ومعه زملاء مخلصون من أمثال عبد الوهاب النجار ومحمود محمود ومحمد عبد العزيز الخولى وعلى الجربى وطائفة أخرى من تلاميذ الاستاذ الامام محمد عبده ، ثم رأى السيد رشيد رضا أن ينشىء مدرسة للارشاد الدينى تخرج الدعاة على أحسن ما يرجى من فهم روح العصر ، ونفسيات أبنائه وظروف مجتمعه ، ليكون الداعية المسلم واعيا بما يجب أن يقول اذ أن لكل مقام مقالا ، ولكن قيام الحرب العالمية الاولى حال دون أن تستكمل رسالتها ، وكان اتجاه الدعاة جميعا الى العامة ، حيث كانوا مظنة الوقوع فى حبال المبشرين ، فأخذت خطب الجمعة ودروس المساجد ، ومحاضرات الجمعيات تصاغ على نمط سهل ميسر ، وقارىء الدواوين المنبرية لذلك العهد يلمس روح الاخلاص دون شك ، ولكنه يلمس فى الجهة المقابلة سيولة فى القول لا تعرف الحصر الدقيق اذ يتشعب الحديث دون أن يتركز فى نقطة واحدة ، كما نرى فى خطب الشيخ الصالح محمد الجنبيهى ــ وله عدة دواوين كانت ذات انتشار ممتد فى عهده ــ مع مجموعات أخرى من الخطب الدينية ألفها زكى الدين والشرنوبى والحمامى ، ولا ننكر على هؤلاء الافاضل جهودهم المشكورة اذ بذلوا قصارى ما يستطيعون قبل أن يتقدم الاسلوب المنبرى تفكيرا وتعبيرا وتصويرا واستشهادا ، وقبل أن

تخرج المطبعة فيضا من الدراسات الدينية كما نرى الآن ٠

ثم أنشىء قسم الوعظ والارشاد بالأزهر ، وقام على توجيهه نفر من كبار العلماء نذكر منهم الأساتذة الكبار على محفوظ، ومحمد أحمد العدوى وعبد ربه مفتاح ، وكان مدعاة انشائه أن يخرج من أكفاء الوعاظ من يقومون بهداية الشعب خلقيا واصلاحيا لأن حوادث الثأر ببعض الأقاليم ، وشيوع السرقة والتنافس العائلى على الرياسات المحلية فى تحرش بالخصوم ، واستهانة بالأرواح مما دعا وزارة الداخلية المصرية أن تجند نفرا من رجال الأزهر لمكافحة الجريمة ، والدعوة الى أخلاق الاسلام ، فتغلغلت الطائفة الأولى من الوعاظ بين الكفور القاصية والنجوع النائية ، لتهدى الضالين بالحكمة والموعظة الحسنة ، ووفقا لمقتضى الحال أخذ هؤلاء الدعاة يصوغون أحاديثهم فى نهج يناسب من يستمعون من العامة ، فيكثرون من أحاديث الترغيب ، ولا يجدون حرجا من تعدد الموضوعات فى الموعظة الواحدة ، وهو ما نزال نشكو منه الى اليوم لدى قلة من الدعاة ، لم تفطن الى ارتفاع المستوى الثقافى وفقا لتطور الزمن ، أما الكثرة فقد أخذت بأسباب التركيز والتحديد ، وهو ما ينبغى أن يكون منهجا عاما لجميع الداعين ٠

— ٢ —

أردت بهذه المقدمة التاريخية الموجزة أن أبين أسباب الانخفاض الملموس فى المستوى العلمى ، والمنحى الفكرى اللذين شاعا بوضوح لدى نفر من واعظى الأمس ، اذ كانت العامة وحدهم هدف المتحدث فكان مضطرا الى أن يقدم لهم من الغذاء ما يقدرون على هضمه وتمثيله ، وكان ذلك مقبولا بعض الشىء فى زمنه الماضى ، اذ كان المثقفون — أو أكثرهم مع الأسف — لا يجدون استجابة نشيطة من نفوسهم لدعاة الفضيلة ، لأن بريق أوربا — فيما قبل الحرب العالمية الثانية — كان

يجذبهم الى ثقافة الغرب وحدها والاكتفاء بها اذا قوبلت بغيرها ، اذ هى فى رأيهم ثقافة الحضارة المزدهرة ، والمدنية الشامخة بمخترعاتها العلمية ، وتقدمها الصناعى والفكرى والاجتماعى فكيف يتركونها الى مواعظ المساجد ، وخطب الجمعيات الدينية ؟ ! ولكن دمار أوربا بعد هذه الحرب قد فتح العيون النائمة فى بلاد الاسلام على ما جهلوه من خطر التمدن الأوربى الخادع، وتقهقر الخلق الانسانى هناك الى مستوى الوحوش المتصارعة فى الغابات والنمور الهائجة فى الأدغال ، فاتجهت النفوس الى الاسلام تلتمس فى نوره الهداية ، ومن معينه الارتواء ، وكان الظن برجال الارشاد الدينى أن يعدوا للموقف عدته ، فيخاطبوا العائدين الى حظيرة الايمان خطاب المثقف المستنير ، ولا أكذب الله حين أقول ان من بين هؤلاء الأفاضل من برع فى أداء رسالته ، وأبدع فى توجيهه بما وعى من ثقافة ، ودرس من مذاهب ، وخبر من نفوس ، والتزم من منطق فكان ذا اسم ذائع ، ولواء مرفوع ، على حين ظل نفر آخر يخاطب الخاصة خطاب العامة ، ويدعى للمنابر العامة الجهيرة فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون فيقول لديها ما يقوله فى قرى الريف ونجوع الصعيد ، دون أن يقدر موقفه التوجيهى فى عصر متعدد المذاهب، متباين التيارات ، متضارب الميول والنزعات .

ولا أكذب الحق — مرة ثانية — حين أقول ان دراسات متخصصة ، قد أعدت لتكوين هؤلاء الدعاة ، والمامهم بمسائل جديدة فى علوم التربية والنفس والاجتماع ، وان كتبا خاصة بالدعوة والدعاة قد كتبت لهم على منوال معاصر ، يكشف عن طبيعة عملهم ، ويغوص الى أعماقه ، ويطير فى آفاقه هذا حق لامرية فيه ، ولكن قليلا من هؤلاء من انتفع بدراسته العليا وبثقافته المتطورة ، فكان واعظ عصره ، وداعية زمنه ، وغير القليل لم ينتفع لأن الدراسات العليا وما يحذو حذوها من الكتب

الموجهة لم تصـــادف من عقله دراسات سابقة تمهد لقبول هـــذه الأفانين ، وحسـيك أن تعلم مثلا أن علم الكلام القديم هو حصيلته العقلية فى مجـال الدعوة للعقيدة فى عصر تنتشر فيـه الوجوديـة والشـيوعية والمـادية وما ينحو نحوها مما يهدم أصـول العقيدة الاسـلامية اذا سكت عن دفعـه بالبرهان الصريح ، وقـد أصبحنا فى عصر مفتوح النوافذ للاذاعات المغرضة تقذف سمومها كما تشاء ، ولن يستطيع المسلم تحصين نفسه من هذه السموم دون ارشـــاد هاد ووعظ مستنير ! ولا أجد حرجا من أن أقـــول ان بعض دعـاة المســيحية فى أوربا أكثر الماما بتيـارات عصره ، ومنحرفاتـه الملتوية ، فهو على التوجيه أقدر . ولعلى أبرهن على ذلك بالمثال .

— ٣ —

كتب الأسـتاذ الكبـير عباس محمود العقاد مقـالا جيدا تحت عنوان (كيف يعظون) تحدث فيه عـن واعـظ أوربى أعجبته ألمعيته المتوقدة فى النقاش ، وحسن تأتيه فى الجـدال ، وادراكه الـواعى لطبيعة من حوله من الناس ، فقال الكاتب الكبير ما ملخصه :

فى أثناء الحرب العالمية المدمرة، وقف بعض الواعظـين يتحدث فى مصنع أوربى فصاح به أحد العمال فى تبرم : ما هـذه الجرأة عـلى الوعظ باسم اله المحبة والرحمة ، وهذه الحرب تطحن الناس ؟

فأجاب الواعظ فى هدوء صابر : انك يا أخى لقاس على الأقـدار ، فهبك فى مكان القدر ، فما عساك تصنع بالدنيا ؟ لا أحسـبك كنت تخليها من الخطيئة ، لأن النفس مريدة وحـرة ولابد أن تخطىء وتصيب ، والا كانت مجبـــورة مسيرة ، أنت اذا أردت لها شيئا ملزما ، هـدمت تكوينهـا النفسى باعتبارها نفسا مكلفة ذات حرية وتقدير ، فان لم تصنع هذا فمـا أنت صانع ؟

فقال العـامل ـــ وكان عـلى نصيب من الادراك الثقافى ـــ على أى حال لا أدع انسانا فى الحياة ،

يألم لجرأة غيره ، ويصلى بجزاء ذنب لم يرتكبه ؟

فعاجله الواعظ يقول : يالها من حياة سخيفة تلك التى تريدها ، فما ذا تنوى أن تصنع بالأمهات مثلا ؟ أتريد لأم أن يذهب ابنها للموت أو ابنتها للعبار ، ثم نضحك بعد ذلك لاهية ، لأنها لا تحس الألم فى ذاتها الشخصية ، لأنه — حينئذ — موجه الى الابن أو البنت فقط ! أتريدلها أن تقول : ان الذنب ذنب غيرى فلا أكترث به ! ان الدنيا حينئذ تخلو من أنبل العواطف ، وأرق المشاعر ، اذ تكون خلوا من فضائل الأمهات والآباء وتعاطف الأوداء والأحباب !

هذا مثل جيد لواعظ بصير ، وآية الجودة فيه أنه يخاطب العقل المدرك فى نفس المستمع ، ويقدر الأحوال المحيطة به قبل أن يأتى ببرهانه ايجيىء رده مطفئا كل مايعتلج بالنفوس من حزازة الشك ، ولن يصل الى ذلك غير داعية مرن تثقف بثقافة عصره ، وكشف عن الأعماق من نفوس مخاطبيه ، ونحن فى زمن لا يكاد ينجح فيه الواعظ المسلم نجاحا ذا تأثير مأمول اذا اقتصر على سوق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مجردة من حرارة القائل ، وصدق تفسيره ، ولطف مدخله ، وطول أناته ، لأن العقول فى زماننا هذا حائرة قلقة وتريد لمن يصف لها العلاج من كتاب الله أن يقدر على اظهار حقائقه الربانية ، فالواعظ اذن مسئول عن موضع الاستشهاد ، ومناسبته ، وبراعة توجيهه ، والتأكد من انطباقه على ما يتحدث عنه دون تمحل أو افتعال ، حيث يكون الربط واضحا فى غير اعتساف ، وتلك ناحية عقلية لابد أن تتآخى مع ناحية خلقية ، اذ يكون الداعية موضع القدوة المثالية فهو الأنموذج المحتذى لأنه ملتزم بما يقول قبل أن يطالب به سامعيه ، وقد يبلغ العمل الواحد من التأثير النفسى ما لا تبلغه آلاف الأقوال، وأنا أعرف من كبار الدعاة من كانوا يؤثرن بالسلوك وحده دون أن يعلوا منصات المنابر الا فى النادر

القليل ، فاذا تكلموا كان حديثهم تطبيقا عمليا لما يريدون .

على أن ثقافة العصر بمدارسه ومعاهده وجامعاته وكتبه واذاعاته تحتم على الواعظ المستنير أن يلمس عيوب الواعظ القديم ليتركها دون رجعة ، ولكن الواقع غير ذلك فأنت لا تزال تسمع نفرا من الواعظين يغمرون الأسماع بالقصص الخرافية ، والروايات المصنوعة ، ويحشدون من الاسرائيليات وأشباهها ما يغرق السامعين فى لجب صاخب لاخير فيه، ونحن لا ننكر أن الحرص على التشويق وجذب الأسماع الى المواعظ شىء مطلوب ، ولكننا نريد بالتشويق المؤثر أن يتم فى ميدانه الطبيعى ، حين يرتفع الواعظ عن التسلية السطحية الى التثقيف الموجه ، فهو ذو مصباح لابد أن يبدد ظلام الشبهات ، وغياهب النفوس فاذا لم تستطع أشعة وعظه أن تهدى النفوس بغير الملفق من الأقاصيص ، فقد حاد عن الطريق ، واذا كان المدرس فى حقل التربية والتعليم يتخذ من وسائل الايضاح فى درسه ما يمهد به سبيل المعرفة الى عقول التلاميذ، فالواعظ مدرس أيضا فى هديه ، وعليه أن يهتم بوسائل الايضاح المجدية ليصل الى النفوس دون عناء .

هذا ، والايجاز — لدى — أبلغ من الاسهاب ، اذ ألف نفر من الواعظين أن يظلوا الساعة والساعتين صائحين متكلمين ، وكأن امتداد الزمن وحده مقياس الجدوى ، مع أنه داعية الى الاستطراد من القائل ، والملل من السامع ، والسامعون — لا محالة — طبقات ، منهم من يثابر على الفهم ، ومنهم من ينصرف الى أحلامه الخاصه فيرى مستمعا بجسمه دون فكره ، واذا كان الاطناب مع الجودة والاصابة مملا ، فكيف به مع التفاهة والحشو والاستطراد والتكرار !

لقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه أبلغ الدعاة فى عصره . وكان يقابل خطب الحجاج ابن يوسف الثقفى بعبارات

موجزة ، تحير الحجاج وتدهشه ، وتوقعه موقع القلق والاضطراب ، فلا يستطيع أن يرد ، وما كان الحسن رحمه الله يزيد فى وعظه البليغ على فقرات يسيرة ، تهب على المؤمنين روحا وريحانا ، وتصب على العصاة شواظا من لهب .

عاد الحسن البصرى ذات صباح مع العائدين من تشييع جنازة لأحد كبراء البصرة ، فالتفت الى أصحابه ، ونظر طويلا ، فشخصوا اليه منتبهين ، ثم سألهم فى تؤدة :

ترى لو رجع هذا الميت ثانية الى الحياة الدنيا أكان يحرص على الطاعات ؟

فقال السامعون جميعا : نعم .
فحدق فيهم الحسن متفرسا ثم قال فى تمهل : أما نحن فقد رجعنا ، وعلينا أن نحرص .!

ان السؤال الوجيز الذى وجهه الداعية الكبير ، والرد الموجز الذى تلقاه ، ثم ما شفعه به من التعقيب كل ذلك لم يستغرق دقيقة واحدة . ولكنه ترك فى النفس أبلغ ما يتركه واعظ كبير يتحدث عن الموت ساعة كاملة دون انقطاع ، وما ذلك الا لحرص الحسن على انتهاز الفرصة المواتية ، فسقط حديثه كما يسقط الغيث على المرعى الجديب ، وليس الحسن البصرى وحده فريدا فى بابه بل يشاركه أعلام بارزون من طرازه . وأذكر أن الجاحظ قال « ما تحدث عمرو بن ذر الهمذانى فى مجلس وعظه الا حسبت أن قد نفخ فى الصور وقام الناس لرب العالمين » .

كيف ارتقى الحسن فى اقناعه ؟ وكيف اهتدى ابن ذر فى ابداعه ؟ سؤالان ، جوابهما القدرة على انتهاز الموقف بالقول الصائب ! أما العلم وحده فما أكثره . وما أقل مايجدى دون التفات الى مقتضيات الأحوال .

د . محمد رجب البيومى

من شعراء الازهر

الشاعر الدكتور كيلانى حسن سند

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

بعد ألف عام وعام :

سوف تحتفى الأجيال بذكرى شاعر كبير ، عاش هنا ، ومات هنا ، دون أن يعرفه عصره ومجتمعه ، ودون أن يفيه زمنه وبيئته حق قدره ، وحق ما يجب له من تكريم ووفاء .

ولسوف تقول الأجيال القادمة عنه : لقد كان شاعرا مبدعا موهوبا أدى للعبقرية وللفن أرع ما يؤديه شاعر ، عاش يبنى المجد والحياة لأمته ووطنه ، ولجماهير شعبه ، وهو يردد أغانيه للحياة وللحب وللحرية ولانتصار الانسان .

وعجبت والله : كيف لم تهتز الدنيا لموت هذا الشاعر العملاق ، الذى لا أعرف له نظيرا فى حلاوة موسيقاه ، ولا فى رعشات صوره ، ولا فى وهج فنه ، وجمال الهامه ، وبلاغة صياغته مات شاعر، كان حقا سيصبح مفخرة للوطن وللعروبة وللانسانية .

مات الشاعر د . كيلانى حسن سند وفقدنا بموته الالهام الشعرى الرفيع ، والموهبة الساحرة الغنية المعطاء ، والابداع الشعرى الذى لا نهاية لعذوبته وجماله وسحره .

وهل يمكن أن يجود الزمن بمثل عبقرية هذا الانسان ، هذا الشاعر ، هذا الفنان المبدع حقا .

وأشهد أنى لم أقرأ شعرا له

الا وملكتنى هزة الاعجاب ، بهـذا النغم الشعرى النشوان ، وبهذا العطاء السـحرى الفينان ، وبتلك الروعـة والطـاقة الابداعيـة الصراحة ، بل بذلك المنجم الماس الثرى ، الذى طالمـا نفحنـا ثراء وعطاء وجمالا دون حدود .

وكنت أقـول ما لأسـيوط والأسايطة وما للشعر ؟؟ ..

وكذبت مقولتى هذه أشـعار الكيـلانى حسـن سند أولا .. وكذبتها أشـعار محمود حسـن اسماعيل ، وفوزى العنتيل ، وبكر موسى أخـيرا .. والثـلاثة ممن أعرفهم ، وممن نشأوا فى القرية ، وعاشوا فى المدينة ، وممن تلقـوا ثقافتهم الأولى فى المعهد الـدينى فى أسيوط ، وممن كانت موسيقاهم مع اختـلاف درجاتها حلـوة وجميلة ..

كتبت منذ أكثر من عام مقـالا لمجلة شـهرية أرشح فيها للمجد ثـلاثة شـعراء ، كان أولهـم شاعرنا الخالد د . كيلانى حسن سند ـ رحمه اللـه ـ ولم ينشر المقـال بعد .. وأظن أن عـدم نشره حتى اليـوم يرجـع الى أن المحرر المسئول له رأى خلاف رأيى .. وقد ينشر المقـال بعد حين ، ولكن نشره لن يبعد عن وجدانى روح الأسف لأن الشاعر كيلانى سند لم يقرأه فى حيـاته منشورا ، ولم يعـرف رأيى فى شاعريته الحلوة الساحرة الغنيـة المعطـاء ، التى خلفت لنا دواوين أربعة مطبوعة :

ـ قصائد فى القنال وقد صـدر عام ١٩٥٧ .

ـ فى العاصفة الذى صدر عام ١٩٦٢ .

ـ قبل ما تسقط الأمطار وقد صدر عام ١٩٦٨ .

ـ فى انتظار المطر الصادر عام ١٩٧٧ .

وهناك ديوان خامس مخطوط ، نعله يرى النور فى القريب .

ولا أريد هنا ذكر كتب أصدرها الشاعر ، ومنها :

ـ تجارب شعرية .

ـ ذو الرمة ، الذى صدر فى سلسلة أعلام العرب ، ولا ذكر رسالته المخطوطة للدكتوراه ، وموضوعها « حازم الفرطا جنى شاعرا » .

ولا أذكر كتب جامعية ، كتبها لطلابه فى كلية التربية بالفيوم .

ولقد حصل على الدكتوراه فى الأدب والنقد من كلية اللغة عام ١٩٧٤ بمرتبة الشرف الأولى .

وحسبى هنا أن أتحدث عن شعره وشاعريته ، وتجاربه الشعرية الانسانية العالية .

ـ ٢ ـ

ولنقرأ للشاعر قصيدته الأولى فى ديوانه الثالث ، « قبل ماتسقط الأمطار » وعنوانها « الكلمات » ، وفيها يقول :

يا كلماتى
ياكلمات سنينى العجفاء
أقسم أنى ما قصرت
سرت ، جريت ، مشيت على الشوك
مشيت ماقصرت
ما وفرت ضياء العينين
ماوفرت
لكن الطرقات المكتظة بالأحجار
ماتركت لى أن أختار
وأنا قلبى كالعصفور ، وزندى
لايصمد وسط التيار
مع الاشرار
ماذا يصنع من لايصعد غير جبال
النار
اذا مانهار أمام الشوك أو الأحجار
يطأطىء حين تهب الريح ، ويصمد
فى وجه الاعصار
يا كلماتى ، ياخيمات تحمينى من
وهج الصيف أو الأمطار
مما يرفع رأسى زهوا
أنى ماسطرت الأحرف لغوا
مادنست طريق الشعب
ماطرزتك حول وشاح كى يتقلده
جبار
يتهقه حين يشاهد روما وسط النار
كنت أريدك بستانا ان جاء المتعب

يأكل ، يشرب ، يغفو ، ينسى أحلام الغرباء
خبزا للجوعى ، ودواء للمرضى ،
وغطاء للمقرور ، ومسندة من ريش نعام
للأيتام
كنت أريدك..لو كانت تتحقق لو !
ولكن مما سيعزى القلب ـ:
خطا ؟ الأحباب ، خطا من يسلك هذا الدرب

أرأيت السحر والنشوة ، والموسيقى والأحلام ، والانسانية كيف تتدفق من ألحان هذه القصيدة الجميلة ، المعبرة عن فكر ثرى ، ومضمون غنى ، وبألوان من الصياغة الفريدة الجديدة ؟.

القصيدة تلخص فكر الشاعر ورؤاه ، وحرصه الدائب على شرف القلم ، وصدق الكلمة .

وليس هذا المضمون بجديد على الشاعر اننا سنلمسه فى ديوانه الأول قصائد فى القنال ، وهو يعبر عن نضال المصرى الذى سخره المستعمرون لحفر القنال ، تعبيرا لم يكن يملك فيه ذاتية الصياغة ، ولا حرية النغم ، حتى لنجد له مثل قوله :

سيبكى العيال
فتصرخ أمهم فى انفعال :
ابوكم ، وخبزكم ، والادام ، وكل الرجال ..
مضوا مرغمين لحفر القنال

ونلمسه فى ديوانه الثانى « فى العاصفة » فى مثل قصيدته الاولى « الطريق الشائك » ، التى يقول فيها :

بأكم عبرنا قنطرة
وأبحرا رهيبة أمواجها مزمجرة
وكم صعدنا قمة عالية ، مسورة
نبحث عن أغنية صغيرة ، عن جوهرة
وزادنا على الطريق ورق ومحبرة
وأمنيات فى الصدور غضة مخضوضرة

يا اخوة سيقبلون والليالى مقمرة
ويسلكون دربنا مواكبا مستبشرة
طريقهم ممهد وأرضهم محررة
فلم يروا أنا غرسنا واحة معطرة
سوى بذور لم تزل نائمة مخدرة

وبعض نجمات صغار فى الطريق نيرة
فاتذكروا أنا عبرنا ألف قنطـــرة
وقنطـرة

ونلمسه فى ديوانه الأخير « فى انتظار المطر »

يقول من قصيدته « أغنية » :
ان تدر طرفك تبصر من حوالينـا
حيـارى

وردوا النهر وعادوا منه بالهــم
سـكارى
آه لو نجعل يوما لهم الحب منارا
ونغنى ، فالـربا الخضراء لاتبقى
صـحارى

ربما نصنع شيئا قبل ما أن نتوارى
وفى قصيدته «الخريف والحب» يقـــول :

لقد غنيت للشـــاكى ، وللباكى ،
وللمقهوركى يقـوى
ومن يشقى بلاجدوى
وقلت لهم اذا ما جاء عيدهم الذى
أهـوى
سأسكرهم بقيثارى
وأتركه لهم ذكرى لكى يرثوه مـن
بعـدى
لكى أذكـــر
أنا أعرف لا أنكر

ذلك النغم الشعرى الانســـانى الرفيع هو فكر الشاعر طول حياته من بدئها لختامها لقد حمل قلمه فى يديه ، وسار طول عمره فى هجـير الحياة يغنى ٠٠ للحرية ، للانسان، للوطن ، للشعب ٠

يقول فى ديوانه (فى العاصفة) من قصيدته (ياارياح الخريف) :
تتوالى الهموم من كل فج
مشرعات على حر السلاح
وأنا أغزل الكآبة شعرا
هو شكوى مواجعى وجراحى
أتغنى به فيخضر نبت
من حوالى تشب أقاحى
وأرانى نفضت عنى غبارى
ثم واصلت رحلتى وكفاحى
ياطريق الحياة لا الشوك يثنينى
لا ولا الصخر سوف يثنى طماحى
سوف أشدو فيملأ النور قلبى
ثم أمشى على رنين صداحى
انى السابق المبشر بالفجـر
فمن يستطيع وأد صياحى ؟

ـ ٣ ـ

والحب هو الشعار الأبدى الذى

رفعه الشاعر أمامه ، وهو يغنى للحياة وللحرية ..

يقول فى ديوانه « فى العاصفة » من قصيدته « العودة » :

أحبابى غابوا ، أحبابى من سنة
ما طرقوا بابى
غابوا ، مامروا ، ما سألوا ، ماتركوا
لى أى جواب
كانوا كنجوم من حولى لفتهم أردية سحاب
أحبابى غابوا ، أحبابى ، فكسانى الليل بجلباب
وطريقى ممتلىء شوكا ، وصخورا
تنهش أعصابى
حتى وكرمتنا قديست ، قد صارت حزمة أحطاب
أترى سنعود كما كنا نتساقى الفرح بأكواب
نمشى فالنخضرة تكتففنا ، آلاف حقول وروابى
وأعود فأسمع دقات ، دقات أصابع بالباب
فكأن جداول من طل رشت بالفرحة أعشابى

وفى ديوانه الاخير يقول من قصيدة « عصفور الحب » :

عصفور الحب الثرثار
أرهقنى ، أتعبنى ، شتت من ذهنى الأفكار
أرجعنى طفلا يتأرجح بين غصون الأشجار
أنسانى عمرى ، تجربتى ، أنسانى معنى أن أختار
أقسم بالحب وبالموسيقى ، بالأشعار
أقسم بالماء الجارى ، كالفضة فى الأنهار
أقسم لن يرجع بعد اليوم ، فقلت له : يامكار
ستعود اذا خلع الورد القمصان ، وفك عن العطر الأزرار
ستعود مع الأطيار
مع النسمة حين توشوش آذان الأزهار

حين يعود الناس اثنين ، اثنين ،
وكل حديثهما أشعار
لكنى سأقص الريش ، أعريك
وألقيك أمام الريح ، وتحت الامطار
فتبسم منطلقا يتحدى
سأعود ولو تلقينى فى النار

ان هذا الجمال الفنى فى الحوار فى الصور ، فى الصياغة ، فى الرقة والعذوبة ، فى الانسانية ، فى الحب لا تجده الا عند شاعرنا الخالد

وانظروا اليه يقول من قصيدته (دعـوة) فى الديوان نفسه :

سأدعو عليك

يحج الفراش الى وجنتيك •
وحين يمر به النحل يحكى لـه
عنك عما رآه لديك فيأتيك فى لهفة
العاشقين ليرتشف الشـهد مـن
شفتيك •

سأدعو عليك
اذا النوم عشش فى مقلتيك •
ترين المحبين قـد قبلوا يديك ،
وقد قبلوا قدميك وقالوا : دمـانا
التى قد سفكت على وجنتيك وفى
راحتيك
سأدعو عليك

يهب النسيم الشـقى يبعثر
شعرك عن كتفيك

سأدعو عليك

اذا العيد جاء ولم تأتنى ، سوف
أدعو عليك بأن تمرحى فى ربيـع
الشباب ، وقلبى يمرح بين يديك

أرأيتم أحلى أو أجمل من هذه الدعوة ، التى يدعو بهـا الشاعر عـلى حبيبته ، انها دعـوة الحب والحنان ، والقلب الذى ناء بأحلام الجمال •

— ٤ —

ولا يقف الشاعر شعره عـلى الحرية ، والوطنية وحدهما ، ولا على الحب والاحباب وحـدهما ، بل تراه يطيل الحديث فى دواوينه عن : نفسه ، وذاته وحياته •

ماتت أمه ، ولفـه أبوه بعطفه وتحت جناحه ، ثم طوى أبوه عنه ظله ، وصور الشاعر ذلك كله ، فى قصيدته الجميلة « الطير الغريب » فى ديوانه « فى العاصفة » ٠٠ وقد وازنت بينها وبين قصـيدة لنزار

قبانى فى وفاة أبيه وذلك فى كتابى (١) « الشعر الحديث ومدارسه » .

ولكن كيف يطوى الأب ظله عن ابنه الصغير .. ذلك ماشرحه الشاعر فى قصيدته الأخرى «جنة الحب » فى الديوان نفسه ، التى يقول منها :

قد كان أبى ملكى وحدى
وأنا قد كنت له وحده
سنوات مرت كثوان واذا بالجنة مسودة

لفتها نار ، تنين ، قد أفرغ فى الجنة حقده كالفرخ الازغب مرتاعا ، فى العش وقد أصبح وحده قد صرت، فاحساس يتيم ، احساس بالغربة بعده ويغاضب الشاعر الحياة فى القرية ، ويودع أباه ، ويتركه الى القاهرة .. ويذكر ذلك فى قصيدته (وداعا يا أبى) من ديوانه الأخير « فى انتظار المطر » .

وبعد سنوات يرحل أبوه عن الدنيا ، فيرثيه بقصيدته « ثم افترقنا » من الديوان الثانى « فى العاصفة » ... وفيها يقول :

أبتى ودموعى فى خدى
وجراحك مازالت عندى
فى الحلم أراك تخاصمنى
تتركنى فى الغربة وحدى
فأحس الشوك بأعماقى
وبكى النار على جلدى
أننى .. مازلت أرددها
فأحس لها طعم الشهد
أتراك ستغفر لى أنى
بالأمس فصمت عرى الود
وهجرتك اذ أمى ماتت
وشعرت بآلام الفقد
فبدت بسمائى أجنحة
سود ، أجنحة من حقد
صبغت دنياى فلم أبصر
فى الورد سوى شوك الورد
قد تعتبر ورق أيامى
كى يقلع فى بحر الصد
قد مات وأصبح جثمانا
سيوارى بتراب اللحد
فشعرت ببركان الذكرى
يتمدد وحشا فى قيد
وهوت فى صدرى زهرات

---

(١) ج ٢ ص ٨٠ الشعر الحديث ومدارسه

قد كانت أغلى ما عنـــــدى
وتمضى المحنة .. وتبتســـم الحيـــاة للشاعر ، ويعيش يغنى لآماله وأحلام صـــباه .. واذا هـــو فى محنـــة جديـــدة ، محنة يرى نفسه فيها وحيدا بعد ما كان قد ركن الى ظل يأوى اليه فى الحياة .. وتحدث عـــن ذلـــك طويلا فى العديد من قصائده ، فى ديوانه الثالث « قبل ما تســـقط الأمطـــار » .. ومنها قصـــيدته « فلتبعدى عنى » .

وفى ديوانه الاخير قصـــيدة بعنوان « مرثيةفى ساعة الضعف » يرثى فيها الشاعر نفسه ، لمـــا رأى صفحات كفاحه الطويل لم يقرأها أحد ، وأحلامه بعد هذا الكفاح لم تصل به الى غاية .



ثم حالف الشـــاعر المرض فى أخريات حياته ، حتى جاءه أجله ، وانتهت صـــفحة حياته ، فغادر الدنيا الى غـــير عودة .. وذلك فى اليوم الاول من نوفمبر عام١٩٧٩م ــ الحـــادى عشر من ذى الحجـــة عـــام ١٣٩٩ هـ ــ عـــن أربعـــة وخمســـين عاما ميلاديا ، واذ كان ميلاده عـــام ١٩٢٥ م فى قرية أبو محمد مركز أبو تيج ــ ولربما يكون الشاعر قد صور هذه المرحلة الاخيرة من حياته ، مـــع المرض ، الذى استمر عامين ، فى ديوانـــه الـــذى لم ينشر بعـــد ، والـــذى سيكون ضوءا جـــديدا لجوانب مجهولة من حياة الشاعر الاخيرة .

ولنترك ذلك كله الى قصيدته :

« انسان بلا أسطورة » من ديوانه « فى العاصفة » ، حيث صـــور الشاعر حياته فيها بلا مبالغة ، بل بصدق وبساطة وجمال .. يقـــول الشاعر لفتاته :

بين البيوت بيتنا هناك حيث أنظر
جدرانه طينية،والطوب فيها أخضر
وبابه جميزة ، كانت هناك ، لاتثمر
البدر من عشاق ذاك الصـــبى الأشقر
وان دخلت بيتنا لن تجدى مايبهر
لكنما أفراحنا كثيرة لا تحصر
الليل لا ننامه نظل فيه نسهر

وكلمة بسيطة تجعلنا نكركر
ومثل كل المتعبين فى غد نفكر
صديقتى أما أنا فآدمى خير

عار ، بلا أسطورة وهمية تحير
حينا أحس أننى من الحياة أكبر
وبعض حين ذرة ضئيلة أو أصغر
صديقتى الوداع انى هاهنا أنتظر
تلك التى من طينتى لا شىء فيها
أنكر .

وطيلة حياته كان طموح الشاعر أكثر مما تحتمله قواه .. كان يسعى الى المجد ، وكان يظن أن المجد بعيد عنه ، وما علم أنه حين احترق بنار الحرمان ، سعى اليه المجد من كل مكان مجد الشعر ، لا مجد السلطان .. يقول لحبيبته من قصيدته (اليها) من ديوانه فى العاصفة .

اليك يا سر قلبى كل أغنية
عصرتها من دمى المشبوب كالنار
اليك دفعة قلب ليس يشغله
عنك التقرب من دار الى دار
يلاحق الخطو خلف المجد يطلبه
ودونه الدهر ، ليث الغابة الضارى
وكل ما يتمنى منك بارقة
من الرجاء تنير الليل للسارى

— ٥ —

وفى شعر الشاعر روائع من الشعر الانسانى الساحر ، الذى لا نجد له مثيلا عند الشعراء المعاصرين ، كقصيدة « صباح » فى ديوانه الأخير ، وصباح هى الطفلة الصغيرة التى تفرح بفرح الشاعر وابتسامته للحياة ، ويضيق النطاق عن الاستشهاد بها ، وبكثير من القصائد التى أشرنا اليها ، وتبدو كذلك انسانية الشاعر فى قصائد كثيرة ، غنى فيها للحياة وللانسان وللفلاح وللعامل ، وللطفل وللمحروم ، وللشعب .. كما تبدو فى قصيدته (الحب) من ديوانه الثانى ٥ فى العاصفة ، وفيها يقول :

كن مثلما شاء الندى
مثل الصباح الاشقر
كالطير فى أفراحه
غنى لكل البشر
غن لهم ، ارث نهم
قلوبهم من حجر

وافتـــح لهـم نافـــذة ــ
في قلبـك المخضــــوضر

فـالحـــب أى منجـــم
في قلب انســـان ثـرى
لـون الضـــحى من لونــه
والعطـــر بـين الــزهـر
أخى الحيـــاة غنـــوة
بالحـب ، حـب البشــر

هذا الى شعر الشاعر في الوطن والوطنية ، وهو كثير ، كقصيدته « العبور » في ديوانه الاخـير ، وقصـيدته « مرثية لبطـل » في الديوان نفسه .

وما أروع « الشاعر كيـلانى حسن سند » في موســيقاه ، في صوره ، في أخيلته ، في صياغته ، في مضمونه .

يخال الفجر صبيا فيقــول في ديوانه الثالث :

وجاء الفجر صبيا أشـــقر ، طافيا ، يدق على الابواب ويجعل الربيـــع كذلك صبيا فيقــول في ديوانه الثانى :

وفجاءة قد مــر ظل فالتفت اذا صبى ورد الربيع بوجنته ، وشعره الذهب النقى .

وهو يستعمل الكثير من الكلمات والاساليب الدارجة الفصيحة ــ في في خفة روح ، وحــلاوة تعبير ، ومهارة صانع فنان .. يقول :

من كل جرىء عملاق ، ممشوق ، كعمود الزان (١) ويقول :

أسقيه اذا جـــاع دمـــائى
أطعمه من حبســـة عينى (٢)

وقد رأينا كيف استعمل الشاعر كلمة (مكار) في شعره .. في لطف وجمال لاحد لهما !؟

وظاهرة فنية أخرى واضـــحة في شعر الشاعر « كيلانى حســن سند » رحمه الله ، وهى بلاغـــة التكرار في شعره ، الذى يجعل منه في القصيدة مثل القفلة في الموشحة.

---

(١) ١٥ في العاصفة .
(٢) ١٧ في العاصفة .

ويبدو ذلك فى قصيدته (دعوة) التى سبق أن ذكرناها ، وكذلك فى قصـــائده :

ــ الخريف والحب (ص ٤٠ من الديوان الاخير) .

ــ مرثية حب (ص ٧٨ الديوان نفسه) .

ــ أمل (ص ٣٠ فى العاصفة) .

ولقد كتب من قبل عـن ديوانه فى العاصفة مقالا نشر فى مجلـة الازهر حيث ذكر أن فلسفة الشاعر فى هذا الديوان تدور حول أمـور ثلاثة :

١ ــ الشعور الكامل بدور الفن فى الحياة ، وأثره فى مســـتقبل البشر .

٢ ــ الايمان بالخير وبالحب ، حب الحياة ، وحب البشر ، وحب الانسانية .

٣ ــ التفاؤل والابتسام للحياة .

وقلت ان فن الشـــاعر يتميـز بخصائص عدة :

١ ــ حلاوة موسيقى الشاعر .

٢ ــ كثرة الصور فى شعره .

٣ ــ بلاغة التكرار فى شعره .

٤ ــ بعده عن التقرير والخطابية فى شعره .

٥ ــ بساطة الاسلوب والتعبير .

وبعد .. فماذا نقول عن الشاعر « الدكتور كيلانى حسن ســند » الذى كان يملك موهبة فنية ساحرة، وموسيقى عــزبة نادرة ، والذى امتزج الفن والشعر بأعماق نفسه وطوايا جوانحه .. والذى صـار حديثا وذكرى وقصة ســوف تتلى على مدى الايام ، ذكرى الشـاعر العظيم ، وحديث الشعر الرفيـع الذى يقول عنه من قصـــيدته (يا شـــعر) مـن ديوانه الثانى (فى العاصفة) !

يا شعر ، يا لحن القلوب ، ويا نشيد الحائرين ، يا غنوة طفحت بها كأس الصـــبابة والحنـين ، يارعشة القلب الجريح ، وياصدى الروح الحزين ، يا موجة غســلت

جرحات الفـــؤاد من الأنـــين ، ويا وحى ليلى والحياة يلفها حولى السكون يادفعة الشـــوق الحبيس وصرخة الامل السجين ، يا مشعلا بيدى يضىء لى الطريق فيستبين ، لولاك يا شعرى للذت من المواجع بالمنـــون •

وفى قصـــيدته (زوابع) من ديوانه الثالث يقـــول :

ياشـــعر ما أنت الا ذوابع فى دمائى ، أهتز منها كأنى دوامة فى هواء •

ليلى غلاف صفيق مطرز بالشتاء غرد لنمشى ونمشى الى مـــروج وماء ، وتطلق الفجر نهرا يزيل ليل الشتاء •

ومضى الشاعر وودع الشـــعر والحياة ، بعد أن ترك منجما ذهبيا من القصيد ، تثرى به الاجيال •

مضى وخلف شعره يضىء للناس طريقهم فى الحياة ، فيســـعد المحرومون ، وينعم المعـــذبون ، ويفرح البائسون •

وقبل أن يرحل الشاعر عنا بأكثر من عشر سنوات كانت له أمنيـــة ، أن يرقد رقدته الأخيرة فى واد بعيد فى ظلال الصمت والعـــزلة ، حتى انقرأ له وهو يقول من قصـــيدته (أمنية) فى ديوانه الثالث :

طويت شراعى المكدود من سعيى وترحالى ، وهأنذا أود أنام ، ألن ألقى بأحمالى بواد منزو فى الصمت واد بين أدغال سوى عصفورة ثكلى تئن بعشها الخالى ، وغـــير الريح حين تهب تكسونى بسربال •

وكان ما تمنـــاه الشـــاعر ، فدفن فى واد منزو بين الصـــمت والســـكون والادغـــال والريح التى تثير التراب ، والعصـــفورة الثكلى التى تذوب أنينا فى عشـــها الخالى •

ومشى الناس يقولون : هنـــا دفن شـــاعر ••

د • محمد عبد المنعم خفاجى

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٥٧٥ ويقول : لهذا التاجر كثير من الزبائن ، وهذا التعبير فاسد لأن كلمة الزبائن بمعنى المشترين لم يستعملها الا المحدثون ، محتجين بأن الزبن معناه الدفع ، اذ يقال : أراد فلان حاجته فزبنه عنها رجل آخر ، والمشترين يزبن بعضهم بعضا .

والحق : أنه لا يجوز استعمالها بهذا المعنى ، لأنها لم ترد عن العرب ، ولأن فعائل لايطرد الا فى رباعى مؤنث ثالثه مدة كرسالة ورسائل ، وصحيفة وصحائف ، وعجوز للمؤنث وعجائز ، فاذا كان العجوز ذكرا قيل : رجل عجوز ، ورجال عجز بضمتين . ومثل ذلك : قولهم امرأة عروس ونسوة عرائس ، ورجل عروس ورجال عروس . وكلمة زبون تكون صفة للمؤنث كما تكون صفة للمذكر .

فمن الأولى : قولك الناقة زبون لأنها تزبن ولدها ، أى : تدفعه عن ضرعها ، كما أنها تزبن حالبها . فيقال فى الجمع النوق زبائن وكذلك الحرب زبون ، أى : صعبة كالناقة الزبون ، والحروب زبائن.

ومن الثانية : قولك لمن يزبن كثيرا ويغبن : رجل زبون ، ورجال زبن بضمتين .

والصواب : أن يقال بدلا من الزبائن حرفاء جمع : حريف كشريف وشرفاء ، تقول : حرف الرجل لعياله من ههنا وههنا يحرف ، اذ كسب لهم ما يقتاتون به ، والاسم : الحرفة . بكسر الحاء .

أو يقال لهم : المبتاعون • جمع : مبتاع ، أو المشترون جمع : مشتر أو الشراة جمع شار •

٥٧٦ ويقولون : لنا جيران أوفياء جيرتهم طيبة • وهذا التعبير فاسد لاشتماله على كلمة جيرة التى لا تحمل سوى معنيين كلاهما لا يؤدى ما يقصدون اليه•

أحدهما : أنها اسم هيئة من الجور ، وهو الظلم والميل عن القصد ، وعلى هذا لا يجوز أن توصف بكلمة طيبة •

والآخر : أنها جمع لجار كجيران ، تقول : هؤلاء جيرة يتمتعون بكريم الأخلاق •

ومثل ذلك من الجمع : قيعة بكسر القاف فهو جمع لقاع • ومعناه : المستوى من الأرض ومنه قوله تعالى : « **كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء** » •

وكذا : نيرة بكسر النون ، فهو جمع : لنار كنيران ، وهذه الجموع سماعية •

قال ابن مالك :

وفعله جمعا بنقلى يدرى

ولاصلاح تعبيرهم ينبغى أن يستبدل بكلمة جيرة احدى كلمتين جوار بكسر الجيم أو ضمها ، ومجاورة فيقال : جيران جوارهم طيب ، أو مجاورتهم طيبة •

٥٧٧ ويقولون صرح الرئيس لفلان بالسفر وأعطاه تصريحا بذلك ، يعنون أنه أتاحه له ، والصواب أن يقال : أذن له فى السفر ومنحه اذنا به ، أما التصريح فهو تبيين الأمر ، تقول: صرح فلان بما فى نفسه تصريحا اذا بينه وأظهره ، وصرح النهار اذا انكشف سحابة وأضاءت شمسه ، وصرح الحق عن محضه أى عن خالصه ، وذلك اذا انكشف بعد خفائه ، وصرحت الخمر اذا ذهب زبدها ومن هذا قولهم : لبن صريح أى خالص ذهبت رغوته •

٥٧٨ ويقولون : فلان يتفانى فى أداء واجبه ، كما يتفانى فى حب وطنه باسناد يتفانى الى المفرد ، يريدون أنه لا يعنيه أمر نفسه بقدر ما يعنيه أداء الواجب وحب الوطن وهذا خطأ والواجب أن يسند هذا الفعل الى اثنين فصاعدا فيقال تفانى المحاربان ويتفانى المقاتلون

قال الزمخشرى : وتفاعل لما يكون من اثنين فأكثر ، ولا يخلو من أن يكون من فاعل المتعدى الى مفعول واحد أو فاعل المتعدى الى مفعول كان من الاول كضارب لم تيعد ، وان كان من الثانى نحو نازعته الحديث ، وجاذبته الثوب تعدى الى مفعول واحد تقول تنازعنا الحديث وتجاذبنا الثوب ، وتناسينا العداوة والبغضاء •

وقال ابن منظور والجوهرى : وتفانى القوم قتلا أفنى بعضهم بعضا ، فليس للتفانى معنى غير هذا ، ولا يمكن أن يحمل التفاعل على غير بابه بأن يرادبه الفناء ، لأن ذلك سماعى كما فى قولك تغافلت ، وتجاهلت ، وتعاميت ، وتوانيت أى أوعيت لنفسى الغفلة والجهل ، والعمى ، والونى ولست متصفا بها •

٥٧٩ ويقولون للقائم اجلس كما يفعل المدرسون مع طلابهم •

والاختيار — على ما حكاه الخليل بن أحمد أن يقال لمن كان قائما اقعد ، ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس •

ويعلل بعضهم لذلك بأن القعود هو الانتقال من علو الى أسفل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد، وأن الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس ، ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق •

قل للفرزدق وللسفاهة كاسمها
ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

يريد فاقصد نجدا

٥٨٠ ويقولون هؤلاء عشرون نفرا ، فأولئك ثلاثون نفرا • وهذا خطأ من جهتين أولاهما أن تمييز العشرين • وأخواتها لابد أن يكون مفردا منصوبا ، مفردا لأنه يذكر لبيان حقيقة المعدود وهو يحصل بالمفرد النكرة التى هى الأصل ، أشيب ، ويجوز شائب على الأصل ومنصوبا لتعذر الاضافة مع النون التى هى فى صورة نون الجمع ، قال ابن مالك

وميز العشرين للتسعينا
بواحد كأربعين حينا

وكلمة النفر اسم جمع لا مفردة قال أبو العباس النفر والرهط

والقوم معناها الجمع ولا واحد لها من ألفاظها وفى أمهات اللغة أن النفر جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة ، وأنه لا يقال فيما زاد على العشرة ومما يبرهن على أن النفر جمع اعادة الضمير عليه بواو الجماعة فى قوله تعالى « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن » وقوله « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا »

فكما لا يجوز أن يقال هؤلاء عشرون رجالا لا يجوز أن يقال هؤلاء عشرون نفرا

والجهة الاخرى أنهم دلوا بقولهم هؤلاء عشرون نفرا على أن النفر يقع على العشرين وأخواتها من ألفاظ العقود ، والواقع أنه لم يسمع عن العرب استعمال النفر فيما زاد على عشرة كما فى قول صاحب المصباح .

٥٨١ ويقولون : بقاء الامة رهن ببقاء أخلاقها ، وهذا غير سليم لأنهم جعلوا الأمة شيئا واحدا هو الأخلاق فان بقيت بقيت الامة وأن فنيت فنيت الامة على أثرها

والحق أن الأمة بحاجة ملحة الى مقومات أخرى كثيرة لابد منها ولاغناء ببعضها عن بعضها الآخر ، منها العلم ، والصحة ، والمال والصناعة ، وقوة الجيش وغير ذلك أما أن يقصروا حديثهم على الأخلاق ، ويعطوها وحدها كل الفضل فنقص وقصور وكان عليهم أن يستبدوا بكل المقومات ، ثم يختصوا الاخلاق — اذا شاءوا — بما هى أهل له من ايثار ، ولذا عيب على شوقى قوله :

وانما الامم الاخلاق مابقيت
فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فهذا البيت على الرغم من شيوعه على ألسنة الناس ، وسيره مسير الامثال ونيله كل هذا الحظ من الاستدلال به عليه كثير من المآخذ منها ماذكرناه آنفا ومنها أنه أراد بالأخلاق الفضائل ، مع أن اللغة تستعملها بمعنى السجايا والطباع وقد تكون السجايا حميدة ، وقد تكون ذميمة ، ولذا قال الشاعر:

تزين الفتى أخلاقه وتشينه
وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدرى

وقد وصف الله سبحانه الخلق بالعظم فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« وانك لعلى خلق عظيم » ووصفه الرسول بالحسن فى قوله « ليس أثقل فى الميزان من حسن الخلق » •

٥٨٢ ويقولون : ولع الخادم المصباح توليعا ، يعنون أنه أناره •• فهو مصباح مولع وهذا خطأ ، لأن التوليع معناه استطالة البلق بالتحريك ، اذ يقال : هذا ثور مولع اذا كان به سواد وبياض وارتفاع فى التحجيل الى الفخذين ، تقول بلق الثور فهو ثور أبلق ، والبقرة بلقاء كأحمر وحمراء •

ويقال : فرس مولع وفى لونه توليع أى بلق ، ورجل مولع أى به لمع من برص ، وولع الله وجه فلان أى برصه قال رؤبة :

كأنه فى الجلد توليع البهق

والبهق بالتحريك شبيه بالبلق فهو بياض رقيق بظاهر البشرة يحدث لسوء مزاج العضو ، وهو أيضا غلبة البلغم على الدم

ويقال : تولع الرجل بخادمه اذا أخذ يزمه ويشتمه ويوجه اليه كثيرا من اللوم فهو رجل متولع بعرضه يدق فيه •

ولاصلاح تعبيرهم ليؤدى المعنى الذى يبتغونه ينبغى أن يقال : أشعل الخادم المصباح اشعالا ، أو أوقدره ايقادا ، أو استوقده استيقادا ، أو أضاءه اضاءة ، أو أناره انارة ، أو نوره تنويرا ، ويقال صلى الفجر فى التنوير •

٥٨٣ ويقولون : انصاع الولد لرأى أبيه ، والخادم ينصاع دائما لامر مخدومه ، وهذا خطأ والصواب أن يؤدى هذا المعنى بأحد التعبيرات التالية •

١ — انقاد الولد لرأى أبيه • والخادم ينقاد دائما لأمر مخدومه

٢ — خضع الولد لرأى أبيه ، والخادم يخضع دائما لأمر مخدومه •

٣ — أطاع الولد رأى أبيه ، والخادم يطيع دائما أمر مخدومه •

أما الانصياع فلا علاقة له بالمعانى الثلاثة السابقة ولا بأمثالها •• وانما معناه الانصراف والتفرق وهذا المعنى مأخوذ من قولك :

صعت الحارس ، أصبعه من باب باع (١) اذا صرفته وفرقته عنك فانصاع أى انصرف عنك ، وانفتل راجعا مسرعا ، ومنه قول العجاج : فانصاع مذعورا وما تصدفا (٢) ٠

كالبرق يحتاز أميلا (٣) أعرفا

٥٨٤ : ويقولون صعد الخطيب على المنبر ، وصعد الولد على السطح ، فيعدون الفعل خطأ بعلى والصحيح تعديته اما بنفسه واما بالى ، فيقال صعد الخطيب المنبر أو الى المنبر ، وصعد الولد السطح أو الى السطح ، ومما تعدى بالى ماجاء فى قوله جل شأنه « **اليه يصعد الكلم الطيب** »٠ وقد يتعدى بفى كما فى قولك : صعدت فى السلم وفى الدرج أصعد صعودا ٠

وأما صعد المضعف فانه يتعدى بفى ، وبعلى فيقال : صعد الصياد فى الجبل أو على الجبل تصعيدا اذ رقيه وعلاه ومن هذا قوله تعالى : « **ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء** » ٠

وأما أصعد المزيد بالهمز فلا يتعدى الا بفى ، تقول أصعد الفلاح فى الأرض اذا مضى وسار ، أو ذهب يستقبل أرضا أرفع من الأخرى ، وأصعد فى الوادى اذا انحدر تصعد المضعف وقد يكون لازما كما فى قوله سبحانه « **اذ تصعدون ولاتلوون على أحد** » ٠

والتصعد والتصاعد يتعدى فعل كل منهما بنفسه تقول تصعدنى العمل وتصاعدنى اذا شق عليك والصعيد التراب الطاهر ومنه قوله تعالى « **فتيمموا صعيدا طيبا** » وكذلك هو وجه الأرض لقوله « **ويرسل عليها حسبانا (٤) من السماء فتصبح صعيدا زلقا** » ، والصعيد أيضا الطريق جمعه صعد وصعدات بضمتين فى كل منهما ، وفى الحديث « اياكم والجلوس بالصعدات ، والصعود بفتح الصاد

---

١ ـ من باب باع : ومن باب قال ، لان الفعل يائى واوى ٠

٢ ـ تصدق : أعرض ٠

٣ ـ الأميل : حبل من الرمل مرتفع جمعه أمل ككتب ٠

٤ ـ الحسبان بالضم : العذاب والبلاء والشر ، واحدته حسبانه بالهاء

العقبة الكئود (١) والمشقة فى الامر ومنه قوله سبحانه « **سأرهقه صعودا** » والصعد بفتحتين العذاب الشديد ومنه قوله تعالى « **ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا** » .

٥٨٥ ويعتقدون — خطأ — أن الطرب خاص بالفرح والسرور ، والأمر ليس كذلك ففى كل مراجع اللغة : الطرب الفرح والحزن ، أو هو خفة تلحقك تسرك أو تحزنك وتخصيصه بالفرح وهم ، قال النابغة الجعدى .

وأرانى طربا فى اثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

وقال آخر : يقولون لقد بكيت
فقلت كلا وهل يبكى من الطرب الجليد ؟

ويقال لمن كان فرحا أو حزينا مطراب ، ومطرابة بكسرهما ، وطروب بفتح الطاء ، وطرب بفتح فكسر ، وقوم طراب بكسر الطاء ومطاريب أيضا .

٥٨٦ ويجمعون المساءة وهى ضد المسرة على مساوىء بالهمزة فى الآخر ، والمساءة أصلها مسوأة وزان مرحمة ، قلبت الواو المفتوحة ألفا ، ولهذا ترد الواو فى الجمع وعلى الرغم من أن هذا هو الجمع القياسى فلم تنطق به العرب مهموزا ، وانما استعملته مخففا فقالت : بدت مساوى فلان أى ظهرت عيوبه ونقائصه ، والخيل تجرى على مساويها أى وان كان بها عيوب فان كرمها يحملها على السيرالسريع كما يجمعون المساء وهو ضد الصباح على أمسية بفتح الهمزة وتخفيف الياء محتجين بأن ذلك هو القياس، اذ أن أفعلة يطرد فى كل اسم مذكر رباعى قبل آخره مد كبناء وأبنية ، وقباء وأقبية ، ورداء وأردية .

ولكن العرب لم تجمعه الا على أمسية بضم الهمزة وتشديد الياء.

تقول : أزور صديقى أمسية كل يوم ، واجتمع الباحثون فى الشئون الأدبية أمسية الأيام الخمسة الماضية .

---

(١) الكئود الصعبة كالكأداء .

٥٨٧ الأصل فى اسم الفاعل من الثلاثى أن يكون بزنة فاعل كراكب، وشاكر ، وأن يكون بزنة تفعل اذا كان من أفعل الرباعى كمحسن ، ومخرج .

وقد يأتى اسم الفاعل من أفعل الرباعى على فعول بفتح الفاء ، أو على فعل بضمتين أو على أفعل كحال فعله .

فمن الأول قولك أنتجت الفرس اذا حان وقت نتاجها ، أو استبان حملها فهى نتوج بالفتح ولايقال منتجة .

ومن الثانى قولك أجنب الرجل من الجنابة المعروفة فهو جنب بضمتين ولا يقال مجنب ، وكلمة جنبتصلح للمؤنت والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فيقال : هو وهى وهما ، وهم ، وهن جنب ، وقد يقال : هما جنبان ، وهم وهن أجناب ، ولكنه لايقال : هى جنبة .

ومن الثالث قولك أرمل الرجل اذا نفد زاده وافتقر ، وكنا اذا لم يكن له زوج فهو أرمل ، ويقال أرملت المرأة اذا كانت فقيرة وليس لها زوج فهى أرملة والجمع لهما أرامل وشاب الرجل اذا ابيض شعره فهو أشيب قليلا ، ولا يقال للانثى شيباء .

عباس أبو السعود

قصيدة شعر

بالجسم .. والروح

للأستاذ الربيع الغزالي

علـى جناح الهـوى قيسى وليــلاه
ما كـان الا الهـوى أنسى ومعنــاه
أنــا المحب .. وحبى ليس يبلغــه
الا الأولى نهلــوا من عــذب ســقياه
أنــا المحب .. وروحى فيك هائمــة
تــرقى اليك عــلى الآمــال دنيــاه
حبى هو الحب .. فــوق الشمس منبعــه
وعنــد عــرش مليك الحب مرقــاه
أهــواه .. لا الوصــل دان لى فأطلبه
ولا الصــدود مليك الحب يرضــاه
قلبى هــو الــكون .. ما دام الغــرام به
هــو الحيــاة على نهــج ســلكناه
لقــد رقيت بــه .. حتى تجــرد بى
عن كل معنى من الأوهــام آبــاه
قد أشرق الحب فى قلبى .. فصار ضــحى
وأشرق الحــق فى عقلى .. فأحيــاه
وللحيــاة وللنــور الــذى انبثقت
عنــه الحيــاة بسر شــاءه اللــه

معنى من الحب يسرى فى جوانحنـــــا
نــرقى الســماء به امــا وعينـــاه
بالحب قــد كانت الأكــوان أجمعهــا
للكاف والنـــون سر فى طوايـــاه
فى قطـــرة النـــور أسرار قــد اتحدت
فكـــان للمـــاء منـــه سر محيـــاه
ومنـــه ما كان من حى ومن جمـــد
ومن أثـــير ... وقـــد كانت برايـــاه
الكهــــرباء لهـــا سر .. نصرفـــه
بالعلـــم .. فيمـــا نرى .. لكن جهلنـــاه
فـــأى سر وراء السر ندركـــــه
اذا جهلنـــا معـــانى ما عـــرفناه

يا للظـــواهر .. فى أسرارهـــا عجب
أمـــر من الأمـــر .. لا ندرى خفـــاياه
والـــروح .. ما سرها .. نحيا بهـــا عمرا
ولا نـــرى سرهـــا فينـــا ... ومغزاه
والعقل .. ما العقل .. سر ليس تدركـــه
احاطـــة العقـــل .. ضـــل العقل فحـــواه
ما وقـــدة الفكر .. ما التفكير .. ما شـــعل
يضىء فيهـــا .. ومن بالنـــور أذكـــاه
والعـــين .. ما مقلة فيها .. وما عصب
بـــه نـــرى مـــا نـــراه فى مرايـــاه
والقلب .. والدم .. والاحشاء .. أجهزة
تصرف الامـــر فينـــا .. مـــا أدرناه
ومـــا الحيـــاة التى فينـــا تدور .. ترى
أنحن نملك منهـــــا ما ملكنـــاه

والنفس •• وهى مدار الأمر •• تملكنـــا
أم نحن نملكهـــا •• والمـالك اللــه
النفس •• وهى مدار الأمر •• أين نــرى
مكانهــا •• وهى شىء ما رأينـــاه
وما الجــزىء •• ومـا ذراتــه اتخــذت
الى الوجـــود ســبيلا ما درينـــاه
وما الزمان •• وما هذا المكان •• ومـــا
ذاك الفضـــاء مداه قـــد ضـــللناه
وما النواميس •• من قـــد شـــاءها أزلا
ومن اذا قال : كن •• للشىء •• ســـواه
ومن اذا قالهـــا صـــارت الى عـــدم
ومـــن يصرفهـــا مـــا شـــاء الاه
اللـــه سبحانه •• اللـــه •• اللـــه
اللـــه ســبحانه •• اللـــه •• اللـــه
واللـــه ان شـــاء للنـــاموس خـــارقة
أو شـــاء تعطيـــله •• أصـــغت براياه
آيـــاته •• هـــو يمحـــوها •• ويبدعهـــا
ولا معقب فيمـــا شـــاءه اللـــه
هل كان ما كـــان فى الاسراء يعجـــزه
أو كان ما كان فى المعـــراج •• حاشاه
ما للفضـــاء عـــلى أبعـــاده أثـــر
ولا الزمـــان •• له حـــد وبعـــداه
ولا المـــكان عـــلى آمـــاد فسحته
ولا مـــدارك عقـــل ضـــل مأتـــاه
وقطـــرة النـــور •• لو شفت لمـــا جمدت
ولا اســـتحالت عـــلى أمـــر تلقـــاه

فكيف بالنور فى جسم امرئ كتبت
له العناية أمرا جل معناه
محمد •• وهو نور الله صوره
وشق من نوره أنوار دنياه
قد شف نور رسول الله حين سرى
وحين أصعده للعرش مولاه
شق البراق به الآفاق منطلقا
فى ومضة البرق •• عين الله ترعاه
وجاء للمسجد الاقصى •• فباركه
وبارك الله فى الآفاق مسراه
الأنبياء به جمع •• يؤمهمو
محمد •• ولجمع الصف مغزاه
الكل تحت لواء واحد شهدوا
فى وحدة الدين أن الواحد الله
وفى السماء علا معراجه صعدا
وللنواميس اذعان لمرقاه
بالجسم والروح قد أسرى به ••• ومضى
به اليه •• على معراجه •• الله
فى سرعة الضوء •• أو أضعافها •• انطلقت
بطاقة النور فيه روح مولاه
وسدرة المنتهى •• والآى •• كاشفة
أسرارها •• رؤية فى سر رؤياه
والله يمنحه ما شاء من كرم
والله ما شاء يعطيه ويرعاه
الله حيا الذى من نوره انبثقت
عناصر الخلق فيه حين سواه

وعنـــه قــد كان هــذا الخلق أجمعــه
نــورا تجســـد خلقـــا فى هيولاه
وعنــه ســـوف يــكون النــور عارفــة
من الهـــداية للأيـــام تلقـــاه
دين هــو الدين •• يهـــدى من يشاء به
ومن يضـــل •• فمـــا فى النور أعماه
اللــه حيـا رســـول الله حـــين سرى
وحـــين صـــار اليــه بعـــد مسراه
ضـيفا عــلى اللــه •• مدعــوا لســدته
اللـــه كرمـــه ضـــيفا •• وحيـــاه
ويـــاله شرفـــا ••• ما بعــده شرف
للعبـــد يـــدنو الى ســـاحات مولاه
صـــلى عليــه •• فصـــلى وهو مبتهل
للـــه •• فى غمـــرة الأنـــوار مجــلاه
ألقى اليـــه اله العـــــرش منحتــه
هـــذى الصـــلاة •• على أمر تلقـــاه
وعـــاد للأرض •• يهـــدى الأرض شرعته
فريضـــــة اللـــه •• فى يمنـــاه يمناه
ما كلف اللـــــه جبريل الأمـــين بهـــا
وحيـــا •• على ما ســـــواها قد عهدناه
هـــــدية اللـــه للدنيـــا •• بها صــلة
اليـــــه •• حين تناجيــه وترعــــاه
اللـــه أكبر •• فيهـــــا •• عز قائلها
عـــلى تقـــاة •• لــــرب الناس تقواه
هى الصـــلاة •• بهـــا نرقى لســـدته
قلبا وروحـــا •• ومعراجـــا رقينـــاه

فى هـــذه الليلـــة الغـــراء .. نذكرهـــا
عيـــــد الصـــــلاة بها .. انا بلغنـــاه
يا ليتنـــــا .. ليتنـــــا يـــــارب نفهمها
ونلتقى بـــك فيهـــــا عنـــد لقيــــاه
عيـــــد النبى .. وقـــد أكرمتـــه كرمـــا
ما ان يـــدانيه لا ملك ولا جـــــاه
هـــذا اللقـــــاء الـــذى ما نالـــه رســل
ولا ملائكـــــة .. قـــد جـــل معنـــــاه
هى الصـــــلاة الهى .. قربة .. وعـــلا
وصـــــلة بك .. عبـــــدا جـــاء مولاه
منك الصـــــلاة الهى .. والثناء .. على
من أنت بالوصـــــل قد أكرمت مثـــواه
محمـــــــد .. وهـــو نور الله . أرســـله
رب البـــــرية نـــــورا .. فى بـــرايـاه
يأرب ... انــــا عـــــلى عهد .. نقيم به
اليك أوجهنـــــــا .. فى الـــدين .. رباه
يا رب .. انا عـــلى الاســـلام قد خشعت
منـــــا الوجوه .. على ما أنت ترضـــــاه
المســـــلم الحـــق من بالدين عـــــز على
كل الـــــورى .. وتعـــــالى عن دنايـــاه
ومن يلين جنـــــــاحا .. وهـــو ذو غلب
للمســـــلمين .. وأعـــلى شـــأنه الله

الربيـــع الغزالى

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« عباد الرحمن »

سئل الجنيد ـ رضى الله عنه ـ عن عباد الرحمن من هم ؟

فقال : هم الذين طاعة الله حلاوتهم ، والفقر كرامتهم ، وترك الدنيا لذتهم ، والى الله حاجتهم ، والتقوى زادهم ، ومع الله تجارتهم ، وعليه اعتمادهم ، وبه أنسهم ، وعليه توكلهم ، والجوع طعامهم ، وحسن الخلق لباسهم ، والسخاء حرفتهم ، والعلم قائدهم والصبر سائقهم ، والهدى مركبهم والقرآن حديثهم ، والشكر زينتهم ، والذكر همتهم ، والرضا راحتهم ، والقناعة مالهم ، والعبادة كسبهم ، والحياء قميصهم ، والخوف سجيتهم ، والنهار عبرتهم ، والليل فكرتهم ، والحكمة سيفهم ، والحق حارسهم ، والحياة مرحلتهم ، والموت منزلتهم ـ والنظر الى الله ـ تعالى ـ منيتهم ـ فهؤلاء عباد الرحمن ! •

« حقق له أمنيته »

وقف اللص أمام القاضى قائلا : ان الذنب ليس ذنبى ، لقد كنت بدون طعام أو أصدقاء أو مأوى •!

فقال القاضى : انك تثير فى الشفقة الى حد بعيد ، وعلى هذا فستجد الطعام والمأوى والرفاق طوال الأشهر التسعة القادمة !

« الصاحب يخزى نماما »

دفع رجل رقعة الى الصاحب ابن عباد ، يقول فيها : ان فلانا قد مات ، وخلف مالا كثيرا ، وليس له من عقب الا يتيم •

فوقع الصاحب على ظهر الرقعة : ان النميمة قبيحة ، وان كانت نصيحة ، أما الميت فرحمه الله !! وأما اليتيم فجبره الله !! وأما المال فثمره الله !! وأما الساعى فلعنه الله .

« ليس بحكيم »

حاول أحمق اغتيال سقراط ، فغضب له أحد أنصاره ، وقال له :

أيأذن لى سقراط أن أفتك به فقال سقراط : اذا فتكت به ، قالوا : أحمق فتك بأحمق ، وحاشا لى أن آمرك بضربه ، لأنه ليس بحكيم من يأمر بالشر .

« الصدق ينجيك »

أبو يزيد البسطامى أراد الذهاب الى بغداد لطلب العلم ، فأعطته أمه أربعين دينارا هى ميراثه من أبيه ، وقالت له : ضع يدك فى يدى وعاهدنى على التزام الصدق فلا تكذب أبدا ، فعاهدها على ذلك ، وخرج مع قافلة يريد بغداد ، وفى أثناء الطريق ، خرج اللصوص ونهبوا كل مافى القافلة ورأوا البسطامى رث الثياب ، فقالوا له : هل معك شىء ؟

قال : معى أربعون دينارا ، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه ورجعوا الى كهف كان به كبير اللصوص ينتظر ما يأتون به ، فلما رآهم قال : هل أخذتم كل مافى القافلة ؟ ، قالوا : نعم ، الا رجلا سألناه عما معه ، فقال : معى أربعون دينارا فتركناه احتقارا لشأنه ، ونظن أن به خبلا فى عقله ، فقال : على به ، فلما حضر بين يديه ، قال هل معك شىء ؟ قال : نعم معى أربعون دينارا ، قال : أين هى ؟ فأخرجها وسلمها له ، فقال كبير اللصوص : أمجنون أنت يارجل ؟ كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك ؟ فقال له : لما أردت الخروج من بلدى عاهدت أمى على الصدق ، فأنا لا انقض عهد أمى ، فقال كبير اللصوص : لاحول ولاقوة الا بالله انت تخاف عهد أمك ، ونحن لانخاف أن نخون عهد الله ، ثم أمر برد جميع ما أخذ من القافلة ، وقال : أنا تائب على يديك يارجل ، فقال : من معه : أنت كبيرنا فى قطع الطريق ، واليوم أنت كبيرنا فى

التوبة ، تبنا جميعا الى الله ، وتابوا وحسنت توبتهم •

« لكل فضل زكاة »

ان لكل فضل زكاة •

فزكاة المال الصدقة على الفقير •

وزكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم •

وزكاة البلاغة القيام بحجة من عجز عن حجته •

وزكاة الجاه أن يعاد به على من لاجاه له •

وزكاة العلم تعليم من قصر علمه •

« أكرم منى »

قيل لحاتم الطائى ••• هل رأيت من هو أعلى منك همة ؟ •

قال : نعم ، ذات يوم ذبحت أربعين جملا ودعوت أمراء العرب ، ثم مضيت الى الصحراء ، فلقيت رجلا حطابا فى طريقه الى المدينة •

فقلت له : لماذا لا تذهب الى حاتم ، وقد اجتمع الناس حول موائده •

قال الحطاب : مادمت أعمل وأعيش من عملى ، فأنا لا أنتظر منة من حاتم الطائى !!

فأكبرته ووجدته أعلى منى همة وكرما •

« رداء العقل »

عن سليمان — عليه السلام — : « ما ارتدى العبد برداء أفضل وأجمل من رداء العقل » : ان انكسر جبره ، وان صرع نعشه ، وان زل عمده ، وان ذل أعزه ، وان اعوج أقامه ، وان عثر رفعه ، وان افتقر أغناه ، وان انكشف ستره ، وان أقام عند قوم اغتبطوا به ، وان غاب اشتاقوا اليه ، وان نطق قالوا : بليغ ، وان سكت قالوا : لبيب ، وان أنفق قالوا : جواد ، وان أمسك قالوا : مقتصد ، وان وعظ قالوا : ناصح ، وان سكت قالوا : شفيق ، وان أفطر قالوا : معذور ، وان صام قالوا : مجتهد •

« حضانة الولد »

تخاصم أبو الأسود الدؤلى — واضع علم النحو — مع زوجته على غلام لهما من أحق بحضانته ؟

فقالت الزوجة : للقاضى أنا أحق بها لأننى حملته تسعة أشهر ، ثم وضعته ، ثم أرضعته الى أن ترعرع بين أحضانى .

فقال أبو الاسود : أيها القاضى حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه ، فان كان لها بعض الحق فيه فلى الحق كله أو جله .

فقال القاضى : أجيبى أيتها الزوجة على دفاع زوجك .

فقالت : لئن حمله خفا ، فقد حملته ثقلا ، ولئن وضعه شهوة فقد وضعته كرها .

فنظر القاضى الى أبى الأسود الدؤلى وقال له : ادفع الى الزوجة غلامها ودعنى من سجعك فهى أحق بالحضانة .

« أوحش المواطن »

أوحش ما يكون ابن آدم فى ثلاثة مواطن :

يوم ولادته ، ويوم موته ، ويوم بعثه .

لذلك قال الله تعالى — فى حق سيدنا يحيى — عليه السلام — **«وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا »**

« الذكر الحسن »

قال الشاعر :

وما من كاتب الا سيفنى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شىء
يسرك فى القيامة أن تراه

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : شاهد الناس فى مصر وسمعوا عن طريق التليفزيون والراديو صلاة الجنازة على شاه ايران السابق بصورة لم يألفوها ، فنرجو القاء الضوء على كيفية صلاة الجنازة .

ج : نود أن نوضح أولا أن صلاة الجنازة تختلف عن الصلاة المعروفة بأنها تكبيرات وأدعية من قيام .. ثم سلام ..

« وقد اختلفت الروايات فى عدد تكبيرات الجنازة . فأخرج البيهقى عن سعيد بن المسيب أن عمر قال : « كل ذلك قد كان أربعا وخمسا فاجتمعنا على أربع » ورواه المنذرى من وجه آخر عن سعيد ، ورواه البيهقى أيضا عن أبى وائل قال : « كانوا يكبرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعا وخمسا وستا وسبعا ، فجمع عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر كل بما رأى فجمعهم عمر على أربع تكبيرات » وروى ابن عبد البر فى الاستذكار باسناده « كان النبى صلى الله عليه وسلم يكبر على الجنائز أربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانيا حتى جاء موت النجاشى فخرج الى المصلى وصف ، وزاد : وكبر عليه أربعا ثم ثبت النبى صلى الله عليه وسلم على أربع حتى توفاه الله » فان صح هذا فكان عمر ومن معه لم يعرفوا استقرار الأمر على

الأربـــع حتــــى جمعهــــم وتشاوروا » (١) ٠

وذكر ابن القيم فى كتـــابه زاد المعاد (٢) « وكان صلى الله عليــه وسلم : « يأمر باخـــلاص الدعـــاء للميت ، وكان يكبر أربع تكبيرات ، وصح عنه أنه كبر خمســـا ، وكان الصـــحابة بعده يكبـــرون أربعـــا وخمسا وستا ، فكبر زيد بن أرقم خمسا وذكر أن النبى صلى اللـــــه عليه وسلم كبرها ذكره مســـلم ، وكبر الامـــام على بن أبى طـــالب على سهل بن حنيف ســـتا ، وكان يكبر على أهل بدر ستا وعلى غيرهم من أصحابه خمســـا وعلى ســـائر الناس أربعا ٠٠ ذكره الدارقطنى ذكره سعيدبن منصور عن ابن الحكم عن ابن عيينة أنه قـــال : كـــانوا يكبرون على أهل بدر خمسا وستا وسبعا ، وهذه آثار صحيحة فـــلا موجب للمنع منها ٠ والنبى صـــلى الله عليه وسلم لم يمنع ممـــا زاد على الأربع بل فعله هو وأصـــحابه من بعده ٠٠ » أ هـ ٠

من أجل هذا فقد اختلفـــوا فى عدد تكبيرات الجنازة ، فذهب الى أنها أربع لا غير جمهور من السلف والخلف منهم الفقهاء الأربعـــة ٠ وروايـــة عن زيد بن عـــلى عليـــه الســـــلام ، وذهب أكثر الهادوية الى أنه يكبر خمس تكبيرات (٣) ٠

من هـــذا يظهر أن جمـــاعة من الشيعة يذهبـــون الى أن عـــدد تكبيرات صـــلاة الجنـــازة خمس تكبيرات وقد تأولوا رواية الأربع بأن المراد بهـــا ما عـــدا تكبـــيرة الاحرام وهو تأويل بعيد ولما كانت الصلاة التى رأيناها على شـــــاه ايران قـــد أقيمت على المـــذهب الشيعى ٠

فقـــــد رجعت الى كتـــــاب المختصر (٤) النـــافع فى فقــــه

---

(١) كتاب سبل السلام ص (١٠٣) الجزء الثانى ٠

(٢) فصل ومقصود الصـــلاة على الميت الدعاء ص (١٣٩) الجزء الأول ٠

(٣) ص (١٠٣) الجزء الثانى من سبل السلام ٠

(٤) طبعة ادارة الثقافة بوزارة الأوقاف المصرية ص (٦٤ ، ٦٥) الطبعة الثانية ٠

الامامية (١) باب «صلاة الجنائز» فاقتطفت منه من أحكامها مايأتى :

« وهى خمس تكبيرات ، بينها أربعة أدعية ، ولا يتعين ، وأفضله أن يكبر ويتشهد الشهادتين ، ثم يكبر ويصلى على النبى وآله ، ثم يكبر ويدعو للمؤمنين .

وفى الرابعة يدعو للميت ، وينصرف بالخامسة مستغفرا .

وليست الطهارة من شرطها ، وهى من فضلها . ولا يتبا عدعن الجنازة بما يخرج عن العادة ، ولا يصلى على الميت الا بعد تغسيله وتكفينه ، ولو كان عاريا جعل فى القبر وسترت عورته ثم يصلى عليه .

ومن سننها : وقوف الامام عند وسط الرجل وصدر المرأة ، وأن يكون المصلى متطهرا ، حافيا ، رافعا يديه بالتكبير كله .

داعيا للميت فى الرابعة ان كان مؤمنا ، وعليه ان كان منافقا ، وبدعاء المستضعفين مستضعفا ، وأن يحشره مع من يتولاه ان جهل حاله . » انتهى .

أما صلاة الجنازة عند الفقهاء الأربعة رضى الله عنهم فهى أربع تكبيرات :

يرفع يديه فى الأولى ولا يرفع بعدها . ويحمدالله تعالى بعد الأولى أو يستفتح ، ويصلى على النبى عليه الصلاة والسلام بعد الثانية ، ويدعو لنفسه وللميت وللمؤمنين بعد الثالثة ، ويسلم بعد الرابعة .

ويقول فى الصبى بعد الثالثة : اللهم اجعله لنا فرطا وذخرا ، شافعا مشفعا .. ولا قراءة فيها ، لقول ابن مسعود : لم يوقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنازة قراءة ، لا فعلا ولا قولا ، كبر ما كبر الامام ، واختر من أطيب الكلام ما شئت . ولو قرأ الفاتحة بنية الدعاء لا بأس به ، أما بنية التلاوة فمكروه .

وهذا عند أبى حنيفة ويوافقه مالك فى عدم القراءة .

أما عند الشافعى : فيقرأ

---

(١) وهى جماعة من الشيعة المعتدلة .

الفاتحة بعد الأولى ويصلى عــلى النبى صلى الله عليه وسلم بعــد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثــة فيقول : اللهم ان هــذا عبدك ٠٠ الخ الدعاء ويقول فى الرابعة اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنــا بعــده واغفر لنــا ولــه ٠ ويســلم ٠٠ ويوافقه فى وجوب قراءة الفاتحــة أحمد ويتحملها الأمــام عن المأموم عنده ، ٠٠ ورجح النووى انهــا تجزىء قراءتها فى غير الأولى من الثانيــة والثــالثة والرابعــة وفى المجموع ويجــوز أن يجمــع فى التكبــيرة الثــانية بين القــراءة والصلاة على النبى وفى الثالثة بين القراءة والــدعاء للميت ويجــوز اخلاء التكبيرة الأولى من القراءة٠

ومن هــذا العــرض المــوجز للكيفيات الثلاث لصلاة الجنــازة والأحاديث الواردة بشأنها وأقوال الصحابة وما ذهب اليــه الفقهــاء نرى أنه ليس هناك خــلاف كبير بينها ــ وأنها كلها لهــا ســند من الســنة أو أقــوال الصــحابة وأعمالهم ٠

ورغم أنه يجــوز الــدعاء بأى صيغة كانت فى صلاة الجنازة فاننا نثبت هنا بعد ما صــح وحفظ عن النبى صلى الله عليه وســلم من دعاء فى صلاة الجنازة :

« اللهم اغفر لحينــا وميتنــا ، وشــاهدنا وغائبنــا ، وصــغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثــانا ، أنت تعلم منقلبنا ومثوانا وأنت على كل شىء قدير ، اللهم من أحييته منــا فأحيه على الاســلام والســنة ومــن توفيته منا فتوفه عليها » رواه أحمد والترمذى وابن ماجــه من حديث أبى هريرة وزاد منــه الموفق وأنت على كــل شىء قدير ولفظ السنة « اللهم اغفــر لــه وارحمه وعافه واعف عنه وأكــرم نزله ، وأوسع مدخله ، واغســله بالماء والثلج والبــرد ، ونقــه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وزوجا خــيرا من زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر وعذاب النــار ، رواه مسلم عن عون مالك أنه ســمع النبى يقول ذلك على جنــازة حتى تمنى أن يكون ذلك الميت ، وفيــه

وأبدله أهلا خيرا من أهله وأدخله الجنة « وافسح له فى قبره ونور له فيه » (١) ٠

وللشافعى رحمه الله وقد جمعه من الأخبار واستحسنه أصحابه « اللهم ان هذا عبدك وابن عبديك، خرج من روح الدنيا وسعتها ، ومحبوبه وأحباؤه فيها الى ظلمة القبر وما هو لاقيه ، كان يشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم انه نزل بك وأنت خير منزول به ، وأصبح فقيرا الى رحمتك وأنت غنى عن عذابه ، وقد جئناك راغبين اليك شفعاء له، اللهم ان كان محسنا فزد فى احسانه ، وان كان مسيئا فتجاوز عنه ، ولقه برحمتك رضاك ، وقه فتنة القبر وعذابه ، وافسح له فى قبره ، وجاف الأرض عن جنبيه ، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعثه آمنا الى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين » (٢)٠ وفى الباب أدعية أخرى ٠

والله أعلم ٠٠

عبد الحميد شاهين

(أكثروا ذكر هادم اللذات الموت ، فانكم لا تذكرونه فى كثير الا قلله ولا قليل الا كثره)

حديث صحيح

---

(١) من كتاب الروض المربع ـ شرح زاد المستقنع ـ مختصر المقنع ـ فى فقه امام السنة أحمد بن حنبل ٠

(٢) من كتاب الاقناع ، فى حل الفاظ ابى شجاع ٠

من أنباء العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ فهمى عبد الله سيد على

ان وضع الاسلام والمسلمين فى جنوب الفليبين (١) خطيرا جدا ، ومع ذلك فهناك أمل كبير فى أن تكون هذه المحنة التى نزلت بأرض الجنوب الاسلامى ، نقطة انطلاق لانتصار الاسلام انتصارا حقيقيا فى المنطقة ، لأن الحرب القائمة الآن وعمليات الابادة الواقعة على المسلمين ، قد هيأت جوا ملائما وأرضا خصبة للدعوة الاسلامية فقد تنبه المسلمون الى الخطر المحيط بمجتمعهم ، وأدركوا وجود المخططات التى تهدف الى محو هويتهم الاسلامية على أرض بانجسا مورو ، وعلموا ان لا ملجأ الا الى الله ، وأنه لاسبيل للخلاص الا بالاسلام .

أخى المسلم : اخوانك المجاهدون فى جنوب الفليبين يدعونك للاسهام فى الجهاد القائم هناك بالتبرع لمجاهدى الفليبين ، وعلى الهيئات الاسلامية تنظيم هذه التبرعات .

« المسجد الجامع ببروكسل أحد معالم الهندسة الاسلامية فى قلب العاصمة البلجيكية » .

عدد المسلمين فى بلجيكا يقدر الآن بحوالى ٢٢٠ ألف مسلم ..

---

(١) عن صحيفة جبهة تحرير مورو الوطنية .

أى ما يوازى ١٪ من عدد السكان هناك .. خلال السنوات الخمس الاخيرة ... صدر فى بلجيكا مرسومان ملكيان ... أصدرها الملك (بوروان) ملك بلجيكا .

اعترف المرسوم الاول بالاسلام دينا رسميا الى جانب الكاثوليكية . ونص المرسوم الثانى على ادخال الاسلام والتربية الاسلامية ضمن البرامج الدراسية التى تدرس فى المدارس الثانوية .. وقد جاءهذان المرسومان بعد موافقة الشعب البلجيكى .. ممثلا فى مجلس النواب والشيوخ .. وبالاجماع . فحتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن لبلجيكا أى علاقات هامة مع العالم الاسلامى .

وبعد التطور الاقتصادى الذى عرفته بلجيكا فى الفترة الاخيرة وفد اليها آلاف من العمال المسلمين فرارا من الحكم الشيوعى .. حتى بلغ عدد الجالية المسلمة فى بلجيكا الآن ما يقرب من ٢٢٠ ألف مسلم بين عمال وتجار وطلبة وموظفين ، مسلمين من مختلف الجنسيات ومن هنا بدأ التفكير فى انشاء المركز الاسلامى فى بروكسل ليكون مقرا يربط بين هذه الاعداد وبخاصة الجيل الجديد من الاطفال المسلمين .. ولاقامة الشعائر الدينية والتعريف بالاسلام ونشر تعاليمه فى بلجيكا .

ويحتل المركز الاسلامى فى « بروكسل » موقعا ممتازا فى قلب العاصمة البلجيكية على مقربة من المراكز والمصالح والبنوك والمتاحف فى مكان يسوده الهدوء تحيط به حديقة فسيحة .. ويعتبر أحد المعالم الهندسية المعمارية يجمع بين الطراز الاسلامى ومتطلبات الأنظمة المعمارية المعمول بها فى بلجيكا . وقد تكلفت انشاءاته خمسة ملايين دولار .. قدم الجزء الاكبر منها المغفور له المرحوم الملك فيصل ابن عبد العزيز بمناسبة زيارته بروكسل فى مايو عام ١٩٦٧ م .

ويتألف المبنى من (أربعة)

أدوار واسعة الارجاء .. وتضم الى جانب المسجد الجامع الذى خصص له الطابق الاعلى ويتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصل بالاضافة الى مصلى خاص بالسيدات المسلمات .

ويضم الطابق الأول خمس قاعات للمحاضرات يدعى الى القائها رجال الفكر والدعوة الاسلامية لتكون فى المستقبل نواة لمعهد الدراسات الاسلامية العالية .. وتستعمل هذه القاعات الآن لتنظيم محاضرات باللغة الفرنسية لتعرف البلجيكيين والأوربيين بالوجه الصحيح للاسلام ولاتاحة الفرصة لهم للوقوف على سمو تعاليم الاسلام وروعة مبادئه ، ولازالة ما قد علق بأذهانهم من جهالة بالدين الاسلامى .. وسوء معرفة لتعاليمه وأصوله ..

ويضم معملا لغويا لتعليم اللغات بالطرق السمعية والبصرية وفق أحدث الاساليب،ومكتبة كبرى تضم أكثر من ٤٠ ألف مجلد من أمهات الكتب فى أنواع الثقافة الاسلامية فى الحديث والفقه والتشريع والقصائد باللغات العربية والتركية والفارسية والأردية والألبانية لتكون عونا للدارسين والباحثين فى العلوم والفنون الاسلامية . أما الطابق الأرضى فيضم مسجدا للصلوات الخمس ومدرسة اسلامية ذات مرحلتين ابتدائية وثانوية .. تستوعب حوالى ٥٠٠ طفل من أبناء الجالية المسلمة يتلقون فيها دروس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتحفيظ القرآن الكريم .. يقوم بهذه الدروس أساتذة من المسلمين المقيمين فى بلجيكا .. وقاعة فخمة للأفراح تجرى فيها عقود الزواج طبقا للشريعة الاسلامية للراغبين من المسلمين الذين ليست لهم متطلبات فى بلجيكا .

ويضم المسجد الجامع فى بروكسل ناديين أحدهما للشباب المسلم والآخر خاص بالسيدات المسلمات تتوافر فيهما الوسائل

النرويجية مما يساعد على ربط الجميع بالمسجد وتقوية علاقة الاخوة والود بينهم .

ويضم المكتب التنفيذى للمركز الاسلامى فى بروكسل والذى ينتخب أعضاؤه كل عامين .. عضوا بلجيكيا مسلما هو : عبد العزيز مانجوتر وكان اسمه (لوسيان مانجوتر) قبل اسلامه وهو واحد من ٢٠٠ بلجيكى شهروا اسلامهم على يدى امام المسجد الجامع الشيخ (محمد العلوينى) خريج جامعة الزيتونة بتونس .. خلال العامين الأخيرين .

« تحفيظ القرآن وشرح تعاليم الدين بمساجد كينيا » .

انتشر الدين الاسلامى فى كينيا فى بداية الاسلام ومع عصر الخلافة الأموية وخاصة فى عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان بدأ كثير من المسلمين فى الهجرة من سوريا الى مقاطعة لامو التى تقع بمنطقة الساحل ولاتزال بعض آثارهم موجودة حتى الآن .

ولعل فى كتاب ابن بطوطة مايثبت ذلك حيث انه ذكر الكثيرمن مقابلاته مع بعض المسلمين هناك .

ونص دستور كينيا الصادر فى عام ١٩٦٣ م على أن حرية الاديان مكفولة لجميع المواطنين ، وبعد حصولها على الاستقلال وافقت الحكومة على انشاء بعض المحاكم الشرعية التى تنظر فى مسائل الزواج والطلاق ، بل وافقت على أن يكون عيد الفطر عطلة رسمية فى جميع أنحاء البلاد ، وأن تقتصر أيام العطلات فى بقية الاعياد الاسلامية على المسلمين فقط .

وبدأت المساجد تنتشر انتشارا كبيرا داخل جميع المدن والقرى الكينية .. وبعض هذه المساجد الحقت بها دور لتحفيظ القرآن الكريم وشرح تعاليم الدين الاسلامى ثم أنشىء بعد ذلك العديد من المدارس والمعاهد الاسلامية ومنها معهد مدينة ماجوكوس والمدرسة الاسلامية فى محباسا .

وبعد حصول كينيا على الاستقلال انتشرت الدعوة لاقامة هيئة اسلامية تتولى الدفاع عن المسلمين هناك الأمر الذى ترتب عليه فى النهاية الموافقة على انشاء المجلس الأعلى للمسلمين .

« مؤتمر المساجد بالولايات المتحدة الامريكية (١) »

خلال المؤتمر الذى عقده مجلس المساجد بالولايات المتحدة الامريكية مع مطلع العام الحالى تم التوصل الى القرارات التالية :

١ ـ دعوة جميع البلاد الاسلامية المنتشرة فى بلاد العالم الى اعتبار تحرير مدينة القدس وفلسطين المحتلة واجب دينى مقدس ، يقع على عاتق المسلمين .

٢ ـ استنكار العدوان الذى قام به الاتحاد السوفيتى على جمهورية أفغانستان ، واعتبار الغزو السوفيتى بمثابة اعلان الحرب على كل البلاد الاسلامية ، كما دعا مجلس المساجد كل البلاد الاسلامية والجاليات الاسلامية فى امريكا الشمالية ، وفى العالم أجمع للتبرع بسخاء فى سبيل دعم المجاهدين المسلمين الأفغان .

٣ ـ ولقد أكد مجلس المساجد بالولايات المتحدة أهمية الصلاة بالنسبة للمسلمين ، ومدى حقهم بالتمتع بالحرية الدينية ، وناشد البلاد الاسلامية فى العالم لتخصيص منح دراسية للطلاب المسلمين فى أمريكا ، لدراسة الدين الاسلامى فى المعاهد والجامعات الدينية الاسلامية ، بحيث يرجعوا الى قومهم مزودين بالثقافة الاسلامية والتربية الدينية ، فيؤدوا واجبهم تجاه الجاليات الاسلامية فى امريكا **(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من**

(١) من النشرة ٨٤ للمركز الثقافى الاسلامى بايطاليا .

كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) .

« رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية فى اليونان يبحثون اقامة مركزاسلامى فىأثينا ــ اليونان» .

ان رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ، فى اثينا ، اليونان ، قد عقدوا اجتماعا تدارسوا فيه موضوع انشاء المركز الاسلامى والجامع الاسلامى فى أثينا .

كما أنه عقد اجتماع آخر مماثل فى هولندا لدراسة مشروع مماثل ، وقد رحبت الحكومة اليونانية بهذه الخطوة .

فهمى عبد اللاه سيد على

كتاب الشهر :

تحديد النسل
والتنمية الاقتصادية

للدكتور رءوف شلبي

*** «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون**

*** وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين**

*** وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .**

١٩ ــ ٢١ الحجر

تجتاح الأمة العربية والأمة الاسلامية موجة « عارمة » من الدعاية لتحديد النسل وقد تتطور هذه الموجة من دعوة للاصلاح الى واجب قومى يجعل فى مستوى رفيع من مستويات أهداف الدولة العليا ، ومن يدرى لعل هذا التطور ربما يصل الى درجة التجريم أو الخيانة العظمى ، فقد خرجت أصوات تنادى بعقاب من يزيد فى نسله عن ثلاثة كحد أعلى .

ولقد انجرف فى هذا التيار جماعة من بعض العلماء وشقشقوا ألفاظهم جريا وراء براعة عليا فى صياغة الفتوى ، أو مظنة أنهم يحاولون الهرب من المسئولية الدينية التى استقرت فى سويداء قلوبهم كعلماء مسئولين عن الحق والعدل الدينى فقالوا انه تنظيم للنسل وليس تحديدا ... !!

ومن المعلوم والمعروف أن دعوة تحديد النسل أو تنظيم النسل مرض خبيث نقل من الفكر الاوربى الذى يسيطر عليه : الدهاء الصهيونى ، والحقد الصليبى وأصبح الوطن العربى والاسلامى مريضا بهذا الداء الوبيل الذى غلف فى ثوب اقتصادى مستغلا الظروف الاستثنائية فى الوطن العربى والاسلامى ، والتى هى من أفعاله ومكره واستعماره الطويل وكراهيته للعرب والاسلام

ومادام الغرب الصهيونى الصليبى يحتمى خلف ساتر اقتصادى فى نشر ميكروب تحديد النسل فانه لمن أيسر السبل وأقصر الطرق أن نعالج قضية ارتباط التنمية الاقتصادية : صناعة أو زراعة أو تجارة بالقوى البشرية زيادة أو نقصا من خلال الظواهر

التاريخية التى يحتفظ بهـا تاريخ أوربا الاقتصادى •

ثم نوضح فى ايجاز موجز عوامل الفقر فى العالم العربى والاسلامى •

ثم نقرر الحكم الشرعى فى قضية تحديد النسل أو تنظيمه من خلال النصوص الرئيسية للشريعة وهى : القرآن الكريم والسنة المطهرة •

أولا : حاجة التنمية الى الايدى العاملة •

* فى حكاية تاريخ أوربا الاقتصادى ظواهر واضحة تدلل على أن الايدى العاملة هى عصب التنمية الاقتصادية • فعندما قسم العلماء مراحل التطور الاقتصادى الاوربى فى العصور الوسطى قالوا :

يمكن تقسيم التطور الاقتصادى فى العصور الوسطى الاوربية الى أربع مراحل :

المرحلة الاولى : بين القرنين الخامس والسابع الميلادى حيث شاهدت أوربا هجرة واسعة استفادت البلاد منها اقتصاديا حيث استغلت الأراضى فى الزراعة ونشطت الصناعة فلولا زيادة عدد السكان عن طريق الهجرة ما تم لأوربا استغلال أراضيها المعطلة بدليل أن :

المرحلة الثانية : كانت مرحلة توقف فى العمل الاقتصادى بسبب الاضطرابات التى اجتاحت أوربا من جراء الحروب الاسلامية فى القرن السابع الميلادى التى وجهت الى بلاد أوربا فراحوا يدافعون عن بلادهم أو يهربون من مواطنهم خوفا من الحرب •

المرحلة الثالثة : فلما ضعف المسلمون وصار أمرهم فى القرن الحادى عشر الى الرابع عشر تحت سيطرة الحروب الصليبية تقدم الاقتصادى الاوربى فاستصلحت مساحات واسعة من الاراضى البور ،واتسعت التجارة، حتى بلغ ذروته فى الفترة من ١١٥٠ م الى ١٣٥٠ م •

المرحلة الرابعة : لكن لما قلت الأيدى العاملة بسبب انتشار وباء الطاعون الأسود ، وكثرت الحروب أواخر القرن الرابع عشر انكمشت التنمية وارتفعت الأجور وكثرت الضرائب ، ففشت المجاعات .

فالاقتصاديون فى تأريخهم لاقتصاد أوربا فى مرحلة القرون الوسطى يعلنون ظاهرة بينة فى التنمية الاقتصادية هى : أن الأيدى العاملة هى العصب الأصيل فى النمو الاقتصادى طردا وعكسا .

* ولم تتغير هذه الظاهرة فى مرحلتى التطور الاقتصادى وأعنى بهما :

ـ مرحلة التجهيز ١٤٥٠ ـ ١٧٥٠ م

ـ مرحلة التقدم ١٧٥٠ ـ الى اليوم .

وتتميز مرحلة التجهيز الاوربى بكفاح الجماعة الأوربية للكشف عن أسرار الطبيعة والبحث عن الوسائل التى تكفل الافادة منها ، ومن هنا نتج مايسمى بكفاح الفرد وكفاح الدولة ضد الاقطاع والكنيسة وحكومة المدينة ، فاندفع النشاط الاقتصادى فى أوربا قدما الى الامام بفضل نشاط الأفراد وحماية الدولة وبفضل :

ا ـ زيادة عدد السكان .

ب ـ الكشوف الجغرافية التى فتحت آفاقا جديدة للتجارة والعمل .

جـ ـ والتوسع الاستعمارى الذى أضاف وسائل للانتاج .

د ـ قيام الدولة القومية التى تنافست فى مجال الكشوف الجغرافية لمزيد من الاتساع فى رقعة العمل الاقتصادى ومزيد من الاستعمار لبلاد اسلامية .

ولهذا يقول الاقتصاديون المؤرخون لهذه المرحلة :

حقا لقد استمرت الزراعة حتى القرن التاسع عشر هى الاساس الذى يقوم عليه الاقتصاد الأوربى

ولكن الصناعة قد تنوعت وازدهرت ولبت مقتضيات الحياة الجديدة ، وسدت حاجة الاسواق النامية فى أوربا ، وكسبت لها أسواقا جديدة فى خارج أوربا : فى آسيا وفى أمريكا حاملة منها فى الوقت نفسه ما تحتاج اليه من المواد الأولية وعلى هذا النحو ازدهرت التجارة واتسع نطاقها فكان ذلك من أهم مظاهر التطور الاقتصادى الحديث فى أوربا .

وخرجت أوربا من عزلتها وتسابق الأوربيون لامتلاك المستعمرات وتكوين الامبراطوريات وحرصت دول أوربا على أن تهيمن على هذا النشاط الاقتصادى لتتخذه وسيلة لتزويدها بالقوة المادية التى تكفل لها التغلب على الدول الاخرى فقد كان العصر عصر منافسة وصراع بين الدول .

ولهذا نجد أوربا تتجه الى بناء الدولة القومية لمواكبة النهضة الاقتصادية فتحولت انجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وهولندا من نظام الاقطاع الى دول يحكمها ملك يوجه سياسة الدولة واقتصادياتها ، وكان ذلك التحول حسب الظروف التى تعيشها كل دولة ، ولقد كانت انجلترا أسبق الدول فى تأسيس الدولة القومية ، ولذلك كانت أكثر انتشارا فى المستعمرات ولهذا الاتجاه : اتجاه تأسيس الدولة القومية التى تسعى الى تحقيق القوى المادية بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية **فانها لم تجد لذلك سبيلا الا بالعمل على زيادة السكان .**

يقول الكاتبون فى اقتصاد أوربا:

تطلعت الدولة القومية الحديثة لتحقيق سيادتها الى زيادة القوى المادية ، والقوى البشرية :

* فالقوى المادية أرادت أن تحققها بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية .

* **أما زيادة القوى البشرية فيكون بتشجيع زيادة السكان بالزواج المبكر ومنح الاعانات لتكثير النسل** حتى تتوافر الأيدى العاملة فيزداد الانتاج ويجند العدد اللازم للجيش .

ويقـول الكاتبون فى اقتصـاد أوربا كتعليق على نتائج هـذه المرحلة : « وقـد قابـل ازدياد السـكان ، واتسـاع الاسـواق التجارية وكشف بقاع جديدة بهـا مصـادر متنوعة للثروة الطبيعية فتطلع هؤلاء — فى ظل الأحـداث الجديدة — الى الهجرة الى ما وراء البحار سعيا وراء العمل والانتاج **وكان هؤلاء المهاجرون عونا لدولهم مـن الناحيتين السـياسية والاقتصادية .**

❋ ونقول : ان مرحلة الاقتصاد الأوربى فى دور التجهيز احتاجت الى الايدى العاملة مثـل بـدء الاقتصاد الاوربى فى مرحلة ماقبل القرون الوسطى من أجل :

أ — استغلال الأراضى .

ب — اكتشاف الموارد الطبيعية

جـ — بنـاء الدولة القـومية الحـديثة .

د — تطـور الصـناعات .

هـ — الكشوف الجغرافية .

يقول الاقتصاديون فى ايجازهم لمقومات مرحلة التجهيز الأوربى :

ان أهم مقـومات التجهيـز الاوربى لبناء الدولة القومية عـدة عوامل منها :

ا — التوسع الاوربى عن طريق الحروب الصـليبية ، والكشـوف الجغرافية .

ب السياسة التجارية التى تنظم أراضى الدولة كلها تحت حكم ملك واحد ، والعمل على زيادة ايرادات الدولة بتدخلها فى أمور التجـارة لتحتفظ لها بنصـيب من أربـاح الذهب والفضة .

جـ — الاكتفاء الذاتى .

ء — الصناعة .

هـ — المناجم .

و — الزراعة .

ز — التجارة .

ح — القوة البحرية .

ط — المستعمرات .

ى — زيادة السكان .

فقد رأى الاقتصاديون أن كـل المقومات فى حاجة الى عدد كبير من السكان فالفرد عدة العمل فى الحقل وفى المنجم وفى المصنع وفى الباخرة

وفى القطار فلن تستقيم سياسة انتاجية فى الزراعة أو الصناعة أو التعدين الا بوفرة السكان وتنظيم جهودهم والأمة تحتاج اليهم فى تكوين الجيوش وبناء الأساطيل وتعمير المستعمرات ولهذا تحرص الدولة على زيادة **عدد سكانها بالتشجيع على زيادة النسل برصد الاعانات والمكافآت حتى يتوافر** للدولة مزيد من سواعد أبنائها وينخفض أجر العمل فتقل تكاليف الانتاج ويستطيع العامل أن يحظى بحاجته من الغذاء والكساء بأسعار رخيصة تتناسب وأجره ويستطيع الصانع أن يشترى المواد الأولية اللازمة لصناعته بأسعار معتدلة فيقل سعر التكلفة ويمكن تصديرها الى الاسواق الخارجية بأثمان معتدلة تمكنها من منافسة مثيلاتها من السلع الاجنبية **أما قلة عدد السكان فيصحبه — فى رأى التجاريين — ارتفاع اثمان الحاجات وانكماش التجارة وقلة** حصيلة الدولة من المعادن النفيسة وهبوط الدخل القومى .

ولهذا السبب لم تعد الدولة القومية تثق فى الأجانب كقوى مساعدة للتنمية فقد شاع الاعتقاد أن الأجانب دائما يعملون لمصلحة بلادهم وأنهم لا يمارسون نشاطهم داخل البلاد التى يقيمون فيها الاريثما يجمعون المال ، ثم يعودون الى وطنهم ومعهم الذى جمعوه مما يؤدى الى تسرب النقد الى الخارج .

* ولا يقل الفيزيوقراط : الطبيعيون فى الدعوة الى كثرة النسل عن خصومهم التجاريين لأنهم يدعون الى حرية العمل والانتاج والاستهلاك والغاء الضرائب الجمركية .

وبهذا يبدأ فى تاريخ الاقتصاد الأوربى مراحل جديدة للتطور الاقتصادى :

الأولى : من ١٧٧٩ — ١٨٤٨ م برز فيها مبدأ الاقتصاد الحر بفضل الثورة الصناعية والسياسية .

والثانية : من ١٨٤٨ — ١٨٧٠م برز فيها انتشار القومية والنظم البرلمانية .

والثالثة : من ١٨٧٠ ـ ١٩١٤ م تأسست الامبراطورية الألمانية التى صارت قدوة فى الاقتصاد لباقى دول أوربا .

ولا ينفك عامل زيادة السكان عن ارتباطه بالتنمية الاقتصادية طردا وعكسا ومن أمثلة ذلك :

أ ـ فى الزراعة :

كانت الزراعة هى العنصر الأساسى الذى قامت عليه اقتصاديات أوربا قديما ، وكان أكثر الأوربيين يقيمون فى القرى ويعملون فى الزراعة فقد كان ٩٠٪ من سكان انجلترا يعملون فى الزراعة أو الرعى أو الصيد مما يدل على تحكم الريف فى ثروة البلاد القومية ، لكن الزراعة التى تعتمد على زيادة السكان قد انهارت بسبب الحروب الأهلية فى انجلترا التى عرفت بحرب الوردتين فى القرن الثانى عشر ، ومثل الحروب بين انجلترا وفرنسا التى سميت بحرب المائة عام من ١٣٣٧ ـ الى ١٤٥٣ وبسبب قلة السكان التى كانت نتيجة الحروب وكذلك كانت نتيجة انتشار الطاعون الذى قضى على ثلث سكان أوربا ما بين عام ١٣٦٠ ـ ١٤٠٠ م

وهذا كله أدى الى نقص الأيدى العاملة فى الزراعة :

ولذا فان كتاب التاريخ الاقتصادى الاوربى عندما يتحدثون عن الثورة الزراعية يدرسون من عواملها : مشكلة المحافظة على خصوبة الأرض ومشكلة الصرف ثم مشكلة الأيدى العاملة فيقولون فيها :

ومن المشكلات التى واجهتها الأرض والزراعة فى أوربا مشكلة الأيدى العاملة المشتغلة بالفلاحة ، فان نمو الصناعة واتساع المدن ومغرياتها وزيادة أجور عمال الصناعة على أجور عمال الزراعة كل هذا قد أغرى عددا كبيرا من أهل الريف على الهجرة الى المدن فكان لزاما على أصحاب الأراضى أن يواجهوا النقص الكبير فى الأيدى العاملة فى الريف باستخدام آلات للحرث والرى .

وعلى العكس من ذلك يتحدث

كاتبوا الاقتصاد الاوربى عن الزراعة فى بريطانيا فيقولون :

أصاب الاقتصاد البريطانى انتعاش كبير فى الفترة السابقة التى دعوناها فترة التجهيز الاوربى ١٤٥٠ ـ ١٧٥٠م فقد تضاعف عدد السكان وانتشرت المحصولات الزراعية التى تستخدم للتجارة فأصبح لدى انجلترا فائض من القمح تصدره الى أوربا ٠

والنتيجة لهذه الظاهرة :

أن الزراعة تتأثر طردا وعكسا بالقوى العاملة فاذا ما توفرت الأيدى العاملة انتعشت الزراعة ودرت خيرا كثيرا واذا ماقلت الأيدى العاملة تعطلت الأرض وفسدت وقل المحصول وعمت المجاعات ٠

وبصورة جليلة عن الزراعة فى بريطانيا فى الفترة من ١٧٥٠ ـ ١٩٥٠ ـ يقول الكاتبون :

ان الاطراد فى زيادة السكان كان المخفف من ضيق اهمال الأراضى وتركها نتيجة الحرب وهبوط ثمن البوشل من القمح المحلى عن ١٠ شلن فلم يكن ازدياد عدد السكان عبئا وانما كان عامل تخفيف للورطة التى أصابت انجلترا عام ١٨١٥ ٠ ولم تضطر انجلترا لكثرة سكانها الى جلب عمال من الخارج مثلما فعلت فرنسا عام ١٩١٣ حيث كان النقص فى الأيدى العاملة سيئا فاستوردت عمالا من جنسيات مختلفة ففى عام ١٩٢٩ م كان من بين كل ٢٠ من الأيدى العاملة فى الزراعة واحد من جنسية أجنبية ٠

ب ـ فى الصناعة :

اذا كانت الظواهر الاقتصادية فى عالم الزراعة تعطينا فكرة أساسية عن ارتباط التنمية بزيادة السكان طردا وعكسا ، فان هذا المفهوم يكاد يكون مقلوبا الى حد ما فى عالم الصناعة ذلك أن الصناعة فى أوربا أول فجرها كانت تكفى حاجات الانسان ولا تزيد الا بمقدار ضئيل ٠

فلما كانت الكشوف الجغرافية ، والحروب الصليبية واتسعت رقعة المستعمرات فى آسيا وأفريقيا وامريكا ، اتسع تبعا لذلك نطاق السوق الشرائية لا سيما بعد أن

أقبل الناس على المنتجات الصناعية من الأقمشة والمنسوجات القطنية والحريرية مما ساعد على التفكير فى تطوير آلات الصناعة لتواجه تزايد الطلب من الاسواق الجمة وراء البحار فكانت الثورة الصناعية على نحو ما يصفه علماء الاقتصاد وكان من جراء ذلك ظهور طبقة من العمال لا عمل لها بعد أن فقدت المصانع اليدوية فاعليتها فى مواجهة الصناعات الحديثة ، كما جنح أصحاب العمل الى استخدام الاطفال والنساء بأجر أقل واستغل العامل طوال ساعات اليوم وأسىء له فى حياته ومعاملته حتى ظهر ما يسمى بالمشكلة العمالية (١) .

وكان من أول من تصدى لحلها (سيرروبرت بيل) صاحب مصنع للقطن وسياسى بريطانى محنك فعمل على حل جزء المشكلة عام ١٨٠٢ فحدد عمل الصبية باثنتى عشرة ساعة فقط وعين مفتشين : أحدهما قاض والآخر قسيس للاشراف على تنفيذ القانون فى المصانع ، ثم صدر عام ١٨١٩ م قانون يحرم استخدام الاطفال فى المصانع ، وحرم أن يشتغل العامل أكثر من ١٢ ساعة فى اليوم ، ولم يقبل اصحاب المصانع بهذه القوانين فحدثت مشكلات أدت الى البطالة بين العمال وتضخمت المسائل حتى عجت حلبة الاصلاح الاجتماعى بنظريات كثيرة خاصة بالعمال وكان من بين هذه النظريات تحديد النسل .

فقضية تحديد النسل ظهرت فى جو الصناعة وتطورها وتطور آلاتها والاستغناء عن بعض العمال بفضل الآلات الحديثة .

رأى قدامى الفلاسفة

لقد كانت نظرة الفلاسفة قديما الى زيادة السكان نظرة عادية لا يرون فيها بأسا ولا خرابا الى ذلك يذهب الفيلسوف Bvffodn

---

١ ــ لو كان لدى أوربا فقه سليم بقيمة الانسان وكرامته على نحو ما هو مقرر فى الاسلام لوضعت خطة صناعية لاستيعاب كل العاملين فى حقل الصناعة : احتراما لانسانيتهم ، ونشرا للرخاء ، ولكن المسألة كانت على خلاف ذلك .

والفيلسوف مونتسكيو Montesguieu فقد كانا يريان أن الزيادة فى السكان مفيدة ونافعة للبلاد ولا خوف منها ، لأن تعداد السكان منظم بطبيعته حسب طرق المعيشة، وهو نفس الاعتقاد الذى كان يذهب اليه المركيز ميرابو Mirabeau

ولكن الذى أفسد هذه النظرة العادية جودون GODWIN عندما ذكر فى كتابه « العدل السياسى سنة ١٧٩٣ م أنه شك فى أن نسبة المحصولات قد لا تزداد بنسبة تتلاءم مع عدد السكان »

مالتوس الانجليزى : ١٧٦٦م

* وهنا برز فى حلبة التشكيك قسيس اقتصادى هو مالتوس الانجليزى الذى وضع كتابه المشهور :

رسالة عن تعداد السكان عام ١٧٩٨ م ثم اعاده عام ١٨٠٣ م

وفيه يقول :

ان تعداد السكان يزداد طبقا لنظام متواليات هندسية .

١ — ٢ — ٤ — ٨ — ١٦ — ٣٢ — ٦٤ — ١٢٨ . وهكذا بينما لا تزداد حاجات المعيشة — الانتاج — الا حسب متواليات حسابية :

١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٦ — ٧ — ٨ — ٩ — ١٠ — ١١ — وإذن:

فتكون نسبة السكان الى الانتاج بعد جيلين كنسبة ٢٥٦ الى ٩ وبعد ثلاثة أجيال كنسبة ٤٠٦٩ الى نسبة ١٣ وسيكون الفرق خارقا لحد التصور بعد آلاف السنين .

لكن مالتوس لم يتعصب لهذا الرأى بل قال انه افتراض .

وقد تكون الأمور المفروضة غير صحيحة أحيانا ، وقال : ربما صار حظ الانسان فى المستقبل أسعد مما هو عليه الآن اذا استبدلت طرق القمع بوسائل الوقاية أى اذا استبدل بالحرب تنظيم أمور الزواج ... الخ .

ومع ذلك فان رأى مالتوس مع أنه ظهر فى بيئة عمالية عاطلة وكانت ظروف الحياة فى القرن الثامن عشر سيئة للغاية الا أن رأى مالتوس علق بأذهان كثير من الاقتصاديين حتى جر هذا الوبال على شرقنا العربى والاسلامى .

يقول المستر جروف ساموبل فى

في نقد رأى مالتوس :

ــ ان مالتوس لم يستطع أن يتنبأ بمخترعات العصور الحديثة تلك التى زادت مقادير المواد الغذائية ، وكذلك أساليب الزراعة فان التقدم فى هذه الآلات قد ساير ازدياد عدد السكان وأربى عليه .

ــ كذلك مالتوس لم يدخل فى حسابه قدرة الانسان على التعاون والحصول على مزايا تعظم كلما ازداد عدد السكان وازدحموا ،ذلك أنه كلما زاد عدد السكان استطاع الانسان أن يوزع العمل بأساليب اقتصادية أبلغ من سواها ، واستعمل فى تصريف العمل طرقا تفضل غيرها كثيرا وبفضل المخترعات والمستكشفات الحديثة تمكن الانسان من زيادة الانتاج .

ويقول جروف :

من ذلك يرى أن الانسان يستطيع دائما أن يجعل مقدار انتاجه أكثر فى مدة من الوقت أقصر (١) .

يقول جروف :

ان مجرد الارتفاع فى عدد المواليد لا يفيد فى زيادة عدد السكان فالجدير بالاعتبار هو الناتج الختامى : أى رجحان المواليد على الوفيات ، ولابد كذلك من تقدير العوامل الأخرى كالهجرة ، والحروب ، والامراض والكوارث الطبيعية .

*** ريكاردو الهولندى ١٧٧٢ م :**

وعلى غرار مالتوس كان ريكاردو ١٧٧٢ م فقد ذهب الى أن مستقبل العمال مظلم لأنه كلما ازداد السكان كثر عدد العمال ومتى كثر عدد العمال قلت أجورهم ، واذا قلت مساحة الأراضى الزراعية قل المحصول ، واذا قل المحصول ارتفع ثمنه ، ففى كلتا الحالتين مستقبل العمال فى خطر ومنعامن وقوعهذا الخطر يجب رفع أجورهم بنسبة ارتفاع لوازمهم ، وعلى فرض امكان حصولهم على هذه الزيادة فلن

---

١ ــ المجتمع ومشاكله ص ٤٧ .

يكونوا سعداء لأن ثمن القمح وغيره يزداد أيضا وانما الحل الوحيد لسعادة العمال هو ألا يكون لهم أولاد الا بنسبة مكاسبهم وأن يحدد لكل صناعة عدد معين من العمال .

يقول الدكتور حسين على الرفاعى : لا شك أن هذه النظرية اندثرت ولن تجد فى حياتنا الاجتماعية الحالية مجالا للنجاح ولقد أصبحت فى عداد النظريات العتيقة فان حالة التقدم الصناعى الهائلة التى يعيشها العالم اليوم لا تجد لمثل هذه الأفكار بيئة وسط العاملين والمستثمرين .

والخلاصة :

أن قضية تحديد النسل نشأت وسط مجتمع صناعى بدائى تحيط به عناكب اليأس والأسى ، عندما كانت أوربا تتنيه فى بحر من الفقر والجوع والحرب والدمار .

وكان التشاؤم هو السمة السائدة على الفكر العلمى الذى لم يستطع أن يتنبأ بتقدم صناعى هائل يغطى حاجات الانسان ولم يجد الفكر الأوربى له من الدين الذى يعتنقه مساعدا له على تفهم قضية الرزق والعمل .

(انظر حولك)

ولننظر الآن من حولنا لنرى رد الفعل للدول التى أخذت قديما بنظام تحديد النسل فماذا نرى٠٠؟

(ا) فى انجلترا :

* فى الحرب العالمية الاولى ١٩١٦ م ألفت فى انجلترا لجنة لاستعراض نسبة المواليد وكانت تتألف من ٣٣ عضوا كلهم من رجال الطب والاقتصاد والعلوم التجريبية والخبراء بفن الاحصاء والعلوم الدينية كما اشترك معهم ممثل عن الحكومة هو الدكتور استفنسون Stevenson — المسئول عن الاحصائيات ، والسير آرثر نيوزهوم AURTHER NEWSHONE — وهو الرئيس الاعلى للشئون الطبية — ووضعت هذه اللجنة تقريرا جاء فيه :

على بريطانيا أن تراقب بغاية من الحذر والاضطراب النقص المتزايد فى هبوط نسبة الولادة

القومية وعليها مواجهة هذا النقص وتغييره بالزيادة الى حد امكان ان تتخذ كل مايأتى فى دائرة قدرتها من التدابير الفعالة ، وتكررت هذه النصيحة فى عام ١٩٤٣ ابان الحرب العالمية الثانية فقد قال المستر هربرت مارسين وزير الداخلية :

ان بريطانيا اذا كانت تحب المحافظة على مستواها والتقدم فى سبيل الرقى والازدهار فى المستقبل فمن اللازم أن يتزايد فيها عدد كل أسرة بنسبة ٢٥٪ على الأقل وفى عام ١٩٤٤ م شكلت لجنة من الحكومة لدراسة المشكلة من كل نواحيها وقد صدر عنها توصيات أهمها :

* تعديل قانون الضرائب بحيث تخفف عن المتزوجين الذين لهم عدة أطفال •

* أن تمنح كل أسرة مكافأة مالية على قدر مايكون لديها من الاطفال •

* والآن فى انجلترا يمنح الاطفال مكافآت مالية وتمنح النساء أجازة ولادة مع مكافأة مالية خاصة •

ب ـ وفى فرنسا :

أصدرت الحكومة قانونا يجرم تعليم منع الحمل ونشر المعلومات عن طرقه ووسائله •

وان الاسر ذات الاطفال تمنح مكافآت مالية وتعفى من بعض أنواع الضرائب •

ونتيجة لذلك ازداد عدد سكان فرنسا بنسبة ٢٦٪ فى السنوات بين ١٩٣٨ م الى ١٩٥٤ م •

د ـ وفى السويد :

قال الوزير تراى جر TRYGGAR ان الشعب السويدى اذا كان لا يريد لنفسه الانتحار فعليه أن يتخذ التدابير المؤثرة لمقاومة انخفاض نسبة المواليد فى وطنه •

لقد أصبح انخفاض نسبة المواليد خطرا للغاية ينذر بالويل منذ سنة ١٩٢١ م ا هـ •

وكان من تأثير هذا التنبيه الذى ألقاه الوزير فى المجلس النيابى أن الحكومة ألفت لجنة خاصة فى مايو ١٩٣٥م لدراسة المشكلة وانتهت اللجنة الى :

١ ـ الرقابة على بيع أدوية منع الحمل •

٢ ــ تخفيف الضرائب عـــن الوالدين اذا كان لهما اطفال أقــل من ١٨ سنة •

٣ ــ المحافظة على الصـــحة واعداد الادوية المجانية للاطفال •

رأى الطب

وتقول الدكتورة ميرى شارليب Dr : Mary Scharlieb

ان وسائل تحديد النسل سواء كانت هى اللـــولبيات المعدنيـــة أو الأقراص أو العقــاقير القاتلة للحيــوانات المنــوية أو حــواجز المطاط وغــيرها ، واذا كانت المرأة لا تتعرض باســـتخدامها لضرر فورى ظاهرى ، ولكنهـــا اذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان فلابد أن يصــيبها انهيــار عصــبى قبل ان تبلغ سن الكهولة •

ومن النتائج اللازمة لاستخدام هذه الوسائل ــ التبرم ــ والتذمر ــ والقلــق ــ وضـــعف القلب والتشويش والهموم ونقص الدورة الدموية وشلل اليدين واضــطراب العادة الشهرية •

ويقول الدكتور رينيل ديوكس : ان المرأة عندما تتناول هـــذه الحبوب لمنع الحمل فهى لاتتعرض للصداع والآلام العصبية فحسب بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها مرض عضال كالسرطان •

الأثر الأخــلاقى

أما الأثر الأخـــلاقى فانه يفتح بابا للفســوق لا حــد له مادامت عواقب الانحراف مأمونة ومـــادام الخط الاقتصادى لا يسعف عــلى بناء بيوت للزوجية فلتأخـــــذ الابليسية حظها فى فكر الشــابات قبل الشبان •

فهل التنمية الاقتصــــادية فى مجال : الزراعـــة ، والصناعـــة والتجارة فى حاجة الى مثل هـــذه العاهات والأمراض ؟

أو أنها فى حاجة الى أيد تعمــل وتبنى وتشيد ؟

ولله در المرحــوم العلامـــة الاستاذ الدكتور أحمد زكى حــين هتف بالامة العربية : تناســـلوا تكاثروا حتى تملئــوا البحر والبر عربا •

ومن جهة أخرى :

فان الاستعدادات العسكرية التى يتسابق عليها الشرق الشيوعى والغرب الامبريالى وكلاهما مستعمر غاشم قد جعلت قضية الأخلاق فى الشرق العربى والاسلامى قضية فى حرج شديد اذ بهذا التسابق يتأرجح العرب والمسلمون فى حيرة بين جاذبية كلتا القوتين ، وعندئذ لا توجد شخصية أخلاقية للعرب والمسلمين ، ويبقى فى تفكير العرب الى أى القوتين تضمن لهم السلامة ، ولا سلامة الا فى الاعتصام بحبل الله المتين ويوم أن تفقد الشعوب شخصيتها الاخلاقية تنهار وتندك حصونها وتذهب شعوبها بددا فى صحراء التيه والضياع •

ثانيا : عوامل الفقر فى العالم العربى والاسلامى

ان الثروة التى يملكها العالم العربى والاسلامى هائلة جدا ففى مجال الزراعة يملك ملايين الافدنة الصالحة للزراعة والتى تكتنفها الانهار والامطار على امتداد الوطن العربى •

ففى السودان مائتا مليون من الافدنة يجرى من حواليها النيل الابيض والازرق وهما حزينان لأنهما يمران مر الكرام وسط هذه الملايين دون أن تشرب مائة مليون منها شربة من ماء النيل •

وفى العراق ثلاثون مليونا تهطل عليها الامطار وتجوس خلالها مياه دجلة والفرات •

وفى سوريا وفى فلسطين وفى مصر ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والكافية لسد حاجات مئات الملايين من الانس خارج الوطن العربى •• ولكنها لا تجد يدا عاملة ولا مالا يساند فى فلاحتها والمناجم وآبار البترول والغاز الطبيعى ، والمحاصيل الزراعية التى تصدر الى الخارج كلها ثروات تغطى حاجات العالم العربى والاسلامى ولكن الفقر هو سمة غالبية هذه الشعوب فلم • ؟

ان الاجابة اركزها فى هذه النقاط :

أولا : الابتعاد عن ذاتيتنا الاسلامية الى أيديولوجيات شرقية أو غربية لفت الأمة العربية

فى أثواب خلقة من السياسة الاستعمارية التى انهكتكل قواها.

ثانيا : تلك الصراعات العربية التى لم تعرف لها نهاية ولم تجد لها من يلم شملها .

ثالثا : تلك الحروب التى طحنت الامة العربية دون أن تدرك لم حاربت ومن حاربت ، واعتمادات عسكرية باهظة لم تحقق للقضية القومية شيئا .

رابعا : بعثرة الامكانات الاقتصادية والاحجام عن استخدام المال العربى فى ازدهار الأوطان العربية وهى حقل التنمية المرغوبة .

خامسا : تيه الاقتصاد العربى والاسلامى وسط جاذبية الاقتصاد العالمى .

سادسا : التبذير والاسراف فى النفقات السرية والاعلامية والترف المعيشى الخاص بالمظاهر الفضفاضة التى تضيع فى الهواء .

ومن هنا فرضت هذه المشكلات أسباب الفقر فمالت الأذن العربية الى وسوسة الغرب الصهيونى الصليبى وسمعت همسه : أن حل المشكلة فى تحديد النسل ، وهم كاذبون آثمون .

رأى العلامة ابن خلدون :

والعلامة ابن خلدون يربط التقدم الحضارى والرخاء الاقتصادى بزيادة السكان لأن هذه الزيادة تدفع الى التعاون على العمل الذى هو أساس التقدم الحضارى فيقول :

ثم اذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة ، وتعاونوا فى الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجىء عوائد الترف البالغة مبالغها فى التأنق فى علاج القوت واستجادة المطابخ ، وانتقاء الملابس الفاخرة .. ومعالات البيوت والصروح .. الخ .

فنظرية ابن خلدون وهو سيد

أهل علم الاجتماع : أن الحضارة تحتاج الى عنصر الوفرة فى الأيدى العاملة التى تقوم بأعباء أنواع حاجات الحضارة فالبدو ينتج ما يكفيه أما الرجل الحضرى فهو دائما يتطلع الى العلا وحاجاته مرتبطة بكثير من الفنون وشئون الصناعة وذلك لا يتأتى الا عن طريق الزيادة فى السكان .

يقول ابن خلدون :

ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل فى معاشه الصنائع ، ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم .. فقد تبين أن أجيال البدو والحضر طبيعة لابد منها .

والامة العربية وهى الامة التى برز فيها عالم الاجتماع العربى ابن خلدون فيها من الامكانات ما يحقق نظرة اكثار النسل ثم هو أولى أن تميل فى اجتماعياتها الى نظرية ابن خلدون لا مالتوس ولا ريكاردو ..

ثالثا : الرأى الاسلامى فى تحديد النسل

تنشأ فكرة تحديد النسل كآثار لقضية أثارها الاقتصاد الفيزيوقراطى الذى يدعى أن موارد الطبيعة لا تكفى لتمويل البشر اذا زادوا فى المستقبل . وهى قضية عقدية قبل أن تكون اقتصادية ، فهل حقا الموارد الطبيعية غير قادرة على كفاية البشر .. ؟

ان الله تعالى يقول :

« والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون .

وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين »

١٩ — ٢٠ الحجر

« وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين »

١٠ — فصلت

« وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم »

٢١ — الحجر

« ذلكم الله ربكم لا اله الا هو

خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » .

١٠٢ ــ الانعام

« له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم »

١٢ ــ الشورى

« ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »

٥٨ ــ الذريات

فهذه النصوص ترفض الادعاء الاوربى القائل بأن الموارد الطبيعية غير قادرة على كفاية البشر اذا زاد عدد السكان والنبى صلى الله عليه وسلم يحذر الأمة من تحديد النسل فيقول :

*** « اذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء »**

(رواه مسلم)

* اصنعوا مابدالكم فماقضى الله تعالى فهو كائن وليس من كل من الماء يكون الولد .

(رواه مسلم)

* لو أن الماء الذى يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا وليخلقن الله تعالى نفسا هو خالقها .

(رواه احمد)

* اعزل عنها ماشئت فانها سيأتيها ما قدر لها .

(رواه مسلم)

* اعزلوا أو لا تعزلوا ما كتب الله تعالى من نسمة هى كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة .

(رواه الطبرانى)

* ما قدر فى الرحم سيكون

(رواه احمد والطبرانى)

* ما قدر الله لنفس أن يخلقها الا هى كائنة

(رواه احمد)

* ما عليكم أن لا تعزلوا فان الله قدر ما هو خالق الى يوم القيامة

(رواه النسائى)

* لا عليكم ان لا تفعلوا ذلكم فانها ليست نسمة كتب الله أن تخرج الا هى خارجة

(رواه البخارى)

* كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض

بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء

(رواه مسلم)

ولا أدل على رغبة الاسلام فى زيادة النسل من دعوة النبى صلى الله عليه وسلم الى الزواج من المرأة الولود الودود •

* ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة :

الودود الولود العوود التى اذا ظلمت قالت هذه يدى فى يدك لا أذوق غمضا حتى ترضى •

(رواه الطبرانى)

* تزوجوا فانى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى •

(رواه البيهقى)

* تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم •

(ابو داود والنسائى)

* تزوجوا الولود تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة •

(رواه البخارى ومسلم)

* انكحوا أمهات الاولاد فانى اباهى بكم يوم القيامة •

(رواه احمد)

وبعد :

فان القدماء المصريين كانوا أكثر ذكاء فى تصورهم للذرية من أغلبية كثيرين من دعاة تحديد النسل •

فقد ورث التاريخ عن قدماء المصريين انهم كانوا يحبون الاطفال لدنياهم ولآخرتهم • وساعدتهم طبيعة أرضهم وأوضاعهم الاجتماعية والدينية على أن يستزيدوا من العيال دون ان يتوقعوا عنتا كبيرا واملاقا (١) •

وأخيرا ••

رأى مجمع البحوث الاسلامية

فى المحرم عام ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥ انعقدت الدورة الثانية لعلماء المسلمين فى رحاب الازهر ومجمع البحوث الاسلامية وفى هذا المؤتمر الثانى صدرت قرارات تتعلق بتحديد النسل قالوا فيها :

يقرر المؤتمر ما يلى :

١ ـ أن الاسلام رغب فى زيادة

---

١ ـ الاسرة فى المجتمع المصرى القديم دكتور عبد المعيز صالح ص٣٤

النسل وتكثيره لأن كثرة النسل تقوى الأمة الاسلامية اجتماعيا واقتصاديا وحربيا وتزيدها عزة ومنعة .

٢ ـ اذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل فللزوجين أن يتصرفا طبقا لما تقتضيه الضرورة وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد وتدينه .

٣ ـ لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه .

٤ ـ أن الاجهاض بقصد تحديد النسل أو استعمال الوسائل التى تؤدى الى العقم لهذا الغرض أمر لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين أو لغيرهما .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم فى كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

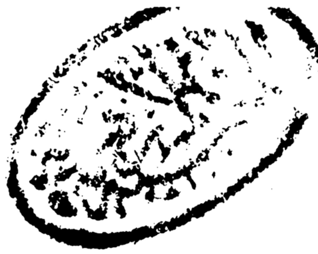
ان تحديد النسل : مجافاة للفطرة
ومجافاة للطبيعة العربية
وهو خرافة
لأن الله فعال لما يريد
ولأن الله غالب على أمره
فهل من مستجيب ؟
هذا
وبالله التوفيق .

دكتور رءوف شلبى
عميد كلية أصول الدين
بالمنصورة

فهرس العدد

اسم الموضوع	صفحة

طبع بمطابع مؤسسة روزاليوسف



مدير المجلة
محمد صابر البدرسي

مجلة
الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع ـ السنة الثانية والخمسون ـ ذو الحجة سنة ١٤٠٠ هـ ـ نوفمبر سنة ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

منابع التاريخ الإسلامى وبدء الكتابة فيه

فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

تدل كلمة « التاريخ » على الاعلام بالوقت ، مضافا اليه ما وقع فى ذلك الوقت من : حوادث ، وأخبار ، والتاريخ : بهذا المعنى اللغوى : قديم تمتد جذوره الى الأسرة الأولى من البشر ، فحينما هبط آدم وحواء ، على ظهر هذا الكوكب ، وأصبح لهما أولاد وذرية ، أخذ آدم يقص على أبنائه مما علمه الله ، ويروى لهم من الأنباء ما علمه ورآه ، وأخذ هؤلاء يحتفظون بهذه الأخبار فى ذاكرتهم ، لينقلوها الى أبنائهم ، وأحفادهم ، جيلا بعد جيل ، وقبيلا فى اثر قبيل ..

ثم توالت الأزمان ، وانبثق فجر الحضارة ، وبدأ الانسان يتعلم الكتابة ، ويسجل ما يسمعه ويراه ، وما يحتفظ به في ذاكرته ، على الحوائط والجدران · وفي العظام ، والجلود والألواح ، فبدأت الانسانية عهدا جديدا يسمى « مبدأ التاريخ » وأما العصور التي سبقت هذا العهد ، فتسمى « عصور ما قبل التاريخ » ·

فالعصور التاريخية اذن تبدأ منذ تعلم الانسان الكتابة · وهذا هو ما اصطلح عليه المؤرخون ، وكأنما أرادوا أن يسدلوا الستار على تلك الأزمنة المتوغلة في القدم ، والتي لم تسجل فيها أخبار الشعوب والأمم ، لأنها — حينئذ — أنباء يحيط بها الغموض ، ولا تستند الى أساس سليم، بل يشوبها الحدس والتخمين · وتفتح الباب على مصراعيه ، للأوهام والأباطيل ··

والآن سوف نعبر القرون ، منذ بدأت كتابة التاريخ عند الاغريق ، وعند الرومان ، وعند المصريين القدماء ، وقد كان ذلك قبل الميلاد المسيحي ، بآلاف السنين ، سوف نتجاوز هذه الأزمنة ، وتلك الأمكنة ، الى القرن السابع الميلادي ، والى الجزيرة العربية بصفة خاصة ، لكي نتتبع كتابة التاريخ الاسلامي ، منذ بدأت في هذه الجزيرة :

وأول المنابع الأصيلة لهذا التاريخ ، هو كتاب الله ، المنزل على رسوله محمد بن عبد الله ، ثم يلي ذلك في الأهمية السنة النبوية ·· ففيها مبادىء الدين الاسلامي الحنيف وآدابه ، وفيهما سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وبيان لأحوال المجتمع الذي كان يعيش فيه الرسول ، وأصحابه ، وتصوير صادق لما مر بهم من الآمال والآلام ، والاحداث الكبار والجسام ·

وقد كان العرب قوما أميين · وكانت الكتابة فيهم نادرة ، حتى ليذكر المؤرخون ان الاسلام حينما ظهر في مكة ، لم يكن فيها من يعرف الكتابة ، سوى نفر ضئيل يقلون عن العشرين ، وكان منهم

عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، ويزيد بن أبى سفيان ، وأخوه معاوية بن أبى سفيان ، وأبوهما : أبو سفيان بن حرب .. أما المدينة فكانت الكتابة بين الأوس والخزرج قليلة — كذلك — وكان ممن يعرفها منهم سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، وزيد بن ثابت .

وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — يهتم كثيرا بالكتابة ويوجه المسلمين الى العناية بها حتى لقد جعل فداء الأسرى فى غزوة بدر ممن كانوا يعرفون القراءة والكتابة أن يعلم الواحد منهم عشرة من أبناء المسلمين بالمدينة .

وقد استعمل الرسول — صلى الله عليه وسلم — الكتابة فى تدوين ما ينزل من القرآن ، وفى ارسال الرسائل ، الى الملوك والحكام ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، وكان أول من كتب له بمكة عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، وأول من كتب له بالمدينة أبى بن كعب ، وزيد ابن ثابت . ولما فتحت مكة ، وأسلم معاوية بن أبى سفيان ، انضم الى كتبة الوحى من أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — ولم يكن الورق — المعروف الآن — قد وجد عند العرب ، ولذا كانت الصحف التى يكتبون فيها هى : القماش ، والجلد ، والعظام العريضة ، والحجارة الرقيقة ، والأطراف العريضة من الجريد .

وكان أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — أحرص الناس على الاقتداء به ، وترسم آثاره ، فكان من يستطيع الكتابة منهم يسجل عن الرسول ، ما يسمعه ، أو يراه .

ولكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — نهاهم عن ذلك ، حتى تكون عنايتهم كاملة بالقرآن الكريم ، وحتى لا يؤدى ذلك ان تختلط بعض أقواله ، ببعض آيات من القرآن ولم يكن يبيح الرسول كتابة السنة الا فى احوال نادرة ، ولظروف خاصة .

وقد كان نتيجة لذلك : أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم

أحرص الناس على القدوة برسول الله — صلى الله عليه وسلم — والاقتداء بهديه ، جعلوا من قلوبهم وصدورهم صحفا ، يسجلون فيها ما يسمعونه من الرسول — صلى الله عليه وسلم — وما يعلمونه عنه ، ويتنافسون فى ذلك ، حتى بلغوا أقصى الغايات ، ولم يكن للرسول — صلى الله عليه وسلم — مكان خاص دائم يجلس فيه ، ليتلقى عنه أصحابه ، وانما كان يغدو ويروح ، ويسافر ويقيم ، وأصحابه يحيطون به ، ليأخذوا عنه ما يشفى غلتهم ويحيى قلوبهم ، وكان من أصحاب الرسول من يلازمه فى ظعنه واقامته ، وفى حله وترحاله ، كأبى هريرة ، وأبى بكر رضى الله عنهما ، وكان منهم من تدعوه الضرورة الى ان يتخلف بعض الوقت لقضاء مصالحه ، ومن هؤلاء من كان يعهد الى جاره ، أو صاحبه ان ينقل اليه ما يقوله الرسول ، أو يفعله فى فترة تخلفه حتى اذا حضر أخبره به ، ليبقيه هو الآخر فى صدره ثم يخبر به الآخرين فى دقة وفهم وحرص وأمانة ، أما من بعدت عليهم الشقة ، ونأت بهم الديار ، فكانوا اذا اعترضتهم مشكلة وعجزوا عن حلها ، توجهوا من فورهم الى مدينة الرسول — صلى الله عليه وسلم — مهما بذلوا من التضحية، ومهما تحملوا من المتاعب المضنية، ليستضيئوا بنور النبوة ، وليتبين لهم الخير من الشر ، والحلال من الحرام .

وبعد أن لحق الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالرفيق الأعلى، وجاء عصر الخلفاء الراشدين،تركز اهتمامهم فى جمع القرآن الكريم، وتدوينه فى مصحف واحد ، وتوزيعه على جميع الأمصار الاسلامية .

التدوين العام للسنة :

وعلى الرغم من أن الصحابة والتابعين فى القرن الأول الهجرى، كانوا يتدارسون الحديث النبوى بعناية الا أنهم لم يكتبوه فى صحف خاصة به كما تقدم ذلك .. وقد مضى القرن الأول الهجرى على هذا النحو ، ولما كانت نهاية هذا القرن كانت الظروف كلها تحتم

كتابة الحديث ، فالخصومات السياسية ، والخلافات المذهبية — وما ترتب على ذلك من الفتن — لا تزال ناشبة • والأهواء مصطرعة ، وأعداء الاسلام يتربصون به الدوائر ، ويتخذون كل سبيل لتشويه معالمه ، ولو تركت السنة دون تدوين لتعرضت للضياع بموت العلماء ، والأمناء والحفاظ الثقات ، وتعرضت — كذلك للتحريف والتغيير بما يدسه فيها أصحاب الهوى والغرض من الوضاعين الكذابين ، الذين اتخذوا الدين ستارا ، ينفذون من ورائه الى أغراضهم ومطامعهم •

وكان من توفيق الله ورحمته بالمسلمين أن يتولى الخلافة فى ذلك الوقت عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — وهو الحاكم المخلص الحريص على دينه • فنهض لاعلاء كلمة الدين ، واحياء سنة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتجلى ذلك فى كتابه الذى أرسله الى الولاة ، والعمال فى الأمصار الاسلامية ، والذى يخاطب فيه عامة المسلمين فيقول :« •• وفى الذى علمكم الله من كتابه • والذى سن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من السنن التى لم تدع شيئا من دينكم ولا دنياكم ، فى ذلك كله نعمة عظيمة وحق واجب هو شكر الله كما هداكم ، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فليس لأحد فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله رأى ، وهما حجتى فى الدنيا • وبغيتى فيما بعد الموت ، فلا تلبسوا ذلك بغيره » •

ثم اتبع هذا القول الذى يفيض بالاخلاص لكتاب الله ، ولسنة الرسول — صلى الله عليه وسلم — بعمل ايجابى عظيم فكتب الى عامله وقاضيه على المدينة ، ابى بكر بن حزم ، يأمره بجمع السنة وتدوينها ، ويقول له : « أنظر ما كان من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم، وذهاب العلماء » •

وكذلك كتب الى عماله فى أمهات المدن الاسلامية ، يأمرهم بجمع السنة وتدوينها فاستجابوا لأمره •

يقول الحافظ بن حجر : « .. ولما قصرت الهمم وخشى الأئمة ضياع العلم دونوه ، وأول من دون الحديث .. ابن شهاب الزهرى على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز .. ثم كثر التدوين ، وحصل بذلك خير كثير ، والحمد لله » .

وكانت طريقتهم فى التدوين فى ذلك الوقت أن يتبعوا وحدة الموضوع . فهم يجمعون فى المؤلف الواحد الأحاديث التى تدور حول موضوع واحد . فالصلاة مثلا تختص بمؤلف ، وتجمع فيه كل الأحاديث الواردة فى الصلاة ، وهكذا فى الزكاة ، والصوم ، والحج الى غير ذلك من سائر الموضوعات .

والمعروف أن هذه الكتب التى دونت فى تلك العصور ليس لها الآن وجود مستقل فقد أدمجت فى المصنفات الكبيرة التى كتبت بعد ذلك .

تدوين السيرة النبوية :

ولا شك أن السيرة النبوية لا تخرج كثيرا عن السنة النبوية ، لأن السنة النبوية هى : أقوال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأفعاله وتقريراته ، فكل الأخبار التى وردت عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد بعثته : هى سنة ، وحديث ، وهى فى نفس الوقت : سيرة ، وتاريخ .

وأما ما ورد عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أخبار قبل بعثته ، فبعضه يدخل فى نطاق السنة ، وهو ما أخبر عنه الرسول بعد البعثة ، وهو يسترجع الذكريات الماضية ، عن العصر الجاهلى ومن ذلك ما ذكره عن حرب الفجار وما ذكره عن حلف الفضول ، وما ذكره عن حادث شق الصدر أيام طفولته الى غير ذلك .

أما ما عدا ذلك من أخبار تتعلق به ، ولم ترد فى كتب السنة فقد تناقلها الناس على توالى الأجيال ، الى أن دونت بعد ذلك فى كتب التاريخ والسير .

وقد كتب المحدثون تاريخ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أحاديث متفرقة ، ومن غير ترتيب

للأحداث ، ولا جمع للموضوعات .. فلما رتبت الأحاديث فى أبواب ، وجمع منها ما يتعلق بكل باب على حدة ، كالصلاة والصيام، والزكاة والحج ، والجهاد،الى غير ذلك : جمعت السيرة فى أبواب مستقلة ، وكان من أشهرها باب يسمى « باب المغازى والسير » .

ثم انفصلت هذه الأبواب عن الحديث ، وألفت فيها الكتب الخاصة ، ولكن ظل المحدثون يدخلونها ضمن الأبواب الواردة فى كتبهم ، وتستطيع أن تلاحظ ذلك فى صحيح البخارى ، حيث خصص بابا سماه «كتاب المغازى» وكذا فى صحيح مسلم حيث جعل للجهاد بابا سماه ، « كتاب الجهاد والسير » وكذا ما جاء فى مسند أحمد من « كتاب المغازى » الى غير ذلك من سائر الأبواب المتعلقة بسيرة الرسول .

واذا كان ابن شهاب الزهرى قد قام بتدوين السنة النبوية فى عهد عمر بن عبد العزيز ، فقد أخذ عنه عالمان جليلان هما — فى الحق — أشهر وأوثق من كتب فى سيرة الرسول . وهما محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٣ هـ ومحمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

وسوف نذكر ترجمة موجزة لكل من هذين العالمين :

١ — محمد بن اسحق :

هو محمد بن اسحق بن يسار كان من الموالى يرجع فى نسبه الى أصل فارسى ، وقد ولد سنة ٨٥ هـ ونشأ فى المدينة وكان بها — حينئذ — طائفة كبيرة من أجلاء العلماء فسمع منهم وأخذ عنهم ، ومنهم محمد بن أبى بكر ، وأبان ابن عثمان ، ومحمد بن على ابن الحسين ابن على بن أبى طالب ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وابن شهاب الزهرى .. ثم رحل الى مصر سنة ١١٥ هـ ، وسمع من يزيد بن أبى حبيب .

ثم عاد بعد ذلك الى المدينة ، وكان يجمع الأحاديث وخاصة ما يتصل منها بالمغازى حتى اشتهربها وحتى كان الامام الشافعى يقول : « من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق » .

وقد ألف ابن اسحق كتابه

« المغازى » من مجموع الأحاديث التى سمعها من شيوخه فى المدينة ومصر • وهذا الكتاب لم يصلنا كاملا وانما وصل الينا مختصرا فى سيرة ابن هشام • ونستطيع اذا استخلصنا الروايات المنقولة فى سيرة ابن هشام ، عن ابن اسحق ان نظفر بسيرة ابن اسحق مختصرة ، وقد نص ابن هشام على ذلك فى مقدمة سيرته فقال :

وأنا ان شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم، ومن ولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من ولده وأولادهم لأصلابهم • الأول فالأول من اسماعيل الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل — للاختصار — • وتارك بعض ما ذكره ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء • وتارك — كذلك — أشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل الشعر يعرفها ، ومستقص ان شاء الله — ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به • وقد بقيت بعض الأخبار التى حذفها ابن هشام ، فى تاريخ الطبرى ، منسوبة الى ابن اسحق ، ومعنى ذلك أننا لو جمعنا كل ما نسب الى ابن اسحق فى سيرة ابن هشام ، وفى تاريخ الطبرى استطعنا أن نظفر بالغالبية العظمى من سيرة ابن اسحق ، وقد مات ببغداد سنة ١٥٣ هـ •

٢ — الواقدى :

هو محمد بن عمر بن واقد ، الواقدى وهو من الموالى — كذلك — وقد عاصر ابن اسحق ، وكان أصغر منه سنا ، وهو يعتبر فى الدرجة التى تليه،ومن اشهرشيوخه فى التاريخ ، أبو معشر السندى، وكان ابو معشر هذا واسع العلم بالمغازى ، وألف فيها كتابا اقتبس منه ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى عند الكلام فى السيرة ، وكذلك اقتبس منه ابن جرير الطبرى فى كتابه « تاريخ الأمم والملوك » •

وقد ولد الواقدى بالمدينة سنة

١٣٠ هـ ، وعنى بالمغازى والسير ، والتاريخ الاسلامى عامة ، ونبغ فى ذلك . وقد وردت له ترجمة فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وفيها يقول عن الواقدى : « وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره ، وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم من المغازى ، والسير والطبقات وأخبار النبى — صلى الله عليه وسلم — والأحداث التى كانت فى وقته ، وبعد وفاته .. وغير ذلك» .

ومما يروى عنه انه كان يذهب بنفسه الى أمكنة الغزوات ، ومواطن قتل الشهداء من أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكان يقول عن نفسه : « ما علمت غزاة الا مضيت الى الموضع حتى أعاينه » .

وكان الواقدى كثير التأليف ، وله كتاب اسمه « التاريخ الكبير » مرتب على حسب السنين ، وقد اقتبس منه الطبرى فى تاريخه ، وآخر ما اقتبس منه ما ذكره من حوادث سنة ١٧٩ هـ ، وله — كذلك — كتاب الطبقات ، وقد ذكر فيه الصحابة والتابعين مرتبين حسب طبقاتهم .

وقد سلك كاتبه ، وتلميذه : ابن سعد هذا المنهج فى كتابه «الطبقات الكبرى » .

وهكذا كان الواقدى من أوسع الناس علما فى المغازى والسير ، وقد عول عليه الطبرى كثيرا ، وكان من أكبر المصادر ، التى اعتمد عليها فى تاريخه .

***

وهذان مثلان لعالمين جليلين من الرواد الأوائل فى التاريخ الاسلامى .

وهؤلاء العلماء لهم — بلا شك — فضل السبق اذ هم الذين وضعوا الأساس لمن جاء بعدهم . ولكن لم يكن تأليفهم مرتبا ، ولا عملهم منظما . انما كثر الترتيب والتنظيم فى الطبقة ، التى أتت بعدهم ، ونلمح ذلك فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى » ، و «تاريخ الأمم والملوك للطبرى» . الى غير ذلك من سائر الكتب التاريخية ، التى كتبت فى ذلك

الحين •

وهكذا يتبين لنا أن أساس الحركة العلمية فى العصر الاسلامى الأول ، كان هو الدين ، الذى يتمثل فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية • فأساس الفقه هو ما ورد من آيات قرآنية ، أو أحاديث عن النبى — صلى الله عليه وسلم — تتعلق بالعبادات ، والمعاملات ، والتاريخ الاسلامى ، مستمد من سيرة النبى وغزواته ، وبحث العلماء يتركز ويدور حول هذا الغرض •

ولذا فقد كان الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والتاريخ ، علما واحدا فى أوائل الاسلام ، ثم أخذت هذه العلوم يستقل بعضها عن بعض ، عملا بناموس الارتقاء ، ولكن استقلال العلوم وتميزها ، ظل غير ملحوظ طيلة العصر الأموى على وجه التقريب ، ففى كتب التراجم عن علماء هذا العصر ما يفيد : انهم كانوا يأخذون من كل علم بنصيبوافر ، وأن العلوم التى استقلت فيما بعد لم تكن اذ ذاك مستقلة فى نظرهم •

فالحسن البصرى مثلا يجلس فى درسه ، فيتكلم فى الفقه والتفسير ، والحديث والتاريخ ، دون ان يلاحظ أنه انتقل من علم الى علم ، وتلامذته يستمعون اليه ، ولا يفكرون أنه قد انتقل بهم الى مجموعة من العلوم ، وانما يفهمون أنهم حضروا درسا من العلم الدينى ، ولم يكتمل نضج العلوم وتميزها ، الا فى العصر العباسى ، فظهر الفقهاء والمفسرون ، والمحدثون ، والمؤرخون ، وألفوا الكتب الكثيرة فى هذه النواحى المختلفة ، فأصبح لكل علم منها مجاله ، واستقلاله ، وبالتالى أصبح للتاريخ رجاله ، وهم المؤرخون السابقون ، ومن جاء بعدهم على توالى الأزمنة والقرون •

هذا • ومن الله العون ، وبه التوفيق ••

د/ محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

الرحلة فى طلب الحديث

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

لقد رحل الصحابة وأتباعهم الى شتى الأقطار والبلاد حتى أن الفرد منهم ليتميز بكثرة رحلاته وانتسابه الى أكثر من بلد .

ولقد حفظت لنا كتب السيرة وفود العرب الى الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثات الرسول الى البلاد المختلفة لنشر العلم وتعليم السنة .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حافظ الصحابة على تلك السنة الكريمة ، ومن أبرز الرحلات فى سبيل العلم وطلبه . ما روى عن أبى أيوب الأنصارى أنه رحل من المدينة الى مصر لمقابلة عقبة بن عامر وسؤاله عن حديث سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم فلما قدم الى منزل مسلمة ابن مخلد الأنصارى أمير مصر خرج اليه وعانقه ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ قال : حديث سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق أحد سمعه منه غيرى وغير عقبة فابعث من يدلنى على منزله . فبعث معه من يدله على ذلك فخرج اليه عقبة وسأله عن سبب مجيئه فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه منه غيرى وغيرك فى ستر المؤمن قال عقبة : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ستر مؤمنا فى الدنيا على خزيه ستره الله يوم القيامة » فقال أبو أيوب صدقت ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته فركبها

راجعا الى المدينة وما حل رحله فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد الا بعريش مصر •

وروى أن عمرو بن أبى سلمة قال للأوزاعى : يا أبا عمرو أنا الزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع منك الا ثلاثين حديثا — قال : وتستقل ثلاثين حديثا فى أربعة أيام ؟ لقد سار جابر بن عبد الله الى مصر واشترى راحلة فركبها حتى سأل عن حديث واحد وعاد الى المدينة وأنت تستقل ثلاثين حديثا فى أربعة أيام •

وهذا سعيد بن المسيب من كبار التابعين يقول : انى كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالى فى الحديث الواحد •

وروى الشعبى حديثا ثم قال للسامع خذها — أى الرواية — بغير شىء فقد كان الرجل يرحل فيما دونها الى المدينة •

وعن جابر بن عبد الله قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت الشام فاذا بعبد الله بن أنيس الأنصارى • فأتيت منزله وأرسلت اليه جابرا على الباب ، فرجع الى الرسول فقال : جابر بن عبد الله فقلت نعم • فخرج الى فاعتنقته واعتنقنى قال : فقلت : بلغنى عنك أنك سمعت حديثا فى المظالم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه أنا منه فروى له الحديث •

وعن عبد الله بن عباس أنه كان يذهب الى الرجل من الصحابة عنده الحديث ولو أرسل اليه لجاءه •

وعن أبى العالية قال : كنا نسمع عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نرضى حتى خرجنا اليهم فسمعنا منهم •

لقد كانت الرحلة سبيلا الى جمع العلم وسبيلا الى التثبيت من العلم وسبيلا الى التعرف على الجو العلمى فى أقطار العالم الاسلامى وتدعيما لوحدة المسلمين • وتنافس الجميع فى الاكثار منها والحرص عليها تنافسهم الشريف فى تحصيل العلم والاكثار منه ولم يبالوا فى سبيل

ذلك بتعب مادى أو مالى • وسنرى عند الحديث على أئمة الحديث أن الأكثر منهم رحلوا الى شتى الأقطار ومن لم يرحل استفاد من علم الأقطار لمركزه الحيوى فى نظره وتوافق الناس عليه •

أولا : أئمة الحديث النبوى من الصحابة •

الصحابة المكثرون لرواية الحديث

اشتهر برواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة من الصحابة شاء الله أن يكون حفظهم فى كثرة رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من غيرهم ، فتألقت أسماؤهم فى سماء رواية الحديث ، واصطلح العلماء على أن من روى أكثر من ألف حديث عد مكثرا •

وذكروا هؤلاء السبعة المكثرين للحديث على حسب ترتيبهم فى كثرة الرواية وهم :

أبو هريرة — عبد الله بن عمر — أنس بن مالك — السيدة عائشة — عبد الله بن عباس — جابر بن عبد الله — أبو سعيد الخدرى ••

واليك ترجماتهم على حسب هذا الترتيب •

أبو هريرة

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم نجوم الهدى ، والمقتبسون من أنوار النبوة ، الناقلون الينا علم الاسلام قرآنا وسنة ، ومن هؤلاء الصفوة من الصحابة أبو هريرة راوية الاسلام أول المكثرين لرواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كان اسمه فى الجاهلية عبد شمس بن صخر ولما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم • عبد الرحمن دوس احدى قبائل اليمن العريقة فى عروبتها •

وكان يرعى الغنم ومعه هرة صغيرة يعطف عليها ويضعها فى الليل فى الشجر ويصحبها فى النهار فكناه القوم أبا هريرة •

أسلم رضى الله عنه فى السنة السابعة من الهجرة عام خيبر وكان عمره حينذاك نحوا من الثلاثين سنة وقدم المدينة على النبى صلى الله عليه وسلم حين رجع من خيبر وسكن صفة مسجد الرسول صلى

الله عليه وسلم وأصبح عريف أهل الصفة . أهل العلم والعبادة ، أضياف الاسلام وعباد الله المتمتعون برضوانه تعالى .

أصحاب جامعة عريقة قوامها كتاب الله وسنة نبيه صابرون فى البأساء والضراء لأنسهم بالله .

يقول أبو هريرة : ان كنت لأعتمد على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع . ولقد قعدت على طريقهم فمر بى أبو بكر فسألته عن آية فى كتاب الله ما أسأله الا ليستتبعنى فمر ولم يفعل ، فمر عمر فكذلك حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف فى وجهى من الجوع . فقال الرسول أقبل أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : لبيك يا رسول الله ، فدخلت معه البيت فوجد زيتا فى قدح فقال : من أين لكم هذا ؟ قيل أرسل به الينا فلان .

فقال يا أبا هريرة : فانطلق الى أهل الصفة فادعهم ، وكان أهل الصفة أضياف الاسلام لا أهل ولا مال ، اذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة أرسل بها اليهم ولم يصب منها شيئا ، واذا جاءته هدية أصاب منها وأشركهم فيها ، فأقبلوا مجتمعين فلما جلسوا قال : خذ يا أبا هريرة فأعطهم فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى حتى اذا أتيت على جميعهم ناولته رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه لى مبتسما وقال : اشرب فشربت ، فقال اشرب فشربت فمازال يقول اشرب فأشرب حتى قلت : والذى بعثك بالحق ما أجد مساغا فأخذ فشربه من الفضلة .

ولقد حبب الله لأبى هريرة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ أحاديثه فكان أكثر رواة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ للمسلمين ثروة طائلة من السنة النبوية ، وقد اختاره الله لهذه المهمة الجليلة فوهبه ذاكرة قوية محققا دعوة خير البرية .

وروى الشيخان : أن أبا هريرة قال : انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انى كنت امرءا

مسكينا صحبت النبى صلى الله عليه وسلم على بطنى ، وكان المهاجرون تشغلهم التجارة فى الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على جمع أموالهم .

فحضرت من النبى صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فقال . من بسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطت ردائى على حتى قضى حديثه ثم قبضتها الى ، فو الذى نفسى بيده لم أنس شيئا سمعته منه صلى الله عليه وسلم .

ولذا كان مرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى النسائى : فى باب العلم من سننه « أن رجلا جاء الى زيد ابن ثابت فسأله عن شىء فقال : عليك بأبى هريرة ، فانى بينما أنا جالس وأبو هريرة وفلان فى المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم حتى حضر الينا مسكنا فقال : عودوا للذى كنتم فيه . قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال اللهم انى أسألك ما سألك صاحباى وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ، فقلنا : يا رسول الله نحن نسأل الله علما لا ينسى فقال بها الغلام الدوسى . وهذا يدل على مدى شغل أبى هريرة وتلهفه على تحصيل العلم النبوى فكان شغله الشاغل ، يحرص على الحديث من كتاب العلم عن أبى هريرة أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أنه لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا قلبه .

وأبو هريرة العالم العابد المتصوف المجاهد فى ميدان الجهاد ولاعلاء كلمة الله شهد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم موقعة اليرموك ، وبعد وفاته فى حرب الردة قاتل مع أبى بكر الصديق

ضـــد المرتدين ، وأشار بذلك ، أخرج الامام أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وســـلم قال : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصـــموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحســـابهم على الله تعـــالى ، قال فلما كانت الردة قال عمر : لأبى بكر تقاتلهم وقد سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كذا وكذا ؟ فقال أبو بكر : والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقاتلن من فرق بينهمـــا ، قال أبو هريرة فقاتلت معه .

أما عن كرم أبى هريرة : فقـــد نقل عن أبى نضرة عن رجـــل من قال : نزلت عـــلى أبى هريرة ولم أدرك من الصحابة رجلا أشـــد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه .

وأخرج أحمد عن أبى عثمـــان النهدي قال : تضـــيفت أبا هريرة فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل أثلاثا ، يصلى هذا ثم يوقظ هـــذا .

وطال عمر أبى هريرة عاش بعد الرسول سبعة وأربعين عاما ينشر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان مرجـــع المسلمين فى رواية الحديث حتى أن عبد الله بن عمر كان يترحم عليه فى جنازته ويقول : وكان يحفظ على المسلمين حديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم) .

وقد روى عن أبى هريرة نحـــو من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصـــحابة والتابعين وغيرهم ، وروى عنه أصحاب الكتب الســـتة والامام مالك فى موطئه ، والامام أحمد بن حنبل فى مســـنده ، وقد جمع أبو اســـحاق ابراهيم بن حرب العســـكرى المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية مســـند أبى هريرة وتوجد نســـخة منه فى خـــزانة كوبولس بتركيا كما ذكر صـــاحب الأدب العربى .

نضر الله وجه أبى هريرة ، فقد حفظ على المسلمين حديث رســـول الله ، وسمع مقالة الرسول فأداها كما سمعها .

دخل مروان عليه فى مرضه الذى مات فيه فقال شفاك الله .

فقال أبو هريرة : اللهـــم انى

أحب لقاءك فأحب لقائى ثم حرج مروان فما بلغ وسط السوق حتى مات .

انه من خيرة صحابة الرسول الذين قال فيهم الرسول : (خيركم من رآنى وآمن بى) وهو من القرن الأول الذين قال فيهم : (خير القرون قرنى) وهو القائل : (الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم) .

وتوفى بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة عن ثمانية وسبعين عاما قضاها فى خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الله بن عمر بن الخطاب

نسبه : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحى أخت عثمان بن مظعون .

ولد فى السنة الثانية أو الثالثة من المبعث وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم .

مشاهده

عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة فى أحد فلم يجزه وعرض عليه فى الخندق فأجازه وهو أول مشهد شهده — وشهد غزوة مؤته واليرموك وفتح مصر وأفريقية وقدم الى فارس غازيا وهكذا نرى أن نشاطه الحربى كان موفورا حيث خاض أعنف المعارك وأبلغها فى حياة الاسلام والمسلمين ولا غرو أن اضافت تلك الأمجاد الحربية اليه مكانة فى النفوس وخاصة نفوس أهل الشام حيث كان الوحيد الذى يمكنه أن يقاسم معاوية فيها الولاء لو أراد ولكنه آثر الآخرة كما يأتى :

علمه

كان من النجباء الفاهمين اغترف من فيوض النبوة واستفاد من جو الرسالة وحضر كثيرا من المجالس النبوية الشريفة وفى أحد المجالس قال النبى صلى الله عليه وسلم (ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ما هى قال عبد الله فوقع فى نفسى أنها النخلة — ووقع الناس فى

شجرة البوادى • ثم قالوا ما هى يا رسول الله ؟ قال ــ النخلة ــ فلما عرف عمر استحياءه عن الاجابة لصغره قال له : (وددت لو قلتها ولا أملك كذا وكذا تشجيعا له ــ وكان كثير المسائلة دقيق العلم خالص الورع محافظا على السنة روى مالك فى الموطأ عن نافع وعبد الله بن دينار أنهما أخبراه أن عبد الله بن عمر قدم الكوفة على سعد بن أبى وقاص وهو أميرها فرآه عبد الله بن عمر يمسح على الخفين فأنكر ذلك عليه فقال أسألت أباك ؟ فقال لا فسأله عبد الله ــ فقال عمر : اذا أدخلت رجليك فى الخفين وهما طاهرتان فامسح عليهما ــ قال عبد الله وان جاء أحدنا من الغائط قال عمر : نعم وان جاء أحدكم من الغائط ــ ومناقشته مع الصحابة للتعلم أو التعليم كثيرة مشهورة •

شجاعته فى الحق

لما فرض عمر لأسامة بن يزيد ثلاثة آلاف وفرض لابنه عبد الله ألفين وخمسمائة قال له يا أبت : لم تفرض لأسامة ثلاثة آلاف ولى ألفين وخمسمائة والله ما شهد أسامة مشهدا غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدا غاب عنه أبى قال : صدقت يا بنى ولكن أشهد لأبوه كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ولهو أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك • وعاق الحاكم على ذلك بقوله : فشهد له عمر بأنه لا ينام من الليل الا قليلا •

عبادته وورعه

عن نافع عن ابن عمر أنه كان يحيى الليل صلاة ثم يقول : يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر ويدعو حتى يصبح • وكان شديد الاحتياط والتوقى لدينه اشتهر بذلك بين الصحابة فعن جابر رضى الله عنه قال • مامنا أحد أدرك الدنيا الا قد مالت به ومال بها الا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وعنه أيضا قال • اذا سركم أن تنظروا الى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين لم يغيروا ولم يبدلوا فانظروا الى ابن عمر •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت أحدا الزم للأمر الأول من ابن عمر وعن نافع قال ان كان ابن عمر ليقسم فى المجلس ثلاثين ألفا ثم يأتى عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم فسئل نافع هل كان يأكل اللحم ؟ قال : كان اذا صام أو سافر فانه أكثر طعامه . وكان

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الحج والتصدق حتى استغل رقيقه حبه الانفاق فكان أحدهم ربما لازم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقال له : انهم يخدعونك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا له وكان اذا قرأ هذه الآية : « **ألم يأن**

للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » بكى حتى يغلبه البكاء .. وكان اذا ذكر أمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى واذا مر على ربعهم أغمض عينيه .. وسئل عنه نافع : ما كان يصنع فى منزله قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما .. فلا غرو اذا عقدت المقارنة بينه وبين أبيه واذا قيل : كان عمر فى زمانه من يشبهه وتوفى عبد الله بن عمر وما فى زمانه من يشبهه وعنه : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل . وكان يقول : اذا أصبحت فلا تنتظر المساء واذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ما حق امرىء سلم له شىء

يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده وفى رواية ثلاث ليال ثم قال : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندى وصيتى .. فيالله لتلك النفوس الطاهرة التى باعت الدنيا بالآخرة وحرصت على العمل أكثر من حرصها على العلم فكتبت لهم السيادة وتحققت لهم العزة فى الدنيا والفوز فى الآخرة .

ابن عمر راويا وفقيها

كان متشددا فى الرواية حريصا على آداء ما سمع كما سمع بلا زيادة ولا نقص فعن أبى جعفر قال : لم يكن أحد من أصحاب

النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أحذر أن لا يزيد فيه ولا ينقص من ابن عمر .. وعن مالك : قال لى ابن شهاب : لا تعدلن عن رأى ابن عمر فانه أقام بعد رسول الله سنة فلم يخف عليه شىء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من أمر أصحابه . وقد نقل صاحب الفتح الربانى بترتيب سند الامام أحمد نماذج من فتاواه اخترنا منها ما روى عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما . يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصنع أربعا لم أر من أصحابك من يصنعها : قال ما هن يا ابن حريج ؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان الا اليمانيين ورأيتك تلبس النعال السبتية ورأيتك تصبغ بالصفرة ورأيتك اذا كنت بمكة أهل الناس اذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية .. فقال عبد الله : أما الأركان فانى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس الا اليمانيين وأما النعال السبتية فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن أكسيها .. وأما الصفرة فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها وأما الاهلال فانى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها حتى تنبعث به ناقته .. والناظر فى كتب السنة يجدها مشحونة برواياته وآرائه وفتاويه ومواقفه المحمودة حتى أنه كان كثيرا ما يقول لا أدرى اذا سئل خوفا من أن يقول فى الدين بالرأى أو تجره الأسئلة الى القول بغير علم .

وفاته

حكى مولى له قال : انه أنكر على الحجاج بن يوسف أفاعيله فى قتل الزبير وقام اليه فأسمعه فقال الحجاج اسكت يا شيخا قد خرقت فلما تفرقوا أمر الحجاج رجلا من أهل الشام فضربه بحربة فى رجله ثم دخل عليه الحجاج يعوده فقال : لو أعلم الذى أصابك لضربت عنقه فقال : أنت الذى أصبتنى . قال

كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح ووصى ابنه سالم أن يدفنه خارجا من الحــرم فلم يقدر فدفن بالحــرم بفتح فى مقبرة المهاجرين وكان ذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة وهو يوم مات ابن أربــع وثمانين سنة •

آثاره ورواياته

روى عن النبى صــلى الله عليه وســلم فأكثر وعن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى ذر ومعاذ بن جبــل ورافــع بن خــديج وأبى هريرة وعائشـــة •

وروى عنه ابن عباس وجــابر والأغر المزنى من الصــحابة ومن التابعين بنوه ســالم وعبد الله وحمـــزة وبلال وزيد وعبد الله ومصــعب بن ســعد وســعيد بن المسيب وأســلم مولى عمر ونافع مولاه وخلق كثير وعده ابن حزم من أكثر الصحابة فتيا مطلقا وممن يمكن أن يجمع فتيا كل واحد منهم مجلد ضخم • وعدوه من المكثرين فى الحــديث فقد روى عنه ألفى حديث وستمائة وثلاثين حديثــا • ومن أصــح الأسانيد اليه بل لقد عدها بعض العلماء أصح الأسانيد على الاطلاق مالك عن نافع عن ابن عمر وقيل الزهرى عن ســالم عن أبيه عبد الله بن عمر •

ثنــاء العلماء عليه

عن حذيفة قال : لقد تركنـــا رســول الله صلى الله عليه وسلم يوم توفى وما منا أحــد الا وتغير عما كان عليه الا عمر وعبد الله ابن عمر رضى الله عنهما •

وعن ســعيد بن المسيب قال : لو شــهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشــهدت على ابن عمر وعنه أيضا : كان ابن عمر حين مات خير من بقى وعن طاوس ما رأيت رجلا أورع من ابن عمر بل قال عبد الله ابن مسعود : ان أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر •

رحم الله بن عمر علما من أعلام الاســلام فى السلم والحرب فى مواقف الجــد وفى مواقف الحزم وفى مواقف الورع ووفقنـــا الى الاقتداء به وأمثاله والســير على نهجهم الى يوم الدين •

دكتور الحسينى هاشم

لمحات من أسرار الحج

للأستاذ محمد صابر البرديسي

زيارة بيت الله الحرام بمكة من الشئون الدينية التى كانت معروفة من لدن أقدم العصور عند أكثر الأمم .

وكان العرب قبل الاسلام يحجون الى بيت الله الحرام ، يطوفون بالبيت عراة الاجساد ، مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون .

فلما جاء الاسلام أقر الحج ، ولكنه نقى أعماله مما شابها من ضلالات الوثنية ، ولم يدعها على ما كانت عليه فى عهد الجاهلية بل أنكر الاسلام هذه الضلالات قال تعالى : **(وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء (١) وتصدية (٢)(٣) »** .

والحج فى الاسلام يختلف كل الاختلاف عن الحج فى سائر الأديان ، فهو فى بقية الأديان : عبارة عن التبرك بقبور القديسيين، وما تركوه من آثار ومبان ، وتقديس وعبادة للأوثان .

أما فى الاسلام فهو تحطيم للأصنام ، وتقديس للواحد الديان ، مع سمو بالروح وسماحة ويسر فى كل الأعمال ، قال تعالى : **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج » (٤)** .

---

١ ــ المكاء = الصفير .
٢ ــ التصدية = التصفيق .
٣ ــ سورة الانفال آية ٣٥ .
٤ ــ سورة الحج ٧٨ .

فليس من الـدين أن يرهق الحاج نفسه ، بأن يتحمل فوق طاقته ويعرض نفسه للتهلكة ولو كان قصده المزيد من الأجر ، والرغبة فى الوفير من الثواب ، ولهذا جعل الله الحج للمستطيع **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (١) »** .

« روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ماشيا يتهادى بين ولدين له يريد الحج فسأل عن شأنه ، فقيل يارسول الله : انه نذر أن يزور البيت ماشيا ، فقال : كلا : ان الله غنى عن تعذيب هذا نفسه ، احملوه » أى على بعير .

سر عجيب يدفع المسلمين لزيارة الكعبة ، وأمر غريب يحفز الناس للذهاب الى مكة ، تهفو القلوب الى الأرض المقدسة ، وتنهمر عبرات لتلقى بالناس فى أحضان بيت الله الحرام .

سر عجيب أودعه الله فى أم القرى ، لقد خصها الله وحدها بخصائص لا تدرك الا بالروح ، ولا تتذوق الا بالوجدان يقول الرسول عليه الصلاة والسلام عن مكة : وقد امتلأ قلبه حبا لها : « والله انك لخير أرض وأحب أرض الى الله تعالى » .

ويقول : « ما أطيبك وأحبك الى »

قل لى بربك ، أى شىء فى هذه الجبال الصماء ، والرمال الصفراء شديدة الحر ، وشديدة البرد ؟ ليس فيها ما يقصده المتنزهون ، أو يطلبه المترفون .

ما الذى يدفع بهذه الملايين من المسلمين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم رفقا اليها ، رغم الصعوبات والعقبات والمشقات .

انها دعوة ابراهيم عليه السلام ، اذ قال فى ضراعة لمولاه : **(ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ،**

---

١ ـ بعض آية من سورة آل عمران ـ آية ٩٧ .

ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (١) •

وقال تعالى : « **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا** » •

دعا ابراهيم عليه السلام ربه لمكة بأن تكون مهوى الأفئدة تهوى اليها الناس ، لما يكمن فى جبالها وشعابها من الوحشة والقلق والخوف ، ودعا لأهلها بالرزق ، لأن الوادى كان مجدبا فاستجاب الله دعاءه ، وجعلها المتاع الروحى للمسلمين ؛ وأغدق عليها من الرزق بما لم يكن فى حسبان العالمين ، وجعلها ملاذا للخائفين ، وملجأ للمحتاجين ، لأن رب البيت ، هو الذى يحمى من يلتجىء اليه ويعوذ به ، « **أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم** » •

وأثر مكة فى نفوس الناس واضح ، فهى محل اجلال من جميع المسلمين وقد صانها الله من أن تراق فيها الدماء ، وجعلها حرما آمنا يحرم فيها القتال ، ليتفرغ المسلمون للعمل والانتاج ، ويعيش الناس فى أمن وطمأنينة وسعادة وسلام •

والحاج حين يخرج من بيته ومعه قليل من الزاد والعتاد يعينه على التقلب بين الوديان والجبال، والتنقل بين الصحراء والرمال ، ويمكنه من البقاء فى هذه البطحاء فان هذا يذكره بخروجه من الدنيا وانتقاله منها الى الدار الآخرة حيث لا ينفعه الا ما صحبه من العمل الصالح (**يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم**) •

قال الامام على «رضى الله عنه وكرم وجهه » :

(ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى اختبر الأولين من لدن آدم « صلوات الله عليه » الى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر

---

١ ـ سورة العنكبوت آية ٦٧ .

ولا تنفع ، ولا تسمع ولا تبصر ، فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياما ، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرا ، ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ، ومشاعره العظام ، بين جنات وأنهار لكان له ذلك ويكون قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء ، لأن الجزاء على قدر المشقة ، لأن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ، ويتعبدهم بأنواع المجاهد ، ويبتليهم بضروب المكاره ، اخراجا للتكبر من قلوبهم وليكون ذلك متمما لفضله ، وأسبابا لعفوه ومغفرته وفى الحج أمور ، لا يصل الانسان بعقله الى كنهها، والجزم بحكمتها ، لذلك كان الامتثال بشأنها ، أمر واجب ، ويكون أداؤها فى تواضع وخشوع لله رب العالمين منتهى العبودية لله .

لهذا وجب علينا أن نمتثل أمر الله فى كل أمر ظهرت حكمته ، أو لم تظهر ، وهذا مقياس لايمان المؤمن ، واختيار لمدى يقينه فى الله . فتقبيل الحجر الأسود سنة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أثر من عهد ابراهيم الخليل ، والمسلمون اذ يقبلون الحجر الأسود يعتقدون فى قرارة أفئدتهم أنه حجر لا يضر ولا ينفع ويقبلونه امتثالا لأمر رسول الله ، واقتداء بما فعله (صلى الله عليه وسلم) وأنه شعار لما خلفه ابراهيم عليه السلام ، ولا يقبل تقديسا لذاته وعبادة له ، لأن الاسلام يحرم الوثنية وينكر عبادة الأصنام والأحجار .

وهذا يبطل اتهام المغرضين بأن الاسلام قد احتفظ ببقايا أوثان الجاهلية .

وهذا هو عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حينما جاء الى الحجر الأسود وقبله قال : (انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقبلك ما قبلتك) .

على أن الكعبة والحجر الأسود هما الشيئان الوحيدان اللذان لم يتخذهما العرب فى الجاهلية ضمن

آلهة ، فكيف يقال ان الاسلام احتفظ ببقايا أوثان الجاهلية ؟

وقصد زيارة بيت الله ، قصد لزيارة الله ، فالبيت بيته ، وقد أضافه لنفسه حيث قال : .. « **وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود** » (١) .

فالمسلم اذ يستجيب لنداء الله لزيارة بيته « **ولله على الناس حج البيت ..** » فانه يرجو اكرام الله له لأنه فى بيته ، وعلى المسلم أن يكون أهلا لهذه الضيافة بالتوجه اليه والاقبال عليه والاخلاص له .

والصفا والمروة من شعائر الله، ولكن بعض المسلمين تحرجوا من السعى بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذين الجبلين فى الجاهلية ، وكان فوقهما صنمان هما (أساف ، ونائلة) فكره المسلمون أن يطوفوا كما كانوا يطوفون فى الجاهلية .

عن عاصم بن سليمان قال : سألت أنسا عن الصفا والمروة قال: « كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل الله عز وجل « **ان الصفا والمروة من شعائر الله** » فتحرج المسلمون كان ثمرة الايمان الصحيح فهذا الايمان جعلهم يتحرزون منكل أمر كانوا يزاولونه فى الجاهلية ، وأصبحت نفوسهم من الحساسية بحيث تفزع من كل ما كان فى الجاهلية ، وتخاف أن يكون منهيا عنه فى الاسلام .

لقدغير الاسلام نفوس المسلمين تغييرا كاملا ، فان الاسلام اذا دخل قلب مسلم هز مشاعره ، وسيطر على وجدانه فينسلخ المسلم عن ماضيه انسلاخا كاملا ، ويخلص قلبه للتصور الجديد بكل مايقتضيه ، فحين يكلف المسلم بعمل مما كان يفعله فى الجاهلية فلايفعله لانه كان يأتيه فى الجاهلية وانما يفعله على أنه شعيرة من شعائر الاسلام ، ومن هنا لايكون فى نفس المؤمن حرج فيما يقضيه،

---

١ ـ الحج من آية ٢٦ .

لأن الامر غير الامر ، والاتجاه غير الاتجاه . فالشعائر التى أقرها الاسلام نقاها من أوثان الجاهلية وأقرها بالتصور الاسلامى الجديد .

فالسعى شعيرة من شعائر ابراهيم عليه السلام علمها له الله، وهو ذكرى لحادثة تاريخية لما فعلته السيدة أم اسماعيل زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فانها أول من سعت بين الصفا والمروة بحثا عن ماء لتسقى به طفلها اسماعيل عليه السلام .

وقد احتفظ الجاهليون بهذه العبادة الا أنهم وضعوا على كل من الرابيتين (الصفا والمروة) صنما فلما جاء الاسلام حطم جميع الاصنام ، وأبقى السعى بين الصفا والمروة نقيا من شوائب الشرك والوثنية ، ومن الحكم التى تلمسها العلماء فى السعى أنها تبث النشاط فى الاجسام وهى أشبه بالتمارين الرياضية فى هذا الزمان.

والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لقوله عليه الصلاة والسلام (الحج عرفة) ، ومزايا هذا الوقوف لا تعد ولا تحصى ، فهو المؤتمر العام لجميع المسلمين فى أنحاء الدنيا من كل جنس ولون يقف الجميع فى صعيد واحد يدعون الله ويرجون رحمته ، وهذا الموقف تظهر فيه المساواة بين الناس .

وفى حكمة الوقوف بعرفة ، يقول الامام الغزالى : ان حال الواقفين بعرفات — ، وقد تبعوا أئمتهم فى أحكام المناسك — بحال الواقفين فى فسيح القيامة ، وقد تبعت كل أمة نبيها ، وكل يرجو النجاة ، فعلى كل حاج أن يضرع الى الله ، ويلجأ اليه فى المغفرة .

وفى عرفات تقف كثرة كثيرة من صالحى المؤمنين ، ولن يخيب الله رجاء السائلين فى هذا اليوم ، فقد ورد (ان من أعظم الذنوب أن يحضر الحاج عرفات ، ويظن أن الله لم يغفر له) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .

ان المسلمين حين يجتمعون فى

عرفات من كل جنس ولـون فى صورة مشرقة كريمة يجتمعـون للتعاون والتعـارف والاخـاء فى منطقة كلها أمان واطمئنان وراحة وسلام ، يتآلف المسـلمون ايمانا وعقيدة وعملا •

ان يوم وقوف عرفة يوم يباهى الله فيه ملائكته فينبغى للمسلمين أن يروا الله من أنفسهم خـيرا ، وأن يهينـوا عدوهم الشـيطان ويحزنوه بكثرة الذكـر والدعـاء وملازمة التوبة والاسـتغفار ، ويستمروا على ذلك حتى تغـرب الشمس من يوم عرفة ثم ينصرفوا الى مزدلفة بسكينة ووقار وينبغى الاكثار من التلبية ، والاسراع فى المتسع لفعل النبى (صلى الله عليه وسلم) •

والمأثور من الأدعية عشية يوم عرفة ، ماروى عن على كرم اللـه وجهه قال : قال رسول الله « صلى الله عليـه وسلم » : أكثر دعـاء الأنبياء قبلى ، ودعائى عشـية يوم عرفة (لا اله الا الله وحـده لا شريك له ، له الملك وله الحمـد يحيى ويميت ، وهـو عـلى شىء قدير) •

فعلى المسـلم فى هذه الظروف الخيرة الاكثار من العبـادة التى تهدى الى صراط الله ، ومن ساحة عرفة المباركة يكون الانطلاق الى رحمة الله ، والتعامل بالحسـنى ونشر مبادىء الاسلام •

والحقيقة أن المسلم منذ بداية رحلـة الحج قد أعلن ميثـاقه مع الله ، وأكد ما عزم عليه بقلبه من الاحرام بالحج ، ثم اعلانه بلسانه التلبية ، وهى تؤكد أنه اسـتجاب لأمر الله الذى أعلنه ابراهيم عليه السلام ، وأعلنه خـاتم الأنبيـاء محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فحين يلبى الحاج يعلن بقلبه ولسانه التوحيد لله لا شريك له شـاكرا لأنعمه ، حامدا اللـه مانح العطاء وصـاحب المـلك لا شريك له •

ومـن أكثـر من التلبيـة فى اخلاص ، وصلى على النبى (صلى الله عليه وسلم) وسـأل اللـه رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته

من سخطه ، فان الله يحقق له رجاءه ويستجيب دعاءه ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من لبى حتى تغرب الشمس (أى شمس يوم عرفه) فقد أمسى مغفورا له) ..

روى بن حيان فى صحيحه فى حديث طويل أقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الأنصارى فقال : (ان شئت أخبرتك عما جئت تسألنى) ، فقال : يانبى الله ، أخبرنى بما جئت أسألك ، قال : جئت تسألنى عن الحاج ، ماله حين خرج من بيته ؟ وماله حين يقول بعرفات ؟ وماله حين يرمى الجمرات ، وماله حين يحلق رأسه ؟ وماله حين يقضى آخر طواف بالبيت ؟ فقال : يانبى الله ، والذى بعثك بالحق ما أخطأت مما كان فى نفسى شيئا ،

قال : « فان الحاج حين يخرج من بيته ، ان راحلته لا تخطو خطوة الا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا وقف بعرفات ، فان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا فيقول ، انظروا الى عبادى شعثا غبرا ، اشهدوا أنى قد غفرت لهم ذنوبهم ، وان كانت عدد مطر السماء ، ورمل عالج ، واذا رمى الجمار لا يدرى أحد ماله ، حتى يتوفاه الله يوم القيامة ، واذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (١) .

ويستحب للحاج زيارة حرم المدينة المنورة (المسجد النبوى) فاذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فانه يأتى مسجد النبى « صلى الله عليه وسلم » ويصلى فيه ركعتين ، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ولا تشد الرحال الا اليه ، والى المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى .

عن ابن عمر أن النبى « صلى الله عليه وسلم » قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف

(١) رواه البزاز والطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له .

صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » (١) .

ويستحب صلاة ركعتين فى الروضة فى مسجده « عليه الصلاة والسلام » لأنها روضة من رياض الجنة ، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » (٢) .

اللهم وفقنا لزيارة بيتك ، ومسجد رسولك ومشاهدة قبر نبيك اللهم طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك ، واجعل حبنا لك ، موصولا بحب رسولك .

اللهم ان منهجك هو المنهج الحق ، وفيه صلاح الأمة وفلاحها فوفق أولى الأمر الى تطبيق منهجك والعمل بكتابك لتعيش الأمة فى طمأنينة وأمن وسلام ، والله الهادى الى سواء السبيل .

محمد صابر البرديسى

مدير المجلة

الى السادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصال بتوزيع الأخبار فى بلادهم .

١ ـ رواه مسلم .
٢ ـ رواه البخارى .

أخلاقيات البيع والشراء في الإسلام

للدكتور رءوف شلبي

ان : الأخلاقيات الاقتصادية فى نظر الاسلام هى غايتنا من هـذا البحث ليتعرف المسلمون عـلى أسلوب الحياة الاسـلامية التى يريدها القرآن الكـريم وذلك لأن الحياة فى أى مجتمع تقوم عـلى أساس تبادل المنافع بين النـاس فيه لأن القـاعدة التى تتبـع من ظاهرة التحرك اليومى للعلاقـات الانسانية فى المجتمـع هى : (أن الانسـان لايمكـن أن يعيش وحده) (١) .

— والتبادل للمنافع فى نظـر الاسلام لايمكن أن يخضع للمنفعة فقط من حيث هى منفعة ، لأنها قد ترتبط بالمعصية ومن ألوانها سلوك القائلين بأن الغاية تبرر الوسيلة .

— وقد ترتبط بالأنانية ، ومن ألوانها ايثار الذات على مصـلحة الجماعة ..

وقد تجر كثيرا من المفاسـد اذا كانت المنفعة هى الحيثيـة التى يتبادل الناس عـلى أساسـها مصالحهم فى علاقاتهم الاجتماعية، فتبتعد الانسانية بذلك كثيرا عـن مميزات كرامتها .

— ولذا تبادل المنافع فى نظـر الاسلام مرتبط طردا وعكسـا بالقانون الاسلامى الذى يعتبـر النية أساسـا فى تقبل الأعمـال

---

(١) — نرجو أن يرجع القارىء الى بحثنا عن (المشكلة الاقتصادية فى ضوء الاسلام الحنيف) فى الأعداد الخمسة السابقة عـلى هـذا العدد مـن مجلة الأزهر .

الصالحة عند الله ، والذى حدد ألوانا من التعامل كسلوك مرغوب فيه ، وحرم أشياء كممنوعات يعاقب كل من انتحاها فى سلوكه !؟

ـ القانون الاسلامى قانون سلوك ، لاقانون عقوبات ، فهو يرسم للفرد وللجماعة كل خطوة فى الحياة ويترك التنفيذ لوازع الدين فى نفس كل مسلم (اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) .

انه لايركن الى رهبة المجتمع من الحاكم ، انما يركن الى حب الله ورسوله ، وجماعة المؤمنين .

(لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) رواه البخارى .

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) رواه البخارى

ـ **(انما المؤمنون اخوة)** الحجرات .

ـ **أما القانون الوضعى** : فهو صورة ارهاب ، لأنه لايتحدث الا عن المخالفات ، ولا يضع فى اعتباره أنه سلوك ولا توبة فيه ، ولا عفو عنده للجاهل !؟

ـ ولهذا :فان القانون الاسلامى يعتبر الاخلاق عنصرا أساسيا عند التشريع :

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (١) .

(ادرءوا الحدود بالشبهات) (٢) .

ـ أما القانون الوضعى:فانه يأخذ بالشبهة وأكثر مايدعيه أنه لحماية الاخلاق ولكن الذى سنه فى هذا الصدد هو عقوبات للمتحرفين .



ـ واذا سلطنا الضوء على الجانب التجارى : البيع ، والشراء .. وجدنا أن القانون الاسلامى يحدد عدة قضايا ، منها :

الأولى : السعى الى طلب الرزق:

ـ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باكروا

---

(١) رواه الحاكم ، والبيهقى فى شعب الايمان ، والبخارى فى الأدب حديث حسن .

(٢) ـ رواه ابن عدى فى الكامل .

طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح » (١) •

ويقـــــول :

« اذا صليتم الصبح فلا تناموا عـــن طلب أرزاقكم ، فـــان نـــوم الصبح يمنع الرزق » (٢) •

ــ وقد اتخذت هذه القاعدة الى التنفيذ أجل طـــريق فيمـــا يرويه سيدنا أنس رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخـــل على فاطمة رضى الله عنها بعـــد صلاة الصبح فوجدها مضطجعة ، فحركها ، ثم قال : يابنية قـــومى فاشهدى رزق ربك ولا تكونى مـــن الغافلين ، فان الله يقســم أرزاق الناس مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس » •

ــ ويوجهنا النبى صلى الـــلـــه عليه وسلم الى هذا فى دعائه لنـــا : «اللهم بارك لأمتى فى البكور»(٣)•

الثـــانية : أن التجـــارة خـــدمة اجتماعية للمجتمع الاســـلامى ، وليست وظيفة مالية مهمتها انمـــاء الثروة الاقتصـــادية فحسب •

يقول الله تعـــالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكـــم بالباطل الا أن تكون تجارة عـــن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما** » (النساء)

ــ فليست التجـــارة فى نظـــر الاسلام وظيفة ماليـــة بالدرجـــة الاولى ، وانما هى خدمة اجتماعية لمصالح المجتمع الاسلامى بالدرجة الأولى والأولية •

ــ وعلى هـــذا تنبنى عـــدة أخلاقيات :

الأولى : أنه لاغش :

ــ يقول النبى صلى الله عليـــه وسلم «من غشنا فليس منا» (٤) •

ويقول : « من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع فى النار » (٥) •

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن عدى فى الكامل •
(٢) رواه الطبرانى •
(٣) رواه أحمد ، وابن حبان ، وأصحاب السنن •
(٤) رواه الترمذى •
(٥) الطبرانى ، وأبو نعيم فى الحلية •

ويرسم النبى صلى الله عليه وسلم صورة نفسية للتاجر الغاش فيقول : « من باع شيئا فيه عيب لم يبينه لم يزل فى مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه » (١) .

ـ فأى مغامر هذا الذى عنده من الجرأة ما يجابه رب العزة ، مقسم الأرزاق ، ومالك الملك ؟

ـ ومن ذا الذى يستطيع أن يتحمل مقت الله ويطيق لعنة الملائكة ؟

تلك صورة النفس التى يتاجر صاحبها فى غضب الله على المسلمين بالغش والخديعة . والنبى صلى الله عليه وسلم يعظ معاشر التجار فيقول : « التجار يبعثون يوم القيامة فجارا ، الا من اتقى وبر وصدق » .

فيرسم النبى صلى الله عليه وسلم بطريق هز المشاعر فيهم ، وبعث حرصهم على مستقبلهم يوم القيامة ، أمثل الطرق التى تؤدى بها التجارة وظيفتها كخدمة اجتماعية للمجتمع المسلم .

ـ ويحدد النبى صلى الله عليه وسلم أسلوب التعامل فى البيع ، والاعلان فيقول : « ان صدق البيعان ، وبينا ، بورك لهما فى بيعهما وان كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحا ما ، ويمحق بركة بيعهما » .

ـ وقدم النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يبيع طعاما فأدخل يده فيه فاذا هو مبلول ، فقال : « من غشنا فليس منا » (٢) .

وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يتعوذ من التاجر فيقول : « اللهم لاتطمع فينا تاجرا ، فان التاجر يحب الغلاء » .

الثانية : أنه لا احتكار ..

ـ يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يحتكر الا خاطىء » .

ويقول : من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجذام والافلاس (٣) .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) ابن ماجه ، حديث حسن .

(٣) أحمد ، وابن ماجه ، ورواه بلفظ آخر الحاكم ، وأحمد بن حنبل ، حديث حسن .

ــ ويقول : « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان على الله أن يقعده بمعظم من النار » .

الثالثة : أنه لا حلف .. من أجل ترويج السلعة .

ــ يقول النبى صلى الله عليه وسلم « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة » (١) .

ولم تبلغ التجارة فى مجتمعنا الاسلامى المعاصر مستواها المعهود اليوم الا لأنها تخلصت من ربقة النظام الاسلامى وتجافت مع أخلاقياته :

ــ أنه لا غش .

ــ أنه لا احتكار .

ــ أنه لا حلف .

ــ ومن جليل ما يشرعه الاسلام .. كسلوك أخلاقى بين البائع والمشترى :

١ ــ السماح : يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« رحم الله عبدا سمحا ، اذا باع واذا اشترى ، واذا اقتضى » (٢) .

ويرسم النبى صلى الله عليه وسلم صورة رائعة للمتسامحين المتساهلين فى تبادل منافعهم بالبيع والشراء فيقول :

« ألا أخبركم بمن حرم على النار وتحرم عليه النار ؟ كل قريب هين ، سهل اذا باع ، سهل اذا اشترى ، سهل اذا اقتضى ، يقول الله تعالى يوم القيامة له : أنا أحق بذلك منك ، سامحوا عبدى ، وتجاوزوا عنه كما كان يسامح فى دار الدنيا » .

٢ ــ الوزن بالقسط : يقول الله تعالى « **وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان** » .

ــ وقد هدد الله المطففين فى الكيل .

ــ « ويل للمطففين : الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا

---

(١) ــ رواه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائى .

(٢) ــ البخارى ، وابن ماجه .

كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم » سورة المطففين .

٣ ـ تحريم الربا : يقول الله تعالى :

ـ « **يمحق الله الربا ويربى الصدقات** » سورة البقرة .

ويقول : « **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله .. وذروا مابقى من الربا** » سورة البقرة .

ـ ان الربا يصور جريمة بشعة فى نظر الأخلاق التى يحرص الاسلام على نقائها وتنقيتها ، ولهذا فالربا هو الذنب الوحيد الذى لم يقترن بالتوبة مثل سائر الذنوب ، بل على العكس ، فقد اقترن الربا بالتهديد والوعيد بالحرب من الله ورسوله « **فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** » سورة البقرة .

ولهذه العلة ـ ذاتها ـ وضعت آية تحريم الربا فى سورة آل عمران وسط مجموعة الآيات العسكرية التى تصور معركتى بدر وأحد ، ايذاناً بأن الربا خلقية انحرافية لايشفى منها المجتمع الا بمثل هذا الأسلوب .

أسلوب الحرب الذى توسطته آية « **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة** » .

وأسلوب الحرب الذى توعد الله به آكل الربا « **فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** » سورة البقرة .

ـ ان التجارة وظيفة اجتماعية من ثلاث نواح :

الأولى : أنها خدمة المجتمع فى تيسير الحاجات ، وقضاء المصالح ، وتسهيل تبادل المنافع بين الناس .

الثانية : أنها نبض للدورة الاقتصادية ، ولذلك حارب الاسلام كنز المال ، لأنه معطل لها يقول الله تعالى :

« **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ماكنتم تكنزون** » (التوبة) .

الثالثة : **أنها** رفد للزكاة يخرج منها قدر محدود بالقانون الاسلامى

لتحقيق جانب من الرعاية الاجتماعية التى ينفذها المجتمع الاسلامى •• حسبة ، وعبادة ، ورعاية لحقوق الله واخوانه المسلمين فى المجتمع •

هذه النواحى الثلاث ، مضاف اليها جانب الفرد نفسه (جانب التاجر) غانها تدر عليه ربحا — وهو حلال اذا استعمل المنهج الاسلامى وأخلاقياته فى البيع والشراء — فتكفيه مؤنة العيش ، وتدفع عنه مذلة الحاجة ، بل انها تقوية على أداء حقوق أسرته ••

— وقد شرف الله تعالى التجارة فكانت عمل ثلة من الأنبياء الاكرمين •• ومشهور أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتاجر للسيدة خديجة أم المؤمنين الأولى رضى الله تعالى عنها ، وقد كان الربح الذى در عليه من عند الله •• واحد من ارهاصات النبوة ، كما هو محفوظ فى كتب التاريخ والسيرة ؟

— ولهذا فان التشريع التجارى فى الاسلام — بالاضافة الى أنه وحى من عند الله — فقد صدر عن أخصائى كبير ، وخبير أمين مارس التجارة ، وخبر مدارك التجارة ، وعرف سيكلوجية المشترى !؟

وقد ذخر التشريع الاسلامى بعدة قضايا •• هى حصيلة خبرة زائدة ، وقمة تشريع معصوم •

الأولى : أحل الله البيع وحرم الربا •

الثانية : لا محاقلة — بيع الزرع فى سنبله —

الثالثة : لا مخاضرة — بيع الثمار والحبوب قبل أن ضم صلاحها •

الرابعة : لا ملامسة — أن يقول البائع للمشترى : اذا لمست الشىء فقد اشتريته دون خيار —

الخامسة : لا منابذة — جعل طرح الشىء ونبذه •• بيعا —

السادسة : لا مزابنة — بيع الرطب بالتمر ، وبيع العنب بالزبيب •

السابعة : لاتتلقوا الركبان : وهو عبارة عن : مقاطعة طريق التجار قبل التعرف على سعر السوق •

الثامنة : لا يبيع حاضر لباد (لا سمسرة) •

التاسعة : لا يبيع الرجل على بيع أخيه !؟

***

تلك هى موازين البيـع والشراء كسلوك سوى فى العمل التجـارى انحلال .

وهى تتضمن :

الحفاظ : على تبادل المنافع التى يحتاج اليها المجتمع على مسـتوى فاضل يحقق الأخلاق الفاضلة وهى فى أدق مفهومها عند المسلم أنهـا عبادة لله بامتثال هذا القانون .

والحفاظ .. على استمرار الدورة الاقتصادية دون شره أو طمع أو غش ، ودون تضخم فى الميـزان التجارى ، ودون ارهاق بأسلوب العرض والطلب للقوة الشرائية .

والحفاظ .. عـلى جانب من حصـيلة الرعاية الاجتماعيـة ـ الزكاة التى يقدمها المجتمع عن طيب خاطر وقـاية للضـعفاء وابتغـاء مرضاة الله .

***

ـ فهل هناك بعد هذا من تشريع؟؟

ـ فمن أصدق من الله حديثا ؟؟

ـ فهل يفيق المسلمون ؟؟

ومتى ؟ ؟

ـ لعلهم يستيقظون ـ ان شـاء اللـه .

دكتـور

رعوف شلبى

« الاسـلام »

الاسـلام دين ودولة عقيدة وشريعة خلق وسلوك ، قانون وتشريع ، مصحف وجهاد ، ثقافة وحضـارة ، وفى ايجاز منهاج كامل للحياة فى كل ناحية من نواحيها .

« صالح عشماوى »

المهدى والخومينى فى نظر الإسلام

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

بعث الأستاذ أحمد زكى موسى هيكل عضو نقابة التجاريين ، وصاحب مكتب الغربية للحسابات والضرائب – بعث – برسالة الى فضيلة الأستاذ محمد صابر البرديسى مدير مجلة الأزهر ، يطلب فيها رأى الدين فى المهدى والخومينى اللذين اختلف الناس فى شأنهما ، فأطلعنى عليها وطلب الى أن أجيب عن أسئلة صاحبها فى مجلة الأزهر ، ليشترك مع السائل غيره من القراء فى معرفة الحق فى أمر المهدى والخومينى ، حسما لموضوع اختلف فيه الكاتبون والقارئون •

وقد رأيت أن أعرض فقرات من رسالة السائل ، ليتعرف القراء على أفكاره وأسلوبه فى فهم الاسلام وفى كتب الأولين ، وفيمن يخالف رأيه فى الأمرين جميعا ، وفى مشروع الدين الجديد الذى يعرضه فى رسالته ، وبعد الانتهاء من عرض كل فقرة نبين وجه الحق فيها ، حتى يكون الحكم عليها جليا لا خفاء فيه ، واضحا لا لبس فيه ، عادلا لا حيف فيه ، ولكى يستقيم فكر المؤمن على الجادة الرشيدة ، وهو مطمئن الى الغاية الآمنة فى دينه وسلوكه ، ونسأل الله التوفيق فيما أردناه وهدفنا اليه •

يقول صاحب الرسالة :

١ – بعد التحية أقرأ مجلة الأزهر برغم أننى لست من رجال الدين ولا من المتزمتين فى القراءات فأنا شخصيا لا أحب

كتب المتزمتين (وما يسمى بالكتب الصفراء) هكذا قال صاحب الرسالة .

ونقول ردا على ذلك ما يلى :

ان مجلة الأزهر ليست قاصرة على رجال الدين ، ولا حكرا على ما تسميهم أنت بالمتزمتين الذين يقرءون الكتب الصفراء — غفر الله لك — فهى لكل قارىء على أية درجة كانت ثقافته ، لأنها لسان الحق ، وبيان الصدق ، وسبيل الرشاد ، ولم تكتب بأسلوب يصعب فهمه على القارىء ، بل كتبت بأسلوب سهل مشوق ، يقرب البعيد ، ويسهل الصعب ، ويكشف الضباب عن وجه الحق .

ولقد أخطأ الكاتب فى التنفير من كتب الأولين ، بوصفها بالكتب الصفراء ، وبأنها كتب المتزمتين ، فلولا هذه الكتب الجليلة ، لكان الناس فى ظلام دامس ، وجهل طامس ، وبعد سحيق عن الهدى والرشاد ، فعنها أخذ المسلمون دينهم وعلومهم ، ولا توجد مكتبة عامة فى العالم الغربى خالية منها — أصلا أو تصويرا .

وكما انتفع المسلمون بعلوم تلك الكتب ومعارفها ، انتفع بها الغربيون فى شتى العلوم والفنون ، فقد ترجموها الى لغاتهم بعد أن عرفوا فضلها ، وتتلمذوا عليها فى جميع الثقافات ، ولهذا لا ينكرون فضلها وفضل مؤلفيها الذى جحده صاحب هذه الرسالة حيث سماها الكتب الصفراء ، وسمى قارئيها بالمتزمتين .

ويقول صاحب الرسالة فى شأن المهدى .

٢ — (هناك موضوع يثور فيه الجدل هذه الأيام وهو موضوع المهدى المنتظر ، هذا الموضوع اختلفت الآراء فيه ما بين مؤيد وغير مؤيد ، وبصراحة تامة . أنا أشك فيمن لا يؤيدون هذا الموضوع ، لأسباب أهمها كراهتهم للامام الخومينى ، وثانيا لأن مجىء المهدى معناه انتهاء عصر الضلال وعصر المسيخ الدجال ،

وسوف يقام الحساب لكل انسان على ما قـدمت يداه) وردا على قوله هذا نقول :

لماذا تشك فيمن لا يؤيد مجيئه وتتهمه بالضلال وهو يقيم الحجة على ما يرى ، أليست المسـألة مسألة رأى تقام الحجة عليه ، أم هى نزعة تعصب لا شـأن لها بالدليل ، لماذا لا تحترم رأى من يخالف رأيك ؟ ـ وان كان مخطئا فى نظرك ـ أليست مسألة المهدى من مسـائل الفروع التى لا تزال تجرى الدراسـة لها ، والخلاف بشأنها قديم ؟ أمـا رفعهـا الى مسـتوى العقائد المقطـوع بها فناشىء عن هبوط المستوى العلمى عند رافعيها ، انها مروية بأحاديث آحادية متكلم فى شأن صحتها ـ كما سـنبينه بعد ـ فلا تتعجـل بالشـك فى غيرك ورميه بمختلف الاتهامات ، فأنت مسئول عن سوء ظنك فى أخيك المسـلم ، ألم تقرأ قوله تعـالى « **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم** » .

وكيف تجعل كراهـة البـاحث للخومينى سببا فى التشـكيك فى موضـوع المهدى المنتظر ، فهـل الخومينى أهم عنـد الباحث من موضوع المهدى المنتظر ؟ كلا . فان العكس هو الصحيح ، عـلى أن الجدل فى شأن المهـدى أقدم من الخومينى بقرون عديدة ، فلا وجه لتسببه فيه ، ولكنـه فى الحقيقة سبب فى اظهاره والتنبيه اليه ، بما أقدم عليـه من تصريحات خطيرة رفعت المهدى الى مرتبـة فـوق مرتبة خاتم المرسلين ، وهو ما لا يقول به مسلم .

البوذية والمسيحية والمهدية

٣ ـ ذكر صاحب الرسـالة الكـلام الخطـير الآتى (وقـد اهتممت بهذا الموضوع من سـنة ١٩٦٢ ، وقرأت عنـه الكثـير ، فوجدت أنه مشار اليه فى التعاليم البوذية والزرادشتية ، واليهودية والمسيحية والاسلام ، لم يختلف أحد منهم فى انتظار ظهور المسيح أوالمنقذ أو المخلص) .

ونحن نقول لصاحب الرسالة :

انك بهذا الكلام فتحت على نفسك وعلى من يقطعون بظهور المهدى آخر الزمـان ــ فتحت عليكم جميعا ــ بابا واسعا من الشك فى أن المهدية ليست أصـيلة فى الاسلام ، بل وصـلت اليـه من التعاليم البوذية والزرادشـتية فى الهنـد ، مارة فى سبيلها اليـه باليهودية والمسيحية ، ومن قبـل قالوا فى بوذا انه هو الابن الوحيد لله ــ تعالى الله عن ذلك ــ وان هذا الابن الوحيـد ولد للـه من العذراء (مايا) بغير مضـاجعة ، وانه تجسد فى ناسوته ، وقد جعل نفسه ضحية لقاتليه تكفيرا لذنوب البشر ، وانه لذلك سمى المسـيح والمخلص والابن ، ثم قالوا : ان المسـيحية ــ نقلت عنهـم ذلك بقولها ان الابن يسوع هو الكلمة تجسدت فى ناسوته ، بسبب التقاء روح القدس بمريم العذراء وانه أسلم نفسـه لصـالبيه وقاتليه ، تكفيرا لخطيئة آدم وذريته ، لذلك سمى المسيح والمخلص وابن الله ، فهل يرضيك فى المهدية أن تكـون فى الاسـلام نابعة من البـوذية والزرادشتيه كما أدى اليه كلامك، وكما قال اليهـود والمسـيحون فى مسيا (المخلص) تأثرا بما جاء عنه فى البوذية والزرادشـتية ــ حسبما أشار اليه بعض الباحثين الغربيين ؟ .

ومن عجب : أنك فى عبـارتك خلطت (المخلص) عنـد البوذية والزرداشتية واليهودية والمسيحية وبـين المخلص فى الاسـلام ، فالمخلص عند الطوائف الأربعـة الأولى يقال له المسيح ومسـيا ، والمخلص فى الاسـلام يقال له المهدى المنتظر عند من يقولون به، ولا يسمونه المسيح ولا مسـيا ، لكنك يا صاحب الرسـالة لم تفطن الى ذلك .

الكتاب المحايدون فى مجلة الأزهر

٤ ــ ثم يقول صاحب الرسالة (وطبعا مجلة الأزهر بها الامكانات الكثيرة والكتـاب المحتـرمون المحايدون ، الذين لا يخشـون الا وجـه الحـق ، فنرجـوا أن يكتب أحد السـادة المحايدين المثقفين ــ دينيا ودنيويا ــ بحثـا

فى هذا الموضوع ، حتى نستريح ونعرف الحقيقة ، فالناس فى حيرة من أمرهم فهم ما بين مصدق ومكذب) .

وتعليقا على هذا الكلام نقول لصاحب الرسالة : انك اتجهت بكلامك هذا الى الطريق السليم ، وهو اللجوء الى مجلة عرف الكاتبون فيها بأمانتهم العلمية ، ليكشف أحدهم النقاب عن موضوع المهدى لتعرف الحقيقة فى شأنه وتزول حيرة الناس فيه ، وهذا ما سنعرض له بعد فراغنا من مناقشة باقى هذه الرسالة .

الخومينى مرة أخرى

٥ ـ ويقول صاحب الرسالة

عقب ما تقدم (نعود الى موضوع الخومينى ـ هل هو خارج عن الاسلام والملة ، أبدا : انه رجل يشنق السفاحين ، وتجار المخدرات والخمور ، والعواهر وناهبى الأموال ، فهل الاسلام يمنع هذا ؟ انه ينفذ شريعة الله فى الأرض ، فما هو الضرر فى هذا ، ولماذا يتحاملون عليه ويشتمونه ؟) .

وردنا على هذا أن العالم الاسلامى كان فرحا مغتبطا بنجاح ثورته ، ولكنه سلك بها طريقا وعرا ، يخشى عليه وعلى العالم الاسلامى من سلوكه فيه ، فانه أمعن القتل فى الناس مسيئهم ومحسنهم : بمجرد الاشتباه أو الوشاية ، أو الانتماء الى جيش الشاه أو خاصة الشاة (أو فرقة السافاك) .

ولقد سأل بعض الصحفيين رئيس محكمة الثورة عنده ، هل كل من حكمتم عليهم بالاعدام يستحقونه ، أفلا يوجد بينهم برآء ؟ فاعترف بأنه كان منهم برآء ، وأنهم سيدفعون لأسرهم تعويضات عن قتلهم ، فهل هذه التعويضات تعفيهم من عقاب الله تعالى ؟ .

لقد كان على الخومينى ورجاله أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى العفو عن المسىء ، توحيدا لصفوف الأمة الايرانية ، ومنعا لتغلغل الأحقاد فيها بسبب البطش الغاشم الذى لا يفرق بين

محسن ومسىء ، ألم يبطش أهل مكة بالمسلمين منهم ، ويحملوهم على الهجرة من ديارهم الى الحبشة مرتين ، ثم الى المدينة المنورة ؟ فلما فتح الرسول مكة عفا عنهم وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء : فآمنوا جميعا ودخلوا هم وغيرهم فى دين الله أفواجا ، بسبب تلك السماحة التى رأوها فى الاسلام ورسوله ، فماذا على الخومينى لو تأسى بالرسول فى العفو عن المسىء من أتباع الشاة ، فانهم كانوا مجبورين على ما فعلوا ، منفذين لما أمروا به ؟ .

أفلا يخشى هؤلاء الذين يدعون آيات الله ، أن يفعل بهم غدا ما فعلوه بغيرهم ، فيتهموا بالقتل وسفك الدماء ، وتفريق شمل الأمة وزرع الأحقاد فيها ، وغير ذلك مما قد يكون خفيا على الناس ، وعندئذ لا يكون هناك أحد يدعى آية الله ، من الخومينى الى قلقلى وخلخلى ندلى وحلنجلى ، بل يكونون يومئذ آيات الشيطان الرجيم ؟ .

وما معنى أن ينتقل أمر الدولة الى طلبة العلم ، حتى يصل أمرهم الى حبس خمسين من السفارة الأمريكية ، ولا يستطيع رئيس الدولة ولا وزراؤها أن يطلقوا سراحهم ، وأن يعيدوا الطلبة الى معاهدهم وكلياتهم التى هى أولى بهم من الاشتغال بما هو حق لغيرهم ؟ ألم ير هؤلاء الغافلون أن حبسهم لهؤلاء (الدبلوماسيين) ترتب عليه امعان الشيوعيين فى الدسائس ، وتوسيعهم الشقة بين الايرانيين والأمريكيين ، وشغل الطرفين بعضهما ببعض ، ليستطيع البلاشقة أن يضربوا ضربتهم القاضية فى أفغانستان ، ليكونوا على مشارف الخليج العربى ، ليستولوا على بتروله ودويلاته ؟ .

فماذا كسبت ايران بهذا التصرف الأحمق من طلابها سوى زرع المتاعب للعالم الاسلامى ، واحتلال بعض دولة وتهديد بعض آخر منها ؟ .

وماذا على الخومينى لو رتب بيته ونظم أمته ، وسالم الدول الكبرى التى لا قبل له بها ، ولا يستطيع الصمود لكيدها ومختلف

الفتن التى برعت فيها أجهزتها ؟ .

وماذا عليه لو سالم كل العالم ، ومضى قدما لتثبيت دعائم الثورة داخليا ، بتوفير الأمن والأمان والرخاء داخليا ، وحسم المشكلات بحكمة ، وأهمها مشكلة الأكراد وعربستان الذين يطالبون بالاستقلال ، فليشركهم فى حكم البلاد ، وليخالف بذلك ما كان عليه حكام ايران السابقون ، من الاساءة اليهم وعدم الاهتمام بهم ؟ .

ونحن فى هذا المقال لا نريد التوسع فى اثارة المسائل المتعلقة بالعقيدة عندهم ، ولكننا نكتفى بأن نذكر لكاتب الرسالة والقراء ، أنهم يكفرون الصحابة لايثارهم أبا بكر ثم عمر بالبيعة بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أن عليا فى نظرهم كان أولى بالخلافة منهما ، ولهذا فهم يكفرونهما ومن بايعهما ولا يوجد من الشيعة فى ميزان الاعتدال سوى قليل منهم كالزيدية .

ومع اجلال كل مسلم لعلى كرم الله وجهه فى دينه وجهاده ونسبه، فان احترام رأى الأغلبية الساحقة حق على كل مسلم ، حفاظا على وحدة المسلمين ، ولولا أبو بكر لضاع الاسلام فى غمار الثورة الهمجية التى أحدثها المستجدون فى الاسلام بالارتداد ومنع الزكاة، فلقد وقف وقفته الخالدة ضدهم وسحقهم بجيوشه ، ثم قام من بعده عمر بتوسيع رقعة الاسلام ، حيث قضى على دولة الفرس ، وضم بلادهم الى بلاده ، ونشر الاسلام بينهم ، ولولاه لما نشأ الخومينى وجيله والأجيال التى قبله والتى بعده على الاسلام ، فلماذا يكرهونه ويكفرون جميع المسلمين سواهم ؟ ولهذا لا يصلون خلف أئمتهم من أهل السنة ، ويرون أنها لا تصح ، ولعل القراء يعرفون أن الذى صلى على شاه ايران عالم شيعى ، ولو كان سواه لكان حدثا كبيرا هائلا عندهم .

ثم ماذا فعل العلويون لعلى كرم الله وجهه بعد بيعته بالخلافة فى بغداد ؟ لقد خذلوه حتى قتل ، وخذلوا بعده الامام الحسين — رضى الله عنه — حتى قتل ، وكل

الذى يصنعونه تكفيرا للتخلى عنه، هو تلك المناحات التى يقيمونها سنويا فى ذكرى مقتله فى عاشوراء، أليسوا هم الذين فوتوا عليه وعلى ذريته الخلافة بتراخيهم فى نصرته ، فماذا تجديه تلك المناحات من بعده ؟ .

المهدى والمسيح فى القرآن

٦ ــ يقول صاحب الرسالة (فى القرآن ما يشير صراحة الى المهدى فى سورة الزخرف ، ونص الآية « **وانه لعلم للساعة فلاتمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم** » وفى الحديث عن سيد البشر (**وانه ليوشك أن ينزل فيكم المسيح بن مريم فيكسر الصليب ويقتل المسيخ ويفرض الجزية** (١) ــ **كذا قال ــ ويفيض المال عن حاجة الناس فلا يقبلونه**) .

وردنا على هذا أنه واضح من كلامه أنه لا يفرق بين المسيح والمهدى ، مع أنهما شخصيتان مستقلتان ، لكل منهما دوره فى زمنه عند من يقول بمجىء المهدى، فأما قوله تعالى « **وانه لعلم للساعة** » فقد اختلفوا فى المراد من الضمير فيه ، فقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انه القرآن الكريم ، فانه يدل على قرب الساعة ، وبه تعلم أهوالها وأحوالها .

وقال ابن عباس وغيره : انه المسيح عيسى بن مريم ، ففى حديث مسلم وابن ماجة عن أبى هريرة : (لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية) أى يبطلها . ثم قال (وليدعون الى المال فلا يقبله أحد) .

ومن العلماء من أرجع الضمير فى (وانه لعلم للساعة) الى النبى صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله (**بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى**) أخرجه

---

(١) والصواب : ويقتل المسيح ويضع الجزية ــ أى يرفعها كما سيجىء فى النص الصحيح .

البخارى ومسلم ، وقال الحسن : أول أشراطها محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا يعلم أنه لم يرجع الضمير أحد الى المهدى سواك يا أستاذ أحمد موسى ياصاحب الرسالة .

رجل لا يعرف خطورة ما يقول

٧ ــ وأخيرا يقول صاحب الرسالة (اننى أعتقد أن كل من يكتبون ضد فكرة المهدى هم كفرة مأجورون ، فهم يكذبون القرآن الكريم ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ان العالم كله فى انتظار المهدى أو المسيح) وقد ورط الكاتب نفسه ورطة لا خلاص له منها ، حيث زعم أن من أنكر ظهور المهدى فهو كافر مأجور ، وأنه يكذب القرآن والحديث ، فى حين أنه لا يحل تكفير مسلم الا بانكاره أمرا معلوما من الدين بالضرورة ومجمعا عليه ، والمهدى ليس من هذا القبيل ، فأحاديثه موضوع خلاف كما سنبينه ، أما قوله تعالى (**وانه لعلم للساعة**) فلم يفسره أحد بالمهدى كما زعم الكاتب ، وقد بينا فيما تقدم أنه القرآن أو المسيح أو محمد عليهما السلام .

أما حديث المسيح (لينزلن عيسى بن مريم) فواضح من لفظه أنه ليس فى المهدى الذى جاء فى رواياته أنه من أهل البيت وليس من بنى اسرائيل ، فان المسيح من بنى اسرائيل .

الدين الجديد
تصريح خطير للكاتب

٨ ــ ان صاحب الرسالة الأستاذ أحمد موسى هيكل بحاجة الى الرثاء والدعاء له باللطف والهدى ، فانه لم يكتف بتكفير غيره ، بل زعم أن المهدى صاحب دين جديد ، فقد جاء فى الصفحة السادسة من رسالته ما يلى ــ عقب مزاعمه فى المهدى فى الصفحة التى قبلها .

مبادىء الدين الجديد :

١ ــ براءة اليهود من دم

المسيح ، وكسر الصليب وقتل المسيخ .

٢ ـ تطهير الأرض من الأنجاس والخونة والمرتشين والمستغلين .

٣ ـ توحيد الأديان البوذية واليهودية والمسيحية فى دين الاسلام .

٤ ـ اعادة اللاجئين الى فلسطين .

٥ ـ اقامة الحكومة العالمية .

ـ هكذا قال المسكين لطف الله به . وردنا على هذا المسكين ، أن دين الاسلام خالد وباق الى قيام الساعة ، وليس هناك دين جديد يحل محله وأن عيسى حين ينزل يعمل بدين الاسلام ، ويأتم بامام من المسلمين ، ويبرىء أمه من فرية اليهود عليها ويبرىء نفسه من القتل والصلب اللذين زعمتهما اليهودية والمسيحية ، وينصر دين الاسلام ويحمل الناس عليه ، قال تعالى فى حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »** وقال صلى الله عليه وسلم « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة » فتبين بالآية الكريمة **أن لا نبى بعد محمد صلى** الله عليه وسلم ، وتبين بالحديث الشريف أن أمته باقية بدينها مستقيمة عليه حتى تقوم الساعة ، تلك هى عقيدة المسلمين وسبيلهم الى ربهم « **ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** » .

ماجاء فى المهدى من الأحاديث وبيان حاله

أمسك البخارى ومسلم عن ايراد شىء من أحاديث المهدى فى صحيحيهما ، لأنها ليست على شروطهما ، ولكن غيرهما من كتب السنة أوردتها ، ولم يسلم أى حديث منها من نقد بعض رجاله بما ينقله من الصحة الى الضعف فى متنه تبعا للضعف الذى أصاب سند بتوهين بعض رواته . فان القاعدة : أن الضعف اذا مس السند ، أصاب المتن ، لأنه لم يثبت الا به .

وقبل ذكر شيء من أحاديثه نذكر خلاصة ما جاء فيها بصفة عامة ، ليعرف القارىء موضوعه مجملا ، قبل ذكرها وبيان حالها ، فنقول وبالله التوفيق .

أفادت تلك الأحاديث فى مجملها أنه سيظهر فى آخر الزمان رجل من أهل البيت يؤيد الاسلام ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الاسلامية ، وبعد ظهوره يخرج المسيح الدجال وما بعده من أشراط الساعة المضيقة ، وأن عيسى عليه السلام ينزل بعده، فيقتل الدجال ، وفى بعض الروايات أنه ينزل فى عهد المهدى فيساعده فى قتله ، ويأتم عيسى بالمهدى فى صلاته — تلك هى خلاصة قصته فى مختلف الأحاديث .

وقد جاءت أحاديثه فى الترمذى وأبى داود وابن ماجه والحاكم وغيرهم عن جماعة من الصحابة ، منهم على وابن عباس وابن عمرو وجابر وغيرهم .

ولم يسلم حديث من أحاديثه من اعتراض وتوهين لبعض رواته فى أثناء السند ، ومن أغربها اسنادا ما ذكره أبو بكر الاسكاف فى فوائد الأخبار مسندا الى مالك ابن أنس عن محمد بن المنذر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب بالمهدى فقد كفر .. الخ . » قال ابن خلدون تعليقا على الحديث : حسبك هذا غلوا — ثم قال — على أن أبا بكر الاسكاف متهم وضاع عند أهل الحديث — يعنى أنه لا يعول على حديثه ولا يعمل به ، لأنه كذاب كثير الوضع للأحاديث .

وعند الترمذى وأبى داود بسنديهما الى ابن عباس وابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« لو لم يبق من الدنيا الا يوم تطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى — أو من أهل بيتى — يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى » هذا لفظ أبى داود وسكت عليه . أما لفظ الترمذى فهو (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى)

ويقول محمد بن سعد فى عاصم

أحد رواته : كان ثقة ، الا أنه كان كثير الخطأ فى حديثه ، وقال فيه يعقوب بن سفيان : فى حديثه اضطراب ، وقال فيه العقيلى كان سيىء الحفظ ، وقال العجلى فى شأن عاصم هذا : كان يختلف عليه فى أبى ذر وأبى وائل ، يشير بذلك الى ضعف روايته عنهما : وقد روى هذا الحديث من طريقهما •

وروى أبو داود عن على رضى الله عنه — من رواية قطن بن خليفة — عن القاسم بن أبى مرة عن أبى الطفيل عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا » وقطن بن خليفة أحد رواته وان وثقه أحمد ويحيى ابن القطان وغيرهما ، فقد جرحه غيرهم فوصفوه بالتشيع ، وقال فيه أحمد بن عبد الله بن يونس : كنا نمر على قطن وهو مطروح لا تكتب عنه ، وقال فيه مرة أخرى : كنت أمر به وأدعه مثل الكلب ، وقال الدارقطنى : لا يحتج به •

وأخرج أبو داود عن هرون بن المغيرة قال : حدثنا عمر بن أبى قبيس ، عن مطرف بن طريف ، عن أبى الحسن عن هلال بن عمر قال: سمعت عليا يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث ، على مقدمته رجل يقال له منصور ، يوطىء — أو يمكن لآل محمد ، كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجب على كل مؤمن نصره — أو قال اجابته —) سكت أبو داود عليه ، وقال فى موضع آخر فى هرون بن المغيرة : هو من ولد الشيعة ، وقال السليمانى فيه نظر ، وقال أبو داود فى عمر بن أبى قبيس فى حديثه خطأ ، وقال الذهبى : صدوق له أوهام •

ويلاحظ أن هرون ليس شيخا لداود ، فروايته عنه منقطعة ، وأن أبا الحسن وهلالا مجهولان • تلك نماذج لبعض أحاديث المهدى وبعض ما قيل فيها ، ولو أردنا استيعابها واستيعاب ما قيل فى بعض رواتها لاحتجنا الى عدة مقالات •

وبالجملة : فما من حديث من أحاديثه الا وجه الى بعض رواته ما يضعف روايته .

وبما أن علماء السنة يقدمون الجرح على التعديل ، فلهذا لا نستطيع الجزم بظهور المهدى فهو على أحسن الفروض أمر مظنون لاجتماع تلك الروايات مع احتمال الوضع من الشيعة والوضاعين الذين يظاهرونهم ، تأييدا لأملهم فى عودة الخلافة للفاطميين وتسلية لهم وتقوية لصفوفهم ، حتى يظلوا مترابطين متعاونين فى سبيل الأمل المنشود .

ومن هنا : نشأت قصة المهدى المنتظر ، على اختلاف وجهات نظر الشيعة فيه ، ومنهم الاثنا عشرية الذين يزعمون أن الأئمة اثنا عشر اماما ، وأن الثانى عشر من أئمتهم هو محمد بن الحسن العسكرى ، ويلقبونه بالمهدى ، ويزعمون أنه دخل فى سرداب بدارهم بالحلة ، وأنه يخرج من هذا السرداب فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا ، وهم ينتظرونه كل ليلة بعد صلاة المغرب عند باب السرداب ، ومعهم مركب أعدوه ليركبه ، ويظلون ينتظرونه الى فترة طويلة من الليل ، فينصرفون ثم يعودون الى مثل ذلك فى الليلة المقبلة ، وهؤلاء يسمون الواقفية والمنتظرين ، والامام الثانى عشر يسمى عندهم المهدى المنتظر ، كما نقله ابن خلدون عنهم .

والحق : أن هذه أوهام مبنية على عقائد فاسدة ، فمحمد بن الحسن العسكرى ليس من أهل الخلود حتى يبقى الى يومنا هذا ، واذا كان قد مات فادعاء عودته أدعاء للبعث قبل يوم القيامة وهو ظاهر الفساد ، ولا يوجد نص يؤيده ، وقياسه على أهل الكهف قياس فاسد يفتح الطريق لأهل البدع والفساد ، وكما ادعى المهدية الاثنا عشرية ادعاها غيرهم فى أماكن متفرقة فى بلاد الاسلام وظهر بطلانها ، وأريقت بسببها دماء المسلمين .

وحيث كان أمرها ما تقدم فلا ينبغى أن ترقى الى قمة العقيدة ، وحسبنا كتاب الله تعالى فهو

هادينا الى سواء السبيل ، فمن دعا بدعوته على سنة نبيه ظاهرناه وأيدناه واقتدينا به ، سواء أكان من أهل البيت أو من سواهم ، على ألا يسب أحدا من أصحاب رسول الله وأئمتهم — كما يفعل غلاة الشيعة ولقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى قلوبنا الطمأنينة على مستقبل الاسلام بقوله « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة » وبقوله « يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » أو كما قال .

ولندع أمر المهدية لله تعالى ، فقد خلقت فى الأمة الاسلامية متاعب وخلافات ، وأريقت بسببها دماء ، وتفرقت بسببها شيعا وأحزابا ، ولنتمسك بكتاب الله الذى وصفه الرسول بقوله « فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، وهو حبل الله المتين ، وهو الصراط المستقيم ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا **« انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به »** من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« العلم »

ما كرم الاسلام أحدا تكريمه لطالب العلم ، ولاحث الاسلام على شيىء حثه على نشر العلم وتيسير السبيل اليه .

مناسك الحج .. والرمزية

للدكتور محمود بن الشريف

فى شريعة الاسلام أمور تعبدية فرضها الشارع الحكيم ، تخفى حكمتها على المؤمن الباحث المتعمق وهذه الامور التعبدية مقياس لايمان المؤمن ، ومختبر لمدى يقينه وعمق ايمانه .

ولا يسع عقل المؤمن حيالها — بعد أن عجز عن الوصول الى كنه سرها ، وحكمة تشريعها — لايسعه الا أن يذعن للنص الالهى فى يقين لا يخالطه ريب ، ويؤمن به فى عمق لا يخالجه شك .

ويحاول البعض — بعد أن أجهد عقله ، أن يوجد لهذه الأمور التعبدية أسرارا تشريعية ، ولكنها فى واقع الأمر محاولة .. ومحاولة فحسب ، فمتى كان للعقل القاصر أن يصل الى الهدف الالهى ؟! ومتى كان للطين بقتامته وعتمته وظلامه أن ينفذ فيعرف الحكمة الالهية ، أو يستشف الغرض الالهى ، والمرمى الربانى ؟!

وستظل هذه الأمور التعبدية بلطائفها ودقائقها ، ستظل دليلا شامخا على تصور العقول البشرية وأنه « ليس للعقل فى النهاية الا أن يذعن للوحى الالهى ، وهو : اذعان ليس بتعسفى أو تحكمى ، انما هو مصدره الايمان اليقينى بأن هذا من عند الله ، وما دام من عند الله فانه لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه » ان سلفنا الصالح كانوا ينزعون هذه النزعة .. نزعة

الخضوع المطلق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ..

لقد كانوا يذعنون للنقى ، يذعنون له بجوارهم ، وقلوبهم ، وأرواحهم وعقولهم ، لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ، ويجعلونه القائد الحاكم المهيمن ، وكانوا يعرفون أن ادخال شخصيتهم فى النص انما هو انحراف يعظم أو يقل حسب مدى التدخل البشرى فى النص ، وكانوا يعرفون أن الوحى انما جاء هاديا للعقل وقائدا له فى الامور التى لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها ، أو يقتحم حماها » (١) .

والحج هو أكثر العبادات الاسلامية اشتمالا على الأمور التعبدية التى لا تعرف حكمتها معرفة مفصلة أكيدة .

وهو : فريضة الهية .. وأساس من أسس الدين الذى قام عليه بناء العقيدة الاسلامية .. وهو مؤتمر اسلامى سنوى عالمى ، يضم المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولهجاتهم .يجتمعون جميعا فى الشهر الحرام فى البلد الحرام ، فى البيت الحرام . يستعرضون ماجابههم من مشكلات وأزمات ، وما حل بمجتمعاتهم من حوادث وأحداث تستدعى المشورة : وتتطلب تبادل الآراء ، للوصول الى الحل الحاسم ، الذى به تتحدد الاتجاهات ، وتتوحد المقاصد ، وتتحقق الآمال الموصلة الى الغايات والأهداف .

ولما كانت بعض أعمال الحج لها جذور من أيام الجاهلية جاء الاسلام فنقاها مما شابها من ضلالات الوثنية ، ومما شانها من أدران الجاهلية ، وجعلها أعمالا خالصة لله تبارك وتعالى .

وتعليقا على هذا وتعقيبا ، يقول الامام الشهيد الشيخ حسن البنا — من مقال له فى العدد الثالث من مجلة الشهاب — يقول : « ينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة

---

(١) من كتاب «الاسلام والعقل» للامام الراحل الدكتور عبدالحليم محمود ص ١٠٢ .

البالغة فى هذا التشريع الحكيم : تشريع الحــــج ، ينتهزون هــذه الفرصة فيغمزون الاســلام بــأنه مازال متأثرا ببقية مــن وثنيــــة العرب ، وأن الكعبة والطواف من حولها ، والحجر الأسود واستلامه وما يحيط بذلك من معانى التقديس والتكريم ، ان هو الا مظهر مــن مظاهر هذا التأثر ··

وهذا القول بعيد عن الصحة ، عار عن الصواب ، فالمسلم الــذى يطوف بالكعبة أو يستلم الحجــر الأسود يعتقد اعتقادا جازما أنهــا جميعا أحجار لا تضر ولا تنفع ، ولكنه انما يقدس فيها هذا المعنى الرمزى البديع : معنى الأخــــوة الانسانية الشــاملة ، والوحــدة العالمية الجامعة ، ويذكر فى ذلــك قول الله العلى القدير : (**جعــــل الله الكعبة البيت الحرام قيــــاما للناس**) ·

من سورة المائدة : آية ٩٧

والرمزية : هى اللغة الوحيــدة لتمثيل المعانى الدقيقة ، والمشاعر النبيلة التى لا يمكن أن تصورها الالفاظ ، أو تجلوها العبــارات ، والذى يعظم علم وطنه يعلم أنه فى ذاته قطعة نسيج لا قيمة لهـــا ما ديا ، ولكنه يشعر كذلك أنهـــا ترمز الى كل معانى المجد والسمو التى يعتز بها وطنه ، وأنها تصور أدق المشاعر فى وطنيته ، فهـــو يحيى هـــذا العــلم ، ويعظمه ، ويحترمه ، ويكرمه لهذه المعانى التى تجمعت جميــعا وتمثلت فيه ·· والكعبة المشرفة : علم الله المركوز فى أرضه ، ليمثل به للناس أوضح معانى أخــوتهم ، ولــيرمز به الى أقدس مظــاهر وحــدتهم ، وانما كانت بنـــــاء ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ··· ومن أجمل الجميل أن يقدم على رفع هذا البناء ابراهيم الخليـــل أبو الأنبياء ·

وما الحجر الأسود الا موضـــع الابتــداء ، ونقطة التمييز فى هــذا البناء ، وعنده تكون البيعة لــرب الأرض والسماء عــلى الايــمان والتصديق والعمل والوفاء :

اللهم ايمانا بك ــ لا بالحجر ــ وتصـــديقا بــك ــ لا بالحجــر

ولا بالخرافة ــ ووفاء بعهدك : وهو التوحيد الخالص ــ لا الشرك ــ واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، محطم الأصنام .

فأين هذه المعانى الرمزية العلوية من تلك المظاهر الوثنية الخرافية ؟! .

ان الكعبة المشرفة رمز قائم خالد .. ركز الاسلام من حوله أخلد وأقدس وأسمى معانى الانسانية العالمية ، والأخوة بين البشر . **(واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)** .

وفى الحج أمور تعبدية خفى على الأفهام سرها ، ودقت على المدارك حكمتها ، ولم تفطن العقول ولن تفطن الى معرفة حكمتها معرفة تفصيلية دقيقة على وجه القطع والتأكيد .

وعلى الرغم من ذلك : فان هناك محاولات للعلماء قاموا فيها ــ حسب وسعهم ــ بالتحليل والتعليل وتبيان ما اشتمل عليه الحج من أسرار و « رمزية » .

وعن هذه الرمزية يقول المغفور له الامام : محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق : « ما الاحرام فى حقيقته ــ وهو أول مناسك الحج ــ الا التجرد من شهوات النفس والهوى ، وحبسها عن كل ماسوى الله . وعلى التفكير فى جلاله . وما التلبية الا شهادة على النفس بهذا التجرد ، وبالتزام الطاعة والامتثال .

وما الطواف بعد التجرد : الا دوران القلب حول قدسية الله . صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم الذى ترى نعمه ولا ترى ذاته .

وما السعى بعد هذا الطواف : الا التردد بين علمى الرحمة التماسا للمغفرة والرضوان .

وما الوقوف بعد السعى : الا بذل المهج فى الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية ، وأيد مرفوعة بالرجاء ، وألسنة مشغولة بالدعاء وآمال صادقة فى أرحم الراحمين .

وما الرمى بعد هذه الخطوات التى تشرق بها على القلوب أنوار

ربهـا : الا رمـز مقت واحتقار لعوامل الشر ونزعات النفس ، والا رمز مادى لصدق العزيمة فى طرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات .

وما الذبح ـ وهو الخاتمة فى درج الترقى الى مـكانة الطهر والصفاء ـ ما هـو الا اراقة دم الرذيلة بيد اشتد ساعدها فى بنـاء الفضيلة ، ورمز للتضحية والفداء على مشهد من جند الله الابرار »(١)

الرمى ٠٠ والرمز :

والجمرات حجارة صـغيرة ، يحصب بها شخوص حجرية ترمز الى الشياطين ٠٠ ورمى الجمرات ليس عملية آلية ، بـل هى عملية رمزية هادفة ، تومىء الى أن يرجم المؤمن شيطان نفسه ، المستقر فى أعماقه ، الكامن فى دخيلته ، الذى يزين له كل شر وضر ، ويغريه بكل اثم ومنكر . وان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ٠٠ ان هـذا الشـيطان ومعه النفسية السوداء ، والرغبـات الجامحـة الجانحة ، والروح الشريرة ٠٠ كل هـذا هو الذى يجب أن يحـاربه المؤمن ، وأن يشهر عليه سـيف الايمان ، ويطارده بالابتعاد عنه ، والتغلب على فحيحه ووساوسه .

انه بذلك الرجم يكون قد تحرر من همزات الشياطين ، وتحلل مما تدفـع اليه مـن كبائر ومنـاكر ومجترحات .

ان الحـاج الذى يرمى هـذه الجمرات يكون قد أخذ على نفسه عهـدا عمليا بأن يتغلب عـلى وسوسة الشيطان كما تغلب عليها بهذا الرمى ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السـلام ، حينما طاردهما الشيطان ولاحقهما ، وهم فى هذه المواضع الثلاث من « منى » عندما كان ابراهيم ينفذ أمر ربه بذبـح ولـده .

وكان الوالد والولد ٠٠ كان كل منهما فى سبيل أداء عبادة ، وهل

---

(١) ص ١٢١ من كتاب : « الاسلام عقيدة وشريعة » للشيخ محمـود شلتوت .

العبادة الا تنفيذ أوأمر الاله ، حتى ولو كانت تبدو فى ظاهر الأمر على خلاف العادة .

ومع ذلك ، ومع عدم فقه الكنه وفهم السر الا أن كلا منهما استعد لتنفيذ الأمر ، بل واتخذ الخطوات الايجابية نحو التنفيذ .. وقام الشيطان يغالب ، ويوسوس ، ويهمس ، محاولا أن يدفع الولد والوالد الى العصيان والى التمرد .. وتحلل ابراهيم واسماعيل من وسوسة الشيطان ، بعد أن ألقيا فى وجهه حصى الأرض حتى لايعود الى مغالبتهما .. وعند ذاك تمت لهما الغلبة .. وكان لهما النصر والفداء بعد التضحية والاذعان .

ويسوق فضيلة الشيخ : حسن المشاط فى كتابه : (اسعاف أهل الاسلام بوظائف الحج الى بيت الله الحرام) يسوق تعليلات وأسرارا ورموزا للعديد من الأمور التعبدية التى تضمنها هذا الركن الاسلامى العظيم ، قال : « ان العلامة : « خليل المالكى » ذكر فى مناسكه كلاما عجيبا فى سر ما اشتملت عليه صفة الحج من الاقوال والافعال :

ان الحج محتو على حكم عديدة — وقل من يتعرض لها من المؤلفين والمصنفين — فأولها : أن الله تعالى شرف عبيده بأن استدعاهم لمحل كرامته والوصول الى بيته ، ولما كان الله منزها عن الحلول فى محل : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) أقام البيت الحرام مقام بيت الملك ، لان الملك فى الدنيا اذا شرف أحدا دعاه لحضرته ، ومكنه من تقبيل يده ، وأمره باللياذ به ، وجدير به حينئذ أن يقضى حوائجه ..

وكذلك المولى — سبحانه وتعالى — استدعى عبيده لبيته الحرام ، وأمرهم باللياذ به ، وأقام الحجر الأسود مقام يد الملك ، فأمرهم بتقبيله .. وأمرهم بطلب حوائجهم ..

واذا كان اللائق بملوك الدنيا قضاء الحوائج فى هذه الحالة ، فكيف بملك الملوك المعطى بغير

ســؤال ؟

وشرع الغسل عند الاحـــرام : اشارة الى أن من استدعاه الملك ينبغى أن يكون على أكمل الحالات طهارة قلب ولسان .

وشرع خلع الثياب : اشـعارا بحالة الموت ، ليتخلى عن الدنيا ، ويقبل على باب ربه وعبادته ، لان نزع ثيابه كنزع ثياب الميت على المغتسل ، ولبس ثياب الاحـرام كلبس الاكفان ، وتشـــبيها بنبيه « موسى » عليه السلام . فانه لما قدم الى المناجاة قيل له : **(اخلـع نعليك انك بالوادى المقدس طوى)** والحاج قادم على الأرض المباركة المقدسة ، وقصـدا لمخالفته حالته المعتادة ليتنبه لعظيم ما هو فيه ، فلا يوقع خللا ينافيه .

وأمر عبيـــده بترك الرفاهية ، والقاء التفث : اشــارة الى ترك حظوظ النفس ، وأن العبد اذا قدم الى مولاه لا يأتيه الا خاضعا ذليلا ولا يشتغل بغير الله تعالى .

ونهى العبد عن قتل الصـيد : اشارة الى أن من دخل الحرم فهو آمن ، وليطمع العبد آنئذ فى تأمين مولاه له ..

وشرع عند دخوله مكة الغسل : اشارة الى تطهير قلبه مما عســاه أن يكون قــد اكتسبه مــن أول احرامه الى حين وقت الدخول فى محل الملك . وأنه لا ينبغى له أن يدخل الا بعد تصفيته مـن جميع الأكــدار .

وشرع طواف القدوم : اشارة الى تعجيل اكرامه ، لأن الضـيف ينبغى أن يقدم اليه ما حضر ، ثم يهيأ له ما يليق .

وكان سبعة أشواط ، لأن أبواب جهنم سبعة أبواب ، فكل شــوط يغلق بابا .

ثم يركع بعد الطواف . زيادة فى القرب والتدانى ، لأن أقــرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

وأمره بعـد ذلـك بالسـعى ، والبداءة بالصفا : اشارة الى أن العبــد اذا أطاع مولاه أوصـلته

طاعته الى محل الصفا وصفاء القلوب .

ثم أمره بالنزول والمسير الى المروة : اشارة الى أن العبد ينبغى له أن يتردد فى طاعة ربه بين صفاء القلب بخلوه مما سوى ربه ، وبين المروءة بالسمت الحسن وترك المجانة . وأمره أن يفعل ذلك سبعا : اما للمبالغة فى الابعاد عن جهنم — واما لما فى السبع من الحكم التى لا يحيط بكنهها الا رب الأرباب : جعل الأيام سبعا ، والأقاليم سبعا ، والأفلاك سبعا ، وتطور الانسان سبعا ، وطباق العين سبعا ، وأمره أن يسجد على سبع ، وجعل السموات سبعا ، والأرضين سبعا ، وجعل أرزاق الناس سبعا اشارة الى قوله تعالى : **(فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا)** فالحب والعنب .. الى آخره للانسان ، والأب للانعام .

ثم أمره بالخروج الى « منى » : اشارة الى بلوغ المنى .

ثم أمره بالمسير الى عرفات : لأنها محل المعرفة والمناجاة ..

وأمره بالدعاء : لأنه ينور القلب ويوجب انكساره وتذلله .

وأباح الجمع والقصر رفقا بهم ثم أمرهم بطلب الحوائج ، ولهذا استحب لهم الوقوف بعرفة ليكون أبلغ فى التضرع ، ثم ان وقوفهم فى هذا اليوم شبيه بوقوفهم فى المحشر ..

ثم أمرهم بحلق رءوسهم ، ليزول ما فى الشعر من الدرن والعفن ، وفيه اشارة الى منع تبذير المال ، لأن الشعر يقى الدماغ من البرد ، كما أن المال يقى الانسان من الفقر ، ولذلك قال المعبرون : « من رأى شعر رأسه قد ذهب ، فهو ذهاب ماله » .

الدكتور محمود بن الشريف

حول إعلام إسلامى رشيد

خطبة الجمعة

للدكتور محمد رجب البيومى

يخيل الى أن لقاء الجمعة الأسبوعى ، يجرى على غير وجهه التام ، فى كثير من بلاد الاسلام ، فقد أصبح فى أكثر أحواله أمرا آليا ، يؤدى كما يؤدى أى عمل تقليدى ، دون أن يثمر فائدته المنتظرة ، التى هدف اليها التشريع ، فكل المسلمين يعلمون أن صلاة الجمعة فرض عين ، على من توفرت فيه الشروط ، بحيث لا يغنى أحد عن أحد ، ومفهوم هذه الفريضة عند الأكثرية الكاثرة : أن يحين وقت الصلاة فيسرع المسلمون الى المسجد كى يستمعوا الى كلمات تقال ، ثم تقام الصلاة ، فاذا فرغ المصلون هبوا ينتشرون فى الأرض ، وكأنهم تخلصوا من عبء ، بل ان بعض الناس يستمع الى المؤذن فى تقاعس ، ويظل رهن متجره أو منزله ، حتى يمر وقت يخيل اليه معه أن الخطيب قد فرغ من الخطبة الأولى ، وانتقل الى الخطبة الثانية ، فيسرع الى الوضوء ليدخل المسجد وقد كبر الامام وبدأ يقرأ الفاتحة .

وهذا بعض ما يحدث دون مبالغة !!

أفكان ذلك كل ما عناه الشارع الحكيم ، حين فرض على المسلمين هذا اللقاء الأسبوعى الهام ؟!

أم أننا نغفل روح الفريضة مكتفين بشكل ظاهرى نحسبه كل شىء ! وما هو الا تكليف نؤديه فى غير نشاط .

أعتقد أن لقاء الجمعــة ـ فى هدفه الأصيل ـ مؤتمر أســبوعى يحتمه الاسلام بين أهل القــرية أو الحى فى المدينة ، ليتلاقوا جمعيا على حالة يتضح فيها الالتئـــام المتماســـك فتتصافح الأكــف ، وتتعارف الوجوه ، ويسأل الحاضر عن الغائب لم تأخر ؟ أمســـافر فيعـــذر ؟ أم مــريض فيزار ؟ أم مأزوم فيســارع اخوانه الى فك ضيقه؟ فاذا أكتمل الجمع ، وأزف الموعد المحـــدد ، نهض الخطيب المتفتح فحدث القوم بما يشعرون به من احساس فورى اذ يبســط مشكلات الساعة فى ضوء القرآن الكريم ، والسنة المحمدية .

وقد يكون الحـــديث محليا اذا اتجه الى مشكلة تخص القرية أو الحى وحدهما ، كانتشار مرض ، أو اختفاء سلعة أو ترويج اشاعة كاذبة لا أســاس لها ، أو دعــوة لانقاذ محصول زراعى ، أو اسهام فى مشروع حيوى .

وقد يكون الحديث وطنيــا اذا اتجه الى أمر يشغل الرأى العام ، وتتلمس فيــه أوجــه الهــداية والارشاد .

وقد يكون الحديث فى غير ذلك كله ، مما يجذب أذهان السامعين ، ويدعوهم الى التدبر البصير .

فاذا انتهت الخطبــة ، وفرغت الصلاة ، نهض المصلون ليتعاونوا على البر والتقوى ، وليبدوا الرأى فيمــا ســـمعوه ، باذلين أقصى الجهود فى تذليل العقبات وتيسير الصعاب ، ومترقبين أن يكون لقاء الجمعة القادم تحقيقا لأمل يرجى، وارتغابا لخير يتاح بما سيقوم به القادرون من تنفيذ واحكام .

هكذا كان لقاء الجمعة الأسبوعى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الصـــدر الأول من الاسلام ، اذ يقوم صاحب الأمر فيخطب القوم فيما يشــغلهم من الأحداث ، ويتعاون الســامعون على الطاعة فى الخير ، ويتدارس القوم معضلات الفتوح والغزو ، ويشيرون بما يرون من حلول .

لقـــد كانت خطـــوات الفتـــح

الاسلامى تذاع خطوة خطوة من منبر الجمعة على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كان الخليفة الراشد يصعد الى المنبر ليذيع الوقائع بنفسه ، فاذا ما انتهت الخطبة وقامت الصلاة ، وجد عشرات السامعين يلتفون حوله ليشيروا بالرأى ، وقد تمتد المشورة حتى تحين صلاة العصر ، فيكون يوم الجمعة فى صميمه مؤتمرا اسلاميا تناقش فيه المعضلات سافرة دون نقاب !

ثم اتسع ظل الاسلام فأصبح فى كل قرية من ملايين القرى الاسلامية مسجد ، وفى كل مسجد منبر وخطيب ، ولكن الاجتماع يؤدى فى أكثر أحواله أداء آليا ، ويخرج المجتمعون مسرعين ، وكأنهم تخلصوا من حمل مفروض •

واذا كان لكل عصر ملابساته وظروفه ، فليس من المنتظر الآن أن تكون المساجد محافل سياسة ، ومجامع ادارة ، كما كان المسجد النبوى بالمدينة ، ولكن الذى يجب أن يكون فى موضع الاعتبار هو مانريده من تحقيق الجدوى التامة لهذا الاجتماع الأسبوعى ، حيث يصير مؤكدا لصلات المجتمع ، وداعيا الى ترابط العامة والخاصة ترابطا ملتحما ، فيسأل الحاضر عن الغائب ، ويزار المريض ، ويسعف المحتاج ، مع الاهتمام بتدبر كل ما جاء فى الخطبة من توجيه سلوكى الى الطريق القويم •

هذا من الناحية الاجتماعية !

أما الناحية العلمية ، فلابد أن يكون لها مكانها الجهير ، لأن الخطيب يتحدث بلسان الدين ، ويلقى هديه فى ظلال ما يختار من آيات القرآن وأحاديث الرسول ، وسير السلف الصالح ، فكل مشكلات المجتمع ، وأدواء الزمن ، تعالج تحت مصباح القرآن ، وترصد فى مجهر شريعة الاسلام •

وقد فرض الاسلام خطبة الجمعة أسبوعيا لغرض ثقافى هادف •

فالمسلم العاقل المدرك اذا بدأ الصلاة فى الخامسة عشرة من عمره مثلا ، فانه سيستمع فى كل عام الى خمسين خطبة دينية بعدد أسابيع السنة ، فاذا قضى عشر سنوات تالية ، فلن يبلغ سن الخامسة والعشرين من عمره حتى يكون قد أصغى الى خمسمائة خطبة ، هذا غير ما لا يدخل فى الاحصاء من خطب العيد ومجالس الوعظ الطارئة ، ودروس العشاء وهى مما تحرص عليه وزارة الأوقاف ، وتلزم الأئمة باتقانها ، فأين أثر ذلك كله !!

بل أين أثر خمسمائة خطبة فقط !!

اذا افترضنا أن المسلم مشغول بأعبائه عما سواها من العظات المسنونة !!

أين أثر ذلك فيمن بلغ الخامسة والعشرين بعد سماع خمسمائة عظة !!

لقد كان المنتظر أن يصبح السامع ملما بروح الشريعة الاسلامية ، فاهما منازع دينه القويم ، لأن الاسلام فى بساطته وجنوحه الى الفطرة الخالصة بحيث تتقبله الصدور بانشراح فى مدى يسير •

ولقد كان المشرك الكافر يجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بين يدى أصحابه ساعة من الزمن ، يستمع فيها الى أهداف دينه ، فيطمئن قلبه تلقائيا لما يسمع من قول يساير فطرته السليمة ، وينطق بالشهادتين فى فرح غامر ، ويصير بما سمع فى مجلس واحد داعية للاسلام فى قومه ، وكانت الآيات المعدودة من كتاب الله زادا كافيا لاطمئنانه ، يرددها بين ذويه معتزا مباهيا ، فيأسر بها قومه ، ويكسب للدعوة ملأ جديدا !

فكيف أصبحنا نرى المسلم يقضى من عمره خمسين عاما وأكثر من خمسين عاما يستمع فيها الى آلاف الخطب الدينية فى الجمعات

المتوالية ، ثم نراه بعد هذا الأمد الطويل لا يلم بروح الاسلام ، ولا يستطيع أن يدرك أهدافه الواضحة فى أخريات حياته : أين أثر هذه الخطب المتكررة ! وما الذى جعلها مظهرا لا روح فيه ؟! كيف ضعف تأثير الوعظ المنبرى ، والبيان الدينى فى أكثر ما نسمع الآن ؟

اننا نرجع السبب الرئيسى فى ذلك الى عاملين متعارضين : عامل العى المفرط لدى متكلم مقتضب مخل ، وعامل الثرثرة السطحية لدى متكلم يفيض فيما يعن له من قول دون تحديد .

فالخطيب الأول يلجأ دائما الى خطب موسمية يكاد يحفظها عن ظهر قلب ، ثم يلقيها القاء آليا لاروح فيه فيطفىء ما يشع فيها من بريق الذكر الحكيم ، وايماض الحديث الشريف ، ثم لا يحاول أن يجدد نفسه فى شىء بل يكرر ما يقول عاما وراء عام ، دون أن يقدر تبعته الارشادية أمام جمهوره المنتظم ، بحيث أصبح المؤذن العامى ينوب عنه اذا غاب ، فلا يكاد السامعون يحسون فرقا بين الأمى والمتعلم ، لأن الرجلين معا ينقلان من كتاب معلوم .

هذا هو الخطيب العيى ، ولا يظن أحد أن تقدم التعليم وانتشار المعاهد والمدارس وذيوع الصحف والكتب على نحو مستفيض قد قضى عليه . أو حوره الى شىء آخر ، فنحن لا نزال نصدم بأمثاله فى كثير من المناسبات حتى لأسائل نفسى ألا يستمع هذا الى حديث دينى فى مذياع ليعرف كيف انتقل الناس من حال الى حال .

أما الخطيب الثرثار فأمره أعجب ، فقد وقر فى نفسه أن جلجلة الصوت وانطلاق اللسان ، وامتداد الزمن هى كل وسائل الاجادة . فتراه يهدر بالكلام المسهب فى شتى الموضوعات دون تحديد ، اذ ينتقل فى الخطبة الواحدة من الصلاة الى الزكاة الى الصوم الى الحج .

ثم يترك العبادات ليكر على

الزنا والربا والغيبة والنميمة فى تدفق لا يعرف الانضباط ، وكأن ارتفاع الحنجرة وحدها هو دليل الاصابة والسداد ! السامع المدرك الناقد ضائق بما يسمع أما السامع الغافل فيرى لخطبته أمرا ضروريا لابد منه ، فعليه أن يصبر هادئا وان لم يستفد حتى يفرغ القائل فينهض للصلاة ويمضى ، وبين الخطيب العيى والخطيب الثرثار ، ضاعت فائدة الخطبة الأسبوعية ، وأصبحنا نجد الأمية الدينية صارخة لدى أكثر المستمعين ، وفيهم من سمع ألف خطبة دون أن يجد فيها ما يبدله من فكر الى فكر ! وتلك مأساة .

كنت أستمع ذات مرة الى خطيب جهير السمعة ، طنان الدوى فى بعض مساجد القاهرة الكبرى ، وكان المذياع قد أعد لينقل عنه ما سيقول ، فتوقعت بادىء ذى بدء أن أجد فيه المثال المنشود للخطيب المرجو ، والأنموذج الصالح لمن يسوق الوعظ الهادف ، والخطبة المركزة ، ولكنى وجدته قد بدأ بحمد الله ، وثنى بالصلاة على رسوله ، فاذا انتهى الى القولة الذائعة – أما بعد – تلا قول الله عز وجل (١) .

(قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ، ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ،ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه

---

(١) سورة (المؤمنون) الايات الاولى من (١ – ١٤) .

خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) ٠

ثم بدأ فأخذ يفسر اجماليا معنى فلاح المؤمنين وكيف يخشعون فى الصلاة ، وانتقل الى الاعراض عن اللغو انتقالا سريعا فلم يتحدث عنه بما يركز معناه ويوضحه بالمثال :

وكر على الزكاة فى غير تحديد وانتقل — وفقا لتتابع الآيات الكريمة — الى صيانة الفروج ومحاربة الزنا ، والى حفظ الامانة وذم الخيانة — دون تمثيل كاشف أيضا ٠

وأعاد الكلام ثانية فى الصلاة حين وصل به القول الى النص القرآنى ، (**والذين هم على صلواتهم يحافظون**) فكرر ما قال من قبل ، والموقف واحد زمانا ومكانا ٠

وجاءت آية الجنة ، فتحدث عن نعيمها ، وعن ميراث الفردوس ثم انتهى الى خلق الانسان من نطفة بعد السلالة ، ثم مصيره الى علقة فمضغة فعظام فلحم فخلق آخر !!

فيا لله كم طرق من الموضوعات حين ألم بذلك كله كمن يدون عناصر موضوع انشائى على سبورة !

ثم ماذا يستفيد السامع من دقيقة يتحدث فيها الخطيب عن الصلاة ، تتلوها دقيقة أخرى للحديث عن الزكاة ، وهكذا حتى يفرغ من النص !

أنا لا أمنع أن يفسر الخطيب آية كريمة على منبر الجمعة تفسيرا هادفا موجها ، ولكن أوجب أن تكون الآية المختارة مستقلة بغرض واحد ، ليتسع المجال الى شرح معناها ، واظهار دلائلها ، وكشف أهدافها ، والاستضاءة بنورها ، اذ يجب على الخطيب أن يحصر قوله فى مجال حيوى مركز ليجد من الوقت ما يسمح له بالتحليل المقنع ، والتوجيه اللافت ، فيروى ظمأ ، وينقع غليلا ! أما أن يمتد به القول الى أمثال متفرقة من المعانى

دون ايضاح كاشف فهذا ما لا يأتى بطــائل ٠

لا أنكر أن تقدم الزمن قد هيأ السبيل لانشاء كليات متخصصة فى الدعوة ، بحيث استطاعت أن تخرج نماذج مرجوة ان شاء الله! وقد حقق بعض هؤلاء نجاحا ملحوظا نخالف الحق لو أنكرناه ٠

ولكن فريقا آخر قد دفع الى الكليات الداعية دون رغبة من ناحية ، ودون رصيد قوى من علوم القرآن والحديث والفقه من ناحية ثانية ، ثم تخرج ليأخذ مكانه ، فآثر الراحة ، واكتفى بما يحفظ من كلام سواه ، دون أن يتيح لسامعه من حرارة الانفعال ما يجعله موصلا جيدا ٠

واذا استطاعت كليات الدعوة الاسلامية أن تمنح الشهادة ، على التحصيل الجيد ، والحفظ المستوعب فلن تستطيع أن تعطى الدرجة على الايمان الحافز ، والغيرة الملتهبة ، فذلك من صنع الله وحده ٠

ولنا — بعد — رجاء وطيد فى كل عالم دينى أن يقدر التبعة الباهظة أمام نفسه ووطنه ! وهو بعون الله مرجو مأمول ٠

د ٠ محمد رجب البيومى

المقالات التى لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردها ٠

ادارة المجلة

الشعر المملوكى مرآة عصره

مصطفى السيد حسن قرموط

كان المماليك فى مصر نتيجة طبيعية ولدتها تطورات الحكم فى العالم الاسلامى ، فمنذ أسس المعتصم حامية : (سر من رأى) من الترك والأمور تتوالى تلقائيا فى غيبة الوعى ، وكان المعتصم يريد ضرب عنصرى العرب والفرس معا ليتخلص من تنازع السلطة ، ذلك الصراع الذى أدى الى تقاتل الأخوين : « الأمين والمأمون » ، فهو بما فكر ونفذ يريد أن يستريح ويريح ، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، فقد عرض سفينة الحكم لرياح هوج ، فلقى أبناؤه وخلفاؤه بعده ما لم يخطر على باله ، من : قتل وسمل للعيون ، وتقسمت الدولة الى دويلات ، وقام بنو بويه ليقضوا على جند : (سر من رأى) وجاء السلاجقة بعدهم ، فكانوا حماة الخلافة العباسية ، وملوك الدولة الاسلامية من شرقها ، وانبثق من السلاجقة تبعا للتوالد « آل عثمان » فى آسيا الصغرى ، « وآل زنكى » فى الشام ، ومنهم ورث « صلاح الدين » حكم مصر والشام واليمن باسقاط الخلافة الفاطمية فى مصر ، وأنشأ الملك « الصالح الأيوبى » مؤسسة المماليك البحرية ، وأنشأ المماليك مماليك من الجراكسة ، فنقلوا السلطة اليهم .

وهكذا : كان تطور الحكم فى تلك الأحقاب والعهود .

وهؤلاء المماليك الذين كانوا جند مصر أظهروا بطولات فى صد

التتار والقضاء على بقايا الصليبيين ، فاعتز بهم المصريون ، وأولوهم الثقة ، وبمرور الايام انقلب الوضع ، فكان المماليك (العبيد) سادة ، والمصريون السادة عبيدا ، « ولم يغلبك مثل مغلب » كما يقول الشاعر القديم ، وكان حكم المماليك على عهديه ظالما غاشما ، لا تظهر فيه العدالة الا الفينة بين الفينة ، لا يردعه دين ولا خلق ، ومن أين لمشرد أن يصون عرضا ، أو يكرم شريفا ؟

وقد انصب ايمانهم على بناء المساجد والمدارس الملحقة بها ، ظنا منهم أنها تقيهم عذاب السعير في الآخرة « وما ربك بغافل عما يعملون » (١) وكانت الحروب بين المماليك من سياسة الحكم ، فما ان يتسلطن أحدهم حتى يتربصوا به الدوائر ، والدوائر في صليل سيوفهم ، وصهيل خيولهم ، وما هى الا جولة بعد جولة حتى يسقط السلطان أو يقتل الأتابكى ، ويدور النهب والسلب في بيوت المهزومين ، ويشاركهم الشعب في النهب والتخريب ، بل هم يشجعون العوام على اقتراف الآثام .

ومن الغريب : أنهم يتلقون شرعية الحكم من الخليفة العباسى ، وهو لا يملك ردعا ولا رأيا ، وكثيرا ما يتعرض الخليفة للسجن أو النفى أو الخلع ، وصار الخليفة اذا كان شاعرا أن يمدح الملوك الحاكم ، أمور عجيبة !!

وحين تقرأ الشعر الذى قيل فى هذا العصر تبتسم وتقطب فى وقت واحد ، فهو شعر يهزأ بأعظم النكبات ، وينزوى عند الطموح ، ومن ثم : كان وقعه هينا على الحاكم والأمير ، وشديدا على القضاة ومن اليهم ممن يتولون الشئون المدنية .

والشعراء الوافدون مثل : « صفى الدين الحلي » يجدون للقول مجالا ، فهم جاءوا ليمدحوا ، وهنا يجدون جزاء مدحهم . أما

---

(١) الآية ١٣٢ سورة الانعام .

الشـــعراء المحليون مواليد مصر : فكانوا منبوذين ، يكدون ليحصلوا على ما يحفظ حياتهم باتخـــاذ الحرف ســبيلا الى كسب الرزق ، فكان منهم : الحمامى ، والكحال ، والدهان • الى آخر حرف هـــذا الزمان ، وكانت لهم شـــاعرية ومذاهب تأبى الا أن تقـــول ، وما تقوله مرآة لما كان يحـــدث ، يعبرون عن أنفسهم والمشـــكلات التى تخيم على وطنهم ، ويتخذون الفكاهـــة طريقـــا الى التنفيس عما يجول بخواطرهم •

وفى هذا المقال : أقدم لك نماذج من ذلك الشعر ، وهو ان لم يرضك ابتكارا وجمالا أرضـــاك دعابة وتفكها ، وكان شعراء الشـــام يسلكون مسلكهم ، بيد أن الوصف غلب على أســاليبهم لتنوع المناظر الخـــلابة فى بلادهم ، لكن المنهج العام يشملهم ، فيأخذ بعضهم من بعض الى درجة الاتهام بالسرقة ، كما جرى من ابن نباتة الشـــاعر المصرى ، فقد اتهم صـــلاح الدين الصفدى (شامى) بالسرقة ، ومن كلامه عن الصـــفدى : « فلما طال على الأمر فى ذلك ، جمعت كتـــابا فيما قلته وسرقه منى ونســـبه الى نفســـه ، وسميت هذا الكتاب : « خبز الشـــعير » لأنه مأكول مذموم ، وأورد شـــعرا قاله ، وشعرا قاله الصفدى مقلدا له وزنا وقافية ومعنى أيضا •

ولم يكن الشعر بعيدا عن الحيـــاة فهو منغمس فيها ، ولكنـــه غير متحمس لها ، تحس فيه الفتـــور والقصور فى أعظم المواقف •

انظر معى الى الشعر الذى قيل فى انتصار جيش مصر بقيادة الملك الناصر محمـــد بن قلاوون على التتـــار ، وكان قائـــد الجيش التترى : (غازان بن القان) حفيد هولاكو ، حتى أشـــيع مقتله فى المعـــركة ثم جاء الخبر بموته ، قالوا : انه مات مسموما ، ســمته زوجته ، وكان يريد الثأر لهزيمته ، فقـــال الشـــاعر : (عـــلاء الدين الوداعى) :

قـــد مات غازان بـــلا علـــه
ولم يمت فى الســـنة الماضية
بل شـــــنعوا فى مـــوته
حياء ، ولكن هذه القاضيـــه

والشاعر هنا ينكت ومسرور بكلمتى « الماضية والقاضية » لما فيهما من جناس ، وهو شاعر قاصر عن تصوير الأحداث وانتصار المصريين سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) ، وكان الشاعر يمكنه أن ينتهز وفاة غازان فيصف المعارك وصفا فيه حرارة وقوة وأصالة ، ويبين البطولات والأساليب العسكرية التى ظهرت حينذاك ، ولكنه اكتفى بتسجيل وفاة غازان سنة ١٣٠٣ م ، وكان الخيال يجعل موته كمدا ، ومن نتائج المعركة دخول هؤلاء التتار فى الاسلام أفواجا . ويسجل « ابن اياس » فى كتابه : « بدائع الزهور » شعرا للعالم الجليل شيخ الاسلام : « تقى الدين بن دقيق العيد » بمناسبة وفاته (١٣٠٤ م) ويختار له ما أبدع فيه من « نوع الجناس التام » قال الشيخ :

تهيم نفسى طربا عندما
استملح البرق الحجازيا
ويستخف الوجد عقلى وقد
لبست أثواب الحجا زيا
ياهل ترى أقضى منى من منى
وأنحر البدن المهاريا ؟
وأرتوى من زمزم فهى لى
ألذ من ريق المها ريا ؟

وشيخنا يتشوق الى الحجاز ليزور الاماكن المقدسة فى مكة والمدينة ، ولكنه فى المقام الأول يعنيه التجنيس فى البيتين الأول والثانى « الحجازيا والحجازيا » والحجازيا فى البيت الأول وصف للبرق وهى كلمة واحدة ، أما الحجازيا فى البيت الثانى فهى كلمتان الأولى الحجا ومعناه : العقل ، وزيا وهو : الهيئة ، وعلى هذا جاء الجناس تاما ومثل هذا يقال فى البيت الثالث والرابع ، فالمهاريا : وصف للبدن ، والمهاريا الأخيرة من كلمتين « المها » : بقر الوحش ، ويعنى : الجميلات العيون من النساء ، « وريا » : سقيا ، وقد تم له جناس تام أيضا ، وهل تشعر بالشوق حقا فى هذا النظم ؟ لو ترك الشيخ نفسه على سجيتها ولم يقيدها بالجناس لأتى بما يطرب ويسلب ، كما فعل شوقى فى قصيدته التى تغنى ، وشتان بين عاطفة وعاطفة ،، وتصوير

وتصـــوير ، ليس هنـــاك شىء يقيد الشعر مثل رصـد كلمة للتجنيس أو التورية ، فهـو ذهنى محض ، وان بدا لك شعرا له وزن وقافية .

وفى سـنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) توقف النيل عن الزيادة فى ميعاده المنتظر ، فرسم السـلطان : « الجاشنكير » وكان قد تغلب على آل قلاوون ، فرسـم بجمـع الضرائب ، والناس فى مثل هـذه الحال يصطنعون الغلاء ، فضـج الشعب وثار ، وسجل (نصير الدين الحمامى) ما جرى شعرا فقال :

ان عجـل النوروز قبـل الوفا
عجـل للعـالم بصفع القفـا
فقد كفى من دمعهم ما جـرى
وما جـرى من نيلهم ما كفى

فى هذا الشعر نكتة تدعوك الى البسمة ، فهو يذكر تعجيل النيروز قبل وفاء النيل ، ويعقب ذلك صفع قفا المصريين وجعلهم عالما بذاته ، ودمعهم كفى والنيـل ما كفى ، ألا ترى أنك تبتسم وتحـزن معا ؟ وفات الشاعر وهو قادر أن يصنع صنيع العامة ، فيأخذ معنى ما قالوا ويثيرها حربا شـعواء على هذا المتغلب ، وماذا قال العامة ؟ قالوا :

سلطاننا ركين
ونائبه دقين يجينا الماء من اين
هاتوا لنا الأعرج
يجى الماء يدحرج ...

وركين هو : السلطان ، ودقين : نائبه (سلار) وكان أجرد فى ذقنه بعض شعرات ، وكان من التتار ، فسـماه العوام : « دقين » . أما الأعـرج فهو : الملك : الناصر محمـد بن قلاوون ، وهو حسن المعاملة مع الشعب ، ولذا هتفوا به ليعود وقد عاد .

ركب السلطان رأسه فقبض على زهاء ثلاثمائة ، ولم تسكن الثورة حتى عاد الأعرج .

وابن نباتة نفسـه ، وهو أكبر شاعر ، وله نفس طويل فى الشعر أصـابه تقليد العصر ، واقرأ معى قوله يمـدح كاتب السر القاضى : « محيى الدين بن فضـل الله العمرى » (من سـلالة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه) حين

حضر من الشام باستدعاء السلطان له ليتولى منصبه . قال ابن نباته :

يا سائلى عن كاتب السر الذى
يعزى علاه الى أب أواه
هذاك غيث الله محيى الأرض من
بعد الممات ، وذاك فضل الله

كل التعب لأجل التورية فى « فضل الله » والأب الأواه ، هو : عمر بن الخطاب . وهو الغيث . وقد مهد به للوصول الى فضل الله، وماذا على الشاعر لو استقبل الكاتب بما يستحقه ووصف عمله فى الدولة والطريقة التى تناول بها الأحداث فى رسائله ، وابن فضل الله يسره ما قاله الشاعر ، لأنه يحب التورية والجناس ، ونثره يشهد على ذلك ..

نقاد العصر أضاعوا صناعة الشعر والنثر .

ان شعراء العصر المملوكى قادرون ولا شك على انشاء القصائد الطوال لو وجدوا الحافز على ذلك ، ولنا من « البوصيرى » ما يؤيد ما نقول ، فحبه للرسول ـ صلوات الله عليه ـ دفعه الى انشاء القصائد الطوال ، ومنها : « البردة » و « الهمزية » و « ذخر المعاد » ، وقد وقع للشاعر : « ابن الوردى » ما دفعه الى أن ينظم قصيدة فى مبايعة .. كان ابن الوردى عالما فقيها على مذهب الامام الشافعى ، وله مؤلفات منها : « كتاب البهجة » وكان له نظم ونثر . كتب عنه « ابن كثير » فى تاريخه أنه دخل الشام فى هيئة رثة ، وتصادف أن حضر مجلس القاضى ، فكان من جملة شهود مبايعة جرت فى ذلك المجلس ، فقال أحد الحاضرين يسخر منه : أعطوا الشيخ يكتب هذه المبايعة ، فتحداهم ابن الوردى قائلا : نظما أكتب لكم أم نثرا ؟ فزادوا فى السخرية ، وقالوا : بل نظما . فأخذ ورقة وقلما ، وكتب المبايعة شعرا وهذا بعضها :

باسم اله الخلق هذا ما اشترى
محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الأزرق
كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه

بكورة الغوطة وهى جامعة
بشجر مختلف الأجناس
والأرض فى البيع مع الغراس
وذرع هذى الأرض بالذراع
عشرون فى الطول بلا نزاع
وحدها من قبله ملك التقى
وجابر الرومى حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد على
والغرب ملك عامر بن جهل
وهذه تعرف من قديم
بأنها قطعة بيت الرومى
بيعا صحيحا ماضيا شرعيا
تم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه
وازنة جيده مبيضه
جارية للناس فى المعامله
ألفان منها النصف ألف كامله
وسلم الأرض الى من اشترى
فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق
طوعا ، فما لأحد تعلق

الى أن قال :

وأشهدا عليهما بذاك فى
رابع عشر رمضان الأشرف
من عام سبعمائة وعشره
من بعد خمسة تليها الهجره
والحمد لله وصلى ربى
على النبى وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر
بن المظفر المعرى اذ حضر

وعمر بن المظفر المعرى ـ اسمه ونسبه ـ وان كانت الشهرة : ابن الوردى ، وعجب الحاضرون من بديهته وحسن ارتجاله ، ومن الطريف أن أحد الشهود واسمه : (أحمد بن رسول) قال : أنا لا أحسن النظم لأوقع به ، فكتب عنه :

قد حضر العقد الصحيح أحمد
بن رسول وبذلك يشهد

وان كنا لا نعد هذا شعرا لخلوه من عنصر الشعور ، وهو أقرب الى نظم العلوم من خيال المنظوم ، الا أننا نأخذه دليلا على المقدرة الفائقة والشاعرية المنطلقة التى

تستطيع أن تفيض وتأتى بالسائغ المقبول ، وتظهر قدرة الشاعر فى ايراد التوثيق الشرعى من تسجيل المتبايعين ، وتحديد قطعة الأرض والثمن ، وشروط تمام المبايعة « البائعان بالخيار ما لم يتفرقا » ثم الاشهار والتاريخ ، واللغة مطاوعة له لا ترى نبوا فى اللفظ أو اضطرابا فى القافية .

وهذا الشعر يحتاج الى عودة ودراسة ، أرجو أن أوفق فى بعثها من مرقدها ، تقديرا للشعر ووفاء لشعراء عصره ، وكشفا للجمال فيه .

السيد حسن قرون

اسرائيل تخشى المد الاسلامى

فى ندوة عقدت مؤخرا بتل أبيب دعا اليها المركز الثقافى الأمريكى ومعهد شيلواح الاسرائيلى وحضرها عشرات من الأساتذة اليهود والأمريكيين لبحث أوضاع المنطقة قال أهارون ياريف رئيس المعهد « ان اسرائيل ستجد نفسها فى حالة عجز استراتيجى مع تصاعد المد الاسلامى الذى بدأ ينتشر فى جميع أنحاء المنطقة » .

الدعوة عدد ٥٣ السنة الثلاثون

التربية الصوفية

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

للصوفية أذواقهم ومناهجهم التربوية نجحوا بها فى تربية الأفراد والمجتمعات ، ولعلهم من أسبق الناس فى معرفة أصول التربية والتعليم . تلك الأصول التى تعود الى الاسلام فى منابعه الأصيلة الثرة ، فهم لم يبتدعوا شيئا ولكنهم ردوا الأشياء الى أصولها واستمروا فى الحفاظ عليها ، فى الوقت الذى غرب الناس وشرقوا يأخذون من هذا ويقبسون من ذاك نظما ومناهج ان صح بعضها فان الكثير منها لا يتناسب وشرقنا العربى وديننا الاسلامى الحنيف الذى ألزمنا بمناهج قويمة ومبادىء كريمة لو اتبعناها لسعدنا ولو تركناها لشقينا . وقد مر بنا قول شاعر الاسلام « محمد اقبال » رحمه الله عن أثر التربية الحديثة فى نفوس الشباب : « ان الشباب المثقف فارغ الأكواب ظمآن الشفتين ، مصقول الوجه مظلم الروح ، مستنير العقل كليل البصر ضعيف اليقين كثير اليأس ... »

الى آخر ما جاء فى مقال سبق عرضه عن روائع أقبال .

علم النفس والتصوف :

وضع الصوفية قواعد لا تزال تعتبر مقياسا سليما من مقاييس التهذيب والسلوك وعلم النفس الذى يعتمد علماؤه المحدثون على النظريات المبنية على التجربة والمشاهدة والتخمين — كان أساتذته الأول هم الصوفية الذين حذقوا هذا العلم

لا بناء على التجربة التى تخطىء وتصيب ، ولكن بناء على الفراسة الصادقة التى ورد فيها أثر كريم يقول « اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله » وعلى الالهام الصادق والكشف الالهى الذى يمنحه الله لمن يشاء من عباده المتقين •

والفراسة — كما يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى فى كتابه عن ابن عطاء الله السكندرى — « ادراك خاص يهبه الله لمن صفا قلبه من الشواغل والشوائب ، ولا يحيل هذا الادراك من يعرف الصوفى حق المعرفة ، لأن الصوفى اذا جاهد نفسه وقهر شهواته ولازم الذكر فارتقت روحيا الى آفاق جديدة اكتسب قوة ادراكية من نوع غير عادى ، وهذا الادراك هو المسمى اصطلاحا بالفراسة ، وهو عند الصوفية اطلاع مكاشفة ومعاينة القلب للغيوب بنور الله مصداقا للحديث النبوى : اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله»

ويستشهد على ذلك بقول الشيخ زروق فى كتابه قواعد التصوف « الفراسة الشرعية نور ايمانى ينبسط على القلب حتى يتميز فى نظر صاحبه حالة المتطور فيه من غيره ، بل يميز أحواله فى النظر اليه بحسب أوقاته ولكل مؤمن منها نصيب ولكن لا يهتدى لحقيقتها الا من صفا قلبه من الشواغل والشوائب » •

فليس كالصوفية أحد تمكن من معرفة دقائق النفس وخفاياها ومكامن خيرها وشرها وطرق رغباتها ودسائسها وأسرار نزعاتها ودوافعها حتى لقد وصفوا ذلك وصفا دقيقا يدل على قوة ادراك وسعة عقل ، وألقوا فى ذلك الأبحاث والمطولات ، ونبهوا على ضرورة تهذيب النفس واعتنوا بذلك وأوصوا الانسان بملاحظته فى نفسه وأهله وولده ومريديه ، مشيرين الى واجب كل راع ومسئوليته عن رعيته •

ولقد نبهوا الى ضرورة عناية الأب بأولاده ورعايتهم حتى قبل ولادتهم ، وذلك عن طريق الرعاية للأم والخادم والمخالطين والمعاشرين وأداء كل حق خاص

بهؤلاء • ويشمل هذا الحق بالنسبة للولد حق التسمية وحق التربية وحق القدوة وحق الاسكان والاطعام والانفاق وغير ذلك من أنواع الحقوق والواجبات •

وفى كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى غنية لمن أراد ، وفيه دلالة كافية على مدى ما وصل اليه الصوفية من علم غزير بالنفس الانسانية وما يتصل بها من عقل وروح وطرق تربيتها على أسس سليمة ، ومن ذلك — على سبيل المثال — ما أورده تحت عنوان : بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم :

« اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل : « **يأيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا ٦٦ : ٦** » •

« وصيانته بأن يؤذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعود التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الأبد •• ينبغى أن يراقبه فى أول أمره فلا يستعمل فى حضانته وارضاعه الا أمرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذاوقع عليه نشو الصبى انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ••

« وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغى أن يؤدب فيه مثل الا يأخذ الطعام الا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وألا يبادر الى الطعام قبل غيره وألا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وألا يسرع فى الأكل وألا يوالى

بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه... الخ » .

وفى مختلف كتب التصوف أبواب وافية تدور حول هذه المعانى وغيرها مما يتصل بالنفس وسياستها ووضع علماء الصوفية مناهج لسياسة النفس وتهذيبها وطرق جهادها ، نقرأ ماكتبه الشيخ حسن رضوان فى كتابه روض القلوب المستطاب فنجده قد تحدث عن النفس والروح ومقام خلافة الروح وما يلزمه من الجند والأعوان ورئيسهم فى ذلك العقل .

ثم تحدث عن سر ايجاد النفس وأنها علوية الأصل ، وسر ايجاد الهوى وجنده والشهوات المغذية للنفس والمدة لها وأن هناك معركة دائرة فى داخل الانسان بين الهوى والروح وميل النفس مع الهوى ، ورسم الطرق التى تتغلب بها الروح فى معركتها المستمرة مع النفس وشهواتها ، ثم يتعرض لمراتب النفس وألوان جهادها فى كل مرتبة حتى تصل الى كمالها المنشود .

ولا نتعرض لرأى المؤلف بقدر ما نتعرض لاثبات قدرة الصوفية على ادراك أسرار النفس ادراكا مبنيا على الكشف والالهام الذى لا يخطىء بهما واحد منهما لأنه مستمد من نور الله جل وعلا .

النزاع بين الروح والنفس :

يقول السيد محمود أبو الفيض المنوفى فى كتابه المدخل الى التصوف الاسلامى : اعلم ــ علمك الله من علمه وأمدك بهدايته ــ أن النفس والقلب والروح خط واحد يمكنك تصوره خطا رأسيا يبدأ بنقطة هى الروح ويتوسط بنقطة هى القلب وينتهى بنقطة هى النفس . على أن تتصور أن النقطة الأولى المبدئية تتجه ناحية الألوهية والنقطة السفلى تتجه ناحية الجسم بغرائزه وما جبل عليه من الصفات الأرضية ، وقد أراد الله عز وجل للنفس رعاية تلك الصفات لحفظ الحياة ، فان بالغت فى ذلك وانسجمت مع صفات الجسم كان أعظم مبتغاها الدنيا لا الآخرة وأنانيتها المرتبطة بالجسم وليس الله ولا طاعته ولا

شكره — أما القلب ففى درجة بين حالتين : حالة سماوية روحية وحالة أرضية بهيمية ، ولذلك كان القلب محل النزاع بين النزعات الروحية — التى تتجه بها الروح الى أعلى — وحالة أرضية بهيمية — التى تتجه بها النفس الى أسفل — ولذلك كان القلب محل النزاع بين الروح والنفس • وفى مثل هذا الموقف يعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم أدب الدعاء قائلا : يا مقلب القلوب والأحوال حول قلبى الى أحسن حال • وفى حالة سمو القلب وصلاح حاله مع الروح يرتفع صاحبه الى أعلى عليين ويستحق بذلك نظر الله اليه مصداقا للأثر القدسى : ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن •

ويمكن أن نعبر عن القلب بأنه العرش الذى صوره الشيخ حسن رضوان فى كتابه السابق ، وهو فى المملكة التى يتنازع عليها سلطان الروح وسلطان النفس • والروح — فى رأيه — هو خليفة الله فى أرضه وأقام له مدينة هى الجسم الانسانى وجعل فيها مسكنا للروح وعرشا هو القلب ، ووظف له جنودا تعينه على القيام بشئونه كالعقل وأيده بالفكر والحواس والحفظ والادراك وغير ذلك مما يحتاج اليه ، فالاحساس ينقل عن عالم المثال الى الخيال ، والخيال ما ينقله عن الاحساس الى المفكرة ، والمفكرة بدورها تلقن ما تنقله الى القوة المذكرة ، فينظر الفكر السليم فيما تنقله هذه القوة وينقيه من الأوهام العالقة به ويلقيه الى الادراك ، والادراك ينقله للحافظة فيستقبله العقل بعد ذلك محرضا الروح على استعماله والانتفاع به •

ولكى يؤدى الروح وظيفته فى هذه المدينة الجسمية لابد من أن تكون غير معرضة للضياع ، فلذلك أوجد الله فى الجسم نفسا تطلب اللباس والطعام والشراب والزينة وأوجد لها أعوانا تعينها على ذلك كالهوى وخصه بالشهوة القوية التى لها امتزاج بالعروق والدم ، وأمدها بقوة نارية هى الغضب ، ومن هنا نشأ الصراع بين الروح

والنفس لتفاوت أهدافهماواختلاف أغراضهما ، فالروح علوية تطلب العلو والنفس سفلية تطلب الهبوط ، وكل منهما استعان بجنوده للتغلب عن الآخر ، فأيهما غلب استولى على عرش المدينة وهو القلب وسخره فى خدمة أعراضه كما استولى على كافة ما يعين الآخر واستخدمه أيضا فى تحقيق أهدافه ، فاذا غلبت النفس استولت على العقل والقلب وأصبح الانسان بذلك نفسيا شهوانيا مسخرا كافة امكانياته فى خدمة لذاته وشهواته وانحط بذلك الى أدنى درجة من الحيوان « ان هم الا كالأنعام بل هم أضل » ونشأ عن ذلك جميع الصفات المذمومة التى يصير بها الانسان غير جدير بنظر الله اليه .

أما اذا غلب الروح فان النفس تنقاد له وبذلك يغلب الانسان هواه ويتحكم فى شهواته وملذاته ، **« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى »** وفى هذه المرحلة يصدق الأثر الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» انه بذلك يصبح انسانا علويا ربما ارتفع عن درجة بعض الملائكة .

ربما كانت بعض هذه المعانى غير قاصرة على الصوفية فقد فكر فيها غيرهم — كما يقول الدكتور عبد الحكيم حسان فى كتابه التصوف فى الشعر العربى حيث أورد عن الفرزدق الشاعر العربى وهو ليس صوفيا قولا يدور حول أن الانسان له نفسان احداهما خيرة والآخرة شريرة ، وجعل النفس الخيرة مصدر كل خلق حسن ، والشريرة أساس كل خلق سيىء ، وشعره فى ذلك :

لكل امرىء نفسان : نفس كريمة
وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى
اذا قل من أحرارهن شفيعها

ولعل الفزروق أتى بهذا المعنى من بعض الآثار الدينية فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : فى الانسان نفس وروح بينهما شعاع كشعاع الشمس .

يؤيد ما قلت فيما تقدم من أن الصوفية لهم معرفتهم بأحوال

النفس ومراتبها وطرق سياستها وتهذيبها وأن الروح والنفس يتنازعان ما أورده السلمى فى طبقاته عن أبى بكر الحسين ابن على بن بزدانيار من قوله « الروح مزرعة الخير لأنها معدن الخير ، والنفس والجسد مزرعة الشر لأنها معدن الشهوة ، والروح مطبوعة بارادة الخير والنفس مطبوعة بارادة الشر ، والهوى مدبر الجسد والعقل مدبر الروح ، والمعرفة حاضرة فيما بين العقل والهوى ، والمعرفة فى القلب ، والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان ، والهوى صاحب جيش النفس والعقل صاحب جيش القلب ، والتوفيق مدد العقل والخذلان مدد الهوى والظفر لمن أراد الله سعادته والخذلان لمن أراد شقاوته » .

وعلى هذا فسر صاحب كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف الروح بأنه نسيم طيب يكون به الحياة والنفس بأنها ريح حارة تكون بها الحركات والسكنات والشهوات .

واجب العاقل : والانسان العاقل مطلوب منه على أى حال أن يظل فى وعى تام لما يدور داخل نفسه ، وعليه أن يستمر فى جهاد شهواته والتغلب على وساوسه حتى يصبح مثاليا جديرا بأنه فى معية الله مع المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر بعد أن ينعم فى دنياه بجنة الرضا التى تذوقها بعض العارفين من قوله تعالى « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** » قالوا الحياة الطيبة هى الرضا . وحقا فما أطيب الحياة فى نعيم الرضا عند الله وبالله « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

مراتب النفس : يقول الصوفية: ان المريد فى جهاده نفسه ينتقل من مرحلة الى مرحلة ، وهذه المراحل هى مراتب النفس . وأولها : مرتبة النفس الأمارة بالسوء وهى التى جاء فيها على لسان امرأة العزيز أو يوسف عليه السلام « **وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربى أن ربى غفور رحيم** » .

وهذه المرتبة يتدرج تحتها عامة البشر ، وتظل النفس فيها موسوسة لصاحبها بالشر مرغبة له فى الباطل حتى يوفقه الله الى الانتباه واليقظة ويدله على من يرشده الى سواء السبيل فيلجأ الى التوبة ويأخذ نفسه بالاستغفار والطاعات حتى تقوى بواعث الخير فيه ويشتد اقباله على الله .

وتأتى بعد ذلك **المرتبة الثانية** : وهى مرتبة النفس اللوامة ، وهى التى يقسم الله بها فى قوله تعالى « **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة** » وهى نتيجة للمرتبة الأولى التى تثمر الزواجر النفسية التى تحذره من الاقتراب من الشر والابتعاد عن السوء ، ويظل الانسان فى تأنيب لنفسه وندم على ما فاته من طاعات . كما يظل فى مراقبة دائمة ومحاسبة ملازمة ويقظة لدوافع النفس ووساوسها حتى يصبح طيعا لفعل الحسن مستجيبا لعمل الصالحات تلقائيا فى مقاومة الذنوب والمعاصى .

وتثمر هذه المرحلة **مرحلة النفس الملهمة** التى يصبح الانسان فيها قادرا على تلقى الفيوضات الالهية قادرا تماما على التمييز بين الخير والشر صادق الفراسة فى معرفة ما يلتبس من الطرق ويشكل من الأمور

لقد أصبح الالهام الصادق دليل المريد فى هذه المرحلة بحيث يمكنه التقدم فى طريقه دون أن يخشى وساوس النفس والشيطان .

ويلى ذلك مرتبة **النفس المطمئنة** التى يخاطبها المولى عز وجل « **يأيتها النفس المطمئنة** » وهى مرتبة تؤهل صاحبها للارتفاع عن مواطن الغرور والانخداع بما يراه من اكرامات تحيط به وعن مواقع الانقباض حين يتعرض للشدائد والنوازل التى تلم به ، ان أنسه فى هذه المرحلة بربه واطمئنانه الروحى يعينه فى كل موقف يتعرض له .

وتأتى **النفس الراضية** كثمرة للاطمئنان القلبى ، حيث تقبل النفس على مقام الرضا الذى تنكشف فيه الحجب وتنبعث

الأنوار ، ويفيض الله على صاحب هذه النفس علما وسعادة بكل مايلقاه ، فى هذه المرتبة ـ يقول القائل : ليست الكرامة أن تمشى على الماء أو تتربع فى الهواء ولكن الكرامة أن تدخل يدك فى جيبك وقد تعودت أن تجد فيه ماتريد فتخرجها وليس فيها شىء فلاتتأثر، وفى هذه المنزلة يقول ابن خفيف « الرضا سكون القلب الى أحكامه وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره » وفيها تقول رابعة العدوية حين سئلت متى يكون العبد راضيا ؟ : اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة ـ انها حالة أحد الصوفية الذى يقول « أحببت الله حبا هون على كل مصيبة ورضائى بكل بلية » •

والمرتبة السادسة **هى النفس المرضية** وهى التى يقول الله فيها وفيما قبلها « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وهى وما قبلها متداخلتان مترتبتان على الاطمئنان القلبى والسموالروحى ، ألا ترى الله جل وعلا يخاطب أصحاب المراتب الثلاث : **يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ؟**

وهذه المرتبة السادسة من أعلى درجات السلوك ، ويستحق المريد أن يكون فيها خليفة الله فى أرضه لأنه وصل الى الكمال الذاتى • حيث يتحقق بعدها **بالمرتبة السابعة وهى مرتبة النفس الكاملة وهى** درجة الأنبياء ومن على قدمهم من أفراد يختارهم الله ويوفقهم للجهاد الصادق حتى يصلوا الى أقصى درجات الكمال • ان توصيف هذه المراتب دليل على علو كعب هؤلاء الصوفية فى مجال التربية ورغبتهم الصادقة فى الأخذ بيد أبنائهم ومريديهم الى أعظم الغايات ، ويتحقق ذلك بالسمو الأخلاقى والجهاد النفسى •

اختلاف الأذواق فى التربية :

ولكل مرتبة من هذه المراتب ألوان خاصة من المجاهدات والارشادات يتمكن بواسطتها المريد من الانتقال من مرحلة الى أخرى •

الصوفية هم أدرى الناس بما يناسب كل حالة من هذه الحالات ، فلكل انسان ذوقه الخاص وشخصيته المستقلة وخصائصه التى قد تختلف عن غيره قليلا أو كثيرا ، فما يصلح لشخص من المجاهدات قد لايصلح الآخر وما يتناسب مع مرحلة قد لا يتناسب مع أخرى ، وارشاد الشيوخ فى هذه الحالات مبنى على الالهام والمدد الروحى والفراسة الصادقة التى قلما تخطىء • وهذا الارشاد هو الذى يوجه المريد ويأخذ بيده ويضع له الفهم الذى يلائمه •

والصوفية حين يوجهون أنظارهم فى التربية الى النفس انما هو اتيان للبيوت من أبوابها ، فالمفروض أن النفس مصدر كل شر ، وهم لذلك ــ كما يقول صاحب كتاب التصوف فى الشعر العربى ــ أقاموا جانبا ضخما من حياتهم الروحية العملية على مجاهدة النفس ومحاربة رغباتها ، وجملة وصف النفس عندهم معنيان : الطيش والشره ، فالطيش عن الجهل والشره عن الحرص ، وهما فطرة النفس ، فمثلها فى الطيش كمثل كرة أو جوزة فى مكان أملس مصوب سكونها بالمنة ، فان أشرت اليها أو حركتها أدنى حركة تحركت بوصفها وهو خفتها واستدارتها ، وصورتها فى الشره المتولد من الحرص أنها على صورة الفراشة التى تقع فى النار جاهلة شرهة وتطلب بجهلها الضوء وفيه هلاكها ، فاذا وصلت الى شىء منه لم تقتنع بيسيره لشرهها فتحرص على الغاية منه وتطلب عين الضوء وجملته وهو نفس المصباح فتحترق •

ومن هنا ارتكزت فلسفة الصوفية فى الأخلاق على محاربة النفس ورغباتها حتى ترتاض وتسكن الى مايغمرها به القلب من نفحات الخير ، وقد بالغوا فى ذلك حتى رأوا تقابلا بين قوة النفس والجسد من ناحية ، وقوة القلب والروح من ناحية أخرى ، وأن أى زيادة فى ناحية منهما تستتبع نقصا فى الناحية المقابلة •

لقد أصبحت المشقة شيئا مقصورا لدى الصوفية فلا وصول

الى درجة الكمال الا بالجهـــاد •

والشاعر الصوفى عمر بن الفارض رضى الله عنه يصور لنا مجاهداته فى قصيدته « نظم السلوك » وكيف تحول بنفسه من مرتبة الى مرتبة ويحض غيره على مجاهدة النفس وتنقيتها فيقول :

ولا تتبع من ســـولت نفســه له
فصـــارت له أمارة واســــتمرت
ودع ما عداها وأعد نفسك فهى من
عداها وعذ منهــا بأحصن جنــة
فنفسى كانت قبل « لوامة » متى
أطعها عصت أو أعصى كانت مطيعتى
فأوردتها ما الموت أيسر بعضــــه
وأتعبتهــا كيمــا تكــون مريحتى
فعادت ومهما حملته تحملته منى
وان خففت عنها تأذن !؟

ولأن اجتياز هذه المراحل لايمكن أن يتم بدون موجه : اشـــترط الصوفية وجود المرشد والدليل •

يتبع بتوفيق الله •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

« السنة مصدر التشريع »

يرى الفقيه ابن حزم أن قوله تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » لا يقتصر الحفظ على الكتاب وحده بل يسرى الحكم على الســـنة أيضـــا •

العقلية العلمية في الإسلام

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم ، وسمى العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا يحسن . والعقل فى اللغة : ضد الحمق . ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل . قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع

والى العقل الفطرى المطبوع ، يشير ماروى الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل » . وكذا ما جاء من ان : « أول ما خلق الله العقل » ..

والى العقل المكتسب يشير ماروى :«ماكسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى ، أو يرده عن ردىء » .

ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى أثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هى الاشادة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه،للوصول الى مايفيد الانسانية فى مسيرتها عبر الحياة ..

ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشتقاته ومترادفاته ومعانية المختلفة فى أكثر من ثلاثمائة وخمسين آية . مستخدما لذلك كل الالفاظ التى تدل عليه أو ترشد

وتشير اليه من قريب أو من بعيد من التفكر والتدبر ، والتذكر ، والحكمة واللب ، والنظر ، والرشد والرأى ، والعلم ، والفقه ، والقلب والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والالفاظ التى تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها • مما يعتبر ايحاءات قوية بدور العقل ، وأهميته بالنسبة للانسان •

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصلح العيوب ويشرح الصدور •• وليس أتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل فى القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه فى الحياة الانسانية •

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذى ميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذى امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء والمتعقلون • قبل أن يصبح العقل درسا يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، واثرا فى داخله ، وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يئول اليه •

العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ••

العقل فهم وفكر يتقلب فى وجوه الاشياء ، وفى بواطن الامور ••

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال •• العقل روية وتدبير •• العقل بصيرة تنفذ وراء الابصار •• العقل ذكرى تأخذ من الماضى للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وتحفظ وتعى ، وتبدىء وتعيد • والعقل بكل هذه المعانى موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل أمر بمعروف ، وكل نهى عن محظور • أفلا يعقلون ؟ أفلا يتفكرون ؟ أفلا يبصرون ؟ أفلا يتدبرون ؟ أليس منكم رجل رشيد؟ أفلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ، ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء » •

والاشارة الى العقل لا تأتى فى القرآن الكريم عارضة ، ولا مقتضبة فى سياق آية ، بل هى تأتى فى كل موضع ، مؤكدة باللفظ والدلالة .

وتتكرر الاشارة الى العقل فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، أو يلام فيها الفكر على اهمال عقله ولا يأتى تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة . بل هى تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها .

فلا ينحصر خطاب العقل فى العقل الوازع ، ولا فى العقل المدرك ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصادق، والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب فى الآيات القرآنية ، كل ما يتسع له الذهن الانسانى من خاصة أو وظيفة ..

فالعقل فى مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الاخلاقى أو المنع من المحظور والمنكر ..

ومن خصائص العقل الانسانى التى تميز بها :

أولا : أنه ملكة الادراك التى يناط بها الفهم والتصور . وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الاخلاقى ، وادراك أسبابه وعواقبه تستقل احيانا بادراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهى ..

ثانيا : ان العقل يتأمل الأمر ، يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبنى عليها نتائجه وأحكامه ..

ثالثا : ومن أعلى خصائص العقل « الرشد » . ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل .

الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم . لأن الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف ، وعليها مزيد من النضج والتمام والتمييز ..

والعقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ، ويوازن بين الأضداد ، ويتبصر العواقب والنتائج ، ويتدبر ويحسن الادكار والرواية .

ومن هذا المنطلق الاسلامى ، تعمق العلماء المسلمون فى علوم الحياة والحضارة الانسانية ، بعقلية عملية ، فكان منهم نوابغ الأطباء والفلكيين والرياضيين والكيمائيين ، وأوائل من اكتشفوا حقائق علمية فى مجالات كانت أول المعالم على طريق الباحثين والدارسين .. وكان العلماء المسلمون ينظرون الى الكون وما فيه : على أنه أمور موضوعة للدراسة والبحث والانتفاع .. ومن الحوادث الدالة على العقلية العلمية الموضوعة فى الفكر الاسلامى ، ما حدث مصادفة أن كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال قوم : ان الشمس كسفت لموت ابراهيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » .

وهكذا يقرر الرسول الصادق الأمين ، مبدأ علميا ، ظل أبد الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد .

وفى حادثة فيضان النيل بالاقليم المصرى ، موضوعه علمية ، تدل على نظافة الفكر الاسلامى ، وطهارته . وذلك أنه كان الاعتقاد السائد فى مصر قبل الفتح الاسلامى : أن النيل لا يفيض بمائه الا اذا القيت فيه فتاة حسناء لتموت فيه غرقا . فلما حان وقت ذاك . كتب الوالى عمرو ابن العاص الى خليفة المسلمين عمر ابن الخطاب ، فى المدينة المنورة، عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره ويستشيره فيما تعود عليه المصريون . فأجابه عمر ، بارسال رسالة يلقيها فى النيل ، وكان فى الرسالة : « من عمر أمير المؤمنين الى النيل . ان كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك . وان كنت تجرى بفضل الله ، فاللهم بارك لنا » .

وبهذا قضى المسلمون على اسطورة ليس لها واقع علمى أو عقلى فى الحياة ...

وبالعقلية العلمية ، كانت علوم المسلمين ، هى أساس الحضارة فى

العصر الأول وأخذت الحـــركة العلمية تتدرج فى أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسـعة أطلوا منها على حضارات العالم . وكان المســلمون يعرفون المنهج الاســـتقرائى حـق المعرفة ، وينتقلون من المعلوم الى المجهول ويقومون بدراســة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلول الى العلة ..

ولما كان العقل فى الاســلام له هذه العناية الفائقة من التقـدير ، فقد اتخذ له الاســلام منهجا فريدا ، فى تحريره ليظل العقـــل عاقلا ، والفكر راشــدا .. وهذا المنهج الاسلامى يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراســة العقل حتى لا يضـــل فى المتــاهات الفلسفية ..

ومن شأنها أيضا ترشيد الفكر ، حتى يعمــل فى ميـادين الخير ، وما يفيد المجتمع الاســـلامى والانســانى .

وأول دعامة فى المنهج الاسلامى فى تحرير العقل والفكر هى تحرير الانسان من أصفاد الجهل وظلمته .. لان الجهل يقتل مواهب الفكر والنظــر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمى البصـــائر ، ويميت عناصر الحيــــاة والقــوة فى الأفـــراد والجماعات والأمم .. ويفسد على الناس مناهج الاســـــتقامة ، والسلوك المستقيم .. والجهل هو الذى يجعل النفوس مســتعدة لقبــول الزيف والبدع والأهــواء والخرافات والأساطير ..

والدعامــة الثانيــة فى المنهـج الاسلامى .. هى تحرير الانسان من اغلال الحجر العقلى ، وسيطرة التبعية العميـــاء ، وتربيته تربية اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واســتقلال الارادة . ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية .. لان كمال العقل ، واستقامة التفكير ، أساس فى صـــحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذى يجب أن يتبع ومعرفة الباطـــل الذى يجب أن يجتنب .

وقد عنى الاسلام ببناء تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلى

عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح ٠ وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وانذر الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا كتاب ، قال تعالى فى سورة الحج ٠

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » ٠ الآيتان ٨ ، ٩

والدعامة الثالثة فى المنهج الاسلامى ٠٠ تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الاعمى لمغرياتها ٠٠ لان طاعة الاهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان فى سلوكه والتوائه فى نظره وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الاهواء لا يستقيم لهم رأى ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس فى جانبهم ٠٠

ولهذا عنى الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعى عليهم ضلالهم وانحرافهم ، فقال تعالى فى سورة القصص : **« فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين »** الآيه ٥٠

وعن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ٠٠

قال الحافظ الأمام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهى وغيرها فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه ٠٠

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامى أن يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به فى الطريق المستقيم ٠٠ فان الاسلام اتبع ذلك بمبادىء قيمة ، من شأنها أن تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام ٠٠

أولا : ان الناس فى الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء

لن يكونوا متماثلين . ولا متشابهين .. لان الناس على درجات مختلفة ، ومراتب متباينة .. فهناك فريق من الناس قد لا تهىء له حالاته والظروف المحيطة به الا شذرات من المعرفة .. وثمة فريق آخر لم تعده وراثته الا للسطحى من الأشياء وكم من الناس من قصرته البيئة على القشور من الحقائق ، وكم من الناس من حصرته التربية فى دائرة ضيقة من المرئيات .. وهناك من سجنته الخرافات والأساطير .. ومن الناس من جرفه تيار المادة ، فلم يعد يرى الأشياء الا بمنظار مادى .. لهذا طالب الاسلام مختلف المستويات الانسانية بالنظر والتأمل والتفكير فى ملكوت السموات والأرض ..

قال تعالى فى سورة الغاشية : **« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الارض كيف سطحت »** .

الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

وقال تعالى فى سورة ق : **« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب »** .

الآيات ٦ ، ٧ ، ٨

وهناك كثير من الآيات التى تدعو الى التفكير والنظر فى السموات والأرض وما خلق الله فيهما .. ليصل الانسان الى الايمان بالله ، فيرتقى الى السمو والكمال ..

والانسان بدون ايمان بالله لا قيمة له ولا اعتبار .. ولهذا نرى المجتمعات المادية والالحادية ، تساق كما تساق السائمة ..

ويسوقها قطيع من الذئاب البشرية . وقد حرمت هذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لأفرادها أى شأن ..

ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكر والتدبر . بل استنهض العقول ووجه

الافهام ، وأيقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان الآيات الكونية والتشريعية والاجتماعية بمثل قوله تعالى فى سورة الرعد : **« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »** .

ختام الآية ٤

وقوله تعالى فى سورة الرعد الآية ٣ وسورة الزمر الآية ٤٢ وسورة الجاثية الآية ١٣ **« ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** .

وقوله تعالى فى سورة طه : **« ان فى ذلك لآيات لأولى النهى »**

ختام لآيه ٥٤

وقوله تعالى فى سورة يونس : **« ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »**

الآيه ٦٧

وقوله تعالى فى سورة الرعد : **« انما يتذكر أولوا الالباب »** .

الآيه ١٩

ثالثا : بشر الاسلام الذين يستمعون القول فينظرون اليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويهدى الى الرشد .. كما قال تعالى فى سورة الزمر : **« فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب »** ..

ختام الآيه ١٧ والآيه ١٨

وهكذا نرى أن الاسلام قد عمل على تطهير النفوس من الاغراض الخفية والأهواء الدفينة .. لان ذلك من أكبر العوامل فى اعتدال النظر واستقامة التفكير . ومن هنا كانت حملة الاسلام شديدة على الذين لا يستعملون عقولهم ، وما وهب الله لهم من قدرات ذهنية .. ضاربين فى بيداء الضلال، ومنقادين وراء سراب كل البدع والاهواء .

واذا كان الاسلام يدعو الى تحرير الانسان من أصفاد الجهل واغلال الحجر العقلى وسيطرة التبعية العمياء ــ كما عرفنا فى دعائم المنهج الاسلامى فى تحرير العقل ــ فان ذلك يعنى أن التقليد الذى ذمه الاسلام . هو التقليد الذى لا يميز بين الخير والشر وتقليد أهل الغواية والضلال .

أما تقليد أهل الحق من الأئمة

والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة •• فهو من قبيل القدوة الواعية •

وحرية الفكر التى دعا اليها الاسلام هى الحرية التى تطلق العقول والافهام من اغلال الحجر العقلى ، والكبت الفكرى ، وتجلى معالم الحقائق ، وتجعل قيادة التوجيه • قيادة بناء واصلاح وارشاد •• تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته•

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الاساسية والاعتقادية فى حياة الناس •• أما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذى يزن كل معطيات الحواس •• ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى فى سورة الاسراء :

« ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » الآية ٣٦ •

وهذه الاية تنهى عن اتباع مالم يقم به علم يستند الى حجة سمعية ، أو رؤية بصرية ، أو براهين عقلية ، وهى طرق الاستدلال التى تنحصر فى العقليات والسمعيات والمحسوسات •

لهذا كله أقبل المسلمون على العلم ينشدونه فى مظانه ، ووجهوا عزائمهم على الفكر الاصيل، القائم على توجيهات الاسلام •

واننا نجدهم اهتموا بشىء واحد وعرفوا شيئا واحدا ، هو الاسلام والفكر الاسلامى •• فانتبهوا الى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية •• وآيات الله الاجتماعية وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية •• ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة ، ولم يثن عزائمهم بأساء الحياة •• وأقاموا الحضارة الاسلامية التى تخطت مراحل النهوض فى تاريخ النهوض والامم •

واستطاعوا فى سرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ أن ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم ، وقادة الفكر والرأى ،، ورواد المعرفة والحضارة •

وبحثوا ، ودرسوا ، وأضافوا وجددوا ، وابتكروا ، فكان ذلك النتاج الحضارى الاصيل ، وقد حققوا ذلك على الرغم من الاحداث العاتية التى حملوا أعباءها والحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها .

لان الاحداث والخطوب ، وان بلغت ما بلغت ، لاتستطيع أن تقف فى طريق العقائد التى انطوت عليها القلوب ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها .. ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب أن نقول انه لاول مرة فى تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص ، جعلتها فريدة فى التاريخ وفريدة فى تحقيق ما يسعد الانسانية .. وهذى الخصائص والميزات نجملها فى النقاط التالية :

أولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الاساسى للقيم الحضارية ، قال تعالى فى سورة الرعد : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » الآية ٢٨

والايمان بالله قوة دافعة ، تسند الضعيف أن يسقط ، وتمسك القوى أن يجمح ، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر ، وتمنع المغلوب أن ييأس . وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم ، وعماده الرضا والقناعة ، ونور الامل فى الصدور .

ولهذا كرر رب العزة ، النداء فى القرآن الكريم بصيغة « **ياأيها الذين آمنوا** » وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل أنواع الخطاب ، ابانة لحقيقتهم هذا الى ما ينطوى عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .

وفى النداء يا أيها الذين آمنوا زيادة ايناس وتكريم ، لان أحب شىء الى الانسان هو أن تناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الاشياء منهم اليه . وما فى الانسان شىء أقرب الى الله من الايمان به .

والله حينما يتوجه الى المؤمنين من خلال ايمانهم ، فسيكون التالى تعليما بموجبات هذا الايمان ، وحثا على القيام بها ، فى أى شأن من الشئون ، وفى أى درب من دروب الحياة .. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فى القرآن الكريم بهذا النداء « **يأأيها الذين آمنوا** .. » فى ثلاثة وثمانين موضعا .. والآيات الثلاث والثمانون فى جملتها ، تبين أن الاسلام قد انطوى على طاقة روحية فعالة ، جعلت منه قوة هائلة .

بل ان فاعلية الاسلام شملت حياة المسلمين فى جميع جوانب الحياة .. وهذه الايات كانت ومازالت أصلا جذريا يمس أساس الاوضاع فى حياة الناس .. والاسلام فيها يراعى حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية ، فى حدود الحق والفضيلة والعدل .. والاسلام فيها وليد العقيدة التى تطهر النفس ، وتذكى القلب ، وتربى الخلق وتغذى العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها .. وتعطى كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتى وسيره الطبيعى .

والاسلام فيها : عقيدة استعلاء يبعث فى روح المؤمن الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة فى غير اغترار ، والشعور بالاطمئنان من غير تواكل » .

وأثر الايمان يبرز بوضوح فى الحضارة الاسلامية التى غيرت وجه التاريخ .

ثانيا :

ومن الخصائص البارزةللحضارة الاسلامية ، انها تقوم على خلوص النية ، ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق كانت الاخلاق هى الارادة المنفذة ، والضمير الموجه . وجملة ما يراد أن يقال أن الاخلاق التى جاء بها القرآنشملت الحياة كلها من التعاون ، والمودة ، والعفة ، والرحمة ، والاحساس ، والصدق ، والاخلاص،والاستقامة والنظافة ، والنظام ، والاصلاح ،

والاخاء ، والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، وحسن الضيافة ، والتضامن ، والتكامل ، والطهر ، والعفو ، والحب ، والشكر ، والتسامح ، والسلام •

ولم يكتف القرآن بهذا بل تأكيدا لتهذيب الاخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والغضب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث ، والكذب وشهادة الزور ، والبطر ، والجبن والخلاعة ، والميوعة ، والابتذال ، والارتخاس ، والنميمة والسرقة ، والخمر والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتنابز بالالقاب ، والتدابر ، والتباغض ، فرسالة الاخلاق فى الاسلام اعلاء كلمة الحق ، واقامة ميزان العدل فى الخلق •

ثالثا :

وفى الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية ، وفلسفة الاقتصاد الاسلامى ، تستهدف مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة والموازنة والمواءمة بينهما ، وتحدد أهداف النشاط الاقتصادى وفقا لمبادىء الاسلام ، وتقرر فى وضوح أن الانسان خليفة الله فى الارض وبمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه ومن هذا المنطلق الاسلامى كان الاقتصاد فى الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب الاقتصادية بسياسة لا ترتكز على الفرد شأن الاقتصاد الرأسمالى ، ولا على المجتمع شأن الاقتصاد الاشتراكى فان الاقتصاد الرأسمالى يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاحمة ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة ••• والاقتصاد الاشتراكى يقوم على حيوانية الانسان ، وقتل غريزة التملك ، ووأد كل القيم والفضائل الانسانية أما الاقتصاد الاسلامى فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع ، وتضم هذه الفلسفة المتميزة فى اطارها مطالب المادة ، ومشاعر

الروح ، ومكارم الاخلاق .. وفى سبيل هذا الاطار الاقتصادى المتميز حرم الله الربا ، والغش ، والسرقة ، وأكل أموال الناس بالباطل .

وقد أثبت التاريخ أن الذين تربوا فى مدارس القرآن ، هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة واعتدل فى أيديهم ميزان الحق ، والعدل .

ولقد كانت الامة الاسلامية تزدهر بالعلم والحضارة شرقا وغربا ، وتنتشر فيها أرقى الصناعات على اختلافها ، وماتركه المسلمون من تراث علمى ، لاكبر شاهد على ذلك .

أحمد عبد الرحيم السايح

(رجاء الى كتاب مجلة الأزهر)

تسهيلا لعمليات المراجعة : يرجى من السادة كتاب المجلة : التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (الترابرايتر) ثم مراجعتها ــ أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية ، وتخريج الأحاديث النبوية ــ والله الموفق .

من سماحة الاسلام في معاملة غير المسلمين

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

من المؤسف حقا أن شرذمة من أعداء الاسلام وصمت المسلمين بالتعصب دون برهان أو دليل بل تجنيا وجهالة وكيدا وحقدا منهم على الاسلام وأتباعه من المسلمين ٠

وما من شك فى أن الاسلام ونحن ندين به يقتضينا أن نرد عنه كيد هؤلاء الحاقدين فنكشف ولو عن شىء من سماحته وكرمه مع المخالفين له فى العقيدة والدين وقبل أن نبين كيف كانت سماحة الاسلام نشير الى شىء من أحوال الأمم التى سبقته من اليهود والرومان مع مخالفيهم فى الدين والعقيدة ٠

كيف كانت علاقة اليهود مع خصومهم فى العقيدة ؟

لم تعرف اليهودية السماحة فى معاملة خصومها فى العقيدة ويشير الى ذلك العهد القديم من الكتاب المقدس (وهو كتاب اليهود الأول) طبقا لما يلى :

١ — ورد بسفر التثنية فى الاصحاح العشرين من عدد ١٠ — ١٤ قوله (حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك — وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها — واذا دفعها الرب الهك الى يدك فأضرب ذكورها بحد السيف — وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل

غنيمة أعدائك التى أعطاك الـرب الهك ـ هكذا تفعل بجميع المـدن البعيدة منك جدا التى ليسـت من مدن هؤلاء الأمم هنا .

وأما مدن هؤلاء الشـعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ..) .

٢ ـ وقد قتل سبط لاوى أحد شعوب اسرائيل بعضـا من بنى عمومتهم قدر بنحـو ثلاثة آلاف رجل يشير الى ذلك سفر الخروج فى الاصحاح ٣٢ عدد ٢٦ ـ ٢٨ فى قوله (وقف موسى فى باب المحلة وقال من الرب فالى فاجتمع اليه جميع بنى لاوى فقال لهم هكـذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كـل واحد سـيفه على فخـذه ومروا وارجعـوا من باب الى بـاب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحـد قريبه ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى ووقع من الشعب فى ذلك اليـوم نحو ثلاثة آلاف رجل) .

٣ ـ وينسبون الى موسى عليه السلام أنه أرسل اثنى عشر ألف رجل من اليهود لمحاربة أهل مدين فلما انتصر اليهود عليهم قتلوا كل ذكر منهم وكذا خمسة ملوك وسبوا نساءهم وأطفالهم ونهبوا جميـع بهائمهم وجميـع مواشـيهم وكل أملاكهم وأحـرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ـ وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من النـاس والبهـائم وأتوا الى موسى عليه السلام لكنه على حد زعمهم سـخط منهم لأنهم أبقوا الاناث الثيبات والأطفـال الذكور ثم أمرهم بقتل كل طفل ذكر وكل امرأة سبق لها الزواج ـ وأن يبقوا فقط على البنات الأبكار وكل ذلك مسطور بتفصيله فى الاصـحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد من ١ الى ١٩ .

٤ ـ ويذكرون عن داود عليـه السـلام أنه عند حربه لأعدائه لم يستبق منهم رجـلا ولا امرأة واسـتولى على غنمهم وأبقارهم وحميرهم وجمالهم وثيابهم وقـد ورد ذلك فى الاصحـاح السـابع

والعشرين من سفر صموئيل الأول عدد ٩ .

٥ — كما ينسبون الى داود أيضا أنه كان يمثل بمن يحاربهم تمثيلا شنيعا ففى احدى مدن فلسطين وكانت تدعى فى الماضى مدينة ربة (أخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد وأمرهم فى أتون الاجر — أى أحرقهم — وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون — وقد وردت هذه الواقعة فى الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى عدد٣١ .

كيف كانت علاقة الدولة الرومانية مع المخالفين لها فى العقيدة والمذهب ؟

لما كانت الدولة الرومانية تدين بالوثنية استعملت شتى صنوف العسف والاضطهاد للمخالفين لهافى العقيدة من رعاياها الذين تحتل أرضهم وبلادهم طبقا لما يلى — :

١ — دأب أباطرة الرومان على التنكيل باليهود خصوصا عند تحركهم للاستقلال فقد أحرقوا هيكل عبادتهم المنسوب الى نبى الله سليمان عليه السلام ودمروا مدينة أورشليم (القدس) على من فيها من اليهود سنة ٧٠ م على يد الامبراطور تيطس الرومانى.

٢ — وفى سنة ١٣٥ ميلادية قام الامبراطور الرومانى آوريانوس بازالة معالم مدينة أورشليم (القدس) كما أزال معالم هيكل عبادتهم تماما اذ حرث الأرض وسواها وزرعها وطارد اليهود فى تلك المدينة ما بين قتل وتشريد فلم يبق بها يهودى واحد ورحل من استطاع الهرب منهم الى مصر وشمالى أفريقيا وأسبانيا وأوربا. وأقام ذلك الامبراطور الرومانى مكان الهيكل اليهودى هيكلا وثنيا باسم (جوبيتار) رب الآلهة عند الرومان وأكره — من بقى من اليهود على عبادة الامبراطور

٣ — ولما اعتنقت الدولة الرومانية ملة النصرانية عملت على فرض النصرانية على اليهود وفى

عهد الامبراطور فوقاس (سنة ٦٠٢ - سنة ٦١٠) طردهم من وظائف الدولة بالاسكندرية وأمر بتعميدهم كرها وقتل من يرفض التعميد منهم •

٤ - وفى عهد الامبراطور هرقل (سنة ٦١٠ - سنة ٦٤١) أسهم اليهود فى نصره على سلفه الامبراطور فوقاس وترقبوا أن يكافئهم بتركهم أحرارا فى عقيدتهم فاذا هو أنكى وأقسى عليهم فقد نكث بعهده الذى أعطاه لليهود وقتل منهم عددا كبيرا جدا بمصر وبلاد الشام حتى لم يبق منهم الا من ساعده الحظ بالفرار أو الاختفاء •

٥ - ولم يسلم النصارى من ظلم وعسف حكام الدولة الرومانية وكان من هؤلاء بعض المصريين فنكلت بهم سلطات الدولة حتى لقد سالت دماء هؤلاء المصريين بشوارع الاسكندرية سنة ٢٠٢ م ونفت الدولة كثيرا منهم وقتلت آخرين بالسيف أو أحرقتهم بالنار أو الذبح قربانا لآلهة الوثنية سنة ٢٥٠ م •

٦ - ولما تولى الامبراطور دقلديانوس عرش الدولة نكل ذلك الامبراطور بأقباط مصر سنة ٣٠٤ م فنفى بعضا منهم وألقى بعضهم للوحوش الضارية فى حلقة الألعاب على مشهد من النظارة الوثنيين - وطوح فى السجون بالآلاف منهم - وهدم كنائسهم ولقد بلغ عدد الذين قتلوا فى عهده نحو (١٤٠) مائة وأربعون ألفا أكثرهم من أقباط مصر - ومازال الأقباط المصريون يذكرون هذا العهد الأسود ويسمونه عصر الشهداء ويتخذونه مبدأ للتقويم القبطى - ويبدءونه بحكم الامبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤١ ميلادية •

٧ - وحتى لما دانت الدولة الرومانية بملة النصرانية لم يسلم أقباط مصر من ظلمهم واعناتهم الوحشى لكنهم اصطلوا فى العهد النصرانى للدولة بمثل ما كانوا يصلونه فى عهدها الوثنى ذلك أن كنيسة بيزنطة اعتنقت المذهب

الملكى الذى يقوم على أن للمسيح طبيعتين الهية وبشرية بينما كانت كنيسة الاسكندرية تعتنق مذهب الطبيعة الواحدة أى أن المسيح له طبيعة واحدة .

ولقد حاولت سلطات الدولة الرسمية فرض مذهبها الملكى على أقباط مصر لكنهم رفضوا وأصروا على الاستمساك بمذهبهم فنكلت بهم الدولة وسامتهم صنوف القسوة والعذاب .

٨ ـ لما تولى الامبراطور فوقاس (سنة ٦٠٢ ـ سنة ٦١٠م) أمر بعزل الأقباط من دواوين الحكومة وأن يجبروا على طاعة كنيسة القسطنطينية .

٩ ـ ولما خلفه الامبراطور هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١ م) اشتد نزاع الأقباط مع سلطات الدولة ورمى كل فريق خصمه بتهمة الكفر والخيانة فزادت الدولة من غلوائها فى اضطهاد الأقباط حتى لقد خشى بنيامين بطريرك الاسكندرية على نفسه فاختفى عن عيون الدولة مدة عشر سنين ولم يخرج من المكان الذى اختفى فيه الا عندما جاء العرب بقيادة عمرو بن العاص وطردوا الرومان من مصر فرحب به وأعاده الى كرسيه فى بطريركية الاسكندرية آمنا على نفسه وأتباعه من الأقباط .

١٠ ـ والطوائف النصرانية فى مصر كانت تتقاتل فيما بينها قبل الفتح العربى وبعده ذلك أن البطريرك (نيودوسيوس) الملكانى المذهب والذى كان رئيسا لطائفة « الأروام » الحلقورينيين بمصر كان شديد الكراهية للأنبا (أغاثوا) بطريرك الأقباط الارثوذكس لأن الأول كان يريد أن يحتل مكانه على نصارى مصر جميعا فلما عجز عن تحقيق ما يريد حصل على اذن من يزيد بن معاوية بالولاية على نصارى الاسكندرية ومريوط ـ وبلغ من كراهيته للأقباط ولبطريقهم (أغاثوا) أن أمر أتباعه بأن يرجموا الأنبا أغاثوا بالحجارة حتى يقتلوه وتعهد لهم بأنه هو الذى يجيب عنهم فى يوم الدينونة .

١١ – ولقد لقى سكان الامبراطورية البيزنطية مثل مالقى سكان مصر من ظلم وعسف الامبراطور جستنيان الأول – فقد كان شديد القسوة فى معاملة من يدينون بمذهب مغاير لمذهب الكنيسة الملكانية وتوجز آراؤه عن الحكومة فى عبارة موجزة هى (حكومة واحدة وقانون واحد وكنيسة واحدة) ويذكر التاريخ أنه قتل من أقباط مصر فى مدينة الاسكندرية وحدها نحو مائتى ألف ، مما اضطر كثيرين منهم الى الالتجاء الى الصحراء •

وعلى الرغم من أن مخالفى مذهب الكنيسة الرسمية كانوا من رعية الدولة – وكانوا يؤدون ما يؤديه المواطنون من ضرائب وواجبات فقد حرم عليهم التمتع بالحقوق التى يتمتع بها أتباع الكنيسة الرسمية فحرم عليهم الاشتغال بالمهن الحرة – وأمر بهدم كنائسهم – وحظر عليهم الاجتماعات العامة – وأمر بألا تقبل شهادتهم القانونية وبأن تصير وصاياهم باطلة وألا يرثوا ولو كان الميراث بوصية اختيارية أو بغير وصية •

وبهذا أصبح المخالف للكنيسة الرسمية منبوذا من المجتمع واستحال النظام الكنسى الى عسف ثقيل وظلم كبير وكان من نتيجة ذلك أن انفجرت الثورة ضد الدولة وضد الكنيسة معا ولم تنته حتى قدمت من الضحايا عددا قدر بخمسة وثلاثين ألفا من القتلى •

وبسبب هذا الظلم وتلك القسوة المتناهية صاغ جماعة المتذمرين احتجاجا قويا أعلنوه قائلين (لقد فقد العدل من الدنيا ولن يعود – أما نحن فسنعود بل سوف نعود الى الوثنية الاغريقية) •

كيف عامل المسلمون خصومهم فى العقيدة والدين :

بادىء ذى بدء فان المسلمين يدينون بما قضى به الله سبحانه وتعالى لحكمة يعلمها بأن يكون الناس مختلفين فى عقائدهم وأهدافهم وقدرهم العقلية فالذى يريد الناس على الاتفاق فى كل

شيء مناهض لقضاء الخالق سبحانه — يقول جلت كلماته :

١ — (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) سورة هود ١١٨ ، ١١٩

ويقول سبحانه :

٢ — (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) سورة يونس ٩٩ ٠

كما يدين المسلمون بأن السعيد هو من شرح الله صدره للاسلام واذا فمن غير المستساغ أن يقوم المسلمون باكراه مخالفيهم على اعتناق الاسلام ٠٠ قال تعالى :

١ — (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) سورة الانعام ١٢٥ ٠

٢ — (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام — ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) سورة الانعام ١٢٥ ٠

ومن أجل ذلك أمر الله سبحانه المسلمين بالدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدل الذى لا يعقب فرقه ولا خصومة٠٠ قال تعالى :

١ — (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) سورة الكهف ٢٩ ٠

٢ — (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) سورة البقرة ٢٥٦ ٠

٣ — (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) سورة العنكبوت ٤٦ ٠

ولقد صدع المسلمون بما أمرهم ربهم فلم يسلكوا ما سلكه غيرهم من أتباع الديانات الأخرى باكراه مخالفيهم فى دينهم على عقيدتهم أو اضطهادهم فى أوطانهم وحرياتهم وأرازاقهم بل بالدعوة الى الله بالحسنى والرفق وفى ذلك يقول الله تعالى :

١ — (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم

بالتى هى أحسن) سورة النحل ١٢٥ ·

٢ — **(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين)** سورة فصلت ٣٣ ·

٣ — **(فذكر انما أنت مذكر — لست عليهم بمصيطر)** سورة الغاشية ٢١ — ٢٢ ·

لذلك راعى المسلمون روح السماحة التى تبدو فى حسن المعاشرة ولطف المعاملة ورعاية الجوار وسعة المشاعر الانسانية من البر والرحمة والاحسان وهى الأمور التى تحتاج اليها الحياة اليومية ولا يغنى فيها قانون ولا قضاء وهذه الروح لا تكاد توجد فى غير المجتمع الاسلامى ·

تتجلى هذه السماحة فى تلك المثل العالية التى ذكرها القرآن الكريم طبقا لما يلى :

١ — رغب القرآن الكريم فى مصاحبة الوالدين بالرفق حتى والاحسان ولو كانا مشركين يقول تعالى **(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير — وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)** سورة لقمان ١٤ ، ١٥ ·

٢ — كما رغب القرآن فى البر والاقساط الى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين فى الدين **(لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)** سورة **المتحنة ٨** ·

٣ — ويصف القرآن الأبرار من عباد الله فيقول **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)** سورة الانسان ٨ ولم يكن الأسير حين نزلت هذه الآية من المسلمين بل كان من المشركين ·

كيف كانت سماحة النبى صلى

الله عليه وسلم فى معاملة غير المسلمين :

١ ــ أمر الله سبحانه رسوله أن يجير المشرك اذا لجأ اليه واحتمى بجواره يقول جلت كلماته **(وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)** سورة التوبة ٦ .

٢ ــ أمر الله النبى والمسلمين بأن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين يقول تعالى **(وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا)** سورة الاسراء ٣٤ ويقول **(الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين)** سورة التوبة ٤ .

٣ ــ عامل الرسول صلى الله عليه وسلم أسرى بدر معاملة حسنة ذلك أنه وزع الأسارى السبعين على أصحابه وأمرهم أن يحسنوا اليهم فكانوا يفضلونهم على أنفسهم فى طعامهم .

ثم استشار أصحابه فى شأنهم فأشير عليه بقتلهم وأشار عليه آخرون بفدائهم فوافق على الفداء ــ وجعل فداء الذين يكتبون أن أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة .

٤ ــ وأشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو أحد المحرضين على محاربة المسلمين بأن ينزع ثنيتيه السفلتين فلا يستطيع الخطابة فرفض النبى صلى الله عليه وسلم وقال (لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا) .

٥ ــ ولما فتح مكة قال لقريش (ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم).

٦ ــ وفى غزوة بنى المصطلق أطلق سراح أسراهم بعد أن نصره الله عليهم .

٧ — وفى غــزوة خيبــر حيث استعمرتها بعض قبائل من اليهود نكثــوا عهــدهم مع المســلمين وحرضــوا المشركين العرب عــلى حرب النبى صلى الله عليه وسلم والمســلمين بل وانضـــموا الى المشركين فى حــربهم — ومع ذلك فبعد انتصار المسلمين عليهم منعهم من أن يدخلوا بيتا من بيوت اليهود الا باذنه ونهاهم أن يضربوا نساء اليهود أو يعتدوا على أثمارهم .

٨ — وقـــد روى محمـــد بن الحسن صــاحب أبى حنيفـــة أن النبى صلى الله عليه وســلم بعث الى أهل مكة مالا لما قحطوا ليوزع على فقرائهم على الرغم مما قاساه هو وأصحابه من أهل مكة من أذى قبل الهجرة وحرب منهم بعدها .

٩ — ولقد خص النبى صــلى الله عليه وسلم على التســامح وحببه الى المسلمين للمخالفين لهم فى العقيدة بقوله وبفعله .

(أ) يقول عليه الصلاة والسلام (من ظلم معاهدا أو انتقصــه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) رواه الدارمى .

(ب) أمر الا يجبر أحـــد من النصارى أو اليهود على ترك دينه فقد كتب الى عامـــل له فى اليمن (من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتتن عنها) .

١٠ — عقد النبى صلى الله عليه وســـلم معاهدة مع قبيلة تغلب سنة ٩ هجرية وكان الاســلام قد قوى ودانت جزيرة العــرب أباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم .

١١ — صالح نصــارى نجران وتركهم أحرارا فى محافظتهم على دينهم .

١٢ — وجه عمــاله الى اليمن لأخــذ الجــزية ممن أقام عــلى نصرانيته .

١٣ — كان المجــوس منبثين فى بقاع شتى من جــزيرة العرب — منهم مجوس نجران وهجر وعمان والبحرين وهؤلاء جميعا بقوا على دينهم ودفعوا الجزية كما دفـــع

الجزية من بقى من اليهـــود على دينه فى الجزيرة العربية .

١٤ ـــ وكان عليه الصـــلاة والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم ويواســيهم فى مصـــائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها أهل المجتمع الواحد الذين يشـــغلون مكانا مشتركا ـــ كما كان يعود مرضاهم .

١٥ ـــ كما روى أبو عبيـــد فى الأموال عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصـــدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهى تجرى عليهم .

صور من سماحة الصديق أبى بكـــر زمن خلافتـــه :

١ ـــ لما أنفذ أبو بكر الصديق رضى الله عنه جيش أسامة بن زيد الى بلاد الشـــام بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وأثر توليه الخلافة أوصاه بالوفاء لمن يعاهدهم وبالرحمة فى الحرب ـــ وبالمحافظة على أمـــوال الناس ـــ وأن يترك الرهبـــان أحـــرارا فى ديارهم وصـــوامعهم وقال له (لا تخونوا ولا تغـــدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شـــــيخا ولا امرأة ولاتعقروا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شـــجرة مثمرة ـــ ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا الا للأكل ـــ واذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم فى الصـــوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له) .

٢ ـــ وفى زمن خلافته عاهـــد خالد بن الوليد أهل الحيرة عـــلى الا يهدم لهم بيعة ولا كنيســـة ولا قصرا يتحصنون فيه ـــ وعلى الا يمنعوا من ضرب نواقيســـهم أو اخراج الصلبان فى يوم عيدهم ـــ على ألا يعينوا كافرا على مسلم ـــ وألا يتجســـوا للكفار على المسلمين ـــ ونص فى هذه المعاهدة على أن الجزية يعفى منها الشيخ الذى عجز عن العمل أو أصـــابته عاهة أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصـــدقون عليه وليس ذلك فحسب بل يعـــال هو وأولاده من بيت مال المســـلمين ما أقام بدار الاسلام .

صور من سماحة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب :

١ ـ كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه على شدته مع المسلمين ـ رفيقا بأهل الكتاب فقد نصح سعد بن أبى وقاص لما أرسله الى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة حتى لا يصابوا بشرور الحرب وألا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها الا اذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه وأوصاه ألا يأخذ من أهلها شيئا لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها ـ وحذره من أن تضطره حرب أعدائه الى ظلم الذين صالحوه .

٢ ـ أوصى أبا عبيدة بن الجراح بقوله (وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم) فحقق أبو عبيدة ما أراد عمر وعاهد أهل الشام معاهدة سمحة .

٣ ـ وأعطى عمر رضى الله عنه أهل ايلياء أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم ـ ولا يضار أحد منهم ولا يكرهون على دينهم ولا يسكن بايلياء أحد معهم من اليهود وعلى أن أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ـ وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمانهم ومن أقام منهم آمن ـ وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسيروا بأنفسهم وأموالهم الى الروم ويخلوا بيعهم وصلبانهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

٤ ـ وكتب عمر رضى الله عنه لأهل اللد أمانا مثل الامان السابق بيانه .

٥ ـ ولما حانت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة عندما كان ببلاد

الشام طلب البطريق من عمر ــ أن يصلى بها لكنه اعتذر بأنه يخشى أن يصلى بالكنيسة فيدعى المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى وصلى على درجة خارج الكنيسة وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التى صلى عليها الا واحدا واحدا غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين .

٦ ــ وفى زمن خلافته عاهد خالد ابن الوليد أهل دمشق على الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شىء من دورهم ولا يعرض لهم الا بخير اذا أعطوا الجزية ــ لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء والمؤمنين .

٧ ــ ولما فتح عمرو بن العاص والمسلمون مصر أبقوا العمال النصارى فى وظائفهم ولما أتم فتح مدينة الاسكندرية صالح حاكمها على تقديم الجزية الى المسلمين وأن يخير الأسرى بين الاسلام والبقاء على دينهم فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ــ ومن اختار دين قومه وضع عليه الجزية ما يوضع على أهل دينه .

٨ ــ ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب اثر طعنة بمعرفة المجوسى أبى لؤلؤة أوصى الخليفة من بعده وهو يجود بروحه برعاية أهل الكتاب وأن يفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يجعل ديارهم ميدانا للحرب وألا يكلفهم فوق طاقتهم رغم أن القاتل له كان من أهل الذمة .

٩ ــ ولما فتح المسلمون بلاد أذريبجان سلكوا مع أهلها مسلك السماحة لذلك فقد نص فى الصلح معهم على الا يقتل المسلمون أحدا من أهلها ولا يأسروه ولا يهدموا بيتا من بيوت النار .

١٠ ــ وفى عهد الامويين توسع معاوية فى الحاق النصارى بخدمته فكان له طبيب نصرانى هو ابن آثال ــ وقد كافأه معاوية بوضع

الخراج عنه بل وولاه خراج حمص وكان الاخطل الشاعر النصرانى شاعر البلاط كما كان يوحنا الدمشقى مستشارا لعبد الملك بن مروان واختار عالما نصرانيا من مدينة الرها يدعى اثناس مؤدبا لأخيه عبد العزيز بن مروان ولما عين عبد العزيز واليا على مصر رافقه أستاذه النصرانى وجمع من مصر ثروة عظيمة جدا .

١١ ــ وفى عهد سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى عهد بالاشراف والنفقة على بناء مسجد الجماعة فى بلده الرملة فى فلسطين الى كاتب نصرانى يقال له (البطريق ابن النقا) .

١٢ ــ وكان من هؤلاء الذميين من يدعى (اثنا سيوس) شغل بعض المناصب الحكومية فى مصر زمن الأمويين حتى بلغ مرتبة الرئاسة فى دواوين الاسكندرية .

١٣ ــ وفى عهد الدولة العباسية استعمل الخليفة أبو جعفر المنصور يهوديا اسمه (موسى) كان أحد اثنين فى جباية الخراج .

١٤ ــ كما عين الخليفة العباسى عبد الله المأمون أحد نصارى مدينة يقال لها (بورة) من مدن مصر وقتئذ وكان يدعى (بكام) رئيسا لبلدتها واقليمها .

١٥ ــ وقد تولى الوزارة فى زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة منهم نصر بن هارون ويسوع ابن نسطوروس النصرانى .

١٦ ــ وجرت الدولة العثمانية على سنن الدول الاسلامية التى سبقتها فكانت تسند الوظائف المختلفة الى كثير من الذميين حتى لقد كان أكثر سفرائها فى بلاد الاجانب من النصارى ولكثرة اسناد الوظائف العامة الى الذميين فى الدولة الاسلامية قال آدم متز أحد مؤرخى الغرب : (من الامور التى تعجب بها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الاسلامية) .

كيف فقه علماء المسلمين سماحة الاسلام فى أحكامهم على أهل الذمة :

١ – روى ابن أبى شيبه عن جابر بن زيد أنه سئل عن الصدقة فيمن توضع فقال فى أهل ملتكم من المسلمين وأهل ذمتهم وقد ذكر ذلك الامام ابن حزم فى كتابه المحلى ٠

٢ – ويذكر الامام شهاب الدين القرافى شيئا من معنى البر الذى أمر الله به المسلمين فى شأنهم فيقول (الرفق بضعيفهم – وسد خلة فقيرهم واطعام جائعهم وكساء عاريهم ولين القول لهم – دون خوف أو ذلة – واحتمال اذايتهم فى الجوار لطفا منا بهم لا خوفا ولا تطيعا – والدعاء لهم بالهداية – وأن يجعلوا من أهل السعادة – ونصيحتهم فى جميع أمورهم فى دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم اذا تعرض أحد لأذيتهم – وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم – وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم) ٠

أساس نظرة التسامح التى تسود المسلمين فى معاملة مخالفيهم فى الدين :

ان أساس هذه النظرة يرجع الى الافكار والحقائق التى غرسها الاسلام فى عقول المسلمين وقلوبهم وأهمها :

أولا : اعتقاد كل مسلم بكرامة الانسان أيا كان دينه أو جنسه أو لونه يقول جلت كلماته (**ولقد كرمنا بنى آدم**) **سورة الاسراء** ٧٠ وهذه الكرامة توجب لكل انسان حق الاحترام والرعاية ٠

ثانيا : اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس فى الدين واقع بمشيئة الله تعالى فقد منحهم حرية الاختيار فيما يعتقدون يقول تعالى :

(أ) (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) سورة الكهف ٢٩ ٠

(ب) (**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين**) سورة هود ١١٨ ٠

ثالثا : ليس المسلم مكلفا أن

يحاسب الكافرين على كفرهم أو يعاقب الضالين على ضلالهم فهذا ليس اليه وليس موعده هذه الدنيا انما حسابهم الى الله فى يوم القيامة وجزاؤهم متروك اليه فى يوم الدين يقول سبحانه وتعالى :

(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم – وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب – وأمرت لأعدل بينكم – الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم – الله يجمع بيننا واليه المصير) سورة الشورى ١٥

رابعا : ايمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ويحب القسط ويدعو الى مكارم الاخلاق ولو مع المشركين ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولو كان الظلم من مسلم لكافر قال تعالى **(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** سورة المائدة ٨

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح أبواب السماء ويقول الرب وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين) رواه الترمذى بسند حسن (١) .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

---

(١) هو جزء من الحديث الذى رواه الترمذى ونصبه : (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لاترد دعواتهم: الصائم حتى يفطر – والامام العادل – ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين) .

دراسات قرآنية :

فى ملكوت السموات والارض

للاستاذ على عبد العظيم

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء »

(صدق الله العظيم)

ذكرنا — فيما سبق — أن القرآن الكريم يضم اشارات علمية عديدة ، وأن أسلوبه البلاغى يعطى معانى عديدة متنوعة للجملة الواحدة ، ونستطيع أن نسوق مثلا آخر لجملة واحدة تعددت فيها المعانى التى يحمل بعضها الطابع القديم ، وبعضها الطابع الحديث .

ونرى هذا واضحا فى قوله تعالى : **« هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا ، وما يتذكر الامن ينيب »** سورة غافر آية ١٣ فالله سبحانه يرينا آياته حينا بعد حين ، وجيلا بعد جيل ، وينزل لنا من السماء رزقا ، ولا يعرف آيات الله العديدة ، ونعمه الجزيلة ، ولا يتذكرها الا من آمن بالله ، ورجع اليه بالانابة والمتاب فما هو الرزق المنزل من السماء ؟

يقول المفسرون القدماء : أنه ماء المطر ، وهو رزق لا شك فيه ، لأنه يحفظ علينا حياتنا ، كما يحفظ حياة عالم الحيوان وعالم النبات ،

ونستطيع أن نضيف معانى عديدة توضح هذا الرزق .. منها الأشعة الحرارية التى تصلنا باعتدال من الشمس ، فلو انقطعت عنا لمات جميع الأحياء من البرودة ، ولتجمدت مياه المحيطات والبحار والأنهار .. ولو زاد مقدارها عما هو عليه الآن لتبخرت المياه جميعا ،

ولهلكت جميع الكائنات التى تنعم الآن بالحياة !؟

— ومن الرزق المنزل علينا من السماء .. الأشعة الضوئية التى يتوقف عليها بقاء عالم النبات عن طريق التمثيل الضوئى « الكلوروفلى » والأشعة الضوئية هى التى تضىء لنا فجاج الأرض نهارا ، وتتيح لنا السعى فى مناكبها طلبا للرزق ، ومحافظة على الحياة !؟

— ومن الرزق المنزل من السماء رماد الشهب التى تتساقط على الأرض وتبلغ أعدادها عشرات الملايين فى كل يوم فتحترق حين ملامستها للغلاف الجوى ويسقط رمادها على الارض ، فيزيد التربة خصبا وصلاحية للانتاج والاثمار !؟

— ومن الرزق المنزل من السماء غاز ثانى أوكسيد الكربون الموجود فى الغلاف الجوى ، والذى تتوقف عليه حياة النبات ، وكذلك غاز الأوكسجين الذى تتوقف عليه حياة الانسان ، والحيوان ، والنبات !؟

— ومن الرزق المنزل من السماء غاز النتروجين (الأزوت) الذى يهبط من الجو على الأرض فيزيدها خصبا ، ونحن الآن نستخلصه كيماويا من الهواء ونحوله الى سماد صناعى ينتج لنا أطيب الثمرات !؟

— ومن الرزق المنزل من السماء : رزق روحى معنوى : هو الكتب المنزلة على الرسل الكرام ، لهداية البشر ، واخراجهم من الظلمات ، ظلمات الجهالة .. الى نور الهداية والرشاد والعرفان !؟

— ومن الرزق المعنوى الروحى : أن الله يحفنا برضوانه ، وينشر علينا رحماته فيحفظنا من الشدائد وينقذنا من الأزمات **« وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وهو الولى الحميد »** سورة الشورى آية ٢٨ .

— ولهذا وجهتنا الآية الكريمة الى أن نفزع الى الله مخلصين له الدين **« فادعوا الله مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون »** .

— والنتيجة أن القرآن الكريم لا يفسره عالم واحد ، ولا جيل واحد ، وكلما اتسعت فنون الثقافة العلمية كشفت لنا من آيات الله

البينات ما لا يخطر لنا على بال !؟

« وقل : الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » سورة النحل آية٩٣ •

« سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » سورة فصلت آية ٥٣ •

ــ ومن كل ما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم حافل بالاشارات العلمية العديدة ، التى تلفت أنظارنا الى آيات الله الكونية المتجلية فى أرجاء الأرض وآفاق السموات •• وأن الاستعانة بالدراسات العلمية تعيننا على التعمق فى فهم آيات القرآن الكريم !؟

ــ ولكن التفسير العلمى للقرآن ينبغى أن تكون له ضوابط دقيقة ، ومناهج قويمة سليمة ، تلتزمها فى كتابة هذا التفسير ، حتى لا نضل السبيل فنضيف الى القرآن الكريم مالا تحتمله كلماته من معان تأباها العربية كل الاباء •• ويمكن ايجاز هذا المنهج فيما يلى ــ :

أولا : علينا أن نتثبت بكل وسائل التثبت ، من حقيقة الكشوف العلمية قبل أن نقحمها اقحاما على القرآن الكريم •• بمناسبة أو غير مناسبة •• فلا نأخذ الا بالحقائق العلمية الثابتة ، لا بالنظريات ولا بالآراء ، ولا بالفروض العلمية !؟

ــ ولتوضيح هذا : نذكر أن هناك حقائق علمية ثابتة يؤمن بها جميع العلماء ، مثل القوانين العلمية المعروفة ، ومنها •• أن المعادن تتمدد بالحرارة ، وتنكمش بالبرودة •• وأن الماء تحت الضغط الجوى العادى يتبخر فى درجة مائة سنتيجراد ، ويتجمد فى درجة صفر •• وأن الأجرام الفلكية ، ومنها •• الأرض تدور حول محورها !؟

ــ أما النظريات العلمية فانها تتكون من عدة حقائق ، اذا جمعناها ونسقنا بينها ــ فاننا نخرج منها بنظرية علمية عامة ، مثل « نظرية النشوء والارتقاء » ولكننا قد نكتشف بعد حين أننا أخطأنا فى عملية التنسيق والتركيب كما يخطىء صانع الساعات ، والراديو ، والتليفزيون ــ فى

تركيب أجزاء الآلة فلا تدور .. وهنا تنهار النظريات العلمية ، وتتبدل من جيل الى جيل !؟

ـ ان نظرية التطور ، أو أصل الأنواع فيها .. فجوات عديدة ، وحلقات مفقودة ، وفيها .. طفرات لانستطيع تعليلها ـ وقد نعود الى مناقشة هذه النظرية بالتفصيل ـ ولهذا كان من الواجب علينا ألا نأخذ بالنظريات العلمية فى تفسير القرآن الكريم ، واذا استعنا بها فلمجرد الاستئناس ، لا التقرير ؟

ـ أما الآراء العلمية ، فهى : وجهات نظر ، تختلف باختلاف العلماء ـ وأما الفروض العلمية ، فهى : ظنون ، نحاول بها تفسير بعض الظواهر التى نعجز عن تعليلها ـ والآراء والفروض العلمية ، هى : أفكار مجردة لا تقوم على أساس علمى متين !؟

***

ثانيا : علينا أن نراعى مدلول الكلمات القرآنية ، فلا نضيف اليها معانى جديدة ـ لم نعرفها من قبل ـ فان القرآن الكريم نزل « .. **بلسان عربى مبين** » ٢٦ : ١٩٥ « **انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم** » سورة الزخرف آية ٣ ، ٤ .

ـ وعلينا أن نعود فى تحديد الكلمات القرآنية الى المعاجم اللغوية العديدة ، وقد نرى للكلمة معنيين أخذ القدماء بأحدهما ، ولا مانع أن نأخذ نحن بالمعنى الثانى اذا نصت عليه المعاجم المعتمدة .

ونستطيع أن نضرب لهذا مثالا توضيحيا .. فان الله تبارك وتعالى يقول : « **والأرض بعد ذلك دحاها** » سورة النازعات آية ٣٠ . فاذا رجعنا الى المعاجم اللغوية وجدنا (الدحو) بمعنى : البسط وبهذا أخذ القدماء ـ ويزكيهم فى هذا قوله تعالى « **والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا** » سورة نوح آية ١٩ ، ٢٠ . أى جعلها صالحة للسير عليها والانتقال فى أرجائها : سواء فى البحار والمحيطات عن طريق السفن ، أم فى السهول والصحارى عن طريق الخيل والبغال والحمير

والجمال ــ ثم عن طريق السيارات والقطارات ، أم فى الهواء عن طريق الطائرات ــ وبهذا تميزت الأرض عن القمر ، فانه من العسير السير عليه ، لكثرة الفوهات البركانية فيه والجبال الشاهقة الارتفاع ، والوديان البعيدة الأعماق ــ **وبهذا الانبساط فى** الأرض أتاح الله لنا أن نسلك فيها سبلا فجاجا •• وأن نمشى فى مناكبها ابتغاء لفضل الله !؟

***

ــ وليس معنى انبساط الأرض أنها غير كروية ، فان القرآن الكريم يقرر فى موضع آخر كرويتها ، بما لا يحتمل أى شك أو ارتياب •• وذلك فى قوله تعالى « **يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل** » سورة الزمر من الآية ٥ •

ــ وقد نعود الى شرح هذه الآية فى مقال تال ان شاء الله !؟

***

ــ **وللدحو** •• معنى آخر ذكرته كتب اللغة ، وهو الدفع والرمى ــ يقال : دحا الصبى الكرة : رماها ــ ودحا بيده الماشية : دفعها وساقها أمامه •

والمدحاة : خشبة يدفعها الصبى فتندفع على سطح الأرض •• لا تأتى على شىء الا دفعته •

والمدحاة لعبة يلعب بها أهل مكة ، وهى أحجار كالأقراص ، تحفر حفر بقدرها ، ثم يدفعونها لتقع فى الحفر المعدة لها •• فاذا نجح الدافع فى ذلك كسب اللعبة • (وهى تشبه لعبة الجولف الآن)

وبهذا المعنى اللغوى نأخذ نحن فى التفسير العلمى الحديث ، فنقول فى معنى : « **والأرض بعد ذلك دحاها** » • أى دفعها فى مدارها حول الشمس •

ــ وكلا المعنيين : القديم والحديث صحيح ، على أن بعض الكلمات اللغوية تحمل أكثر من معنيين •• ولنا أن نختار من المعانى ما يناسب السياق القرآنى دون تكلف أو افتعال •

ــ ومن خير المعاجم اللغوية « لسان العرب لابن منظور المصرى » و « تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدى » •

ومن المعاجم المهمة فى هـــذا المجال •• معجم خاص بالقـــرآن الكريم ألفه العـــالم ، اللغـــوى ، الكبير ، مجد الدين الفيروز ابادى وسماه « بصـــائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة فى ستة مجلدات ضخمة ، بتحقيق الشيخ محمد على النجار •

ــ كما أصـــدر مجمـــع اللغـــة العربية بالقاهرة : كتاب « معجم ألفـــاظ القـــرآن الكريم » فى ستة أجزاء •

ــ وينبغى أن نأخذ فى الاعتبار: أن الكلمة العربية قد يكون لهـــا معنى حقيقى ، كما يكون لها معنى اصطلاحى ، وقد يكون لهـــا معنى مجازى ــ وعلى الباحث أن يرجع فى الأخـــذ بالمعانى المجـــازية الى معجم كتاب « أســـاس البـــلاغة للزمخشرى » وقد طبع فى القاهرة، فى جزءين كبيرين ، فى أكثر مـــن ألف صفحة ، وقد عقب عليه العلامة (ابن حجر العسقلانى فى معجمة : « غراس الأســـــاس » ولا يزال مخطوطا ــ حتى الآن ــ على أننا لا نأخذ بالمعنى الاصطلاحى ، أو المجازى ، الا اذا تعذر علينا الأخذ بالمعنى الحقيقى للكلمات !؟

***

ثالثا : بعض الباحثين تحمـــله حماسته للبحث العلمى عـــلى أن يقحم كل كشف علمى فى تفسيره للقرآن الكريم ، وهذا خطأ كبير ، فان القـــرآن الـــكريم ليس دائرة معارف علمية ، وانما يلفت نظرنا الى بعض الحقائق العلمية ، التى تدلنا على قدرة الله ، وعلى عظمته وعلى ابداعه •

وعـــلى أنه « خلق فســـوى » سورة الأعلى من ٢ •

« وأنه أعطى كل شىء خلقه ثـــم هدى » •

وأنه « أحسن كل شىء خلقه »

وينبغى لنـــا أن نعـــرف أن معلومات الانسان ومعارفه لـــم تتناول الا قليلا جدا مما خلق الله•

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » سورة الاسراء من الآية ٨٥ •

و « فوق كل ذى علم عليـــم »

ــ ولهذا كان علينا أن نقف عند حدود ما نعلمه مما علمنا الله اياه ،

وكان علينا الا نقحم عقولنا فيما لا تستطيع عقولنا أن تدركه ، وأن نسلم الأمر لله ، الذى أحاط بكل شىء علما « **انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما**» سورة طه آية ٩٨ .

— ونحن لا نزال نجهل كل شىء عن الروح ، كما أننا نجهل الكثير عن عقولنا ، وعن أنفسنا ، ونجهل الكثير عن جوف الكرة الأرضية ، التى نعيش عليها ، وعن الغلاف الجوى المحيط بنا ، **فما بالك** بملايين الملايين من الشموس ، والكواكب ، والمذنبات ، والأجرام السماوية !؟

— اذا كنا نجهل هذا كله .. فمن العبث أن تقحم عقولنا فى العوالم الغيبية ، التى لا مجال أمام البشرية لمعرفتها ، مثل : « **العرش العظيم** » سورة النحل آية ٢٦ .

وحملة العرش « **الذين يحملون العرش ومن حوله** » سورة غافر آية : ٧ .

و « **أم الكتاب** » .

و اللوح المحفوظ « **بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ** » سورة البروج آية : ٢١ .

« **وسدرة المنتهى** » .

***

— فالعالم الكبير المتمكن .. هو الذى يقف عند حدود ما يعلمه

— ونختم حديثنا بما قرره آينشتاين أكبر علماء العصر الحديث ، حيث يقول :

« ان أعظم جائشة من جائشات النفس وأجملها .. تلك التى تستشعرها النفس عند الوقوف فى روعة أمام هذا الخفاء الكونى ، ان الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته .. حى كميت ، انه خفاء لا نستطيع أن نشق حجبه ، واظلام لا نستطيع أن نطلع فجره، ومع هذا فنحن ندرك أن وراءه شيئا .. هو الحكمة أحكم ما تكون ويحسن أن وراءه شيئا هو الجمال أجمل ما يكون .

وهى حكمة ، وهو جمال لا نستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة ، الا فى صور بدائية أولية : وهذا الادراك للحكمة ، وهذا الاحساس بالجمال —

فى روعة ــ هو جوهر التعبد عند الخلائق !!؟

ان الشعور الدينى الذى يستشعره الباحث فى الكون •• هو أقوى وأنبل حافز على البحث العلمى !!؟

ان دينى هو : اعجابى بتلك الروح السامية التى لا حد لها •• **تلك التى تتجلى فى التفصيلات** الصغيرة التى تستطيع ادراكها عقولنا الضعيفة ، العاجزة ، وهو ايمانى العاطفى العميق •• بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا فى هذا الكون المعجز للافهام؟ **ان هذا الايمان يؤلف عندى معنى** الله » وفى ضوء ما ذكرنا سنتناول نماذج من التفسير العلمى للقرآن الكريم ، مستعينين بالله ، مستمدين منه الهداية والتوفيق •• وهو حسبنا ونعم الوكيل •

الأيام الستة

(ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) سورة ق آية : ٣٨ •

تحدث القرآن الكريم فى كثير من آياته البينات •• عن الكون الذى نعيش فيه ، وعن أطوار ومراحل تكوينه ، ليفتح أمام الفكر البشرى مجال البحث والدراسة ، ليدرك عن طريقهما ما يستطيع ادراكه من قدرة الله وعظمته ، وابداعه العظيم فى التكوين ، وفى التدبير « **ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين** » سورة الأعراف آخر آية ٥٤ •

وقد ذكر القرآن الكريم فى كثير من آياته المحكمة •• أن الله تعالى خلق « **السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام** » •

ــ وكلمة (اليوم) تأتى فى القرآن الكريم بعدة معان •

منها : (النهار) وذلك فى قوله تعالى فى اهلاك قوم عاد بالريح العاتية « **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما** » ٧ الحاقة •

ــ ومثل قوله تعالى فى كفارة اليمين « **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم** » سورة المائدة من الآية ٨٩

وتأتى بمعنى : طور من أطوار الخلق ، والتكوين ، والتدبير •

مثل قوله تعالى « **وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعـــدون** » ٥ السجدة .

وقوله سبحانه وتعالى « **يدبر الأمر من الســماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** » سورة السجده آية ٥ .

وقوله عز وجل فى وصف أهوال يوم القيــامة « **تعــرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقــداره خمسين ألف سنة فاصبر صــبرا جميــلا انهم يرونه بعيــدا ونراه قريبا** » ٥ المعارج .

ــ فاليوم : طور من الأطوار قد يمتد عشرات الآلاف من السنين أو أكثر ، وقد يكون لحظــة عابرة ، ولكن كتاب التوراة فهموا اليوم فى أطوار الخليقة فهما خاطئا ، حيث تصــوروا أن اليوم مــدته أربع وعشرون ساعة على حسب فهمنا فى الكوكب الأرض .

وأن الأسبوع يتكون من سبعة أيام ، ولهذا ذكروا فى سفر التكوين أن الله ــ سبحانة وتعالى ــ خلق السموات والارض والنور والظلمة فى اليوم الأول من أيام الأسبوع ــ **وهو عندهم يوم الأحد** ــ

ثم خلق الله المــاء والجــلد ، وجعل من الجلد ســماء فى اليوم الثانى .

ثم أظهر الله اليابسة والبحار ، وأنبت العشــب والبقل فى اليوم الثالث .

وخلق الليل والنهار فى اليــوم الرابع .

وخلق الزواحف ، والطيــور ، فى اليوم الخامس .

ثم خلق البهائم ، والوحوش ، والانسان فى اليوم السادس .

أما فى اليوم السابع .. فقد لجأ الله فيه الى الراحة (راجــع الاصحاح الأول والثانى من سفر التكوين) .

ــ وهنا يقف العلماء والباحثون ســاخرين مــن هــذا الخيــال الأسطورى .

ــ ومــن هــذه الأوهــام ــ المخبولة ــ وبخاصة ما نسب الى الله سبحانة وتعالى مــن التعب ، والحاجة الى الراحة بعد ما بذله من

جهود — تعالى عن ذلك الله علوا كبيرا .

وفى أطوار الخلق والتكوين لم يكن التقدير القائم على أن الاسبوع سبعة أيام ، ولا أن الشهر ثلاثون يوما ، وأن اليوم أربع وعشرون ساعة .

وهذه الاصطلاحات من صنع البشر — بعد تقدمهم ورقيهم — اذ من المعروف أن البشر هم آخر الكائنات الحية ظهورا على سطح الارض بعد تكوينها ، وجعلها صالحة للحياة — بمئات الملايين من السنين .

ولهذا أنكر نقاد وعلماء الحديث ما رواه مسلم ، وأحمد عن أبى هريرة .. من أن الله خلق التربة يوم السبت ، وخلق الشجر يوم الاثنين .

وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس .

وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق ، فى آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر والليل .

— وسبب انكارهم : أن نص الحديث يناقض النصوص القرآنية العديدة ، التى قررت .. أن الله خلق السموات والارض فى ستة أيام — هذا الى جانب أن تسمية الايام لم تكن معروفة فى بدء التكوين .

وكلمة الساعة ، والعصر ، والليل .. كلها اصطلاحات مستحدثة ، فضلا عن النور — أى — أن النبات لا يمكن أن يحيا الا اذا توافر له (الضوء) الكافى لعملية التمثيل الضوئى ، كما هو مقرر ثابت لدى علماء النبات ، فكيف يتم خلق النبات قبل أن يتم خلق النور ؟

— وقد أثبت البصيرون بعلوم الحديث : أن أبا هريرة كان يحكى ما سمعه من كعب الأحبار ، فظن السامعون أنه يتحدث ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— ومن المعروف أن يوم الأرض عند خط الاستواء .. يعادل أربعا وعشرين ساعة ، نصفها نهار ، ونصفها ليل — ولكنه عند القطبين

يعادل سنة كاملة ، منها ستة أشهر نهار ، ومنها ستة أشهر ليل .

ويوم القمر يعادل تسعة وعشرين يوما — تقريبا — من أيام الأرض .

وهكذا تختلف الايام من كوكب الى كوكب .. طبقا لتقدير وتدبير العزيز الحميد الحكيم .

***

تفصيل علمى دقيق :

— والقرآن الكريم حين تحدث عن الايام ، أو الاطوار الستة .. فصل الحديث عنها تفصيلا علميا دقيقا .. هو أحدث ما وصل اليه علم الفلك من حقائق مقررة .

ومن الخير أن نلخص ما قرره العلماء ، ثم نذكر بعد ذلك ما أورده القرآن الكريم الذى « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد** » .
سورة الشورى آية ٤٢ .

— قرر علماء الفلك أن اللبنة الأولى فى بناء الكون .. هى عنصر (الايدروجين) وذرته .. هى أبسط وأقل أنواع الذرات ، فانها تتكون من نواة واحدة (بروتون) وكويكب واحد (الكترون) يدور حول النواة — والنواة .. كهرباء موجبة — والكويكب .. كهرباء سالبة — وذرة الايدروجين .. متناهية فى الصغر ، لدرجة أن بضعة ملايين منها لا تبلغ حجم رأس الدبوس !؟

— هذه الذرات .. خلقها الله سبحانه وبثها فى الفضاء ، الشاسع المترامى الاطراف ، الذى لا يكاد يتناهى .

ثم أودع فى هذه الذرات خاصية التجاذب والترابط (قانون الجاذبية)فتجاذبت هذه الذرات حتى أصبحت كتلة ضخمة من السديم ، وكل ذراتها تندفع نحو مركز هذه الكتلة العظيمة بقوة الجاذبية ، فتصادمت وارتفعت درجة حرارتها ارتفاعا كبيرا حول بعض هذه الذرات ، الى عنصر الهيليوم ، وهو يلى الايدروجين ، لأن نواته مزدوجة ، ولأن لكل نواة كويكبين يدوران حولها .

وهذه الكتلة الضخمة من

السديم .. هى التى أطلق عليها القرآن الكريم اسم (الدخان) .

ولما ارتفعت درجة الحرارة دار السديم حول نفسه فى حركة محورية سريعة ، فبدأت أطرافه تنفصل منه مندفعة فى الفضاء وهذه الظاهرة .. هى ما يسميها القرآن الكريم بعملية (الفتق) . وهذه الاجزاء المنفصلة ، اندفعت بسرعة هائلة .. فوقعت بين قوتين — قوة الدفع ، وقوة الجذب — فاحتفظت بموقعها فى الفضاء بين القوتين ، المتعادلتين .. قوة الدفع ، وقوة الجذب .

والقرآن يسمى هاتين القوتين (قوة الرجع — وهى الجاذبية — وقوة الصدع .. وهى الدفع) (١)

ونحن نستغل هاتين القوتين الان فى اطلاق الصواريخ ، فاذا أردنا اطلاق صاروخ يدور حول الارض ، دفعناه بقوة تفوق جاذبية الارض بمقدار محدود ، ثم تتناقص هذه القوة حتى تساوى جاذبية الارض على مدى مقدر ، وحينئذ يقع الصاروخ بين قوتين متعادلتين .. هما قوة الدفع ، وقوة الجذب .. فيأخذ مداره حول الأرض آليا دون محرك يدفعه ، فاذا ألقى ركاب الصاروخ منه شيئا دار هو أيضا دون محرك ، ولو خرج منه انسان وألقى بنفسه فى الفضاء ، دار هو أيضا فى الفضاء ، ولهذا كان بعض ركاب المركبات الفضائية الدائرة حول الارض ، يغادرون المركبة بعد أن يربطوا أنفسهم بحبل يمكنهم من العودة اليها ، حيث يجدون فيها وسائل الراحة ومقومات الحياة !؟

* * *

— ونعود الى الاجزاء المنفصلة من كتلة السديم ، وهى كتلة بالغة الحد فى الضخامة ، أخذت تدور حول الكتلة العظمى — ثم تكررت فيها عملية الفتق آلاف المرات ، فنشأ عنها ما نسميه الآن بـ (نظام المجرات) .

ثم انقسمت المجرات الى كتل

---

(١) وهو ما يسميه العلماء الآن قوة الطرد المركزية .

ضخمة شديدة الانصهار ، تكونت منها الشموس ، التى يطلق عليها علماء الفلك اسم (النجوم) .

ومن الشموس انفصلت المذنبات ثم الكواكب .

ومن الكواكب انفصلت الاقمار ، وكل منها يدور حول الاصل ، الذى انفصل منه بفعل قوة الجذب ، وقوة الرجع !؟

— وقد انفصلت أرضنا (الكوكب) من شمسنا ، حيث انشطرت كتلة من الشمس ، أو انصدعت منها ، واندفعت فى الفضاء ، وحاولت الشمس ارجاعها اليها بقوة الجذب ، ولكن قوة الطرد عادلت قوة الجذب ، فأخذت الارض مدارها حول الشمس فى فلكها المرسوم ، الذى تقطعه حول الشمس فى مدى عام .. وانفصل القمر عن الارض بقوة الصدع ، وجذبته اليها بقوة الرجع ، فدار حول الارض فى فلكه المرسوم ، ودار حول نفسه فى كل شهر قمرى مرة .

« يتبع »

على عبد العظيم

« دعوة الى الاخلاق »

قال الأشعث بن قيس يوما لقومه : انما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم . لكننى ابسط لكم وجهى . وأبذل لكم مالى ، وأقضى حقوقكم .. وأحوط حريمكم .. فمن فعل مثلى فهو مثلى .. ومن زاد على فهو خير منى ومن زدت عليه فأنا خير منه .

قيل له يا أبا أحمد : ما يدعوك الى هذا الكلام ؟

قال : حضهم على مكارم الأخلاق .

غربة الإسلام

للأستاذ موسى محمد على

يقول الله تعالى :

« فلولا كان من القــرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن أنجينــا منهم » سورة هود آية ١١٦ •

ان الذين يحبون أن تشــيع الفاحشة فى المجتمع ، هم الــذين شقوا ففى النار خالدين فيها •

والذين يمرحون فى الفجــور فى المعاصى ، هم الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا •

والذين ينكبــون عــن صراط الجادة والحق والصــواب ، هم التعســاء الذين لاحــظ لهــم فى الآخرة •

أما الذين اســتجابوا لـلــه وللرســول اذا دعاهم لما يحييهم فهم الذين ســعدوا ففى الجنــة خالدين فيها •

ولهذا الــكلام دقيقــة هامة ، ناسب أن نوجه القول اليها •

فلا يخفى على من به مسحة من ايمان ، أن لربنا فى أيام دهرنــا نفحات ، نتعرض لها خاصة ونحن قد فرغنا من قيام وصيام شــهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، شهر الصدقة والزكاة ، شهر البر والاحســـان ، شــهر القــرب والعرفان ، شهر الصلة والمودة ، شهر التوبة والرحمة ، شهر خصنا الله به ، منذ أن اختارنا خير أمة أخرجت للناس ، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار •

فهل نحن تلمسنا نفحات هــذا

الشهر المبارك ، وتعرضنا له بالجد فى الطاعة ، والاجتهاد فى العبادة ، كما أمرنا ربنا حتى نكون من الذين سـعدوا ؟

أم أننا ضللنا الطريق ، وتنكبنا الصراط حتى ضـل سعينا ونحن نحسب أننا نحسن صنعا ؟

ان لكل شىء حقيقة ، وحقيقـة الايمان الذى أمرنا الله تعالى به ، العمل الجاد الذى هو فـرع عن تصوره ، بيد أن الذى يعـايش مجتمعنا اليوم ، ويتفقد أحواله ، ويمارس بالتجربة واقعه الملموس، يجدبحق لاشك فيـه أننا فى بعد تام ، وانحراف منحرف ، وانسلاخ عن لب الدين ، وتعاليم الاسلام ، حتى صار الاسلام ، وأهله فى غربة غريبة ، وكأن المجتمع فى جهالة عن فهم حقيقته ، لا يرقب فى دينـه الا ، ولا يرعى له ذمة •

فكيف بنا لو تفرسنا أحـوال مجتمعنا ، وما هو عليه من فجور فاجر فى الملاهى ، وجشع قـاتل فى المنـاصب ، وطمـع مجحف فى حطـام الدنيا ، وتكالب عـلى الأمـوال والأعـراض ، وحب الشهوات من النســاء والبنـين والقناطـير المقنطرة مـن الذهب والفضة ، ومتع الحياة الدنيا •

والاستشـهاد بهذه الآية التى بدأنا بها : يدلنا على الرسوخ فى العـلم والمعرفة ويربطنا بفهـم القرآن الكريم ، فان الغـرباء فى هذا العالم : هم أهل هذه الصفة المذكورة فى هذه الآية ، وهم الذين أشار اليهم النبى صلى الله عليـه وسلم فى قوله : « بدأ الاسـلام غريبـا ، وسـيعود غريبـا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » • قيل: ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : «الذينيصلحون اذا فسد الناس»•

وفى رواية للامام أحمـد رضى الله عنه :

ومن الغرباء يارسول الله ؟ •

قال : «الذين يزيدون اذا نقص الناس » •

ومعناه : الذين يزيدون خـيرا وايمانا وتقى اذا نقص الناس من ذلك •

وفى رواية الأعمش عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال :

قيل : ومن الغرباء يارسول الله ؟قال :«النزاع من القبائل »٠

وفى رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال ٠٠ قيل : ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال :«ناس صالحون قليل فى ناس كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » ٠

وقال نافع عن مالك رضى الله عنهما :

دخل عمر بن الخطاب المسجد ، فوجد معاذ بن جبل جالسا الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يبكى ، فقال له عمر : ما يبكيك ، يا أبا عبد الرحمن ؟ هلك أخوك ؟ قال : لا ولكن حديثا حدثنيه حبيبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى هذا المسجد ، فقال : ما هو ؟ قال :

«ان الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء ، الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة » ٠

فهؤلاء هم الغرباء المدوحون المغبطون ، ولقلتهم فى الناس جدا ، سموا « غرباء » ٠

وأكثر الناس على غير هذه الصفات : فأهل الاسلام فى الناس غرباء ، والمؤمنون فى أهل الاسلام غرباء ، وأهل العلم فى المؤمنين غرباء ، وأهل السنة ، الذين يميزونها من الأهواء والبدع ، غرباء ، والداعون ، اليها ، الصابرون على أذى المخالفين : هم أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا ، فلا غربة عليهم، وانما غربتهم بين الأكثرين ، الذين قال الله عز وجل فيهم :

« وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » الانعام ١١٦ ٠

فألئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه ، وغربتهم هى الغربة الموحشة ، وان كانوا هم المعروفين المشار اليهم ٠

وسيدنا موسى عليه السلام لما خرج من قوم فرعون انتهى الى مدين ، على الحال التى ذكرها الله

تعالى ، وهو وحيد غريب خائف جائع ، قال : « يارب وحيد مريض غريب » ، فقيل له : ياموسى •

الوحيد : « من ليس له مثلى أنيس ، والمريض : من ليس له مثلى طبيب ، والغريب : من ليس بينى وبينه معاملة » •

فالغربة أنواع : غربة أهل الله تعالى ، وأهل سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بين هذا الخلق ، وهى الغربة التى مدح رسول الله صلى عليه وسلم ، أهلها ، وأخبر عن الدين الذى جاء به ، أنه : « بدأ غريبا » وأنه « سيعود غريبا كما بدأ » وأن « أهله يصيرون غرباء » •

وهذه الغربة قد تكون فى مكان دون مكان ، ووقت دون وقت ، بين قوم دون قوم ، ولكن أهل هذه « الغربة » هم أهل الله حقا ، فانهم لم يأووا الى غير الله تعالى ، ولم ينتسبوا الى غير رسوله صلى الله عليه وسلم ،ولم يدعوا الى غير ما جاء به ، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ماكانوا اليهم •

فهذه « الغربة » لا وحشة على صاحبها ، بل هو آنس ما يكون اذا استوحش الناس ، وأشد ما تكون وحشته اذا استأنسوا ، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا ، وان عاداه أكثر الناس وجفوه •

وفى حديث القاسم عن أبى امامة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عن الله تعالى :

« ان أغبط أوليائى عندى : لمؤمن خفيف الحاذ(١)،ذو حظ من صلاته أحسن عبادة ربه وكان رزقه كفافا ، وكان مع ذلك غامضا فى الناس ، لا يشار اليه بالاصابع ، وصبر على ذلك حتى لقى الله ، ثم حلت منيته ، وقل تراثه ، وقلت بواكيه » •

ومن هؤلاء الغرباء : من ذكرهم

---

(١) استعمال مجازى المراد منه خفيف الظهر . كذا فى القاموس المحيط والمعنى خفيف الاحمال والتبعات .

أنس فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم :

« رب أشعث أغبر ، ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » .

وفى حديث أبى ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : كل ضعيف أغبر ، ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » .

وقال الحسن رضى الله عنه : المؤمن فى الدنيا كالغريب ، لا يجزع من ذلها ، ولا ينافس فى عزها ، للناس حال ، وله حال ، الناس منه فى راحة ، وهو من نفسه فى تعب .

ومن صفات هؤلاء الغرباء ، الذين غبطهم النبى صلى الله عليه وسلم :

التمسك بالسنة ، اذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه ، وان كان هو المعروف عندهم . وتجريد التوحيد ، وان أنكر ذلك أكثر الناس .

وترك الانتساب الى أحد غير الله ورسوله ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون الى الله بالعبودية له وحده ، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا .

وأكثر الناس ، بل كلهم لائم لهم ، فلغربتهم بين هذا الخلق : يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ، ومفارقة للسواد الاعظم .

ومعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « هم النزاع من القبائل » ان الله سبحانه وتعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الارض على أديان مختلفة ، فهم بين عباد أوثان ونيران ، وعباد صور وصلبان ، ويهود وصائبة وفلاسفة ، وكان الاسلام فى أول ظهوره غريبا ، وكان من أسلم منهم ، واستجاب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم : غريبا فى قبيلته وأهله وعشيرته .

فكان المستجيبون لدعوة الاسلام نزاعا من القبائل ، بل آحادا منهم ، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ، ودخلوا فى الاسلام ،

فكانوا هم الغرباء حقا ، حتى ظهر الاسلام ، وانتشرت دعوته ودخل الناس فيـه أفواجا ، فزالت تلك الغربة عنهم ، ثم أخذ فى الاغتراب والترحل ، حتى عاد غريبا كما بدأ .

بل ان الاسلام الحق ، الذى كان عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو اليوم أشد غربة منه فى أول ظهوره ، وان كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة ، فالاسلام الحقيقى غريب جدا ، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس .

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدا ، غريبة بين فرق متعددة ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات ، ولا هم لهم الا مخالفة ما جاء به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فما جاء به صلوات الله وسلامة عليه : يضاد أهواءهم ولذاتهم ، ويغاير ما هم عليه من الشبهات والبدع التى هى منتهى فضيلتهم وعملهم ، والشهوات التى هى غايات مقاصدهم واراداتهم ؟

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعين وأنا أعرف الحزن فى وجهه فقال: «انا لله وانا اليه راجعون » .

قلت : يا رسول : « انا لله وانا اليه راجعون » ماذا قال ربنا ؟

قال:«أتانى جبريل آنفا فقال»: « انا لله وانا اليه راجعون » .

قلت : أجل ، « انا لله وانا اليه راجعون ، فمم ذلك ياجبريل ؟ »

قال « ان أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير ؟ » .

فقلت : « فتنة كفر ، أو فتنة ضلالة ؟ » .

قال: «كل ذلك سيكون» ، قلت: « ومن أين يأتيهم ذلك وانا تارك فيهم كتاب الله ؟ »

قال «بكتاب الله يضلون ، وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم ، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلون ، ويتبع القراء أهواء الامراء فيبدون فى الغى ثم لا يقصرون .

قلت : ياجبريل ، «فيم سلم من سلم منهم ؟ قال : بالكف والصبر ،

ان أعطوا الذى لهم أخـــذوه وان منعوه تركوه •

فالمؤمن السائر الى الله تعـــالى على طريق المتابعـــة كيف لا يكون غريبا بين هؤلاء الذين قد اتبعـــوا أهواءهم ، وأطاعوا شـــــحهم ، وأعجب كل منهم برأيه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مروا بالمعروف ، وانهـــوا عن المنكر ، حتى اذا رأيتم شـــــحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيـــا مؤثرة ، واعجـــاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصـــة نفســك ، واياك وعـــــوامهم ، فان وراءكم أياما ، صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر » •

لهذا جعل الله ســبحانه وتعالى للمسلم الصـــادق فى هذا الوقت ، اذا تمســك بدينه أجر خمسين من الصـــحابة ، ففى سنن أبى داود والترمذى ، من حديث أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى اللـــــه عليه وسلم عن هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا عليـــكم أنفسكم ، لايضركم من ضـــل اذا اهتديتم » فقال :

بـــك ائتمـــروا بالمعـــروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ودنيـــا مؤثرة ، واعجاب كـــل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام ، فان من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثـــل قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجـــر خمسين رجلا يعملون مثل عمله »•

قلت : يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال:«أجر خمسين منكم» •

ويعلق ابن القيم على هـــذا الحديث فيقول :

وهذا الاجر العظيم انما هـــو لغربته بين الناس ، والتمســـك بالسنة بين ظلمـــات أهوائهـــم وآرائهم » أ هـ •

فاذا أراد المؤمن ، الذى قـــد رزقه الله بصيرة فى دينه ، وفقها فى سنة رسوله ، صلى الله عليـــه وسلم ، وفهما فى كتـــابه ، وأراه ماالناس فيه : من الأهواء والبدع، والضلال ، وتنكبهم عـــن الصراط المستقيم ، الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

اذا أراد أن يسلك هذا الصراط : فليوطن نفسه على قدح الجهال ، وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه وازرائهم به ، وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه .

فأما أن دعاهم الى ذلك ، وقدح فيما هم عليه : فهناك تقوم قيامتهم ويبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، ويجلبون عليه بخيلهم ورجلهم .

فهو غريب فى دينه لفساد أديانهم ، غريب فى تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع ، غريب فى اعتقاده لفساد عقائدهم ، غريب فى طريقه لضلال طرقهم ، غريب فى معاشرته لهم ، لانه يعاشرهم على مالا تهوى أنفسهم .

وبالجملة : فهو غريب فى أمور دنياه وآخرته ، لا يجد من عامتهم مساعدا ولا معينا ، فهو عالم بين جهال ، صاحب سنة بين أهل بدع ، داع الى الله ورسوله بين دعاة الى الأهواء والاغراض ، آمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكرا والمنكر معروفا .

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كيف أنتم اذا طغى نساؤكم ، وفسق شبابكم ، وتركتم جهادكم »؟

قالوا : أكائن ذلك يارسول الله ؟

قال « نعم ، والذى نفسى بيده ، وأشد منه سيكون » ، قالوا : وما أشد منه ؟

قال : « كيف أنتم اذا رأيتم المعروف منكرا ، والمنكر معروفا »؟

قالوا : أكائن ذلك يارسول الله ؟

قال : « نعم والذى نفسى بيده ، وأشد منه سيكون » يقول الله تعالى :

« بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيرانا » .

ويتفاعل الامام على رضى الله عنه تفاعل المستغيث بربه فيقول :

« انه سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فيه شىء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ، وليس عند أهل ذلك الزمان ، سلعة أشد بورا من الكتاب اذا تلى حق تلاوته ، ولا أنفق منه اذا حرف عن مواضعه ،

ولا فى البلاد شىء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر .

فقد نبذ الكتاب حملته ، وتناساه حفظته ، فالكتاب يومئـــذ وأهله طريدان منفيان ، وصاحبـــان مصطحبان ، فى طريق واحـــد لايؤويهما موئل .

فالكتاب وأهله فى ذلك الزمان فى الناس وليسا فيهم ، ومعهم وليسا معهم ، لأن الضلالة لا توافـــق الهدى وان اجتمعا » أ . هـ

وبعد فيقول الله تعالى :

« وما كان ربك ليهلك القـــرى بظلم وأهلها مصلحون » ســورة هود آية ١١٧ .

« ربنا آتنا من لدنك رحمـــة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » . سورة الكهف آية ١٠ .

وباللــه التوفيــق ..

موسى محمد عــلى

« أزمــة الفــكر الاســلامى »

تكتسب أزمة الفكر الدينى أهمية قصــوى .. ليس بسبب ما يعانيه ذلك الفكر من الجمود والتوقف عن التطور فقط .

ولكن .. لأن استمرارية هذا الجمــود يأتى ملازما لظاهرة الاحياء الاسلامى . فعندما تطفــو على ســطح المجتمع الاسلامى عمليات الاحياء .. متلفعــة فى ثــوب من الجمــود والتخلف يكــون الموقف عند ذلك أكثر من خطير .. بل ومريب للغاية .. لأنه يقطــع الطريق عــلى الشعوب الاسلامية .. فى عمليات التحــديث والتطــور الحضــارى .

الكعبة المشرفة
أول بيت وضع للناس

للأستاذ محمد نعيم عكاشة

جموع حاشدة من المسلمين تقف هـذه الايام فى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج ، وشهود أكبر مؤتمر اسلامى يعقد على صعيد واحد ، وحول بيت واحد ..

حضـوره عبادة .. وطـوافه عبادة .. وأعماله كلهـا عبادة .. وأيضا فيه منافع للناس ..

ـ والكعبة المشرفة التى يطوف حولها الحجيج تسمى ـ أيضـا ـ البيت .. قال تعالى : **(واذ جعلنا البيت مثابة للناس وآمنا)** ..

كما تسمى البيت العتيق . قال تعـالى : **(وليـوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)** ..

وتسمى كذلك : البيت الحرام . قال تعالى : **(جعل الله الكعبـة البيت الحرام قياما للناس)** ..

ـ وهى قبلة المسلمين فى الصلاة حيثما وجـدوا وأينما كانوا .. ولكونها فى وسط المسـجد الحرام فكل من ولى وجهه شطر المسـجد الحرام فقد ولى وجهه شطرها .

وقد أضافها الله سبحانه وتعالى الى نفسه فى قوله لرسوله ابراهيم عليه السلام :

(وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) ..

والمراد بقـوله تعـالى : **« ان أول بيت وضـع للنـاس »** ، انه أول بيت جعله سبحانه فى الأرض متعبدا للناس ، ففرض حجه على الناس عبادة ، وطوافهم حـوله عبادة .. ولا يوجد بيت غير الكعبة تعظيمه عبادة لله ، والطواف حوله عبادة لله .

قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم تأويله **(ان أول بيت وضع للناس)** يعبد الله فيه ، مباركا وهدى للعالمين • للذى ببكه ، وليس هو أول بيت وضع فى الأرض ، لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة ، وأسند هذا القول الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بقوله : قال خالد بن عروة : قام رجل الى عمر فقال : الا تخبرنى عن البيت : أهو أول بيت وضع فى الأرض ؟ قال : لا ولكنه أول بيت وضع فى البركة مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا •

وروى عن الحسن البصرى أنه قال : هو أول مسجد عبد الله فيه فى الأرض •

وقد ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة » •• ويدل الحديث على قدم حرمته من يوم خلق السموات والارض •• ولا يدل عن ان البيت خلق قبل خلق السموات والارض كما ذكرت بعض الروايات •• وقوله تعالى : (أول بيت) فى الآية ، يدل على ان المراد به الكعبة وقوله تعالى : **(ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين)** ـ يدل على ان الكعبة هى أول بيت بنى لعبادة الله تعالى ، وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين ، وانما اختلفت الروايات فى أول من بنى الكعبة•• وكم مرة بنيت ••

قال النووى فى شرح مسلم •• قال العلماء بنى البيت خمس مرات : بنته الملائكة ، ثم ابراهيم عليه السلام ، ثم قريش فى الجاهلية ، وحضر النبى عليه الصلاة والسلام هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة ، وقيل خمس وعشرون سنة ، ثم بناه ابن الزبير، ثم الحجاج بن يوسف •• وقيل بنى مرتين أخريين أو ثلاثا ••

وقد رتبت بعض الروايات بناء الكعبة على هذا النحو :

* بناء الملائكة .
* بناء آدم .
* بناء شيث ابن آدم .
* بناء ابراهيم .
* بناء العمالقة .
* بناء جرهم .
* بناء قصى .
* بناء عبد المطلب .
* بناء قريش .
* بناء عبد الله بن الزبير .
* بناء الحجاج بن يوسف .
* بناء السلطان مراد خان العثمانى

وأما تسمية البيت المعظم « بالكعبة » فقد ورد فى ذلك عدة روايات منها ماذكره الحافظ البغوى فى تفسيره عن مجاهد أنه قال : سميت كعبة لتربيعها ، والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة ، وقال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء ، وقيل : سميت كعبة لارتفاعها من الارض . وأصلها من الخروج والارتفاع .

ابراهيم وبناء الكعبة :

وقد أشار القرآن الكريم .. والسنة النبوية المطهرة الى بناء ابراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام للكعبة المعظمة .. فجاء فى سورة البقرة : « **واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود**) . (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير .واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم**) .

البقرة (١٢٥ — ١٢٧)

وورد فى كتب السنة نقلا عن السلف ما ذكره البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : أول ما أتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل ، وذكر قصة مجىء

ابراهيم بهاجر وابنها اسماعيل الى مكة الى أن قال : وكان البيت مرتفعا عن الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عاكفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى ومافيه ماء ، فأرسلوا جريا أو جريين ــ رسولا ــ فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا ، قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لاحق لكم فى الماء • قالوا نعم ، قال ابن عباس •• قال النبى صلى الله عليه وسلم : (فألقى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس) ، فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام ــ اسماعيل ــ وتعلم العربية منهم أنفسهم ، وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ••

وجاء ابراهيم بعد ذلك الى ابنه اسماعيل فقال له : يا اسماعيل ان الله أمرنى بأمر •• قال فاصنع ما أمر ربك ، قال وتعيننى ؟ قال وأعينك ، قال : فان الله أمرنى أن أبنى هنا بيتا ، واشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال : فعند ذلك رفع القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : **(ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)** • قال فجعلا يبنيان ويدوران حول البيت وهما يقولان : **(ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)** ••

هذا ماروواه البخارى فى صحيحه من حيث بناء ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام للكعبة المعظمة ، قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى : وفى رواية ابراهيم بن نافع فى البخارى : حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ فى نقل الحجارة فقام على حجر المقام : زاد فى حديث عثمان : ونزل عليه الركن والمقام فكان ابراهيم يقوم على

المقام يبنى عليه ويرفعه له اسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذى فيه الركن وضعه يومئذ موضعه وأخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت .

ووردت أقاويل كثيرة تؤيد جواز أن يكون لقواعد البيت وجود قبل بناء ابراهيم مما تقدم ذكره فى بناء الملائكة . وآدم ، وشيث .. وقد جاء فى فتح البارى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : القواعد التى رفعها ابراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك ..

الشيوعيون وأصحاب المذاهب المادية يشككون :

وقد دأب الشيوعيون وأصحاب المذاهب المادية على التشكيك فى جدوى الطواف بالكعبة وتقبيل الحجر الاسود .. وقالوا فى اتهاماتهم للاسلام بأنه قد احتفظ ببقايا من الوثنية الجاهلية ، بل زاد بعضهم وقال ان الطواف بالكعبة انما هى عادة وثنية .

ولمحة سريعة الى الحقائق كافية لأن ترينا سخافة هذا الرأى وباطله .. فقبل مجىء الاسلام كانت الكعبة وكرا للاصنام فكان يوجد فيها ٣٦٠ صنما .. ولم ينظر عرب الجاهلية قط للحجر الاسود على أنه صنم من الاصنام التى بين جدران الكعبة .

ومن المعروف الثابت أن عرب الجاهلية اتخذوا آلهتهم من أشياء لاتحصى ، ومع ذلك فان الكعبة والحجر الاسود هما الشيئان الوحيدان اللذان استمرا بعيدين عن اتخاذهما ضمن تلك الآلهة مع مالهما من التمجيد الذى كان يكنه العرب لهما قبل الاسلام .

وكان المسلمون معادين للوثنية ، حتى انهم عندما رأوا على الصفا والمروة صنمين هما : أساف ونائلة .. رفضوا أن يسعوا بين هذين الجبلين ، حتى نزلت الآية : « **ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** » البقرة (١٥٨) .

محمد نعيم عكاشة

دمعة وفاء
على المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى

لتلاميذ الفقيد

مضى الى رحمة مولاه الله الواحد الأحد الدكتور / أحمد الشرباصى طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه حين وافاه الاجل عصر الخميس ٤ شوال عام ١٤٠٠ هـ الموافق ١٤ أغسطس ١٩٨٠ م . وكان المرحوم قد وقف حياته كلها فى العمل الخالص الدائب من أجل الدعوة الاسلامية فى كل مكان وبكل وسيلة للاعلام وقد لخص وزير الدولة والاوقاف بجمهورية مصر الدكتور زكريا البرى موجزا لحياة الراحل الكريم فى بيانه والذى نشرته الصحف وقد جاء فيه :

نبذة عن الداعية المرحوم :

وقد تقدمنا الى شقيق المرحوم الذى رافق مسيرته من البداية الى الخاتمة الاستاذ السعيد الشرباصى الذى يعمل مدرسا بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد ابن سعود ليعطينا نبذة مختصرة عن حياته فقال .

ليس بنا حاجة الى المبالغة وقد مضى الراحل الى الحق ، وأنا فى أثره فى الطريق الى الحق بغير زاد ولا حقائب ولهذا أذكر بعض الحقائق فى اختصار .

١ ـ ولد عبد الله (أحمد ابن جمعة الشرباصى) فى جمهورية مصر العربية بمحافظة الدقهلية فى قرية البجلات . وكان مولده فى عام ١٩١٨ م . وكان الابن الثالث فى الاسرة . وكنت الابن الرابع فترافقنا رحلة الطفولة والدراسة

والحياة كلها • فكانت القراءة والكتابة طعامه وشرابه •

٢ ــ وقد بدأ نبوغ المرحوم منذ الصغر • فمن الخطوة الاولى له وهو فى معهد دمياط الدينى بعد حفظه للقرآن فى كتاب القرية عاد الى القرية ليتولى عن امام المسجد مهمته • وكانت فرحة الامام وفرحة الاهل بمواعظه لا تقدر حتى صار المسجد يغص بالمصليين للاستماع الى الصبى الواعظ •

٣ ــ وكما ظهر نبوغه الخطابى المبكر ظهر كذلك فى التأليف حيث قدم للمكتبة الاسلامية كتابين وهو مازال طالبا بالثانوى • ثم تتابعت مؤلفاته حتى وصلت الى حوالى مائة كتاب كلها تدور فى فلك الدعوة الاسلامية •

٤ ــ أما عن تفوقه الدراسى فقد اجتمع له ما لم يجتمع لأحد قبله ولا بعده حيث كان الاول فى الشهادة العالية من كلية اللغة بالازهر • ثم كان الاول فى شهادة التخصص كما كان الاول فى جميع سنوات الكلية • كما كان تقديره فى الماجستير والدكتوراه الامتياز•

٥ ــ وبمجرد تخرجه رشحته وزارة المعارف بمصر للتدريس باحدى مدارسها الممتازة بالقاهرة ولكنه تركها رغبة فى أن يبقى من جنود الاسلام داخل الازهر • فاشتغل بالتدريس فيه الى أن حصل على درجة الدكتوراه ليعين مدرسا بكلية اللغة العربية •

٦ ــ أما عن اتجاهه الوظيفى فقد كان يعشق الازهر كفكرة لا كأشخاص • وكان دائم الدفاع عنه باعتباره معهدا اسلاميا أصيلا كما كان دائم الدفاع عن كليته التى تخرج منها وكانت الفرص تتاح له للعمل فى أماكن أكثر بريقا ولمعانا ومكانة ولكنه كان يرفض دائما وكان يقول لاهله عندما يلومونه على ترك الفرص العظيمة المغرية التى تعرض عليه : لان أكون ساعيا فى الازهر خير من أن أكون وزيرا خارج الازهر •

٧ ــ أما عن اتجاهه العام فقد كان مستقل الرأى والفكر • يؤيد الحق فى أى مكان ومع أى هيئة ، ويعارض الباطل أيا كان • وعلى

سبيل المثـــال له أراء فى تصرفات البعض من جمـــاعة الاخـــوان المسلمين ولكنها عندما حلت فى عهد فاروق • ولم يكن عضـــوا فيها • انبرى للدفاع عنها فى قوة جيش ثائر حتى تحـــول مسـجد المنيرة الذى كان يخطب فيـــه الى مركز جديد للاخوان المســلمين الذى أغلقته الحكومة وتجمع الاخـــوان حوله كلهم كلسان حق • وتطـــور أمر المسجد الى حد هدد الحكومة• فأرسلت وســـائلها من كل لـــون لتعرض عليه المنـــاصب ، وتغريه بالسفر كرئيس لبعض البعثـــات وهو مازال فى بداية الطـــريق — ولكنه كان يرفض ويرفض •

ومع أن الحكومة حينذاك تعلم أنه ليس من الاخوان فقد اعتقلته وأرسلته الى معتقل الهاكستب •• وكما دخل المعتقل من أجل الحـــق خرج منه وهو لم يغير خطته ولم يتلون بمذهب خـــاص غير مذهب الحق والدعوة المجردة لله وحده • وأحب أن أســـجل للتـــاريخ وللتصحيح — وأنا صـــادق — أن فكرة الاستقلال والدفاع عن الحق حيث كان ، كانت تعرضـــه لبعض النقد من قصار النظر لان الحـــق دائما ليس كله مع جماعة واحـــدة والذين ينشدون الحق حيث كان يجدون أنفسهم لا يتعصبون لمذهب ولا لجماعة خاصة •

٨ — أما عن مؤلفاته فقد وصلت قرابة مائة كتـــاب بين الطـــويل والقصـــير ونشـــير الى اهتمامه بمعالجة بعض القضايا العامة ومن كتبه على سبيل المثال : يســـألونك خمسة أجزاء وفى عالم المكفوفـــين جزئين وأخـــلاق القرآن عـــدة أجزاء • أما كتبه عن الفدائيـــين والشـــهداء فقد صـــنعت صرحا اسلاميا لم يسبقه اليه أحد •

نســـأل الله تعـــالى أن يكتب للراحل القبـــول والرحمـــة وأن يتجاوز عن خطاياه وأن يزيـــد فى حسناته وأن يبعثـــه مع النبيـــين والصديقين والشهداء •

ومؤلفات المرحوم بلغت حوالى ٧٥ كتابا وتولى وظائف علميـــة متعـــددة •

كلمة وفاء من تلاميذ الفقيد

مشكلات الشباب المعاصر وحلولها

في ضوء الكتاب والسنة

للأستاذ علي القاضي

جاء العصر الحديث ليغرق الشباب بمشكلات متعددة ، وكانت هذه المشكلات خطيرة ومتشابكة ذلك لان الغرب قد تقدم صناعيا ، واستعمر البلاد الاسلامية كلها تقريبا ، وقام بنشر أفكاره بين الشباب وهو فى مركز القوة والتوجيه ، وربى مجموعات كبيرة من الشباب المسلم على مفاهيمه الجديدة ، وملكهم قيادة الحكم والتوجيه والتربية ووجد الشباب نفسه فى حيرة لا يدرى كيف يخرج منها ، وأحس بالمشكلات تحيط به وتملك عليه نفسه .

حول الطبيعة البشرية :

وكان من أهم هذه المشكلات الحديث حول الطبيعة البشرية ،هل الانسان أصله حيوان سار فى طريق التطور أم أنه مخلوق متميز؟ .. ولهذه النظرة الى الانسان آثارها العميقة فى نفس كل شاب بل ، آثارها المدمرة حين يحس بأن أصله حيوان كبقية الحيوانات فى هذه الدنيا .

وفى عام ١٩٧٨ م أصدر البروفسور ادوارد نلسون أحد مؤسسى علم الأحياء الاجتماعى (وهو محاولة لدمج العلوم الاجتماعية بعلم الاحياء) والاستاذ بجامعة بيركلى ثم هارفارد كتابا بعنوان : « حول الطبيعة البشرية » يقول فيه الكاتب عن علماء البيولوجيا : أن علماء القرن الماضى كانوا يعتقدون بأن الانسان لايتميز عن بقية الثدييات بيولوجيا الا ببعض الصفات الفسيولوجية

التى اكتسبها من خلال تطوره وارتقائه ، كانتصاب القامة وتطور تركيب الاطراف الأمامية ، واتساع الجمجمة الذى بدأ يسمح بنمو ومقدرة المخ .. الخ .

وجاء علم القرن العشرين لكى يكتشف أن الانسان نوع متميز منذ بدء الخليقة ، وأن امتيازه متطور فى خلاياه التى تتضمن صفات خاصة به وحده ينقلها الى أبنائه وأجياله وتتطور هذه الخلايا حاملة خصائصه الوراثية (الجينات) تطورا خاصا رغم تأثره بما يكتسبه الانسان من معلومات وقدرات جديدة فى صراعه ضد الطبيعة ، وقال الكاتب عن علماء الاجتماع الوضعيين والتاريخيين كالماركسيين : انهم كانوا يعتقدون بأن الانسان توقف غالبا عن التطور البيولوجى والفسيولوجى ، وأن تطوره انتقل الى مجال المخ والجهاز العصبى نتيجة دخوله فى مرحلة تكوين المجتمعات ، أى أن تاريخ الانسان أصبح تاريخا اجتماعيا فقط ، وليس تاريخا بيولوجيا — وأن مخ الانسان وقدرته العصبية وحدها هى التى تتغير مع مكتسبات العلوم والتكنولوجيا ، وأدوات الانتاج وأساليبها ، ومع تسليمهم بأنه ليس للانسان أى تميز بيولوجيا يفصله عن عالم الثدييات الحيوانى الا ببعض الصفات الفسيولوجيه تتجسد فى بعض المهارات التى تمارسها أعضاؤه ، والتناسق المتطور لجهازه العصبى ومركزه فى المخ .

وجاء العلم الحديث لكى يكتشف أن للانسان صفات ثابته لا يلحقها أى تغيير لانها صفات تحمل خلاياه الوراثية كأنها أصابع شخص واحد لا يتغير طوال عمره — وأن المكتشفات الجديدة تضاف الى الصفات الثابته ولا تمحوها .

وقال الكاتب عن علماء الأنثروبولوجى : ان أصحاب هذا العلم الجديد نسبيا كانوا يحاولون تفسير الوجود الاجتماعى والتاريخى للانسان عن طريق تركيبة نظرية تجمع بين علماء الآثار وتاريخ التكنولوجيا وتاريخ العلم وتاريخ العقائد والفنون ،

يربط بينهما تصور فسيولوجي اجتماعي ، وأنهم كانوا يفسرون « التغيرات » والاختلافات التى شهدها تاريخ البشرية على أساس تبادل التأثير بين تطور استخدام الانسان لاعضائه ومهاراته ومعارفه بين التحولات الاجتماعية المختلفة صغيرة أو كبيرة ، فكانوا قادرين على الاحساس بالتمايزات بين الثقافات المختلفة ، ولكنهم لم يضعوا فى اعتبارهم الخصائص الواحدة التى تكررت فى كل أنواع السلوك البشرى ، واللغات والثقافات ولدى كل الأمم والحضارات والتى تكاد تكون من السمات التى يتميز بها النوع الانسانى ، ويظل يتميز بها أفرادا أو جماعات وأمما ، لكى تفصله بشكل عام عن عالم الحيوان — وتنتج له الوضع المناسب للخروج من سجن الطبيعة وحدودها الى رحاب الحرية التى انتزعها اعتمادا على هذه الصفات الخاصة به وحده والتى تشترك فيها كل فصائله وأنواعه — أى كل الأمم والحضارات والقوميات ، ويقول ويلسون : ان نظرية التطور الداروينية نسبة الى دارون — من أكثر علوم القرن الماضى تأثرا بالنظرية الجديدة — انها على ضوء هذه النظرية لم تعد قادرة على تفسير سلوك الافراد رغم احتمال صلاحيتها لتفسير جانب من السلوك الخاص بالجنس البشرى ككل — فالقول بأن صراع البقاء يؤدى الى بقاء الأصلح قد ينطبق على الأجناس بوجه عام ، ولكنه على المستوى الفردى كان يقضى بأن تختفى القيم الأخلاقية تماما ، والتى يقوم عليها جزء من أسس أى مجتمع .

وهذه النظرة الجديدة حول الطبيعة البشرية تؤيد نظرة الاسلام الى الانسان ، وفى الوقت نفسه تفيدنا فى علاج هذه المشكلة ، لأنها تأتى من الغرب الذى أوجد هذه المشكلة .

الانسان فى نظر الاسلام :

الانسان فى نظر الاسلام مخلوق متميز خلقه من تراب ، ونفخ فيه من روحه ، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ، وعلمه الأسماء كلها

ولم يعلمها الملائكة ، ووكل اليه خلافته فى الأرض يقوم بعمارتها ويحقق العدل فيها ، وجعله قريبا منه يجيبه اذا دعاه ، وينصره اذا استنصره ، ويوضح الحديث القدسى الذى رواه البخارى مقدار اهتمام خالق الانسان بالانسان وذلك حين يقول : **(أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة)** هكذا يكون الانسان قريبا من خالقه يعامله بلون من ألوان الرعاية والتدليل وذلك حين يتجه الانسان الى خالقه ، وفى حديث آخر يخاطب رب العزة الانسان فيبين له من هو ، ويوجهه التوجيهات التى تفيده فى حياته ، وذلك حين يقول له : (ابن آدم خلقتك لنفسى وخلقت كل شىء لك فبحقى عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له ، ابن آدم خلقتك لنفسى فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ابن آدم اطلبنى تجدنى فان وجدتنى وجدت كل شىء وان فتنى فاتك كل شىء ، وأنا أحب اليك من كل شىء) •

والموت فى الاسلام ليس نهاية الانسان ــ بل أنه محطة انتقال الى الأبد الذى لا نهاية له ، الى دار الخلود ، الى حيث يقال للمؤمنين : **(سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)** الزمر/٧٣ ، ويرون ماهم فيه من نعيم وتكريم فيقولون : **(الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين)** الزمر/٧٤ ، فالانسان فى الاسلام مزدوج الطبيعة ــ وهو لذلك متوازن لأن الاسلام يتعامل مع النفس البشرية بضعفها وقوتها ، فلا تطغى ، لانه من صانع الوجود والانسان •

والمسلم متميز على غيره من بنى الانسان ، بأنه غير متورط فى عالم المادية ، بينما الانسان فى الغرب تورط فى الماديات تورطا لايسوغ له القيام بمهمة تخليص الانسانية من ورطتها فى المادية ــ

والاسلام يرى أن المال وسيلة لا غاية ، وصاحب المال له قيمة بمقدار ما ينفق فى أوجه الخير ، لا بما يكنز أو يستغل أى نوع من أنواع الاستغلال ، وهناك أمور أسمى من المال ولها أثرها فى تحقيق السعادة للفرد والمجتمع كالعقيدة والاخلاق والعلم والشعور بالمسئولية وتحقيق انسانية الانسان .

ولابد من الاهتمام بالفضائل والاخلاق والأعمال الصالحة بالنسبة للفرد مع ربه ومع نفسه ومع مجتمعه — وبالنسبة للمجتمع مع خالقه ومع أفراده ومع المجتمعات الاخرى وما ذكر الايمان فى القرآن الا وذكر معه العمل الصالح والعمل الصالح يشمل كل شيء فى هذه الحياة يساعد المسلم على تحقيق رسالته سلبا أو ايجابا مع النفس أو مع الافراد أو مع المجتمعات الأخرى — بل ان الايمان يغيب عن المسلم حينما يرتكب رذيلة ، وفى الحديث الشريف : (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) البخارى .

والى جانب هذا كله فان الانسان « من المسلم » فى نظر الاسلام مخلوق متميز عن غيره من بنى البشر لأنه يحمل رسالة سامية هى تحقيق خلافة الله فى الارض ، وهذا التميز يأخذ طابع الشكل كما يأخذ طابع المضمون .

التميز فى الشكل :

يتميز الانسان المسلم بالرجولة والخشونة ومن هنا فان الاسلام يحرم كل ما يحد من هذه الرجولة أو يؤثر عليها — ومن ذلك أنه حرم على الرجال الاشياء التى تتحلى بها النساء كالذهب والحرير ، ذلك لأن الاسلام دين الجهاد والقوة ، وهو لذلك يريد أن يصون رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال ، ولذلك فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس المعصفر ، يروى مسلم عن على رضى الله عنه قال : نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التختم بالذهب وعن لبس القسى (نوع من الحرير) وعن لباس

المعصفر ، وعن ابن عمر قال : (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال: (ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) رواه مسلم — وقد روى الشيخان عن عمر — رضى الله عنه — قال : (لا تلبسوا الحرير فان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة) ورأى النبى صلوات الله عليه خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال : (يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيحملها فى يده) فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك فانتفع به فقال : (لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) البخارى ، ويروى ابن ماجه عن على — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فحمله فى يمينه وأخذ ذهبا فحمله فى شماله ثم قال : (ان هذين حرام على ذكور أمتى حل لاناثهم) وأخرج مسلم فى صحيحة ونحن بأذربيجان : يا عتبة ابن فرقد انه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا كد أمك فاشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع منه فى رحلك واياكم والتنعيم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير .

وكما يحافظ الاسلام على رجولة الرجل فانه يحافظ على أنوثة الأنثى حتى يتفرغ كل منهما لرسالته وحتى يبقى لكل نوع منهما خصائصه التى يستطيع بها ذلك — وهو يحرم على كل نوع منهما أن يتشبه بالآخر ، لأن فى ذلك افسادا للمجتمع الاسلامى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) البخارى ، والتشبه يكون فى الكلام وفى الحركة وفى المشى وفى الملبس ، وقد روى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ممن لعنوا فى الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال) ، كما روى أبو داود عن

أبى هريرة قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) وروى البخارى عن ابن عباس قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) .

والى جانب هذا فان الاسلام يحارب الترف الذى يهدد الأمم بهلاكها — والترف مظهر الظلم الاجتماعى وفيه يقول الله تعالى : **(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** الاسراء /١٦ — ولذلك فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعمال آنية الذهب والفضة لأنهما من الرصيد العالمى للنقد فلا ينبغى استخدامهما الا فى الحدود المرسومة لهما قال عليه السلام : (ان الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم) مسلم .

وفى تناول الطعام لابد وأن يتميز المسلم فيأكل بيده اليمنى ، ويروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل ويشرب بشماله) وجلوس المسلم لابد وأن يكون مغايرا لجلوس غيره يروى أبو داود عن الشريك بن سويد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كنت جالسا هكذا — وقد وضعت يدى اليسرى خلف ظهرى واتكأت على الية يدى (اللحمة التى فى أصل الابهام) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتقعد قعدة المغضوب عليهم ؟) والرسول الكريم يبعد المسلم عن أن يجلس جلسة الكفار الذين غضب الله عليهم .

واليهود والنصارى لايصبغون شعورهم — والتميز يقتضى أن يصبغوا ، يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) والمشركون يحلقون لحاهم ويبقون شواربهم وقد طلب النبى الكريم تميز المسلمين عن المشركين فى ذلك يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خالفوا

المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب) رواه مسلم .

والاسلام يحب نظافة الجسم والثوب والجسم والشارع وكل شىء — ومن هنا كان الوضوء والاغتسال وأخذ الزينة عند كل مسجد — ومع ذلك فهو ينفر المسلمين من أن يكونوا كاليهود فى الاعتناء بأفنيتهم يروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولاتشبهوا باليهود) الترمذى .

وبيوت الكفار عادة تكون فيها الصور والتماثيل اعجابا أو تقديرا أو زينة — وقد ينقلب هذا فى يوم من الايام الى عبادة أو ما يشبهها — ولذلك فان النبى الكريم يقول : (ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل) مسلم ثم يشدد على ذلك تشديدا واضحا حين يقول : (ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) متفق عليه .

وقد درج غير المسلمين على أن يقوموا تحية للقادم وتعظيما له فقال النبى عليه السلام : (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) رواه أبو داود ،كما تعودوا من الاكثار فى الثناء عليه فنبههم النبى الكريم الى أن المجتمع الاسلامى ينبغى أن يكون متميزا عن غيره من المجتمعات ، وأن يكون مقلدا لا مقلدا يقول الرسول الكريم فى الحديث الذى رواه البخارى : (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله) .

وصام رسول الله عليه السلام يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه فقال الصحابة : يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال عليه السلام : (فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم) الموطأ .

وقد جعل الاسلام أعياد المسلمين مرتبطة بالشعائر الاسلامية — وحين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

ووجد الانصار يلعبون فى يومين قال : ما هذان اليومان قالوا يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال عليه السلام : (قد أبدلكم الله خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) الترمذى .

وهكذا يحرص الاسلام على تميز المسلم فى كل شىء ، فان المشابهة فى الظاهر سبب للمشابهة فى الأخلاق ، وقد تصل الى المشابهة فى المعتقدات .

التميز فى المضمون :

والانسان المسلم كما يتميز فى الشكل فانه يتميز فى المضمون أيضا — فالمسلم يحس بكرامته على الله تعالى وبمكانته فى الملأ الأعلى وبمركزه القيادى فى هذا الكون — وهذا كله يجعله معتزا بذاته لأنه يشعر بانتسابه الى الله تعالى وارتباطه بكل ما فى الوجود — فالعقيدة الاسلامية تجعل المسلم انسانا كاملا وتعطى للحياة معنى .

والاسلام وجه عناية بالغة الى الجانب الانسانى فى هذه الحياة ذلك لأن الشعائر — وهى الصلاة والزكاة والصيام والحج — لا تأخذ الا جانبا قليلا من القرآن والسنة ومن كتب الفقه — وأطول آية فى القرآن الكريم هى آية الدين فى سورة البقرة — والتداين جانب هام منجوانب التعامل الانسانى — ومع ذلك فالشعائر فيها جوانب انسانية — فالصلاة تحقق المساواة بين الناس جميعا فى وقوفهم صفوفا متراصة كما تمثل تعليم الطاعة للقائد فى صلاة الجماعة وفى تنفيذ الديمقراطية حين يستفتح الامام على المأموم عند الخطأ — ثم ان الصلاة عون للانسان فى هذه الحياة والقرآن الكريم يقول : **(يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) البقرة /١٥٣** والزكاة تؤخذ من الغنى لترد على الفقير — وهى لنفس الغنى تزكية وتطهير وللفقير اغناء وتحرير — والصوم تربية لارادة الانسان على الصبر فى مواجهة صعوبات الحياة وتربية لمشاعره على الاحساس بآلام غيره فيسعى الى مواساته — والحج مؤتمر فيه منافع للناس من أوجه مختلفة ففيه تتحقق المساواة

وفيه التجارة وفيه الانسلاخ من الدنيا والتقرب الى الله تعالى .

وكل عمل يعمله الانسان يبتغى فيه وجه الله تعالى فهو عبادة وبخاصة تلك التى تبنى المجتمع يقول الرسول الكريم : (أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دينا أو تطرد عنه جوعا — ولأن تمشى مع أخ فى حاجة أحب من أن تعتكف فى هذا المسجد (مسجد المدينة) شهرا — ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه — ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الاقدام) البخارى ، فالمجتمع الاسلامى هو مجتمع الحب والتعاون والتآلف وهو بعيد عن الحقد والحسد سواء أكان ذلك بالنسبة للأفراد أم بالنسبة للجماعات .

والحب فى المجتمع الاسلامى أساسى ولن يؤمن المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لها .

والمسلم يحس بأنه عضو هام فى المجتمع وهو فيه راع ومسئول عن رعيته — والمسئولية عامة لكل فرد من أفراد المجتمع — وشعور المسلم بهذه المسئولية يريحه ويجعله يحس بكيانه وبأهميته فى مجتمعه .

والاسلام جعل للانسانية مبادىء تسير عليها ، فالناس جميعا أخوة من أب واحد وأم واحدة : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة**) النساء /١ — والأخوة شاملة للبشرية جميعا ، والمساواة بين الناس مبدأ انسانى اسلامى ، فلا تفرقة بين عنصر وعنصر أو لون ولون أو جنس وجنس : (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير**) الحجرات /١٣ . فالقيمة الانسانية للجميع واحدة ، ولا فضل لواحد على الآخر الا بالتقوى ، والنبى الكريم يقولها واضحة : (يا فاطمة بنت محمد

اعملى صالحا لا أغنى عنك من الله شيئا) البخارى •

ومن أهم خصائص انسانية الاسلام أن يعمر المسلم الارض بالاسلوب الذى رسمه الله — تعالى — ونشر العدالة الكاملة فيها تحت أى ظرف من الظروف وفى أى مكان — ومع جميع الناس بل حتى ومع النفس ، لأن الله ، — تعالى — سيحاسب على ذلك كله : (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا**) النساء/١٣٥ •

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من خصائص الانسان المسلم — وقد اختار الله — تعالى — الأمة الاسلامية لتحقيق هذه الخصيصة وجعلها خير أمة اخرجت للناس : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران ١١٠ •

ومن خصائص انسانية الانسان فى الاسلام — العلم — ذلك لأن المعرفة سلاح — وكلما أوغل الانسان فيها اكتشف من أسرار الكون ما يزيده تعرفا على انسانيته — والعلم للفرد والمجتمع امكان على تحقيق الرسالة ، ولذلك فان الله — تعالى — يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات •

وشخصية المسلم شخصية مستقلة ، لاتتأثر بالرأى العام اذا كان مخطئا ، ذلك لأنها ترى بعين الله ، وفى الحديث الشريف : (لايكن احدكم امعة يقول : أنا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت وان اساءوا أسأت — ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم) — ومن هنا كان أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند أمام جائر •

والمسلم فى هذه الحياة يدافع عن الحق ويحمى أماكن العبادةكلها سواء أكانت اسلامية أم يهودية أم مسيحية — ويوضح ذلك القرآن الكريم فى قوله : (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على**

نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) الحج/٣٩/ ٤٠ ـ ويلاحظ فى هذه الآيات أنه قدم الصلوات والبيع على المساجد ـ ذلك لأن المسلم بطبيعة عقيدته سيدافع عن اماكن عبادته ، ولكنه قد لا يدافع عن بقية اماكن العبادة ولذلك فان الآية الكريمة قدمت الصوامع ، حتى يحس المسلم بأن الدفاع عنها من تمام رسالته ٠

واذا كان الانسان فى كل المجتمعات قديمها وحديثها يقاتل لتوسيع رقعة الأرض ، أو لارضاء كبرياء مجتمعه ، أو لا ستعباد الآخرين وقهرهم ، ونهب خيراتهم أو لتحقيق المصالح الخاصة ، والتكالب على متاع الدنيا ـ ويستخدم الطاقات فى خدمة الصراع الذى يحدث بين الافراد والجماعات ، والدول والشعوب التى تتصارع على الارض كلها ـ ويسعى بعضها الى سحق بعض وتكون القوى الانسانية كلها فى خدمة الشيطان ـ اذا كان الامر كذلك ـ فان الاسلام شرع الجهاد ليحارب كل هذه الأشياء ـ يقابل الطغاة الذين يسخرون شعوبهم من أجل حريتها ، ويحرر تلك الشعوب من استعباد الطغاة لها ـ وذلك بدعوتهم الى عبادة الله الواحد فى جميع الاتجاهات كما يتحررون من القيم الزائفة ، ومن العبودية لغير الله ـ وهذا يحقق معنى الآية الكريمة : **(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت)** النساء/٧٦ ٠

كما أن من مهمة المجتمع الاسلامى أن يقاتل ليحرر المستضعفين فى هذه الأرض : **(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ٠ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا**

يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) النساء ٧٥/٧٦ ٠

وحتى فى الهزيمة يتميز المسلمون عن أعدائهم فلا وهن ولا ضعف ، وهم الأعلون وفى مكان القيادة : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء)** آل عمران ١٣٩/١٤٠ ٠

ومعنى النجاح فى الاسلام يتغير عن معناه عند سائر الأمم ــ فهو فى الاسلام يكون بأداء الواجب على أكمل وجه وبالنية ــ والله ــ سبحانه وتعالى ــ يجازى الانسان على ذلك لا على النتائج والمسلم الحقيقى هو النموذج الحى للأمن والاستقرار ــ الأمن من العوارض المادية والآفات والكوارث الواقعة بأن يأمن على نفسه وعلى عقيدته ، وعلى ماله وعلى عرضه وعلى حريته ــ ثم الأمن فى الآخرة من عذاب الله ــ تعالى ــ والآية الكريمة الآتية توضح كيف يكون الانسان المسلم مع ايمانه بالله وأدائه لرسالته فى أمن فى الدنيا والآخرة : **(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم)** فصلت ٣٠/٣٢ ٠

والاسلام حريص على المسلم ــ حريص على مواهبه واستعداداته واتجاهاته يربيها وينميها ، وفى الوقت نفسه لا يكبتها ولا يتركها تتبدد هنا وهناك من غير فائدة ــ كما يحدث فى المجتمعات المعاصرة ــ الاسلام لا يكبت الطاقات لأنها موهبة من الله خالق البشر ــ وكل ما وهبه الله للانسان هو خير ينبغى أن ينميه ، ويستغله فى الخير ويشكر فضل الله عليه ــ والمسلم لا يبدد هذه الطاقات لأنها نعمة فهى تتفق فى المصلحة الخاصة والعامة وفى

تحقيق الرسالة ـ المسلم يوجـه هذه الطاقات للخير وفى الخيـر ـ للفرد والأمة وتكون الفائـدة فى الدنيا والآخرة .

والانسان غير المسلم يحس بأنه يعيش فى ضياع ـ لا يعرف لماذا جاء ولا الى أين ينتهى ؟ وينشد :

جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت
ولقد أبصرت أمامى طريقا فمشيت
وسأبقى هائما ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف أبصرت طـريقى
لست أدرى ؟

لكن الانسان المسلم يعـرف الاجابة عن كل هذه الاسئلة لأنـه انسان صاحب رسالة لنفسه ولدينه ولمجتمعه ، كما حدد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا عكس الفلسـفات البشرية فهى متأثرة بقصـور الانسان وملابسات حياته ، فهـى لذلك تقصر عن الاحاطة بجميـع الاحتمالات فى الوقت الواحـد ـ وقد يعالج ظاهـرة فريـدة أو اجتماعية بدواء يؤدى بدوره الى بروز ظاهرة أخرى تحتـاج الى علاج جديد ، لأن الفلسـفات البشرية تقصر عن الاحاطة بالنفس البشرية ، وكل أطوارها وأحوالها

على القاضى

الى السـادة القـراء :

بصدور هـذا العـدد تختتم المجلة عامها الهجـرى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق سنة ١٩٨٠ م .

وكل عام وأنتم بخير

جمع الصحيحين

للأستاذ محمد أحمد بدوى

جمع الصحيحين

لقد حظى « الصحيحان » منذ تأليفهما بمكانة سامية فى نفوس المسلمين ، وحياتهم على اختلاف مذاهبهم لم تدانها مكانة أى كتاب بعد القرآن الكريم ، واعترف الكافة بأن مناهج الامامين : البخارى ومسلم أكمل المناهج فى اختيار الرواة ، واشتراط الضبط والعدالة فيهم ، وتعاصرهم مع امكان اللقاء (عند الامامين) بل واللقاء الفعلى (عند البخارى) •

قال الحافظ : أبو عبد الله بن يعقوب الاخرم ، وهو شيخ الحاكم صاحب المستدرك : نقل ما فات البخارى ومسلما من الاحاديث الصحيحة •

وقد عكف العلماء على الصحيحين بالاستدراك والاخراج عليهما ، واختصارهما وجمعهما وشرحهما •

المستدركات

أما الاستدراك : فهو العثور على أحاديث بأسانيد رجالها على شروط أحد الشيخين ، ولم يخرجها وممن استدرك على الشيخين الحاكم ، ولكنه استدرك بأحاديث لا يلزمهما اخراجها لضعف رواتها عندهما ضعفا مستديما ، أو ضعفا باعتبار لدى الشيخين ، كأن يكون الراوى ضعيفا فى روايته عن راو بعينه أو يكون ضعيفا عند الكبر •

المستخرجات

وموضوع المستخرج كما قال العراقى ، أن يأتى المصنف الى

الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه عن غير طريق صاحب الكتاب ، فيجمع معه فى شيخه أو من فوقه ، وربما أسقط المستخرج أحاديث وصلت اليه بسند لا يرتضيه ، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب . ولم يلتزم المستخرجون موافقة الاصل فى الالفاظ ، اذ قد تصل اليهم بتفاوت فى اللفظ والمعنى .

ومنها صحيح أبى عوانة المسمى : المسند المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج لابى عوانة يعقوب بن اسحق الاسفراييني، ومنها صحيح أبى بكر البرقانى وهو المسند ملخص لصحيح البخارى ومسلم (سيزجن) .

المختصرات

أما الاختصار والتجريد فيتم بحذف الاسانيد ، والاقتصار على الصحابى ، وبحذف المكرر من الاحاديث وحذف التراجم بما فيها من آثار وآيات كريمة وتعليقات ، وحذف كل ذلك من البخارى يفقده ميزة كبرى من مميزات كتابه . قال ابن حجر فى التراجم : حيرت الافكار ، وادهشت العقول والابصار ، وبها وبغيرها عد من المجتهدين ، كما أن المكرر — فى نظرنا — يشتمل على كثير من الالفاظ والمعانى غير الموجودة فى الاصول التى يذكرها ، وحسبك أن تعلم أن المكرر فى البخارى يزيد على أصوله التى تكررت والتى لم تتكرر ، وحسبك أن تعلم أن الزبيدى وهو أشهر من اختصر البخارى وجرده قد اقتصر فى كتاب التوحيد على عشرة أحاديث من مائة وتسعين حديثا ، وعلى ذكر ستة أبواب من ثمانية وخمسين بابا ولم يكن البخارى عابثا فى ذكر كل هذه الابواب وتكرير هذه الاحاديث ، فضلا عن أنه قال كما حكى هدى السارى : لم أدخل فيه معادا فهو لم يكرر الا لغرض وفائدة . وممن اختصر البخارى أيضا ابن أبى جمرة . وممن اختصر صحيح مسلم الحافظ المنذرى . ويلتزم المختصرون ألفاظ الصحيحين .

الجمع

كثرت الاعمال التى توصف فى

فهارس المخطوطات بالجمع بين الصحيحين ، وهى متناثرة الان فى مكتبات الشرق والغرب ، وتذكر فى الفهارس تحت عناوين الجمع والاطراف .

وقد اطلعت على معظمها ، وعلى التعريف بما ذكر منها فى مكتبات الازهر ، ودار الكتب المصرية ، ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية وبمكتبة الحرم المكى ، ومكتبات المدينة والرياض ، واطلعت على فهارس بروكلمان وسيزجن وسركيس ، وطلس والمكتبة الظاهرية . بدمشق ، وفهارس مخطوطات وزارة الاوقاف فى العراق ، ولم يفتنى الا ما لم يفهرس من هذه المخطوطات . وأمكننى أن أصنفها فى الانواع الآتية :

أولا : الكتب التى تجمع أحاديث الصحيحين كاملة المتون ، وتبعا لنظام المسانيد ، وهى تجمع كل ما روى كل صحابى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأودعه الشيخان صحيحهما . وأشهرها جوامع الحميدى (٤٤٨ هـ) والفراء البغوى (٥١٦ هـ) . وأبو جعفر القرطبى المعروف بابن حجة (٦٤٢ هـ) . وابن الفرات السرخسى (٤١٤ هـ) وهذه المسانيد لا تذكر من السند الا الصحابى ، وقد تذكر من قبل الصحابى وهى تستقصى أحاديث الصحيحين مجمعة تحت أسماء رواتها من الصحابة .

ثانيا : كتب الاطراف . وهى تجمع أحاديث الصحيحين وحدهما ، أو مع غيرهما ، على نظام المسانيد غير أنها تقتصر على طرف من الحديث ، وتستقصى رجال السند ذكرا ، ومنها :

١ ـ أطراف الواسطى (٤٠١ هـ) وتجمع أطراف الصحيحين .

٢ ـ أطراف أبى مسعود الدمشقى وتجمع أطراف الصحيحين .

٣ ـ أطراف ابن الخراط للكتب الستة .

٤ ـ الكشاف بمعرفة الاطراف للحسينى الدمشقى (٧٦٥ هـ) للكتب الستة أيضا .

وتمتاز كتب الاطـــراف ككتب المســانيد بأنها تستقصى الاطراف ورجال السند ذكرا •

ثالثا : الكتب التى تصنف فيهـا الاحاديث تامة النصــوص تحت رءوس موضــوعات ، وهذه اما أن تكون موضوعات مسـلم أو أبوابه (كالاشــــبيلى) واما أن تكون موضــوعات أو أبوابا من صنعهم تختلف كثيرا أو قليــلا عن أبواب البخارى أو مسلم ، ولم يجمع أحد أحاديث الصـــحيحين بترتيب البخــارى وتراجمــه الى الان ، كما لم يستقص أحــد الصحيحين كما سيبين فى موضــعه من هذه الدراسة •

رابعا : الكتب التى تضم المتفق عليه من الاحاديث فى الصحيحين • وقد جــاءت فى الفهـــارس تحت عنوان الجمــع بين الصــحيحين أيضا • ومنهــا ما يذكر الاحاديث تبعــا للترتيب الالفبائى لأوائل الاحــاديث القولية ، وأغلبهـا فى المتفق بين البخــارى ومســلم ، والقليل فى المتفــق فيهمــا وفى غيرهما • ومنها ما يذكر الاحاديث تحت رءوس موضوعات •

وسنذكر بشىء من التفصـــيل بعض هــذه المخطوطات كنماذج ، لنرى مدى انطباق مسـميات‌ها على الاســماء التى أطلقت عايها فى فهارس المخطوطات •

أولا ــ نظام المسانيد

أشــــهرها الحميدى ، وجاء التعــريف به فى كثير من فهــارس المخطــوطات ، فقد جاء عنه فى كشــف الظنــون : الجمــع بين الصحيحين للحافظ •• الحميــدى الاندلسى توفى ســنة ٤٨٨ هـ رتب الاحاديث على الصــحابة حسب فضــلهم ، فقدم أحاديث أبى بكر وباقى الاربعة ، ثم باقى العشرة • قال السيرافى فى شرح الالفية له : ان الحميــدى زاد فى جمعه ألفاظا وتتمات ليست فى واحد منهمــا من غير تمييز ، وهذا ما أنكر عليه لأنه جمــع بين كتــابين فمن أين أتت الزيادة ؟ من كشف الظنون •

وقــد اطلعــت فى دار الكتــب المصرية على نســخة فى مجلدين ، الأول برقم ٣١٢ حــديث والثانى

برقم ٢٠٠ (حديث) وعلى نسخة أخرى من أربعة مجلدات برقم ٦٥٨ ثم اطلعت على الثالث والرابع منها فى مكتبة الحرم المكى • واطلعت على النسخة نفسها ذات المجلدين بخط آخر فى المكتبة المحمودية بالمدينة تحت رقم ٢٩ و ٣٠ •

ويذكر الحميدى الحديث المتفق بلفظ أحد الصحيحين ، وجاء عن ذلك فى مقدمته ؟ وربما أوردنا المتن بلفظ أحدهما • فان اختلفا فى اللفظ واتفقا فى المعنى أوردناه باللفظ الاتم • ولا يذكر الاحاديث المكررة الا فى ظروف خاصة قال عنها فى المقدمة : ولم أذكر من المعاد الا ما تدعو الضرورة اليه لزيادة بيان أو معنى يتصل بما لا يقع الفهم الا بايراده ، ومن هنا يأتى النقص فى انطباق المسمى على الاسم فى جامع الحميدى • ويبدأ بالمتفق من الاحاديث ، ثم بما انفرد به البخارى ، ثم بما انفرد به مسلم ، وقال فى ذلك : وجعلنا حديث كل صاحب على حدة ، وبينا المتفق عليه من كل مسند ، وبما انفرد به واحدا منهما **والاقتصار عن التكرار** • وانى أتجاوز هنا الكلام عن ضرر حذف المكرر مكتفيا فقط بالاشارة اليه •

ثانيا — كتب الأطراف

١ — أطراف الواسطى : قد اطلعت فى دار الكتب المصرية على نسخة مخطوطة فى أربعة مجلدات تحت رقم ٣١ حديث و ٥٠٠ الخ • وعلى نسخة أخرى فى ثلاث مجلدات تحت رقم ٣٢ حديث ، والنسخة ذات المجلدات الاربعة مصورة فى معهد مخطوطات الجامعة العربية فى فيلمين • وقد ذكر الواسطى مسانيد الصحابة مرتبين على حروف المعجم ، ويذكر طرفا مختصرا جدا من الحديث ، وقد يذكر موضوع الحديث فى كلمة ، ويشير الى المتفق ، ثم روايات البخارى ثم روايات مسلم بذكر اسم الكتاب ، ولا يذكر ما تختلف به الروايات بعضها عن بعض •

٢ — تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف للمزى : جمع فيه مسانيد الصحابة التى فى الكتب الستة

(الصحيحان وسنن أبى داود وجامع الترمذى وسنن ابن ماجة وسنن النسائى) ، ويوجد بمكتبة الازهر الجزء الخامس من نسخة ذات ثمانية مجلدات ، ويوجد مثله فى دار الكتب برقم ٧٢٦ ، وتوجد النسخة كاملة فى المكتبة الظاهرية بدمشق • وقد قام الدكتور عبد الصمد شرف الدين باخراج الكتاب اخراجا جيدا جدا بالهند • ورتب المزى أطرافه تبعا لنظام المسانيد مرتبا الصحابة ترتيبا الفبائيا ويتتبع أسانيد كل حديث باستيعاب جيد •

ثالثا ــ الكتب المرتبة على الابواب •

جاءت فى فهارس المخطوطات تحت اسم الجمع بين الصحيحين ، وهى تذكر أحاديث من الصحيحين بمتونها تامة وتحت رءوس موضوعات ، ولم يطبع منها شىء الى الان • ومنها :

١ ــ الاشبيلى : ونفصل فيه القول اذ هو أشهرها ، وجاء التعريف به فى كثير من فهارس المخطوطات ، فهو فى فهارس دار الكتب المصرية ، ومكتبات الأزهر والجامعة العربية ، والحرم المكى والمدنى والرياض وقد اطلعت عليها جميعا •

ففى فهارس دار الكتب المصرية ما نصه : الجمع بين الصحيحين للـ ••• الاشبيلى المعروف بابن الخراط فى مجلدين مخطوطين برقم ١٨٥ الأول الى أول الجهاد ، والثانى من الجهاد الى الآخر ، كما توجد نسخة أخرى فى أربع مجلدات برقم ١٨٦ ، ونسخة أخرى فى مجلدين برقم ٧١٣ ، وقد اطلعت على هذه النسخ ، كما اطلعت فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية على نسخة من مجلدين ، الاول مرقوم ٧٦٩ نور عثمانية والثانى مرقوم ٧٧٠ نور عثمانية ، واطلعت على النسخة المصورة منهما فى الحرم المكى ، واطلعت على المجلد الاول من نسخة مختلفة تحت رقم ٣٠ بالمكتبة المحمودية بالمدينة ، واطلعت بمكتبة دار الشفاء بالمدينة على نسخة مكونة من ثلاثة

مجلدات ، الاول ينتهى قبل الحج، والثانى قبل المناقب ، والثالث للآخر ، وفى آخره حوالى ٦٠ ورقة لتعليقات البخارى ، هكذا مجمعة ومبتورة من أماكنها التى تفيدها وتفيد منها •

وقد اتبع الاشبيلى ترتيب مسلم مبتدئا من أوله الى منتهاه حديثا حديثا يذكر الحديث بنصه من مسلم ، ويذكر من البخارى من أى موضع فيه ما يتصل بهذا الحديث زائدا عنه ، ويذكر موضعه بذكر اسم الباب والكتاب•

وقد اختصر الاشبيلى كتاب مسلم ، وقال فى مقدمته : ذهبت فى هذا الكتاب الى اختصار كتاب الامام مسلم بن الحجاج ، فحذفت اسناده ، وأسقطت تكراره ، واقتصرت من ذكر السند على اسم الصاحب الا لضرورة • كما لم يتعرض فى البخارى الى ما لم يتعرض له فى مسلم • من معان ، وقال فى المقدمة : وليعلم الناظر فيه أنى لم أخرج فى هذا الكتاب من حديث البخارى الا ماكان زائدا على مافى كتاب مسلم فلا تسترب من ذلك •

وفى دراسة عن حديث ابن عباس عن صلاة النبى صلى الله عليه وسلم العيد ، ووعظه للنساء تبين أنه قد ورد منه فى مسلم ثلاث روايات فى كتاب العيدين ، لم يكرر منها شىء فى مواضع أخرى غير العيدين ، وورد منه فى البخارى ١٥ رواية موزعة فى العيدين ، والزكاة والتفسير والنكاح واللباس والاعتصام • وأشار الاشبيلى الى الروايات الثلاثة من مسلم بأنها متفقة مع مثيلاتها فى البخارى ، وأشار الى وجود كلمة زائدة فى البخارى فى روايتين أخريين ، ولم يشر الى الروايات العشرة الباقية فى البخارى •

تبين هذه الدراسة وغيرها أن الكتاب أقرب الى أن يكون كتابا مستقصيا فى المتفق ، لا كتابا فى الجمع بين الصحيحين •

٢ ــ جمع الصحيحين لعمر بن بدر الموصلى ، وجاء التعريف به فى معجم سركيس وبروكلمان

الجمع بين الصحيحين لعمر بن بدر الموصلى المتوفى سنة ٦٢٥ هـ ، ويستفاد من بروكلمان أنه لا يوجد الا فى متحف لندن ، وقد تفضل بعض الاصدقاء الفضلاء فأحضر لى فيلما من بضع وثلاثين صفحة شملت الفهرست وبعض الأبواب من أوله الى آخره ، وجاء فى مقدمته : جمعت كتابى هذا وحذفت من الاسانيد **والمكرر** من المتون الا ما كان يحتمل ادخاله فى ابواب متعددة ، فانا اضطررنا الى اعادته لئلا يخلو الباب منه ، وسميته الجمع بين الصحيحين مع حذف **السند والمكرر** من المتون هـ .

والموضوعات التى وضعت تحتها الأحاديث من وضع المؤلف ، ويشتمل المصنف على مائة وتسعة كتب مقسمة الى ١٨٢ بابا و ٢١ فصلا و ٩٤ موضوعا متفرقا . والكتاب أشبه برياض الصالحين بملاحظة اقتصاره على أحاديث من الصحيحين .

٣ ــ جامع أبى نعيم الحداد ، وجاء التعريف به فى دار الكتب باسم جامع الصحيحين ، بحذف المعاد والطرق أملاه أبو نعيم الحداد الأصبهانى المتوفى سنة ٥١٧ هـ ، وفى سيزجن جاء ذكره تحت كتب تجمع بين الصحيحين برواياتهما المشتركة وتكملتهما على طريقتهما ، وقد اطلعت عليه فى دار الكتب وفى الجامعة العربية، وهو مماثل لسابقه ، اذ هو عبارة عن تجميع أحاديث من الصحيحين تحت أبواب من صنعه ، ليست على ترتيب أى من الصحيحين ، ويسوق الحديث باسناده الخاص به ، وقد تختلف ألفاظ بعض أحاديثه عن ألفاظ حديث أى من الصحيحين ، فهو مستخرج على الصحيحين لا جمع للصحيحين .

٤ ــ الجوزقى ، ويشار اليه فى المصنفات أحيانا انه فى المتفق ، وأحيانا فى الجمع ، وفعل ذلك ابن حجر . فمثلا رواية خالد بن مخلد للحديث الثانى فى باب ــ تعرج الملائكة من كتاب التوحيد (٢٣ / ٩٧) قال عنها ابن حجر فى هدى السارى : وصلها الجوزقى فى المتفق ، وقال عنها فى الفتح وصلها

الجوزقى فى الجمع بين الصحيحين •

ويغنى عن جميع الدراسات التى أجريتها عليه فى كتب الايمان والجمعة والعيدين ، وتبين منها انه ليس جمعا كاملا فى المتفق ،بله أن يكون جمعا للصحيحين ، أنه يقع فى اثنتين وثمانين ورقة من القطع المتوسط فى دار الكتب المصرية ، وبما انه يسوق الأحاديث بأسانيده ، وتختلف ألفاظه أحيانا عن ألفاظ أى من الصحيحين ، فأصدق ما يوصف به أنه مستخرج على مختصر من الصحيحين •

نتيجة الدراسة

١ ــ كتب المسانيد ومعها كتب الاطراف : لا تفيد القارىء العادى ، لأنها تجمع أحاديث كل صحابى فى مختلف الموضوعات اما بنصوصها كاملة ، وأما بأطرافها ، والقارىء الحديث يريد أن يكون بين يديه جميع ما ورد فى الصحيحين فى الموضوع الواحد فى مكان واحد •

٢ ــ كتب المتفق الألفبائى أو على حسب الموضوعات ليست جمعا للصحيحين •

٣ ــ الكتب التى وصفت فى الفهارس بالجوامع تحت رءوس موضوعات لم تستقص أحاديث الصحيحين ولم تجمع أحاديثهما تحت رءوس موضوعات ، أى من الصحيحين ، كما انها تخلو من ترجمات البخارى التى هى شروحه على صحيحه بما تتضمن من تعاليق وآثار وآيات قرانية •

ان الصحيحين لم يجمعا جمعا كاملا الى الآن ، وهما لا يزالان بحاجة الى جمع كامل مستقص بمنهج حديث يحقق الاستفادة الكاملة من أثمن كنوز السنة •

منهج مقترح لجمع الصحيحين

نعرض لنتبادل الرأى مع المشتغلين بالسنة الشريفة الخطوط العريضة للمنهج الذى يجب أن يتبع فى الجمع بين الصحيحين لتوسيع قاعدة الاستفادة من أثمن كنوز السنة •

أولا ــ يرتب الجامع على أبواب البخارى لأنها أوسع تبويب للسنة وللأغراض التى تطلب لها

الأحاديث وتبلغ صياغتها من الدقة والأصالة والعمق والشكلية والتنوع الى أن تصل بالبخارى مع مؤهلات أخرى الى مرتبة الاجتهاد . فهى تتناول الأخلاق والاجتماع والسياسة وأنماط الحياة ، وأنواع السلوك ولذلك سمى كتابه « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه » ، فهو يصف حياة الرسول والصحابة أحسن وصف وأدقه ، فوق اشباعه النواحى التقليدية التعبدية ، بينما أبواب مسلم يغلب عليها الطابع الفقهى التقليدى بما أضيف اليها من تقييدات الشافعية .

والزعم بأن ترتيب مسلم أحسن من ترتيب البخارى لسهولة الوصول الى الحديث فيه يرجع الى تجميع مسلم للأحاديث المختلفة الصيغ المتعددة المعانى تحت ما توحى به المناسبة التعبدية التقليدية ، والرد عليه أن البخارى لم يذكر حديثا تحت باب تتصف صياغته بالاصالة والابتكار الذى يوافى الاهتمامات المعاصرة الا وأودع رواية منه بابا تقليديا متبادرا الى الذهن ، وقد سبق البخارى بصنيعه هذا أحدث مناهج الفهرسة التى تهدى الباحث الى مطلوبه اذا كان متذكرا لأى عنصر من عناصره .

ثانيا — ترتب أحاديث الجامع فى كل باب بحسب درجتها المصطلح عليها من الصحة ، فيبدأ بالمتفق عليه بين البخارى ومسلم بحسب ترتيبه فى الباب ويذكر بصيغة البخارى ، ويعقب الحديث بما يكون فى رواية مسلم من اختلاف عن رواية البخارى بالزيادة أو بالنقص ، ثم تذكر الأحاديث التى انفرد بها البخارى بحسب ترتيبها فيه أيضا ، ثم تذكر الأحاديث التى انفرد بها مسلم فى الموضع الذى يناسبها ، ولا يترك حديث واحد من الصحيحين .

ثالثا — يثبت المكرر من أحاديث البخارى كل فى موضعه حيث أتى، ومن مسلم يناسب لأن كل حديث مما نعده مكررا يؤدى فى موضعه غرضا ، ويوضح موضوعا قصد

اليه الامامان ، وترتيبا على اثبات المكرر يثبت الاتفاق فى الأحاديث المكررة التى لم ترد فى كتب المتفق تبعا لمناهج مؤلفيها فى الاختصار • ولتسهيل البحث عن أحاديث البخارى يثبت عقب كل حديث سيتكرر المواضع المقبلة لوروده ، وعند كل موضع مكرر الموضع الأول لوروده •

رابعا ـ تثبت تعليقات البخارى والآثار والآيات القرآنية الكريمة سواء ما ورد منها فى ترجمات الأبواب أو مع الأحاديث ، والتى يتمثل فيها صلب منهج البخارى ، وبها صار صحيح البخارى مؤلفا له فيه عمل واجتهاد ، لا مجرد ثبت للأحاديث ، وبدونها يصير البخارى شيئا آخر غير ما أراده البخارى ، ويوضح من وصل التعليقات والمتابعات ، وباثبات المكرر والتعليقات والمتابعات تتم المحافظة على جميع معانى الصحيحين بالمحافظة على مبانيهما•

خامسا ـ ترقم الكتب والأبواب والأحاديث ، ويتبع ترقيم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله فى الكتب والأبواب ، ويعدل حيث يحتاج الأمر الى تعديل • أما ترقيم الأحاديث فاقترح أن ترقم أحاديث كل كتاب من كتب الجامع بمسلسل واحد لا يتقيد فيه بأى ترقيم سابق • وليس ترقيم أحاديث البخارى أمرا سهلا لا فى العمل ولا فى الأهمية ، لأن منهج البخارى فى التعليق وحذف كثير من الأسانيد أوقع كثيرا من الشراح فى الخطأ ، فضلا عن أن المرقمين السابقين قد اعتبروا تعليقات لم يصلها البخارى أحاديث ورقموها •

سادسا ـ لتسهيل المراجعة على الباحثين يوضح مكان كل حديث من مسلم •

هذا والمنهج معروض على المشتغلين بالسنة لمناقشته ، والله الموفق والهادى الى سواء السبيل •

محمد أحمد بدوى

يا عيد

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

يا عيد وجهك باسم متألق يضفى الجمال على الحياة ويونق
يا منحة الرحمن فى الاسلام تسطع فى قلوب المؤمنين وتشرق

بلل بأنداء المسرة أنفسا ظمآى الى برد الرضى تتشوق
وامسح دموع الاشقياء البائسين بما تفيض من النعيم وتغدق

لك كل عام زورة مقرونة بتنسك نفحاته تتدفق
تسمو به الارواح فوق الكائنات تهيم فى النور الشفيف وتخفق

وترف فى روض السكينة حينما ينتابها قيظ الحياة المحرق

* * *

يا عيد جدد فى القلوب أزاهر الايمان تنفح بالعبير وتعبق
مافى الوجود على الطليح نسائم أندى من الايمان اذ يترقرق

* * *

يا عيد ألف ما تنافر من قلوب نالها بالجائحات تفرق
فالحب فى الاسلام شرع لا يقص جناحه الا الغبى الاحمق

* * *

ياعيد وامح اليأس بالآمال تزهر فى النفوس المقفرات وتورق
وارفع الى رب العباد دعاءهم بالصالحات لعله يتحقق
ماكنت الا مرسلا للمسلمين عليك من حلل السعادة رونق

محمد عبد الرحمن صان الدين

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٥٨٨ ويقولون : فلان عديم الجود والكرم ، يعنون أنه بخيل لا يعطى خيرا ، ولا يفضل على أحد . وهذا غير سليم ، لأن للعديم معنيين لا صلة لكل منها بالبخل .

أحدهما : الأحمق والمجنون ، جمعه عدماء كبخيل وبخلاء .

والآخر : الفقير والمعدم ، نقول : أعدم الرجل اذا افتقر فهو معدم بالضم وعدم تكرم فهو عديم أى افتقر فهو فقير .

والفصيح — لتأدية المعنى الذى يريدونه — أن يقال : هو خال من الجود والكرم ، أو خلاء بفتح الخاء ، أو خلو بكسرها ، أو خلى بزنة غنى .

٥٨٩ ويقولون : ان جنودنا أبطال مغاوير ، صمدوا صمودا مشرفا فى معركتهم مع الأعداء وأنزلوا بهم الهزائم حتى جعلوهم يفرون مندحرين ، وفى هذه العبارة غلطتان احداهما : أن الصمود مصدر أنشأه العامة ، أما المصدر السليم الذى ورد عن العرب فهو الصمد بزنة العدل ، وله معنيان أحدهما القصد فقول : صمدت الأمير من باب نصر صمدا اذا قصدته فالأمير مصمود وصمد بفتحتين ، ومن هذا قوله تعالى « **الله الصمد** » أى المقصود ، والآخر الضرب ، تقول صمده بالعصا صمدا اذا ضربه بها .

والأخرى : قولهم مندحرين ، والصواب أن يقال مدحورين أى مطردين تقول : دحره يدحره من

باب خضع دحورا اذا طرده وأبعده ، ومنه قوله تعالى **«ويقذفون من كل جانب دحورا»** ، والمطرود مدحور ، ومنه قوله جل شأنه « **قال أخرج منها مذموما مدحورا** » (١) •

فكان عليهم أن يقولوا : ان جنودنا ثبتوا فى معركتهم مع الأعداء ثبوتا مشرفا ، وأنزلوا بهم كثيرا من الهزائم حتى أجلوهم مدحورين •

٥٩٠ ويقولون: فى الجنيه خمسة ريالات ، وفى هذا التعبير غلطتان• احداهما : أن كلمة الجنيه علمية لا وجود لها فى العربية ، والفصيح أن يستبدل بها كلمة الدينار المصرى ، وأصل الدينار دنار بتشديد النون ، أبدلت من احدى النونين ياء ، لئلا يلتبس بالمصادر من نحو كذاب فى قوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » وقولهم: كلمه كلاما ، وحمله حمالا ، ولهذا ترد فى الجمع فيقال دنانير •

والأخرى : كلمة ريال اذ لم ترد عن العرب بالمعنى الذى أرادوه ، وانما معناها اللعاب تقول : رال الصبى يريل ريالا اذا سال لعابه ومثله الروال بالضم ، يقال الطفل يسيل رواله كما فى الصحاح ، وقيل ان الروال لعاب الدابة أو هو خاص بلعاب الفرس كما فى القاموس ، والمرول وزان منبر الرجل الكثير اللعاب

٥٩١ ومما نشأ على ألسنتهم وأسنة أقلامهم قولهم :لفلان شهرة واسعة بين الناس ، يعنون أنه يتمتع بفيض من جمال الذكر وحسن الأحدوثة ، وهذا التعبير فاسد ، لأن الشهرة معناها ظهور الشىء فى شنعته وفظاعته وقبحه حتى يشهره الناس ، وفى الحديث « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب ذلة ، وقال ابن الأعرابى : الشهرة الفضيحة يقال شهره كمنعه شهرا ، وشهره تشهيرا اذا قبحه وفضحه ، ومن المجاز قولك

---

(١) يأتى فعل بمعنى مفعول كثيرا يولد بمعنى مولود ، وقلم بمعنى مقلوم ونفض بمعني منفوض ، وقبض بمعني مقبوض ، وحسب بمعنى محسوب •

اشــتهرت فلانا اذا استخففت به وفضحته وجعلته شــهرة ، قــال الأخطل

فــلأجعلن بنى كليب شـــــهرة
بعوارم (١) ذهبت مع القفال (٢)

ولتأدية المعنى الذى يبتغــونه ينبغى أن يقال : لفلان صيت ذائع بين الناس ، لأن الصــيت بكسر الصاد معناه الذكر الجميــل ، أو يقال ذهب صيته فى النــاس ، أو ذهب ســمعه فيهم بكسر الصاد معناه الذكر الجميل ، أو يقال ذهب صيته فى الناس أو ذهب ســمعه فيهم بكسر السين ، لأن السمع هو الصيت والذكر الحسن كما فى قول الأعشى .

سمعت بســمع البــاع والجــود والندى فألقيت دلوى فاســتقت برشائكا (٣)

ولك أن تقول : انتشر صوته فى الناس .

٥٩٢ ويقولون : الصراف سلمنا أجورنا فاستلمناها ، وهذا التعبير فيه غلطتان .

احــداهما أنهم جعلوا الفعــل الأول ناصبا مفعولين ، والحق أن له حالتين .

١ ــ أن يكون متعــديا لواحد كما فى قوله تعالى « **فــلا جنــاح عليــكم اذا ســـلمتم ما آتيتم بالمعروف** » وعلى هــذا يجب أن يقال : الصرافسلم الينا أو سلم لنا أجورنا .

٢ ــ أن يكون لازما وذلك اذا كان بمعنى التحية والمصافحة كما فى قولك سلمت على الضـــيفان وقوله سبحانه : « **حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها** » .

هــذا فى الفعــل المضعف ، أما المزيد بالهمز فله حالتان أيضا .

١ ــ أن يتعــدى الى مفعــول واحد كما فى قوله تعــالى: « **ومن**

---

(١) العوارم : يريد بها القوافى الشديدة الوقع .
(٢) القفال : العائدون من ميدان الحرب .
(٣) الرشاء : الحبل يستقى به جمعه أرشية .
(٤) الحطيم : حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم .

أحسن دينا ممن أسلم وجهه الى الله وهو محسن » وقولك أسلمت فلانا اذا خذلته ، وفى الحديث « المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه » .

٢ ـ أن يكون لازما وذلك بأن يكون بمعنى الانقياد والطاعة كما فى قولك أسلم فلان اسلاما اذا دخل فى دين الاسلام وانقاد ، وقوله جل شأنه : **« اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين »** .

والغلطة الأخرى : انهم استعملوا الفعل الثانى فى غير معناه ، لأن الاستلام معناه اللمس تقول استلم الحاج الحجر الأسود اذا لمسه بالقبلة أو باليد ، وهو مشتق من السلام بكسر السين وهى الحجارة ، وفى المثل « أكتم للسر من السلام » قال الفرزدق يمدح الحسين رضى الله عنه

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

والصواب أن يقال الصراف سلم الينا أجورنا فتسلمناها أى أعطانا الأجور فأخذناها وأما الثلاثى فلازم دائما نقول : سلم فلان من البلاء أو من العيب سلامة وسلاما اذا برىء منه وهذا مما يؤكد أن الفعلين المضعف والمهموز اذا تعديا فلا يتعديان الا الى مفعول به واحد .

٥٩٣ ويقولون: لفلان خاتم ثمين من الماس ، وكلمة الماس لم ترد بهذا المعنى فى كلام العرب والصواب أن يقال : له خاتم فصه من السامور كما فى شفاء العليل .

وقول صاحب القاموس فى مادة (م و س) الماس حجر متقوم أعظم ما يكون كالجرزة ـ وهم لأنه كثيرا ما يعتمد على كتب الطب فيقع فى الغلط .

هذا الى أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولا تقع الا صفة فيقال : فلان ماس اذا كان لا ينفع فيه عتاب ، أو كان طياشا خفيفا ، أولا ينتفع بموعظة أحد .

٥٩٤ ويقولون لمن لاغيرة له على أهله معرس بصيغة اسم المفعول أو عرس وزان بفل ، وهذا خطأ صراح .

وذلك لأن هاتين الكلمتين ـ على الرغم من أنهما عربيتان سليمتان ـ تحمل كل منهما معنى لا يمت بأى صلة للمعنى الذى قصدوا اليه ٠

فالمعرس هو المكان الذى يعرس فيه المسافر ، أى ينزل فيه نزلة يستريح فيها من وعثاء السفر ثم يرتحل ٠

أما العرس فلفظ يطلق على عمود فى وسط الفسطاط ، وكذلك على الفصيل الصغير ، جمعه أعراس ولتأدية المعنى المبتغى يجب أن يقال له ديوث وزان فروج ، مأخوذ من ديثه اذا ذلله ، تقول : داث الشىء ديثا من باب باع اذا لان وسهل ، ويعدى بالتضعيف فيقال ديثه فلان ٠

ويقال له أيضا قمعوث بالضم وزان زنبور ، وطزع وزان كتف ٠

٥٩٥ ويقولون لمن يقرأ القرآن بصوت لين رخيم (مقرىء) ، وهذا خطأ ، والفصيح أن يقال له قارئى اسم فاعل من قرأ الثلاثى ، أو قراء بصيغة المبالغة ٠

تقول ٠ قرأ الرجل الرسالة قراءة بالكسر ، وقرءا بالفتح ، وقرآنا بالضم فهو قارىء من قرأة ككتبة ، وقارىء من قراء ككتاب ، وقارىء من قارئين وقرائين ٠

والقراء وزان كتان الحسن القراءة ، جمعه قراءون ولا يكسر، أما القراء بالضم وزان رمان فهو الناسك المتعبد جمعه قراءون وقرارىء ، وفى لسان العرب قرائى كحمائل ٠

وأما المقرىء فهو من يقرىء غيره ويعلن القراءة ، وكلمة القرآن فى الأصل مصدر كما سبق بيان ذلك ثم جعلت اسما كما فى قولك كتبت القرآن ، وحفظت القرآن ٠

٥٩٦ ويقولون فى جمع كلمة ألد بفتحتين مع تشديد الدال وهو الخصم الشحيح الذى لا يميل الى الحق كالالندد واليلندد (آلداء) كأنه جمع لديد ، على أن اللديد معناه دواء يصب فى أحد شقى الفم وكذلك هو ماء لبنى أسد ، جمعه ألدة كرغيف وأرغفة ، واللديدة بالهاء الروضة الزهراء ٠ والصواب أن جمع ألد ومؤنثه لداء

لد بضم اللام كحمر وخضر وفى التنزيل « وتنذر به قوما لدا »

٥٩٧ ويزعمون أن كلمة المضاهاة معناها الموازنة بين شيئين وتبيين وجوه الشبه بينهما ، فيقولون • ضاهينا بين كذا وكذا ، ومن ذلك قالوا : فلان خبير لدى المحاكم فى مضاهاة الخطوط ، يعنون بذلك أن الخبير يعمد الى كتابين ، فيفحص عما بينهما من تشابه ، ليحكم بعد ذلك أهما لكاتب واحد أم لكاتبين مختلفين •

وهذان التعبيران لا يؤدى كل منهما المعنى الذى نشىء من أجله لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز •

والصواب كما فى أساس البلاغة ــ أن يقال : فلان لا يضاهى كرما ولا يضاهيه أحد ، أى لا يشابه فى كرمه ولا يشبهه أحد •

وفى النهاية : أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله ، أراد المصورين وصانعى التماثيل ، فالمضاهاة المشابهة والمماثلة ، وقد تهمز فيقال مضاهاة كما همز الفعل فى قوله جل شأنه : **« يضاهئون قول الذين كفروا »** ••

وفى لسان العرب : المضاهاة مشاكلة الشىء بالشىء وقد تهمز •

٥٩٨ ويقولون : وقع فلان على عقد البيع ، أو على الشكوى ، أو على الرسالة وهذا خطأ بين ، ووجه الكلام السليم أن يقال : وقع فى الشىء توقيعا ، أى تستعمل مع هذا الفعل فى ، لا على •

وأصل التوقيع أن يرفع الانسان شكاية الى الوالى ، بعد أن يفحص الوالى عما فيها يكتب فى أسفلها أو على ظهرها : ينظر فى أمر هذا الشاكى ، ويستوفى له حقه اذا كان صادقا فى دعواه •

وقال الأزهرى : هو أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول ويستعمله المحدثون مجازا فى توفيق ما كتب وذلك بأن يكتب الكاتب اسمه ولقبه فى أسفل الشكوى أو العقد أو غير ذلك دلالة على صحة ما جاء بكل منها •

٥٩٩ واقد شاع على ألسنتهم وأسلات أقلامهم قولهم سررنا برؤياك يعنون سررنا بمرآك وهذا خطأ لم يقتصر شيوعه بين العامة ، وانما تعداهم الى الخاصة وها هو ذا أبو الطيب المتنبى — على جلالة قدره ، وبليغ أسلوبه — قد وقع فيه ، فقد قال لبدر بن عمار حينما سامره ذات ليلة الى قطع من الليل •

مضى الليل والفضل الذى لا يمضى ورؤياك أملى فى العيون من الغمض

وكان من الواجب عليه أن يقول : ورؤيتك أملى من الغمض ، لأن العرب تجعل الرؤية لما يرى بالعين فى اليقظة ، والرؤيا لما يرى كالخيال فى المنام ، قال تعالى **« يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون »** وقال **« لا تقصص رؤياك على اخوتك »**

٦٠٠ وكثير من الخاصة حرصوا فيما ينطقون أو يكتبون على استعمال القياس فى شىء ، وفاتهم أن العرب نطقت بألفاظ شذت عن القياس ينبغى لهم أن يستمسكوا بها دون أن يقيسوا عليها ، لأن ميدان اللغة النقل والسماع •

فقياس اسم من أفعل هو مفعل ومفعلة كمخرج ومخرجة وشذ ذلك ما جاء على صيغة اسم المفعول ومنه •

١ — ألفج التاجر اذا أفلس فهو ملفج بفتح الفاء ولا يجوز كسرها وفى الحديث **« ارحموا ملفجيكم »** •

٢ — اجرأشت الأبل اذا سمنت وملأت بطونها فهى مجرأشة بفتح الهمزة ولا يجوز كسرها •

٣ — أحصن الرجل اذا تزوج فهو محصن بفتح الصاد ، والمرأة محصنة ومن ذلك قوله تعالى : **« والمحصنات من النساء »** وجاء الكسر على قلة ومنه قوله سبحانه **« محصنين غير مسافحين »** •

٤ — أعم فلان وأخول اذا أعمام وأخوال ، فهو معم مخول بفتح العين والواو ، ويجوز كسرهما •

٥ — أسهب الولد فى الكلام اذا أكثر منه فهو مسهب بفتح الهاء •

وقد يأتى اسم الفاعل من أفعل شذوذا على وزن فاعل ، ومنه •

١ ــ أيفع الغلام اذا شب فهو يافع ، ولا يقال موفع ، جمعه يفعه بالتحريك ككاتب وكتبة •

٢ ــ أمحل البلد اذا أصابه الجدب وهو انقطاع المطر وييس الأرض فهو ما حل ، وممحل قليل

٣ ــ أعشب المكان اذا أنبت العشب وهو الكلأ الرطب فالمكان عاشب ، ويجوز على قلة معشب

٤ ــ أملح الماء اذا أكثر فيه الملح فهو ماء مالح ولايقال مملح ، فان كان الملح بقدر قيل ملح ملوحة فهو مليح وزان فرح كخشن خشونة فهو خشن •

٥ ــ بقل الموضع ابقالا اذا أنبت البقل فهو باقل ، ومبقل على الأصل •

وشذ أيضا مجىء اسم الفاعل من فعل الثلاثى على وزن غير فاعل : ومن ذلك •

١ ــ باع الرجل فهو بيع وزان سيد وفى الحديث « **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا** » وجاء بائع على الأصل •

٢ ــ طاب الشىء اذا لذوزكا فهو طيب وزان سيد ، ولا يقال كاتب •

٣ ــ بان الأمر اذا ظهر واتضح فهو بين وزان سيد ، وجاء بائن على الأصل •

٤ ــ شاخ الرجل اذا استبانت فيه السن فهو شيخ جمعه شيوخ بالضم والكسر وأشياخ ، وشيخة بالكسر وشيخة بكسر ففتح ، وشيخان بالكسر ، ومشيخة وزان مرحمة ، ومشيخة وزان مدينة ومشيوخار ، ومشايخ •

٥ ــ نصحت لك بكذا فأنا نصيح ، جمعه نصحا ، وجاء ناصح على الأصل جمعه نصح كركع ونصاح ككتاب •

٦ ــ مات المريض فهو ميت وزان سيد ، ميت وزان سيف ، وقد ذكرها الشاعر فى قوله •

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الأحياء

والجمع أمـوات ، ومـوتى ، وميتون بتشديد اليـاء ، وميتون باسكانها ، وهى ميتة ، وميتة وجاء ماتت على الأصل ، والمائت والميت بتشديد الياء من لم يمت بعـد ، ومنه قوله تعالى لرسوله صـلى الله عليه وسلم « **انك ميت وانهم ميتون** » أما الميت بسكون اليـاء فهو من خرجت نفسه •

عباس أبو السعود

« دعـــاء »

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصـمة أمرى وأصـلح لى دنياى التى فيها معاشى •

وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى •

واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير •

واجعل الموت راحة لى من كل شر •

وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء

قالوا : نعم يارسول الله •

قال : قولوا (اللهم أعنـا عـلى ذكرك وشـكرك وحسـن عبادتك) •

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« من أعجب الأشياء »

من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الاجابة ، وأن تعرف قدر الربح فى معاملته ثم تعامل غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له وأن تذوق ألم الوحشة فى معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض فى غير حديثه وغير الحديث عنه ، ثم لا تشتاق الى انشراح الصدر بذكره ومناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه الى نعيم الاقبال عليه والانابة اليه وأعجب من هذا علمك انك لابد لك منه وأنك أحوج شىء اليه ، وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب .

« التحرج من الفتيا »

قال على ــ كرم الله وجهه ــ : من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والأرض ، وكان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الامامة والوديعة والوصية والفتوى ، وقيل أسرع الناس الى الفتوى أقلهم علما ، وأشدهم دفعا لها أورعهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتوى » .

وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه : ان الذى يفتي الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون .

وسأل رجل ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن شىء ، فقال : لا أعلم ثم قال بعد أن ولى الرجل : نعم ما قال عمر لما لم يعلم لا أعلم .

وسئل مالك بن أنس ـ رضى الله عنه ـ عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لا أدرى .

وكان عبد الله بن يزيد يقول : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدرى حتى يكون أصلا منه فى أيديهم اذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول لا أدرى .

وسئل الشعبى عن مسألة فقال : لا أعلم ، فقيل : ألا تستحى وأنت فقيه العراقين ؟ قال : لا أستحى مما لا تستحى منه الملائكة حين قالت : « **لا علم لنا الا ما علمتنا** » .

وسئل أبو يوسف عن شىء ، فقال : لا أدرى ، فقيل له : تأكل من بيت المال كل يوم كذا وكذا ؟ وتقول : لا أدرى فقال : أكل منه بقدر علمى ، ولو أكلت بقدر جهلى ما كفانى ما فى الدنيا جميعا .

وقال أعرابى : لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم .

« لو صبرت »

اشترى رجل دارا ، فقال لصاحبها : لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ، قال له : وأنت لو صبرت لبعتك الذراع بدرهم .

« اتجه الى الله »

شكا رجل الى رجل الفقر : فقال له : ياهذا ، تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ؟

وقال الأحنف بن قيس : شكوت الى عمى وجعا فى بطنى ، فنهرنى ثم قال : يابن أخى لا تشك الى أحد ما نزل بك ، فانما الناس رجلان :

صديق تسوءه ، وعدو تسره ، يا ابن أخى : لا تشك الى مخلوق مثلك ، لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك الى من ابتلاك به ، فهو قادر على أن يفرج عليك ، يا ابن أخى : احدى عينى هاتين ، ما أبصرت بها سهلا ولا جبلا منذ أربعين سنة ، وما أطلعت على ذلك امرأتى ، ولا أحد من أهلى .

« ترغيب »

« من حج حجة فقد أدى فرضه ، ومن حج ثانية فقد داين ربه ، ومن حج ثالثة حرم الله شعره وبشره على النار » .

« صدق رسول الله »

« أيهما أركب »

خرج ابراهيم بن أدهم فى بعض السنين الى الحج ماشيا ، فرآه رجل على ناقته ، فقال له : الى أين يا ابراهيم ؟

قال : أريد الحج ، قال : أين الراحلة ؟ فان الطريق بعيد ؟!

قال ابراهيم : لى مراكب كثيرة ، ولكن لا تراها ، قال : ما هى ؟

قال : اذا نزلت بى مصيبة ركبت مركب الصبر ، واذا نزلت بى نعمة ركبت مركب الشكر ، واذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء ، واذا دعتنى نفسى الى شىء علمت أن ما بقى من الأجل أقل مما مضى .

قال له الرجل : سر باذن الله ، فأنت الراكب وأنا الماشى .

« أخروا »

كان ابن مسعود اذا مشى خلفه أحد الناس ، قال : أخروا عنى نعالكم فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع .

« أعيته الحيلة »

يعتبر أبو جعفر المنصور ، رجل بنى العباس والمؤسس الثانى لدولتهم بعد أن انتقلت اليهم الخلافة من بنى أمية ، وكان اذا دخل البصرة أيام الأمويين دخل متنكرا متكتما ، وكان يجلس فى حلقة أزهر

الســــمان العالم الثبت المحقق ، فلما أفضت الخلافة اليه ، قدم عليه أزهر فرحب به وقربه وقــال : ما حاجتك يا أزهــر ؟ قــال : يا امــير المؤمنين ، دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم ، وأريد أن أزوج ابنى محمدا فوصله بعشرة آلاف درهم ، وقال له : قد قضينا حاجتك ياأزهر ، فلا تأتنا بعد اليوم طالبا ، فأخذها وارتحل ، فلما كان بعد سنة أتــاه ، فقال له أبو جعفر ما حاجتك ياأزهر ؟ قال : جئت مســلما ، فقال : لا والله بل جئت طالبا ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فاذهب ولاتأتينا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ، فأخذها ومضى ، فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال له ما حاجتك ياأزهر ؟ قال أتيت عــائدا ، فقال : لا والله بل جئت طالبا ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فاذهب ولا تأتينا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ولا عائدا ، فأخذها وانصرف ، فلما مضــت الســنة أقبل ، فقال له : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : يا أمير المؤمنين دعاء كنت سمعتك تدعو به ، جئت لأكتبه ، فضحك أبو جعفر وقال : الدعاء الذى تطلبه منى غير مستجاب ، فانى دعوت الله به أن لا أراك ، فلم يستجب لى ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف ، وتعال اذا شئت ، فقد أعيتنا الحيــلة فيك •

« أول جورك »

اختصم عمر بن الخطاب وأبو كعب ـ رضى اللــه عنهمــا ـ فى حادثة الى زيد بن ثابت ، فألقى زيد الى عمر بوسادة يجلس عليهــا ، فقال له عمر : هذا أول جورك وأبعد الوسادة وجلس بين يديه •

« الذنب ذنبى »

كان رجل من الأعراب يعمل فى معمل الذهب فلم يصــب شــيئا فأنشد يقول :

يــارب قدر لى فى هنــاسى
وفى طــلاب الرزق بالتماس
صفراء تجلو كســل النعاس

فضربته عقرب صفراء بذنبها فأسهرته طول الليل فجعل يقول : يارب الذنب ذنبى اذا لم أبين ما أريد من الصفراء ، اللهم لك الحمد والشكر ، فقال رجل : أما سمعت قول الله تعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم** » فوثب الرجل فزعا من الخوف أن يزيده الله من ضربات العقارب لشكره ٠

« متى يجاب الدعاء ؟ »

قال ابن عطاء : للدعاء : أركان وأجنحة ، وأوقات وأسباب ، فان وافق أركانه قوى ، وان وافق أجنحته ارتفع ، وان وافق أوقاته فاز ، وان وافق أسبابه نجح !

وأركانه : حضور القلب مع الله — تعالى — والخشوع لله والحياء من الله ، ورجاء كرم الله ! ٠

وأجنحته : الصدق ، وأكل الحلال ٠

وأوقاته : الفراغ والخلوة ٠

وأسبابه : الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — فان الدعاء لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبى — صلوات الله وسلامه عليه ٠

« دعاء »

اللهم انك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى ٠

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

باب الفتاوى

للأستاذ عبد الصبور شاهين

هل يجوز استبدال النقود بالهدى ؟

تحدث كثير من الناس فى استبدال النقود بالهدى والأضاحى ، هل يجوز ذلك أولا يجوز ؟

ووجه بعض الصحف الى العلماء استفتاء فى هذا الشأن فأجاب عليه الأستاذ الامام شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله بما يلى : —

بين الجهل فى التطبيق والنظر القاصر :

يظن كثير من الحجاج أنه يجب على كل حاج أن يذبح هدايا فى حجه ، وأن يكون ذبحه فى أيام معينة هى · أيام النحر الثلاثة ، وفى مكان معين وهو منى خاصة ، ومن هنا نرى الفقراء أو البخلاء يعمدون الى ماقل ثمنه من هدى مريض أو هزيل فيذبحونه ، فلا يطيب لحمه لآكل ولو كان فقيرا يتضور جوعا • وبذلك تتكدس لحوم الهدايا فى منى ، وتتعفن • وتنبعث منها الروائح ، فتفسد الجو ، وتنتشر بها جراثيم المرض، وفى ذلك من الأذى والضرر ما لا يرضاه الشرع الحريص على صحة الناس وطيب الحياة ••

وأمام هذا الواقع الفاسد يبرز آخرون ، يقف نظرهم عندما تقع عليه أبصارهم وتشمه أنوفهم • من تكدس اللحوم وآثارها السيئة ، ولا يكلفون أنفسهم البحث عن أسباب هذه الظاهرة الخبيثة ، فيردونها الى سوء

التشريع ، لا الى سوء التطبيق ، أو الجهل بالتشريع ، وبذلك يصيحون — كلما أظل الناس موسم الحج — بوجوب العدول عن الهدى والذبح — ويلحون فى استبدال النقود بالهدى . وتوزيعها على الفقراء ، بدلا من هذه اللحوم التى تفسد الجو ، أو تدفن فى الأرض ، ويقحمون فيما يبرر رأيهم — جهلا بغير علم — قوله تعالى : « **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** » (١) .

وبذلك وقعت مسألة « الهدى فى الحج » بين جهل فى التطبيق والعمل ، وبين نظر قاصر ، يحاول بهذا الجهل تغيير حكم الله فيها ، دون أن يتعرف واقع المشروع ، ويدعو الناس اليه ، فيبقى حكم الله على ما شرع ، ويسلم الجو من الأذى والضرر ...

كلمات فى الهدى :

وهذه كلمات فى الهدى أكشف بها هنا معنى الهدى الذى شرعه الله فى الحج ، وعن مكانته فى القرآن الكريم ، وعن الحالات التى يطلب فيها عينا دون تخيير بينه وبين غيره ، وعن المكان والزمان اللذين يصح فيهما ذبح الهدى ، وعما ينبغى أن يكون عليه الهدى من سلامة الصحة والجودة والنقاء ...

وأرجو أن يجد الفريقان فى هذه الكلمات ما يردهم الى الصواب ، فيعرف الحجاج أن الهدى ليس واجبا على كل حاج ، ويعرف من يجب عليه : أن الهدى الهزيل هدى خبيث لا يرضاه لنفسه ولا لأهله ، فلا ينبغى أن يرضاه لله « **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه الا أن تغمضوا فيه** » (٢) .

ويعرف الآخرون أن الله أرحم بعباده منهم ، وأنه لا يشرع لهم الا كل خير نافع ، وأنه أجل من أن يتعبدهم بما فيه شرأو ضر :

---

(١) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٢) الآية ٢٦٧ من سورة البقرة .

أو ضرر : وأن تشريعــه فــوق ما يربطون به نظرهم من ســوء التصرف المبنى على الجهل بأحكامه وشرائعــه ، وأن من الخــير لهم وللناس أن يتريثوا فى آرائهــم ولا يندفعوا الى اعلان التحلل من أحكام الله بمجرد نظر خــاطف ، فيوقعوا الناس فى شك من دينهم. ويفتحوا على أحكام الله بمثل هذا النظر باب التفكير فى كثير من صور العبادات التى ينحرف الناس بها عن وضـــعها الشرعى ، واذن لا يمضى كثير من الزمن ، وخاصــة فى هذه الفترة التى نعيش فيها ، والتى يستبيح فيها كثـير منا ــ باســم حرية الرأى ومعقوليــة الدين ــ أن يتناولوا بأفكارهــم الشاذة ، ما لا يفقهون من أحكام اللــه العقيدية ، أو ما يفقهــون ويريدون ــ لحاجة فى نفوسهم ــ القضاء عليه .

معنى الهدى :

والهدى أســم للحيوان الذى يهدى باسم الله الى الحرم، ويذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين **« فاذا وجبت جنوبها فكلوا منهــا وأطعمــوا القانع والمعتر كذلــك سخرناهالكم لعلكم تشكرون »**(١).

وقد أرشد القرآن الى الروح الذى يتقبل به الهدى ، وهو روح الاخلاص والتقوى ، شــأن كل التكاليف ، لا يكفى فى تقبلها شكلها ولا صورتها ، وانما يرفعها اليــه الاخلاص والتقوى ، وهو المعنى بقــوله تعــالى : **« لن ينــال الله لحومها ولا دمــاؤها ولكن ينالــه التقوى منكم »** (٢) كما لا ينــاله من الصلاة الحركات والسكنات ولا من الصــــوم ترك المأكــولات والمشروبات ، ولكن ينــاله منها ما يحملان من معــانى الخشــــوع والاخبات ، ومراقبة القلب وحسن النيات **« انمــا يتقبل اللــه من المتقين »** (٣) .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الحج .
(٢) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٣) الآية ٢٧ من سورة المائدة .

الهدى فى القرآن :

قد عرض القرآن للهدى من جهات ثلاث :

أولها : جهة التنويه بشأنه ، فطلبه وطلب الاخلاص فيه لله ، وجعله من الشعائر التى يجب المحافظة عليها ، ويحرم اهمالها واحلالها ، ففى سورة المائدة **« يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام . ولا الهدى ولا القلائد ، ولا آمين البيت الحرام »** (١) وفى سورة الحج « **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير** » (٢) وفيها « **ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب** » (٣) ...

ثانيها : جهة الحالات التى يطلب فيها . وهى : حالة الاحصار ومعناه : المنع عن اتمام الحج أو العمرة بمرض أو عدو وهى المذكورة بقوله تعالى فى سورة البقرة « **وأتموا الحج والعمرة لله . فان أحصرتم فما استيسر من الهدى** » (٤) وقد طلب فيها الهدى عينا متى تيسر ، ولم يخير بينه وبين غيره .كما لم يجعل له بدل..

وحالة الاعتداء على الاحرام بفعل محظور من محظوراته ، كتغطية الرأس ، أو لبس مفصل على الجسم ، أو قتل صيد الحرم، وهى المذكورة بقوله تعالى فى سورة البقرة « **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** » (٥) وبقوله فى سورة المائدة « **يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما** » (٦) .

---

(١) أوائل سورة المائدة .
(٢) الآية ٣٦ من سورة الحج .
(٣) الآية ٣٢ من سورة الحج .
(٤) الآية ١٩٦ من سورة البقرة .
(٥) الآية ١٩٦ السابقة .
(٦) الآية ٩٥ من سورة المائدة .

وقـــد طلب الهـــدى فى هاتين الحالتين على سبيل التخيير بينـــه وبين غيره : من الصوم والاطعام ، وقد بين الرسول عليه الصـــلاة والسلام أن المراد : صوم ثـــلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين ..

وحـــالة التمتـــع بالتحـــلل من الاحرام الأول على ارادة استئناف احرام آخر للحج عند الخروج الى عرفة ، وهى المذكورة بقوله تعالى: **« فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم »** وقـــد يكـــون طلب الهدى هنا على أن يكون له بـــدل عند العجز .

زمان ومكـــان الهدى :

وكما عرض القرآن للهدى من جهة التنويه بشأنه . ومن جهـــة الحالات التى يطلب فيها : عينـــا أو تخييرا بينه وبين غيره . عرض له من جهة المكان الذى يذبح فيه **« ثم محلها الى البيت العتيـــق »** **« هـــديا بالغ الكعبة »** والمراد ــ لما دل عليه قول الرســـول عليـــه الصلاة والسلام وعمله ــ الحرم كله ، وقد صح عنه « ان منى كلها منحر ، وان مكة وفجاجها منحر » واذن : ففى مكان ذبحه متســـع . ومتسع عظيم ، وليس خاصا بمنى كما يظن كثير من الناس .

أما الوقت الـــذى يذبـــح فيه الهدى ، فلم يعرض القـــرآن ولم يصح فى تعيينه حـــديث ، واذن فلمن وجب عليه الذبح عينا . أن يذبح هديه فى أى وقت شاء بعـــد أن وجب عليه ، وليس هناك ذبح يتعين زمنه سوى « الأضـــحية » التى تكون فى أيام النحر الثلاثة ، وهى غير الهدى . وهى لا تجب ــ ان صح أنها واجبة ــ على حـــاج أو مسافر .

وقد بين الفقهاء أن هدى التمتع يجوز ذبحه بمكة قبل الخروج الى عرفة ، بل قبل الاحرام بالحج وهو أهم ما يجرى فيـــه الجـــدل بين الناس ، وأهم مـــا يحـــدث تلك الظاهرة الكريهة .

الهدى من شعائر الله :

بهـــذا الـــذى ذكرناه نعلم أن الهدى من شعائر الله التى تجب

المحافظة عليها ، ولا يصلح التهاون فيها أو اغفالها ، وحسبنا «لاتحلوا **شعائر الله**» والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق الا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة ، وان أردت زيادة فى الايضاح فانظر الى موقف الشريعة من الأذان . اذا اعتبرته شعيرة من شعائر الدين ، يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وان لم تكن من الفرائض ألا وان للشعائر فى نظر الاسلام مكانة الفروض المقدسة ، وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافا فى ذلك ، نزولا على حكم تلك الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقا للغرض المقصود ، وهو التقرب الى الله باراقة الدم . ولله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته ، وبمالا لايدركون . وما كان اختلاف الفرائض ـ فى عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد الأوقات ، واختلاف مقادير الزكاة والكفارات ، وسائر ما دخله العد ، أو اعتبرت فيه الكيفية ـ الا نوعا من هذا التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أم لم يعقل .

من ثمرات الهدى الروحية والاقتصادية :

والعلماء يذكرون فى هذا المقام أن هذه القربة تذكر بحادث الفداء الذى حصل لابراهيم الخليل وولده عليهما السلام . وتنبه النفوس المؤمنة الى مبدأ التضحية فى سبيل الله وطاعته بأعز شىء لديها « **وفديناه بذبح عظيم** » .

على أن فى العمل بهذه القربةسرا اقتصاديا يرجع الى سكان البادية، ولعله من مصداق دعوة أبيهم ابراهيم حين قال : « **ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » (١) .

---

(١) الآية ٣٧ من سورة ابراهيم .

ذلك أن الماشـــية رأس مال أهل البادية • وموسم الحج هو السوق التى تنفق فيه هذه السلعة • عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرازقهم من أعمـــالهم • ومن ثمن أموالهم دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا لمن العطاء •

لا تغيير فى أمور التعبد :

من هذا يتضح جليا أنه لايجوز للمسلمين أن يفكروا فى اســتبدال النقود بالهدى أو الأضــاحى التى طلبها الشـــارع بذاتهـــا ، اقامة للتصدق بثمنها مقامهـــا ، اذ ليس القصد هو التصدق ، وانما القصد ــ كما قلنا ــ التقرب بها نفسها • واننا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير ــ بناء على ما نظن من حــكم التشريع ــ لا نفتح علينـــا باب ، التفكير فى التخلى عن الأعداد والكيفيات التى طلبت فى كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن يقول: ان الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة اللـــه ، وهمـــا معنيـــان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضـــوع والمراقبـــة • فليست هناك حاجة الى ركوع أو سـجود أو غيرهمـــا من كيفيـــات الصلاة الخاصة ، وذلك ينفتح باب الشر عـــلى مصراعيـــه ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفـــدية الحج ••

الشريعة لا ذنب لها :

أمـــا ما يبررون به مثـــل هـــذا التفكير من أن لحـــوم الـــذبائح تتكـــدس فى منى وتتـــرك للتعفن المفسد للجو ، أو للنـــار المذهبـــة للأموال ، فهذه الحالة ــ ان صحت ــ ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وانما نشـــأت عن عدم التنظيم ، وعـــدم الالمام بأحكام الشرع ، فـــان الشرع لم يطلب من كل حـــاج أن يـــذبح : فالذى نوى الحج ، واستمر على احرامه حتى أكمل حجـــه لا يجب عليه ذبـــح ولم يوجب أن يكـــون الذبح ــ فيما يوجب فيه الذبح ــ فى خصوص منى ولا مجزرتهـــا ، ولا فى اليـــوم الأول من أيـــام النحر ، فأيام النحـــر كلهـــا زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا الا فى حالات

مخصوصة ، وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام ..

فلو عرف الحجاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء : فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وفرقوا الذبح على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى، وهيئوها بالسلخ والتقطيع ، لما كان لهذه الشكوى موضع ،ولكن جرت سنتنا فى التفكير ان نعتبر الوضع الذى جرت اليه العادات — وان كانت فاسدة — صورة للتشريع فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التخلى عنه بالقضاء على أصله ، وبذلك ندخل فى باب من التغيير والتبديل فى أحكام الله ، ولا نلبث بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها جانبا باستحساننا الفاسد المبنى على واقع جر اليه الجهل وعدم التنظيم .

اقتراح لحل المشكلة :

وبعد : فان الكلام فى هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الهلباوى بك مع فضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال على فضيلته بحثه من الوجهة الفقهية الشرعية ، فعدت اليه بعد البحث الطويل : بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التعبد فى هذه المسألة باراقة الدماء ، دون أن أرى فى كلام واحد منهم ما يشير — ولو من بعيد — الى جواز استبدال النقود بها . فاطمأن الى هذا وأقره .

وقد عرضت على فضيلته اقتراحا هو : أنه على فرض تكدس اللحوم — كما يقولون بعد مراعاة الأحكام الشرعية فى زمان الذبح ومكانه وطلبه وعدم طلبه ، يجب على المسلمين أن يعملوا على استخدام احدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وادخارها طيبة، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين فى جميع الأقطار الاسلامية . ان

(.) من كتاب «الفتاوى» للمرحوم الشيخ محمود شلتوت .

ضاق عنها القطر الحجـــازى ، أو بيعها بأثمان تصرف فيمـــا ينفـــع الفقراء والمساكين أو فى سبيل الله العـــامة ، وانى اعتقـــد أن هـــذا المشروع متى كفلتــــه الدولتــــان العظيمتان : مصر والســـــعودية ، رأينا آثاره وانتفع الناس بثمراته ان شاء الله ..

أيها المسلمون : هذه أحكـــــام الله فى الهدى ، وأحكامه كلها خير وبركة ، فاعرفوها على وجههـــا . وعلموها الناس ، ونظموا العمـــل بها والمحافظة عليهـــا ، ولا تكونوا كالذين ثقلت عليهم أحكام الله مع يسرها وخيرها فبدلوا قولا غـــير الذى قيل لهم . فأرسل الله عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون.

عبد الحميد السيد شاهين

« تصـــــويب »

وضع خطأ كلشيه « الشعر المملوكى مرآة عصره » فى موضـــوع .. « تعقيب ورد على التعقيب » ص ١٤٤٦ عدد ذى القعدة .

فلزم التنبيه

من أنباء العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ فهمى عبداللاه سيد على

« الرئيس الباكستانى يدعو الى وضع نظام تربوى يركز على العقيدة الاسلامية » •

طالب الرئيس ، محمد ضياء الحق ، رجال التربية المسلمين ، بالرجوع الى القرآن الكريم المنهل الأصلى والدائم للمعرفة والرشاد • كما أنه دعا الى وضع نظام تربوى ، يركز على العقيدة الاسلامية وبناء جيل اسلامى قادر على تحمل مسئولياته فى الأزمة الراهنة •

كذلك طالب الرئيس الباكستانى القائمين على التعليم الاسلامى ببذل جهود لتنشئة ابناء المسلمين طبقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتمكين الطلاب المسلمين من التعمق فى العلم والتكنولوجيا • كما أنه أكد على أهمية تدعيم نظم التعليم الاسلامى ومنهجه فى الدول الاسلامية •

وشدد الرئيس ضياء الحق على أهمية مواجهة مروجى التيارات الهدامة التى يواجهها العالم الاسلامى •

وقال ان صراع الأفكار والمبادىء الوضعية التى وضعها الانسان فى عالمنا المعاصر تعرض السلام الدولى للخطر • وأعرب الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق عن سروره لعودة المسلمين الى المعانى الأصيلة لدينهم وتراثهم التعليمى والثقافى المميز ، واندفاعهم نحو التعرف على هويتهم الحقيقية •

« توصيات اتحاد المؤرخين العرب (١) » ••

ناشد المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب الحكومات العربية بضرورة الاحتفاء بحلول القرن الخامس عشر الهجرى بما يليق وتاريخ الأمة الاسلامية ومكانتها الحضارية ، كما دعا الحكومات العربية ومؤسساتها الثقافية للتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب ، من أجل كتابة تاريخ الأمة العربية بأسلوب علمى وروح موضوعية ، كذلك طالب الحكومات العربية بضرورة توحيد مناهج تدريس التاريخ العربى الاسلامى فى جميع مراحل التعليم فى الوطن العربى •

كما أوصى المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب الحكومات العربية بضرورة الاسهام فى مشروع احياء مدينة القيروان ومسجدها الجامع، وآثارها الاسلامية ، وايفاد عدد من المؤرخين العرب الى عدد من الجامعات للتعريف بتاريخ الأمة الاسلامية وتراثها •

كذلك دعا المكتب الحكومات العربية الى دعم مراكز وأقسام الدراسات الاسلامية والعربية فى الجامعات الأجنبية لتمكينها من اداء دورها الايجابى ، ودعم الاتحاد فى مشروعه الخاص باقامة ندوة عالمية فى كندا لبحث العلاقات العربية الكندية والعمل على تطويرها •

كما أنه دعا الحكومات العربية الى توحيد جهودها وجمع كلمتها لمجابهة العدوان الصهيونى واسترداد حقوق العرب فى أرض فلسطين •

ووجه الاتحاد نداء الى الأمين العام للأمم المتحدة عن الجرائم التى ترتكبها الصهيونية فى الارض العربية المحتلة •

« الدعوة للمحافظة على مدينة (فاس) المغربية » ••

وجه سعادة المدير العام لمنطقة الاونيسكو ، التابعة للأمم المتحدة الدكتور أحمد ومختار مباوى ، من

---

(١) من النشرة ٨٤ للمركز الثقافى الاسلامى بايطاليا ٠

جمهورية السنغال ، الدعوة للقيام بحملة عالمية ، لاعادة بناء وترميم مدينة فاس ، أقدم المدن المغربية، والتى كانت فى يـوم من الأيـام عاصمة الجناح الغربى من بـلاد الاسلام ، لتعود اليها عظمتهـا ومجدها ، ليس فقط من الناحيـة الفنية والمعمارية فحسب ولكن من الناحية التجارية والثقافية والأدبية والروحيـة • ان مشروع اعادة تعمير مدينة فاس سيتناول اعـادة بناء وترميم العديد من المساكن والمدارس والمعاهـد الدينيـة والثقافية ، بحيث تعاود نشـاطها وتستعيد مجدها ، فضـلا عـن المحافظة عـلى الفن المعمـارى الأندلسى ، وكذاك فكرة بناء كلية الدراسات الاسلامية •

والجدير بالذكر ، أن هذا النداء العالمى ، هو الأول من نوعـه ، والذى تقوم به مؤسسة الأونيسكو التابعة لهيئة الأمم المتحـدة ، فى سبيل اعادة بناء وترميم مدينـة اسلامية ، كما أن هنـاك بعض العقبات التى تعترض هذه الحملة، سواء من الناحية الماليـة أو من الناحية التقنية فمن المقـدر أن تبلغ التكاليف حوالى ستمائة ألف مليون لير ايطالى ، كما أن تنفيـذ الحملة قد يؤى الى تغيير جذرى فى مخططات المدينة •

« رابطة العالم الاسلامى تقدم أربع ملايين ريال لتشييد مساجد فى دول افريقية » ••

قدمت رابطة العالم الاسـلامى مبلغ ٤ مـلايين ريال الى كل من السنغال ، ومالى ، وساحل العاج، وتوجو ، وسـيراليون ، وغانا ، للمساهمة فى انشـاء عـدد من المساجد فى هذه البلدان •

هذا ، وقد قام وفد من رابطـة العالم الاسلامى بجولة فى هـذه الدول ، سلم خلالها حصة كل دولة من هذا المبلغ ، كما أجرى اتصالات مع المسـئولين فى الجمعيات والمراكز الاسـلامية ، فى الدول الست تناولت تشـكيل مجالس محلية للأئمة ، للعناية بالمساجد ، الى جانب شئون الدعوة الاسلامية وتطوير أساليبها ، ودعم العلاقات بين الرابطة والدول الاسلامية •

فهمى عبد اللاه سيد على

١٧٩٥

كتاب الشهر

أبو هريرة المفترى عليه

في كتاب

مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام

تأليف
الأستاذ / عبد الواحد الأنصاري

تعليق
الأستاذ / عبد الجواد محمد الحضري

رد على لغــو تفوه به كاتب فى مصنف منشــور ...

نشرت مؤسسة للمطبوعات فى بيروت ــ مؤخرا ــ كتابا حمــل عنوان (مذاهب ابتدعتها السياسة فى الاسلام) افترى مؤلفــه على أبى هريرة ، ولم يكتف بذلك بل اتهم جل الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ بما لا يقوله مسلم يؤمن بما أنزل على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولما كنت أحفظ أثرا عن جابر بن عبد الله يقول : « اذا لعن آخر هــذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره ، فان كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد » ترانى أكشف الأقنعة عن الطاعنين ... ولم لا ؟ وقد أثبت أعلام الاسلام « أن (١) أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصــديقا ، وعلما وعملا وتبليغا ، فالطعن فيهم طعن فى الدين موجب للاعراض عما بعث الله به النبيين » وأشهد أن أبا هريرة ورفاقه مبرءون من كل جريرة ، أما ما يتقوله هؤلاء مثيرو الفتن ، فان يغنى عن الحــق شيئا ، وأنى لهم التناوش ؟ وقد سجل الاسلام فضل صحابة رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مناهجه :

فى القــرآن الكريم

يقول الله « لقد تاب الله عــلى النبى والمهاجرين والأنصار الــذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم » (٢) .

ويقــول : « لقــــد رضى الله عن المـــؤمنين اذ يبايعـــونك تحت الشجرة (٣) » ويقول : « والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحســـان رضى

---

(١) ابن تيمية (منهاج السنة) ج ١ ص٣ ط أنصار السنة المحمدية . القاهرة .

(٢) سورة التوبة ــ ١١٧ .

(٣) سورة الفتح ــ ١٨ .

الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » (٤)٠

فى السنة الشريفة

يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » (٥) ويقول « الله ! الله ! فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه » (٦) ويرى الامام أحمد أن المرجفين على صحابة النبى « أرادوا القدح فيه فلم يمكنهم ذلك فقدحوا فى أصحابه حتى يقولوا رجل سوء ، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين»

ولا مناص من اتهام اسلام هؤلاء والا فبم يتهمون ؟ !

وحسبك أن الله سبحانه ــ غفر لهم وترضى عنهم ــ وليت المتشككين ينظرون بعين الانصاف الى هؤلاء النجوم الذين نوروا للناس الظلمات ٠٠٠

مزاعم مدحوضة بالدلائل الثابتة ٠

يقول مصنف الكتاب فى (ص ١٣)

(ان أبا هريرة الذى عاش فى عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سنة وبضعة أشهر وحده يروى عن رسول الله أكثر من ستة أضعاف ما رواه على وأبو بكر وعمر وعثمان ، يروى البخارى منها (٤٤٦) حديثا أى ما يقارب خمسة عشر ضعفا عما رواه عن أبى بكر وعمر مع اجماع المسلمين أن عمر وعائشة كانا غير واثقين به ويتهمانه بالكذب على رسول الله ، أخرجه

---

(٤) سورة التوبة ١٠٠ ٠
(٥) رواه مسلم وهو صحيح ٠
(٦) رواه الترمذى وابن حبان ٠

الامام أبو حنيفة من الثقات واعتبره من الوضاعين .. الخ) وللرد على هذه الاكاذيب نقول : ــ الناس متفاوتون فى العقول ، وفى درجة التلقى للعلم ، وليس بمستغرب أن يحصل أبو هريرة ما لم يحصله غيره بيد أنه كان قوى الذاكرة جيد الحفظ لأنه لم يك كاتبا مثل بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا يغيب عن خاطرنا أن الصحابة كانوا يتمنون اسلام الأعراب لأنهم كانوا يسألون الرسول عن أشياء يستحى منها الصحابة ، أما أنه عاشر النبى ــ صلى الله عليه وسلم سنة وأشهر ــ فهذا كذب والصدق أنه جلس معه « ثلاث سنين وأشهر كما أجمعت معظم الروايات التاريخية الصحيحة (٧)» ولعل كثرة مروياته راجعة فى الأصل الى ملازمته اللصيقة لرسول الله ، فعن أبى هريرة قال : قلت يارسول الله : « من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال « لقد ظننت أن يسألنى عن هذا الحديث أحدا أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وأخرج البغوى بسند جيد عن ابن عمر أنه قال لأبى هريرة : « أنت كنت ألزمنا لرسول الله ، وأعلمنا بحديثه » « وعن طلحة بن عبيد الله قال : لا أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مالم نسمع (٨) » ، ومن عجيب الأمر أنه كان يعلم أن الناس سيتقولون عليه ، وكأنه كان ينظر بستر رقيق من وراء الغيب ، وهذا ان دل فليس الا على نفاذ بصيرته وقوة فراسته وسلامة كرامته ، وتأمل معى ــ أيدك الله ــ حديثه الواضح لترى مدى شفافيته قال : « يقولون ان أبا هريرة قد أكثر والله الموعد ، ويقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ، وسأخبركم عن ذلك: ان أخوانى من الأنصار كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكنت الزم

---

(٧) رشيد رضا (مجلة المنار) ج ١ مجلد ١٩ ص ٣٦ سنة ١٣١٥ هـ .
(٨) ابن حجر ــ (الاصابة) ج ١ ص ٢٠٧ ط السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

رسول الله ـــ صـــلى اللـــه عليـــه وسلم ـــ على ملء بطنى ، فأشهد اذا غابوا وأحفظ اذا نسوا ولقـــد قال رسول الله ـــ أيكم يبســـط ثوبه فيأخذ من حـــديثى هـــذا ثم يجمعه الى صدره ، فانه لم ينس شيئا سمعه فبسطت بردة على حتى فرغ من حـــديثه ثم جمعتهـــا الى صدرى فما نسيت بعد ذلك اليوم شـــيئا سمعته منه ، ولولا آيتان أنزلهما الله فى كتـــابه ، ما حدثت شيئا أبدا (**ان الذين يكتمـــون ما أنزلنا من البينات والهـــدى ... الى آخـــر الآيتـــين ـــ)** رواه البخـــارى ومســـلم والترمذى ولا ريب فى ذلـــك ناهيـــك أن النبى دعا له بعدم النســـيان كما ورد فى سنن النســـائى أنه قال : اسألك علما لا ينسى فقـــال رسول الله : آمين فقال الجلوس : يارسول الله ونحن نســـألك علمـــا لا ينسى فقال:«سبقكم بها الغلام الدوسى» ولم يفت الامام (*) أن يتنبـــه لهذا الاكثار من المحفوظات فأثبت أن من أعلام الرواة « أبوهريرة » وعدد ماروواه خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون (٥٣٧٤) حديثا ، وعن الشـــافعى : كان أبـــو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره ، وكان الامام مالك يرضاه وهو ثقة دع عنك ما ينســـبه المؤلف لأبى حنيفة ، لأن مسائل الفقـــه عنـــده اعتمدت فى أدلتها على أحـــاديث الرسول برواية أبى هريرة ، فكيف يكذبه ثم يعتمد على طريقه ، بـــل كيف يخترع مصـــنف الكتاب تلك الأقاويل ويعزوها للبرآء منهـــا ، وهل نسى « أنا أبا هريرة روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل (٩) » ويقول فى ص ٢٧ ما نصه : « وبعد أن كان الانتهازيون من المحدثين يحدثون الناس فى عهد معـــاوية ، أن الله اصطفى محمدا وجبرائيل ومعاوية ..روى صاحب البداية والنهاية ج ٨ ص ١٢٠ عن أبى هريرة قـــال : سمعت رسول الله ـــ صلى الله عليه

(*) الذهبى فى ميزان الأعتدال .

(٩) ابن العماد ـــ (شذرات الذهب) ج١ ص ٦٣ ط القاهرة سنة ١٣٥٠هـ

وسلم ــ يقول : « ان اللــه ائتمن على وحيـــه ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية » قلت : لعل ســيادة المؤلف ــ فض الله فاه ــ نسى أن النبى محمدا قال « سيكذب على » وقال : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (١٠) » وهو النبى المعصوم من قبل اللهتعالى لم ينج من كيــد الأشرار وحيث أن النبى كذلك ليس ببعيد أن يضع الأعداء هــذا الحــديث أو الخبــر على الصحابى الجليل ، ويبدو أن واضع الخبر الكاذب كان يعترف بجــلال أبى هريرة ومكانته ، والا لما تقول عليه بهذا الأسلوب !!• ومن وجهة أخرى نقول : هــذا الخبر ضــمن المثبوت فى كتب التاريخ ، ومعظمها مقطــوع الســند ، مدلس المتن ، مجهــول الرجــال ومن تعــاجيب المفاهيم أن مؤلف الكتاب يجــىء بالطم والــرم وينــكر مــا أورده البخــارى ومســلم والنســائى والترمذى وأصحاب السنن لصالح أبى هـــريرة وتــراه يحتـــج بالموضوعات ، أليست هذه فــرية بلا دليل وتهمة بلا بينة ، وجور لا يعرف العــدل • وكتب فى ص ٢٨ يقــول : ــ كان أبــو هريرة أول راوية اتهم فى الاسلام بالكذب على رسول الله ــ صــلى الله عليــه وسلم ــ وهو أول والى فضــحه عمر بن الخطاب على أخذ الرشوة لما ولاه على البحرين ، ولكى يرفع من مقام نفسه فيما بين الصــحابة والتابعين ، بدأ بوضع الحديث عن نفسه فزعم أن النبى خصــه دون غيره بالحــديث ، وهــو الكــذاب المرتشى فيجعل من نفسه قيمــا على حديث النبى حافظا لكل ما نطق به ••• الخ ، وهكــذا يتــوالى سوء الأدب مع صحابى فضله الله ورسوله على أمثالنا ، دع عنــك أن المؤلف يرتد عن عمــد الى جاهلية فى الهجوم على الأمــوات فينطق بهراء باطل يدحضه البحث العلمى السليم ، وانه ليسوؤنا أن يحمل هذا المسلم نفس الترهــات التى حملها أعداء الاسلام وعــلى

---

(١٠) رواه السيوطى •

رأســـهم القس النصرانى المصرى عام ١٣١٥ هـ ، وتصدى له حينهـا محمد رشيد رضا ــ رحمه الله ــ ويبدو أن شجرة الباطل من أصـل واحد ، وعن عزل الصـــحابى من امـارة البحرين فهـذا أمر يتعلق بصالح المسلمين ، ولا يخفى عـلى منصف أن عمر ــ رضى الله عنه ــ كان من أعدل خلق الله فى شجاعة يقرها العرف الاسلامى ، ولا غرو فهو الفاروق الذى فرق الله به بين الحق والباطل واذا كان المـؤلف ــ سامحه الله ــ يروى أن عمر عزله لشىء يراه ، فـلا يقـدح هـذا الشىء فى شخص أبى هريرة ولا يعيبه أنه أكثر الناس توفيقـا فى حفظ الأحاديث فقد قيـل له ذات يوم « أكثرت ، فقال لو حـدثتكم بما سـمعت لرميتمونى بقشـع الجلود » (نقـل هـذا الخبر ابن حجر) ، وكان أبو هريرة قد روى حديثا عن الصلاة لم يعجب مروان فسـأل عبد الله بن عمر : فقـال عبد الله لقد أكثر أبو هريرة فقالوا له ، أتنكر شيئا مما يقول ؟ فقال لا ! ولكن اجتـرأ وجبنـا فبلغ ذلك أبا هريرة فقال : « ماذنبى ان كنت حفظت ونسوا » فلا مشـاحة ان روى هـذه الأحـاديث عن يقين وصدق القائل :

سبع من الصحبفوق الألف قدنقلوا
من الحديث عن المختـار خير مضر
أبو هريرة ســـعد جـابر أنس
صـديقه وابن عباس كذا ابن عمر

ومن ذا الذى ينكر أن محمدا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان يعلم مطاوى أصـحابه ودواخلهم وقد خـولته معجـزاته أن يخص بعض أصـحابه بأمور ، تنفـع الاسلام عن طريقهم ، وعلى سبيل المثال رجـل يأتى اليـه فيقـول للرسول أوصنى فيجيبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تغضـب ثم يستنصحه آخر فينصحه الرسول بالاستقامة ، لذا لا تثريب عليـه وهو الصـادق الأمين أن يعطى الوصيه لطالبيها ومما أخذه أبـو هريرة هذا الخبر الصحيح قـال له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « أوصيك بخصال لا تدعهن مابقيت قال : أوصنى ما شئت فقال لـه : عليك بالغسل يوم الجمعة والبكور

اليها ، ولا تلغ ولا تله ، وأوصيك بركعتى الفجر لا تدعهما وان صليت الليل كله فان فيهما الرغائب قالها ثلاثا ثم قال ، ضم اليك ثوبك فضم ثوبه الى صدره فقال يارسول الله بأبى وأمى أسر هذا أو أعلنه قال : بل اعلنه يا أبا هريرة قالها ثلاثا (١١) .. **فى ص ٢٩ يعتب بلا حياء على ابن خلدون فيقول : —** « العجب كل العجب ممن اعتبر أصدق كتاب ، بعد كتاب الله الكتاب الذى يروى عن أبى هريرة (٥٣٧٤) هكذا !! ، ولا يروى عن طريق الامام أبى عبد الله رواية واحدة » أقول : حقا الزور مفضوح بنفسه ، وليته سكت حتى لا يكشف القارىء خيوط الأكذوبة ان البخارى لم يرو له الا (٤٤٦) حديثا فقط ، واذا أردت تلاوة هذه الأحاديث وجدت أنها من سماعه ومن روايته عن بعض أصحابه — رأى أن فيها مراسيل — وهى لو جمعت كلها لأمكن قراءتها فى مجلس واحد ، لأن الأحاديث النبوية تأخذ طابع الايجاز والفصاحة فكيف — بالله عليكم — يستكثر هذا الغر هذه الأحاديث على مثل أبى هريرة أو من هو دونه فى الحفظ واننا لنعلم أن فى تاريخنا العربى ، « أناسا حفظوا مجلدات ومنهم ، أبو محمد عبد المجيد عبدون الذى كان أيسر محفوظاته كتاب الأغانى للأصفهانى وهو اثنى عشر مجلدا من القطع الكبير (١٢) » ومن منح الله للعرب ، هذه العقول الجبارة التى نقلت الينا أساسيات الفكر الانسانى فى العلوم والمعارف ، وانها لمفخرة للاسلام والمسلمين على مر الدهور أن يكون فيهم هذا الجم الغفير من الحفاظ الأجلاء !

... ويكتب فى ص ٣٠ ما يلى : — « أرأيت كيف أن أبا هريرة ، وقد ساوم معاوية على وضع الحديث كيف سد الطريق على غيره فى رواية الحديث والطعن فى

---

(١١) منصور ناصف (التاج) ج ١ ص ٢٠٧ ط الحلبى بالقاهرة .
(١٢) مصطفى صادق (تحت راية القرآن) ص ٧٨ ط لبنان ١٣٩٤ هـ .

الصــــــحابة !! أرأيت كيف أن السياســـة الأموية جعلت من أبى هريرة راوية .. الاســـلام دون ســـواه ؟ » ونجيب على مثاليه لصحابة النبى ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ بأن معاوية بادىء ذى بدء برىء من هـــذه الأكـــذوبة ، والنصوص التى تبرؤه ليست من عندى بل نقلها البخارى ومنهـــا أن ابن عباس قيل له « هل لك فى أمير المؤمنين معاوية فانـــه ما أوتر الا بواحدة فقال له انه فقيه ، وعن النبى ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ « أنه قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به (١٣) »ولم يكن من ملوك الاســـلام ملك خـــيرا من معاوية ، ولا كان الناس فى زمـــان ملك من الملوك خيرا منهم فى زمن معاوية اذا نسبت أيامه الى أيام ما بعده واذا نسبت الى أيام أبى بكر وعمر ظهرت المفاضلة (١٤) » فماذا علينـــا لو تعلمنـــا الاحترام لهؤلاء السادة الكرام وهل جعـــل الأمويون حديث الرســـول لأبى هريرة وحـــده ؟ كـــلا وما فى كتب الصحاح أظهر دليل على بطـــلان زعمه .

المستشرقون يفترون !!

فى دائرة المعارف الاســـلامية ، التى أعـــدها ثلة من أصـــحاب الشمال ، مستشرقى الغرب مايندى له جبين المسلم المؤمن ، ومن المآسى أن يقف المترجمـــون العـــرب ، موقف المتفرج تجاه مثل هذا الهراء وتعال معى ــ بصرك الله ــ لتقرأ ما نصه « وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرة أبى هريرة عن الوقوع فى الخطـــأ تلك الذاكرة التى استطاع أن يستوعب بها عددا عظيما من الأحـــاديث فقالوا : ان النبى لفه بيده فى بردة ونحن نقف من أحـــاديثه مـــوقف الحذر والشك ، وقد وصفه شيرنكر بأنه المتطرف فى الاختلاق وليس فى كتابى البخارى والترمذى ، شىء

(١٣) رواه الترمذى .
(١٤) ابن تيميه (منهاج السنة) ج ٣ ص ١١٥ (نفس المرجع السابق)

خـــاص عن أبى هريرة (١٥) » !! نقـــول ان الحـــركة الاستشراقية، أقيمت لهدم الفكر الاســـــلامى ، وتقويض أركانه بالطعن فى أعلامه ، ومـــاذا تنتظر من أعـــــدائك الا الانتقـــــاص منك ومن ذويـــك ، والمستشرقون يخضعون النصوص حسب الفرض الذى عليه هواهم ، غـــير ناظرين الى المعـــــايير التى اصطلح عليها أهل الفكر الاسلامى واذا ما عجزوا عن الفهم حـــرفوا الأحاديث لكأنها من اختلاق الناس، ويحق للناس الزيادة فيها والنقصان منها ، ووصل الحال الجائر بهم أن شكوا فى أحـــاديث النبى بل فى النبى ــ صلى الله عليه وســـلم ــ نفســــه !! وقـــد ردد جـــولد زيهرودوزى وشبرنجر أن الســـنة تأخرت فى التدوين ، فأعطى هـــذا فرصة للمســـلمين ليزيدوا لخـــدمة أغراضهم وليس أبو هريرة وحده ــ بل كل الصحابة ــ واننى لمستاء من الـــذين يفخـــرون بالانتمـــاء الاســـــتشراقى وتا الله ما كتب الاستشراقى الاســـم فى ترياق ، ولقد شاء الله أن يظهر الحقـــائق فروى البخارى هذا الجمع وروى الترمذى أكثر منه فكيف زعمهم وهم أرباب المنهج العلمى كما يدعون ! ومن أكبر الدواهى أن أحد العرب المســـلمين كـــاد أن ينفى وجـــود شخصية تحمل هذا الاسم (أعنى أبا هريرة) ويبدو أنه عمى عن كتب التاريخ ونجمـــل له المراجع التى أنصفت أبا هريرة وله دراستها ــ ان أراد ــ (التهذيب : ج ١٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ــ الطبقات : ج ٤ ص ٥٢ ، ٥٣ ــ سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٤١٧ ــ تاريخ الاسلام : ج ٢ ص ٣٣٣ ــ الكـــامل ج ٣ ص ٢٥٩ ــ شذرات الذهب : ج ١ ص ٦٣ ــ الأصابة ترجمة رقم ١١٧٩ ، حليـــة الأوليـــاء ج ١ ص ٣٨٦ ، المحبر : ص ٥ ، ٨١ ــ النجـــــوم الزاهرة ج ١ ص ، ١٥١ ــ الوفيات لابن الخطيب ص ٧٢ ــ المعارف :

---

(١٥) المستشرقون (دائرة المعــــارف الاســـلامية) ج ٢ ص ٢٦ ط دار الشعب ١٩٦٩ م ٠

ص ٢٧٧ ــ حياة الصحابة : جـ ١ ص ١٧٧ ــ فجر الاسلام : ج ١ ص ٦٥ ، ١٨٥ ، ٣٢٨ ، ــ أبو هريرة ــ سلسلة أعلام العرب ، للاستاذ محمد عجاج الخطيب ــ دفاع عن أبى هريرة ، للاستاذ عبد المنعم صالح العلى) .

وبعد ... فماذا بعد الحق الا الضلال ؟

ليس مؤلف كتاب (مذاهب سياسية ...) هو وحده الذى طعن فى صحابة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بل غيره كثير ، وقد صنف علماؤنا الكبار رسائل فى الرد على هؤلاء الذين مرقوا عن دين الله واتبعوا سبيل الضالين ، ولن يستفيد المسلمون من هذه المؤلفات المشبوهة التى تحمل أسماء المسلمين أو من تسموا باسمهم : ، وليس من الاسلام أن أسب أحدا فسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ، ولا يريد أعداء الاسلام الا بذر التيارات المعادية للاسلام فى مناخ الشعوبية النكراء فهل آن لنا معشر المسلمين ، أن نصلح أخلاقنا ؟ ونرتفع فوق العصبية المنتنة ، التى هدت كيان الأمة ونخرت فى أركانها ، اننى أحس قلقا بالغا على سلامة التاريخ للصحابة السلفى ــ رضوان الله عليهم ــ ولا بدع فواحد من الكتاب يطلع بمقال يتهم فيه « ابن تيمية » اتهاما لا يقره عقل ولا ترضاه فطرة أخلاقية ، وآخر يطالب باعادة كتابة السيرة المحمدية لأنها ــ على زعمه ــ مليئة بالغزوات ، ولم يك الرسول !! رجل حرب بل رجل سلام !! وياللأسف : ان السيرة التى كتبها ــ ابن اسحاق ، وابن هشام ، وابن كثير ، والقاضى عياض ، والسهيلى ، وعبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب ــ ثم الدكتور هيكل ، كفيلة بأن تقف متحدية لأنها مؤيدة بالكتاب والسنة ، ومهما اختلفت المناهج اتحدت النتائج ،

وعلى هؤلاء الأدعياء من محدثى العصر ، أن يلزموا الأدب مع الله ورسوله وأصحابه ـ رضـوان الله عليهم ـ **(ربنـا اغفر لنـا ولاخـوانا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)** ٠

عبد الجواد محمد الخضرى

* * *

فهرس العدد

الموضوع	صفحة

الموضوع | صفحة

طبعت بمطابع مؤسسة روزاليوسف